

حديث الآحاد وحجيته في تأصيل الاعتقاد

دراسة تطبيقية ونقدية على ضوء أهل السنة والجماعة

تأليف

الدكتور عبد الله بن ناصر سعد السرحاني

الجزء الأول



مكتبة الرشد
ناشرون

ح مكتبة الرشد، ١٤٢٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

السرحاني، عبد الله ناصر سعد

حديث الآحاد وحجيته في تأصيل الاعتقاد./ عبد الله ناصر سعد السرحاني. ــ الرياض، ١٤٢٧هـ

٥٦٨ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٨-٥٩٩-٠١-٩٩٦٠ - ج ١

١- العقيدة الإسلامية - دفع مطاعن أ- العنوان

ديوي ٢٤٠ ١٤٢٧/٢٧٠٦

ردمك: ٨-٥٩٩-٠١-٩٩٦٠ - ج ١ رقم الإيداع: ١٤٢٧/٢٧٠٦

الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م

مكتبة الرشد ـ ناشرون

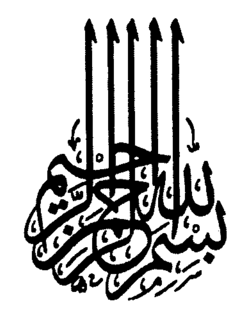
المملكة العربية السعودية ــ الرياض

شارع الأمير عبد الله بن عبد الرحمن (طريق الحجاز)

ص.ب.: ١٧٥٢٢ الرياض ١١٤٩٤ ــ هاتف: ٤٥٩٣٤٥١ ــ فاكس: ٤٥٧٣٣٨١

E-mail: alrushd@alrushdryh.com

Website: www.rushd.com



[قال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله: «الأخبار قسمان، متواتر وآحاد.. والقسم الثاني هو ما يرويه الواحد العدل ونحوه ولم يتواتر لفظه ومعناه، ولكن تلقته الأمة بالقبول عملاً به وتصديقاً له.

واعلم أن أحاديث صحيح البخاري ومسلم من هذا الباب، فإن ما تلقاه أهل الحديث وعلماؤه بالقبول والتصديق فهو محصل للعلم مفيد لليقين».

وقال الشيخ ابن القيم رحمه الله: «والصحيح المشهور عن الإمام أحمد رحمه الله، القطع بثبوت الحديث متى توفرت فيه شروط الصحة».]

الكتاب ص ١٠، ٦٨.

أصل هذا الكتاب رسالة علمية تقدم بها الباحث لنيل درجة الدكتوراة بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى؛ وقد حصل بها الباحث على درجة الدكتوراة في العقيدة بتقدير ممتاز.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ، وأن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد: فإن الله سبحانه وتعالى قد ارتضى دين الإسلام مهيمناً على كل الأديان وخاتماً لها، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة ٣].

وأرسل محمداً ﷺ بشيراً ونذيراً رؤوفاً رحيماً، هادياً مهدياً، ختم به الرسل والأنبياء: فهو العاقب الذي ليس بعده نبي حتى يبعث الله الخلق بين يديه سبحانه وتعالى. فكان ميراثه أعظم ميراث عرفته البشرية، وأنقى وأصح وأثبت وحي نبوي نبئت به الأنبياء وتلقته الأمم، تماشى فيه العقل مع النقل فلم يطغ جانب على آخر، ولم ينفر العقل الصريح من ثوابت الوحي الذي لا يأتي بما تحيله العقول ولكنه يأتي بما تحار منه العقول.

ذلك أن الدين الإسلامي جاء لكافة الناس بل وللثقلين، وحتى الجماد والحيوان كان للإسلام معهما حديث ولخالقهما تمجيد، فالكل بحاله مسبحاً وفي فلك خالقه سابحا.

وإن وحي الله العظيم، وحبله المتين، وكلام رب العالمين، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والمنزل على خير وأفضل وسيد وخاتم

المرسلين، ومن تلقى الوحي من رب العالمين، بقي وسيبقى شامخاً منه يستمد العزم والحزم وفيه منابع الهدى والنور، حُفظ في الصدور قبل السطور، أعجز وتحدى أهل اللغة الفصحى، وأصحاب العقول والنهى، وسيبقى بآياته وكلماته نبراساً للأمة، وبأحكامه وإحكامه مسيّراً وهادياً، وفي قصصه وأمثاله عبراً وعظات وطمأنينة وثباتاً إلى يوم الدين.

أما السنة والسيرة النبوية فإن ثبت سند رواتها، وصحة متونها وأخبارها وقبول حقائقها ومعانيها، وشمولها أحوال دنيانا وآخرتنا، والتجوال مع المسلم أين حل وإلى أين رحل، نام أم استيقظ، غانماً أم غارماً، تُهيب به إلى العلا، وتنشده إلى سمو الروح والمعنى، تحثه على اللحمة والجماعة، ونبذ الفرقة والضلالة.

إن هذا وذاك لم تعرف له الدنيا مثيلاً، ولا في حفظه وثبته شبيهاً، تقرأ في آثار القوم أعني اليهود والنصارى وممن أضلهم الله من فرق الأمة الإسلامية، فمضحكات مبكيات، لا صحة عقل ولا نقل، ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْۚ﴾ [الحشر ١٩].

أما سنة نبينا ﷺ فقد هيأ الله لها من عباده وأوليائه الصالحين من دأب على نبذ سقيمها عن صحيحها، ومنقطعها عن متصلها، أمضوا أعمارهم في جمعها وضبطها وتحقيقها وإثباتها، فكانت درة ثمينة زاهية غالية، وروضة ندية، مقصد كل طالب ومنى كل جالب.حفظ الله كتابه فحرسها عباده وأولياؤه، فكانت ذكراً محفوظاً، ومنهلاً موروداً، تشنف الآذان وتقر الأفئدة والأسماع.

شملت كافة التشريع وعمت سائر الأحكام والتنزيل، فكانت شجى في حلق كل مبتدع ضال، ولحديث المصطفى ﷺ معرض منازع مختال، وقد كثر في الورى أمثالهم وتعددت مشاربهم وأغراضهم، فهاهم الخوارج وقد كفّروا الصحابة بعد عثمان رضي الله عنه فأبطلوا السند وطعنوا في المتن، وأعرضوا عن السنة وقالوا بظاهر القرآن فضلوا وأضلوا، فكانوا قدوة كل ضال وعليهم وزر من جاء على نحلتهم إلى يوم المآل. أما الشيعة فقوم أضلهم الله فشرعوا لأنفسهم ديناً بأسانيد نسبوها إلى أهل البيت وحمّلوها كذباً وزوراً عن أئمتهم، وقالوا بظاهر للقرآن وباطن، وطعنوا في الخلافة الراشدة، وكفروا أصحاب رسول الله ﷺ إلا بضعة منهم، وقالوا بالتقية

النفاق وعصمة الأئمة، وتحريف كتاب الله ونقصه، والبداء على الله والمهدي المنتظر الإمام الثاني عشر!. ثم إشراكهم أئمتهم وآياتهم مع الله في الدعاء والذبح والتوسل وهذا هو الشرك الذي نهى الله ورسوله عنه وهذا نتيجة خلل العقيدة ومصادمة السنة، فكانوا أكذب الفرق، أعداء أصحاب رسول الله ﷺ الذين رضي الله عنهم ومات ﷺ وهو عنهم راض فكانت الشيعة مصدراً لفرق البدع والضلال!.

أما المعتزلة وهم الذين هجروا السنة فقالوا إنما هي أحاديث آحاد في الغالب لا يؤخذ بها في العقيدة، ثم شرعوا لأنفسهم أصولاً عقلية ما أنزل الله بها من سلطان ولا نزل بها وحي ولا قرآن، ثم حاكموا الناس بموجب أصولهم تلك. وتطاولوا على الشريعة فقالوا بخلق القرآن وامتحنوا علماء السنة في عهد المأمون والمعتصم والواثق، وثبت الله إمام أهل السنة الإمام أحمد حتى زالت المحنة في عهد المتوكل. وهاهم عقليوا اليوم خلف لمن سلف من المعتزلة معاول هدم لمن والى الله ورسوله ﷺ.

وحاكى القوم على حياء أصحاب علم الكلام كالأشاعرة والكلابية والماتريدية فكان لهم خبط عشواء في تقرير العقيدة والاستدلال بالسنة والعمل بها، وأن الآحاد لا تقبل في العقيدة ومع هذا فإن جهود علمائهم مشهورة مشكورة في الرد على المعتزلة وأهل الفلسفة والإلحاد.

ثم جاء المعاصرون أصحاب المدرسة العقلية فكان لهم يد طولى في محاولة الهدم ومساعدة المستعمر والمستشرق، الذين أعجزهم الله عن تحريف كلامه ليشتروا به ثمناً قليلاً، ذلك أن الله وعد بحفظه والسنة المطهرة لها نصيب من هذا.

فكان من جهودهم تلك ما خدم الله به سنة نبيه ﷺ كالمعجم المصنف لخدمة السنة وألفاظها، فكان مصداق قوله ﷺ «إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر»[1]

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر ج٦ ص ١٧٩.
صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، ج٢، ص ١٢٢.

غير أنه وفي مختلف العصور الإسلامية هيأ الله لحفظ السنة وخدمتها رجالاً نذروا أنفسهم فكانوا كالصخور العاتية أمام تلك الأمواج من أصحاب التغريب والبدع وعلم الكلام وأصحاب المدرسة العقلية الحديثة، فتبعثرت جهودهم وهجماتهم وخابت مساعيهم ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾﴾ [الأنفال ٨].

أولئك علماء أهل السنة والجماعة الطائفة المنصورة الذين كان ديدنهم هو التمسك بكتاب الله العزيز وسنة رسوله الكريمﷺ وأقوال صحابته﵃ وفهم السلف في القرون المفضلة. فكان ذلك مما أخبر به محمدﷺ الأمة حين قالﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة بإذن الله لا يضرهم من خالفهم»[(١)] فما آثروا على سنته ولا بدلوا في نهجه ولا ارتضوا غير ذلك بديلاً، فكانوا أرحم الخلق بالخلق وأصوبهم في تلقي الحق من الحق سبحانه وتعالى.

وإن الباحث ليحمد الله أن قدر وهيأ ما كان يرجو ويتمنى فكان البحث يتناول إثبات العقيدة بالاستدلال بالسنة، بعنوان: [خبر الآحاد وحجيته في إثبات العقيدة/ دراسة تطبيقية ونقدية].

وإن البحث في موضوع كهذا لجليل الشأن وعظيم البيان، كيف وقد كثرت معاول الهدم من القريب والبعيد وممن انتسب للسنة فاختار ما يناسب مذهبه وأتباع طريقته فلم يرع أمر الله بالإتباع ونبذ طريق الفرقة والابتداع وصدقﷺ: حين قال «يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر»[(٢)].

أهمية الموضوع وسبب اختياره:

كان لدراسة مرحلة [الماجستير] أثرها على الباحث في اختيار هذا

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالسنة، باب قولهﷺ: «لا تزال طائفة»، ج١٢، ص ٢٩٣.
صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الأمارة، باب قولهﷺ: «لا تزال طائفة» ج٣، ص ٧٠.

(٢) سنن الترمذي كتاب الفتن ج٤ ص ٥٢٦ وقال حديث غريب الإسناد؛ مسند الإمام أحمد ج٢ ص ٣٩٠.

الموضوع، فقد تبين للباحث وغيره أن مصادر المتكلمين وغيرهم في فهم العقيدة خال من الاستدلال بالوحي قرآناً وسنة وأقوال الصحابة وفهم السلف كمصدر أولي من مصادر الاستدلال عندهم.

وكان مما يلفت الانتباه ويثير التحفظ تصنيف السنة إلى مقبول على حياء ومردود بلا استحياء، فأما المتواترالقطعي الدلالة على ندرته فمجاله العقيدة على أن لا يتعارض مع مقدماتهم، أما الآحاد فقبوله في الأعمال والأحكام بلا ضابط من الصحة والمتابعة، فكثرت البدع وقل المتبع.

فكان لزاماً بيان منهج أهل السنة والجماعة في تعظيم السنة والاستدلال بها في أمور العقيدة فضلاً عما سواها، وقد انبرى لهذا علماء السنة في كل عصر. بل إن هذا فرض كفائي متعين على طلاب العلم الشرعي لتبقى السنة مضيئة ماضية وعقيدة الأمة صافية، وبغير هذا تنطمس المعالم وتعلو المشاهد والمراسم. بل إن الأمة وقد فرطت في التزام هذا المنهج الحق أصبحت منالاً سائغاً للهجمات الفكرية الإلحادية والمطامع الاستعمارية الصليبية المتسلطة والمد الصليبي الحاقد، وإن الحماية بإذن الله من هذا وغيره يكون بالاعتصام بالعقيدة السلفية الصحيحة وما جاء فيها من التوحيد الخالص والولاء والبراء وبها تنجو الأمة وتسلم من كيد الأعداء والمتربصين.

منهج البحث:

أما منهج البحث فقد اعتمد طريق أهل السنة والجماعة في تلقي عقيدتهم من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأقوال الصحابة وإجماع سلف الأمة والرد على المخالفين على ضوء هذا المنهج بعرض مقالاتهم ونقدها وبيان تطبيق تلك المسائل في عقيدة أهل السنة والجماعة والعمل بها.

وحيث إن ما وجد من السنة على ضابط التواتر عند المتأخرين عن عصر السلف يكاد يكون عزيزاً جداً وخاصة في مسائل العقيدة، فقد ذكر السيوطي في كتابه قطف الأزهار المتناثرة في الأحاديث المتواترة بضعة عشر حديثاً في مسائل العقيدة.

وحيث إن السنة في غالب أحاديثها إنما هي أخبار آحاد كما ذكر ابن القيم عن شيخ الإسلام ابن تيمية قوله: «الأخبار قسمان متواتر وآحاد أما القسم الثاني من الأخبار فهو ما لا يرويه إلا الواحد العدل ونحوه ولم يتواتر لفظه ومعناه، ولكن تلقته الأمة بالقبول عملاً به وتصديقاً له. واعلم أن جمهور أحاديث البخاري ومسلم من هذا الباب، فإن ما تلقاه أهل الحديث وعلماؤه بالقبول والتصديق فهو محصل للعلم مفيد لليقين ولا عبرة بمن عداهم من المتكلمين والأصوليين والمقصود أن هذا القسم من الأخبار يوجب العلم عند العقلاء»[1].

لهذا فإن الاعتماد في الاستدلال في هذا البحث على صحيحي البخاري ومسلم والصحيح من غيرهما، وكذلك تصحيح الإسناد اعتماداً على كتب الجرح والتعديل أحياناً. وإن مسائل العقيدة اليوم بأشد الحاجة إلى الاعتماد على الصحيح في الاستدلال ونبذ المختلف في صحته ودلالته وقد احتوى البحث على أكثر من ستمائة حديث صحيح في مسائل العقيدة.

ثم سيتم عرض مذهب أهل السنة والجماعة في تلك المسائل الواردة في البحث بأدلتها من الكتاب والسنة ثم يجاب على المخالفين في هذا بإيراد أقوالهم وأدلتهم ثم الرد عليهم.

وسوف يسير البحث كغيره من البحوث على التوثيق من المصادر الأصلية والمراجع المعتمدة، وقد يتم الرجوع إلى أكثر من طبعة للكتاب الواحد وإثباتها في قائمة المصادر والمراجع.

وقد يستفاد في البحث من مصادر ومراجع أخرى لم يتمكن الباحث من الرجوع إليها أو الحصول عليها فيذكر المصدر أو المرجع ويثبت الكتاب الحاوي لها مع ذكره بالقول أنظر كتاب..

وكذلك لا يشار إلى الطبعة الأولى للكتاب وتذكر الطبعات الأخرى وسيكون الاعتماد في تخريج الصحيحين على كتابي فتح الباري شرح صحيح

---

(١) الصواعق المرسلة لابن القيم ص ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٤.

البخاري وصحيح مسلم بشرح النووي ويشار في الإحالة على فتح الباري وشرح النووي.

وقد سبق في تناول هذا الموضوع علماء ودارسون في هذا العصر وذلك في إثبات حجية خبر الآحاد؛ لكن هذا البحث سيتميز بإذن الله بدراسة تطبيقية على ضوء منهج أهل السنة والجماعة والرد على المخالفين، مع ذكر تلك المسائل الثابتة عندهم بخبر الآحاد ونتائج عدم الأخذ به وتأثير ذلك على الأمة.

هذا وقد قسم هذا الموضوع إلى مقدمة وتمهيد وأربعة أبواب وخاتمة.

أما المقدمة فقد تناولت أهمية الموضوع وأسباب اختياره ومنهج الدراسة والخطة.

وأما التمهيد فكان مشتملاً على طرق التيقن في الإسلام «العلم» وأهل السنة واعتصامهم بالكتاب والسنة، الشيعة والخوارج وموقفهما من النصوص، السنة والشيعة، والسنة والمعتزلة، السنة والأشاعرة، السنة والزيدية، السنة والقرآنيون، السنة وعلم الاستشراق، وتعريف بمصطلحات البحث، الخبر ـ المتواتر، الآحاد، والصحيح والسنة والظنّ.

أما الباب الأول وهو:

إفادة خبر الآحاد للعلم والرد على المخالفين وأهل الشبه والمنكرين له والمفرقين بين الأحكام العملية والمسائل العقدية في الاحتجاج به ويحتوي على خمسة فصول:

الفصل الأول: من يرى أن خبر الآحاد الصحيح يفيد العلم.

الفصل الثاني: من يرى أن خبر الآحاد الصحيح يفيد الظنّ ولا يفيد العلم مطلقاً والرد عليهم.

الفصل الثالث: من يرى أن خبر الآحاد يفيد العلم تارة ولا يفيده أخرى والرد عليهم.

الفصل الرابع: الشبهات التي يثيرها منكروا حجية خبر الآحاد وما يحتجون به والرد عليها.

الفصل الخامس: من فرق بين الأحكام العملية والمسائل العقدية في الاحتجاج بخبر الآحاد مع بيان شبههم والرد عليها.

أما الباب الثاني وهو:

استدلال السلف بأحاديث الآحاد في أبواب الاعتقاد وموقف المخالفين منها والرد عليهم ويحتوي على خمسة فصول:

الفصل الأول: استدلالهم بها في باب الإيمان بالله وموقف المخالفين منها والرد عليهم.

الفصل الثاني: استدلالهم بها في باب الأسماء والصفات وموقف المخالفين منها والرد عليهم.

الفصل الثالث: استدلالهم بها في باب القدر وموقف المخالفين منها والرد عليهم.

الفصل الرابع: استدلالهم بها في باب النبوات وموقف المخالفين منها والرد عليهم.

الفصل الخامس: استدلالهم بها في باب الإيمان باليوم الآخر وموقف المخالفين منها والرد عليهم.

أما الباب الثالث وهو:

مسائل العقيدة التي ثبتت عند أهل السنة والجماعة بخبر الآحاد فقط وأنكر حجيتها المخالفون والحكم عليها، ولم تثبت بدليل متواتر سواء من القرآن أو السنة وتحته خمسة فصول:

الفصل الأول: المسائل التي ثبتت عند أهل السنة والجماعة في باب الإيمان بالله تعالى وأنكر حجيتها المخالفون والحكم عليها.

الفصل الثاني: المسائل التي ثبتت عند أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات وأنكر حجيتها المخالفون والحكم عليها.

الفصل الثالث: المسائل التي ثبتت عند أهل السنة والجماعة في باب القدر وأنكر حجيتها المخالفون والحكم عليها.

الفصل الرابع: المسائل التي ثبتت عند أهل السنة والجماعة في باب النبوات وأنكر حجيتها المخالفون والحكم عليها.

الفصل الخامس: المسائل التي ثبتت عند أهل السنة والجماعة في باب اليوم الآخر وأنكر حجيتها المخالفون والحكم عليها.

أما الباب الرابع وهو:

الآثار الناجمة عن ترك الصحيح من أحاديث الآحاد وتحته خمسة فصول:

الفصل الأول: عدم تعظيم السنة وتجريدها من دلالتها.

الفصل الثاني: رد بعض المسائل العقدية الثابتة بخبر الآحاد.

الفصل الثالث: تعطيل بعض المسائل الشرعية العقدية.

الفصل الرابع: العدول عن تفسير القرآن بالحديث إلى التفسير بالرأي وتأثيره على مسائل العقيدة.

الفصل الخامس: ضعف الدوافع والبواعث على القيام بالأعمال الصالحة نتيجة لضعف اليقين بثوابها الثابت بخبر الآحاد.

أما الخاتمة فسوف يعرض فيها أهم نتائج البحث إجمالاً وقد تبين في الباب الرابع نتائج ترك الأخذ بخبر الآحاد في أمور العقيدة بالتفصيل.

ولا شك أن أي عمل بشري يتطرق إليه النقص من جراء ما يتعرض له الباحث من المشاق والمصاعب، لكن عون الله تعالى، ومعونة من لا تنسى لهم يد كان لها أكبر الأثر على الباحث برفع روحه المعنوية والتجاوز عن بعض

المتطلبات الإدارية. وأرى لزاماً علي أن أعترف بالفضل لأهله، وأن أشكر كل من مدّ إليَّ يد العون في هذا البحث. فأتقدم بالشكر الجزيل لسعادة مدير جامعة أم القرى والقائمين عليها لما يبذلونه من الجهد لخدمة العلم وطلابه.

وأخص عميد كلية الدعوة وأصول الدين الدكتور / عبد الله بن عمر الدميجي. ثم أتقدم بالشكر الجزيل لشيخي الأستاذ الدكتور / محمد حسان كسبه لتفضله بالإشراف على هذه الرسالة فحظيت بنصحه وإرشاده طوال إعدادها فاستفدت الكثير من علمه وتوجيهه فجزاه الله عني خير الجزاء.

وأتقدم بخالص الشكر لفضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور / سالم بن محمد القرني، والأستاذ الدكتور / محمد يسري اللذين تفضلا بمناقشة هذه الرسالة وتسديدها وجزاهما الله أحسن الجزاء.

فالله يُسأل للجميع التوفيق إنه على ذلك سميع مجيب وأن يديم مسيرة الركب في بلاد الحرمين وديار المسلمين عامة محصناً بسلامة المنهج وصحيح الاعتقاد في رب العباد.

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات ١٨٠ ـ ١٨٢].



التمهيد

وفيه:

ـ طرق التيقن في الإسلام «العلم».

ـ أهل السنة واعتصامهم بالكتاب والسنة.

ـ الشيعة والخوارج وموقفهما من النصوص.

ـ السنة والشيعة.

ـ السنة والزيدية.

ـ السنة والمعتزلة.

ـ السنة والأشاعرة.

ـ السنة وعلم الاستشراق.

ـ القرآنيون.

ـ تعريف بمصطلحات البحث.

الخبر ـ المتواتر ـ الآحاد ـ الصحيح ـ السنة ـ الظنّ.



التمهيد

بعث الله سبحانه وتعالى نبيه محمدﷺ بهذا الدين العظيم، الدين الخاتم ليضع الأمور في نصابها ويوجه الناس إلى توحيد الله والتصديق بأنبيائه ورسله والإيمان بهم والدعوة إلى ما دعوا إليه.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبيﷺ أنه قال: «ما بعث الله من نبي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم»[(١)]. فكان حقاً على الأمة أن تنهل من ميراث النبوة لتبقى عزيزة منيعة متبعة لهدي نبيهاﷺ المتمثل في كتاب الله وسنة وسيرة محمدﷺ المحفوظة بأسانيد صحيحة إلى أصحابه رضي الله عنهم الذين عاصروا التنزيل والوحي وكمال الرسالة.

قال أبو زرعه[(٢)] رحمه الله: إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول اللهﷺ فأعلم أنه زنديق، لأن الرسولﷺ عندنا حق والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول اللهﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة والجرح بهم أولى وهم زنادقة»[(٣)].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء بالبيعة، ج١٢، ص ٢٣٢.

(٢) أبو زرعة الرازي الإمام سيد الحفاظ عبيد الله بن عبد الكريم محدث الري ارتحل إلى الحجاز والشام وغيرها كان يحفظ مائتي ألف حديث قال الذهبي: «كان يعجبني كلام أبي زرعة في الجرح والتعديل يبين عليه الورع والمخبرة» توفي سنة ٢٦٤هـ، سير أعلام النبلاء للذهبي ج ١٣، ص ٦٥.

(٣) المنتقى من منهاج الاعتدال حققه محب الدين الخطيب ص ١٠.

وقال ابن المبارك[1] رحمه الله: «الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء»[2].

وقال ابن سيرين[3] رحمه الله «لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا سمّوا لنا رجالكم فينظر إلي أهل السنة فيؤخذ حديثهم وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم»[4] وقد حرص أصحاب رسول الله ﷺ على تلقي كتاب الله وسنة رسوله ﷺ مبلغين من جاء من بعدهم من القرون الفاضلة وحيث تولى الله حفظ كتابه فقد هيأ لأمر السنة رجالاً تحملوا الأمانة وعرفوا منزلة هذا العلم فبذلوا الجهد في التعلم والتعليم وتحملوا في تحصيله المشاق وسافروا في طلبه، وخصهم الله بكثرة الحفظ.

ثم جاء عصر تدوين الحديث في القرن الثاني فحرص علماء الحديث الذين وضعوا قواعد وضوابط الحديث الصحيح لئلا يختلط بغيره لكثرة المرويات، وابتكروا طرقاً تعتبر من خصائص هذه الأمة في رواية أثر نبيها ﷺ من الحديث النبوي الشريف والذي يعتبر المصدر الثاني للتشريع. فكانت تلك القواعد منهاجاً سار عليه علماء الحديث قديماً وحديثاً وكان ذلك متمثلاً في: ـ

---

(١) عبد الله بن المبارك بن واضح شيخ الإسلام أبو عبد الرحمن المروزي أخذ عن بقايا من التابعين ارتحل إلى الحرمين والشام وغيرها ثقة ثبت في الحديث جامعاً للعلم ومجاهد في سبيل الله تعالى، ومن قوله:

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا ... لعلمت أنك في العبادة تلعب

من كان يخضب جيده بدموعه ... فنحورنا بدمائنا تتخضب

لما بلغ الرشيد موته قال: مات اليوم سيد العلماء، توفي سنة ١٨١هـ، سير أعلام النبلاء ج٧، ص ٣٧٨.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، ج١، ص ٨٧.

(٣) محمد بن سيرين أبو بكر الأنصاري شيخ الإسلام مولى أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، أدرك ثلاثين صحابياً وكان حسن العلم بالفرائض والقضاء وكان فقيهاً عالماً ورعاً، قال: «إن هذا العلم دين فانظروا عن من تأخذون دينكم» توفي سنة ١١٠هـ، سير أعلام النبلاء ج ٤، ص٦٠٦.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ج١، ص ٨٤.

١ ـ البحث عن أحوال الرواة ومكانتهم وتحملهم وأحوالهم وسمي بالجرح والتعديل.

٢ ـ الالتزام بالإسناد وتسمية الرواة وبه يعرف مصدر الحديث والحكم على رجاله بالقبول أو الرد.

٣ ـ التثبت من الرواية والتمييز بين الحديث النبوي والمكذوب(١).

طرق التيقن في الإسلام «العلم»:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾(٢) ومن تمام الإعجاز في هذه الآية أنها جاءت مرتبة هكذا الخبر الصادق (السمع) ثم التجربة (البصر) ثم المحاكمة العقلية (الفؤاد) على أنها هي (العناصر) الثلاثة التي ينشأ عنها كل علم.

وبهذا يعلم أن هناك ثلاث طرق للعلم في الإسلام وهي:

١ ـ الخبر الصادق الذي يتيقن السامع من صدق مخبره؛ كأخبار الله في كتبه وأخبار الأنبياء.

٢ ـ التجربة والمشاهدة بعد التأكد من سلامة التجربة فيما يقع تحت التجربة والاختبار.

٣ ـ حكم العقل فيما ليس فيه خبر صحيح ولا تجربة مشاهدة(٣).

وإن ما يدور عليه البحث هنا هو الجزء الثاني من الطريق الأول وهو الخبر الصادق عن نبينا محمد ﷺ والذي نقله إلى الأمة من بعده أصحابه رضوان الله

---

(١) أخبار الآحاد في الحديث النبوي، فضيلة الشيخ عبد الله الجبرين، دار عالم الفوائد، مكة، انظر ص ٣٠ - ٣١.

(٢) سورة الإسراء آية ٣٦.

(٣) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي. د مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي ط ٤، ١٤٠٥هـ، ص ٣٥.

عليهم ثم التابعون ومن تبعهم حتى أُثبت في الصحاح من كتب الحديث والجوامع والسنن والمسانيد وغيرها كالمصنفات والمعاجم.

وقد اتفق العلماء الذين يعتد بهم قاطبة على حجية السنة و«إن ثبوت السنة المطهرة واستقلالها بتشريع الأحكام ضرورة دينية ولا يخالف في ذلك إلا من لا حظ له في دين الإسلام»[١].

وإذا كان القرآن الكريم هو المصدر التشريعي الأول في الإسلام، فإن السنة هي المصدر الثاني لأنها مبينة لأحكامه موضحة لإبهامه ومخصصة لإطلاقه وشارحة لأحكامه وأهدافه، بل ومنشئة لأحكام سكت عنها القرآن ودلت عليها سنة المصطفى ﷺ مؤيدة بالقرآن في قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[٢] وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٣] وقال ﷺ: «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه»[٤] ثم قال ﷺ: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنتي»[٥].

قال ابن القيم رحمه الله: «السنة مع القرآن على ثلاثة أوجه:

أحدهما: أن تكون موافقة له من كل وجه، فيكون توارد القرآن والسنة على الحكم الواحد من باب توارد الأدلة وتضافرها.

---

(١) إرشاد الفحول للشوكاني بتحقيق محمد سعيد البدري، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٢٤هـ، ص ٦٩.

(٢) سورة الحشر ٧.

(٣) سورة النحل ٤٤.

(٤) سنن أبي داود، دار الحديث، بيروت. ١٣٩٤هـ، ج٥، ص ١٠.
؛سنن ابن ماجة، المقدمة باب تعظيم حديث الرسول، ج١، ص ٩، ١٠.
؛مشكاة المصابيح تحقيق الألباني وقال: بسند صحيح، ج١، ص ٥٨.

(٥) الموطأ للإمام مالك دار النفائس بيروت الطبعة السادسة ١٤٠٢هـ ص ٦٤٨.
؛مشكاة المصابيح تحقيق الألباني وقال: وله شاهد من حديث ابن عباس بسند حسن، ج١، ص ٦٦.

ثانيها: أن تكون بياناً لما أريد بالقرآن، وتفسيراً له.

ثالثها: أن تكون موجبة لحكم سكت القرآن عن إيجابه، أو محرمة لما سكت عن تحريمه ولا تخرج عن هذه الأقسام فلا تعارض القرآن بوجه ما»[١].

«والذي يجب على كل مسلم اعتقاده أنه ليس في سنن رسول الله ﷺ الصحيحة سنة واحدة تخالف كتاب الله»[٢].

أهل السنة واعتصامهم بالكتاب والسنة:

لقد تبين أن الكتاب والسنة هما الأصل في الاستدلال، «وهما المعيار الذي توزن به الآراء والاجتهادات. ولا يستقيم إيمان المرء إلا بتعظيمهما، وامتثال ما دلا عليه من القول والفعل والاعتقاد»[٣]. «ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام. فمن رام علم ما حظر عنه علمه، ولم يقنع بالتسليم فهمه، حجبه مرامه عن خالص التوحيد، وصافي المعرفة، وصحيح الإيمان»[٤].

قال ابن تيمية رحمه الله: «وكان من أعظم ما أنعم الله به عليهم اعتصامهم بالكتاب والسنة، فكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان: أنه لا يقبل من أحد قط أن يعارض القرآن برأيه، ولا ذوقه ولا قياسه، ولا وجده، فإنهم ثبت عنهم بالبراهين القطعيات والآيات البينات أن الرسول جاء بالهدى ودين الحق، وأن القرآن يهدي للتي هي أقوم»[٥]. «فمن بنى الكلام في العلم ـ الأصول والفروع ـ على الكتاب والسنة والآثار المأثورة عن السابقين فقد

---

(١) أعلام الموقعين لابن القيم، راجعة طه عبد الرؤوف، دار الجيل، بيروت ١٣٨٣. ج ٢، ص ٣٠٧.

(٢) الطرق الحكمية لابن القيم، دار المدني تحقيق د. محمد جميل غازي، ص ٨٢.

(٣) منهج التلقي والاستدلال بين أهل السنة والمبتدعة، أحمد الصويان دار السليم للنشر، الرياض ١٤١٩هـ، ط١، ص ٣٩.

(٤) العقيدة الطحاوية، دار الصميعي للنشر ١٤١٩هـ، الرياض، ص ١٠.

(٥) مجموع الفتاوى لابن تيمية ج ١٣، ص٢٨،

أصاب طريق النبوة. وكذلك من بنى الإرادة والعبادة والعمل والسماع المتعلق بأصول الأعمال وفروعها من الأحوال القلبية والأعمال البدنية على الإيمان والسنة والهدى الذي كان عليه محمدﷺ فقد أصاب طريقة النبوة، وهذه طريقة أئمة الهدى»[1].

ومما جاء في عقيدة الفرقة الناجية قوله و«أصحاب الحديث، حفظ الله أحياءهم ورحم أمواتهم، يشهدون لله تعالى بالوحدانية، وللرسولﷺ بالرسالة النبوية، ويعرفون ربهم عز وجل بصفاته التي نطق بها وحده في تنزيله، أو شهد له بها رسولهﷺ على ما وردت الأخبار الصحاح به ونقلته العدول الثقات عنه، ويثبتون لله جل جلاله ما أثبت لنفسه في كتابه، وعلى لسان رسولهﷺ، ولا يعتقدون تشبيهاً لصفاته بصفات المخلوق، وقد أعاذ الله أهل السنة من التحريف والتكييف»[2].

وقد حرص أهل السنة على اتباع ما جاء به نبي الهدىﷺ فكان لهم النصر وعلو الذكر، ونشر راية الإسلام والفتح فيما جاور الجزيرة في كل قطر ومصر. «ومن المعلوم بالضرورة لمن تدبر الكتاب والسنة، وما اتفق عليه أهل السنة والجماعة من جميع الطوائف: أن خير قرون هذه الأمة ـ في الأعمال والأقوال، والاعتقاد وغيرها من كل فضيلة ـ : القرن الأول ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، كما ثبت ذلك عن النبيﷺ من غير وجه، وأنهم أفضل الخلق في كل فضيلة: من علم، وعمل، وإيمان، وعقل، ودين، وبيان، وعبادة وأنهم أولى بالبيان لكل مشكل، هذا لا يدفعه إلا من كابر المعلوم بالضرورة من دين الإسلام وأضله الله على علم»[3].

نعم تلك مكانة السنة عند من تلقوها عن رسول اللهﷺ ومن جاء بعدهم،

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ج ١٠، ص ٣٦٣.

(٢) عقيدة الفرقة الناجية، إعداد عبد الله حجاج، دار الجيل بيروت، ط ٢، ١٤٠٧هـ، ص ٢٩.

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية ج ٤، ص ١٥٧ - ١٥٨. وانظر فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ٧، ص ٣.

أولئك السلف الصالح والقدوة الحسنة في العصر الأول والقرون المفضلة، وما لبث أن جاء أهل البدعة من أصحاب الهوى والكلام فجرحوا السند وطعنوا في المتن.

الشيعة والخوارج وموقفهما من النصوص:

وهما الفرقتان اللتان سبقتا إلى الطعن في النصوص وتقديم الهوى والنزعة العقلية على الثابت من وحي الله تعالى، وكان ذلك بعد مقتل الخليفة عثمان ﵁ وفي زمن خلافة علي ﵁. وكانت احداهما وهم الخوارج أخف وطأً على النصوص من الأخرى وهم الشيعة الذين شككوا في كتاب الله وطعنوا في رواة حديث رسول الله ﷺ.

فرقة الخوارج:

وهم «أولئك النفر الذين خرجوا على علي بن أبي طالب ﵁ بعد قبوله التحكيم عقب معركة صفين إذ اعتبر هؤلاء التحكيم خطيئة تؤدي إلى الكفر، ومن ثم طلبوا من علي أن يتوب من هذا الذنب، وانتهى الأمر بأن خرجوا من معسكره»[1]. وهؤلاء لم «ينغمسوا في رذيلة الكذب على رسول الله ﷺ كما فعل أغمار الشيعة نظراً لصراحتهم وتقواهم وبعدهم عن الأخذ بمبدأ التقية الذي يؤمن به الشيعة، لكنهم خالفوا فردوا الأحاديث التي خرجت بعد الفتنة»[2]. «فالخوارج على اختلاف فرقهم يعدلون الصحابة جميعاً قبل الفتنة ثم يكفرون علياً وعثمان وأصحاب الجمل والحكمين ومن رضي بالتحكيم وصوّب الحكمين أو أحدهما[3]. وبذلك ردوا أحاديث جمهور الصحابة ﵃ بعد الفتنة، لرضاهم

---

(١) دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين. أحمد جلي، مركز الملك فيصل للبحوث، ١٤٠٦هـ، ص٣٥.

(٢) السنة في مواجهة الأباطيل، محمد طاهر حكيم. رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ١٤٠٢هـ / عدد ١٢ ص ٢٧.

(٣) الفرق بين الفرق للبغدادي، ص ٤٥.

بالتحكيم واتباعهم أئمة الجور على زعمهم. وقد أدى بهم الإعراض عن سنة رسول الله ﷺ إلى التخبط في شرع الله والإعراض عن منهج الله السوي حتى قالوا بتكفير مرتكب الكبيرة من المسلمين وقد علم بالضرورة من دين الإسلام أن الكبيرة تحت مشيئة الله يغفر لمن يشاء سبحانه. فلا يعد صاحبها كافراً ومنهم الأباضية وجماعات التكفير والهجرة في العصر الحاضر[1].

فرقة الشيعة:

وهم الذين «شايعوا علياً رضي الله عنه على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته، نصاً ووصية أما جلياً وإما خفياً واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده وأن خرجت فبظلم يكون من غيره أو تقية من عنده»[2] ولا شك أن هؤلاء الشيعة كانوا أعظم خطراً على الإسلام وخاصة أن غالبهم وحملة لوائهم ينطلقون من قومية فارسية تفخر بدينها وطقوسها قبل الإسلام بل وينظرون إلى العرب الذين حملوا الإسلام وفتحوا البلدان بأنهم أقل منهم شأناً وأنهم رعاة إبل وأغنام فمكنهم الإسلام من رقاب أولئك.

فما كان منهم إلا أن بثوا حقدهم وسمومهم في كتاب الله أولاً وزعموا أنه قد حرف وأسقطت منه بعض السور وكثير من الآيات التي نزلت في فضائل آل البيت.. وقد ردد هذه الافتراءات في القرآن العديد من علماء الشيعة وعلى رأسهم

---

(١) الأباضية: فرقة من الخوارج تنتسب إلى عبد الله بن أباض، تابعي عاصر معاوية رضي الله عنه، يقولون بقول الخوارج في تكفير مرتكب الكبيرة وعدم رؤية الله في الآخرة، استقر بهم المقام في عمان ولهم هناك دولة وجولة، وانتهت دولتهم في المغرب قديماً ٢٩٦هـ. انظر فرق معاصرة، د. غالب عواجي، ص ٢٤٥ - ٢٥٥. أما جماعات التكفير أو التكفير والهجرة في العصر الحديث فهم الذين يكفرون الحكّام والمحكومين ووصفوا مجتمعاتهم بالكفر وتوصلوا إلى وجوب اعتزالها ومفارقة الجمعة والجماعة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد انتشر بين فئة من الشاب في شتى الأقطار الإسلامية، لأسباب ذكرها المؤلف. انظر التكفير وجذوره، د. نعيم السامرائي، دار المنار، جدة الطبعة الثانية ١٤١٢هـ، ص ١٧٨ وغيرها.

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ج١، ص ١٤٦.

حجتهم المشهور أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني الهالك في سنة ٣٢٩هـ صاحب كتاب الكافي الذي يعتبر في حجيته لدى الشيعة في مرتبة البخاري عند أهل السنة .. ويورد عالم شيعي آخر .. فيقول: المستفاد من الروايات عن طريق آل البيت أن القرآن الذي بين أظهرنا ليس بتمامه كما أنزل على محمد بل منه ما هو خلاف ما أنزل الله ومنه ما هو مغير محرف، وأنه قد حذف منه أشياء كثيرة منها اسم علي»[١] وقد جمع حسين بن محمد تقي النوري الطبرسي، أحد مشاهير علمائهم، أقوال الشيعة ومزاعمهم حول القرآن في كتابه المشهور «فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب»[٢]. جمع فيه مئات النصوص عن علماء الشيعة في مختلف العصور بأن القرآن زيد فيه ونقص منه. وقد حاول بعض علمائهم قديماً وحديثاً التنصل من تلك المزاعم والرد عليها غير أن حقيقة أقوالهم وأفعالهم جميعاً تثبت المخالفة وتدين أصحابها كما أن كتاب فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب للطبرسي الهالك في أوائل القرن الرابع عشر الهجري «يبين للناس أن الشيعة قاطبة من اليوم الذي وجدوا لم يعتقدوا في القرآن الموجود بأيدي الناس، بل ظنوه مبدلاً ومحرفاً، زيد فيه ونقص منه، غير فيه وحرف منه، ولم يقل أحد من القوم خلاف هذا إلا مماشاة ومداراة أو تقية وخداعاً»[٣].

إن التاريخ الإسلامي لم يشهد افتراءاً وزوراً وتطاولاً على كتاب الله المنزل مثل ما وقع من الشيعة وتلامذتهم الإسماعيلية الباطنية الذي جعلوا للقرآن ظاهراً وباطناً. بل إن تفاسير القرآن عند الشيعة أكبر شاهد على عدوانهم وظلمهم بحق أصحاب رسول الله ﷺ وتحريفهم لمعاني القرآن واختراع أسباب نزول لم يقل بها أحد غيرهم.

وأخيراً فإن تاريخ الشيعة سيبقى مداناً بهجومهم السافر على كتاب الله ما بقي التاريخ وبقيت نحلتهم الضالة. «ومن قول الإمامية كلها قديماً وحديثا أن

(١) دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين د. أحمد جلي، انظر ص ١٦٤ - ١٦٨.
(٢) الخطوط العريضة لمحب الدين الخطيب. تقديم محمد نصيف، جده ١٣٨٠هـ. ص ١٠.
(٣) الشيعة والقرآن، إحسان إلهي ظهير. ترجمان السنة لاهور، باكستان، ط٧، ١٤١٥هـ، ص ١١١، وانظر البحث ص ٣٣.

القرآن مبدل فيه زيد فيه ما ليس منه ونقص منه كثير وبدل منه كثير .. قال أبو محمد القول بأن بين اللوحين تبديلاً كفر صريح وتكذيب لرسول الله ﷺ»[1] ويوم كانت أسبانيا تحت سلطان الإسلام كان الإمام أبو محمد بن حزم يتناظر مع قساوستها في نصوص كتبهم، ويقيم لهم الحجج على تحريفها بل ضياع أصولها، فكان أولئك القسس يحتجون عليه بأن الشيعة قرروا أن القرآن أيضاً محرف، فأجابهم ابن حزم بأن دعوى الشيعة ليست حجة على القرآن ولا على المسلمين، لأن الشيعة غير مسلمين»[2].

بل إنه ليس بغريب اعتقاد هؤلاء الشيعة بتحريف القرآن والقول بذلك الجرم الشنيع من أجل أن يؤصلوا مسائلهم الفاسدة في العقيدة، وبدون القول بالتحريف سينكشف أمرهم وتهوي حجتهم، فعقيدتهم قائمة على أصول فاسدة مخالفة للقرآن والسنة وإجماع سلف الأمة، فهم يعتقدون أن «الإمامة داخلة في المعتقدات الأساسية يكفر منكرها ويسلم معتقدها .. وجعلوها كالصلاة والزكاة والصوم والحج فهذا محدّثهم الكليني يروي في كتابه الكافي قوله «بني الإسلام على خمس الشهادتان، الصلاة، الزكاة، والصوم، والحج والولاية ولم يناد بشيء ما نودي بالولاية يوم الغدير بل إن أصولهم الخمسة قد شابهت أصول المعتزلة وقالوا بالتوحيد والنبوة والإمامة والعدل والميعاد وتتضمن إنكار رؤية الله، وهم يعتقدون التحريف في القرآن لغرض آخر وهو إنكار فضل أصحاب رسول الله ﷺ حيث يشهد القرآن على مقامهم السامي وشأنهم العالي.. الذي مدحهم الله تبارك وتعالى في كلامه المجيد فكان عليهم أن لا يقبلوا ذلك الكلام المبين لشيء آخر وهو كونه محفوظاً بمجهودات الصحابة ـ رضوان الله عليهم .. وحيث أنه ما دام ثبت في القرآن التحريف والتغيير فكيف يمكن العمل به والتقيد بأحكامه»[3].

وكما هو معلوم كذب هؤلاء في دين الله وعلى رسول الله ﷺ بالضرورة لكل

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم الظاهري، ج٤، ص ١٣٩.

(٢) الخطوط العريضة لمحب الدين الخطيب، ص ١٨، ١٩.

(٣) الشيعة والسنة إحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة ط ٦، سنة ١٤١٥هـ، انظر ص ٨٣، ٨٤، ٨٩، ٩٤، ٩٩ وانظر الخميني والوجه الآخر في ضوء الكتاب والسنة ص ١٤- ٣٠.

مسلم آمن بالله ورسوله الذي اكتملت الرسالة في حياته فلا يزيغ عنها إلا ضال مبتدع، غير أن أولئك الشيعة استمرأوا الكذب حتى جعلوه أصلاً من أصولهم الفاسدة المنحرفة «فالشيعة عامة جعلوا الكذب شعاراً لهم وأصبغوا عليه صبغة دينية باسم التقية حيث قالوا لا إيمان لمن لا تقية له.ونسبوا هذه الرواية إلي محمد الباقر زوراً وبهتاناً»(١).

إن هؤلاء الشيعة يكذبون على الله وعلى الخلق ولا غرابة في هذا فمن كان دينه يقوم على «اعتقاد الإمامة وعصمة الأئمة ورجعتهم بعد الغيبة واستخدام التقية في الدعوة لهم والقول بمهديتهم، فقد أدى بهم السعي لتأكيد هذه المعتقدات إلى الطعن في القرآن الكريم والشك في السنة المطهرة وتجريح الصحابة رضوان الله عليهم»(٢). وعلى هذا فلن تكون السنة بأحسن حال مع هؤلاء من كتاب الله تعالى.

السنة والشيعة:

طعن الشيعة في جمع القرآن في زمن الخلفاء الراشدين، بزعم أنه حذف منه سور وآيات، ثم طعنوا في أصحاب رسول الله ﷺ رضي الله عنهم الذين عاشروا الرسول ﷺ وتلقوا عنه القرآن مشافهةً وفهماً وتفسيراً فهم أعلم بالقرآن وتفسيره وسبب نزول آياته تلقياً عن المصطفى ﷺ. ولم يكتف الشيعة بهذه الطعون بل جعلوا للقرآن ظاهراً وباطناً يفسره علماؤهم وأئمتهم. وبهذا يعلم أن القرآن عند الشيعة أصبح مطوعاً لفهمهم وتأويلهم وتأصيل عقيدتهم الفاسدة فلا خطر من القرآن على تلك النحلة الباطلة والبدعة الضالة.

أما السنة فإنها وأمرها لعظيم على أولئك لأنها تطبيقاً عملياً لحياة المصطفى ﷺ وجهاده وتعليمه وسيرته وقد رواها أصحابه ووثقت في صحاح

---

(١) الشيعة والتشيع، إحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة، سنة ١٤٠٤هـ، ص ٧٩.
(٢) دراسة عن الفرق وتاريخ المسلمين. د. أحمد جلي، ص ١٢٢.

ومسانيد وسنن ومصنفات ومعاجم، وليس هناك أمر إلا وعليه دليل من القرآن مبيناً بالسنة، ولذا كان للشيعة مع السنة موقفاً موحداً وهو ردها والطعن في رواتها «وطائفة الغلاة منهم ذهبوا إلى إنكار الاحتجاج بالسنة، والاقتصار على القرآن. وهم في ذلك مختلفوا المقاصد. منهم من كان يعتقد أن النبوة لعلي وأن جبريل عليه السلام أخطأ في نزوله على سيد المرسلين ﷺ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيرا. ومنهم من أقر للنبي ﷺ بالنبوة ولكن قال: إن الخلافة كانت حقاً لعلي فلما عدل بها الصحابة عنه إلى أبي بكر رضي الله عنه جميعاً قال هؤلاء المخذولون لعنهم الله: كفروا حيث جاروا وعدلوا بالحق عن مستحقه وكفّروا ـ لعنهم الله ـ علياً رضي الله عنه ـ أيضاً لعدم طلبه حقه. فبنوا على ذلك ردّ الأحاديث كلها لأنها عندهم بزعمهم من رواية قوم كفار ـ قال السيوطي رحمه الله ـ فإنا لله وإنا إليه راجعون. وهذه أراء ما كنت استحل حكايتها لولا ما دعت إليه الضرورة من بيان أصل هذا المذهب الفاسد الذي كان الناس في راحة منه من أعصار»[1].

وحيث إنها نحلة قائمة على الكذب «فليست أهلاً للثقة والاعتماد مع أنهم أكذب الطوائف كلها. قال الشافعي رحمه الله: ما رأيت أشهد بالزور من الرافضة»[2].

«ونتيجة لهذا لم يهتم الشيعة بصحة الإسناد وتقويم الرجال كما أهتم علماء الحديث من أهل السنة. وفي الوقت الذي رفض الشيعة صحيحي البخاري ومسلم وكتب السنة المعتمدة الموثقة، اعتمدوا في أحاديثهم على ما نقله الكليني. الذي سبق أن أوردنا أقواله في القرآن، واعتبروه حجة ويعتبر كتاب الكافي من أقدم كتب الشيعة في الحديث وأوثقها عندهم علماً بأن جلّ ما في الكافي كما يقول الشيخ أبو زهرة أخبار تنتهي إلى الأئمة .. وأكثر ما يروى في الكافي واقف عند الصادق، ولا يصح أن نقول أنه يذكر سنداً متصلاً بالنبي ﷺ ..»[3].

---

(١) مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة للإمام السيوطي، حققه عبد الرحمن فاخوري، دار السلام سنة ١٣٩٩هـ، ص ١٤٨.

(٢) السنة في مواجهة الأباطيل، محمد طاهر حكيم، رابطة العالم الإسلامي، ١٤٠٢هـ عدد ١٢، ص٢٨.

(٣) دراسة عن الفرق، أحمد جلي. ص ١٧٨. وانظر تاريخ المذاهب الإسلامية للشيخ محمد أبو زهرة، دار نهر النيل، ص ٦٩٧

«والمعروف أن الحديث عند الشيعة ما نقل عن أحد أئمتهم المعصومين حسب زعمهم الاثني عشر ومن رسول الله ﷺ أيضاً، فكل ما نقل عن هؤلاء فهو حديث عندهم وهو حجة لأنه منقول عن معصوم وحجة، وما نقل عن الحجة حجة على اليقين، ثم لا ينظر عندهم في هذا الحديث ما منزلته وشأنه ما دام وجد في الأصول ونقل منها، والأصول عند القوم الكتب التي ألفها وجمعها أصحاب الأئمة، فما دام أصحاب الأئمة نقلوا هذه الروايات من الأئمة فإنها لا تحتاج إلى النظر والبحث والتحقيق والتفتيش، ولا عن السند لأنها من صاحب الإمام ولا عن المتن لأنه من الإمام، وعقول الناس قاصرة عن إدراك ما يقوله الإمام»(١).

قال شيخ الإسلام: «والقوم من أكذب الناس في النقليات. وأجهل الناس في العقليات. ولهذا كانوا عند العلماء أجهل الطوائف، وقد دخل منهم على الدين من الفساد مالا يحصيه إلا رب العباد ... نحن ننقد رجالنا من أهل السنة والحديث نقداً لا مزيد عليه، ولنا مصنفات كثيرة جداً في تعديلهم وضعفهم وصدقهم وغلطهم وكذبهم ووهمهم لا نحابيهم أصلاً - مع صلاحهم وعبادتهم - ونسقط الاحتجاج بالرجل منهم لكثرة غلطه وسوء حفظه ولو كان من أولياء الله. وأنتم حد الثقة عندكم أن يكون إمامياً، سواء غلط أو حفظ أو كذب أو صدق. فغاية رجالكم أن يكونوا مثل رجالنا فيهم وفيهم، فإذا كان من المعلوم بالاضطرار أن أهل السنة فيهم كذابون وأنتم أكذب منهم بكل حال، حرم علينا العمل بالأحاديث حتى ننظر في أسانيدها .. وغالب ما في أيديكم صحف وأخبار على ألسنتكم مكذوبة أو لم تعلم صحتها كدأب أهل الكتابين سواء. وكذب الرافضة مما يضرب به المثل»(٢).

وقد عمد هؤلاء الرافضة في هذا العصر إلى ترقيع مذهبهم وشحذ تقيتهم فقالوا بولاية الفقيه وجوازها حتى يخرج الإمام المنتظر وجواز إقامة الجمعة

---

(١) الشيعة والتشيع. إحسان إلهي ظهير، ص ٧٩.

(٢) المنتقى من منهاج الاعتدال، لابن تيمية مختصر الحافظ الذهبي بتحقيق محب الدين الخطيب ١٣٧٤هـ، المكتبة السلفية. ص ١٩، ٤٨٠.

والجماعة والجهاد[1] بل قالوا إن القرآن كاملاً، لكن أصولهم ومراجعهم وأقوال أئمتهم تثبت عكس ما قالوا، ولا غرابة فإن التقية ركن من أركان معتقدهم وكفى بذلك ضلالاً.

السنة والزيدية:

وأما الزيدية فإنهم كأصحابهم الشيعة في عدائهم لأهل السنة ومروياتهم من الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ، فقال أحد علمائهم: «ولهم - أي لأهل السنة - كتابان يسمونهما بالصحيحين [صحيح البخاري وصحيح مسلم] ولعمري أنهما عن الصحة خلّيان، ثم قال شعراً:

إذا شئت أن تختار لنفسك مذهباً ينجيك يوم الحشر من لهب النار
فدع عنك قول الشافعي ومالك وحنبل والمروي عن كعب أحبار
وخذ من ناس قولهم ورواتهـ ـم روى جدهم عن جبريل عن الباري

وقال آخر: إن كل ما في الأمهات الست لا يحتج به وأنه كذب»[2] قال أحمد أمين في كتابه فجر الإسلام: «والحق أن التشيع كان ملجأ يأوي كل من أراد هدم الإسلام لعداوة أو حقد، ومن كان يريد إدخال تعاليم آبائه من يهودية ونصرانية وزرادشتيه[3] وهندية، ومن كان يريد استقلال بلاده والخروج على مملكته، كل هؤلاء كانوا يتخذون حب أهل البيت ستاراً يضعون وراءه كل ما شاءت أهواؤهم ..

---

(١) قال شيخنا: وفي الأصل أن إقامة الجمعة وإعلان الجهاد مرتبطان بوجود الإمام، وبما أن إمامهم الثاني عشر مختف فهما لا يقامان حتى يخرج من استتاره.

(٢) الزيدية نشأتها ومعتقداتها، القاضي إسماعيل بن علي الأكوع، دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ، ص ٣٣.

(٣) نسبة إلى زرادشت، كان أول من ملك الأرض، نزل أرض الهند، كان يدعو إلى عبادة الله وقال أن النور والظلمة أساس وجود العالم، وهم ممن لهم شبهة كتاب كالمجوس، انظر الملل والنحل للشهرستاني ج١، ص ٢٣٦.

واعلم أن السبب في خروج أكثر الطوائف عن ديانة الإسلام، أن الفرس كانوا يسمون أنفسهم الأحرار والأسياد، وكانوا يعدون سائر الناس عبيداً لهم، فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم إلى أيدي العرب، وكان العرب عند الفرس أقل الأمم خطراً، تضاعفت لديهم المصيبة، وراموا كيد الإسلام بالمحاربة، فرأوا أن كيده على الحيلة أنجع، فأظهر قوم منهم الإسلام واستمالوا أهل التشيع بإظهار محبة أهل البيت واستبشاع ظلم علي، ثم سلكوا بهم مسالك شتى أخرجوهم عن طريق الهدى .. والذي أرى ـ كما يدلنا التاريخ ـ أن التشيع لعلي بدأ قبل دخول الفرس في الإسلام، ولكن بمعنى ساذج، وهو أن علياً أولى من غيره من وجهتين، كفايته الشخصية، وقرابته للنبي، والعرب من قديم تفخر بالرياسة وبيت الرياسة .. ولكن هذا التشيع أخذ صبغة جديدة بدخول العناصر الأخرى في الإسلام من يهودية ونصرانية ومجوسية، وأن كل قوم من هؤلاء كانوا يصبغون التشيع بصبغة دينهم، فاليهودية تصبغ الشيعة يهودية، والنصارى نصرانية، وهكذا، وإذا كان أكبر عنصر دخل في الإسلام هو عنصر الفارسي كان أكبر الأثر في التشيع إنما هو الفرس .. وقد اعتاد الفرس أن ينظروا إلى الملك نظرة فيها معنى إلهي، فنظروا هذا النظر نفسه إلى علي وذريته وقالوا: إن طاعة الإمام أول واجب وإن إطاعته طاعة لله»[1]. «فالإمام عندهم فوق النصوص الحرفية وكان يعلم الغيب فمن اتبعه وأطاعه سقطت عنه التكاليف وخلا من المسؤولية»[2].

السنة والمعتزلة:

والمعتزلة هم أصحاب واصل بن عطاء[3] الغزّال الذي اعتزل حلقة الحسن

---

(١) فجر الإسلام، أحمد أمين، ص ٢٧٦ - ٢٧٨ نقلاً عن الشيعة والتشيع، إحسان إلهي ظهير، ص ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١.

(٢) الخوارج والشيعة، لولهوزن، ص ١٧٥، نقلا عن الشيعة والتشيع، إحسان إلهي ظهير، ص ٣٩٩.

(٣) واصل بن عطاء أبو حذيفة المخزومي طرده الحسن من مجلسه واعتزل حلقه الحسن وأصحابه فسموا بالمعتزلة له مؤلف في التوحيد وكتاب المنزلة بين المنزلتين مات سنة ١٣١هـ، سير أعلام النبلاء ج ٥. ص ٤٦٤.

البصري[1] حين اشتد الجدل حول مصير مرتكب الكبيرة .. قال واصل أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقاً ولا كافر مطلقاً، بل هو في منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر، الأمر الذي أغضب الحسن البصري فطرده»[2] وانضم إليه أصحابه الذين التزموا أصولاً خمسة وجعلوا منها عنواناً لكل من يبغي الانتساب إلى مذهبهم، وهذه المبادئ هي: التوحيد والعدل والمنزلة بين المنزلتين وإثبات الوعد والوعيد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[3].

قال شيخ المعتزلة القاضي عبد الجبار[4]: فأما جملة ما كلف المرء به فيلزمه أن يعرف التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[5]

وقد عدد البغدادي فرق المعتزلة ثم قال: «يجمعها كلها في بدعتها أمور: منها نفيها كلها صفات الله عز وجل الأزلية .. قولهم باستحالة رؤية الله عز وجل بالأبصار .. اتفاقهم على القول بحدوث القرآن .. قولهم جميعاً إن الله غير خالق لأكساب العباد .. اتفاقهم على دعواهم في الفاسق من أمة الإسلام بالمنزلة بين المنزلتين ..»[6].

---

(١) الحسن البصري أبو سعيد بن أبي الحسن مولى زيد بن ثابت. سيد أهل زمانه علماً وعملاً. سكن المدينة واعتق وتزوج بها في خلافة عمر. حضر الجمعة مع عثمان وسمعه يخطب. شهد يوم الدار وله يومئذ أربع عشرة سنة. عرف بالتدليس. توفي سنة ١١٠هـ. سير أعلام النبلاء ج٤، ص ٥٦٣.

(٢) موقف المعتزلة من السنة النبوية. أبو لبابة حسين، دار اللواء ط ٢ سنة ١٤٠٧هـ / الرياض ص١٠، ١١.

(٣) موقف المعتزلة من السنة النبوية. أبو لبابة حسين، دار اللواء ط ٢ سنة ١٤٠٧هـ، الرياض ص ٤١.

(٤) القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني العلامة المتكلم شيخ المعتزلة له كثير من التصانيف منها شرح الأصول الخمسة، المغني في أبواب التوحيد والعدل. تخرج عليه خلق في الرأي الممقوت، توفي سنة ٤٥١هـ، سير أعلام النبلاء ج ١٧ ص ٢٤٤،

(٥) موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية، الأمين الصادق، مكتبة الرشد، الرياض ١٤٨هـ، ج١، ص ٩٩.

(٦) الفرق بين الفرق للبغدادي، ص ١١٤، ١١٥.

ولا شك إن هذه الأصول وغيرها كانت نتيجة اجتهادهم العقلي المتأثر بالفلسفة الوافدة حينذاك مما جعلهم «يتفقون على أن أصول المعرفة بالله واجبة وضرورية قبل ورود السمع، وورود التكاليف ألطاف للباري أرسلها للعباد بتوسط الأنبياء امتحاناً واختباراً»[1].

إن هذا التقديس لمكانة العقل عند المعتزلة وحصر التشريع في الأعمال ومعرفة الأصول بطريقة العقل قد أدى بهم إلى «إهمال قدسية النص الصحيح قرآناً وسنة خلية عن الهدى، وأقاموا العقل حكماً لا ترد كلمته»[2].

ولقد غلط هؤلاء العقلانيون بزعمهم لأن العقل الصريح لا يتعارض مع النص الصحيح فإن الذي أمر العباد بعبادته وحده هو الذي أنزل وحيه كتاباً وسنة وأرسل رسله فالواجب تصديق الوحي واتباع الرسول وهذا هو ما يناسب العقل الصريح. ثم إن العقول متباينة الفهم والبيان فإلى من توكل أمور العباد؟! وهذا لا يرتضيه العقلاء فكيف بحكمة خالق السماء ومنزل الوحي ومرسل الأنبياء؟!.

قال الإمام الشاطبي رحمه الله: «هناك أمران مما يقتضيهما العاقل: أحدهما أن لا يجعل العقل حاكماً بإطلاق وقد ثبت عليه حاكم بإطلاق وهو الشرع .. والثاني: أنه إذا وجد في الشرع أخبار تقتضي ظاهراً آخر من العادة الجارية المعتادة، فلا ينبغي أن يقدم بين يديه الإنكار بإطلاق»[3].

والمعتزلة كغيرها من الفرق المبتدعة التي أعرضت عن النص المنزل من الله والوحي المنزل على رسوله ﷺ، ذلك أن تلك الأصول الخمسة التي اعتمدوها عقيدة لهم تتعارض مع النص «ولهذا تجد المعتزلة والمرجئة والرافضة وغيرهم من أهل البدع يفسرون القرآن برأيهم ومعقولهم وما تأولوه من اللغة؛ ولهذا تجدهم لا يعتمدون على أحاديث النبي ﷺ والصحابة والتابعين وأئمة المسلمين؛ فلا يعتمدون لا على السنة، ولا على إجماع السلف وآثارهم؛ وإنما يعتمدون على

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني، ج١، ص ٤٥.
(٢) موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية، الأمين الصادق، ج١، ص ٧٥.
(٣) الاعتصام للشاطبي، تحقيق سليم الهلالي، دار ابن عفان، الخبر، ١٤١٢هـ، ص ٨٤٠.

العقل واللغة، وتجدهم لا يعتمدون على كتب التفسير والمأثور والحديث .. وهذه طريقة الملاحدة أيضاً؛ إنما يأخذون ما في كتب الفلسفة وكتب الأدب واللغة، وأما كتب القرآن والحديث والآثار فلا يلتفتون إليها، هؤلاء يعرضون عن نصوص الأنبياء إذ هي عندهم لا تفيد العلم»[(١)].

«لقد آمن المعتزلة بأصولهم الخمسة، وما يتفرع عنها من المبادئ والمفاهيم وجعلوا منها قاعدة يخضعون لها كل النصوص سواء كانت قرآنية أو حديثية: فما يعارض مبادئهم من الآيات يؤولونه، وما يعارضها من الأحاديث يردونه وينكرونه، ولذلك كان موقفهم من الحديث موقف المتشكك في صحته وأحيانا موقف المنكر له لأنهم يحكمون العقل في الحديث لا الحديث في العقل»[(٢)].

وقد أدى بهم هذا الإعراض عن الحديث إلى نفي صفات البارئ وإلى قولهم بخلق القرآن ونفي رؤية الله تعالي لعباده المؤمنين في جنته ونفي القدر .. وإنكارهم لشفاعة[(٣)] الرسول ﷺ ومعجزاته وتخليدهم صاحب الكبيرة في النار وإنكارهم عذاب القبر»[(٤)] وغير ذلك مما هو ثابت في عقيدتهم بل ولازم تلك الأصول الخمسة المقدسة عندهم.

السنة والأشاعرة:

والأشاعرة طائفة من أهل الكلام ينتسبون إلى أبي الحسن الأشعري[(٥)]

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مكتبة ابن تيمية القاهرة،ج٧، ص ١١٩.

(٢) ضحى الإسلام، لأحمد أمين، النهضة المصرية، الطبعة السابعة ١٣٨٢هـ، ج٣، ص ٨٥.

(٣) قال ابن أبي العز في شرحه للطحاوية: والنوع الرابع: شفاعته ﷺ في رفع درجات من يدخل الجنة.. وقد وافقت المعتزلة هذه الشفاعة خاصة وخالفوا فيما عداها من المقامات مع تواتر الأحاديث فيها» ص ٢٣٢.

(٤) موقف المعتزلة من السنة النبوية أبو لبابة حسين، دار اللواء، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ الرياض. ص ٤٩، وما بعدها.

(٥) أبو الحسن الأشعري: علي بن إسماعيل - من ذرية صاحب رسول الله ﷺ أبي موسى الأشعري - كان معتزلياً وألف كتباً فيه ثم تاب وصعد منبر البصرة متبرئاً ثم اعتقد على

الإمام المتكلم المعروف وهذا اللقب ينصرف عند الإطلاق إلى أولئك الذين اتبعوه في فترة انتسابه إلى ابن كلاب[1]. أما قبل فهو معتزلي بل إمام في الاعتزال .. رجع في آخر أيامه إلى مذهب السلف. فالمنتسبون إلى الأشعري الآن هم أصحاب الطور الثاني»[2] الذين كانوا يقارعون المعتزلة المتكلمين بالحجج الكلامية والمنطقية، «وعلى الجملة فينبغي أن يعلم أن هذا العلم الذي هو علم الكلام غير ضروري لهذا العهد على طالب العلم إذ الملحدة المبتدعة قد انقرضوا والأئمة من أهل السنة كفونا شأنهم فيما اكتسبوا ودونوا والأدلة العقلية إنما احتاجوا إليها حين دافعوا ونصروا وأما الآن فلم يبق منها إلا كلام تنزه البارئ عن كثير إبهاماته وإطلاقه»[3]،

وحيث إن الأشاعرة يقدمون المعقول على النص لاعتقادهم أن متواتر النص ظني الدلالة فلا يحتجون به ما لم يوافق العقل، وأما أخبار الآحاد فلا يستدلون بها في المسائل العلمية «فالقرآن أدلته مختلفة .. ثم إنه خاص بمعرفة الأحكام الشرعية. وأما السنة المتواترة فإنها خاصة بمعرفة الصلوات المفروضة .. وأما أخبار الآحاد فإنها توجب العمل دون العلم بشروط»[4].

وقال بعضهم «ويشترط للاحتجاج بصحيح المنقول أن يكون قطعياً موافقاً للحجج العقلية، فمتى توفر هذان الشرطان جاز الاحتجاج به وتكون حجيته تابعة لحجية معقولاتهم التي وصفوها بأنها قطعيات»[5].

طريقة ابن كلاب ثم ألف الإبانة على مذهب أهل السنة والجماعة ت ٣٢٤هـ. سير أعلام النبلاء، ج ١٥، ص ٨٥.

(١) ابن كلاب: رأس المتكلمين عبد الله بن سعيد بن كلاب صاحب التصانيف في الرد على المعتزلة اعتقد أن القرآن قائم بالذات بلا قدر ولا مشيئة ت ٢٤٠هـ سير أعلام النبلاء، ج١١، ص ٧٤.

(٢) الصفات الإلهية في الكتاب والسنة لمحمد الجامي الطبعة الثانية، دار الفنون للطباعة، جده ١٤١١هـ، ص ١٣٩.

(٣) مقدمة ابن خلدون، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٨هـ، ص ٤٦٧.

(٤) أصول الدين للبغدادي، استانبول تركيا ١٣٤٦هـ مدرسة الإلهيات، ص ٢٠٢.

(٥) الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، لأبي المعالي الجويني، تحقيق أسعد تميم - مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤٠٥هـ، ص ٣٠١ - ٣٠٢.

بل وزاد بعضهم شروطاً أوصلها إلى عشرة ثم قال: «وعدم هذه الأشياء مظنون لا معلوم والموقوف على المظنون مظنون، وإذا ثبت هذا ظهر أن الدلائل النقلية ظنية؛ وأن العقلية قطعية والظن لا يعارض القطع»[1].

وقال الباقلاني: «فإن قال قائل: فما معنى وصفكم للخبر بأنه خبر واحد؟ قيل له: أما حقيقة هذه الإضافة في اللغة فإنه خبر واحد وأن الراوي له واحد فقط لا اثنان ولا أكثر من ذلك؛ غير أن الفقهاء والمتكلمين قد تواطئوا على تسمية كل خبر قصر عن إيجاب العلم بأنه خبر واحد؛ وسواء عندهم رواه الواحد أو الجماعة التي تزيد عن الواحد.

وهذا الخبر لا يوجب العلم على ما وصفناه أولاً؛ ولكن يوجب العمل إن كان ناقله عدلاً ولم يعارضه ما هو أقوى منه على حد ما نذهب إليه مما ليس هذا موضع ذكره»[2].

وإذا كان متقدموا علماء الأشاعرة قد سلطوا الظن على المتواتر فلا يفيد يقيناً وكذا خبر الآحاد لا يفيد علماً، ثم إن الأدلة العقلية قطعية وأن الظن لا يعارض القطع؛ فإن هذا وغيره قد مهد الطريق لمتأخريهم المعاصرين بالإفصاح والبيان في قولهم «خبر الواحد لا يقبل في شيء من أبواب الدين المأخوذ على المكلفين العلم بها والقطع بها. والعلة في ذلك أنه إذا لم يعلم أن الخبر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أبعد من العلم بمضمونه»[3].

ثم قالوا «وهكذا نجد نصوص العلماء من متكلمين وأصوليين مجتمعة على أن خبر الآحاد لا يفيد اليقين فلا تثبت به العقيدة، ونجد المحققين من العلماء يصفون ذلك بأنه ضروري لا يصح أن ينازع أحد فيه، ويحملون قول من قال أن خبر الواحد يفيد العلم على أن مراده العلم بمعنى الظن كما ورد، أو العلم بمعنى

---

(١) معالم أصول الدين، لفخر الدين الرازي. راجعه طه عبد الرؤوف • مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة، ص ٢٤.

(٢) التمهيد في الرد على الملحدة المعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة، أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني، حققه محمود الخضيري ومحمد أبو ريده، دار الفكر العربي، ١٣٦٦هـ، ص ١٦٤.

(٣) الاستدلال بالظني في العقيدة، فتحي سليم، دار البيارق، بيروت ط الثانية ١٤١٤هـ، ص ١٢٨.

وجوب العمل»[1]. «وأول ما يجب التنبه له في هذا المقام أن الظنية تلحق بالسنة من جهتي الورود والدلالة: فقد يكون في اتصال الحديث برسول الله ﷺ شبهة فيكون ظني الورود، وقد يلابس دلالته احتمال فيكون ظني الدلالة وقد يجتمع فيه الأمران»[2].

وهنا يصف حالهم ابن القيم رحمه الله مع سنة رسول الله ﷺ فيقول: «قالوا الأخبار قسمان، متواتر وآحاد؛ فالمتواتر وإن كان قطعي السند لكنه غير قطعي الدلالة، فإن الدلالة اللفظية لا تفيد اليقين، وبهذا قدحوا في دلالة القرآن على الصفات، والآحاد لا تفيد العلم، فسدوا على القلوب معرفة الرب تعالي وأسمائه وصفاته وأفعاله من جهة الرسول ﷺ، وأحالوا الناس على قضايا وهمية ومقدمات خيالية سمّوها قواطع عقلية وبراهين نقليه وهي في التحقيق ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾[3][4].

ويقول ابن تيمية رحمه الله: «الحديث الصحيح ما تلقاه المسلمون بالقبول فعملوا به .. فهذا يفيد العلم، ويجزم بأنه صدق، لأن الأمة تلقته بالقبول تصديقاً وعملاً بموجبه والأمة لا تجتمع على ضلالة»[5].

وقد أفرد علماء السنة مصنفات للرد على مقولات علماء الاشاعرة في رد النصوص وتأويلها أو معارضتها بالمعقول أو وصفها بالمجاز ومنهم ابن القيم رحمه الله في كتابه الصواعق المرسلة ثم ذكر «الطواغيت الأربع التي هدم بها أصحاب

---

(١) الإسلام عقيدة وشريعة، محمود شلتوت، دار الشروق، القاهرة ط ١٧ سنة ١٤١٧هـ، ص ٦٠.

(٢) نفس المصدر ص ٥٨.

(٣) سورة النور ٣٩.

(٤) مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم، دار الندوة الجديدة، بيروت، ص ٤٥٤.

(٥) فتاوى شيخ الإسلام، ج١٨، ص ١٦؛ وانظر سنن الترمذي ج ٤ ص ٤٦٦ وقال: حديث غريب؛ وانظر المستدرك للحاكم ج١، ص ٢٠٠ وقال الحاكم: وقد أجمع أهل السنة على هذه القاعدة من قواعد الإسلام وللحديث شواهد.

التأويل الباطل معاقل الدين، وانتهكوا بها حرمة القرآن، ومسحوا بها رسوم الإيمان وهي: قولهم إن كلام الله وكلام رسوله أدلة لفظية لا تفيد علماً ولا يحصل منها يقين.

وقولهم: إن آيات الصفات وأحاديث الصفات مجازات لا حقيقة لها.

وقولهم: إن أخبار رسول الله ﷺ الصحيحة التي رواها العدول وتلقتها الأمة بالقبول، لا تفيد العلم، وغايتها أن تفيد الظن.

وقولهم: إذا تعارض العقل ونصوص الوحي، أخذنا بالعقل ولم نلتفت للوحي - ثم يقول رحمه الله - فهذه الطواغيت الأربع، هي التي فعلت بالإسلام ما فعلت، وهي التي محت رسومه، وأزالت معالمه، وهدمت قواعده، واسقطت حرمة النصوص من القلوب، ومهدت طريق الطعن فيه لكل زنديق وملحد، فلا يحتج عليه المحتج بحجة من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ إلا لجأ إلى طاغوت من هذه الطواغيت واعتصم به»[1].

أما الماتريدية وهم «طائفة من طوائف أهل الكلام وهم أتباع أبي منصور الماتريدي السمرقندي ت سن ٣٣٣هـ.

ويتفق الماتريدية مع الأشاعرة في معظم الأصول الاعتقادية والخلاف بينهم في ذلك قليل ومحصور»[2].

أما الصوفية: المنتسبون إلى لبس الصوف وكان في بداية الأمر عبارة عن الزهد والإنصراف عن الدنيا، ثم أصبح التصوف حركات ومظاهر يفرح بها إبليس حتى «صدهم عن العلم، وأراهم أن المقصود العمل، فلما أطفأ مصباح العلم عندهم؛ تخبطوا في الظلمات .. ثم جاء أقوام فتكلموا لهم في الجوع والفقر والوساوس .. ثم ما زال الأمر ينمو والأشياخ يضعون لهم أوضاعاً ويتفق بعدهم

---

(١) الصواعق المرسلة لابن القيم، تحقيق د. على الدخيل الله، دار العاصمة للنشر، الرياض، ط٢ سنة ١٤١٢هـ، ج٢، ص ٦٣٢.

(٢) منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل، جابر إدريس، أضواء السلف، ١٤١٩هـ، ج١، ص ٤٩.

عن العلماء، لا بل رؤيتهم ما هم فيه أوفى العلوم، حتى سموه العلم الباطن، وجعلوا علم الشريعة العلم الظاهر. فمن هؤلاء من قال بالحلول[1] ومنهم من قال بالاتحاد[2][3].

وبهذا يظهر أن الصوفية مجانبة لنصوص الرسالة وعمدتهم حدثني قلبي عن ربي ..؟! واعتمادهم على أحاديث ضعيفة أو موضوعة كما في الإحياء للغزالي وقوت القلوب للمكي.

كما أنه لا عبرة للخلاف مع الفرق الأخرى لبعدهم عن الأخذ بالسنة.

السنة و علم الاستشراق:

تقدم بيان خوض أهل البدع من فرق الأمة الإسلامية في مصدر التشريع الثاني في الإسلام لغرور العقل ومصادمة النقل أو لمسايرة بدع ابتدعوها وجهالات اعتنقوها ثم ما لبث أن ابتلي المسلمون بتحالف اليهود والنصارى فكانت الحروب الصليبية وما تبعها من عداء سافر للإسلام ومصادر التشريع. وقد عجز الغرب الكافر أمام كتاب الله المطهر فأتجه علماؤهم بتوجيه من حكوماتهم ورؤساء الكنيسة فيهم لدراسة السنة بغرض التشكيك وإخضاع النصوص لأفكارهم ومعتقداتهم وتحريف النصوص والإساءة للإسلام فكان الاستشراق: «هو ذلك التيار الفكري الذي تمثل في الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي والتي شملت حضارته وأديانه ولغاته وثقافته، ولقد أسهم هذا التيار في صياغة التصورات الغربية عن العالم الإسلامي، معبراً عن الخلفية الفكرية للصراع الحضاري بينهما»[4].

---

(١) الحلول: هو حلول الخالق - سبحانه - بالمخلوق!! عياذاً بالله. انظر هامش ٣.

(٢) الاتحاد: هو اتحاد الخالق - عز وجل - بالمخلوق! وحاشاه. انظر هامش ٣.

(٣) تلبيس إبليس لابن الجوزي تحقيق علي حسن عبد الحميد، دار ابن الجوزي ١٤١٠هـ، ص ٢١١.

(٤) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة. الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ، ص ٣٣.

وقد صاحب هذا النهج أمران خطيران لا تزال الأمة الإسلامية تعيش آثار أحدهما وهو الاستعمار الغازي الذي ابتليت الأمة الإسلامية به إلا ما شاء الله. وقد خرج ذلك الاستعمار البغيض مخلفاً آثاراً جمة على البلاد والعباد.

أما الأمر الآخر والأكثر خطورة ولا يزال جاثماً فهو ما اتفق عليه أولئك الغزاة من خلق جسم غريب داخل الأمة الإسلامية مدعوماً بكل قوة وجبروت الغرب ومصانعه وعدده وعتاده ذلك هو الكيان الصهيوني واحتلال المسجد الأقصى وأرض فلسطين.

نعم إن دراسة أولئك المستشرقين لتاريخ الإسلام وعلومه وحضارته كانت مفتاحاً لتلك الهجمات الغازية إلي يومنا هذا. ولا زال علماء الاستشراق يتصدرون منابر جامعات ومعاهد الغرب للتشكيك وإثارة الشبهات وقليل جداً المنصفون منهم.

وقد صنفت معاجم للسنة لخدمة الاستشراق في المقام الأول غير أن الله هيأها للدارسين من طلاب الإسلام وعلمائه الذين دافعوا عن دينهم وبينوا أغلاط أولئك وخبث نواياهم «وتهافت شبهاتهم حول مفهوم السنة وتدوينها، وجهالاتهم حول السند والمتن ومفترياتهم حول الأفعال النبوية شاهد عليهم بأنهم قد فرغوا كل ما في حوزتهم من طعون وأنهم قد انتقلوا من طور الشبهات، إلى طور الجهالات، إلى طور المفتريات»[1] وصدق الله العظيم ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾[2].

وإذا كان أولئك القوم قد سُبر غورهم وُرد عليهم، فإن نابتتهم من أبناء الإسلام لا يزالون يؤدون دورهم كما رسم لهم في الطعن في التشريع الإسلامي الذي يعتمد السنة مصدراً ثانياً له، «ولقد مكن الاستشراق الغرب من اتخاذ صنائع وعملاء في البلاد الإسلامية، بواسطة الجامعات والمدارس التي افتتحتها دول

---

(١) المستشرقون والسنة. د سعد المرصفي، مؤسسة الريان، بيروت ١٤١٥هـ / ص ٦١.

(٢) سورة الصف آية ٨ ـ ٩.

الغرب في الشرق وأشرف على توجيهها مستشرقون ومبشرون، ولم يكفهم ذلك حتى افتتحوا أقساماً للدراسات الإسلامية والشرقية في جامعاتهم في الغرب وخصوا بالمغريات انتساب الشرقيين في جامعاتهم في الغرب، وراحوا يمنحون الشهادات العالية»[1]. «وسقطت معظم الجامعات المنشأة في بلاد المسلمين تحت الأيدي الخفية للاستشراق والتبشير والدوائر الاستعمارية وغدت خططها ومناهجها تخضع بطريق غير مباشر لما تفرضه وتملية الأيدي الخفية. وغدت الكنيسة الغربية تفخر بأن العلوم الإسلامية والعلوم العربية تدرس على طريقتها التي تخدم أغراضها في بلاد المسلمين، وبأن المشرفين على تدريس هذه العلوم من تلامذة أبنائها، وأي انتكاس أقبح من هذا الانتكاس، أن يتعلم المسلمون دينهم ولغاتهم وفق طرائق أعدائهم وأعداء دينهم، ووفق دسائسهم وتشويهاتهم وتحويراتهم وأكاذيبهم وافتراءاتهم. هل يقبل اليهود والنصارى أن يتعلموا أصول دياناتهم وفروعها على أيدي علماء المسلمين، وأن يأخذوا منهم الشهادات لذلك؟!

فما بال المسلمين يسقطون في هذا الانتكاس المشين؟ إن الاستعمار المادي أهون من هذا اللون من ألوان الاستعمار الذي وصل إلى القاعدة الكبرى التي تقوم عليها الأمة الإسلامية وهي قاعدة دينها وعلومها .. المتصلة بهذا الدين»[2].

«ومما يؤسف له غاية الأسف أن بعض الذين يثقون بكل ما يرد عن الغربيين من آراء ومذاهب قد تلقوا هذه الشبهات والطعون ونسبها بعضهم إلى نفسه زوراً فكان كلابس ثوبي زور والبعض الآخر لم ينتحلها لنفسه ولكنه ارتضاها وجعل من نفسه بوقاً لترددها .. وبعض هؤلاء المتلقفين كانوا أشد من المستشرقين والمبشرين هوى وعصبية وعداء ظاهر للسنة وأهلها وزاد عليهم الإسفاف في العبارة وأتى في تناوله للصحابة رضوان الله عليهم .. بألفاظ نابية عارية من كل

---

(١) وحي الله حقائقه وخصائصه في الكتاب والسنة نقض مزاعم المستشرقين. د. حسن ضياء الدين عتر. دار المكتبي، دمشق ١٤١٩هـ، ص٤٢.

(٢) أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها (التبشير - الاستشراق - الاستعمار) الدكتور/ عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق ١٤٠٥هـ، ص ٨٨.

أدب ومروءة، وذلك كما صنع محمود أبو رية في كتابه «أضواء على السنة المحمدية»[1] وليس هناك من ضوء ولكنه ظلام وتبعية الغرب حتى وإن دخلوا جحر الضب الذي ارتوى منه أبو رية وشرب وعلى نهجه سار كثير ممن تتلمذ ودرس في الغرب أو الشرق ولم يحتكم إلى كتاب الله وسنة المصطفى ﷺ وهذه الطامة الكبرى أن يبتلى الإسلام من داخله وبيد من يدعي الإسلام من أهله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

القرآنيون

وهم الذي يقولون: الإسلام هو القرآن وحده. واستدلوا بأمور منها:

«١ ـ قول الله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَيْءٍ﴾[2].

٢ ـ قول لله تعالي: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[3]

٣ ـ لو كانت السنة حجة لأمر النبي ﷺ بكتابتها.

٤ ـ قد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يدل على عدم حجية السنة من ذلك أن الحديث سيفشو عني . . .»[4].

وقد أجاب على هذه الدعوى شيخان جليلان بما يغني وينهي القول وذلك أن أهل العلم مجمعون على أن السنة الصحيحة لا تخالف كتاب الله، قال ابن حزم «ليس في الحديث الذي صح شيء يخالف القرآن. والحديث ثلاثة أقسام: فحديث موافق لما في القرآن فالأخذ به فرض، وحديث زائد على ما في القرآن

---

(١) دفاع عن السنة ورد شبة المستشرقين للدكتور/ الشيخ محمد بن محمد أبو شهبة، دار الجيل بيروت ١٤١١هـ، ص ٨.

(٢) سورة الأنعام ٣٨.

(٣) سورة الحجر آية ٩.

(٤) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، المكتب الإسلامي. د. مصطفى السباعي، ط. الرابعة ١٤٠٥هـ، ص ١٥٣ -١٥٤ وانظر: دفاع عن السنة القسم الثالث د. عبد الغني عبد الخالق، دار الجيل، بيروت ١٤١١هـ، ص ٣٨٧ وما بعدها.

فهو مضاف إلى ما في القرآن والأخذ به فرض، وحديث ضعيف أو موضوع مخالف لما في القرآن فهو مطّرح .. ولا سبيل إلى وجود خبر صحيح مخالف لما في القرآن أصلاً، وكل خبر شريعة فهو مضاف إلى ما في القرآن أو معطوف عليه أو مفسر لجملته، مستثني منه مبين لجملته، ولا سبيل إلى وجه ثالث»[١].

«وقصارى القول أن إنكار السنة وحجيتها والإدعاء بأن الإسلام هو القرآن وحده لا يقول به مسلم يعرف دين الله وأحكام شريعته تمام المعرفة وهو يصادم الواقع، فإن أحكام الشريعة إنما ثبت أكثرها بالسنة، وما في القرآن من أحكام إنما هي مجملة وقواعد كلية في الغالب، وإلا فأين نجد في القرآن أن الصلوات خمس، وأين نجد ركعات الصلاة، ومقادير الزكاة، وتفاصيل شعائر الحج وسائر أحكام المعاملات والعبادات»[٢].

«فلابد من الرجوع إلى الحديث ضرورة، ولو أن امرءاً قال: لا نأخذ إلا ما وجدنا في القرآن لكان كافراً بإجماع الأمة، ولكان لا يلزمه إلا ركعة ما بين دلوك الشمس إلى غسق الليل، وأخرى عند الفجر، لأن ذلك هو أقل ما يقع عليه اسم الصلاة. ولا حد للأكثر في ذلك، وقائل هذا كافر مشرك حلال الدم والمال»[٣].

تعريف مصطلحات البحث

الخبر:

الخبر «النبأ والجمع أخبار فأما قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾﴾؛ فمعناه يوم تزلزل تخبر بما عمل عليها. وخبرت الأمر أخبره إذا عرفته على حقيقته وقوله تعالى: ﴿فَسْئَلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ أي أسأل عنه خبيراً يخبر والخبر واحد الأخبار»[٤].

---

(١) الإحكام في مسائل الأحكام لابن حزم ج٢، ص ٨٠ -٨١.

(٢) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي. ص ١٦٥.

(٣) الإحكام لابن حزم، ج٢، ص ٧٩ - ٨٠.

(٤) لسان العرب لابن الفضل ابن منظور، دار صادر، بيروت، ص ٤، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨.

وأما في «الاصطلاح ففيه ثلاثة أقوال وهي:

أولاً: هو مرادف للحديث أي معناهما واحد.

ثانياً: مغاير له فالحديث ما جاء عن النبي ﷺ والخبر ما جاء عن غيره.

ثالثًا: أعمّ منه أي أن الحديث ما جاء عن النبي ﷺ والخبر ما جاء عنه أو عن غيره»[1].

قال شيخ الإسلام: «الخبر إما أن يعلم صدقه أو كذبه أو لا وله ثلاثة أقسام:

أولاً: ما علم صدقه، وهو في غالب الأمر بانضمام القرائن إليه؛ أما رواية من لا يقتضى العقل تعمدهم وتواطؤهم على الكذب، أو احتفاف قرائن به، وهو على ضربين أحدهما: ضروري ليس للنفس في حصوله كسب ومنه ما تلقته الأمة بالقبول وأجمعوا على العمل به، أو استندوا إليه في العمل لأنه لو كان باطلاً لم يعملوا به.

الثاني: ما يعلم كذبه أو بتكذيب العقل الصريح أو الكتاب أو السنة أو الاجماع أو غير ذلك عند أقسام تلك التأويلات وهو كثير أو بقرائن، والقرائن في البابين لا تحصل محققة إلا لذي دراية بهذا الشأن.

الثالث: المحتمل، وينقسم إلى مستفيض وغيره وله درجات فالخبر الذي رواه الصديق والفاروق لا يساوي ما رواه غيرهما من أصاغر الصحابة وقليل الصحبة»[2]. وحيث إن «الخطأ يقع من الراوي أما عمداً أو سهواً؛ ولهذا اشترط في الراوي العدالة لنأمن من تعمد الكذب، والحفظ والتيقظ لنأمن من السهو»[3].

ومن هنا كانت جهود «المحدثين والأصوليين بعد أن تتبعوا تلك الأخبار

---

(١) تيسير مصطلح الحديث، د. محمود الطحان، مكتبة المعارف الرياض، الطبعة الثامنة ١٤٠٧هـ، ص ١٥ - ١٦.

(٢) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية جمع عبد الرحمن بن قاسم ج ١٨، ص ٤٤ - ٤٥.

(٣) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية جمع عبد الرحمن بن قاسم ج ١٨، ص٤٥.

ألفوا منها البعض نقله العدد الكثير، ممن تحيل العادة اتفاقهم على الكذب، عن مثلهم إلى أخر السند والبعض الآخر ليس كذلك فاصطلحوا على تسمية الأول بالمتواتر والثاني بالآحاد. ومن المتحقق أن هذا التقسيم لم يكن معروفاً بين الصحابة والتابعين وإنما يعتبرون صحة المنقول وبطلانه غالباً باعتبار حال الناقل له من ثقته وأمانته أو ضد ذلك»[1].

المتواتر:

والتواتر هو «التتابع، والخبر المتواتر أن يحدثه واحد عن واحد، وجاءوا تترى وتتراً أي متواترين، والوتيرة الطريقة وهي من التواتر أي التتابع وما زال على وتيرة واحدة أي على صفة واحدة»[2]. ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾[3].

وفي الاصطلاح: «فالمتواتر هو الحديث الصحيح الذي يرويه جمع يحيل العقل والعادة تواطؤهم على الكذب، عن جمع مثله في أول السند ووسطه وآخره وكان مستند انتهائهم الحس»[4]، ومن هنا نقف على شروط المتواتر من التعريف:

١ ـ كثرة العدد لكونهم جمعاً يستحيل عادة وعقلاً تواطؤهم واتفاقهم على الكذب.

٢ ـ استمرار رواية تلك الكثرة عن مثلهم من الابتداء إلى الانتهاء وذلك في جميع طبقات السند.

٣ ـ أن يكون مستند خبرهم الحس كقولهم سمعنا أو رأينا أو لمسنا أو شاهدنا أما أن كان مستند خبرهم العقل كالقول بحدوث العالم مثلاً فلا يسمى الخبر حينئذ متواتراً.

---

(١) أخبار الآحاد في الحديث النبوي، فضيلة الشيخ عبد الله الجبرين، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة ١٤١٦هـ، ص٣٩.

(٢) لسان العرب لابن منظور دار صادر، بيروت، ج٥، ص ٢٧٥ - ٢٧٦.

(٣) سورة المؤمنون ٤٤.

(٤) شرح نخبة الفكر لابن حجر، مطبعة مصطفى الحلبي مصر، ١٣٥٣هـ، ص ٣.

٤ ـ أن يكون عن علم ويقين.

وبهذا يكون حكمه أنه «يفيد العلم الضروري، أي اليقيني الذي يضطر الإنسان إلى التصديق به تصديقاً جازماً كمن يشاهد الأمر بنفسه. كيف لا يتردد في تصديقه، فكذلك الخبر المتواتر. لذلك كان المتواتر كله مقبولاً، ولا حاجة إلى البحث عن أحوال رواته»[(١)].

وقد احترز في التعريف بأن يكون مصدر الخبر هو الحس «فإن الخلق الكثير لو أخبرونا عن حدوث العالم أو قدمه لم يحصل العلم بذلك، حيث أنهم لم يستندون في ذلك إلى مشاهدته أو الإحساس به، ولذلك لم يحصل لنا العلم بما تقوله الفلاسفة مع كثرتهم من قدم العالم، حيث أن مستندهم في ذلك النظر والاستدلال، أو الشبه والتوهمات.

وهم كذلك لم يقطع لهم العلم بما يخبرهم به المسلمون مع كثرتهم من حدوث العالم، وإذاً فلابد أن يكون المنقول بالتواتر عند انتهائه مما يدرك بالحواس الخمس كالمشاهدة والسماع واللمس، ونحوها. وهكذا لابد أن يخبروا عن علم ويقين فإنه لا يلزم من ذلك تصديق النصارى في أن اليهود قتلوا المسيح وصلبوه، لأن مرجع النصارى إلى خبر اليهود الذين دخلوا عليه البيت، وهم عدد قليل لا يبعد تواطؤهم على الكذب، ولأنهم لم يكونوا على علم بمن قتلوه، ولذلك كذبهم الله بقوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾[(٢)]. ولأن المسيح عليه السلام يجري على يديه من الآيات وخوارق العادات التي هي من معجزاته ما لا يستبعد معه قلب الحقائق»[(٣)].

تحديد عدد الرواة في المتواتر:

من شروط المتواتر أن ينقله عدد كثير وقد اختلفت الأقوال واضطربت حول

---

(١) تيسير مصطلح الحديث للطحان، ص ٢٠.

(٢) سورة النساء ١٥٧.

(٣) أخبار الآحاد للشيخ عبد الله الجبرين، ص ٤١ - ٤٢.

تحديد العدد الذي يشترط في كل طبقة ليحصل التواتر، والأرجح عدم اعتبار عدد بعينه «فالصواب الذي عليه الجمهور: أن المتواتر ليس له عدد محصور، بل إذا حصل العلم عن إخبار المخبرين كان الخبر متواتراً، وكذلك الذي عليه الجمهور أن العلم يختلف باختلاف حال المخبرين به .. والصحيح ما عليه الأكثرون: أن العلم يحصل بكثرة المخبرين تارة، وقد يحصل بصفاتهم لدينهم وضبطهم، وقد يحصل بقرائن تحتف بالخبر وقد يحصل العلم بمجموع ذلك، وقد يحصل العلم بطائفة دون طائفة.

وأيضاً فالخبر الذي تلقاه الأئمة بالقبول تصديقاً له أو عملاً بموجبه يفيد العلم عند جماهير الخلف والسلف»[١].

أقسام المتواتر:

ينقسم الخبر المتواتر إلى قسمين هما لفظي ومعنوي:

فالمتواتر اللفظي هو ما تواتر لفظه ومعناه كحديث «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» قال ابن الصلاح رواه اثنان وستون من الصحابة وقال غيره: رواه أكثر من مائة نفس.

والمتواتر المعنوي: وهو ما تواتر معناه دون لفظه مثل أحاديث رفع اليدين في الدعاء فقد ورد عنه ﷺ نحو مائة حديث، كل حديث منها فيه أنه رفع يديه في الدعاء لكنها في قضايا مختلفة فكل قضية منها لم تتواتر والقدر المشترك بينها - وهو الرفع عند الدعاء - تواتر باعتبار مجموع الطرق»[٢].

قال الشيخ أحمد شاكر: «ومن المتواتر المعنوي عندي المتواتر العملي. وهو ما علم من الدين بالضرورة. وتواتر عند المسلمين أن النبي ﷺ فعله، أو أمر

---

(١) فتاوى شيخ الإسلام ج ١٨، انظر: ص ٤٠، ٤٨.

(٢) تدريب الراوي في شرح تقريب النووي لجلال الدين السيوطي حققه عبد الوهاب عبداللطيف، مكتبة الرياض الحديثة، ج٢، ص ١٧٧ - ١٨٠. وحديث «من كذب علي» أخرجه البخاري في فتح الباري ج١ ص ٢٠٠، ومسلم في شرح النووي ج١٧ ص٢٢٩ واللفظ له.

به أو غير ذلك، وهو الذي ينطبق عليه تعريف الإجماع انطباقاً صحيحاً. مثل مواقيت الصلوات، وأعداد ركعاتها، وصلاة الجنازة، والعيدين، وحجاب النساء عن غير ذي محرم لهن، ومقادير زكاة المال إلى مالا يعد ولا يحصى من شرائع الإسلام»(١).

وقال ابن حجر: «ومن أحسن ما يقرر به كون المتواتر موجوداً وجود كثرة في الأحاديث، إن الكتب المشهورة المتداولة بأيدي أهل العلم شرقاً وغرباً، المقطوع عندهم بصحة نسبتها إلى مصنفيها، إذا اجتمعت إلى إخراج حديث، وتعددت طرقه تعدداً تحيل العادة تواطئهم على الكذب إلى آخر الشروط، أفاد العلم اليقيني بصحته إلى قائله»(٢).

ومن أشهر من ألف في المتواتر جلال الدين السيوطي المتوفى٩١١ هـ في كتابه الفوائد المتكاثرة في الأخبار المتواترة واختصره في «الأزهار المتناثرة».

الآحاد:

الآحاد لغةً جمع أحد، والفرق بين الواحد والأحد أن الأحد شيء بني لنفي ما يذكر معه من العدد والواحد اسم لمفتتح العدد. ورجلاً متوحداً، أي منفرداً لا يخالط الناس ولا يجالسهم، وهو نسيج وحده وهو الرجل المصيب الرأي أو أنه لا ثاني له. والتوحيد الإيمان بالله وحده لا شريك له. والله الواحد الأحد ذوا الوحدانية والتوحد فلا يوصف به إلا الله سبحانه وتعالى، وخبر الواحد هو ما يرويه شخص واحد»(٣).

اصطلاحا: «هو ما لم يجمع شروط التواتر»(٤) وأطلق عليه آحاداً لأن «أفراد

---

(١) شرح الفية السيوطي للشيخ أحمد شاكر، ص ٤٧.

(٢) شرح نخبة الفكر لابن حجر، تحقيق محمد غياث الصباغ، مناهل الفرقان، بيروت ط٢. ١٤١٠هـ ص ١٣.

(٣) لسان العرب لابن منظور ج ٣، ص ٤٨٨.

(٤) نزهة النظر في شرح نخبة الفكر لابن حجر، ص ١٣.

رواته قليلون غالباً فهو من باب حذف المضاف، أي أخبار الآحاد، فحذف المضاف لكثرة الاستعمال»[1].

وعرفه الآمدي من المتكلمين فقال: «خبر الآحاد ما كان من الأخبار غير منتهٍ إلى حد التواتر»[2].

وقال إمام الحرمين في الكافية، «وأما خبر الواحد فكل خبر لم يدخل في حد الكثرة، دخل فيه الواحد والأثنان إلى خمسة وستة»[3].

وقال في الإرشاد: «وكل خبر لم يبلغ مبلغ التواتر فلا يفيد علماً بنفسه إلا أن يوافق دليلاً عقلياً أو تؤيده معجزة .. فإن فقد ما ذكرناه، ولم يكن الخبر متواتراً، فهو المسمى خبر الواحد في اصطلاح المتكلمين وإن نقله جمع»[4].

وقال الباقلاني: «غير أن الفقهاء والمتكلمين قد تواضعوا على تسمية كل خبر قصر عن إيجاب العلم بأنه خبر واحد وسواء عندهم رواه الواحد أو الجماعة التي تزيد على الواحد، وهذا الخبر لا يوجب العلم على ما وصفناه أولاً ولكن يوجب العمل»[5].

ثم عاد صاحب البرهان فقال: «أطلق الفقهاء القول بأن خبر الواحد لا يوجب العلم ويوجب العمل وهذا تساهل منهم والمقطوع به لا يوجب العلم ولا العمل، فإنه لو ثبت وجوب العمل مقطوعاً به لثبت العلم بوجوب العمل .. ذلك أن العمل بخبر الواحد غير مستفاد من خبر الواحد نفسه، وإنما لدليل آخر قطعي

---

(١) أخبار الآحاد في الحديث النبوي، للشيخ عبد الله الجبرين، ص ٤٩.

(٢) الإحكام في أصول الأحكام، مؤسسة الحلبي، القاهرة دار الاتحاد للطباعة، ١٣٨٧هـ.

(٣) الكافية في الجدل، للجويني إمام الحرمين، تحقيق د. فوقية حسين، مطبعة عيسى الحلبي ١٣٩٩هـ، ص ٥٦٠.

(٤) الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، للجويني إمام الحرمين حققه. محمد يوسف، د. علي عبد الحميد، مكتبة الخانجي، مصر ١٣٩٩هـ، ص ٤١٦ - ٤١٧.

(٥) التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة والخوارج لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني، دار الفكر العربي - تحقيق محمود الخضيري، محمد أبو ريدة ص ١٦٤.

وهو إجماع الصحابة على العمل بخبر الآحاد وتواتر النقل عنهم بذلك .. وذهب طوائف من الروافض إلى أن خبر الآحاد لا يناط به وجوب العمل، وهؤلاء ينكرون الإجماع وقد مال إلى ذلك المعتزلة»[1].

أقسام الآحاد:

قسم المحدثون الآحاد إلى ثلاثة أقسام: -

القسم الأول: الغريب بمعنى المنفرد أو البعيد عن أقاربه.

واصطلاحاً: ما انفرد بروايته رجل واحد، وأول من اشتهر باستعماله الترمذي في جامعه وفيه يقول «غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وقد تكون الغرابة في أصل السند من جهة الصحابي فيسمى فرداً.

القسم الثاني: العزيز لعزته أي قوته بمجيئه من طريق أخرى، أو لقلة وجوده:

واصطلاحاً: أن لا يقل رواته عن اثنين في جميع طبقات السند.

القسم الثالث: المشهور من شهرت الأمر إذا أعلنته وأظهرته.

واصطلاحاً: ما رواه ثلاثة فأكثر ما لم يبلغ التواتر[2].

إن هذا التقسيم لخبر الآحاد وسابقه المتواتر لم يكن معروفاً بين أصحاب رسول الله ﷺ ولا التابعين الذين لم يكونوا يشترطون في الرواة إلا العدالة والثقة والتثبت غالباً، فيقبلوه ولو كان فرداً»[3].

---

(١) البرهان في أصول الفقه للجويني إمام الحرمين، تحقيق د. عبد العظيم الديب، دار الأنصار، القاهرة ج١، ص ٥٩٩ - ٦٠٠ وانظر منهج إمام الحرمين في دراسة العقيدة عرض ونقد الدكتور / أحمد عبداللطيف مركز الملك فيصل، الرياض ١٤١٤هـ، ص ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧.

(٢) تدريب الراوي للسيوطي. انظر ص ١٧٣ - ١٨١.

(٣) أخبار الآحاد في الحديث النبوي، للجبرين، ص ٤٢.

«ولا خلاف بين المحدثين في أن كلاً من المتواتر اللفظي والمعنوي يوجب العلم القطعي اليقيني، وإنما هم يختلفون في الحديث الصحيح الآحادي هل يفيد الظن أم القطع، .. وأكثر أهل الحديث يقطعون منه بما أخرجه الشيخان، البخاري ومسلم، وبعضهم يرجحون أن الآحادي صحيح، سواء أخرجه الشيخان أم سواهما، يفيد العلم القطعي اليقيني كالمتواتر بقسميه على حد سواءً»[١] قال ابن حزم: «إن خبر الواحد العدل عن مثله إلى رسول الله ﷺ يوجب العلم والعمل معاً»[٢].

قال الشيخ صحبي الصالح: «ورأي ابن حزم أجدر بالإتباع، إذ لا معنى لتخصيص أحاديث الصحيحين بإفادة القطع، لأن ما ثبتت صحته في غيرهما ينبغي أن يحكم عليه بما حكم عليه فيهما، فما للكتابين من منزلة خاصة في قلوب المؤمنين لا ينبغي أن يقلل من قيمة الصحيح في الكتب الأخرى، كما أنه لا معني للقول بظنية الحديث الآحادي بعد ثبوت صحته، لأن ما اشترط فيه لقبول صحته يزيل كل معاني الظن، ويستوجب وقوع العلم اليقيني به»[٣].

ومثال الغريب: حديث «إنما الأعمال بالنيات..»[٤] رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه متفرداً به عن رسول الله ﷺ ثم أشتهر في آخر الإسناد. فهو حديث مشهور معلوم في الصحاح والمسانيد والمصنفات وغيرها.

ومثال العزيز: قوله ﷺ «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده

---

(١) علوم الحديث ومصطلحه للدكتور صبحي الصالح دار العلم للملايين، بيروت الطبعة ٤، ١٤٠٢هـ، ص ١٥١.

(٢) الإحكام لابن حزم ج١، ص ١١٩ - ١٣٧.

(٣) علوم الحديث ومصطلحه لصبحي الصالح ص ١٥١.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب بدء الوحي، باب كيف بدأ الوحي ج١، ص٩ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي تقديم الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله.

؛صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، مكتبة الرياض الحديثة، كتاب الإمارة باب قوله ﷺ إنما الأعمال بالنيات ج٧، ص٥٨.

ووالده والناس أجمعين»[1] فقد رواه أنس وأبو هريرة، ورواه عن أنس قتادة وعبد العزيز بن صهيب، وعن قتادة شعبة وسعيد، وعن عبد العزيز إسماعيل بن علية وعبد الوارث، ثم اشتهر.

ومثال المشهور: ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسألوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»[2].

قال شيخ الإسلام: «وخبر الواحد المتلقى بالقبول يوجب العلم عند جمهور العلماء من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد، وهو قول أكثر أصحاب الأشعري .. ولما اقترن به اجماع أهل العلم بالحديث على تلقيه بالتصديق كان بمنزلة إجماع أهل العلم بالفقه. لأن الإجماع معصوم. فأهل العلم بالأحكام الشرعية لا يجمعون على تحليل حرام ولا تحريم حلال، كذلك أهل العلم بالحديث لا يجمعون على التصديق بكذب ولا التكذيب بصدق. وتارة يكون علم أحدهم لقرائن تحتف بالأخبار توجب لهم العلم، ومن علم ما علموه حصل له من العلم ما حصل لهم»[3].

وبهذا يعلم أن مناط الأمر في الاعتماد على الدليل من حديث المصطفى ﷺ وهو مصدر التشريع الثاني؛ هو ما صح عنه ﷺ ولا عبرة بذلك التقسيم المتأخر عن زمن الرسالة والوحي، إذ لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة، وما أشد حاجتهم رضوان الله عليهم في فهم دينهم وقت التبليغ ونزول الوحي والتأريخ شاهد على أنهم قد فعلوا وسألوا عن كثير مما أشكل عليهم فهمه.

---

(١) فتح الباري، كتاب الإيمان، باب وجوب محبة رسول الله ﷺ من الإيمان ج ١، ص٥٨.
صحيح مسلم كتاب الإيمان باب وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل ج١، ص١٥.

(٢) فتح الباري، كتاب العلم باب كيف يقبض العلم ج ١، ص ١٩٤.
صحيح مسلم كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان ج ١٥، ص ٣٢٣.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ج ١٨، ص ٤١.

ولا شك أنما سمي بالمتواتر وهو ما تعددت طرقه وكثر رواته أشد وأكثر صحة من غيره لكن العبرة بالصحيح حتى وإن كان منفرداً «ومن الحديث الصحيح ما تلقاه المسلمون بالقبول فعملوا به .. فهذا يفيد العلم، ويجزم بأنه صدق، لأن الأمة تلقته بالقبول تصديقاً وعملاً بموجبه والأمة لا تجتمع على ضلالة .. ولهذا كان الصحيح أن خبر الواحد يفيد العلم إذا احتفت به قرائن تفيد العلم»[1].

«فالخبر الذي رواه الواحد من الصحابة والاثنان إذا تلقته الأمة بالقبول والتصديق أفاد العلم عند جماهير العلماء ومن الناس من يسمي هذا بالمستفيض والعلم هنا حصل بإجماع العلماء على صحته، فإن الإجماع لا يكون على خطأ، لهذا كان أكثر متون الصحيحين مما يعلم صحته عند علماء الطوائف: من الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية والأشعرية»[2].

وقال ابن القيم: «ولو أنصف أهل الفرق من الأمة لأقروا بأن خبر الواحد.. يوجب العلم، فإنك تراهم مع اختلافهم في طرائقهم وعقائدهم يستدل كل فريق منهم على صحة ما يذهب إليه بالخبر الواحد ومشهور ومعلوم استدلال أهل السنة بالأحاديث ورجوعهم إليها، فهذا إجماع منهم على القول بأخبار الآحاد .. وإذا صح الخبر عن رسول الله ﷺ، ورواه الثقات والأئمة وأسنده خلفهم عن سلفهم إلى النبي ﷺ، وتلقته الأمة بالقبول، فإنه يوجب العلم فيما سبيله العلم، وهذا قول عامة أهل الحديث المتقنين من القائمين على السنة»[3].

بل إن الذي أخبر الأمة ـ وهو المصطفى ﷺ ـ بأن صلاة الظهر أربع ركعات وكذا العصر والعشاء هو الذي أخبرنا أن الله سبحانه ينزل إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل، وأنه مستوٍ على عرشه فوق سماواته بائن عن خلقه، وأنه يطوي السماوات بيمينه سبحانه، وأنه يتلقى صدقة أحدنا بيمينه فيربُّها، وقد أخبرنا

(١) مجموع فتاوى ابن تيميه ج ١٨، ص ١٥، ٤٠.
(٢) المصدر السابق ج ١٨، ص ٧٠.
(٣) مختصر الصواعق المرسلة، لابن القيم، اختصره الموصلي، دار الندوة الجديدة، بيروت١٠٥هـ، ص ٥٠٤، ٥٠٥.

عن عذاب القبر ونعيمه. وصدق الله تعالى في قوله: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[1].

وبهذا يتبين أن علماء أهل السنة قد اعتمدوا على الأخبار الصحيحة عن رسول الله ﷺ في العقيدة والأحكام والمعاملات، وقسموا الأخبار إلى صحيحة وحسنة وضعيفة. ليتميز الصحيح المعتمد بضوابطه وقواعده وهو ما سيكون عليه مدار هذا البحث بإذن الله.

الصحيح

لغةً: خلاف السقم، وذهاب المرض، والبراءة من كل عيب وريب، وصححت الكتاب والحساب تصحيحاً إذا كان سقيماً فأصلحت خطأه، والصحيح من الشعر ما سلم من النقص»[2].

اصطلاحاً: هو ما اتصل سنده بالعدول الضابطين من غير شذوذ ولا علة. وقد اشتمل التعريف على أمور يجب توفرها ومعرفتها لصحة الحديث وهي:

أ ـ اتصال السند: فيكون كل راو من رواة الخبر قد أخذه مباشرة عمن فوقه من أول السند إلى منتهاه وهو رسول الله ﷺ أو الصحابي إن كان موقوفاً.

ب ـ عدالة الرواة: أن يكون الراوي عدلاً بأن يكون مسلماً بالغاً عاقلاً سليماً من أسباب الفسق وخوارم المروءة.

ج ـ ضبط الرواة: أن يكون الراوي متيقظاً حافظاً إن حدّث من حفظه، ضابطاً لكتابه إن حدّث منه، عالماً بما يحيل المعنى إن روى به.

د ـ عدم الشذوذ: فلا يكون الحديث شاذاً. وهو مخالفة الثقة لمن هو أوثق منه.

---

(١) سورة الحشر ٧.

(٢) لسان العرب لابن منظور ج٢، ص ٥٠٧، ٥٠٨.

هـ ـ عدم العلة: أي أن لا يكون الحديث معلولاً، والعلة سبب غامض خفي يقدح في صحة الحديث، مع أن الظاهر السلامة منه»[1].

أقسام الصحيح:

وللصحيح أقسام متفاوتة بحسب تمكنه من شروط الصحة وعدمه.

«أعلاها ما اتفق عليه البخاري ومسلم، ثم ما انفرد به البخاري، ثم ما انفرد به مسلم، ثم صحيح على شرطهما ولم يخرجه واحد منهما، ثم صحيح على شرط البخاري ثم صحيح على شرط مسلم، ثم صحيح عند غيرهما مستوفى فيه الشروط السابقة»[2].

قال شيخ الإسلام: «وأما كتب الحديث المعروفة: مثل البخاري ومسلم. فليس تحت أديم السماء كتاب أصح من البخاري ومسلم بعد القرآن وما جمع بينهما: مثل الجمع بين الصحيحين للحميدي لعبد الحق الأشبيلي، وبعد ذلك كتب السنن: كسنن أبي داود؛ والنسائي؛ وجامع الترمذي، والمسانيد: كمسند الشافعي، ومسند الإمام أحمد. وموطأ مالك فيه الأحاديث والآثار وغير ذلك، وهو من أجل الكتب»[3].

أما تقسيم الرواة إلى مقبول ومردود فإنما هو بالنسبة لغير الصحابة فالجمهور على أنهم كلهم عدول لأن الله قد زكاهم، واختارهم لصحبة نبيه ﷺ ونصرة دينه، وقد وردت النصوص الكثيرة تثبت عدالتهم، وتوضح فضلهم على من بعدهم، قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[4].

---

(١) تدريب الراوي للسيوطي، ص ٦٣، ٣٠٠.

(٢) نفس المصدر، ص ١٢٢.

(٣) مجموع فتاوى ابن تيميه ج١٨، ص ٧٤.

(٤) أخبار الآحاد للجبرين ص ٦٢، سورة الفتح ٢٩.

السنة

والسنة هي «الطريقة المحمودة المستقيمة، وهي مأخوذة من السنن وهو الطريق، وسنَّ الله سنة أي بين طريقاً قويماً قال تعالى: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾[(1)] وسننتها سنّاً واستننتها: سرتها، وسننت لكم سنة فاتبعوها وفي الحديث «من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة»[(2)].

والسنة في الاصطلاح «ما أُثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية أو سيرة، سواء كان قبل البعثة أو بعدها»[(3)].

قال الشاطبي: «يطلق لفظ السنة على ما جاء منقولاً عن النبي ﷺ على الخصوص، مما لم ينص عليه في الكتاب العزيز، بل إنما نص عليه من جهته عليه الصلاة والسلام، كان بياناً لما في الكتاب أو لا.

ويطلق أيضاً في مقابل البدعة، فيقال فلان على سنة «إذا عمل على وفق ما عمل عليه النبي ﷺ، كان ذلك مما نص عليه في الكتاب أولا ويقال: «فلان على بدعة» إذا عمل على خلاف ذلك.

ويطلق أيضاً لفظ السنة على ما عمل عليه الصحابة، وجد ذلك في الكتاب أو السنة أو لم يوجد، لكونه اتباعاً لسنة ثبتت عندهم لم تنقل إلينا أو اجتهاداً مجمعاً عليه منهم أو من خلفائهم»[(4)].

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ

---

(١) سورة الفتح، آية ٢٣.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، ج ٧، ص ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، وانظر ج١٦ ص ٢٢٥، ٢٢٦.

(٣) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، لمصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، ص ٤٧.

(٤) الموافقات في أصول الشريعة لأبي إسحاق الشاطبي، شرحه الشيخ عبد الله دراز وآخرون، مكتبة دار الباز، دار الكتب العلمية بيروت ج ٤، انظر ص ٣، ٤.

عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾[1] قال الشافعي رحمه الله: «فذكر الله الكتاب وهو القرآن، وذكر الحكمة فسمعت من أرضى من أهل العلم بالقرآن يقول: الحكمة سنة رسول الله ﷺ، وهذا يشبه ما قال والله أعلم، لأن القرآن ذُكر وأتبعته الحكمة، وذكر الله منّه على خلقه بتعليمهم الكتاب والحكمة، فلم يجز ـ والله أعلم ـ أن يقال الحكمة هاهنا إلا سنة رسول الله ﷺ، وذلك أنها مقرونة مع الكتاب وأن الله افترض طاعة رسوله ﷺ، وحتّم على الناس اتباع أمره، فلا يجوز أن يقال لقولٍ فرضٌ إلا لكتاب الله ثم سنة رسوله ﷺ لما وصفنا من أن الله جعل الإيمان برسوله ﷺ مقروناً بالإيمان به. وسنة رسول الله ﷺ مبيّنة عن الله معنى ما أراد: دليلاً على خاصة وعامة. ثم قرن الحكمة بها بكتابه فأتبعها إياه، ولم يجعل هذا لأحد من خلقه غير رسوله ﷺ»[2].

«وقد ذهب جمهور العلماء والمحققين إلى أن الحكمة شيء آخر غير القرآن، وهي ما أطلعه الله عليه من أسرار دينه وأحكام شريعته، ويعبر العلماء عنها بالسنة.. وأوضح الشافعي ـ رحمه الله ـ أنه يجزم بأن الحكمة هي السنة، لأن الله عطفها على الكتاب، وذلك يقتضي المغايرة، ولا يصح أن تكون شيئاً غير السنة، لأنها في معرض المنّة من الله علينا بتعليمنا إياها، ولا يمنّ إلا بما هو حق وصواب، فتكون الحكمة واجبة الإتباع كالقرآن، ولم يوجب علينا إلا اتباع القرآن والرسول، فتعين أن تكون الحكمة هي ما صدر عن الرسول من أحكام وأقوال في معرض التشريع. وإذا كان كذلك، كان رسول الله ﷺ وقد أوتي القرآن وشيئاً آخر معه يجب اتباعه فيه .. وهكذا أحوال الصحابة مع الرسول عليه الصلاة والسلام في حياته، يعتبرون قوله وفعله وتقريره حكماً شرعياً لا يختلف في ذلك واحد منهم، ولا يجيز أحدهم لنفسه أن يخالف أمر القرآن .. كما وجب على الصحابة بأمر الله في القرآن اتباع الرسول وطاعته في حياته، وجب عليهم وعلى من بعدهم

---

(١) سورة آل عمران، آيه ١٦٤.

(٢) الرسالة لمحمد بن إدريس الشافعي، تحقيق أحمد شاكر، المكتبة العلمية، بيروت، ص ٧٨، ٧٩.

من المسملين اتباع سنته بعد وفاته، لأن النصوص التي أوجبت طاعته عامة لم تقيد بزمن حياته، ولا بصحابته دون غيرهم، ولأن العلة جامعة بينهم وبين من بعدهم، وهي أنهم أتباعٌ لرسول أمر الله باتباعه وطاعته»[1]..

ثم هيأ الله من أخلص النية وعقد العزم لخدمة سنة المصطفى ﷺ وجمع الحديث في الصحاح والمسانيد والسنن والمصنفات والمعاجم والآثار «فأهل الحديث لشدة عنايتهم بسنة نبيهم وضبطهم لأقواله وأفعاله وأحواله يعلمون من ذلك علماً لا يشكون فيه مما لا شعور لغيرهم به البتة، فخبر أبو بكر وعمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل وابن مسعود ونحوهم يفيد العلم الجازم الذي يلتحق عندهم بقسم الضروريات، وعند الجهمية والمعتزلة وغيرهم من أهل الكلام لا يفيد علماً، وكذلك يعلمون بالضرورة أن رسول الله ﷺ أخبر أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة وعند الجهمية رسول الله ﷺ لم يقل ذلك.. وبالجملة فهم جازمون بأكثر الأحاديث الصحيحة قاطعون بصحتها عنه، وغيرهم لا علم عنده بذلك.

والمقصود أن هذا القسم من الأخبار يوجب العلم عند جمهور العقلاء»[2].
بل إن رسول الله ﷺ قد أخبر وهو الصادق المصدوق أنه سيأتي من ينكر هذه السنة مكتفياً بالقرآن وما علموا أن القرآن متضمن للسنة قاض بها وملزم باتباعها، فعن أبي رافع عن النبي ﷺ قال: «لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول: لا أدري، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه»[3]. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

---

(١) السنة ومكانتها في التشريع، يوسف السباعي، ص ٥٠، ٥١، ٥٤، ٥٥.
(٢) الصواعق المرسلة، لابن القيم، ص ٤٨٤.
(٣) الجامع الصحيح لسنن الترمذي تحقيق أحمد شاكر الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ، مصطفى الحلبي، مصر، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. ج٥، ص ٣٧.
سنن أبي داود السجستاني تعليق عزت الدعاس وعادل السيد، دار الحديث، بيروت ١٣٩٤هـ، ج٥ باب لزوم السنة ص٣٤.
شرح سنن ابن ماجة القزويني للسندي، دار الجبل، بيروت، باب تعظيم حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، ج١، ص ٩.

وبهذا يظهر مما تقدم أن معنى السنة في الاصطلاح يتمثل في ثلاثة معانٍ:

«**أولاً**: ما يقابل القرآن فيكون المراد قول النبي ﷺ وفعله وتقريره.

ثانياً: ما يثاب على فعله ولا يعاقب على تركه مما فعله النبي ﷺ وواظب عليه، وإذا واظب عليه المصطفى ﷺ فما أحرى أمته باتباعه والعمل بما كان يتقرب به إلى مولاه وخالقه، بل إن هجر تلك السنن والأفعال المندوبة يعد إعراضاً عن السنة وصاحبها عليه الصلاة والسلام، ويعد مقدمة ووسيلة إلى ترك الفروض الواجبة والملزمة للمسلم فإن تلك السنن سياجاً ودرعاً للفروض ومتى سقط السياج أبيح الحمى ألا وإن حمى الله محارمه.

ثالثاً: ما يقابل البدعة، فيراد به ما وافق القرآن أو حديث النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير. وسواء كانت دلالة القرآن أو حديث النبي ﷺ على طلب الفعل مباشرة أو بوسيلة القواعد المأخوذة منها ويدخل في هذا عمل الصحابة رضي الله عنهم، سواء وجد ذلك في الكتاب والسنة أم لا لكونه اتباعاً لسنة ثبتت عندهم ولم تنقل إلينا، أو اجتهاداً مجمع عليه منهم أو من خلفائهم، كما فعلوا في جمع المصحف وتدوين الدواوين»[(١)] والآذان الأول لصلاة الجمعة وزيادة حد شارب الخمر.

وعلى هذا فكل ما صح عنه ﷺ مما نقل إلينا فإنما هو السبيل الوحيد الذي يرضاه الله لنا لأن ما يصدر عنه ﷺ إنما هو وحي يوحى من عند الله كما قال سبحانه ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[(٢)] ثم إن اتباعه ﷺ إنما هو دليل على محبة الله وشرعه والله جعل اتباع نبيه دليلاً على محبته جل وعلا كما أخبر سبحانه بقوله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[(٣)] وعند التنازع نحتكم لسنته ﷺ كما نحتكم إلى كتاب الله حتى يصح إيماننا بالله وباليوم الآخر كما أخبر الباري عز وجل ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية - الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء للشيخ محمد العجلاني - عدد ٩. دار أولي النهي بالرياض ١٤٠٤هـ. ص ١٨٧، ١٩١.

(٢) سورة النجم آية ٣، ٤.

(٣) سورة آل عمران ٣١.

ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[1] قال ابن كثيرﷺ في تفسير الآية: «قال مجاهد: أي إلى كتاب الله وسنة رسوله، وهذا أمر من الله عز وجل بأن كل شيء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع في ذلك إلى الكتاب والسنة، فما حكم به الكتاب والسنة وشهد له بالصحة فهو الحق، وماذا بعد الحق إلا الضلال»[2].

نعم تلك سنة المصطفىﷺ وموقعها من التشريع فهي المصدر الثاني بعد كتاب الله عز وجل، مبينة لألفاظه ومفصلة لما أجمل من أحكامه ومنشئة لأحكام أخرى تعبدنا الله بها.

الظَّنّ

الظنّ «شك ويقين إلا أنه ليس بيقين عيان، إنما هو يقين تدبر، فأما يقين العيان فلا يقال فيه إلا علم، وجمع الظنّ الذي هو الاسم ظنون. وقد يجيء الظنّ بمعنى العلم. ومظنة الشيء موضعه ومألفه الذي يظن كونه فيه. والجمع المظانّ. ومن تظنّ أي من تتهم والظّنون: الرجل السيئ الظنّ. ومنه قولهم الحزم سوء الظنّ. وبئر ظنون أي قليلة الماء لا يوثق بمائها»[3].

وفي الاصطلاح: «هو الاعتقاد الراجح مع احتمال النقيض، ويستعمل في اليقين والشك»[4].

وقد ورد الظنّ في كتاب الله بمعانٍ عدة ويفسرها سياق المعنى الذي وردت من خلاله، أما في حديث المصطفىﷺ فقد ورد بمعنى الشك واليقين. وباستعراض ما ورد في القرآن الكريم نجدها جاءت كلمة الظن بمعنى العلم حيث قال تعالي: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾﴾[5] وجاءت بمعنى اليقين في

---

(١) سورة النساء ٥٩.

(٢) تفسير ابن كثير، ص ٤٤٥.

(٣) لسان العرب لابن منظور، أنظر ص ٢٧٢، ٢٧٤، ٢٧٥.

(٤) التعريفات للجرجاني، على بن محمد الشريف مكتبة لبنان بيروت ١٣٩٨هـ، ص ١٤٢.

(٥) سورة الحاقة آية ٢٠.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾[1] أي أيقنوا، وهذا هو الظن الغالب. وقوله ﷺ «أنا عند ظن عبدي بي»[2].

ويأتي الظنّ بمعنى الشك كما في قوله تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾[3] وقوله ﷺ: «إياكم والظنّ فإن الظن أكذب الحديث»[4].

قال النووي رحمه الله: «المراد النهي عن ظنّ السوء قال الخطابي: هو تحقيق الظن وتصديقه دون ما يهجس في النفس فإن ذلك لا يُملك. وقال بعضهم يحتمل أن المراد الحكم في الشرع بظنّ مجرد من غير بناء على أصل ولا نظر ولا استدلال وهذا ضعيف أو باطل والصواب الأول»[5]ومن الاستقراء في كتاب الله فما وجد الظنّ محموداً مثاباً عليه، فهو اليقين وكلما وجد مذموماً متوعداً عليه بالعذاب فهو الشك واتباع الهوى والإعراض عن توحيد الله كما كان يفعل المشركون أثناء دعوة الرسل لهم إلى التوحيد.

وبهذا يتبين من النصوص سواء كانت من القرآن أو السنة النهي عن سوء الظنّ أو القول على الله بلا علم، وهذا خلق المسلم في كمال إيمانه وتمسكه بدينه والتزامه شرع الله، وتمسكه بسنن نبيه ﷺ، غير أن هناك من وظف الظنّ الوارد في النصوص على أنه يفيد ما يعتقدونه وهو أن ذلك الخبر لا يفيد علماً، وأن السنة ظنيّة عندهم «فقولهم إن أخبار رسول الله ﷺ الصحيحة المتلقاة بين الأمة بالقبول لا تفيد العلم، بل هي ظنية هو إخبار عما عندهم، إذ لم يحصل لهم من الطرق التي استفاد بها العلم أهل السنة ما حصل لهم، فقولهم لم نستفد بها العلم، لم يلزم منها النفي العام على ذلك بمنزلة الاستدلال على أن الواجد للشيء العالم به غير واجد له ولا عالم به..فيقال له اصرف عنايتك إلى ما جاء به الرسول ﷺ والحرص عليه وتتبعه وجمعه ومعرفة أحوال نقلته وسيرتهم وأعرض

---

(١) سورة البقرة ٤٦.
(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: «ويحذركم الله نفسه» ج١٣، ص ٣٨٣.
(٣) سورة النجم ٢٣.
(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب الوصايا ج٥، ص ٣٧٥.
(٥) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب البر باب تحريم الظن، ج١٦، ص ١١٨.

عما سواه واجعله غاية طلبك، ونهاية قصدك وحينئذ تعلم هل تفيد أخبار رسول الله ﷺ العلم أم لا تفيده»[1].

فإذا ثبتت سلامة رجال السند، وصح مبلغاً إلى الرسول ﷺ، لم يجز تحكيم أراء الناس في أحاديث الرسول ﷺ «لأنها أخبار المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى فإذا صحت نسبتها إليه ﷺ سنداً ومتناً، فلا يحمل روايتها إلا على الصدق، ولا تفيد إلا العلم لأن رواتها عنه هم صُدُق الأمة وعدولها وهم المبلغون عنه، أما من روى عنهم ثم من رواها عمن روى عنهم وهكذا فهم الذين يتثبت في قبول روايتهم ويخضعون لمعيار القبول والرد حسب المنهج العلمي الدقيق الذي وضعه علماء الحديث وجهابذة نقد الرواية والرواة أو نقد السند والمتن، والتزام هذا المنهج لا محيد عنه لصيانة السنة وتمييز صحيحها من سقيمها»[2]. بل إن «هؤلاء تناقضوا لأن هذه النصوص التي احتجوا بها تنهى عن اتباع الظنّ في العقائد والأحكام. والذين قالوا بهذا جماعة قليلة من متأخري أهل الحديث ومن الأصوليين وقال به علماء الكلام قديماً وكثر القول به في عصرنا حتى ظنّه بعض الباحثين إجماعاً، ولم يقل بهذا القول على إطلاقه أحد من الصحابة، ولا من التابعين ولا من الأئمة المرضيين أمثال مالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد وإسحاق بن راهوية وداود الظاهري والبخاري ومسلم وأبو داود وغيرهم. وقد بينا ضعف حجة هؤلاء، فإن الآيات الناهية عن اتباع الظنّ تقصد الظنّ المرجوح الذي ليس له أسس ثابتة كظنّ المشركين في معبوداتهم»[3].

وحيث إن الله قد أمرنا بالتثبت في تلقي الأخبار في قوله تعالي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾[4] هو الذي أرسل رسوله ﷺ القائل: «نضر

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة، لابن القيم، ص ٥٢٣.

(٢) خبر الواحد في التشريع الإسلامي وحجيته القاضي برهون، أضواء السلف، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ، ج١، ص ٣٢٣.

(٣) أصل الاعتقاد، د. عمر الأشقر، دار النفائس، الكويت ١٤١٠هـ، ص ٣٦، ٣٧.

(٤) سورة الحجرات ٦.

الله امرأً سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه فرب مبلغ أوعى من سامع»[1]. «وبناء على أن الخبر لا يقبل إلا بعد معرفة سنده فقد ظهر علم الجرح والتعديل، والكلام على الرواة، ومعرفة المتصل أو المنقطع من الأسانيد .. وما يتعلق بالحديث من ناحية ضبطه وكيفية تحمله وأدائه.. وصارت هذه العلوم تكتب وتسجل في أمكنة متفرقة من الكتب ممزوجة بغيرها من العلوم الأخرى .. مثل كتاب الرسالة وكتاب الأم للشافعي»[2].

فلا مجال للظنّ فيما صح عنهﷺ وتلقته أمته بالقبول وحفظ في دواوين الحديث.

(١) الجامع الصحيح للترمذي، تحقيق إبراهيم عطوة، مصطفى الحلبي، القاهرة، كتاب العلم، باب الحث على السماع، ج٥، ص ٣٤، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) تيسير مصطلح الحديث، د. محمد الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الثامنة ١٤٠٧هـ، ص ١٠.





الباب الأول

إفادة خبر الآحاد العلم والرد على المخالفين وأهل الشبه والمنكرين له والمفرقين بين الأحكام العملية والمسائل العقدية في الاحتجاج به

وفيه تمهيد وخمسة فصول:

تمهـــيد

الفصل الأول: خبر الآحاد الصحيح يفيد العلم.

الفصل الثاني: من يرى أن خبر الآحاد يفيد الظنّ ولا يفيد العلم مطلقاً والرد عليهم.

الفصل الثالث: من يرى أن خبر الآحاد يفيد العلم تارة ولا يفيده أخرى والرد عليهم.

الفصل الرابع: الشبهات التي يثيرها منكرو حجية خبر الآحاد والرد عليها.

الفصل الخامس: من فرق بين الأحكام العملية والمسائل العقدية في الاحتجاج بخبر الآحاد مع بيان شبههم والرد عليها.

* * * * * *





تمهيد

قام محمد ﷺ بالدعوة إلى توحيد الله سبحانه وحيداً في قومه فآمن به من وفقه الله وهداه ولم يطلب منه دليلاً ولا برهاناً، ذلك إنها الفطرة التي فطر الله الناس عليها وهو التوحيد وفطرة الإسلام قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾[1] ثم قال تعالى ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ﴾[2] قال الشافعي رحمه الله: «فأقام جلّ ثناؤه حجته على خلقه في أنبيائه، في الأعلام التي باينوا بها خلقه سواهم، وكانت الحجة بها ثابتة على من شاهد أمور الأنبياء ودلائلهم التي باينوا بها غيرهم ومن بعدهم، وكان الواحد في ذلك وأكثر منه سواء، تقوم الحجة بالواحد منهم قيامها بالأكثر»[3].

وإذا كان الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قد أيدهم الله بالمعجزات والبراهين فإن هذا لم يك غالب أحوالهم وأخبارهم وسيرهم، بل إن نبي الهدى والرحمة محمد ﷺ عندما أيده الله بآية انشقاق القمر لم يؤمن بها من طلبها وهم كفار مكة في حين أنه آمن به من لم يطلب معجزة أو برهاناً ذلك هدى الله، كصدّيق هذه الأمة أبو بكر رضي الله عنه.

قال الشافعي: «وفي تثبيت خبر الواحد أحاديث .. ولم يزل سلفنا والقرون بعدهم إلى من شاهدنا. وكذلك حَكى لنا عمّن حُكيَ لنا عنه من أهل العلم بالبلدان. ووجدنا سعيد ـ بن المسيب ـ بالمدينة يقول .. حدثني أبو هريرة عن النبي ﷺ، فيثبت حديثه سنة. ويروي عن الواحد غيره فيثبت حديثه سنة.

ـ ثم يقول ـ : وتثبيت خبر الواحد أقوى من أن احتاج إلى أن أمثّلة بغيره، بل هو أصلٌ في نفسه»[4]. ثم تحدث في رسالته عن شيوخه الذين روى عنهم من التابعين رحمهم الله ثم قال: «كلهم يُحفظ عنه تثبيت خبر الواحد عن رسول الله ﷺ، والانتهاء إليه، والإفتاء به، ويقبله كل واحد منهم عن من فوقه، ويقبله عنه من تحته. ولو جاز لأحد من الناس أن يقول:

---

(١) سورة نوح ١.

(٢) سورة النساء ١٦٣.

(٣) الرسالة للإمام الشافعي ص ٣٤٧.

(٤) الرسالة للإمام الشافعي، ص ٤٥٣، ٣٨٤.

أجمع المسلمون قديماً وحديثاً على تثبيت خبر الواحد والانتهاء إليه، بأنه لم يعلم أحد إلا وقد ثبته جاز لي .. ولم أحفظ عن فقهاء المسلمين أنهم اختلفوا في تثبيت خبر الواحد»[1].

«والصحيح المشهور عن الإمام أحمد رحمه الله، القطع بثبوت الحديث متى توفرت فيه شروط الصحة؛ بل المروي الصحيح عنه أنه جزم على الشهادة للعشرة بالجنة، والخبر في ذلك خبر واحد .. قال الذين يقولون: أخبار رسول الله ﷺ تفيد العلم قال تعالى آمراً لنبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول: «﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾[2] .. قالوا فعلم إن كلام رسول الله ﷺ في الدين كله وحي من عند الله، فهو ذكر أنزله الله .. والله قد ضمن حفظ ما أوحاه إليه وأنزل عليه ليقيم به حجته على العباد إلى آخر الدهر .. فلو جاز أن تكون كذباً وغلطاً لبطلت حجة الله على العباد، ولقال كل من احتج عليه بسنة تبين القرآن وتفسره: هذا خبر واحد لا يفيد العلم فلا تقوم عليّ حجة بما لا يفيد العلم، وهذا طرد هذا المذهب الفاسد .. والذي يقضي منه العجب إنهم لا يرجعون إلى أخبار رسول الله ﷺ لأنها لا تفيد العلم، ويرجعون إلى الخيالات الذهنية والشبهات الباطلة التي تلقوها عن أهل الفلسفة والتجهم والاعتزال، ويزعمون أنها براهين عقلية»[3] بل إن قبول الأمة لهذه الأحاديث الصحيحة والعمل بها مما تعبدنا الله به «فإن جمهور أحاديث ما في البخاري ومسلم مما يقطع بان النبي ﷺ قاله؛ ولأنه قد تلقاه أهل العلم بالقبول والتصديق والأمة لا تجتمع على خطأ، فلو كان الحديث كذباً في نفس الأمر؛ والأمة مصدقة له قابلة له لكانوا قد أجمعوا على تصديق ما هو في نفس الأمر كذب، وهذا إجماع على الخطأ وذلك ممتنع .. ولهذا كان جمهور أهل العلم من جميع الطوائف على أن خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول تصديقاً له أو عملاً به أنه يوجب العلم»[4].

قال الإمام السيوطي: «وذكر الشيخ ابن الصلاح أن ما روياه أو أحدهما فهو مقطوع بصحته والعلم القطعي حاصل فيه، خلافاً لمن نفى ذلك، محتجاً بأنه لا يفيد إلا الظنّ وإنما تلقته الأمة بالقبول لأنه يجب عليهم العمل بالظنّ، والظنّ قد يخطىء. قال: وقد كنت أميل إلى هذا وأحسبه قوياً. ثم بان لي أن الذي اخترناه أولاً هو الصحيح لأن ظن من هو معصوم من الخطأ لا يخطىء. والأمة في إجماعها معصومة من الخطأ ولهذا كان الإجماع المبني على الاجتهاد حجة مقطوعاً بها»[5]

---

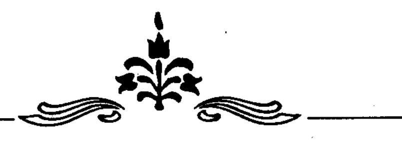
(١) نفس المصدر، ص ٤٥٧، ٤٥٨.

(٢) الأنعام: ٥٠.

(٣) مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم، ص ٤٨٠، ٤٨١.

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية، ج ١٣، ص ٣٥١.

(٥) تدريب الراوي للسيوطي، ج١، ص ١٣١.



الفصل الأول

خبر الآحاد الصحيح يفيد العلم

وفيه:

- تمهيد.
- أدلة إفادة خبر الآحاد العلم.



تمهيد

إن فيما تقدم يتضح أنه كان من الضروري قبول أخبار الآحاد وإفادتها للعلم ليستقيم أمر الشريعة التي جاء بها رسول الهدى محمدﷺ، إذا كانت تلك الأخبار صحيحة موافقة للضوابط التي أقرها علماء الحديث وتلقتها الأمة بالعلم والقبول. «فإن الاستدلال يوجب العلم من أربعة وجوه:

أحدها: أن تتلقاه الأمة بالقبول. فيدل ذلك على أنه حق، لأن الأمة لا تجتمع على خطأ، وإن قبول الأمة يدل على أن الحجة قد قامت عندهم بصحته.

الثاني: خبر النبيﷺ وهو واحد فيقطع بصدقه، لأن الدليل قد دل على عصمته.

والثالث: أن يخبر الواحد ويدعي أنه سمعه من رسول اللهﷺ، فلا ننكره، ويدل على أنه حق أن النبيﷺ لا يقر على الكذب.

والرابع: أن يخبر الواحد ويدعي على عدد كثير أنهم سمعوه منه، فلا ينكره منهم أحد، فيدل على أنه صدق؛ لأنه لو كان كذباً لم تتفق دواعيهم على السكوت عن تكذيبه، والعلم الواقع عن ذلك كله مكتسب؛ لأنه واقع عن نظر واستدلال»[(١)].

إن الجزم والاعتقاد في إفادة خبر الآحاد المتلقى بالقبول لكونه صحيحاً موافقاً للشروط والضوابط المستوفية للجرح والتعديل والقبول لدى علماء الحديث الجهابذة، كل هذا قد دل عليه أدلة مستوفاة جمعها علماء أهل السنة لتأييد ما

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم، ص ٤٧٧.

ذهبوا إليه في احتجاجهم بها والعمل بها واعتقادها علماً ملزماً، وذلك ليسلم لهم اعتقادهم السلفي الصحيح بعيداً عن أقوال أهل الكلام وظنونهم وتخرصاتهم ومن لفّ لفهم من المبتدعة وأهل الطوائف، الذين أعرضوا عن النقل واعتمدوا العقل فيما اختص الله به علمه أو أخبر رسوله وحياً من عنده سبحانه. في حين اعتمد أهل السنة كتاب الله وسنة رسولهﷺ في فهم أمور دينهم مقدمين النقل الصحيح على العقل الصريح اللذين لا تعارض بينهما عند أهل السنة والإنصاف.

أدلة إفادة خبر الآحاد العلم

أورد علماء السنة أدلة على إفادة خبر الآحاد العلم وأنها موجبة للعلم والعمل بها فمنها :

أولاً: قال الشافعي رحمه الله : فإن قال قائل : أذكر الحجة في تثبيت خبر الواحد بنص خبر أو دلالة فيه أو إجماع. قلت له : أخبرنا سفيان عن عبد الملك بن عمير عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه أن النبي ﷺ قال : «نضّر الله عبداً سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأداها ، فرب حامل فقه غير فقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم : إخلاص العمل لله ، والنصيحة للمسلمين ، ولزوم جماعتهم ، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم»[1].

«فلما ندب رسول الله ﷺ إلى استماع مقالته وحفظها وأدائها أمرءاً يؤديها ، والأمرء واحد : دل على أنه لا يأمر أن يؤدي عنه إلا ما تقوم به الحجة على من أدى إليه .. وأمر رسول الله ﷺ بلزوم جماعة المسلمين ما يحتج به في أن إجماع المسلمين ـ إن شاء الله ـ لازم»[2] وقد دل هذا الخبر الصحيح على أن رسول الله ﷺ أثنى على من بلغ عنه قولاً أو خبراً ؛ ذلك أن الإسلام يقوم على مثل هذا ، وبرده تبطل الحجة وتهمش الرسالة وينتكس الفهم ويجور الميزان ، وفي الحديث نكتة أخرى لا تقل أهمية عن سابقتها ألا وهى لزوم الجماعة ـ فإن دعوتهم تحيط من ورائهم ـ قال ابن الأثير : «والمعنى أن دعوة المسلمين قد أحاطت بهم فتحرسهم عن كيد الشيطان وعن الضلالة[3]. فإذا كانت الأمة وهم الجماعة قد تلقوا أخبار الآحاد الصحيحه بالقبول وأنها مفيدة للعلم والعمل ؛ فإن هذا دليل عاضد لسابقه وبرهان أكيد لطالبه.

ثانياً: أرسل رسول الله ﷺ علياً رضي الله عنه إلى أهل خيبر وأعطاه الراية «فقال علي : يا

---

(١) رواه أبو داود في سننه، دار الحديث بيروت، تعليق عزت الدعاس وآخرون ١٣٩٣ كتاب العلم ج ٤، ص ٦٨.

ورواه الترمذي في الجامع الصحيح، تحقيق إبراهيم عطوة، ط مصطفى الحلبي، مصر. الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ، ج٥، ص ٣٤، قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح.

رواه ابن ماجة في شرح سننه للإمام أبي الحسن الحنفي، دار الجيل بيروت، باب من بلغ علماً. جـ ١، ص ١٠٢.

رواه الإمام أحمد في مسنده، المكتب الإسلامي، الطبعة الخامسة، ١٤٠٥هـ، بيروت ج١،ص ٤٣٧، ج٣ ٢٢٥، ص ٨٠، ص٨٢، ج ٥ ص ١٨٣.

(٢) الرسالة للإمام الشافعي ص ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣.

(٣) الشافي في شرح مسند الشافعي، لمجد الدين المبارك ابن الأثير، دار الكتب المصرية، مخطوط سنة ٧٣٥، نقلاً عن الرسالة للإمام الشافعي ص ٤٠٢.

رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا فقال: «انفذ إليهم على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم»[(١)].

ومعلوم أن دعوة الإسلام تقتضي إخبارهم بما فرض الله عليهم من التوحيد لله سبحانه وعبادته وأخذ الصدقات من أموالهم أو الجزية عليهم لأن من يدعوهم من أهل الكتاب.

ثم بين رسول الله ﷺ أن هداية رجل واحد على يديه خير من الإبل الحمر وهي أنفس أموال العرب وأنه ليس هناك أعظم منه.

والشاهد أن علياً ﷺ قد أمره الرسول ﷺ بتبليغ أوامر الإسلام الاعتقادية والعملية وهي مما تقتضي العلم وقد كان خبر آحاد، فدل ذلك على أنه قول معتمد وهدي للأمة في تبليغ الرسالة وحفظ الأمانة. ومثل هذا حديث معاذ ﷺ المشهور عندما أرسله لليمن.

ثالثاً: كان أهل قباء وأصحاب مسجد القبلتين يتوجهون في قبلتهم إلى المسجد الأقصى في الشام على الأمر الأول، ثم جاءهم خبر تحويل القبلة إلى مكة خبر آحاد فتحولوا وقد كان أمرهم الأول في الصلاة إلى بيت المقدس بيقين، فلو لا أنه أفادهم اليقين ما تحولوا، بل لو خامرهم الشك ولو للحظة لانتظروا خبر يقين أو أرسلوا رسولاً إلى رسول الله ﷺ وهو بين ظهرانيهم ليبين لهم الأمر، بل إنهم بعد صلاتهم لم يذكر عنهم أنهم راجعوا المخبر للتأكد من قوله سيما وقد كانوا في صلاتهم وهو يخبرهم الخبر ويبلغهم التحويل. أما وقد تم الأمر وعملوا بالاستجابة وتغيير قبلتهم فقد دل ذلك على إفادته إياهم العلم «ولم ينكر عليهم رسول الله ﷺ، بل شكروا على ذلك وكانوا على أمر مقطوع به من القبلة الأولى؛ فلولا حصول العلم لهم بخبر الواحد لم يتركوا المقطوع به المعلوم لخبر لا يفيد العلم، وغاية ما يقال فيه أنه خبر اقترنته قرينة، وكثير منهم يقول: لا يفيد العلم بقرينة ولا غيرها؛ وهذا في غاية المكابرة ومعلوم أن قرينة تلقي الأمة له بالقبول وروايته قرناً بعد قرن من غير نكير من أقوى القرائن وأظهرها؛ فأي قرينة فرضتها كانت تلك أقوى منها»[(٢)].

رابعاً: قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ

---

(١) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، ج ١٥، باب فضائل علي، ج١٥، ص ١٧٧، ١٧٨؛ صحيح البخاري كتاب الجهاد، باب دعاء النبي ﷺ ج ٦، ص ١١١.
سنن أبي داوود، كتاب العلم، باب فضل العلم ونشره، ج٤، ص ٦٩.

(٢) مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم، ص ٤٩٦.

﴿فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[1] «والطائفة تقع على الواحد فما فوقه، فأخبر أن الطائفة تنذر قومهم إذا رجعوا إليهم والإنذار الإعلام بما يفيد العلم وقوله لعلهم يحذرون نظير قوله في آياته المتلوة والمشهودة، لعلهم يتفكرون لعلهم يعقلون لعلهم يهتدون، وهو سبحانه إنما يذكر ذلك فيما يحصل العلم لا فيما لا يفيد العلم»[2] وهذا يكون بتبليغ العقيدة والأحكام وغيرها مما جاء به الشرع كقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾[3] من التبين لأنا إنما أمرنا بالتثبت عند خبر الفاسق، فدل على قبول خبر الواحد الثقة.

«وفي القراءة الأخرى[4] ـ فتثبتوا ـ من التثبت، وهذا يدل على الجزم والقطع بقبول خبر الواحد الثقة، وإنه لا يحتاج إلى التثبت ولو كان خبره لا يفيد العلم لأمر بالتثبت حتى يحصل العلم ـ فدل هذا وأمثاله على أن خبر الواحد يفيد العلم . . . ومما يدل عليه أيضاً أن السلف الصالح وأئمة الإسلام لم يزالوا يقولون: قال رسول الله ﷺ كذا وفعل كذا، وأمر بكذا ونهى عن كذا. وهذا معلوم في كلامهم بالضرورة. وفي صحيح البخاري قال رسول الله ﷺ في عدة مواضع وكثير من أحاديث الصحابة يقول فيها أحدهم قال رسول الله ﷺ، وإنما هو سمعه من صحابي غيره، وهذه شهادة من القائل وجزم على رسول الله ﷺ بالنسبة إليه من قول أو فعل، فلو كان خبر الواحد لا يفيد العلم لكان شاهداً على رسول الله بغير علم»[5].

وحاشا أصحاب رسول الله ﷺ، والبخاري ومسلم رحمهما الله وأئمة المسلمين، أن يشهدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير علم.

خامساً: جاءت الوفود إلى رسول الله ﷺ جماعات ووحدانا لتسأل عن دينها وتبلغ أقوامها إذا رجعوا إليهم. فكما أرسل الرسول ﷺ أفراداً لتبليغ الرسالة كعلي

---

(١) سورة التوبة: آية ١٢٢.

(٢) أصل الاعتقاد، لعمر الأشقر، ص ٦٣.

(٣) سورة الحجرات: ٦؛ وانظر تفسير ابن كثير ج٤، ص ١٨٤.

(٤) قراءة حمزة والكسائي، انظر فتح القدير ج٥، ص ٦٠.

(٥) مختصر الصواعق المرسلة، ص ٤٩٦ - ٤٩٧.

ومعاذ رضي الله عنهما، فقد جاء أفراد من أرجاء الجزيرة تحملوا الصعاب وأجهدوا الركاب ليقفوا على حقيقة الأمر ومصدر الخبر فيعودون حاملين الأمانة ومبلغين الرسالة إلى من بعدهم وليس بعد هذا البلاغ إلا العلم والخبر اليقين فالموفق من قبله واعتمده وقد فعلوا.

فهذا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر رسول قومه إلى محمد ﷺ كما ورد في الصحيحين وغيرهما جاء وحده وشدّد في مسألته ليتأكد بنفسه ويقف على حقيقة الرسالة، ذلك أن قومه من بعده قد ارتضوه نائباً ولخبر اليقين جالباً، فكان لقومه رسولاً إلى رسول الله ﷺ فيقبلون قوله في أعظم الأمور وأجلها ويتحقق بهذا القبول هجر الكفر والدخول في الإسلام وليس بعد هذا علم ولا بيان، فالعلم كل العلم هو الإيمان بالله وبرسوله وقد حصل هذا لمن قبل خبر ضمام وأمثاله وحققه علماً يقيناً.

فعن شريك بن عبد الله أنه سمع أنس بن مالك يقول: «بينما نحن جلوس مع النبي ﷺ في المسجد دخل رجل على جمل فأناخه في المسجد ثم عقله ثم قال لهم: أيكم محمد ـ والنبي ﷺ متكئ بين ظهرانيهم ـ فقلنا: هذا الرجل الأبيض المتكيء، فقال له الرجل: ابن عبد المطلب. فقال له النبي ﷺ قد أجبتك: فقال الرجل للنبي ﷺ: إني سائلك فمشدد عليك في المسألة، فلا تجد علي في نفسك. فقال: سل عما بدا لك. فقال: أسألك بربك ورب من قبلك آلله أرسلك إلى الناس كلهم؟ فقال: اللهم نعم. قال: أنشدك بالله، آلله أمرك أن تصلي الصلوات الخمس في اليوم والليلة؟ قال: اللهم نعم. قال أنشدك بالله، آلله أمرك أن نصوم هذا الشهر من السنة؟ قال اللهم نعم. قال: أنشدك بالله، آلله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا؟ فقال النبي ﷺ: اللهم نعم. فقال الرجل: آمنت بما جئت به. وأنا رسول من ورائي من قومي، وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر»[1]. وزاد مسلم في آخر الحديث «والذي بعثك بالحق لا أزيد عليها ولا أنقص. فقال النبي ﷺ: لئن صدق ليدخلن الجنة».

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ما جاء في العلم، ج١، ص ١٤٨. صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب أركان الإسلام، ج١، ص ١٦٩.

قال ابن حجر رحمه الله «وقد رجع ضمام إلى قومه وحده فصدقوه وآمنوا»[1].

وليس بعد هذا بيان أقوى ولا دليل أسطع في قبول خبر الآحاد وأنه يفيد العلم بل إن رسول الله ﷺ أخبر بدخوله الجنة إن هو صدق في قبوله وعمل بما أمر به واجتنب ما نهي عنه.

سادساً: قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾[2] «وقد كان رسول الله ﷺ يرسل الواحد من أصحابه يبلغ عنه فتقوم الحجة على من بلغه، وكذلك قامت حجته علينا بما بلغنا العدول الثقات من أقواله وأفعاله وسننه، ولو لم يفد العلم لم تقم علينا حجة ولا على من بلغه واحد أو اثنان أو ثلاثة أو أربعة أو دون عدد التواتر، وهذا من أبطل الباطل»[3] بل قد صح عنه ﷺ أمره بالتبليغ عنه، وذمه لمن رد ما سمعه عنه مكتفياً أما بالقرآن أو بقولهم أنه لا يفيد العلم إلا الخبر المتواتر عن رسول الله ﷺ فقال: «لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته، يأتيه الأمر من أمري يقول: لا ندري ما هذا؟ بيننا وبينكم كتاب الله، ألا وإني أوتيت الكتاب ومثله معه»[4] قال ﷺ: «نضر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها وأداها كما سمعها، فرب مبلغ أوعى من سامع»[5] والنبي ﷺ لا يأمر إلا بما تقوم به الحجة على من سمع البلاغ ووصل إليه الخبر، بل إنه حذر أولئك الذين قالوا نكتفي بالقرآن فلا نقبل خبراً ولا يحصل لنا علم إلا من كتاب الله، وهذا أوضح دليل على حصول العلم لمن وصل إليه عن طريق الثقة الحافظ، وتلك صفات أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم وقد فعلوا، وتقبلت عنهم أمة محمد ﷺ ما نقلوه عن نبيهم موقنين بصحته وأنه يفيد العلم اليقين.

سابعاً: إن الله سبحانه قد أمر عباده المؤمنين في كتابه برد ما أشكل عليهم

---

(١) شرح صحيح البخاري، ج ١، ص ١٥٣.

(٢) سورة المائدة: ٦٧.

(٣) مختصر الصواعق المرسلة ص ٤٩٨.

(٤) سبق تخريجه، ص ٥٨.

(٥) سبق تخريجه ص ٥٠.

إلى الله ورسوله في قوله تعالي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾[1] ثم بين سبحان أن مخالفة أمره سيؤدي إلى هلاك وفتن وأن مصير من أعرض عذاب شديد من الله فقال تعالى: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2] قال ابن كثير: «قال مجاهد: أي إلى كتاب الله وسنة رسوله، وهذا أمر من الله عز وجل بأن كل شيء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع في ذلك إلى الكتاب والسنة. فما حكم به الكتاب والسنة وشهدا له بالصحة فهو الحق، وماذا بعد الحق إلا الضلال»[3]. قال الشيخ الجبرين: «والرد إلى الرسول هو الرد إليه في حياته، وإلى سنته بعد موته، ولو كانت سنته تفيد الظن لم ينفصل النزاع بالرد إليها. ومن المعلوم أن أكثر أحاديث الرسولﷺ إنما رويت آحادية، ولم يزل سلف الأمة ومن تبعهم يتحاكمون إليها امتثالاً لهذا الأمر، ويجعلونها فاصلة للنزاع بينهم. ويرضون بها حكماً، ويشتد إنكارهم على من امتنع عن قبولها، ويخوفونه بالفتنة والعذاب الأليم الذي توعد الله به من خالف أمر رسولهﷺ، ولو كان أمره الوارد في هذه الأخبار لا يفيد يقيناً لكان المخالف له معذوراً عندهم، وهو خلاف الإجماع»[4].

قال ابن القيم: «فلو لا أن المردود إليه يفيد العلم وفصل النزاع لم يكن في الرد إليه فائدة، إذ كيف يرد حكم المتنازع فيه إلى ما لا يفيد علماً البتة ولا يدرى حق هو أم باطل؟ وهذا برهان قاطع بحمد الله؛ فلهذا قال من زعم أن أخبار رسول اللهﷺ لا تفيد علماً: أنا نرد ما تنازعنا فيه إلى العقول والآراء والأقيسة فإنها تفيد العلم»[5] عندهم وبزعمهم فعلى الإنسان المسلم «أن يمعن النظر ويختار لنفسه الطريق الأقوم، الذي يصل به إلى بر النجاة، هل الأسلم طريق الوحي، أم

---

(١) سورة النساء: ٥٩.

(٢) سورة النور: ٦٣.

(٣) تفسير ابن كثير ج ١، ص ٤٤٥.

(٤) أخبار الآحاد. د. عبد الله الجبرين، ص ٩٨.

(٥) مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم، ص ٥٠٠.

طريق الفلسفة العقلية التي تأخذ من فلسفة اليونان أساساً لها، ومصدراً لأصولها وقواعدها التي انطلقت منها؟! وانظر أخي المسلم، إلى ما آل إليه حال كثير من أئمة المذاهب العقلية الباطلة - في آخر حياتهم - فقد أدركوا الإفلاس، وعضوا أصابع الندم على ما فات من حياتهم في القيل والقال، الذي يهدم ولا يبني، ويفسد ولا يصلح»[1].

ثامناً: إن استجابة أصحاب رسول الله ﷺ لأمر ربهم ورسولهم في أمور حياتهم ومعاشهم وتسليمهم بذلك الخبر في تحريم الخمر وإتلاف المال، لم يشترطوا سماعاً من رسول الله ﷺ وهو على مقربة منهم أو خبر جماعة سيما وأن الأمر ليس سهلاً تركه والمال أمره عند النفس عظيم، فعن أنس بن مالك قال: «كنت أسقي أبا طلحة وأبا عبيدة بن الجراح وأُبيّ بن كعب شراباً من فضيخ[2] وتمر، فجاءهم آتٍ فقال: إن الخمر قد حرمت فقال أبو طلحة: قم يا أنس إلى هذه الجرار فاكسرها، فقمت إلى مهراس لنا، فضربتها بأسفله حتى تكسرت»[3]. قال الشافعي: «وهؤلاء في العلم والمكان من النبي ﷺ وتقدم صحبته بالموضع الذي لا ينكره عالم، وقد كان الشراب عندهم حلالاً يشربونه، فجاءهم آتٍ وأخبرهم بتحريم الخمر، فأمر أبو طلحة وهو مالك الجرار، ولم يقل هو ولاهم ولا واحد منهم: نحن على تحليلها حتى نلقى رسول الله، مع قربه منهم أو يأتينا خبر عامة، وذلك أنهم لا يهريقون حلالاً اهراقه سرف وليسوا من أهله. والحال في أنهم لا يدعون أخبار رسول الله ما فعلوا»[4]. وما كان ليقدم

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز، ص ٢٠٧ - ٢١٠.

(٢) الفضيخ: وهو البسر يصب عليه الماء ويترك حتى يغلي، شرح النووي، ج ١٧، ص ٣٧.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب الأشربة، باب تحريم الخمر، ج ١٠، ص ٣٦، ٣٧.

صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الأشربة، باب تعريف الخمر، ج ١٣، ص١٥٠

موطأ الإمام مالك، دار النفائس إعداد أحمد راتب الطبعة السادسة ١٤٠٢هـ، كتاب الأشربة، جامع تحريم الخمر، ص٦٠٩.

(٤) الرسالة للإمام الشافعي، ص ٤٠٩ - ٤١٠.

على إتلاف المال بخبر من لا يفيد خبره العلم عن رسول الله ﷺ؛ ورسول الله ﷺ إلى جنبه، فقام خبر ذلك الآتي عنده وعند من معه مقام السماع من رسول الله ﷺ. بحيث لم يشكّوا ولم يرتابوا في صدقه، والمتكلفون يقولون إن مثل ذلك الخبر لا يفيد العلم لا بقرينة ولا بغير قرينة»[(١)].

تاسعاً: شهد الله سبحانه لهذه الأمة بأنهم عدول وأنهم مبلغين شاهدين على الناس، ولما جعل الله هذه الأمة وسطاً خصها بأكمل الشرائع وأقوم المناهج وأوضح المذاهب فقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[(٢)]. فوصفهم بأنهم وسط أي عدول خيار، وبأنهم يشهدون على الناس، أي بأن الله أمرهم بكذا، وفرض كذا، وبلغهم دينهم وأزال عذرهم، «ثم هم ينقلون آثار نبيهم التي أمرهم بإثباتها، ويشهدون بكونها من دينه.. فشهادتهم بهذه الأخبار عن نبيهم توجب صدقهم اليقين بما قالوه لما عرف من عدالتهم، وتورعهم عما فيه شك وتردد»[(٣)]. فهم حجة الله على من خالف رسول الله ﷺ وزعم أنه لم يأتهم من الله ما تقوم به عليه الحجة، وتشهد هذه الأمة الوسط عليه بأن حجة الله بالرسل قامت عليه، ويشهد كل واحد بانفراده بما وصل إليه من العلم الذي كان به من أهل الشهادة، فلو كانت أحاديث رسول الله ﷺ لا تفيد العلم لم يشهد به الشاهد ولم تقم به الحجة على المشهود عليه»[(٤)].

عاشر: قال ابن حزم: «قال الله عز وجل عن نبيه ﷺ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾[(٥)] وقال تعالى آمراً لنبيه ﷺ أن يقول: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾[(٦)]

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة، لابن القيم، ص ٥٠٢.

(٢) سورة البقرة: ١٤٣.

(٣) خبر الآحاد في الحديث النبوي، للشيخ عبد الله الجبرين، ص ٩٧.

(٤) مختصر الصواعق المرسلة، لابن القيم، ص ٤٩٨.

(٥) سورة النجم الآية: ٣، ٤.

(٦) سورة الأحقاف: ٩.

وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾[1] وقال تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[2] فصح أن كلام رسول الله ﷺ كله في الدين وحي من عند الله عز وجل لا شك في ذلك، ولا خلاف بين أحد من أهل اللغة والشريعة في أن كل وحي نزل من عند الله تعالى فهو ذكر منزل، فالوحي كله محفوظ بحفظ الله تعالى له بيقين، وكل ما تكفل الله بحفظه فمضمون أن لا يضيع منه وأن لا يحرف منه شيء أبداً، تحريفاً لا يأتي البيان ببطلانه.. فصح أنه عليه السلام مأمور ببيان القرآن للناس وفي القرآن مجمل كثير كالصلاة والزكاة والحج وغير ذلك مما لا نعلم مما ألزمنا الله تعالى فيه بلفظه، لكن ببيان رسول الله ﷺ، فإذا كان بيانه عليه الصلاة والسلام لذلك المجمل غير محفوظ ولا مضمون سلامته مما ليس منه، فقد بطل الانتفاع بنص القرآن، فبطلت أكثر الشرائع المفترضة علينا فيه، ولم ندر صحيح مراد الله تعالى منها، فيما أخطأ فيه المخطئ أو تعمد فيه الكذبَ الكاذبُ ومعاذ الله من هذا»[3].

ومن المعلوم أن أحاديث السنة جاءت مكملة ومبينة للأصول المذكورة في القرآن ومفصلة لما أجمل منه ووكل إيضاحها وبيانها إلى نبيه ﷺ وأمره بإبلاغ ما أنزل إليه، ولو جاز أن يتطرق إلى هذا البيان والتفصيل والإيضاح وهماً أو خطأ أو ظناً كما زعموا لكان هذا مما ينافي مقتضى حكمة الله وشرعه الذي أخبر بكمال هذا الدين وأنه لا يقبل ديناً غيره لأن الله ختم به الأديان وأظهره عليها كما أنه أرسل محمداً ﷺ بين يدي الساعة فلا نبي ولا رسول بعده، فلا بد أن تكون سنته محفوظة لتقوم بها الحجة وتتضح المحجة.

الحادي عشر: قال ابن القيم: «إن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم كانوا يقبلون خبر الواحد ويقطعون بمضمونه؛ فقبله موسى من الذي جاء من أقصى المدينة قائلاً له: ﴿إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾[4] فجزم بخبره وخرج هارباً من المدينة. وقبل خبر بنت صاحب مدين لما قالت ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ

---

(1) سورة الحجر: ٩.

(2) سورة النحل: ٤٤

(3) الإحكام لابن حزم، ص ١٠٩ - ١١٠.

(4) سورة القصص: ٢٠.

﴿أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَاۚ﴾[1] وقبل خبر أبيها في قوله: هذه ابنتي وتزوجها، وقبل يوسف الصديق خبر الرسول الذي جاءه من عند الملك .. وقبل النبي ﷺ خبر الآحاد الذين كانوا يخبرونه بنقض عهد المعاهدين له وغزاهم بخبرهم، واستباح دماءهم وأموالهم وسبى ذراريهم. ورسل الله صلواته وسلامه عليهم لم يرتبوا على تلك الأخبار أحكامها، وهم يجوزون أن تكون كذباً وغلطاً، وكذلك الأمة لم تثبت الشرائع العامة الكلية بأخبار الآحاد، وهم يجوزون أن يكون كذباً على رسول الله ﷺ في نفس الأمر، ولم يخبروا عن الرب تبارك وتعالى في أسمائه وصفاته وأفعاله بما لا علم لهم به، بل يجوز أن يكون كذباً وخطأً في نفس الأمر، هذا مما يقطع ببطلانه كل عالم مستبصر»[2].

الثاني عشر: «إن هؤلاء المنكرين لإفادة أخبار النبي ﷺ العلم يشهدون شهادة جازمة قاطعة على أئمتهم بمذاهبهم وأقوالهم أنهم قالوا، ولو قيل لهم أنها لم تصح عنهم لأنكروا ذلك غاية الإنكار، وتعجبوا من جهة قائلة، ومعلوم أن تلك المذاهب لم يروها عنهم إلا الواحد والاثنان والثلاثة ونحوهم، لم يروها عنهم عدد التواتر وهذا معلوم يقيناً.

فكيف حصل لهم العلم الضروري والمقارب للضروري بأن أئمتهم ومن قلدوهم دينهم أفتوا بكذا، وذهبوا إلى كذا، ولم يحصل لهم العلم بما أخبر به أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وسائر الصحابة عن رسول الله ﷺ ولا بما رواه عنهم التابعون وشاع في الأمة وذاع، وتعددت طرقه وتنوعت وكان حرصهم عليه أعظم بكثير من حرص أولئك على أقوال متبوعيهم؟ إن هذا لهو العجب العجاب، وهذا وإن لم يكن نفسه دليلا فإنه يلزمهم أحد أمرين: إما أنّ يقولوا أخبار رسول الله ﷺ وفتاواه وأقضيته تفيد العلم. وإما أن يقولوا إنهم لا علم لهم بصحة شيء مما نقل عن أئمتهم وأن النقول عنهم لا تفيد علماً. فأما أن يكون ذلك مفيداً للعلم بصحته عن أئمتهم دون المنقول عن رسول الله ﷺ فهو من أبين

---

(١) سورة القصص: ٢٥.

(٢) مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم، ص ٥٠٣.

الباطل»[1]. بل إن متأخرهم يقلد المتقدم منهم في اعتقاده وأصول دينه وأعرض عن الفطرة والكتاب والسنة وإجماع سلفه الأمة، رافعين علم الإعراض عن قبول خبر الآحاد لقولهم إنه لا يفيد العلم، بل إن ذلك الأمر كان خطره على ما استحق المولى من كامل الصفات وكريم الأفعال مما يُعلم، فمنهم من نفى ومنهم من أوّل معرضين عن الثابت لله في كتابه وسنة رسوله ﷺ، حتى قال قائلهم:

«لعمري لقد طفت المعاهد كلها ... وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعاً كف حائر ... على ذقن أو قارعاً سن نادم»[2]

نعم ذلك حال من أعرض عن سنة المصطفى ﷺ بقولهم إن أحاديث الآحاد لا تفيد العلم فأنكروا ما يستحقه عظيم الصفات ومنزل الآيات، فكان «الاحتجاج بالأحاديث النبوية، وكسر طاغوت أهل التعطيل الذين قالوا: لا يحتج بكلام رسول الله ﷺ على شيء من صفات ذي الجلال والإكرام وقالوا: الأخبار قسمان، متواتر وآحاد؛ فالمتواتر إن كان قطعي السند لكنه غير قطعي الدلالة، فإن الدلالة: اللفظية لا تفيد اليقين، وبهذا قدحوا في دلالة القرآن على الصفات، والآحاد لا تفيد العلم، فسدوا على القلوب معرفة الرب تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله من جهة الرسول ﷺ، وأحالوا الناس على قضايا وهمية ومقدمات خيالية، سموها قواطع عقلية، وبراهين نقلية وهي في التحقيق ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[3][4].

وأخيراً يتضح أن خبر الآحاد الصحيح يفيد العلم اليقين وخير من قبله حجة محمد رسول الله ﷺ بل والرسل عليهم صلوات الله وسلامه من قبل. ثم أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون ثم أئمة أهل السنة والجماعة كالإمام الشافعي والإمام

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة، لابن القيم ص ٤٩٩.

(٢) نهاية الإقدام في علم الكلام لعبد الكريم الشهرستاني، حرره وصححه الفرد جيوم، مكتبة المتنبي، القاهرة ص ٣.

(٣) سورة النور ٣٩.

(٤) مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم ص ٤٥٤.

أحمد وجمهور أهل السنة إلى يومنا هذا. وقد قرر هذا وحرره شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم وابن الصلاح، وقد سبقهم الإمام البخاري في صحيحه حيث قال: «كتاب أخبار الآحاد، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق .. وكيف بعث النبي ﷺ امراءه واحداً بعد واحد فإن سها أحد منهم رُدّ إلى السنة»[١] وكذلك الإمام مسلم في صحيحه حيث قال: «فدل بما ذكرنا من هذه الآي أن خبر الفاسق ساقط غير مقبول وأن شهادة غير العدل مردودة .. وإذا كان خبر الفاسق غير مقبول عند أهل العلم كما أن شهادته مردودة عند جميعهم ودلت السنة على نفي رواية المنكر من الأخبار فإن هذا يعني قبول خبر الواحد العدل وأنه يفيد العلم ويجب العمل به وقال النووي وهذا دليل على القول بوجوب العمل بخبر الواحد»[٢].

ثم قال ابن القيم: «واعلم أن جمهور أحاديث البخاري ومسلم من هذا الباب كما ذكره الشيخ أبو عمرو بن الصلاح ومن قبله من العلماء؛ فإن ما تلقاه أهل الحديث وعلماؤه بالقبول والتصديق فهو محصل للعلم مفيد لليقين؛ ولا عبرة بمن عداهم من المتكلمين والأصوليين»[٣].

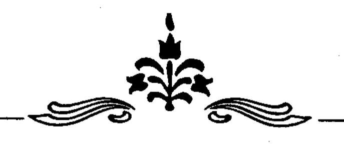
وهنا تضافرت الأدلة وأقوال علماء الأمة على أن خبر الآحاد الصحيح يفيد العلم اليقين ويستدل به في مسائل العقيدة وعليه مدار الحجة وظهور المحجة البيضاء. التي ارتضاها نبينا محمد ﷺ لأمته من بعده وحتى قيام الساعة.

---

(١) فتح الباري ج١٣، ص ٢٣١.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، ج١، ص ٦١، ٦٢.

(٣) مختصر الصواعق المرسلة، لابن القيم، ص ٤٨٣.



الفصل الثاني

من يرى أن خبر الآحاد يفيد الظنّ ولا يفيد العلم مطلقاً والرد عليهم

وفيه:

- **تمهيد**
- **الرد على شبه القائلين بالظنّ في خبر الآحاد.**
- **تأثر بعض علماء الحديث بالقول بأن خبر الآحاد يفيد الظنّ والرد عليهم.**

******



تمهيد

حين اعتمد أصحاب علم الكلام المنهج العقلي في تقرير مسائل العقيدة والذي يتعارض مع ما قرره الشارع، حينئذ لم تعجزهم الحيلة في ردهم النصوص الثابتة من القرآن الكريم والسنة الصحيحة. فقالت «الجهمية والمعطلة والمعتزلة والرافضة: الأخبار قسمان: متواتر وآحاد، فالمتواتر وإن كان قطعي السند لكنه غير قطعي الدلالة، فإن الأدلة اللفظية لا تفيد اليقين !! ولهذا قدحوا في دلالة القرآن على الصفات !. قالوا والآحاد لا تفيد العلم، ولا يحتج بها من جهة طريقها ولا من جهة متنها ! فسدوا على القلوب معرفة الرب تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله من جهة الرسول، وأحالوا الناس على قضايا وهمية ومقدمات خيالية ... ومن العجب أن قدموها على نصوص الوحي، وعزلوا لأجلها النصوص، فأقفرت قلوبهم من الاهتداء بالنصوص، ولم يظفروا بالعقول الصحيحة المؤيدة بالفطرة السليمة والنصوص النبوية. ولو حكموا نصوص الوحي لفازوا بالمعقول الصحيح الموافق للفطرة السليمة والنصوص النبوية. ولو حكموا نصوص الوحي لفازوا بالمعقول الصحيح الموافق للفطرة السليمة»[1].

وقد كان لهم ما أرادوا فقد سلطوا طاغوت التأويل والمجاز وقولهم إذا تعارض العقل والنقل وجب تقديم العقل، على كتاب الله والمتواتر في قولهم - من سنة المصطفى ﷺ، أما الآحاد فقد رموه بفرية إفادته الظنّ ولا قبول له حينئذ

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي حققها جماعة من العلماء وخرج أحاديثها محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي ١٤٠٨ ط الثانية، ص ٣٥٤.

عندهم في إثبات العلم وهذا تحكم من جانبهم أملاه عليهم تقديس منطقهم والتسليم لمقدماتهم وتخرصهم وظنونهم.

قال ابن القيم رحمه الله: «والحال في هؤلاء المبتدعة الذين فضلوا طريقة الخلف على طريقة السلف حيث ظنّوا أنّ طريقة السلف مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه ولا فهم لمراد الله ورسوله منها واعتقدوا أنهم بمنزلة الأميين الذي قال الله فيهم ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾[1]. وأن طريقة المتأخرين هي استخراج معاني النصوص، وصرفها عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات ومستكرهات التأويلات، فهذا الظن الفاسد أوجب تلك المقالة التي مضمونها نبذ الكتاب والسنة، وأقوال الصحابة والتابعين وراء ظهورهم، فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف والكذب عليهم، وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف .. فصار هذا الباطل مركباً من فساد العقل والجهل بالسمع، فإن النفي والتعطيل إنما اعتمدوا فيه على شبهات فاسدة ظنّوها معقولات، وحرفوا لها النصوص السمعية عن مواضعها، فلما ابتنى أمرهم على هاتين المقدمتين الكاذبتين كانت النتيجة استجهال السابقين الذي هم أعلم الأمة بالله وصفاته، واعتقادهم أنهم كانوا أميين بمنزلة الصالحين البله الذين لم يتبحروا في حقائق العلم بالله، وأن الخلف هم العلماء الذين أحرزوا قصبات السبق»[2] بل إنها قصبات السبق في البدعة والضلال حيث «أقروا على أنفسهم بما قالوه متمثلين به، أو منشئين له فيما صنفوه من كتبهم مثل قول بعض رؤسائهم.

نهاية إقدام العقول عقال ... وأكثر سعى العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشه من جسومنا ... وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

ويقول الآخر منهم: أكثر الناس شكاً عند الموت أصحاب الكلام.

ثم إذا حقق عليهم الأمر لم يوجد عندهم من حقيقة العلم وخالص المعرفة

(١) سورة البقرة: ٧٨.

(٢) مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم، ص ٧، ٨.

به خبر ولا وقعوا من ذلك على عين ولا أثر»[١].

وقال ابن حزم: «قال الحنفيون والشافعيون وجمهور المالكية وجميع المعتزلة والخوارج: إن خبر الواحد لا يوجب العلم، ومعنى هذا عند جميعهم أنه قد يمكن أن يكون كذباً أو موهوماً فيه، واتفقوا كلهم في هذا. وقال سائر من ذكرنا أنه يوجب العمل ـ وحيث إن الأحناف ما تريدية العقيدة والشافعيين والمالكيين أشاعرة العقيدة في الغالب فإنهم جميعاً من أصحاب أهل الكلام الذين قالوا بذلك وإن انتسبوا لأصحاب المذاهب. ـ ثم أورد ابن حزم القائلين بأن خبر الواحد العدل عن مثله إلى رسول الله ﷺ يوجب العلم والعمل معاً ثم قال ـ وبهذا نقول»[٢].

وكان عبد القاهر البغدادي المتكلم ت (٤٢٩هـ) من أوائل من قرر أقوال أصحابه فقال: «فإن تواتر النقل في شيء وطريق العلم به الاستدلال والنظر وطريق النقل فيه شبهة، فإن التواتر لا يوجب علماً» ثم قال: «أما السنة المتواترة فإنها خاصة بمعرفة أعداد الصلوات المفروضة وأعداد ركعاتها.. أما أخبار الآحاد فإنها توجب العمل دون العلم».

وقد نقل اعتقاد أصحابه في الاستدلال على الله وصفاته وتوحيده بالعقل فقال: «قال أصحابنا إن العقول تدل على حدوث العالم وتوحيد صانعه وقدمه وصفاته الأزلية وعلى جواز إرساله الرسل إلى عباده وعلى جواز تكليفه عباده ما شاء وفيها دلالة على حجة جواز كل ما يصح حدوثه وعلى استحالة كل ما يستحيل كونه؟ ثم قال: وكل قول لا يصح معه الاستدلال على حدوث الأجسام وعلى حدوث الجواهر فهو فاسد».

ثم خصص البغدادي المعلوم بالشرع فقال: «أما المعلوم بالشرع فكالعلم بالحلال والحرام والواجب والمسنون والمكروه وسائر أحكام الفقه»[٣].

---

(١) مجموعة الرسائل الكبرى لان تيمية، دار إحياء التراث العربي ببيروت، ج١، ص ٤٢٨.

(٢) الإحكام في أصول الأحكام لأبي محمد بن حزم الظاهري، تحقيق محمود عثمان، دار الحديث القاهرة ١٤١٩هـ، ج١، ص ١٦٣.

(٣) أصول الدين للبغدادي مطبعة مدرسة الإلهيات التركية، استنابول ١٣٤٦هـ، ص ٣، ١٤،٢٢، ٢٤، ٢٠٢.

وبهذا يقرر البغدادي في أوائل القرن الخامس عقيدة أصحابه في الاستدلال على الله بالعقل، أما السمع فقد حُدِّد دوره في العلم بالحلال والحرام والواجب والمسنون .. فيتضح مما سبق أنه:

١ - إذا جاء التواتر بشيء يعلم عندهم بالنظر والاستدلال وتعارض مع استدلالهم فإنه لا يؤخذ بالتواتر لأنه لا يوجب عندهم علماً.

٢ - لا شك أن ذلك التواتر قد اعترته الشبهة عندهم وهم لا يأخذون إلا باليقين في العلم الناتج عن الاستدلال بالعقل عندهم، فهو ظنّي في نظرهم لأنه تعارض مع مسلّماتهم ومقدماتهم المنطقية.

٣ - إن اعتمادهم على دليل الحدوث لإثبات وجود الله قد أدى بهم إلى الطعن في النصوص بالظنّية والشبهة إذا تعارضت مع استدلالهم ودليلهم في معرفة ربهم ومولاهم.

؛ كيف وقد عدّوا نزول الله اللائق بجلاله حدوثاً، ومجيئه يوم القيامة عرضاً، وإثبات يدٍ ووجهٍ وساقٍ وعين أبعاضاً، بل إنهم عدوا ضحكه وغضبه وعجبه آفاتاً. وبذلك صرفوا النصوص عن مرادها، حيث قالوا إن المتواتر لا يوجب العلم إذا تطرقت إليه الشبهة عندهم! وقالوا إن الآحاد يوجب العمل دون العلم، وهذه الأقوال وغيرها منتشرة مقررة في كتبهم وأصولهم.

قال الشاطبي رحمه الله داحضاً فساد هذا الرأي: «وليس الأمر كما زعموا، فالعقل غير مستقل البتة، ولا ينبني على غير أصل، وإنما يبنى على أصل متقدم مسلّم على الإطلاق .. فعلى الجملة: العقول لا تستقل بإدراك مصالحها دون الوحي فالابتداع مضاد لهذا الأصل»[1].

أما فخر الدين الرازي المتوفى سنة٦٠٦هـ صاحب القانون الكلي حين يتعارض النص مع استدلال العقل عندهم، فقد انتهى في قانونه[2]. إلى قوله:

---

(١) الاعتصام للشاطبي، تحقيق سليم الهلالي. دار ابن عفان، الخبر ١٤١٢هـ. ص ٦٣.

(٢) سيأتي بيان هذا القانون عند الرازي ص (٩٣).

«ولما بطلت الأقسام الأربعة لم يبق إلا أن يقطع بمقتضى الدلائل العقلية القاطعة بأن هذه الدلائل النقلية إما أن يقال أنها غير صحيحة أو يقال إنها صحيحة إلا أن المراد منها غير ظاهرها: ثم إن جوّزنا التأويل اشتغلنا على سبيل التبرع بذكر تلك التأويلات على التفصيل وأن لم يجز التأويل فوضنا العلم بها إلى الله تعالى فهذا هو القانون الكلي المرجوع إليه في جميع المتشابهات»[١].

ثم قال في أساس تقديسه: «الفصل الحادي والثلاثون في كلام كلي في أخبار الآحاد» فنقول: «أما التمسك بخبر الواحد في معرفة الله فغير جائز يدل عليه وجوه»:

الأول: إن أخبار الآحاد مظنونة فلم يجز التمسك بها في معرفة الله تعالى وصفاته وأنما قلنا أنها مظنونة وذلك لأنا أجمعنا على أن الرواة ليسوا معصومين .. وإذا لم يكونوا معصومين كان الخطأ عليهم جائزاً والكذب عليهم جائزاً فحينئذ لا يكون صدقهم معلوماً بل مظنوناً. فتُرك العمل بهذه العمومات في فروع الشريعة لأن المطلوب فيها هو الظنّ.

الثاني: إن أجلّ طبقات الرواة قدراً وأعلاهم منصباً الصحابة رضي الله عنهم ثم أنا نعلم أن روايتهم لا تفيد القطع واليقين والدليل عليه أن هؤلاء المحدثين رووا عنهم أن كل واحد منهم طعن في الآخر ونسبه إلى ما لا ينبغي .. إلا أنا قلنا أن الله تعالى أثنى على الصحابة رضي الله عنهم في القرآن على سبيل العموم وذلك يفيد ظنّ الصدق فلهذا الترجيح قبلنا روايتهم في فروع الشريعة أما الكلام في ذات الله وصفاته فكيف يمكن بناؤه على هذه الرواية الضعيفة!؟.

الثالث: وهو أنه اشتهر فيما بين الأمة أن جماعة من الملاحدة وضعوا أخباراً منكرة واحتالوا في ترويجها على المحدثين، والمحدثون لسلامة قلوبهم ما عرفوها بل قبلوها وأي منكر فوق وصف الله تعالى بما يقدح في

---

(١) كتاب أساس التقديس لفخر الدين الرازي، مطبعة كردستان العلمية ١٣٢٨هـ، ص ٢١٠.

الإلهية ويبطل الربوبية فوجب القطع في أمثال هذه الأخبار بأنها موضوعة.

الرابع: إن هؤلاء المحدثين يجرحون الروايات بأقل العلل فإن كان مائلا إلي حب علي فهو رافضياً فلا تقبل روايته، وإن كان قدرياً قائلاً بالقدر فلا تقبل روايته.أفما كان منهم عاقل يقول إنه وصف الله تعالى بما يبطل إلهيته وربوبيته؟ إن هذا من العجائب ! ـ يقصد صفات العلو والاستواء واليد والوجه. . !.

الخامس: إن الرواة الذين سمعوا هذه الأخبار من الرسول ﷺ ما كتبوها عن لفظ الرسول بل سمعوا شيئاً في مجلس ثم أنهم رووا تلك الأشياء بعد عشرين سنة أو أكثر فلا يمكنه رواية تلك الألفاظ بأعينها وهذا كالمعلوم بالضرورة. . ـ ثم قال ـ واعلم أن هذا الباب كثير الكلام وأن القدر الذي أوردناه كافٍ في بيان أنه لا يجوز التمسك في أصل الدين بأخبار الآحاد»[١].

ورحم الله الرازي الذي أجهز على قانونه وتنظيراته بنفسه قبل أن يموت قائلاً: «لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، أقرأ في الإثبات ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾[٢]، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾[٣] وأقرأ في النفي «﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[٤] .﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾[٥] ثم قال: ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي»[٦].

---

(١) كتاب أساس التقديس للرازي، ص ٢٠٤ إلى ٢١٠.

(٢) سورة طه آية: ٥.

(٣) سورة فاطر: ١٠.

(٤) سورة الشورى: ١١.

(٥) سورة طه: ١١٠.

(٦) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز، تحقيق شعيب الأرناؤوط، ص ١٧٠.

ومن العجيب أن أصحابه لا يعتمدون قوله في عودته. بل إنهم يعتمدون أقواله في مؤلفاته، وإنما الأعمال بالنيات والعبرة بالخواتيم، وأما تراثه في الكلام والمنطق وغيرهما فسيبقى معتداً به عند أصحابه ما بقوا وبقيت فرقهم الكلامية، ونزاعهم مع النصوص والآثار الشرعية.

ويقول صاحب المواقف في علم الكلام الإيجي (٧٥٦هـ): «إنما يتوقف عليه النقل مثل وجود الصانع ونبوة محمد؛ فهذا لا يثبت إلا بالعقل إذ لوثبت بالنقل لزم الدور.. والدلائل النقلية لا تفيد اليقين إلا إذا عدم المعارض العقلي، إذ لو وجد لقدم على الدليل النقلي قطعاً، إذ لا يمكن العمل بهما ولا بنقيضهما، وتقديم النقل على العقل إبطال للأصل بالفرع وفيه إبطال الفرع، وإذا أدى إثبات الشيء إلى إبطاله كان مناقضاً لنفسه فكان باطلاً، لكن عدم المعارض العقلي غير يقيني إذ الغاية عدم الوجدان وهذا لا يفيد القطع الجازم بعدم الوجود فقد تحقق أن دلالتها تتوقف على أمور ظنّية فتكون ظنّية لأن الفرع لا يزيد على الأصل في القوة .. ـ ثم يقول ـ والحق أنها قد تفيد اليقين بقرائن مشاهدة أو متواترة تدل على انتفاء الاحتمالات نعم في إفادتها اليقين في العقليات نظر؛ لأنه مبنى على أنه هل يحصل بمجردها الجزم بعدم المعارض العقلي؟ وهل للقرينة مدخل في ذلك. وهما ما لا يمكن الجزم بأحد طرفيه»[1].

وبهذا يتفق صاحبا المواقف وأساس التقديس في القول بتقديم العقل على النقل في إفادة اليقين وقد بين الرازي في قانونه الكلّي «أن البراهين العقلية إذا صارت معارضة بالظواهر النقلية .. فهناك لا يخلو الحال من أحد أمور أربعة: ـ

١ ـ أما أن يصدق مقتضى العقل والنقل فيلزم تصديق النقيضين وهو محال.

٢ ـ وأما أن يبطل فيلزم تكذيب النقيضين وهو محال.

٣ ـ وأما أن يصدق الظواهر النقلية ويكذب الظواهر العقلية وذلك باطل، لأنه لا يمكننا أن نعرف صحة الظواهر النقلية إلا إذا عرفنا بالدلائل العقلية

---

(١) المواقف في علم الكلام لعبد الرحمن الإيجي. مكتبة المتنبي، القاهرة، ص ٣٩، ٤٠.

إثبات الصانع وصفاته وكيفية دلائل المعجزة على صدق الرسول ﷺ.

٤ - ولو جوّزنا القدح في الدلائل العقلية القطعية صار العقل متهماً غير مقبول القول فثبت أن القدح في العقل لتصحيح النقل يفضي إلى القدح في النقل والعقل معاً وأنه باطل.

ولما بطلت الأقسام الأربعة لم يبق إلا أن يقطع بمقتضى الدلائل العقلية القاطعة بأن هذه الدلائل النقلية إما أن يقال أنها غير صحيحة أو يقال أنها صحيحة إلا أن المراد منها غير ظاهرها ..»(١).

فالنقل لا يفيد اليقين، والعقل مقدم على النقل وأحاديث الآحاد سبيلها الظنّ وهذا نتيجة «الشبه التي خدع بها الفلاسفة المعتزلة ثم خدع بها المعتزلة متكلمة الأشاعرة ثم انتشرت بعد ذلك في كتب الأصول بدع كثيرة مبنية على هذه الشبه منها:

١ - تضعيف الأدلة النقلية ووصفها بالظنّية بحيث لا يستدل بها على سبيل التأكيد.

٢ - إن أخبار الآحاد لا تفيد إلا الظنّ.

٣ - تقديم حكم العقل على النص.

٤ - القول بأن الفقه من باب الظنّيات كما فعل الرازي ..»(٢).

والحاصل أن قولهم إن العقل مقدم على النقل غير صحيح «ولهذا كان من المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام أنه يجب على الخلق الإيمان بالرسول إيماناً مطلقاً جازماً عاماً: بتصديقه في كل ما أخبر، وطاعته في كل ما أوجب وأمر، وأن كل ما عارض ذلك فهو باطل، وأنّ من قال يجب تصديق ما أدركته بعقلي وردّ ما جاء به الرسول لرأيي وعقلي، وتقديم عقلي على ما أخبر به الرسول مع

---

(١) كتاب أساس التقديس للرزاي، ص ٢١٠، ٢١١.

(٢) الثبات والشمول في الشريعة الإسلامية د. عابد السفياني، مكتبة المنارة، مكة المكرمة ١٤٠٨هـ، ص ١٩٣، ١٩٤.

تصديقي بأن الرسول صادق فيما أخبر به فهو متناقض فاسد العقلِ . . .»[1] و«إذا تعارض الشرع والعقل وجب تقديم الشرع، لأن العقل مصدق للشرع في كل ما أخبر به، والشرع لم يصدق العقل في كل ما أخبر به ولا العلم بصدقه موقوف على كل ما يخبر به العقل»[2].

وإتماماً لأقوال من يرى أن خبر الآحاد يفيد الظنّ أنقل ما أورده الشيخ محمود شلتوت في كتابه الإسلام عقيدة وشريعة حيث قال: «وأما دعوى علم اليقين ـ يريد في أحاديث الآحاد ـ فباطلة بلا شبهة لأن العيان يرده؛ وهذا لأن خبر الواحد محتمل لا محالة، ولا يقين مع الاحتمال، ومن أنكر هذا فقد سفه نفسه وأضل عقله .. ثم قال ـ وخبر الواحد لمّا لم يفد اليقين لا يكون حجة فيما يرجع إلى الاعتقاد لأنه مبني على اليقين وإنما كان حجة فيما قصد فيه العمل. ـ ثم قال ـ

وقال الغزالي: خبر الواحد لا يفيد العلم وهو ـ أي عدم إفادته العلم ـ معلوم بالضرورة. وما نُقل عن المحدثين من أنه يوجب العلم فلعلهم أرادوا أنه يفيد العلم بوجوب العمل إذ يسمى الظنّ علماً، ولذا قال بعضهم: خبر الآحاد يورث العلم الظاهر، والعلم ليس له ظاهر وباطن وإنما هو الظنّ.

وقال الأسنوي: وأما السنة فالآحاد منها لا يفيد إلا الظنّ .. وقال: إن رواية الآحاد إن أفادت فإنما تفيد الظنّ، والشارع إنما أجاز الظنّ في المسائل العملية وهي الفروع دون العلمية كقواعد أصول الدين.

ـ ثم يقول الشيخ ـ وهكذا نجد نصوص العلماء من متكلمين وأصوليين مجتمعة على أن خبر الآحاد لا يفيد اليقين، فلا تثبت به العقيدة، ونجد المحققين من العلماء يصفون ذلك بأنه ضروري لا يصح أن ينازع أحد في شيء منه[3].

---

(١) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠١هـ، ج ١، ص ١٨٩.

(٢) نفس المصدر، ج ١، ص ١٣٨.

(٣) انظر الإسلام عقيدة وشريعة للشيخ محمود شلتوت دار الشروق القاهرة، الطبعة ١٧، سنة ١٤١٦هـ، ص ٥٩، ٦٠.

وقال الشيخ: «إذا روى الخبر واحد، أو عدد يسير ولو في بعض طبقاته، فإنه لا يكون متواتراً مقطوعاً بنسبته إلى رسول الله ﷺ، وإنما يكون أحادياً في اتصاله بالرسول شبهة، فلا يفيد اليقين.

إلى هذا ذهب أهل العلم ومنهم الأئمة الأربعة: مالك وأبو حنيفة والشافعي وأحمد في إحدى الروايتين عنه، وقد جاء في الرواية الأخرى خلاف ذلك»(١) وقد غلط هؤلاء فالأئمة الأربعة لم يفرقوا بين الأخبار وإنما غايتهم ومطلبهم الصحيح، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما القسم الثاني من الأخبار فهو ما لا يرويه إلا الواحد العدل ونحوه، ولم يتواتر لفظه ولا معناه، ولكن تلقته الأمة بالقبول عملاً به وتصديقاً له.. فهذا يفيد العلم اليقيني عند جماهير أمة محمد ﷺ من الأولين والآخرين.

أما سلف الأمة فلم يكن بينهم نزاع، فهذا مذهب الفقهاء الكبار من أصحاب الأئمة الأربعة، والمسألة منقولة في كتب الحنفية، والمالكية والشافعية والحنبلية.. وإنما نازع في ذلك طائفة كالباقلاني ومن تبعه.. وقد ذكر أبو عمرو بن الصلاح القول الأول وصححه واختاره.. وجميع أهل الحديث على ما ذكر الشيخ أبو عمرو(٢)، والحجة على قول الجمهور»(٣)

الردّ على شبه القائلين بالظنّ في خبر الآحاد

اعتمد أهل الظن والشك في أخبار الآحاد شبهاً عقلية قطعية في نظرهم وذلك على عدم قبول خبر الآحاد وأنه لا يفيد العلم، ولم يوردوا نصاً من السمع

---

(١) نفس المصدر ص ٥٩.

(٢) أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري ابن الصلاح توفي سنة ٦٤٣هـ صاحب كتاب علوم الحديث المشتهر بمقدمة ابن الصلاح ولكثرة جمعه وتحريره انتشر واشتهر فعكف عليه العلماء بالدرس والاختصار والشرح والنظم والمعارضة والانتصار وأصبح العمدة لمن جاء بعده، سلفي الجملة صحيح النحلة. إمام ورع. سير أعلام النبلاء ج ٢٢٣، ص ١٤٠.

(٣) مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم، ص ٤٨١، ٤٨٢.

يفيد أن خبر الواحد الثقة لا يفيد العلم. ومن هنا سنورد شبههم مع الرد عليها بإذن الله:

أولاً: قالوا إن أخبار الآحاد مظنونة لأن رواتها ليسوا معصومين فجاز الخطأ عليهم والكذب فلا يكون صدقهم معلوماً بل مظنوناً.

فالجواب عليه: بأنه«لو جاز أن يكون ما نقله الثقات اللذين افترض الله علينا قبول نقلهم والعمل به، والقول بأنه سنة الله تعالى وبيان نبيه عليه الصلاة والسلام، يمكن في شيء منه التحويل والتبديل، لكان إخبار الله تعالى بأنه لا يوجد لهما تبديل ولا تحويل كذباً، ولكانت كلماته كذباً، وهذا ما لا يجيزه مسلم أصلاً، فصح يقيناً لا شك فيه أن كل سنة سنها الله تعالى من الدين لرسوله ﷺ، وسنها رسوله عليه الصلاة والسلام لأمته، فإنها لا يمكن في شيء منها تبديل ولا تحويل أبداً، وهذا يوجب أن نقل الثقات في الدين يوجب العلم بأنه حق.

فإن قالوا: فإنه يلزمكم أن تقولوا إن نقلة الأخبار الشرعية التي قالها رسول الله ﷺ معصومون في نقلها، وإن كل واحد منهم معصوم في نقله من تعمد الكذب ووقوع الوهم منه. قلنا لهم: نعم هكذا نقول، وبهذا نقطع ونبت وكل عدل روى خبراً قاله رسول الله ﷺ في الدين أو فعله عليه الصلاة والسلام، فذلك الراوي معصوم من تعمد الكذب مقطوع بذلك عند الله تعالى.. فالعصمة واجبة في التبليغ للديانة باقية مضمونة ولا بد إلى يوم القيامة. كما كانت قائمة عن الصحابة رضوان الله عليهم سواء بسواء. ومن أنكر هذا فقد قطع بأن الحجة علينا في الدين غير قائمة والحجة لا تقوم بما لا يدرى أحق هو أم باطل كذب»[1].

بل إن رسول الله ﷺ قد أغلظ القول لمن تعمّد الكذب وأصبح ذلك مشهوراً معلوماً للأمة فكيف بحملة حديثه ﷺ وهم علماء الأمة وورثة العلم والأنبياء «وليس ببدع أن يجعل الله في خلقه من يقرب القول بعصمته من تعمد الكذب، ومن السهو الكثير في التحمل والأداء لواجبات الدين، كي تقوم حجة الله على خلقه، ويحصل الأمن من التعبد لله بخطأ.

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم، ج١، ص ١٧١ -١٧٢ - ١٧٤.

فرواة الأخبار التي تلقتها الأمة بالقبول، يلزم من تخطئتهم عدم قيام حجة الله على من لم يشاهد الرسول، وذلك مما ينافي حكمة الله»[1].

ومن المعلوم أن تلك الأخبار التي تلقتها الأمة بالقبول كانت لها ضوابط وشروط عند المحدثين مما يستحيل معها اختراقها بالضعيف والموضوع وغيرهما، وذلك لأن الله تولى حفظ هذا الدين وهيأ الله سبحانه علماء أكفاء على مر العصور لإبطال انتحال المنتحلين وتحريف الغالين، وكان منهم رجال الحديث الذين ذبوا عن سنة رسول الله ﷺ ما ليس منها ومن ذلك حدّ الحديث الصحيح وهو «ما اتصل سنده بالعدول الضابطين من غير شذوذ ولا علة، أي بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط من أول السند إلى منتهاه»[2].

ثانياً: قالوا إن الصحابة رضي الله عنهم قد طعن بعضهم في الآخر فلا تفيد روايتهم اليقين ولأن الله قد عدلهم فتقبل روايتهم في فروع الشريعة:

فيجاب عليهم بما يلي:

١ ـ أثبت هؤلاء عدالة الصحابة وأن الله قد عدلهم ـ كما قال به الرازي ـ وإذا كان الله قد عدلهم فليس لبشر مهما كان انتقاصهم وإلا كان معارضاً لربه وأما ما حصل فيما بينهم فإنها طبيعة بشرية ثبت بالاستقراء في مجمل أحوالهم رضي الله عنهم توبتهم وتحللهم من بعضهم.

٢ ـ إن قولهم بقبول روايتهم في فروع الشريعة وردّها في أصول الشريعة والدين تحكم منهم لم يقم عليه دليل، بل إن هذا هو القول على الله بلا علم. ونحن مطالبون في ديننا بالعمل بالدليل الصحيح فكيف وقد قال الرازي: «أما الكلام في ذات الله وصفاته فكيف يمكن بناؤه على هذه الرواية الضعيفة»[3] يقصد رواية الصحابي عن الرسول ﷺ، فكيف تقبل في أمور الشريعة مع ضعفها؟! لعله التخبط!.

---

(١) أخبار الآحاد للشيخ عبد الله الجبرين، ص ١١٠.

(٢) تدريب الراوي للسيوطي، ص ٦٣.

(٣) أساس التقديس، ص ٢٠٧.

٣ - إنه عمم قوله في الصحابة رضي الله عنهم فلو وجد منهم جدلاً من استحق القول بتضعيفه في نظره هو فلماذا يحكم بضعف روايتهم جميعاً؟!.

٤ - «لو فرضنا أنك أيها الظنيّ سمعت أبا بكر الصديق أو عمر أو عثمان أو علياً أو أي واحد من الصحابة يروي لك حديثاً عن النبي ﷺ في جواز رؤية الله في الدار الآخرة، وإثبات القدر، وسؤال القبر، والوقوف في المحشر، وأحوال الجنة ونعيمها.. وهو في قمة الأمانة والصدق والضبط والحفظ والعدالة، أكنت تشك في خبره عن النبي ﷺ؟.. فالراوي صحابي وقد سبق وصفه، والمروي حديث الرسول ﷺ وقد ثبت وصح عنه يقينا، وصدق الراوي وعدالته ثبتا بالتواتر، فأستحال كذبه على الرسول، فبقي أن الخلل في المتلقي، لأن جهاز الاستقبال عنده فيه عطب يجب إصلاحه، إذ هذا منه مخالفة لما عليه العقلاء. أما الحديث فهو مفيد للعمل يقيناً، وإذا لم يستفد منه فقد استفاد غيره»[1].

٥ - إنهم يشاركون الشيعة في قولهم بالطعن في عدالة الصحابة رضي الله عنهم، وأنها لا تقبل روايتهم عندهم. أما حكم الشيعة على الصحابة فهو معلوم عند عموم الأمة وهذا ما لا يقول به هؤلاء المتكلمون، بل إن عامة الأمة يجلون أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم.

ثالثاً: قالوا إن الوضّاعين قد روجوا أحاديث موضوعة وأن المحدثين لسلامة قلوبهم ما عرفوها بل قبلوها.

ويجاب عليهم بما قاله أبو المظفر السمعاني[2]ونقله ابن القيم في مختصر الصواعق المرسلة:

---

(١) خبر الواحد في التشريع الإسلامي لأبي عبد الرحمن القاضي برهون، أضواء السلف، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ، ج٢، ص ٣٥٥، ٣٥٦.

(٢) الإمام منصور بن محمد بن عبد الجبار التميمي المروزي، تفقه على يد والده وغيره وكان إمام وقته في مذهب أبي حنيفة ثم حج فظهر له ما اقتضى انتقاله إلى مذهب الشافعي ولما عاد إلى مرو لقي أذى عظيماً وصنف في الرد على المخالفين وله تفسير حسن توفي ٤٨٩هـ. شذرات الذهب ج ٣، ص ٣٩٣.

قال أبو المظفر»: فإن قالوا: قد كثرت الآثار في أيدي الناس، واختلطت عليهم قلنا: ما اختلطت إلا على الجاهلين بها. فأما العلماء بها فإنهم لينتقدونها انتقاد الجهابذة الدراهم والدنانير، فيميزون زيوفها، ويأخذون خيارها، ولئن دخل في أغمار الرواة من وسم بالغلط في الأحاديث، فلا يروج ذلك على جهابذة أصحاب الحديث وورثة العلماء، حتى أنهم عدوا أغاليط من غلط في الأسانيد والمتون، بل تراهم يعدون على كل واحد منهم: كم في حديث غلط، وفي كل حرف حرّف، وما ذا صحف، فإذا لم تروج عليهم أغاليط الرواة في الأسانيد والمتون والحروف فكيف يروج عليهم وضع الزنادقة وتوليدهم الأحاديث التي يرويها الناس، حتى خفيت على أهلها، وهو قول بعض الملاحدة، ولا يقول هذا إلا جاهل ضال مبتدع كذاب، يريد أن يهجّن بهذه الدعوة الكاذبة صحاح أحاديث النبي ﷺ وآثاره الصادقة»[1].

رابعاً: قالوا إن المحدثين يجرحون الأحاديث بأقل العلل، فلا تقبل رواية من اتهم بالرفض أو القدر:

والجواب: إن هذا مخالف لما أجمعت عليه الأمة في عدم قبول الحديث إلا بالضوابط المعلومة لعلمائها منذ القرن الأول فهذا الإمام الشافعي رحمه الله في القرن الثاني واضعاً ضوابط القبول لخبر الخاصة وهو خبر الآحاد فيقول: «ولا تقوم الحجة بخبر الخاصة حتى يجمع أموراً منها: أن يكون من حدّث به ثقة في دينه، معروفاً بالصدق في حديثه، عاقلاً لما يحدث به، عالماً بما يحيل معاني الحديث من اللفظ، و أن يكون ممن يؤدي الحديث بحروفه كما سمع، لا يحدث به على المعنى، لأنه إذا حدث به على المعنى وهو غير عالم بما يحيل معناه: لم يدر لعله يحيل الحلال إلى الحرام. وإذا أداه بحروفه فلم يبق وجه يخاف فيه إحالته الحديث، حافظاً أن حدث من حفظه، حافظاً لكتابه إن حدث من كتابه.. ويكون هذا من فوقه ممن حدث عنه، حتى ينتهي بالحديث موصولاً إلى النبي أو إلى من انتهى به إليه دونه، لأن كل واحد منهم مثبت لمن حدثه، وثبت على من حدّث عنه»[2].

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم، ص ٥٠٧، ٥٠٨.

(٢) الرسالة للإمام الشافعي، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢.

خامساً: قالوا إن الرواة الذين سمعوا الأخبار من رسول الله ﷺ ما كتبوها عن لفظ الرسول بل سمعوها ثم رووها بعد عشرين سنة أو أكثر فلا يمكن رواية تلك الألفاظ بعينها:

ويجاب عليهم: بأن «حجية السنة ليست مقصورة على الكتابة حتى يقال: لو كانت حجية السنة مقصودة للنبي لأمر بكتابتها، فإن الحجية تثبت بأشياء كثيرة: منها التواتر، ومنها نقل العدول الثقات، ومنها الكتابة، والقرآن نفسه لم يكن جمعه في عهد أبي بكر بناء على الرقاع المكتوبة فحسب، بل لم يكتفوا بالكتابة حتى تواتر حفظ الصحابة لكل آية منه، وليس النقل عن طريق الحفظ بأقل صحة وضبطاً من الكتابة، خصوصاً من قوم كالعرب عرفوا بقوة الحافظة، وأتوا من ذلك العجائب، فقد كان الرجل منهم يحفظ القصيدة كلها من مرة واحدة. .

قال الحافظ ابن عبد البر بعد أن ذكر رأي بعض الصحابة والتابعين في كراهية كتابة العلم: «من ذكرنا قوله في هذا الباب فإنما ذهب في ذلك مذهب العرب، لأنهم كانوا مطبوعين على الحفظ مخصوصين بذلك.. وقال النبي ﷺ «نحن أمة أميّة لا نكتب ولا نحسب»[1] وهذا مشهور أن العرب قد خصت بقوة الحفظ..

أما القول بأن السنة قد تأخر تدوينها فزالت الثقة بضبطها وأصبحت مجالاً للظن، والظن لا يجوز في دين الله. فهذا قول من لم يقف على جهود العلماء في مكافحة التحريف والوضع، وإذا كانت السنة قد نقلت بالضبط والحفظ غالباً والكتابة أحياناً، من عصر الصحابة إلى نهاية القرن الأول حيث دون الزهري السنة بأمر الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، فكانت سلسلة الحفظ والصيانة متصلة لم يتطرق إليها الانقطاع فلا يصح أن يتطرق إليها الشك، أما ما دُسَّ على السنة من كذب فقد تصدى له العلماء وبينوه بما لا يترك مجالاً للشك، حتى إن النفس

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الصيام، باب وجوب صيام رمضان برؤية الهلال ج ٧، ص ١٩٢.

؛ فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الصيام باب قول النبي صلى الله عليه وسلم «لا نكتب ولا نحسب» ج ٤، ص ١٢٦.

لتطمئن إلى السنة إلى حد يكاد يصل إلى درجة اليقين..؟[1].

قال الشيخ أبو شهبة رحمه الله: «إن السنة لم يطل العهد بعدم تدوينها، وأن التدوين بدأ في عهد النبي ﷺ، وأنه قوي وغلظ عوده في عصر الصحابة وأوائل عصر التابعين، وأنه أخذ صفة العموم في أواخر عصر التابعين، ولم يزل يقوى ويشتد حتى بلغ عنفوانه واستوى على سوقه في القرن الثالث الهجري خاتمة القرون الثلاثة المشهود لها بالخيرية، خيرية الإيمان والعلم والعمل، والهدى والفلاح والاستقامة الجادة. وقد وضع المحدثون شروطاً للرواية المقبولة بحيث تكفل هذه الشروط الضمانات الكافية لصدق الرواة وسلامتهم من الكذب والخطأ والغفلة في النقل وإليك هذه الشروط:

١ ـ الإسلام.

٢ ـ التكليف.

٣ ـ العدالة وهي ملكة تحمل على ملازمة التقوى والمروءة.

٤ ـ الضبط وهو قسمان: ضبط صدر وضبط كتاب، فالأول: أن يحفظ ما سمعه من شيخه بحيث يتمكن من استحضاره والتحديث به من متى شاء من حين سماعه إلى حين أدائه. والثاني: هو محافظته على كتابه الذي كتب فيه الأحاديث وصيانته عن أن يتطرق إليه تغيير ما منذ سماعه فيه وتصحيحه إلى حين الأداء منه.

فإذا اجتمع في الراوي هذه الشروط كان أهلاً لقبول روايته.. وهذه الحقيقة قد تبدو لبعض من لم يدرس كتب الرجال والنقد عند المحدثين فيها شيء من المغالاة ولكن الحق ما ذكرت ومن أبعد النجعة في كتب القوم عرف، ومن عرف اعترف، والأئمة الذين جمعوا الأحاديث في كتبهم المشهورة كان الاعتماد عندهم فيها على الرواية، والتلقي شفاهاً من الرواة العدول الضابطين، وإنما كانت الكتابة زيادة في الوثوق والضبط»[2].

---

(١) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، د. مصطفى السباعي، ص ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠.

(٢) دفاع عن السنة للدكتور الشيخ محمد أبو شهبة، دار الجيل، بيروت ١٤١١هـ، ص ٢٣، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠.

سادساً: قالوا: إن الشارع إنما أجاز الظن في المسائل العملية وهي الفروع دون العلمية كقواعد أصول الدين. وهم يقصدون بذلك خبر الآحاد.

ويجاب عليهم بما ذكره ابن القيم في مختصر الصواعق المرسلة حيث قال: «إن من أبطل الباطل إثبات الفروع بأخبار الآحاد دون الأصول وغير ذلك، وكل تقسيم لا يشهد له الكتاب والسنة وأصول الشرع بالاعتبار فهو تقسيم باطل يجب إلغاؤه.

وهذا التقسيم أصل من أصول ضلال القوم فإنهم فرقوا بين ما سموه أصولاً وما سموه فروعاً، وسلبوا الفروع حكم الله المعين فيها.. وادعوا الاجماع على هذه التفريق، ولا يحفظ ما جعلوه إجماعاً عن إمام من أئمة المسلمين ولا عن أحد من الصحابة والتابعين، وهذا عادة أهل الكلام يحكون الإجماع على ما لم يقله أحد من أئمة المسلمين بل أئمة الإسلام على خلافه.

فليس العمل مقصوراً على عمل الجوارح، بل أعمال القلوب أصل لعمل الجوارح وأعمال الجوارح تبع، فكل مسألة عملية فإنه يتبعها إيمان القلب وتصديقه وحبه وذلك عمل بل هو أصل العمل، وهذا مما غفل عنه كثير من المتكلمين في مسائل الإيمان حيث ظنوا أنه مجرد التصديق دون الأعمال؛ وهذا من أقبح الغلط وأعظمه، فإن كثيراً من الكفار كانوا جازمين بصدق النبيﷺ غير شاكين فيه؛ غير أنه لم يقترن بذلك التصديق عمل القلب من حب ما جاء به والرضا به وإرادته والموالاة والمعاداة عليه..

وقد ناظر الشافعي بعض أهل زمانه في ذلك؛ فأبطل الشافعي قوله وأقام عليه الحجة، وعقد في الرسالة باباً أطال فيه الكلام في تثبيت خبر الواحد ولزوم الحجة به، وخروج من رده عن طاعة الله ورسوله، ولم يفرق هو ولا أحد من أهل الحديث البتة بين أحاديث الأحكام وأحاديث الصفات، ولا يعرف هذا الفرق عن أحد من الصحابة ولا عن أحد من التابعين، ولا من تابعيهم ولا عن أحد من أئمة الإسلام»[1].

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم، ص ٥١٠، ٥١٥، ٥٢٥.

وتنزلاً مع المخالف فإنه: «قد صح عندكم أن الله تعالى افترض علينا العمل بخبر الواحد الثقة عن مثله مبلغاً إلى رسول الله ﷺ، وأن نقول أمر رسول الله ﷺ بكذا، وقال عليه الصلاة والسلام كذا، وفعل عليه الصلاة والسلام كذا، وحرم القول في دينه بالظن، وحرم تعالى أن نقول عليه إلا بعلم فلو كان الخبر المذكور يجوز فيه الكذب، أو الوهم لكنا قد أمرنا الله تعالي بأن نقول عليه ما لا نعلم، ولكان تعالى قد أوجب علينا الحكم في الدين بالظن الذي لا نتيقنه، والذي هو الباطل الذي لا يغني من الحق شيئاً.. فصح يقيناً أن الخبر المذكور حق مقطوع على غيبه، موجب للعلم والعمل معاً... وصار كل من يقول بإيجاب العمل بخبر الواحد، وأنه مع ذلك ظن لا يقطع بصحة غيبه، ولا يوجب العلم، قائلاً بأن الله تعالى تعبدنا أن نقول عليه تعالى ما ليس لنا به علم، وأن نحكم في ديننا بالظن الذي قد حرم تعالى علينا أن نحكم به في الدين وهذا عظيم جداً»[١].

ومما تقدم يتضح أن تقسيم متطلبات الدين الإسلامي إلى أصول وفروع لا يستند إلى دليل، ولم يقل به أصحاب رسول الله ﷺ ولم يعلم عن القرون المفضلة قولهم هذا، وإنما كان نتيجة انتشار علم الكلام القائم على إثبات وجود الله بمقدمات ظنّوها الحق فألزمتهم هذا التصنيف والقول بالأصول والفروع والمتواتر والآحاد وأن الإيمان هو التصديق، وقولهم إن الآحاد يفيد الظن ويُقبل في الأحكام هذا تحكم منهم بدون دليل أيضاً فالأحكام يقتضي دليلها العلم قبل العمل لأنها مشتملة لأحكام الدنيا والآخرة.

وهذا الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله قد ترجم في صحيحه فقال: «باب العلم قبل القول والعمل، لقوله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[٢] فبدأ بالعلم. وأن العلماء ورثة الأنبياء، ورثوا العلم، من أخذه أخذ بحظ وافر، ومن سلك طريقاً يطلب به علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة.. قال ـ الشارح: أراد به أن العلم شرط في صحة القول والعمل فلا يعتبران إلا به، فهو

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام، لابن حزم، ص ١٦٩.

(٢) سورة محمد: ١٩.

متقدم عليهما لأنه مصحح للنية المصححة للعمل»[1]. أما الظنّ فليس له نصيب في رسالة محمد ﷺ المشتملة على كتاب الله المبين وسنة خاتم النبيين الصحيحة وإجماع السلف الصالحين واجتهاد ورثة الأنبياء فيما استجد من المعاملات وإعطائها حكماً له أصلاً سابقاً في دين الإسلام.

سابعاً: قال الرازي: «إن الدلائل اللفظية لا تكون قطعية لأنها موقوفة على نقل اللغات ونقل وجوه الصرف والنحو وعلى عدم الاشتراك والمجاز والتخصيص والإضمار وعدم المعارض النقلي والعقلي وكل واحد من هذه المقدمات مظنونة والموقوف على المظنون أولى أن يكون مظنوناً فثبت أن شيئاً من الدلائل اللفظية لا يمكن أن يكون قطعياً»[2]:

والجواب: «إن قول القائل: الدليل اللفظي لا يفيد اليقين إلا عند أمور عشرة؛ نفي عام وقضية سالبة كلية، فإن أراد قائلها أن أحداً من الناس لا يعلم مراد متكلم ما يقيناً إلا عند هذه الأمور العشرة فكذب ظاهر، وإن أراد به أنه لا يعلم أحد المراد بألفاظ القرآن والسنة إلا عند هذه الأمور ففرية ظاهرة أيضاً، فإن الصحابة كلهم من أولهم إلى آخرهم والتابعين كلهم وأئمة الفقه كلهم وأئمة التفسير كلهم، لم يتوقف علمهم بمراد الرسول ﷺ على هذه الأمور بل لم يخطر ببالهم، ولم يذكرها أحد منهم في كلامه.

بل نحن ونسبتنا إليهم اقل نسبة متيقنون لمراد الله ورسوله من كلامه يقيناً لا ريب فيه، وجازمون به جزماً لا شك فيه. ومن قبلنا كان أعلم منا وأعظم جزماً ومن قبلهم كان كذلك، فكيف يستحل الرجل أن يحكم حكماً عاماً كلياً أن أحداً لم يحصل له اليقين من كلام الله ورسوله؟!.

وإن أراد بها أنها لا تفيد اليقين في شيء آخر، قيل له هذا لا يفيدك شيئاً

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري: كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل ج ١، ص ١٥٩، ١٦٠

(٢) أساس التقديس للرازي ص ٢٢٢ وانظر: محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للفخر الرازي، تقديم طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ص ٥١.

حتى تبين أن محل النزاع بينك وبين أهل السنة وأنصار الله ورسوله من النوع الذي لا يفيد اليقين فهم يزعمون أن استفادتهم اليقين منه أعظم من استفادتهم اليقين من كلام كل متكلم، وليس لك أن تحكم عليهم بأنهم لم يستفيدوا منه اليقين فإن غاية ما عندك أنك أنت فاقد اليقين لم تظفر ببرده، ولم تفز به فكيف ساغ لك أن تحكم على غيرك بهذا؟!..

والواقع خلافه، فالصحابة كانوا يعلمون من أحوال النبي ﷺ بالاضطرار ما لم يعلمه غيرهم، وكان أبو بكر يعلم من حال رسول الله ﷺ وكلامه مالا يعلمه غيره ولا يفهمه.. وكان التابعون يعلمون من أحوال الصحابة بالاضطرار ما لا يعلمه غيرهم، والفقهاء وأهل الحديث يعلمون بالاضطرار أن النبي ﷺ سجد سجدتي السهو في الصلاة.

وإن قال أردت أن الأدلة اللفظية لا تفيد اليقين عند من لا يعرف مدلولها إلا بهذه المقدمات، قيل له فهذا لا فائدة فيه فكأنك قلت: من لم يعرف مراد المتكلم إلا بمقدمة ظنية كان استدلاله بكلامه ظنّياً، وذلك من باب تحصيل حاصل، وكذلك من لم يعرف الدليل العقلي إلا بمقدمة ظنّية كان استدلاله به ظنيّاً، وأيضاً فإنه إذا كان هذا مرادك فكيف تحكم حكماً عاماً كلياً أن الأدلة اللفظية لا تفيد اليقين فبطل حكم هذه القضية الكاذبة، أن الأدلة اللفظية لا تفيد اليقين على كل تقدير»[1].

ثامناً: قالوا إن القرآن قد نهى عن الظنّ وهذا ملزم لأخبار الآحاد والحكم بأنها ظنيّة فلا تفيد العلم ولا يصح الاحتجاج بها في العقيدة:

ويجاب عليهم بما يلي:

«إن القائلين بظنيّة أحاديث الرسول ﷺ هم متكلموا الفرق، وتبعهم أهل الأصول والفقه، وأفرطوا في استعمال الاصطلاح، حيث قطعوا بحكم ظنية كل

(١) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن القيم، حققه د. علي محمد الدخيل، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ، ص ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣.

خبر آحاد، وأنه لا يفيد إلا الظنّ فأستتبع حكمهم هذا أمران: ـ

الأمر الأول: أ ـ عدم الاحتجاج بها في العقائد.

ب ـ التقليل من منزلتها التشريعية فيما شرعته من أحكام.

جـ ـ الحط من قدرها بتقديم الآراء عليها.

الأمر الثاني: أن استدلالهم بآيات ورد فيها الظنّ من كتاب الله ليست دليلاً لهم بل حجة عليهم»[1] وكما قال علماؤنا رحمهم الله «ما أورد مبتدع دليلاً لبدعته إلا كان فيه حجة قائمة عليه ورداً ملزماً له ورادعاً لباطله»[2]. ويتضح هذا القول بما يلي: ـ

أ ـ قال الله تعالى: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾﴾[3].

قال إبن كثير رحمه الله: «يقول الله تعالى مقرعاً للمشركين في عبادتهم الأصنام والأنداد والأوثان واتخاذهم البيوت مضاهاة للكعبة التي بناها خليل الرحمن ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ﴾[4] وكانت اللات صخرة بيضاء منقوشة وعليها بيت بالطائف.. ثم قال تعالى منكراً عليهم فيما ابتدعوه وأحدثوه من الكذب والافتراء والكفر من عبادة الأصنام وتسميتها آلهة. ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ﴾ أي ليس له مستند إلا حسن ظنهم بآبائهم الذين سلكوا هذا المسلك الباطل قبلهم وإلا حظ نفوسهم في رياستهم وتعظيمهم أباءهم الأقدمين. ثم قال تعالى: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾[5].

---

(١) خبر الواحد في التشريع الإسلامي وحجيته للقاضي برهون، ج ٢، ص ٣٤٩.

(٢) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، تحقيق السيد الجميلي، دار الكتاب، بيروت الطبعة الرابعة، ص ٣٣٣.

(٣) سورة النجم آية ٢٣.

(٤) سورة النجم آية ١٩.

(٥) سورة النجم آية: ٢٨.

قال ابن كثير: يقول تعالى منكراً على المشركين في تسميتهم الملائكة تسمية الأنثى وجعلهم لها أنها بنات لله تعالى عن ذلك.. (ومالهم بذلك من علم) أي ليس لهم علم صحيح بصدق ما قالوه بل هو كذب وزور وافتراء وكفر شنيع ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْئًا﴾ أي لا يجدي شيئاً ولا يقوم أبداً مقام الحق»[1] إن هذه الآيات وغيرها التي ورد فيها ذم الظنّ وأهله موجهة ونازلة في المشركين كما هو واضح من ظاهر الآية وسياقها وكما فسرها علماء التفسير رحمهم الله ثم إن هذا الظنّ الفاسد متعلق باعتقادهم في الله سبحانه وتعالى عن تخرصاتهم وظنونهم وإنه لأمر متعجب منه كيف وجه المتكلمون هذه الآيات وحمّلوها ما لم تحتمل وكأنهم لم يقرأوا تفسيراً لها فقالوا في كتاب الله بلا علم، بل ولعلهم اصطادوها من مادة ظنّ؟! في المعاجم اللغوية والمعجم المفهرس لآيات القرآن الكريم..؟ !.

ب - كان السلف في قرونهم المفضلة لا يفرّقون بين ما رواه الجماعة والاثنان والواحد إذا صح عندهم احتجوا به في العقائد والأحكام، ثم جاء هؤلاء المفرقون القائلون بالمتواتر والآحاد ثم حكموا على الآحاد بالظنيّة، وقالوا لا يقبل المتواتر في العقيدة إذا تطرقت إليه الشبهة وتعارض مع أصولهم، ولا يقبل حديث الآحاد في العقيدة وعند البعض لا يقبل في الأحكام أيضاً «هذا المعيار الذي حُكِّم في السنة النبوية «المتواتر والآحاد» الذي تلاه عندهم معيار الحكم بـ «الظنّية» على أحاديث الآحاد فشوشوا به على السنة، وفتنوا به الأمة، حتى صارت الأجيال المتلاحقة منذ قرون تنظر إلى أحاديث الآحاد الصحيحة نظرة السخرية واللامبالاة، فهيئت القلوب بهذا إلى قبول طروحات الاستشراق والمستغربين من أبناء أمة الإسلام في استبعاد أكثر السنن التي هي أحاديث الآحاد وإفراغها من مضامينها بالحكم عليها بأنها ظنيّة، لا تفيد إلا الظنّ ولا تفيد العلم، ولا توجب عملاً ولا علماً، إلى غير ذلك من الأحكام التي تلتها.

ومن العجب أن يلتمس هؤلاء «الظنيّيون» حجج ذمّ الظنّ من القرآن الكريم،

---

(١) تفسير ابن كثير ج ٤، ص ٢٢٣، ٢٢٤.

وذمّ المتبعين له، معممين الحكم بالذمّ على كل ظنّ ورد في القرآن، مدعين أن القرآن ذمه، وهو حق أريد به باطل، فالظنّ له معان متعددة والظنّ الذي ذمه القرآن هو الشك والخرص والوهم والتخمين، والظنّ الذي من هذا القبيل لا يقول به عاقل في أمور الدنيا والدين»[(١)]

وأهل السنة والجماعة لا يعترضون على التقسيم إلى متواتر وآحاد وإنما كان اعتراضهم على مذهب المتكلمين في ردهم المتواتر إذا عارض مقدماتهم وعدم الأخذ بخبر الآحاد في العقيدة عندهم.

جـ - ورد في كتاب الله آيات عظيمة تصف حال أهل الإيمان مع ربهم، بل تصف أحوال رسله الذين كذبوا ثم جاءهم النصر من عند الله، وأنهم كانوا متحققون من ذلك فكان الظنّ هو اليقين الراسخ في قلوبهم. قال تعالى ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾﴾[(٢)] قال ابن كثير «أي قد كنت موقناً في الدنيا أن هذا اليوم كائن لا محالة فكان جزاؤهم الجنة وقصورها وحسان حورها ونعيم دورها ودوام حبورها.

وقال تعالى: ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾[(٣)]. قال ابن كثير: يذكر الله تعالى أن نصره ينزل على رسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عند ضيق الحال وانتظار الفرج من الله في أحوج الأوقات إليه»[(٤)]

وقال الله تعالى: ﴿وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾[(٥)]. قال ابن كثير: «لما ذكر الله تعالى ما فرج به عن هؤلاء الثلاثة من الضيق والكرب من هجر المسلمين إياهم نحواً من خمسين ليلة بأيامها وضاقت عليهم أنفسهم وضاقت عليهم الأرض بما رحبت أي مع سعتها، فسدّت عليهم المسالك والمذاهب، فلا

---

(١) خبر الواحد في التشريع الإسلامي، القاضي برهون، ج٢، ص ٣٣٦.

(٢) سورة الحاقة آية: ٢٠؛ وانظر تفسير ابن كثير ج٤ ص ٣٦٣.

(٣) سورة يوسف: ١١٠.

(٤) تفسير ابن كثير، ج٢، ص ٤٢٩.

(٥) سورة التوبة: ١١٨.

يهتدون ما يصنعون، فصبروا لأمر الله واستكانوا لأمر الله، وثبتوا حتى فرج الله عنهم بسبب صدقهم رسول الله ﷺ في تخلفهم، فعوقبوا على ذلك هذه المدة ثم تاب الله عليهم، فكان عاقبة صدقهم خيراً لهم وتوبة عليهم»[1]. إن يقينهم في ربهم كان سبب توبة الله عليهم، وهنا يكون الظنّ بمعنى اليقين المتحقق.

د - إن الظنّ قد جاء في القرآن الكريم قدحاً في شعائر المشركين وإعراضهم عن عبادة رب العالمين، وجاء في الثناء على أمة محمد ﷺ الموقنين باليوم الآخر والمصدقين بالله ورحمته والمتوكلين عليه كما في قصة الثلاثة الذين تاب الله عليهم.

ثم جاء النهي عن الظنّ السوء في الإسلام وفي أهله فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

قال ابن كثير: «يقول تعالى ناهياً عباده المؤمنين عن كثير من الظنّ وهو التهمة والتخوّن للأهل والأقارب والناس في غير محله لأن بعض ذلك يكون إثماً محضاً فليجتنب كثير منه احتياط، وروينا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: ولا تظنَّنَّ بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا خيراً وأنت تجد لها في الخير محملاً»[3]

وجاء الظنّ في الحديث من باب النهي عن التهمة وخواطر السوء بالأخ المسلم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إياكم والظّنّ، فإن الظّنّ أكذب الحديث ولا تجسسوا، ولا تحاسدوا ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا»[4].

قال ابن حجر: «قال الخطابي وغيره.. المراد ترك تحقيق الظنّ الذي يضر بالمظنون به، وكذا ما يقع في القلب بغير دليل، وذلك أن أوائل الظنّون إنما هي خواطر لا يمكن دفعها، وما لا يقدر عليه لا يكلف به.. وقال القرطبي: المراد

---

(١) تفسير ابن كثير، ج ٢، ص ٣٤٤.
(٢) سورة الحجرات آية: ١٢.
(٣) تفسير ابن كثير، ج ٣، ص ١١٨.
(٤) سبق تخريجه البحث ص ٦١.

بالظنّ هنا التهمة التي لا سبب لها كمن يتهم رجلاً بالفاحشة من غير أن يظهر عليه ما يقتضيها، ولذلك عطف عليه قوله «ولا تجسسوا» وذلك أن الشخص يقع له خاطر التهمة فيريد أن يتحقق فيتجسس ويبحث ويستمع، فنهى عن ذلك»[1] بل قد جاء الظنّ في الحديث بمعنى اليقين والقبول، وفي الحديث القدسي: عن أبي هريرةﷺ قال: قال النبيﷺ: يقول الله تعالى: «أنا عند ظنّ عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي...»[2] قال ابن حجر: «أي قادر على أن أعمل به ما ظنّ أني عامل به.. وقال القرطبي في المفهم: قيل معنى ظنّ عبدي بي ظنّ الإجابة عند الدعاء وظنّ القبول عند التوبة وظنّ المغفرة عند الاستغفار وظنّ المجازات عند فعل العبادة بشروطها تمسكاً بصدق وعده.. ولذلك ينبغي للمرء أن يجتهد في القيام بما عليه موقناً بأن الله يقبله ويغفر له لأنه وعد بذلك وهو لا يخلف الميعاد فإن اعتقد أو ظنّ أن الله لا يقبلها وأنها لا تنفعه فهذا هو اليأس من رحمة الله وهو من الكبائر»[3].

وعلى هذا يكون الظنّ الوارد في حديث رسول اللهﷺ من باب تربية المسلم على حسن الأخلاق وحسن الظنّ بأخيه المسلم فلا يظنّ فيه إلا خيراً، كما أنه قد أخبرنا رسول اللهﷺ أن الله سبحانه يجيب دعاءنا ويقبل توبتنا ويغفر ذنوبنا إن نحن سألناه ونحن موقنون بذلك حقيقة فالله سبحانه أولى أن يجيب ويغفر. فمن أين لهؤلاء الدليل على ظنيّة أحاديث الآحاد؟! بل أن المحدثين قد احتاطوا لصحة الحديث من الوهم والخطأ فالتزموا شروطاً في الضبط لحفظ الحديث من الوهم فيه بل عدّوا من يهم سيء الحفظ فلا يقبل حديثه إلا بمتابع أو شاهد تلك سنتهم رحمهم الله في قبول الحديث.

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ١٠، كتاب الأدب، باب النهي عن التحاسد، ص ٤٨١.

(٢) نفس المصدر كتاب التوحيد، باب قوله تعلم ما في نفسي، ج١٣، ص ٣٨٤ ؛ صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب فضل الذكر والدعاء وحسن الظن بالله تعالى، ج١٧، ص ١١.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج١٣، ص ٣٨٥، ٢٨٦.

كيف وهذه الأحاديث الصحيحة قد جردت في كتب الصحاح وأصّحها ما اتفق عليه البخاري ومسلم رحمهما الله وقبلتها الأمة بالإجماع، فكان صحيح البخاري وصحيح مسلم أصدق كتابين بعد كتاب الله تعالى كما ذكر ذلك علماؤنا رحمهم الله. نعم قد توعد رسول الله ﷺ القائلين عليه بالكذب فقال: «من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»[1] وقال السيوطي رحمه الله: «أخرجه البخاري ومسلم من حديث على بن أبي طالب وأبي هريرة..» ثم ذكر رواته من الصحابة وعددهم ٧٨ راوياً.

فيكون هذا الحديث وغيره من أحاديث الأمر بالاحتياط في تحمل الرواية رادعة لكل مسلم أن لا يقول إلا الحق ولا يروي بدون علم وهذا خلق المسلم، أما أن يُجرّد سلطان الظنّ على الصحيح من حديث المصطفى ﷺ فتلك طامة كبرى وتفريغ النصوص من دلالتها ومضامينها بل وتعدٍ على الشارع الحكيم الذي أمرنا بالاستجابة والعلم بما جاء به رسول الهدى ﷺ وبما أمرنا به.

وينتهي القول بأن القرآن والسنة لم يرد فيهما نصاً صريحاً يكون دليلاً للقائلين بأن أحاديث الآحاد ظنّية ولا تفيد العلم.

هـ - جمع الإمام السيوطي رحمه الله الأحاديث المتواترة في كتاب[2] فكان منها خمسة عشر حديثاً «١٥» في العلم والإيمان والبعث وما بقي من الكتاب وهو الكثير المختص بالأحكام والآداب والمناقب. وباستقراء صحيح البخاري رحمه الله في كتاب بدء الوحي والعلم والإيمان والاعتصام بالكتاب والسنة والتوحيد والتي جمع فيها ما يقارب أربعمائة وتسعة وعشرون حديثا «٤٢٩».

---

(١) قطف الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة للإمام جلال الدين السيوطي، تحقيق الشيخ خليل الميس، المكتب الإسلامي ١٤٠٥هـ، ص ٢٣، ٢٤.
؛ وأخرجه البخاري في فتح الباري، كتاب العلم، باب أثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم ج ١، ص ٢٠٠.
؛ وأخرجه مسلم في الجامع الصحيح كتاب الزهد، باب التثبت في الحديث ج ١٧، ص ٢٢٩ واللفظ له.

(٢) المصدر السابق قطف الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة.

وعلى قول أولئك أصحاب الظنّ، فلا قيمة ولا معيار ولا قبول لـ «٤١٤» حديثاً من صحيح البخاري، لأنها آحاد فهي ظنية لا يستدل بها في بابها الذي وضعه وترجم له صاحب الكتاب.

وهذا تنزل مع الخصم وإلا فإن أحاديث الصحيح في الأحكام وغيرها متضمنة أمور علمية في البعث والصراط والإيمان وأسماء الله وصفاته والجزاء والحساب في الآخرة.

وماذا نقول في صحيح مسلم وابن خزيمة وابن حبان والمسانيد والسنن والمصنفات والمعاجم فيما صح منها عن رسول الله ﷺ...؟!.

و ـ إن الله سبحانه وتعالى قد أمرنا في كتابه أن نردّ ما تنازعنا فيه إلى الله في كتابه وإلى رسوله بعد موته في سنته وقول أهل الظنّ مصادم لأمر الله تعالى والدليل أنه قد وردت صفات خبرية لله تعالى وفعلية لم تثبت إلا بالحديث الصحيح، بل أنه قد حصل بزعمهم خلاف فما كان منهم إلا أن غلطوا ثم حرفوا وأولوا. فالخلاف والنزاع قائم معهم والسنة الصحيحة ثابتة وليس مقصودهم موجود في كتاب الله، فلماذا تعطل السنة؟. بل لماذا يردّ أمر الله؟! أبالظنون والأوهام والتخرصات يؤخذ ويرد في أوامر الله؟! بل إنه يُخشى من عقاب الله تعالى على من ردّ أمر الله وعطّل سنة نبيه ﷺ.

ز ـ ويقال وتنزل مع الخصم أيضاً قد يرد حديث وفي سنده ضعف خارج الصحيحين فلماذا يحكم على أخبار الآحاد كلها بالظنّ وأنها لا تفيد العلم وبهذا تطّرح أحاديث رسول الله ﷺ وتعطل سنته، ويحكم على مئات الأحاديث بعدم الفائدة !! ولكنه وعود على بدء، ذلك أن القصد عندهم بقاء أدلتهم العقلية سليمة من الطعن كما في قانونهم الكلي عند الرازي وغيره، فكان النقل لا يفيد اليقين، ثم جرّدوا سلطان الظنّ على الصحيح ! وحسابهم على الله سبحانه وتعالى.

تاسعاً: قولهم إن أخبار رسول الله ﷺ الصحيحة المتلقاة بين الأمة بالقبول لا تفيد العلم بل هي ظنّية.

ويجاب عليهم بما أورده ابن القيم رحمه الله الذي سبر مقاصدهم وأبطل حجتهم فقال: «إن كون الدليل من الأمور الظنية أو القطعية أمر نسبي، يختلف باختلاف

المدرك المستدل، ليس هو صفة في نفسه، فهذا أمر لا ينازعه فيه عاقل، فقد يكون قطعياً عند زيد ما هو ظني عند عمرو، فقولهم: إن أخبار رسول الله ﷺ الصحيحة المتلقاة بين الأمة لا تفيد العلم، بل هي ظنّية، هو إخبار عما عندهم، إذ لم يحصل لهم من الطرق التي استفاد بها العلم أهل السنة ما حصل لهم، فقوله لم نستفد بها العلم، لم يلزم منها النفي العام على ذلك بمنزلة الاستدلال على أن الواجد للشيء والعالم به غير واجد له ولا عالم به، فهو كمن يجد من نفسه وجعاً أو لذة أو حباً أو بغضاً؛ فينتصب له من يستدل على أنه غير وجع ولا متألم ولا محب ولا مبغض، ويكثر من الشبه التي غايتها أني لم أجد ما وجدته، ولو كان حقاً لاشتركنا أنا وأنت فيه! وهذا عين الباطل وما أحسن ما قيل:

أقول للائمِ المهدي ملامته ... ذق الهوى فإن اسطعت الملام لم

فيقال له: اصرف عنايتك إلى ما جاء به الرسول ﷺ، واحرص عليه وتتبعه واجمعه، وعليك بمعرفة أصول نقلته وسيرتهم، واعرض عما سواه، واجعله غاية طلبك، ونهاية قصدك، بل أحرص عليه حرص أتباع أرباب المذاهب على معرفة مذاهب أئمتهم، بحيث حصل لهم العلم الضروري بأنها مذاهبهم وأقوالهم، ولو أنكر ذلك عليهم منكر لسخروا منه وحينئذ تعلم: هل تفيد أخبار رسول الله ﷺ العلم أو لا تفيده؟.

فأما مع إعراضك عنها وعن طلبها فهي لا تفيدك علماً، ولو قلت لا تفيدك أيضاً ظناً لكنت مخبراً بحظك أو نصيبك منها...

وقول هؤلاء القادحين في أخباره وسنته يجوز أن يكون رواة هذه الأخبار كاذبين أو غالطين، بمنزلة قول أعدائه يجوز أن يكون الذي جاء به شيطان كاذب.

وكل أحد يعلم أن أهل الحديث أصدق الطوائف كما قال عبد الله بن المبارك: «وجدت الدين لأهل الحديث؛ والكلام للمعتزلة، والكذب للرافضة، «والحيل لأهل الرأي»، وإذا كان أهل الحديث عالمين بأن رسول الله ﷺ قال هذه الأخبار، وحدّث بها في الأماكن والأوقات المتعددة وعلمهم بذلك ضروري، لم يكن قول من لا عناية له بالسنة والحديث: إن هذه أخبار آحاد لا تفيد العلم، مقبولاً عندهم، فإنهم يدعون العلم الضروري؛ وخصومهم أما أن ينكروا حصوله

لأنفسهم. أو لأهل الحديث، فإن أنكروا حصوله لأنفسهم لم يقدح ذلك في حصوله لغيرهم، وإن أنكروا حصوله لأهل الحديث كانوا مكابرين لهم على ما يعلمونه من نفوسهم، بمنزلة من يكابر غيره على ما يجده في نفسه من فرحه وألمه، وخوفه وحبه، والمناظرة إذا انتهت إلى هذا الحد لم يبق فيها فائدة، وينبغي العدول إلى ما أمر الله به ورسوله من المباهلة.

قال تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾[1]»[2].

تأثر بعض علماء الحديث بالقول بأن خبر الآحاد يفيد الظن ـ والرد عليهم

حينما اتفق الأصوليون وأصحاب علم الكلام على قولهم إن خبر الآحاد لا يفيد إلا الظنّ، وإنما يجوز الأخذ والأحتجاج به في العمل، حسبته الأمة ـ في عصر طغيان المذهب الكلامي وأصحابه ـ هو القول المعتمد، فلا يصح معه غيره وإن وجد من قال بخلافه، حتى كان له من التأثير على أصحاب الحديث أن قالوا به وخالفوا المتقدمين وإن كانوا على الحق المبين.

قال النووي رحمه الله: «قال الشيخ ـ ابن الصلاح ـ في علوم الحديث: وقد كنت أميل إلى أن ما اتفقا عليه فهو مظنون وأحسبه مذهباً قوياً وقد بان لي الآن أنه ليس كذلك وأن الصواب أنه يفيد العلم.

وهذا الذي ذكره الشيخ في هذه المواضع خلاف ما قاله المحققون والأكثرون فإنهم قالوا أحاديث الصحيحين التي ليست بمتواترة إنما تفيد الظنّ فإنها آحاد والآحاد إنما تفيد الظن على ما تقرر ولا فرق بين البخاري ومسلم وغيرهما في ذلك وتلقي الأمة بالقبول إنما أفادنا وجوب العمل بما فيهما وهذا

---

(١) سورة آل عمران آية: ٦١.

(٢) مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم، ص ٥٢٣، ٤٧٢.

متفق عليه فإن أخبار الآحاد التي في غيرهما يجب العمل بها إذا صحت أسانيدها ولا تفيد إلا الظنّ. فكذا الصحيحان وإنما يفترق الصحيحان وغيرهما من الكتب في كون ما فيهما صحيح ولا يحتاج إلى النظر فيه بل يجب العمل به مطلقاً.. وقد تظاهرت دلائل النصوص الشرعية والحجج العقلية على وجوب العمل بخبر الواحد»(١)

وقال ابن الأثير: «وخبر الواحد لا يفيد العلم، ولكنّا متعبدون به، وما يحكي عن المتحدثين أن ذلك يورث العلم فلعلهم أرادوا أنه يفيد العلم بوجوب العمل أوسمّوا الظنّ علماً ولهذا قال بعضهم يورث العلم الظاهر، والعلم ليس له ظاهر وباطن وإنما هو الظنّ»(٢).

ومن المعاصرين قال الشيخ مصطفى السباعي: «اتفق العلماء على أن المتواتر يفيد العلم والعمل معاً، وهو عندهم حجة لا نزاع فيها إلا ما قدمناه عمن ينكر حجية السنة. أما خبر الآحاد فالجمهور على أنه حجة يجب العمل به وإن أفاد الظنّ»(٣).

وقال الشيخ عبد الغني بن عبد الخالق: «فأما خبر الواحد؛ فإن لم يكن عدلاً لم يفد علماً ولا ظنا.. وإن كان عدلاً: فالإجماع منعقد على أنه لا تسلب عنه الإفادة.. فالجمهور على أنه يفيد الظنّ لكن إذا انضم إليه قرينة تفيد العلم حصل. وذهب الإمام أحمد إلى أنه يفيد العلم»(٤).

ويجاب عليهم بما يلي:

لقد انتهى المبحث إلى أن خبر الآحاد الصحيح عن رسول الله ﷺ يفيد

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، ج ١، ص ٢٠، ٦٢.

(٢) جامع الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم للإمام على بن محمد بن الأثير الجزري، دار الفكر بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ، ج ١، ١٢٥.

(٣) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، لمصطفى السباعي، ص ١٦٧.

(٤) دفاع عن السنة، والرد على من ينكر حجية السنة د. الشيخ عبد الغني عبد الخالق وأبي شهبة، دار الجيل، بيروت، ص ٤٢٥.

العلم وإن القائلين بهذا هم جمهور علماء أهل السنة وعليه أصحاب المذاهب الأربعة المتقدمون وقبل الخوض في علم الكلام[١].

أما القائلون بغير هذا من بعض علماء الحديث، فإنه يلتمس لهم العذر فيما ذهبوا إليه لأمور منها:

أ ـ وجودهم في عصور طغى المذهب الفكري والكلامي على المنهج السلفي في قبول النص مما كان له أكبر الأثر على مسار الأمة جمعاء ومما يدل على ذلك أن مؤلف شرح العقيدة الطحاوية ابن أبي العز الحنفي قد أُخفي نسبتها إليه لئلا يصاب بأذى إذ الأهم أن تنتشر هذه العقيدة الصحيحة في زمن كثر فيه الباطل وأهله.

قال محقق العقيدة الطحاوية بشرحها: «إن السبب في إخفاء ابن أبي العز، أو النساخ لاسمه هو الخوف من الهجمة الشرسة، التي كانت سائدة في عصره من قبل المخرفين، والمتعصبين مؤيدين بقوى السلاطين الجاهلين. وكانوا على عقيدة سيئة، فضلاً عما في سلوكهم من انحراف.. ـ ثم قال ـ وهذه الأسباب أوجبت إخفاء المؤلف ابن أبي العز اسمه، أو أن النساخ حذفوا اسمه خوفاً من بطش هؤلاء الحكام واتباعهم الظالمين، وإذا تتبعنا تلك الحقبة، وما جرى فيها من الإيذاء والإهانات، لطال بنا الحديث..»[٢].

بل إن شارح الطحاوية قد نقل الكثير من كتب شيخيه ابن تيمية وابن القيم ولم ينسبها إليهما ولم يكن ذلك إلا للسبب نفسه وهو أنهما كانا متمسكين بمذهب أهل السنة الحق في حين كان المسيطرون هم أهل البدعة، ولنا في سجن ابن تيمية حتى موته دروس وعبر.

ب ـ إن النووي قد أورد في شرحه لصحيح مسلم أبواب الإيمان والعلم والقدر والجنة والنار والفتن وغيرهما وجلها أخبار أحاد صحيحة في أبواب العلم

(١) انظر البحث ص ٩٦.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق جماعة من العلماء وخرج أحاديثها محمد ناصر الدين الألباني، ص ١١، ١٤، ١٥.

وقد ترجم لها أبواباً ثم شرحها معتمداً إفادتها العلم. وتلقتها الأمة بالقبول في الاعتقاد والأعمال، فإننا إذا رجعنا إلى شرحه لأحاديث الآحاد التي وردت في العقيدة في صحيح مسلم وجدناه يقول مثلاً: باب الدليل على أن حب الأنصار من الإيمان» «باب الدليل على أن من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة». ويقول النووي رحمه الله في حديث ضمام بن ثعلبة وقد تضمن عقائداً: «وفي هذا الحديث العمل بخبر الواحد» شرح مسلم جـ ١ ص ١٧١. ويقول في موضع آخر «وفي الحديث أن الإيمان شرطه الإقرار بالشهادتين مع اعتقادهما واعتقاد جميع ما أتى به رسول الله ﷺ». جـ ١ ص ٢١٢.

وقال في حديث آخر: «هذا حديث عظيم الموقع وهو أجمع أو من أجمع الأحاديث المشتملة على العقائد». جـ ١ ص ٢٢٧.

«ولو أردت لاستقصيت عبارات النووي الدالة على أنه يذهب مذهب ابن عبد البر في الاحتجاج بأحاديث الآحاد في الاعتقادات ويعادي ويوالي عليها ويجعلها شرعاً وحكماً وديناً في معتقده ـ مع كونها ظنية عنده»[1].

وقال ابن تيمية في المسوَّدة: «هذا الإجماع الذي ذكره ابن عبد البر ـ في خبر الواحد العدل في الاعتقاد يؤيد قول من يقول: إنه يوجب العلم وإلا فما لا يفيد علماً ولا عملاً كيف يجعل شرعاً وديناً يوالي عليه ويعادي؟!»[2] وقد نقل عنه تلميذه ابن القيم من الصواعق قوله: «وظن الذين اعترضوا على ابن الصلاح من المشائخ الذين لهم علم ودين وليس لهم بهذا الباب خبرة تامة أن هذا الذي قاله الشيخ أبو عمرو انفرد به عن الجمهور، وعذرهم أنهم يرجعون في هذه المسائل إلى ما يجدونه من كلام ابن الحاجب، وإن ارتفعوا درجة صعدوا إلى السيف الآمدي وإلى ابن الخطيب فإن علا سندهم صعدوا إلى الغزالي والجويني

(١) أصل الاعتقاد، د. عمر سليمان الأشقر، مكتبة الفلاح للنشر، بيروت ١٤١٠هـ، ص ٣٧،٣٨

(٢) المسوَّدة، لابن تيميه، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت، ص ١٤٥.

والباقلاني. وجميع أهل الحديث على ما ذكره الشيخ أبو عمرو، والحجة على قول الجمهور أن تلقي الأمة للخبر تصديقاً وعملاً إجماع منهم، والأمة لا تجتمع على ضلالة»[1].

جـ ـ قال ابن حجر (٨٥٢هـ): «الخبر المحتف بالقرائن يفيد العلم خلافاً لمن أبى ذلك.. وهو أنواع منه ما أخرجه الشيخان في صحيحهما مما لم يبلغ التواتر، فإنه احتف بالقرائن، منها: جلالتهما في هذا الشان وتقدمهما في تمييز الصحيحين على غيرهما، وتلقي العلماء لكتابيهما بالقبول، وهذا التلقي وحده أقوى في إفادة العلم من مجرد كثرة الطرق»[2].

د ـ قال السيوطي (٩١١هـ): «وقال شيخ الإسلام في الحديث ـ ابن حجر ـ ما ذكره النووي في شرح مسلم من جهة الأكثرين أما المحققون فلا، فقد وافق ابن الصلاح أيضاً محققون: ثم قال السيوطي: وقال ابن كثير: وأنا مع ابن الصلاح فيما عوّل عليه وأرشد إليه، قلت ـ أي السيوطي ـ وهو الذي أختاره ولا أعتقد سواه»[3].

فهؤلاء هم أرباب صناعة الحديث، وهم ابن الصلاح صاحب كتاب الكفاية في علوم الحديث، ثم ابن كثير صاحب الباعث الحثيث، ثم ابن حجر العسقلاني صاحب شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر وفتح الباري، ثم جلال الدين السيوطي صاحب كتاب تدريب الراوي في شرح تقريب النووي، وجميعهم بسطت أقوالهم فيما سبق بإفادة خبر الآحاد العلم، ولا عبرة بمخالفة الثقة لمن هو أوثق منه فكيف إذا كانوا أهل صناعة الحديث وربان سفينته ومؤصلي قواعد التحديث فيما مضى من العصور، بل وفيما يلي منها.

هـ ـ أما الشيخ مصطفى السباعي رحمه الله، فقد استدل على حجية خبر الآحاد بما قاله الشافعي رحمه الله في رسالته، تحت عنوان «الحجة في تثبيت خبر الواحد «فإن

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة، لابن القيم، ص ٤٨٢.
(٢) شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، لابن حجر، ص ٢٠، ٢١.
(٣) تدريب الراوي للسيوطي، ص ١٣٣، ١٣٤.

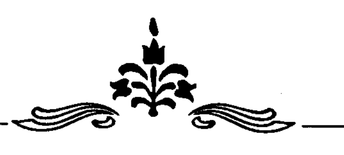
قال قائل: اذكر الحجة في تثبيت خبر الواحد بنص خبر أو دلالة فيه أو إجماع، فقلت له»[1]: .. ثم أورد أخباراً صحاحاً كما جاءت في الصحيحين والسنن وغيرها أيضاً عن وجوب تبليغ العلم عن الله ورسوله وهذا يقتضي تبليغ العقيدة والفرائض والآداب والأحكام بل أنه أورد أخبار من أرسلهم رسول الله ﷺ إلى الملوك وحكام الأمصار لتبليغ الرسالة كمعاذ عندما أرسله إلى اليمن فكان يحمل العقيدة وكان فرداً، وسجد رسول الله ﷺ عندما جاءه خبر إسلام أهل اليمن على يد علي رضي الله عنه.

و ـ أما الشيخ عبد الغني عبد الخالق رحمه الله، فقد ردّ على معارضه فقال: «وذهب الإمام أحمد إلى انه يفيد العلم. ولا نطيل الكلام في تحقيق ذلك؛ فالذي يغلب على ظننا هو أنك معنا في إفادته الظن : وإن أردت المكابرة وإنكار إفادته العلم والظنّ فالإجماع يرغمك. وإن ذهبت مذهب الإمام أحمد فقد أرحتنا وتقوضت شبهتك»[2].

وإن الترجيح واضح لمن سبر غور الحق واتبع سنة خير الخلق ﷺ.

(١) الرسالة للشافعي، ص ٤٠١.

(٢) دفاع عن السنة، لعبد الغني عبد الخالق وأبي شهبة، ص ٤٢٥، ٤٢٦.



الفصل الثالث

من يرى أن خبر الآحاد يفيد العلم تارةً ولا يفيده أخرى والردّ عليهم

وفيه:

- تمهيد
- القرائن المتصلة.
- القرائن المنفصلة.

******

تمهيد

كان قبول الخبر الصحيح فطري عند السلف الذين كانوا يقبلون الأخبار الصادقة من أصحابها لديانتهم وأخلاقهم وقربهم من عهد النبوة، وبعد العصر الأول ذهب بعض العلماء إلى أن خبر الآحاد لا يفيد العلم إلا بقرينة «وهو قول النظّام[1] ومن تابعه، واختاره الآمدى[2] وبه قال القاضي أبو بكر ابن الباقلاني[3] والفخر الرازي وابن الحاجب[4] غيرهم»[5].

وإلى هذا ذهب الشوكاني في كتابه إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول فقال: «واعلم أن الخلاف الذي ذكرناه في أول هذا البحث من إفادة خبر الآحاد الظنّ أو العلم مقيد بما إذا كان خبر واحد لم يحتف وينضم إليه ما يقويه وأما إذا

---

(١) إبراهيم بن سيار النظام أبو إسحاق وهو شيخ الجاحظ، ومن أذكياء المعتزلة، قرر مذهب الفلاسفة وأنكره عليه علماء المسلمين توفي ٢٣٠هـ، شيخ المعتزلة وتكلم في القدر، سير أعلام النبلاء ج ١٠، ص ٥٤١.

(٢) على بن أبي علي بن محمد بن سالم التغلبي الآمدي فقيه، أصولي، متكلم، منطقي من تفانينه غاية المرام في علم الكلام، وأبكار الأفكار في أصول الدين توفي ٦٣١هـ، شذارت الذهب ج٥، ص ١٤٤.

(٣) أبو بكر محمد بن الطيب المعروف بابن الباقلاني المتكلم الأشعري يثبت كثيراً من الصفات الخبرية من مصنفاته تمهيد الأوائل، والإنصاف، توفي سنة ٤٠٣هـ، سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص ١٩٠.

(٤) عمر بن عثمان بن عمر المقرئ النحوي الأصولي الفقيه المالكي ابن الحاجب الكردي، كان أبوه حاجباً للأمير عز الدين، برع في الأصول، وصنف في أصول الفقه. صنف مختصراً في مذهبه، توفي ٦٤٦هـ. شذرات الذهب ج ٥ ص ٢٣٤.

(٥) أخبار الآحاد، للشيخ عبد الله الجبرين، ص ١٠٠.

انضم إليه ما يقويه أو كان مشهوراً أو مستفيضاً فلا يجري فيه الخلاف المذكور ولا نزاع في أن الخبر الواحد إذا وقع الإجماع على العلم بمقتضاه فإنه يفيد العلم لأن الإجماع عليه قد صيره من المعلوم صدقه وهكذا خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول، فكانوا بين عالم به ومتأول له ومن هذه القسم أحاديث صحيحي البخاري ومسلم، فإن الأمة تلقت ما فيهما بالقبول ومن لم يعمل بالبعض من ذلك فقد أوله والتأول فرع القبول.

ومن خبر الواحد المعلوم صدقه أن يخبر به في حضور جماعة هي نصاب التواتر، ولم يقدحوا في روايته مع كونهم ممن يعرف علم الرواية ولا مانع يمنعهم من القدح في ذلك.. واختلفوا في خبر الواحد المحفوف بالقرائن فقيل يفيد العلم»[1].

والقرائن قد تكون متصلة ومتعلقة بالخبر وقد تكون منفصلة عنه.

القرائن المتصلة:

قال الحافظ ابن حجر: «والخبر المحتف بالقرائن أنواع: منها ما أخرجه الشيخان في صحيحهما مما لم يبلغ حد التواتر، فإنه احتفت به قرائن.

منها: جلالتهما في هذا الشأن، وتقدمهما في تمييز الصحيح على غيرهما، وتلقى العلماء لكتابيهما بالقبول، وهذا التلقي وحده أقوى في إفادة العلم من مجرد كثرة الطرق القاصرة عن التواتر، إلا أن هذا يختص بما لم ينقده أحد من الحفاظ مما في الكتابين، ومما لم يقع التجاذب بين مدلوليه مما وقع في الكتابين حيث لا ترجيح، لاستحالة أن يفيد المتناقضات العلم بصدقهما من غير ترجيح لأحدهما على الآخر، وما عدا ذلك فالإجماع حاصل على تسليم صحته.

فإن قيل إنما اتفقوا على وجوب العمل به لا على صحته منعناه، وسند المنع أنهم متفقون على وجوب العمل بكل ما صح، ولو لم يخرجه الشيخان، فلم يبق للصحيحين في هذا مزية، والإجماع حاصل على أن لهما مزية فيما يرجع

(١) إرشاد الفحول للشوكاني، ص ٩٤، ٩٥.

إلى نفس الصحة. وممن صرح بإفادة ما خرجه الشيخان العلم النظري: الأستاذ أبو إسحاق[1] الاسفراييني ومن أئمة الحديث: أبو عبد الله الحميدي[2] وأبو الفضل بن طاهر[3] وغيرهما. ويحتمل أن يقال: المزية المذكورة كون أحاديثهما أصح الصحيح.

ومنها: المشهور إذا كانت له طرق متباينة سالمة من ضعف الرواة والعلل، ممن صرح بإفادتها العلم النظري: الأستاذ أبو منصور البغدادي[4] وأبو بكر بن فورك[5] وغيرهما.

ومنها: المسلسل بالأئمة الحفاظ المتقنين حيث لا يكون غريباً كالحديث يرويه أحمد بن حنبل ويشاركه فيه غيره عن الشافعي رحمه الله، يشاركه فيه غيره عن مالك بن أنس رحمه الله، فإنه يفيد العلم عند سامعيه بالاستدلال من جهة جلالة رواته، وأن فيهم من الصفات اللائقة الموجبة للقبول ما يقوم مقام العدد الكثير من غيرهم، ولا يتشكك من له أدنى ممارسة بالعلم وأخبار الناس أن مالكاً لو شافهه بخبر أنه صادق فيه، فإذا انضاف إليه من هو في تلك الدرجة ازداد قوة وبعداً عما

---

(١) إبراهيم بن محمد بن مهران الاسفراييني المحدث الفقيه الأصولي المتكلم المكنى بأبي إسحاق، عد من المجتهدين في المذهب، ثقة ثبتاً في الحديث وله رسالة في الأصول توفي سنة ٤١٨هـ. سير أعلام النبلاء ج ١٧، ٣٥٣.

(٢) أبو عبد الله الحميدي محمد بن نصر بن فتوح الأندلسي الحافظ الحجة العلامة صاحب الجمع بين الصحيحين كان أحد أوعية العلم ظاهري المذهب رحل إلى الحجاز والشام ثقة ورعاً متقناً ت ٤٨٨هـ شذرات الذهب ج ٣، ٣٩٢.

(٣) أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي الحافظ ذو الرحلة والتصانيف والتعاليق جيد المعرفة ت ٥٠٧هـ شذرات الذهب ج ٤، ص ٥١٨.

(٤) عبد القاهر ابن طاهر أبو منصور البغدادي، صاحب التصانيف البديعة، نزيل خراسان، له تصانيف في النظر والعقليات منها - أصول الدين، الفرق بين الفِرق وغيرها مات بإسفرايين ٤٢٩هـ. سير ج ١٧، ص ٥٧٣.

(٥) محمد بن الحسن بن فورك أبو بكر، الفقيه المتكلم الأصولي، كانت له مناظرات تدل على رسوخه في العلم، وتمكنه من الحجة، له مؤلفات في أصول الفقه والدين. توفي ٤٠٦هـ بالحيرة. سير أعلام النبلاء ج ١٧، ص ٤١٤.

يخشى عليه من السهو. وهذه الأنواع التي ذكرناها لا يحصل العلم بصدق الخبر منها إلا للعالم بالحديث المتبحر فيه، العارف بأحوال الرواة، المطلع على العلم، وكون غيره لا يحصل له العلم بصدق ذلك لقصوره عن الأوصاف المذكورة، لا يلغي حصول العلم للمتبحر المذكور.

ومحصل الأنواع الثلاثة التي ذكرناها، أن الأول يختص بالصحيحين. والثاني بما له طرق متعددة، والثالث بما رواه الأئمة. ويمكن اجتماع الثلاثة في حديث واحد، فلا يبعد حينئذ القطع بصدقه»[1] «ولهذا كان علماء الحديث الجهابذة فيه المتبحرون في معرفته قد يحصل لهم اليقين التام بأخبار وإن كان غيرهم من العلماء قد لا يظن صدقها فضلاً عن العلم بصدقها، ومبنى هذا على أن الخبر المفيد للعلم يفيده من كثرة المخبرين تارة، ومن صفات المخبرين أخرى، ومن نفس الإخبار به أخرى، ومن نفس إدراك المخبر له أخرى، ومن الأمر المخبر به أخرى، فرب عدد قليل أفاد خبر العلم لما هم عليه من الديانة والحفظ الذي يؤمن معه كذبهم أو خطؤهم، وأضعاف ذلك العدد من غيرهم قد لا يفيد العلم.

هذا هو الحق الذي لا ريب فيه وهو قول جمهور الفقهاء والمحدثين وطوائف المتكلمين[2].

«وهو قول أكثر أصحاب الأشعري وابن فورك؛ فإنه وإن كان في نفسه لا يفيد إلا الظنّ؛ لكن لما اقترن به إجماع أهل العلم بالحديث على تلقيه بالتصديق كان بمنزلة إجماع أهل العلم بالفقه على حكم مستندين في ذلك إلى ظاهر أو قياس أو خبر واحد، فإن ذلك الحكم يصير قطعياً عند الجمهور، وإن كان بدون الإجماع ليس بقطعي»[3].

قال ابن حزم: «وقد ثبت عن أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وداود

(١) شرح نخبة الفكر، لابن حجر، ص ٢٠ - ٢٧.
(٢) فتاوى ابن تيمية، ج ٢٠، ص ٢٥٨.
(٣) فتاوى ابن تيمية، ج ١٨، ص ٤١.

الظاهري وجوب القول بخبر الواحد، وهذا حجة على من قلدهم أو قلد أحدهم في وجوب القول بخبر الواحد.

ومن البرهان في قبول خبر الواحد: خبر الله تعالى عن موسى عليه الصلاة والسلام أن قال له رجل: ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾[1] فصدّقه وخرج فاراً، وتصديقه المرأة في قولها: ﴿إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَاۚ﴾[2] فمضى معها وصدّقها»[3].

إن هذه القرائن وغيرها كخبرة علماء الحديث وتبحرهم في معرفة صحيحه من سقيمه ومعرفة رجاله وطرقه وإجماعهم على تلقيه بالقبول، وقبول الأئمة الأربعة على أنه حجة في العلم بل إن الله قد أخبر عن حال نبيه موسى ﷺ حينما قبل خبر الواحد وصدق به. وهذه القرائن وغيرها قد علمها أهل الحديث وأنها تفيد العلم النظري.

قال ابن القيم: «وأهل الحديث لا يجعلون حصول العلم بمخبر هذه الأخبار الثابتة من جهة العادة المطردة في حق سائر المخبرين، بل يقولون: ذلك لأمر يرجع إلى المُخبر وأمر يرجع إلى المُخبَر المُبَلغ.

فأما ما يرجع إلى المُخبر فإن الصحابة الذين بلغوا الأمة سنة نبيهم كانوا أصدق الخلق لهجة، وأعظمهم أمانة، وأحفظهم لما يسمعونه، وخصهم الله تعالى من ذلك بما لم يخص به غيرهم، فكانت طبيعتهم قبل الإسلام الصدق والأمانة، ثم ازدادوا بالإسلام قوة في الصدق والأمانة، وكان صدقهم عند الأمة وعدالتهم وضبطهم وحفظهم عن نبيهم أمراً معلوماً لهم بالاضطرار، كما يعلمون إسلامهم وإيمانهم وجهادهم مع رسول الله ﷺ، وكل من له أدنى علم بحال القوم يعلم أن خبر الصديق وأصحابه لا يقاس بخبر من عداهم وحصول الثقة واليقين بخبرهم فوق الثقة واليقين بخبر من سواهم من سائر الخلق بعد الأنبياء، فقياس خبر

---

(١) سورة القصص آية: ٢٠.

(٢) سورة القصص آية: ٢٥.

(٣) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم، ج١، ص ١٦٢.

الصديق على خبر آحاد الناس من أفسد قياس في العالم، وكذلك الثقات العدول الذين رووا عنهم هم أصدق الناس لهجة وأشدهم تحرياً للصدق والضبط حتى لا تعرف في جميع طوائف بني آدم أصدق لهجة ولا أعظم تحرياً للصدق منهم، وإنما المتكلمون أهل ظلم وجهل يقيسون خبر الصديق والفاروق وأبي بن كعب بأخبار آحاد الناس، مع ظهور الفرق المبين بين المخبرين..

وأما ما يرجع إلى المُخبِرِ عنه، فإن الله سبحانه تكفل لرسولهﷺ بأن يظهر دينه على الدين كله، وأن يحفظه حتى يبلغه الأول لمن بعده فلا بد أن يحفظ الله سبحانه حججه وبيناته على خلقه؛ لئلا تبطل حججه وبيناته؛ ولهذا فضح الله من كذب على رسوله في حياته وبعد مماته وبين حاله للناس.. فالله سبحانه لم يقر من كذب عليه في حياته وفضحه، وكشف ستره للناس بعد مماته.

وأما ما يرجع إلى المُخبرِ به فإنه الحق المحض وهو كلام رسول اللهﷺ الذي كلامه وحي فهو أصدق الصدق، وأحق الحق بعد كلام الله، فلا يشتبه بالكذب والباطل على ذي عقل صحيح، بل عليه من النور والجلالة والبرهان ما يشهد بصدقه، والحق عليه نور ساطع يبصره ذو البصيرة السليمة؛ فبين الخبر الصادق عن رسول اللهﷺ وبين الخبر الكاذب عنه من الفرق كما بين الليل والنهار والضوء والظلام، وكلام النبوة متميز بنفسه عن غيره من الكلام الصدق، فكيف نسبته بالكذب، ولكن هذا إنما يعرفه من له عناية بحديث رسول اللهﷺ وأخباره وسنته، ومن سواهم في عمى عن ذلك؛ فإذا قالوا: أخباره وأحاديثه الصحيحة لا تفيد العلم فهم مخبرون عن أنفسهم أنهم لم يستفيدوا منها العلم، فهم صادقون فيما يخبرون به عن أنفسهم، كاذبون في إخبارهم أنها لا تفيد العلم لأهل الحديث والسنة.

وأما ما يرجع إلى المُخبَرُ المتلقي، فإن المخبر نوعان: نوع له علم ومعرفة بأحوال الصحابة وعدالتهم وتحريهم للصدق والضبط، وكونهم أبعد خلق الله عن الكذب وعن الغلط والخطأ فيما نقلوه إلى الأمة، وتلقاه بعضهم عن بعض بالقبول، وتلقته الأمة عنهم كذلك، وقامت شواهد صدقهم فيه، فهذا المخُبَرُ باسم المفعول يقطع بصدق المُخِبر باسم الفاعل، ويفيد خبره العلم واليقين لمعرفته بحاله وسيرته.

ونوع لا علم لهم بذلك، وليس عندهم من المعرفة بحال المخبرين ما عند أولئك، فهؤلاء قد لا يفيدهم خبرهم اليقين، فإذا انضم عمل المخبر وعلمه بحال المخبر وأنضاف إلى ذلك معرفة المخبر عنه ونسبة ذلك الخبر إليه، أفاد ذلك علماً ضرورياً بصحة تلك النسبة، وهذا في إفادة العلم أقوى من خبر رجل مبرز في الصدق والتحفظ، عن رجل معروف بغاية الإحسان والجود، أنه سأله رجل معدم فقير ما يعينه، فأعطاه ذلك، وظهرت شواهد تلك العطية على الفقير، فكيف إذا تعدد المخبرون عنه وكثرت رواياتهم وأحاديثهم بطرق مختلفة، وعطايا متنوعة في أوقات متعددة»[1].

إن هذه القرائن المتصلة والمتمثلة في أحوال الرواة الصادقين الضابطين العدول ورواية كلٍ واحد منهم عن مثله إلى النبي ﷺ، وكذلك المروي وهو قول وكلام أصدق الخلق ﷺ الذي أعطاه ربه جوامع الكلم وأيده بقرآنه مصدقاً له فهو الصادق المصدوق، ثم هيأ الله أهلاً للحديث، عالمين بمقاصد الشرع الحنيف، ذابين عنه انتحال المبطلين وتحريف الضالين، فجمعوا حديثه وخبروا طريقه فكانت الصحاح والسنن والمسانيد والمصنفات وغيرها، وكان تاجها ولؤلؤتها صحيحا البخاري ومسلم أصدق كتابين بعد كتاب الله فوق أديم الأرض، لما اشترطاه في رواتهما، ولجلالتهما وتثبتهما وعلمهما رحمهما الله تعالى.

وهذا يكفي في تلقي الأمة لهما بالقبول وأن أحاديثهما صحيحة تفيد العلم اليقين؛ بل إن اعتقاد هذا من الدين.

«وعلى هذا فكثير من متون الصحيحين متواتر عند أهل العلم بالحديث وأن لم يعرف غيرهم انه متواتر؛ ولهذا كان أكثر متون الصحيحين مما يعلم علماء الحديث علماً قطعياً أن النبي ﷺ قاله تارة لتواتره عندهم، وتارة لتلقي الأمة له بالقبول»[2].

«فالخبر الذي تلقاه الأئمة بالقبول تصديقاً له أو عملاً بموجبه يفيد العلم

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم، ص ٤٨٦، ٤٨٧.

(٢) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ص ١٨، ص ٤١.

عند جماهير الخلف والسلف، وهذا في معنى التواتر؛ لكن من الناس من يسميه المشهور والمستفيض، ويقسمون الخبر إلى متواتر ومشهور وخبر واحد، وإذا كان كذلك فأكثر متون الصحيحين معلومة متقنة تلقاها أهل العلم بالحديث بالقبول والتصديق وأجمعوا على صحتها، وإجماعهم معصوم من الخطأ.

كما أن إجماع الفقهاء على الأحكام معصوم من الخطأ، ولو أجمع الفقهاء على حكم كان إجماعهم حجة وإن كان مستند أحدهم خبر واحد أو قياس أو عموم، فكذلك أهل العلم بالحديث إذا أجمعوا على صحة خبر أفاد العلم، وإن كان الواحد منهم يجوز عليه الخطأ؛ لكن إجماعهم معصوم من الخطأ.

ثم هذه الأحاديث التي أجمعوا على صحتها قد تتواتر وتستفيض عند بعضهم دون بعض. وقد يحصل العلم بصدقها لبعضهم لعلمه بصفات المخبرين، وما اقترن بالخبر من القرائن التي تفيد العلم، كمن سمع خبراً من الصديق أو الفاروق يرويه بين المهاجرين والأنصار، وقد كانوا شهدوا منه ما شهد. وهم مصدقون له في ذلك، وهم مقرون له على ذلك، وقوله: «إنما الأعمال بالنيات»[1] هو مما تلقاه أهل العلم بالقبول والتصديق وليس هو في أصله متواتراً؛ بل هو من غرائب الصحيح. لكن لما تلقوه بالقبول والتصديق صار مقطوعاً بصحته»[2].

وبهذا يتأكد أن الحديث الصحيح يفيد علماً يقينياً بنفسه، وإنما هذه القرائن المتصلة زيادة في تعريف الحديث الصحيح وبيان قبوله عند متلقيه من أئمة الإسلام الذين يعتقدون صحة أحاديث رسول الله ﷺ وإنه لا يستقيم أمر هذا الدين إلا بتضافر مصدر التشريع الثاني وهو سنة المصطفى ﷺ إلى جانب كتاب الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وإن السنة مكملة ومبينة،

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب بدء الوحي، باب كيف بدء الوحي، ج١، ص ٩.

؛ صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ إنما الأعمال بالنيات ج ١٣، ص ٥٣.

(٢) فتاوى ابن تيمية، ج١٨، ص ٤٨، ٤٩.

ولا غنى عنها لمن أراد أن يلقى الله وقد صحت عقيدته واتضحت طريقته.

أما القرائن المنفصلة:

وهي أمور خارجة، غير ملازمة للخبر دائماً بل تقترن به أحيانا أو تحدث معه، فيعرف بها صدق الناقل وصحة خبره. وهذا النوع هو الذي قصده أكثر المتكلمين الذين اشترطوا في إفادة العلم القرائن غير اللازمة، كالآمدي والغزالي[1] والرازي وابن الحاجب وغيرهم.

وقد مثلوا للقرائن المنفصلة بمن أخبر عن عطشه أو مرضه ورئيت عليه علامات ذلك ظاهرة، من يبس شفتيه أو تغير لونه، أو حرارة جسمه، أو نحو ذلك مما يقوي صحة خبره.

وكذا لو أخبر بما عليه فيه ضرر، ولكن حملته خشية الله والخوف من عذابه على الإقرار بما فعله لقصد التطهير؛ كمن أخبر بأنه ارتكب ذنباً يوجب حداً أو قوداً، وليس هنا ما يلجئه إلى الإقرار، وقد عرفت منه محبته للحياة، ورغد عيشه، وأخبر بذلك طوعاً واختياراً. وهكذا من أقر بدين عنده له وقع في النفس، بدون بينة من صاحب الحق، وبدون أن يطلب منه يمين، وبلا تهديد أو تعزير.

وكما لو أقر عند المفتي بطلاق أو عقد، أو بأنه وقع منه خلل في صلاته أو صومه، أو نحو ذلك، وطلب بيان الحكم، فإن المفتي يصدّق خبره في كل ذلك، إلى أمثال هذه الصور مما هو كثير.

وأنت تعرف أن هذه القرائن تقوي صدق الخبر أياً كان نوع المخبر، بدون

---

(١) أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الغزالي صاحب التصانيف، والذكاء المفرط، ولد بطوس ورحل إلى نيسابور، مهر في الكلام والجدل، وألف كتاب الإحياء والأربعين، كان إماماً للصوفية وكان خاتمة أمره إقباله على طلب الحديث ومطالعة الصحيحين، له كتاب تهافت الفلاسفة قال الذهبي: فأما كتاب المظنون به على غير أهله «فمعاذ الله أن يكون له» توفي سنة ٥٠٥هـ، سير أعلام النبلاء ج ١٩، ص ٣٢٢ وتبيين كذب المفترى فيما نسب للأشعري، دار الفكر، دمشق - لأبي القاسم على بن الحسن ابن عساكر. ط ٢، سنة ١٣٩٩هـ. ص ٢٩١.

أن يشترط له ما تقدم من الشروط كالضبط والعدالة..

ثم أن نفس القرائن قد تكون قاصرة عن إفادة العلم، فإذا انضاف إليها خبر من شخص لا يوثق بخبره. كانت موافقته له دليل صدقه، فيحصل العلم بخبره وبالقرائن معاً، فإن حصل العلم بالقرائن كان خبره زيادة فضل.

وإذاً فخبر الثقة العدل يفيد العلم في بعض الأمور لبعض الأشخاص، وقد يقصر عن ذلك فيتقوى ببعض القرائن، وقد تحصل القرائن لبعض السامعين دون بعض، كمن لو أخبر شخص زيداً وعمراً بأن خالداً قد مات، وكان عمرو قد علمه مريضاً ميئوس منه، وزيد قد عهده لا بأس به، فإن خبر المخبر يحصل العلم لعمرو دون زيد»[١].

«وممن اختار هذا القول إمام الحرمين[٢] والبيضاوي[٣] والشيخ أبو يحيى زكريا الأنصاري[٤] الشافعي وغيرهم ومثلوا له بأمثلة:

منها: أنه لو أخبر واحد بموت ولد الملك المشرف على الموت، وانضم إلى ذلك إحضار الكفن والنعش، وخروج الجنازة مع الصراخ وخروج المخدرات على حالة منكرة مع تغير حال الملك عما كان من عادته من التزام الهيئة،

---

(١) خبر الآحاد للشيخ عبد الله الجبرين. ص ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، وانظر: تيسير التحرير لمحمد أمين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٥٠هـ، ج ٣، ص ٧٦.

(٢) عبد الملك بن يوسف الجويني أبو المعالي إمام الحرمين، درس وأفتى بهما، وجاور بمكة في ثم عاد إلى نيسابور ودرس، متكلم أصولي ألف البرهان والورقات توفي سنة ٥٤٥هـ. تبيين كذب المفتري فيما نسب للأشعري لابن عساكر، ص ٢٧٨.

(٣) القاضي، محمد بن أحمد ابن العباس البيضاوي الفارسي الشافعي، عالم بالفقه له كتاب الأدلة في تعليل مسائل التبصرة توفي سنة ٤٦٧هـ. طبقات فقهاء الشافعية لابن الصلاح، حققه محي الدين نجيب، دار البشائر الإسلامية ١٤١٣هـ ج ١. ص ٩١.

(٤) زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري الشافعي أبو يحيى. قاض مفسر من حفاظ الحديث ولد وسكن مصر وكف بصره. تولى القضاء. له تصانيف منها فتح الرحمن في التفسير وتحفة الباري على صحيح البخاري، توفي سنة ٩٢٦هـ الأعلام للزركلي، در العلم للملايين بيروت ج ٣، الطبعة السادسة ١٩٨٤، ص ٤٦.

والمحافظة على أسباب المروءة، فإن كل عاقل سمع مثل هذا الخبر، وشاهد هذه القرائن، يحصل له العلم بصدق مخبره، كما يحصل له العلم بصدق خبر التواتر.

ومنها: إذا أخبر واحد، مع كمال عقله، وحسه بحياة نفسه وكراهيته للألم، وهو في أرغد عيش، نافذ الأمر، قائم الجاه، أنه قتل من يكافئه عمداً عدواناً بآلة يقتل مثلها غالباً، ومن غير شبهة له في قتله، ولا مانع له من القصاص، كان خبره مع هذه القرائن موجباً بصدقه عادة.

ومنها: أنه إذا كان بجوار إنسان امرأة حامل وقد انتهت مدة حملها، فسمع الطلق من وراء الجدار، وضجة النسوان حول تلك الحامل، ثم سمع صراخ الطفل، وخرج نسوة يقلن إنها قد ولدت، فإنه لا يستريب في ذلك، ويحصل له العلم بها قطعاً»[1].

إن هذه القرائن والتي قد تفيد بنفسها علماً وخبراً، لم تكن همّاً لجامعي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم قد طرقوا أبواباً وسبلاً لمعرفة صحة الحديث وأحوال رواته، وإنما هذه القرائن قد تفيد في أمور الحياة وتحقيق القضاة وما شابهها. أما طرق التأكد من صحة الحديث فهي معلومة في كتب علوم الحديث عند علماء الأمة الإسلامية. «وأنت تعرف أن هذه القرائن تقوي صدق الخبر أياً كان نوع الخبر، بدون أن يشترط له ما تقدم من الشروط كالضبط والعدالة..»[2].

---

(١) خبر الواحد وحجيته، د. أحمد الشنقيطي. مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية ١٤١٣هـ، ص ١٠٣، وانظر الإحكام للآمدي مؤسسة الحلبي القاهرة، دار الاتحاد للطباعة ١٣٨٧هـ، ج٢، ص ٣٧.

(٢) خبر الآحاد، للشيخ عبد الله الجبرين، ص١٠.





الفصل الرابع

الشبهات التي يثيرها منكرو حجية خبر الآحاد والردّ عليها

وفيه:

- تمهيد
- المدرسة العقلية ومنهجها في قبول السنة.
- ردّ السنة ردٌّ لكلام الرحمن.
- أدلة وشبه منكري حجية خبر الآحاد مطلقاً والردّ عليها.

تمهيد

تقدم فيما سبق القول بأن هناك فرقاً إسلامية طعنت في صحة الحديث؛ أما لجرحهم أهل الإسناد كالشيعة والخوارج، وكلاهما كفّرا أصحاب رسول الله ﷺ إلا ما ندر وهم قليل، وأما لقولهم بتعارض النص مع العقل فيجب تقديم العقل كالمعتزلة والمتكلمون عامة.

قال ابن تيميه «قال قوم من أهل البدع من الروافض، ومن المعتزلة: لا يجوز العمل بخبر الواحد»[١] وقال ابن حزم: «أنه قد صح إجماع الأمة كلها على قبول خبر الواحد الثقة عن النبي ﷺ وأن جميع أهل الإسلام كانوا على قبول خبر الواحد الثقة عن النبي ﷺ يجري على ذلك كل فرقة في عملها.. حتى حدث متكلموا المعتزلة بعد المائة من التاريخ فخالفوا الإجماع في ذلك»[٢].

وقال ابن القيم: «وطائفة ثالثة قالت: نقبل من الأخبار عن رسول الله ﷺ متواترها ونرد آحادها، سواء كان يقتضي علماً أو عملاً. وقد ناظر الشافعي بعض أهل زمانه في ذلك؛ فأبطل الشافعي قوله وأقام عليه الحجة، وعقد في الرسالة باباً أطال فيه الكلام في تثبيت خبر الواحد ولزوم الحجة به، وخروج من رده عن طاعة الله ورسوله، ولم يفرق هو ولا أحد من أهل الحديث البتة بين أحاديث الأحكام وأحاديث الصفات، ولا يعرف هذا الفرق عن أحد من الصحابة ولا عن أحد من التابعين، ولا من تابعيهم ولا عن احد من أئمة الإسلام، وإنما يعرف عن رؤوس أهل البدع ومن تبعهم»[٣].

---

(١) المسوّدة لابن تيمية ص ٢٣٨.

(٢) الإحكام في مسائل الأحكام لابن حزم، ص ١٥٦.

(٣) مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم، ص ٥٢٥.

وقال الإمام النووي: «وأما خبر الواحد فهو ما لم يوجد فيه شروط المتواتر سواء كان الراوي له واحداً أو أكثر، واختلف في حكمه فالذي عليه جماهير المسلمين من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من المحدثين والفقهاء وأصحاب الأصول أن خبر الواحد الثقة حجة من حجج الشرع.. وذهبت القدرية والرافضة وبعض أهل الظاهر إلى أنه لا يجب العمل به»[1].

قال ابن عقيل: «أخبار الآحاد إذا جاءت بما ظاهره التشبيه.. هل يجب ردها رأساً أم يجب قبولها؟.. أختلف الأصوليون في ذلك على مذاهب.. والمذهب الثاني: رد الأخبار صفحاً، واتهموا رواتها إما بالوضع أو بعدم الضبط...»[2].

«ويجوز العمل بخبر الواحد الذي فيه الصفات المعتبرة شرعاً، وهو قول عامة الفقهاء وجمهور المتكلمين، وقال قوم من أهل البدعة من الروافض ومن المعتزلة، ـ ذكره الجويني ـ لا يجوز العمل به، واختلف نفاة العمل بخبر الواحد شرعاً: هل يجوز التعبد به عقلاً؟ على مذهبين، ومن أجازه عقلاً اختلفوا: هل ورد الشرع بما يمنع العمل به أو لم يرد فيه ما يوجب العمل به على مذهبين حكى الكل الجويني»[3].

المدرسة العقلية ومنهجها في قبول السنة

سبقت مدرسة الاعتزال إلى وضع معايير لقبول أو رد السنة وذلك لموافقة أصولهم العقلية «فكان الخياط ـ أبو الحسين المعتزلي القدري (ت ٣٠٠هـ) مع ضلالته في القدر وفي المعدومات منكراً الحجة في أخبار الآحاد، وما أراد بإنكاره إلا إنكار أكثر أحكام الشريعة، فإن أكثر فروض الفقه مبنية على أخبار الآحاد. وقد أدى به إنكار الحجية في أخبار الآحاد إلى تأليف كتاب «الرد على من أثبت خبر الواحد»[4].

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي، ج ١، ص ١٣١.

(٢) المسوّدة لابن تيمية، ص ٢٤٨، ٢٤٩.

(٣) المسوّدة لابن تيمية، ص ٢٣٨.

(٤) الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي، تحقيق محمد عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، ص ١٨٠.

وإذا كان هؤلاء ممن ينكر خبر الآحاد جملة، فإن هناك من ينكر حجيتها في الاعتقاد وسيأتي بسط القول في هذا في الفصل القادم إن شاء الله وهم الذين يفرقون بين عدم حجيتها في الاعتقاد وقبول حجيتها في الأعمال، وهم الظنيّون!.

وإذا كان أولئك المنكرون حجية الآحاد قديماً، فإن خلفهم حديثاً ماضون على نفس الطريق وهو إنكار حجية الآحاد، فاتحين ثغرات التشكيك والطعن في السنة النبوية لأهل الأهواء من المستشرقين وتلامذتهم ممن يدّعي الإسلام وتلك رزية كبرى ومجاهرة بالمعصية لمن علّمنا إقرأ.

إنهم أصحاب المدرسة العقلية الحديثة، «وما من قطر إسلامي إلا ويوجد فيه من يقف من السنة هذا الموقف، وإن كانوا قلة، فهم أما ينكرونها أصلاً، أو ينكرون الآحاد منها خاصة، إما كلية، وإما يجوزون التعبد بها عقلاً، وينكرونها سمعاً، مدعين أنها غير واقعة شرعاً.. في هذا العصر عصر الفتنة والانبهار بالثقافة الغربية والانقياد لما يراه العقل. إذ الثقافة المعاصرة المحشوة بألغام الفكر الشيوعي وألغام الفكر الرأسمالي الغربي وهي ثقافة مادية محضة أثارت شبهات عقلية لدى المنبهرين بها فحركت في نفوسهم الميل إلى معاداة السنة وردّها أو ردّ الآحاد محتكمة إلى العقل وحده»[1].

ولقد انبرى لهؤلاء وأمثالهم علماء السنة في هذا العصر وبينوا زيف أقوالهم وضعف حججهم، وتهافت طعونهم، فكانت ردودهم سدوداً حصينة، ومتاريس منيعة، وفقهم الله للدفاع عن سنة نبيه ﷺ، ولا ريب فقد وصفهم بالورثة فكانوا أهلاً للخلافة وحفاظاً للأمانة، صواعقاً مرسلة على الجهمية والمعطلة، وجيوشاً إسلامية مجتمعة لغزو الجهمية والمعطلة، ثم أصبحت اليوم شهباً ونيازكاً للدفاع عن السنة ومثاله ما ألَّفه الشيخ الدكتور محمد أبو شهبة رحمه الله، والذي ردّ على صاحب كتاب أضواء على السنة المحمدية فقال: «وجدت مؤلفه تلقف فيه كل ما قاله الأقدمون والمحدثون من طعون في الأحاديث، ورجالها، وما قاله المستشرقون والمبشرون وأذنابهم، وحرص أشد الحرص على أن يظهر السنة

---

(١) خبر الواحد في التشريع الإسلامي للقاضي برهون، ص ٤١١، ٤١٢.

بمظهر الاختلاف والتناقض، والتحريف والتبديل، والسذاجة والتخريف، وفي سبيل هذا الغرض زيف الصحيح، وصحح المختلق المكذوب، وقد رأيت أن الرد على هذا الكتاب يعتبر رداً لكل ما أثير حول السنة من طعون ولغط فمن ثم سميته دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتّاب المعاصرين»[1].

ثم أتبع رده على صاحب كتاب أضواء على السنة المحمدية، والذي انتصر فيه على افتراءاته على حملة حديث رسول الله ﷺ وطعنه في الصحيح من حديثه، فأورد شبة المستشرقين والعقلانيين من أبناء هذه الأمة ثم ردّ عليها، وكذلك من أنكر حجية السنة قديماً وحديثاً. والرد على من أنكر حجية أحاديث بعينها بعقله كحديث الإسراء والمعراج. ثم انتهى أخيرا بقوله: «إن من أعجب العجب أن كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ لا يزالان من القوة والثبات والحقّية والصلابة التي تكسّرت عليها شبه الملبسين وأباطيل المبطلين وتأويلات الجاهلين، كما كانا منذ أربعة عشر قرنا، لم يعترهما شيء من الضعف أو الوهن، أو الرخاوة، وذلك لأن القرآن حق نزل من عند الله الحق، والسنة النبوية حق أوحى بها الله الحق، والرسول الذي جاء بهما من عند الله حق ومحال في منطق العقل والشرع أن يتخلى الله الحق عن رسوله الحق، وعن كتابه الحق، وعن سنة نبيه ﷺ الحقة، وقد لاحظ ذلك أحد المستشرقين الإيطاليين.. فقال: لقد مرّ على القرآن بضعة عشر قرناً ولا يزال غضاً طرياً كأن عهده بالحياة أمس وهي كلمة حق، وشهادة صدق ألقاها الله على لسان رجل باحث غير مسلم»[2].

وقد تابعه في نفس الكتاب الدكتور عبد الغني عبد الخالق جامعاً شهبه لرد شبه القوم العقلانيين فقال: «قد تبين لك مما تقدم أن حجية السنة ضرورية دينية. وتبين لك أدلة حجيتها بأجلى بيان؛ بحيث لا يبقى معه في قلب مؤمن شبهة أو شك.

---

(١) دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين لأبي شهبة وعبد الغني عبدالخالق ص ٩.

(٢) دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين لأبي شهبة وعبد الغني عبدالخالق ص ٣٨٣، ٣٨٤.

غير أن بعض من تظاهر بالإسلام والمحافظة عليه، وتطهيره مما طرأ عليه من تغيير وتبديل يورد لضعاف العقول من المسلمين شبهاً يبطل بها حجية السنة.

إن ممن تأثر بهذه الشبه الدكتور.. ولو أننا ضربنا صفحاً عن حكاية هذه الشبه، وبيان فسادها لكان منا ذلك رأياً متيناً، ومذهباً صحيحاً. إذ الإعراض عن القول المطّرح أحرى لإماتته وإخمال ذكر قائله، وأجدر أن لا يكون ذلك تنبيهاً للجهال عليه. غير أنا لما تخوفنا شرور العواقب، واغترار الجهلة بمحدثات الأمور.. رأينا الكشف عن فساد هذه الشبه، وردّ هذه الأقوال بقدر ما يليق بها من الرد أجدى على الأنام، وأحمد للعاقبة إن شاء الله»(١).

إن جند الله المدافعين عن دينه والحاملين راية سنة نبيه ﷺ لم يخل منهم زمن ولم تضق بهم أرض، فهم خلف عدول شجىً لكل منتحل جهول ممن ضاق بسنة الرسول ﷺ.

فكان من هذه الكوكبة المباركة بإذن ربهم ومولاهم: الدكتور الشيخ مصطفى السباعي في كتابه القيّم السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي حيث قال: «ولقد تعرضت السنة في القديم لهجمات بعض الفرق الإسلامية الخارجة على سنن الحق بشبهات طارئة ولم نجد في نفوس أتباعها ما يدفعها، كما تعرضت في العصر الحاضر لهجمات بعض المستشرقين المتعصبين من دعاة التبشير والاستعمار، ابتغاء الفتنة وابتغاء هدم هذا الركن المتين من أركان التشريع الإسلامي الوارف الظلال وتابعهم على ذلك بعض المؤلفين من أبناء أمتنا، اغتراراً بما يضفيه أولئك المستشرقون على بحوثهم من زخارف علمية لا تثبت أمام النقد العلمي النزيه أو اندفاعاً وراء ميول نفسيه وشبهات فكرية لم يحاولوا تمحيصها على ضوء ما بين أيديهم من تراث السلف وبحوث العلماء الراسخين، فصادف رأيُ المستشرقين في السنة هوى كامناً في نفوس هؤلاء، فضربوا على الوتر، وغنّوا بذلك الحداء.

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً خالياً فتمكنا»(٢)

---

(١) المصدر السابق، ص ٣٩٦.

(٢) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي د. مصطفى السباعي، المقدمة ي، ك.

وإن كتّاب مجلة المنار[1] وصاحب كتاب أضواء على السنة المحمدية أو صاحب كتاب فجر الإسلام وغيرهم ممن كان على شاكلتهم في هذا العصر وممن سيلحق بهم، والذين أنكروا حجية السنة كما فعل الأول أو طعنوا في رواتها كما فعل الثاني أو شككوا في صحتها كما فعل الثالث أو أنكروا حجية الآحاد كما يفعل الكثير اليوم، وجميع أولئك كانت لهم شبه، بل وتأصيلات ظنّوها الحق، فرد عليها أصحاب الحق بما أنار الحجة وأبان المحجة بإذن الله.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[2] قال السيوطي رحمه الله في تفسيره: «جندنا أي المؤمنين من أتباع الأنبياء»[3].

ويقول صاحب تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل للشيخ محمد الغزالي رحمه الله: «وعندما ألفت كتابي الأخير: السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث، لقيت العنت من ناس لا يعرفون إلا رأي ابن الصلاح في القضية المطروحة، أما العراقي مثلاً وغيره كالنووي؛ وسائر المحققين فلم يمر بهم!!.. - ويقصد بذلك حجية خبر الآحاد وأن الصحيحين يفيدان اليقين بما فيهما.

قال الباحث[4] سبق أن أجيب عن قول النووي وابن عبد البر في الفصل السابق وأن الجمهور مع الشيخ ابن الصلاح كما ذكر ذلك السيوطي وابن حجر وكذلك أئمة الإسلام الأربعة وغيرهم.

ثم يقول الشيخ الغزالي: ويرى ابن الصلاح أن الأمة حيث تلقتهما بالقبول،

---

(١) ومنهم الدكتور محمد توفيق صدقي الذي نشر شبهته في مجلة المنار تحت عنوان «الإسلام هو القرآن وحده» ظناً منه أنه بذلك يخدم دينه ويدافع عنه.دفاع عن السنة لأبي شهبة ود. عبد الخالق، ص ٣٩٦.

(٢) سورة الصافات آية: ١٧١، ١٧٢، ١٧٣.

(٣) القرآن الكريم مع تفسير «بيان أساب النزول، للسيوطي»، مؤسسة الإيمان، بيروت. ص ٤٥٢.

(٤) انظر البحث ص ١١٧.

فكأن هذا إجماع على صحتهما، وإن كل ما فيهما صحيح سنداً ومتناً.

ولكن الجمهور لا يرون أن الأمة قد اتفقت على صحة هذين الكتابين، بل الاتفاق إنما وقع على جواز العمل بما فيهما، وذلك لا ينافي أن يكون ما فيهما ثابتاً بطريق غلبة الظن، لا القطع، فإن الله لم يكلفنا بدرجة القطع في تفاصيل الأحكام العملية. يتضح مما سبق، أن الحديث يعرض على معايير النقد حتى لو كان صحيح السند بل الحديث الصحيح الآحادي ليس مقطوعاً بصحته سواء كان في الصحيحين أو غيرهما.

ـ ثم يستشهد الشيخ بأقوال علماء من أصحاب المدرسة العقلية ـ فيقول: وبهذا أخذ الإمام محمد عبده والشيخ محمود شلتوت وغيرهم.

فيقول المرحوم محمد عبده «القرآن الكريم هو الدليل الوحيد الذي يعتمد عليه الإسلام في دعوته أما ما عداه مما ورد في الأحاديث سواء صح سندها أو اشتهر أم ضعف، فليس مما يوجب القطع.

كما ذكر الشيخ شلتوت في كتابه الإسلام عقيدة وشريعة، قوله: إن الظنّ يلحق السنة من جهة الورود ـ السند ـ ومن جهة الدلالة ـ المعنى ـ كالشبهة في اتصاله والاحتمال في دلالته.

ومما سبق يتضح أن الإيجاب والتحريم لا يثبتان إلا بالدليل اليقيني القطعي الثبوت والدلالة، وهذا بالنسبة للسنة لا يتحقق إلا بالأحاديث المتواترة، وحيث إنها تكاد تكون غير معلومة لعدم اتفاق العلماء عليها، فإن السنة لا تستقل بإثبات الإيجاب والتحريم.. وعلى هذا فمن أنكر استقلال السنة بإثبات الإيجاب والتحريم فهو منكر لشيء اختلف فيه الأئمة..

والفتوى التي نقلناها تشير بشيء من الإجمال إلى رأي الأزهر في ضرورة التعويل على القرآن أولاً وإلى أن العقائد لا تستقل بإثباتها أخبار الآحاد»[1].

---

(١) تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل للشيخ محمد الغزالي، دار الشروق، بيروت ١٤١١هـ، ص ١٥٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٧، ١٧٩، ١٨١.

وحيث إن هذا الفكر العقلاني قد سيطر في هذا العصر على منهج قبول النص أو التعامل معه بحسب التأثر بذلك الفكر؛ وعلى هذا فإنه من الواجب تعريف هذه المدرسة.

«فالمدرسة العقلية اسم يطلق على ذلك التوجه الفكري الذي يسعى إلى التوفيق بين نصوص الشرع وبين الحضارة الغربية والفكر الغربي المعاصر، وذلك بتطويع النصوص وتأويلها تأويلاً جديداً يتلاءم مع المفاهيم المستقرة لدى الغربيين، مع انفجار المعلومات والاكتشافات الصناعية الهائلة في هذا العصر، وتتفاوت رموز تلك المدرسة تفاوتاً كبيراً في موقفها من النص الشرعي، ولكنها تشترك في الإسراف في تأويل النصوص، سواء كانت نصوص العقيدة، أو نصوص الأحكام، أو الأخبار المحضة، وفي رد ما يستعصي من تلك النصوص على التأويل ـ فكان من ـ أبرز معالم المدرسة العقلية المعاصرة:

رد السنة النبوية كلياً أو جزئياً، فمنهم من يردها مطلقاً ومنهم من يقبل المتواتر العملي فقط ومنهم من يقبل المتواتر مطلقاً عملياً كان أو قولياً.

أما حديث الآحاد ـ والمقصود بحديث الآحاد ما لم يبلغ حد التواتر كأن يروى من طريق واحد أو من طريقين فقط أو ما أشبه ذلك دون أن يصل إلى حد التواتر ـ فقد يقبلون منه ما يتوافق مع روح القرآن، وما يتفق مع العقل، أو التجربة البشرية، وقد ردّها بعضهم مطلقاً، فلا يقبل منها شيئاً..»[١].

ومن ثم ـ تناول الأحكام الشرعية العملية تناولاً يستجيب لضغوط الواقع ومتطلباته، وذلك كقضايا الربا، إضافة إلى قضايا حرية الفكر، وقضايا المرأة والحجاب، وتوليها سائر المناصب، وضغوط القوانين العالمية في شأن المرأة، ..»[٢].

---

(١) وقفات مع كتاب السنة النبوية بين أهل الفقه والحديث - سلمان بن فهد العودة، ١٤٠٩، ص ٩، ١٠.

(٢) نفس المصدر، ص ٢٣، ٢٤.

ردّ السنة ردّ لكلام الرحمن

عجيب أمر أولئك الرادّون سنة نبيهم قديماً وحديثاً وفي قادم الأيام والدهور، وكأنه لم يبق أمر فيه نصرة للإسلام.. إلا ما أقدموا عليه بردهم وتأويلهم أو أخذهم ببعضها وتركهم للبعض من هذه السنة المباركة. بل إن تُرك الحبلُ على الغارب فلن يمضي زمان حتى يظن أولئك أن السنة قد هجرت وأن المحجة قد اندثرت.

ولكن هيهات هيهات فإن المولى عز وجل قد حفظ كتابه، والذي أمرنا فيه بطاعة نبيه ﷺ والأخذ بما أمر به والانتهاء عما نهى عنه فقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[1] قال ابن كثير رحمه الله: «أي مهما أمركم به فافعلوه ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه فإنه يأمر بخير أو ينهى عن شر.. وقال الإمام أحمد.. عن عبد الله بن مسعود قال: لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله عز وجل، قال فبلغ امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب فجاءت إليه فقالت بلغني أنك قلت كيت وكيت، قال مالي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ وفي كتاب الله تعالى، فقالت إني لأقرأ ما بين لوحيه فما وجدته، فقال إن كنت قرأتية فقد وجدتيه، أما قرأت ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ قالت بلى! قال فإن رسول الله ﷺ نهى عنه[2]»[3].

فهل نسي أولئك أم تناسوا أن السنة المطهرة هي المصدر الثاني للتشريع، بل إن هذا هو اعتقاد أهل السنة والجماعة منذ عهد السلف.

قال ابن القيم رحمه الله: «إن سنة النبي ﷺ وقوله الثابت الصحيح أولى وأفضل من قول الصحابي أو المجتهد قال الشافعي رحمه الله: أجمع المسلمون على أن من

(١) سورة الحشر آية: ٧.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب اللباس، ج ١٠، ص ٣٧٢.
؛ مسند الإمام أحمد ج١ ص ٤٠٩، ٤٢٠، ٤٣٤، ٤٤٣، ٤٦٥.

(٣) تفسير ابن كثير ج ٤، انظر ص ٢٩٤، ٢٩٥.

استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يحل له أن يدعها بقول أحد»[1].

وقال رحمه الله: «سنة النبي ﷺ أحق أن تتبع ويترك ما خالفها لأجلها ولا تترك هي لأجل قول أحد كائناً من كان ولو تركت السنن لخلاف من خالفها لعدم بلوغها له أو لتأويلها أو غير ذلك. لتركت سنن كثيرة جداً وتركت الحجة إلى غيرها وترك قول من يجب اتباعه إلى قول من لا يجب اتباعه وقول المعصوم إلى قول غير المعصوم، وهذه بلية، نسأل الله العافية منها، وأن لا نلقاه بها يوم القيامة»[2]وقد وقع ما كان يخشاه الشيخ ابن القيم في هذا العصر، حيث يقول الدكتور محمد حسين الذهبي: «ثم راح الشيخ محمد عبده ـ رحمه الله ـ يردّ ما جاء من الروايات في سحر الرسول ﷺ، من خلال إنكاره لبعض الأحاديث الصحيحة. ثم إن الحديث رواية البخاري وغيره من كتب الصحيح، ولكن الأستاذ الإمام ومن على طريقته لا يفرقون بين رواية البخاري وغيره فلا مانع عندهم من عدم صحة ما يرويه البخاري، كما أنه لو صح في نظرهم فهو لا يعدو أن يكون خبر آحاد لا يثبت به إلا الظنّ، وهذا في نظرنا هدم للجانب الأكبر من السنة التي هي بالنسبة للكتاب في منزلة المبين من المبُين، وقد قالوا: إن البيان يلتحق بالمبين، وليس هذا الحديث وحده هو الذي يضعفه الشيخ، أو يتخلص منه بأنه رواية آحاد، بل هناك كثرة من الأحاديث نالها هذا الحكم القاسي»[3].

وصدق الشيخ الذهبي رحمه الله حين قال بقسوة حكم من ردّ حديث رسول الله ﷺ.

---

(١) أعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم، تحقيق طه عبد الرؤوف، دار الجيل، بيروت، ط ٥، ١٤٠٧هـ، ج ٥، ص ٥٦٤.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعبد القادر، مؤسسة الرسالة، بيروت ط ١٥، ١٤٠٧هـ، ج ٥، ٥٦٤.

(٣) التفسير والمفسرون، د. محمد حسين الذهبي، دار الكتب الحديثة، مصر الطبعة الثانية، ١٣٩٦هـ ج ٢، ص ٥٧٥.

أدلة وشبه منكري حجية خبر الآحاد مطلقا

إن الذين أنكروا حجية خبر الآحاد مطلقاً، كان منطلقهم واعتمادهم الرئيسي هو نفس شبهة أهل الظنّ الذين قالوا إن خبر الآحاد لا يفيد إلا الظنّ، ومن ثم فإنه يعتمد عليه في الأعمال دون العقائد وعلم الغيب. أما هؤلاء فقد أنكروا حجية خبر الآحاد مطلقاً بحجج منها:

أولاً: قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾[1] وقال تعالى: «﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾[2] وطريق الآحاد طريق ظنّي لاحتمال الخطأ والنسيان على الراوي وما كان كذلك فليس بقطعي فلا يفيد الاستدلال»[3].

ويجاب على هذه الشبهة بأن هذه الآيات وغيرها قد تضمنت النهي عن القول على الله في دينه بلا علم، وعن اتباع الإنسان ما ليس له به علم، والنهي عن التعبد بموجب الظن وما تهواه النفس، وأخبر أن هذا الظن ليس من الحق في شيء. ومازال المسلمون في كل زمان ومكان يفتون بموجب هذه النصوص وإن كانت أحاداً، ويحلون بها أشياء ويحرمون أشياء، ويعاقبون على تركها، ولو كانت إنما تفيد الظنّ عندهم لدخلوا تحت قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾[4].

قال أبو محمد: «وهذه الآية حجة لنا عليهم في هذه المسألة، لأنا لم نقف ما ليس لنا به علم، بل ما قد وضح لنا به العلم، وقام البرهان على وجوب قبوله، وصح العلم بلزوم اتباعه والعمل به، فسقط اعتراضهم بهذه الآية، والحمد لله رب العالمين»[5]. «فالقائلون بأن أحاديث الآحاد ظنيّة ويجب العمل بها يلزمهم

---

(١) سورة الإسراء: ٣٦.

(٢) سورة يونس: ٣٦.

(٣) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ص ١٦٨.

(٤) سورة النحل: ١١٦.

(٥) الإحكام في أصول الأحكام، لابن حزم، ج ١، ص ١٥٧.

القول بأن الله أمر بما نهى عنه، وما ذمه في هذه الآيات، حيث أوجب أن نحكم في دينه وشرعه بأدلة متوهمة، وقد نهانا عن التخرص في الدين، وأخبر أنه خلاف الهدى الذي جاءهم من ربهم، وإذاً فلا فرق بين أهل الظنّ وبين أولئك المشركين الذين قال الله فيهم ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾[1][2].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ أي لا تتبعه ولا تعمل به، ولم يزل المسلمون من عهد الصحابة يقفون أخبار الآحاد ويعملون بها ويثبتون لله تعالى بها الصفات، فلو كانت لا تفيد علماً لكان الصحابة والتابعون وتابعوهم وأئمة الإسلام كلهم قد قفوا ما ليس لهم به علم»[3].

فأما الآيات التي ورد فيها النهي عن الأخذ بالظنّ، والتي سارع أولئك الظّانّون بالله غير الحق باعتبارها دليلهم الناصع لرد حديث الآحاد، ولو ردوا علمها إلى الله ورسوله لكان خيراً لهم، فما من آية ورد فيها النهي إلا وقد أتت في سياق خطاب للمشركين أو الكافرين، وهنا يقول ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهلّا أفردتم الرب جل جلاله المالك الحاكم الهادي من الضلالة بالعبادة وحده وأخلصتم إليه الدعوى والإنابة؟ ثم بين تعالى أنهم لا يتبعون في دينهم هذا دليلاً ولا برهاناً وإنما هو ظنّ منهم أي توهم وتخيل، وذلك لا يغني عنهم شيئاً .﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ تهديد لهم ووعيد شديد لأنه تعالى أخبر أنه سيجازيهم على ذلك أتم الجزاء»[4].

وعلى هذا فإن الظنّ المذموم في هذه الآية ومثيلاتها هو ذلك الظنّ المرجوح الباطل الذي ذمّه الله سبحانه وهو خاص بالمشركين.

قال أبو المظفر السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا صح الخبر عن رسول الله ﷺ ورواه الثقات والأئمة، وأسنده خلفهم عن سلفهم إلى النبي ﷺ، وتلقته الأمة بالقبول،

---

(١) سورة الأنعام: ١٤٨.

(٢) أخبار الآحاد في الحديث النبوي، للشيخ عبد الله الجبرين، ص ٩٤.

(٣) الصواعق المرسلة لابن القيم، ص ٤٩٧.

(٤) تفسير ابن كثير، ج٢، ص ٣٦٠.

فإنه يوجب العلم فيما سبيله العلم، هذا قول عامة أهل الحديث والمتقنين من القائمين على السنة، وأما هذا القول الذي يذكر أن خبر الواحد لا يفيد العلم بحال فلا بد من نقله بطريق التواتر لوقوع العلم به حتى أخبر عنه القدرية والمعتزلة، وكان قصدهم منه رد الأخبار، وتلقفه منهم بعض الفقهاء الذين لم يكن لهم في العلم قدم ثابت، ولم يقفوا على مقصودهم من هذا القول، ولو أنصف أهل الفرق من الأمة لأقروا بأن خبر الواحد موجب للعلم»[(١)].

وقد عاد القائلون بظنية خبر الآحاد وأنه لا يحتج به في أصول الدين وإنما يفيد الاحتجاج به في الأعمال، فقالوا: «إن ذلك في أصول الدين وقواعده العامة كما ذكرنا، وأما في فروع الدين وجزيئاته فالعمل بالظن غالباً، ألا ترى أن الأفهام تختلف في نصوص القرآن..

ـ وقد ردّ عليهم بحجة الإجماع أيضاً ـ فإن حجية خبر الآحاد ليست ظنّية بل هي مقطوع بها لانعقاد الإجماع على ذلك بين العلماء منذ عصر الصحابة فمن بعدهم ـ ولا يضر دعوى الإجماع مخالفة هؤلاء فإنه خلاف لا يعتد به ـ فلا يكون العمل بها دليلا ظنياً بل بدليل مقطوع به مفيد للعلم بذلك وهو الإجماع»[(٢)].

ثانياً: «لو جاز العمل بخبر الواحد في الفروع لجاز في الأصول والعقائد، والإجماع بيننا وبينكم أن أخبار الآحاد لا تقبل في هذه، فكذا في الأولى»[(٣)].

ويجاب على هذه الشبهة بما يلي:

١ ـ إن هذه القول يتنزل على القائلين بأن حديث الآحاد حجة في الأعمال دون العقائد وقد ردّ عليه في أثناء البحث وتبين أن الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وسلف الأمة قد تظاهرت على قبول الخبر الصحيح متى توفرت شروط قبوله والأخذ به في الفروع والأصول من غير تفريق.

---

(١) الصواعق المرسلة لابن القيم ص ٥٠٤.
(٢) السنة ومكانتها في التشريع لمصطفى السباعي، ص ١٦٩، وانظر: الإحكام للآمدي ج١، ص ١٦٩؛ وانظر: الإحكام لابن حزم ج١، ص ١١٤.
(٣) السنة ومكانتها في التشريع، لمصطفى لسباعي، ص ١٦٨.

٢ ـ إن الإجماع الذي ذكره المنكرون لخبر الآحاد، إنما هي دعوى مجردة عن الدليل الصحيح بل «قد أنكر الأئمة على من رد أحاديث رسول الله ﷺ بالقرآن، وقالوا لا ترد السنة بالقرآن فكيف بمن ردها برأي أو قياس أو قاعدة هو وضعها، ولهذا كان الصواب مع من قبل حديث رسول الله ﷺ الصحيح الثابت عن رسول الله ﷺ من غير وجه.

وطائفة أخرى ردت الأحاديث بعدم معرفتها بمن ذهب إليها، وسمّوا عدم علمهم إجماعاً وردوا به كثيراً من السنن، وبالغ الشافعي وبعده الإمام أحمد في الإنكار على هؤلاء، ووسع الشافعي الرد عليهم في الرسالتين وكتاب جماع العلم وغيرها، ولا يتصور أن تجمع الأمة على خلاف سنة رسول الله ﷺ قط.

قال الإمام أحمد في رواية أبنه عبد الله: من ادعى الإجماع فقد كذب، لعل الناس قد اختلفوا.. وقال في رواية ابن الحارث: لا ينبغي لأحد أن يدعي الإجماع لعل الناس اختلفوا. وليس مراده بهذا استبعاد وجود الإجماع، ولكن أحمد وأئمة الحديث بُلوا بمن كان يرد عليهم السنة الصحيحة بإجماع الناس على خلافها: فبين الشافعي وأحمد أن هذه الدعوى كذب.

والمقصود أن أئمة الإسلام لم يزالوا ينكرون على من ردّ سنن رسول الله ﷺ بكونه لا يعلم قائلاً ويزعم أن ذلك إجماع، ولا يتوقف العمل بالحديث على أن يعلم من عمل به من الأمة، بل هو حجة بنفسه عمل به أولم يعمل، ولا يمكن أن تجتمع الأمة على ترك العمل به البتة، بل لا بد أن يكون في الأمة من ذهب إليه وإن خفي على كثير من أهل العلم قوله»[١].

٣ ـ قال ابن حزم: «إن جميع أهل الإسلام كانوا على قبول خبر الواحد الثقة عن النبي ﷺ يجري على ذلك كل فرقة في عملها، كأهل السنة والخوارج والشيعة والقدرية حتى حدث متكلموا المعتزلة بعد المائة من التاريخ فخالفوا الإجماع.. وذلك أننا نقول لهم وبالله التوفيق: أخبرونا عن الأخبار التي رواها

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم، ص ٥٢٧ - ٥٢٨ - ٥٢٩.

الآحاد أهي كلها حق إذا كانت من رواية الثقات خاصة؟ أم كلها باطل؟ أم فيها حق وباطل؟ فإن قالوا: فيها حق وباطل وهو قولهم: قلنا لهم: هل يجوز أن تبطل شريعة أوحى الله تعالى بها إلى نبيه ﷺ ليبينها لعباده حتى تختلط بكذب وضعه فاسق ونسبه إلى النبي ﷺ..

فإن أجازوا اختلاط شرائع الدين التي أوحى الله تعالى إلى نبيه ﷺ بما ليس من الدين؛ وقالوا: لم تقم لله تعالى علينا حجة فيما أمرنا به. دخل عليهم القول بفساد الشريعة، وذهاب الإسلام، وبطلان ضمان الله تعالى بحفظ الذكر كالذي دخل على غيرهم حرفاً بحرف، سواء بسواء، ولزمهم أنهم تركوا كثيراً من الدين الصحيح كما لزم غيرهم سواء بسواء، وأنهم يعملون بما ليس من الدين، وأن النبي ﷺ قد بطل بيانه، وأن حجة الله تعالى بذلك لم تقم علينا سواء بسواء، وفي هذا ما فيه»[1].

«فهذا لا يشك فيه من له أقل خبرة بالمنقول فإن الصحابة هم الذين رووا هذه الأحاديث وتلقاها بعضهم عن بعض بالقبول ولم ينكرها أحد منهم على من رواها ثم تلقاها عنهم جميع التابعين من أولهم إلى آخرهم ومن سمعها منهم تلقاها بالقبول والتصديق لهم ومن لم يسمعها منهم تلقاها عن التابعين كذلك، وكذلك تابع التابعين مع التابعين هذا أمر يعلمه ضرورة أهل الحديث كما يعلمون عدالة الصحابة وصدقهم وأمانتهم ونقلهم ذلك عن نبيهم ﷺ..

والمقصود أن أئمة الإسلام لم يزالوا ينكرون على من رد سنن رسول الله ﷺ بكونه لا يعلم بها قائلاً ويزعم أن ذلك إجماع، ولا يتوقف العمل بالحديث على أن يعلم من عمل به من الأمة، بل هو حجة بنفسه عمل به أو لم يعمل، ولا يمكن أن تجتمع الأمة على ترك العمل به البتة، بل لابد أن يكون في الأمة من ذهب إليه وإن خفي على كثير من أهل العلم قوله»[2].

«وبهذا يتبين أن حديث الآحاد الذي جزم أهل العلم بالحديث بصحته يفيد

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام، لابن حزم، ج١، ص ١٥٦، ١٧٧.

(٢) الصواعق المرسلة لابن القيم، انظر: ص ٥٢٤، ٥٢٩.

العلم. ناهيك أن الأمة قد تلقت هذه الأحاديث بالقبول وهذا إجماع على صحتها لأن الأمة لا تجتمع على ضلالة فعُلم من هذا أن هذه الأحاديث تفيد العلم اليقين، وعلى فرض صحة قولهم إن الإجماع المعتبر هو إجماع الصحابة فإن الصحابة رضوان الله عليهم قد تلقوا هذه الأحاديث بالقبول علماً وعملاً»[١].

ثالثاً: قولهم: « صح عن النبيﷺ أنه توقف في خبر ذي اليدين حين سلم النبيﷺ على رأس الركعتين في إحدى صلاتي العشاء، وذلك قوله: أقصرت الصلاة أم نسيت؟ ولم يقبل خبره حتى أخبره أبو بكر وعمر ومن كان في الصف بصدقه، فأتم وسجد للسهو، ولو كان خبر الواحد حجة لأتم رسول الله ﷺ صلاته من غير توقف ولا سؤال»[٢].

ويجاب على قولهم هذا بما أورده ابن حجر رحمه الله في شرح الحديث في صحيح البخاري رحمه الله حيث قال: «إن قوله لم أنس راجع إلى السلام أي سلمت قاصداً بانياً على ما في اعتقادي أني صليت أربعاً..، وكأن ذا اليدين فهم العموم فقال: بل قد نسيت. وكأن هذا القول أوقع شكاً احتاج معه إلى استثبات الحاضرين. وبهذا التقرير يندفع إيراد من استشكل كون ذي اليدين عدلاً ولم يقبل خبره بمفرده، فسبب التوقف فيه كونه أخبر عن أمر يتعلق بفعل المسئول المغاير لما في اعتقاده فإن سبب عدم القطع كون خبره معارضاً باعتقاد المسئول خلال ما أخبر به»[٣].

ويقول الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله: «إنه عليه الصلاة والسلام إنما توقف في خبر ذي اليدين لتوهمه غلطه، لبعد انفراده بمعرفته دون من حضر من الجمع الكثير، ومع ظهور أمارة الوهم في خبر الواحد يجب التوقف منه، فحيث وافقه الباقون على ذلك ارتفع حكم الأمارة الدالة على وهم ذي اليدين وعمل بموجب خبره»[٤].

---

(١) الأدلة والشواهد على وجوب الأخذ بخبر الواحد في الأحكام والعقائد، سليم الهلالي، شركة المطابع النموذجية ١٤٠٧هـ ص ٧٨.

(٢) السنة ومكانتها في التشريع للدكتور السباعي ص ١٧٠.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ٣، ص ١٠١.

(٤) السنة ومكانتها، ص ١٧٠.

وعلى قولهم بقبول خبر التواتر ورد خبر الآحاد، فإن قبول رسول الله ﷺ لخبر أبي بكر وعمر وذي اليدين لم يبلغ التواتر المزعوم عندهم فهو لا يزال خبر آحاد بموجب تعريفهم لخبر المتواتر. غير أن رسول الله ﷺ كان يقصد التثبت وقد حصل بأقرب الحاضرين، ومع هذا فقد كان حديث ذي اليدين مصدر تشريع للأمة في موضوع السهو في الصلاة، فرضي الله عنه وجازاه عن الأمة خير الجزاء ولا عبرة بانتقاص هؤلاء وغيرهم لصحابة رسول الله ﷺ والذين عدّلهم الله سبحانه في محكم آياته ورضي عنهم. فلقد «سارت الأمة الإسلامية في أيامها المباركة الأولى زمن الصحابة والتابعين على منهج قبول الأخبار بدون إلتفات إلى كثرة عدد المخبرين ما داموا عدولاً موثقين ضابطين، ثم نبتت نابتة من أهل البدعة زعموا أن ثبوت الحديث لا يتحقق إلا بالتواتر، أما أخبار الآحاد فلا تكون حجة في الدين، ولا يجب العمل بها عند المسلمين، وهذا الرأي قد أحدثه بعض المتكلمين في القرن الثاني الهجري»(١).

رابعاً: وفي قولهم: « قد روي عن عدد من الصحابة عدم العمل بخبر الآحاد. فقد ردَّ أبو بكر خبر المغيرة في ميراث الجدة حتى أنضم إليه خبر محمد بن مسلمة، وردّ عمر خبر أبي موسى في الاستئذان حتى أنضم إليه أبو سعيد، وردّ أبو بكر وعمر خبر عثمان في إذن رسول الله ﷺ في ردّ الحكم بن أبي العاص، وردّ علي خبر أبي سنان الأشجعي في المفوضة، وكان علي لا يقبل خبر أحد حتى يحلفه سوى أبي بكر، وردت عائشة خبر أبن عمر في تعذيب الميت ببكاء أهله»(٢).

أما الجواب على الشبهة الرابعة: فالثابت الذي لا شك فيه أن الصحابة عملوا بخبر الآحاد، وتواتر عنهم ذلك.. فإذا روي عنهم التوقف في بعض خبر الآحاد، لم يكن ذلك دليلاً على عدم عملهم به، بل لريبة أو وهم أو رغبة في التثبت، وخذ لذلك مثلاً ما استدل به المخالفون من رد أبي بكر خبر المغيرة في

(١) السنة النبوية ومطاعن المبتدعة فيها للدكتور مكي الشامي، دار عمار للنشر عمّان ١٤٢٠هـ، ص ١٤٩.

(٢) السنة ومكانتها في التشريع، د. مصطفى السباعي، ص ١٦٩.

ميراث الجدة، فالواقع أن أبا بكر لم يرد خبر المغيرة لأنه لا يقبل خبر الآحاد، بل توقف إلى أن يأتي ما يؤيده ويزيده اعتقاداً بوجود هذا التشريع في الإسلام وهو إعطاء الجدة السدس، ولما كان هذا تشريعاً لم ينص عليه القرآن كان لابد للعمل به وإقراره من زيادة في التثبت والاحتياط، فلما شهد محمد بن مسلمة أنه سمع هذا من النبي ﷺ لم يتردد أبو بكر في العمل بخبر المغيرة.

ومثل ذلك يقال في رد عمر خبر أبي موسى فهو في الحقيقة درس بليغ للصحابة ومن بعدهم ممن نشأ حديثاً في الإسلام أو دخل فيه بوجوب الاحتياط في حديث رسول الله ﷺ ولذلك قال عمر لأبي موسى: «أما إني لم أتهمك ولكنه الحديث عن رسول الله ﷺ»[1] ومثل ذلك يقال في كل ما ورد من هذا القبيل، ليس وارداً مورد عدم الاحتجاج بخبر الآحاد، وإلا لما كان انضمام صحابي آخر إلى الصحابي الأول موجباً للعمل به، إذ هو لم يخرج عن حيز الآحاد، ولو أنضم إليه اثنان أو ثلاثة.. فكان الصحابة ـ يسأل بعضهم بعضاً، ويرد بعضهم على بعض، ويخطئ بعضهم بعضاً، اجتهاداً في دين الله، وتحرياً لنقل أحاديث الرسول ﷺ خالية من كل غلطة أو وهم وما ردوه من الأخبار أو توقفوا فيه إنما كان لأمور اقتضت ذلك من وجود معارض أو فوات شرط، لا لعدم الاحتجاج بها في جنسها مع كونهم متفقين على العمل بها، ولهذا أجمعنا على أن ظواهر الكتاب والسنة حجة. وبعد فهذه شبه المنكرين لحجية خبر الآحاد كما ذكرها العلماء»[2].

وبهذا يتبين أن خبر الآحاد حجة قائمة، ولا عبرة بأقوال أولئك المنكرين لما أجمعت عليه الأمة، وتظاهرت عليه الأدلة، وقد أورد العلامة الشوكاني أقوال العلماء الذين احتجوا بخبر الآحاد فقال: «إن الدليل العقلي دلَّ على وجوب

---

(١) موطأ الإمام مالك دار النفائس الطبعة السادسة، بيروت ١٤٠٢هـ باب الاستئذان، ص ٦٨٥؛ سنن الترمذي كتاب الاستئذان باب ما جاء في الاستئذان ثلاثاً ج٥، ص ٥٣ وقال أبو عيسى: حديث حسن.

(٢) السنة ومكانتها في التشريع، للدكتور / مصطفى السباعي، انظر ص ١٧٠، ١٧١؛ الإحكام للآمدي ج ١، ص ١٧٧.

العمل لاحتياج الناس إلى معرفة بعض الأشياء من جهة الخبر الوارد عن الواحد، وأما دليل السمع فقد استدلوا من الكتاب بمثل قوله تعالى: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ﴾[1] وبمثل قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾[2] ومن السنة بمثل قصه أهل قباء لما أتاهم واحد فأخبرهم أن القبلة قد تحولت فتحولوا وبلغ ذلك النبي ﷺ فلم ينكر عليهم[3]، وبمثل بعثه ﷺ لعماله واحداً بعد واحد وكذلك بعثه بالفرد من الرسل يدعو الناس إلى الإسلام، ومن الإجماع بإجماع الصحابة والتابعين على الاستدلال بخبر الواحد وشاع ذلك وذاع ولم ينكره أحد ولو أنكره منكر لنقل إلينا وذلك يوجب العلم العادي باتفاقهم كالقول الصريح، قال ابن دقيق العيد: ومن تتبع أخبار النبي ﷺ والصحابة والتابعين وجمهور الأمة ما عدا هذه الفرقة اليسيرة علم ذلك قطعاً.

ثم قال: وعلى الجملة فلم يأت من خالف في العمل بخبر الواحد بشيء يصلح للتمسك به ومن تتبع عمل الصحابة من الخلفاء وغيرهم وعمل التابعين فتابعيهم بأخبار الآحاد وجد ذلك في غاية الكثرة بحيث لا يتسع له إلا مصنف بسيط وإذا وقع من بعضهم التردد في العمل به في بعض الأحوال فذلك لأسباب خارجة عن كونه خبر واحد من ريبة في الصحة أو تهمة للراوي أو وجود معارض راجح أو نحو ذلك»[4]. قال ابن حجر في الفتح: «قوله وكيف بعث النبي ﷺ أمراءه واحداً بعد واحد فإن سها أحد منهم رد إلى السنة.. فالمراد بقوله واحداً بعد واحد تعدد الجهات المبعوث إليها بتعدد المبعوثين.. ولا يخرج ذلك عن كونه خبر واحد وهو استدلال قوي لثبوت خبر الواحد من فعله ﷺ لأن خبر الواحد لو لم يكف قبوله ما كان في إرساله معنى، وقد نبه عليه الشافعي أيضاً

---

(١) سورة الحجرات: ٦.

(٢) سورة التوبة: ١٢٢.

(٣) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب ما جاء في القبلة ج ١، ص ٥٠٦.

(٤) إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، للعلامة محمد بن علي الشوكاني، تحقيق محمد البدري، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الرابعة ١٤١٤هـ، بيروت، ص ٩٣، ٩٤.

كما سأذكره وأيده بحديث «ليبلغ الشاهد الغائب»[1] وهو في الصحيحين وبحديث «نَضر الله امرءاً سمع مني حديثاً فأداه»[2] وهو في السنن، فلو كان خبر الواحد غير مقبول لتعذر إبلاغ الشريعة إلى الكل ضرورة لتعذر خطاب جميع الناس شفاها، وكذا تعذر إرسال عدد التواتر إليهم وهو مسلك جيد ينضم إلى ما احتج به الشافعي ثم البخاري»[3].

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب العلم، باب قول النبي ﷺ رب مبلغ أوعى من سامع، ج١، ص ١٥٧؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب القسامة، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، ج١١، ص ١٦٧.

(٢) انظر البحث ص ٧٣.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب أخبار الآحاد، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد، ج ١٣، ص ٢٣٤، ٢٣٥.



الفصل الخامس

من فرق بين الأحكام العملية والمسائل العقدية في الاحتجاج بخبر الآحاد مع بيان شبههم والرد عليها

وفيه:

- تمهيد.
- تأصيل شبهة من يفرق بين العقائد والأحكام في الاستدلال بخبر الآحاد.
- نقض دعوى الإجماع في قولهم برد خبر الآحاد في العقيدة، وقولهم إن الأئمة الأربعة قالوا بهذا.
- مزاعم من يفرقون بين العقائد والأحكام في الاستدلال وإبطالها.

******

تمهيد

ذهب بعضهم إلى أنه «لا تثبت العقيدة إلا بالدليل القطعي، بالآية أو الحديث المتواتر تواتراً حقيقياً، إن كان هذا الدليل لا يحتمل التأويل، وادعى أن هذا مما اتفق عليه عند علماء الأصول، وأن أحاديث الآحاد لا تفيد العلم وأنها لا تثبت بها عقيدة. وإنما قال هذا القول جماعة من علماء الكلام، وبعض من تأثر بهم من علماء الأصول المتأخرين، وتلقاه عنهم بعض الكتاب المعاصرين بالتسليم دون مناقشة ولا برهان...»[1].

قال الخطيب البغدادي ٤٦٣هـ: «خبر الواحد لا يقبل في شيء من أبواب الدين المأخوذ على المكلفين العلم بها، والقطع عليها والعلة في ذلك أنه إذا لم يعلم أن الخبر قول رسول الله ﷺ كان أبعد على العلم بمضمونه.

أما ما عدا ذلك من الأحكام التي لم يوجب علينا العلم بأن النبي ﷺ قررها وأخبر بها عن الله عز وجل، فإن الخبر الواحد فيها مقبول والعمل بها واجب، ويكون ما ورد فيه شرعاً لسائر المكلفين أن يُعمل به، وذلك نحو ما ورد في الحدود، والكفارات، وهلال رمضان، وأحكام الطلاق، والعتاق، والحج، والزكاة، والمواريث، والبيع، والمعاملات، والطهارة، والصلاة، وتحريم المحظورات»[2].

---

(١) رسالة وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة للشيخ محمد الألباني، دار العلم، بنها، مصر، ص ٥، ٦.

(٢) الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي راجعه عبد الحليم محمد عبد الحليم، مطبعة السعادة، ص ٤٣٢.

وهكذا فإن مؤلفات الأصوليين والمتكلمين قديماً وحديثاً تفيد ما ذهبوا إليه في احتجاجهم بخبر الآحاد في الأحكام دون العقائد. «لأن الآحاد لا تفيد اليقين، والعقائد لابد فيها من اليقين»[1]. «ويحملون قول من قال: إن خبر الواحد يفيد العلم على أن مراده العلم بمعنى الظن كما ورد، أو العلم بوجوب العمل.. فإن الله تعالى لم يكلف عباده عقيدة من العقائد عن طريق من شأنه ألا يفيد إلا الظن، ومن هنا يتأكد أن ما قررنا من أن أحاديث الآحاد لا تفيد عقيدة ولا يصح الاعتماد عليها في شأن المغيبات قولٌ مجمعٌ عليه وثابت بحكم الضرورة العقلية التي لا مجال للخلاف فيها عند العقلاء.. وقد اتفق العلماء على أن الدليل العقلي الذي سلمت مقدماته، وانتهت في أحكامها إلى الحس أو الضرورة يفيد ذلك اليقين ويحقق الإيمان المطلوب. أما الأدلة النقلية فقد ذهب كثير من العلماء إلى أنها لا تفيد اليقين»[2].

«والعقيدة الإسلامية تتميز عن باقي العقائد فهي مبنية على العقل، فالإيمان بوجود الله ووحدانيته قائم على العقل، والإيمان بأن القرآن كلام الله مبني على العقل.. والسنة إنما جاءت كما قلنا لتبين المجمل وتخصيص العام وتقييد المطلق وإلحاق فروع بأصولها. فكلها أحكام شرعية عملية.. فيجب علينا أن نتقبل جميع ما جاءنا من الرسول ﷺ من حديث الآحاد الصحيحة، ولكننا نأخذ بها في الأحكام فقط لوجود الدليل على تخصيصها في الأحكام الفرعية وعدم الأخذ بها في الأمور الاعتقادية، والمخصص هو الآيات التي وردت في العقائد منددة على الآخذين بالظن في العقيدة فنحن لا نردها ولا ننكرها لأن ذلك تكذيب بعدول نقولها. وإنما لا نأخذها كعقيدة لأنها ظنية وقد نهينا عن أخذها في العقيدة بالدليل القطعي. وهذا الرأي الذي نحمله ليس بعقيدة وإنما هو قاعدة أصولية»[3].

---

(١) الإحكام للآمدي ج٢، ص ٤٧ وانظر خبر الواحد وحجيته للشنقيطي - الجامعة الإسلامية ص ١١٤.

(٢) الإسلام عقيدة وشريعة، محمد شلتوت، ص٥٣، ٦٠، ٦١.

(٣) الاستدلال بالظني في العقيدة، فتحي سليم، دار البيارق، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ. ص ٨٦، ١٦٨.

وبهذا يتضح أن خبر الآحاد لا يحتج به في العقيدة عند هؤلاء المتكلمين والأصوليين، وقد كان ردهم لخبر الآحاد نتيجة تأصيلهم لعقيدتهم وقولهم إن مصدر العقيدة، إنما هو الدليل العقلي الذي سلمت مقدماته، وأن الأدلة النقلية لا تفيد اليقين أما الأحكام العملية فإن خبر الواحد فيها مقبول والاحتجاج به جائز عندهم.

تأصيل شبهة من يفرق بين العقائد والأحكام في الاستدلال بخبر الآحاد

وإذا كان التفريق مبتدعاً كما قال كثير من الأئمة قديماً وحديثاً فهو من خيالات عقول الرافضة ـ والجهمية والخوارج ورؤوس المعتزلة وغيرهم من أهل الكلام الذين فرقوا بين ذلك في مسائل الأصول والفروع «فكما أنها محدثة في الإسلام لم يدل عليها كتاب ولا سنة ولا إجماع، بل ولا قالها أحد من السلف والأئمة، فهي باطلة عقلاً؛ فإن المفرقين بين ما جعلوه مسائل أصول ومسائل فروع لم يفرقوا بينهما بفرق صحيح يميز بين النوعين. بل ذكروا ثلاثة فروق أو أربعة كلها باطلة. فمنهم من قال: مسائل الأصول هي العلمية الاعتقادية التي يطلب فيها العلم والاعتقاد فقط؛ ومسائل الفروع هي العملية التي يطلب فيها العمل: وهذا فرق باطل؛ فإن المسائل العملية فيها ما يكفر جاحده، مثل وجوب الصلوات الخمس والزكاة وصوم شهر رمضان وتحريم الزنا.. وفي المسائل العلمية ما لا يأثم المتنازعون فيه، كتنازع الصحابة: هل رأى محمد ربه؟.

ومنهم من قال: المسائل الأصولية هي ما كان عليها دليل قطعي؛ والفرعية ما ليس عليها دليل قطعي: وهذا الفرق خطأ أيضاً، فإن كثيراً من المسائل العملية عليها أدلة قطعية عند من عرفها وغيرهم لم يعرفها، وفيها ما هو قطعي بالإجماع كتحريم المحرمات..

ومنهم من قال: المسائل الأصولية هي المعلومة بالعقل، فكل مسألة علمية استقل العقل بدركها فهي من مسائل الأصول التي يكفر أو يفسق مخالفها. والمسائل الفرعية هي المعلومة بالشرع.. فيقال لهم: ما ذكرتموه بالضد أولى،

فإن الكفر والفسق أحكام شرعية ليس ذلك من الأحكام التي يستقل بها العقل»[1].

وقال ابن القيم: «وهذا مما غفل عنه كثير من المتكلمين في مسائل الإيمان، حيث ظنوا أنه مجرد التصديق دون الأعمال، وهذا من أقبح الغلط وأعظمه، فالمسائل العلمية عملية؛ والمسائل العملية علمية، فإن الشارع لم يكتف من المكلفين في العمليات بمجرد العمل دون العلم، ولا في العلميات بمجرد العلم دون العمل.. فإن من لم يعلم أن الرسول ﷺ جاء بذلك وشك فيه لم يعرف أنه رسول؛ كما أن من لم يعلم أنه جاء بالتوحيد وتصديق المرسلين وإثبات معاد الأبدان واثبات الصفات والعلو والكلام، لم يعرف كونه مرسلاً، فكثير من المسائل الخبرية والطلبية يجوز فيها التقليد للعاجز عن الاستدلال، كما أن كثيراً من المسائل العملية لا يجوز فيها التقليد. فتقسيم الدين إلى ما يثبت بخبر الواحد وما لا يثبت به، تقسيم غير مطرد ولا منعكس ولا عليه دليل صحيح.. وهذا التقسيم أصل من أصول ضلال القوم فأنهم فرقوا بين ما سموه أصولاً وما سموه فروعاً وسلبوا الفروع حكم الله المعين فيها»[2].

قال شارح الطحاوية ابن أبي العز: «وقوله: وجميع ما صح عن رسول الله ﷺ من الشرع والبيان كله حق. يشير الشيخ رحمه الله بذلك إلى الرد على الجهمية والمعطلة والمعتزلة والرافضة القائلين بأن الأخبار قسمان: متواتر وآحاد، فالمتواتر ـ وإن كان قطعي السند ـ لكنه غير قطعي الدلالة، فإن الأدلة اللفظية لا تفيد اليقين!! ولهذا قدحوا في دلالة القرآن على الصفات!: قالوا والآحاد لا تفيد العلم، ولا يحتج بها من جهة طريقها، ولا من جهة متنها! فسدوا على القلوب معرفة الرب تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله من جهة الرسول، وأحالوا الناس على قضايا وهمية ومقدمات خيالية، سموها قواطع عقلية، وبراهين يقينية.. ومن العجب أنهم قدموها على نصوص الوحي، وعزلوا لأجلها النصوص، فأقفرت قلوبهم من الاهتداء بالنصوص، ولم يظفروا بالعقول الصحيحة المؤيدة بالفطر

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام، ج ١٩، ص ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١١، ٢١٢.

(٢) الصواعق المرسلة، لابن القيم، ص ٥١٠، ٥١٦, ٥١٥.

السليمة والنصوص النبوية، ولو حكّموا نصوص الوحي لفازوا بالمعقول الصحيح، الموافق للفطر السليمة.

بل كل فريق من أرباب البدع يعرض النصوص على بدعته، وما ظنه معقولاً: مما وافقه قال: إنه محكم، وقبله واحتج به!! وما خالفه قال: إنه متشابه، ثم رده، وسمّى رده تفويضاً! أو حرفه، وسمّى تحريفه تأويلاً!! فلذلك اشتد إنكار أهل السنة عليهم»[1].

إن تقسيم الدين إلى أصول وفروع ومسائل علمية وعملية وعقائد وأحكام كل ذلك أمر مبتدع كما نص عليه أئمة أهل السنة والجماعة، ولم يقل بذلك أحد من سلف الأمة لكن أصحاب التفرق والأهواء قد وجدوا في هذا الأمر ضالتهم قديماً وحديثاً فأوجفوا بخيلهم ورجلهم، «ونبتت نابتة ترفض الاحتجاج والأخذ بأحاديث الآحاد في مسائل الاعتقاد. وزعم هذا الفريق أن هذا القول هو قول جمهور أهل العلم، بل زعم بعضهم أن أهل العلم أجمعوا عليه.. وهذا الزعم القائل إن العلماء أجمعوا على رد أحاديث الآحاد في العقيدة كان له أثر كبير في صرف الناس عن المنهج الصواب بل إن بعض الذين يميلون إلى القول بالأخذ بأحاديث الآحاد في العقيدة يهابون التصريح بذلك، ويجدون في أنفسهم حرجاً كبيراً في مخالفة إجماع العلماء المزعوم خاصة الأئمة الأربعة»[2].

ولهذا كان من تمام البيان وإقامة الحجة ردّ قول من زعم انعقاد الإجماع على عدم الاحتجاج بحديث الآحاد في العقيدة، وخاصة ما ادعوه في قول الأئمة الأربعة بذلك؟!.

نقض دعوى الإجماع في قولهم برد خبر الآحاد في العقيدة وقولهم إن الأئمة الأربعة قالوا بهذا:

لقد انبرى لهذه الدعوى علماء أهل السنة وأوضحوا بما لا شك فيه بأن الأئمة الأربعة رحمهم الله براء من هذا، فهذا الإمام الشافعي رحمه الله قد أورد في

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز، ص ٣٥٤.

(٢) أصل الاعتقاد. د. عمر الأشقر، ص ١٤، ١٦.

كتابه الرسالة باب خبر الواحد حيث قال «... وبعث رسول الله ﷺ في دهر واحد اثني عشر رسولاً، إلى اثني عشر ملكاً، يدعوهم إلى الإسلام.. ولم تزل كتب رسول الله تنفذ إلى ولاته بالأمر والنهي»[1]. إن هؤلاء الدعاة الذين أرسلهم رسول الله ﷺ كانوا يبلغون العقيدة أولاً، كما ورد في بعثه لمعاذ بن جبل إلى اليمن في الحديث المشهور وأمره بأن يقرر العقيدة فإن هم أجابوه فليأمرهم بأداء الصلاة والزكاة.. وهذا إقرار من الشافعي رحمه الله بأن حديث الآحاد يفيد العلم اللازم لإقامة الدين وتثبيت أركان العقيدة. قال ابن القيم: «ومما يبين أن خبر الواحد العدل يفيد العلم ما احتج به الشافعي نفسه... والمقصود أن خبر الواحد العدل لو لم يفد علماً لأمر رسول الله ﷺ أن لا يقبل من أدى إليه إلا عدد التواتر الذي لا يحصل العلم إلا بخبرهم، ولم يدعُ للحامل المؤدي وإن كان واحداً، لأن ما حمله لا يفيد العلم، فلم يفعل ما يستحق الدعاء وحده إلا بانضمامه إلى أهل التواتر، وهذا بخلاف ما اقتضاه الحديث، ومعلوم أن رسول الله ﷺ إنما ندب إلى ذلك وحث عليه وأمر به لتقوم الحجة على من أدى إليه، فلو لم يفد العلم لم يكن فيه حجة»[2].

أما الإمام مالك رحمه الله فقد أورد في موطئه في كتاب الجامع أخباراً تفيد العلم كالدعاء لأهل المدينة، وسكنها وحرمتها، والنهي عن القول بالقدر، والمتحابين في الله وما جاء في الغيبة، والخوف من اللسان، وما جاء في صفة جهنم، والترغيب في الصدقة، والتعفف عن المسألة، وطلب العلم، واتقاء دعوة المظلوم[3].

ولا شك أن تلك الأمور وغيرها مما ورد في كتاب الجامع من الموطأ أخبار غيب لا نعلمها إلا بقبول الخبر عن رسول الله ﷺ، ولا شك أنها أخبار أحاد، فلم يورد الإمام مالك أسانيد أخرى لتلك الأحاديث، ومن المعلوم أن

---

(١) الرسالة للإمام الشافعي، ص ٤١٨، ٤١٩.

(٢) الصواعق المرسلة، لابن القيم، ص ٤٩٦، ٥٠١.

(٣) موطأ الإمام مالك بن أنس، ص ٦٣٩،٦٤٩،. وغيرها.

مالكاً رحمه الله يرسل في أحاديثه، وقد تلقتها الأمة بالقبول لصدق مالك ومكانته، بل إنه يحدث من بلاغاته لاسيما في مسائل العلم التي تقتضي العمل. «قال ابن عبد البر: اختلف أصحابنا وغيرهم في خبر الواحد العدل: هل يوجب العلم والعمل جميعاً أم يوجب العمل دون العلم؟.. وقال قوم كثير من أهل الأثر وبعض أهل النظر: أنه يوجب العلم والعمل جميعاً، منهم الحسين الكرابيسي وغيره، وذكر ابن خواز منداد أن هذا القول يخرج على مذهب مالك.

ثم قال ابن عبد البر، الذي نقول به أنه يوجب العمل دون العلم كشهادة الشاهدين والأربعة سواء، وعلى ذلك أكثر أهل الفقه والنظر، وكلهم يروي خبر الواحد العدل في الاعتقادات، ويعادي ويوالي عليها، ويجعلها شرعاً وحكماً وديناً في معتقده، وعلى ذلك جماعة أهل السنة، قلت: هذا الإجماع الذي ذكره في خبر الواحد العدل في الاعتقادات يؤيد قول من يقول: إنه يوجب العلم، وإلا فما لا يفيد علماً ولا عملاً كيف يجعل شرعاً وديناً يوالي عليه ويعادي؟»[1].

أما الإمام أحمد رحمه الله فقد أخرج في مسنده عن صحابة رسول الله ﷺ الذي حوى الصحيحين والسنن وغيرها تقريباً، وقال الذهبي رحمه الله «قلت في الصحيحين أحاديث قليلة ليست في المسند.. ـ وقد أثنى عليه فقال: كان أحمد عظيم الشأن، رأساً في الحديث، وفي الفقه، وفي التأله. أثنى عليه خلق من خصومه، فما الظن بأخوانه وأقرانه؟!! وكان مهيباً في ذات الله.. ومما ثبت عنه مسألة الإيمان، وقد صنف بها. قال أبو داود: سمعت أحمد بن حنبل. يقول: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، البر كله إيمان، والمعاصي تنقص الإيمان»[2].

وإذا كان مسنده مشتملاً على ثلاثين ألف حديث[3] عن رسول الله ﷺ وقد احتوى الصحيحين وغيرهما إلا ما ندر، فلا يشك أحد أن أحاديث الخلق

(١) المسوّدة لابن تيمية، جمع شيخ الإسلام، ص ٢٤٢، ٢٤٥.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة ج ١١، ص ٣٢٩، ٢٠٣، ٢١٧.

(٣) انظر شرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد، محمد السفاريني الحنبلي، المكتب الإسلامي، بيروت، ج١، ص ١٧.

والإيمان والعلم والغيب والمعاد وغيرها التي يلزم منها العلم دون العمل قد أوردها في مسانيد أصحاب رسول الله ﷺ، ويستحيل كونه يقول بها ولا يعتقد مضمونها، فكيف وهي رواية عن صحابي واحد، وهذا دليل على أن الإمام أحمد يقول بإفادة خبر الواحد العلم والعمل والاعتقاد. وقد روى عن عبد الله بن عمرو قوله: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر»[1]. وقد رواه الترمذي فقال: قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب[2]. وقال محقق سير أعلام النبلاء: والحديث قوي بشواهده عن أنس بن مالك، وجابر بن عبد الله وغيرهما. وقد ذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء أن الإمام أحمد توفاه الله يوم الجمعة رحمهما الله[3] وقال ابن القيم «والمروي الصحيح عنه أنه جزم على الشهادة للعشرة المبشرين بالجنة، والخبر في ذلك خبر واحد.. وقد قال في موضع آخر ولا نشهد على أحد من أهل القبلة أنه في النار لذنب عمله ولا لكبيرة أتاها إلا أن يكون ذلك في حديث فنصدقه ونعلم أنه كما جاء ولا ننص الشهادة ولا نشهد على أحد أنه في الجنة لصالح عمله ولخير أتاه، إلا أن يكون في ذلك حديث فنقبله.. وقال احمد في حديث الرؤية: نعلم إنها حق؛ ونقطع على العلم بها، وكذلك روي أن المروزي قال: قلت لأبي عبد الله: هاهنا اثنان يقولان إن الخبر يوجب عملاً ولا يوجب علماً فعابه؛ وقال لا أدري ما هذا؟!.

وظاهر هذا إنه يسوى بين العلم والعمل وأن خبر الواحد يوجب العلم إذا صح سنده ولم تختلف الرواية فيه، وتلقته الأمة بالقبول، وأصحابنا يطلقون القول فيه وأنه يوجب العلم، قال: والمذهب على ما حكيت لا غير. فقد صرح بأن هذا هو المذهب»[4].

وقد استدل الإمام أحمد بأحاديث الآحاد على أن المؤمنين يرون ربهم في

---

(١) مسند الإمام أحمد ج ٢، ص ١٦٩.

(٢) الجامع الصحيح لسنن الترمذي، كتاب الجنائز، باب فيمن مات يوم الجمعة ج ٣، ص ٣٧٧.

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي تحقيق شعيب الأرناؤوط، ج ١١، ص ٣٣٧.

(٤) الصواعق المرسلة، لابن القيم، ص ٤٧٥، ٤٨٠.

الجنة في كتابه «الرد على الزنادقة والجهمية» فقال: «وقد كان النبي ﷺ يعرف معنى قول الله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾[1] وقال: «أنكم سترون ربكم»[2]. وكلّم موسى ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾[3] ولم يقل: لن أُرى، فأيهما أولى أن نتبع النبي ﷺ حين قال؛ إنكم سترون ربكم، أو قول الجهمي حين قال: لا ترون ربكم. والأحاديث في أيدي أهل العلم عن النبي ﷺ أن أهل الجنة يرون ربهم، لا يختلف فيها أهل العلم. عن عامر بن سعد في قول الله ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[4] قال: النظر إلى وجه الله..»[5].

أما مذهب الإمام أبي حنيفة رحمه الله فإن: «الحديث المشهور يفيد عنده وأصحابه العلم اليقين، ولكن دون العلم بالتواتر والأحاديث عند الأحناف ثلاثة أقسام: متواتر ومشهور وآحاد، فجعلوا المشهور قسماً ثالثاً، وغيرهم يجعل المشهور من قبيل الآحاد، فالآحاد عندهم ما لم يصل إلى درجة التواتر، والتواتر ما رواه جمع غفير يستحيل في العادة تواطؤهم على الكذب، والمشهور عند الأحناف ما تفرد به صحابي ثم اشتهر بعد ذلك، وقالوا بإفادته اليقين لقوة ثقتهم بالصحابة وعدالتهم وبعدهم عن الكذب»[6]. «وصرحت الحنفية في كتبهم بأن الخبر المستفيض يوجب العلم.. وقد اتفق السلف والخلف على استعمال حكم هذه الأخبار حين سمعوها؛ فدل ذلك من أمرها على صحة مخرجها وسلامتها، وإن كان قد خالف فيها قوم فإنها عندنا شذوذ ولا يعتد بهم في الإجماع.. فمن نص على أن خبر الواحد يفيد العلم مالك والشافعي وأصحاب أبي حنيفة وداود بن

---

(١) سورة الأنعام: ١٠٣.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ، ج٨، ١٧٩. ؛ صحيح مسلم، كتاب المساجد، باب فضل صلاة الفجر والعصر ج٢، ص ١١٣، ١١٤.

(٣) سورة الأعراف ١٤٣.

(٤) سورة يونس: ٢٦.

(٥) عقائد السلف، جمع علي النشار وعمار الطالبي، منشأة المعارف، مصر ١٣٩١هـ، ص٨٥، ٨٦.

(٦) أصل الاعتقاد، د. الأشقر، ص ٢٦، ٢٧.

علي وأصحابه كأبي محمد بن حزم ونص عليه الحسين بن علي الكرابيسي والحارث بن أسد المحاسبي، قال ابن خواز منداد في كتاب أصول الفقه وقد ذكر خبر الواحد الذي لم يروه إلا الواحد والاثنان: ويقع بهذا الضرب أيضاً العلم الضروري، نص على ذلك مالك»[1] وقال شيخ الإسلام: «وخبر الواحد المتلقى بالقبول يوجب العلم عند جمهور العلماء من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد»[2].

وبهذا ينتهي القول إلى بطلان قول من ادعى الإجماع على عدم قبول خبر الآحاد في العقيدة، فقد تبين أقوال الأئمة وعلماء أهل السنة على مدى العصور، كيف وقد جمع البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ أحاديث رسول الله ﷺ الصحاح وكذا مسلم رحمهما الله وغيرهما كالسنن والمصنفات وفيها أمور العقيدة والأحكام والمعاملات، وقد ورد في الفصل الأول من هذا الباب أدلة موسعة في حجية خبر الآحاد وأنه يفيد العلم الضروري، وذلك لمن وفقه الله والتزم منهج رسول الله ﷺ.

مزاعم من يفرقون بين العقائد والأحكام في الاستدلال وإبطالها

وقد عرض لأولئك المفرقون شبهات نتيجة إعراضهم عن منهج السلف الذي يقضي بإنزال النص منزلته الكبرَى التي أرادها الله وسنها رسول الله ﷺ، وهكذا طبقها أصحاب رسول الله ﷺ وأتباعهم وسلف هذه الأمة ومن رضي بمتابعتهم إلى يومنا هذا.

غير إن الظنيّين لا يبالون بحرمة النصوص حين تتعارض مع مقدماتهم الكلامية بشأن العقيدة في الله سبحانه، مما حدى بهم إلى التفريق بين المسائل العلمية والعملية وذلك حين الاستدلال عليها بأحاديث الآحاد، فكانت:

أولاً: شبهتهم الأولى: وهي قولهم «إن أحاديث الآحاد لا تفيد إلا الظنّ، ويعنون به الظن الراجح طبعاً، والظن الراجح يجب العمل به في الأحكام اتفاقاً،

---

(١) الصواعق المرسلة لأبن القيم، ص ٤٧٤، ٤٧٥.

(٢) فتاوى ابن تيمية، ج١٨، ص ٤١.

ولا يجوز الأخذ به في الأخبار الغيبية، والمسائل العلمية وهي المراد بالعقيدة»[1].

ويجاب عليهم:

١ - إن هذا البحث قد اشتمل على فصول انتهى القول فيها إلى أن خبر الآحاد الصحيح الثابت عن رسول الله ﷺ والذي تلقته الأمة بالقبول، مفيد للعلم اليقين، بل إن جمهور أحاديث البخاري ومسلم من هذا الباب كما ذكر ذلك ابن القيم رحمه الله[2].

٢ - إن هذا القول يتضمن عقيدة تستلزم رد مئات الأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ لمجرد كونها في العقيدة، وهذه العقيدة هي أن أحاديث الآحاد لا تثبت بها عقيدة، وإذا كان الأمر كذلك عند هؤلاء المتكلمين وأتباعهم فنحن نخاطبهم بما يعتقدونه، فنقول لهم: أين الدليل القاطع على حجة هذه العقيدة لديكم من آية أو حديث متواتر قطعي الثبوت قطعي الدلالة أيضاً، بحيث لا يحتمل التأويل؟!..

مع أنه قول مبتدع محدث، لا أصل له في الشريعة الإسلامية الغراء، وهو غريب عن هدي الكتاب وتوجيهات السنة، ولم يعرفه السلف الصالح رضوان الله عليهم، ولم ينقل عن احد منهم، بل ولا خطر لهم على بال، ومن المعلوم المقرر في الدين الحنيف أن كل أمر مبتدع من أمور الدين باطل مردود، لا يجوز قبوله بحال.. وإنما قال هذا القول جماعة من علماء الكلام. ومن لوازمه أيضاً إبطال الأخذ بالحديث مطلقاً في العقيدة من بعد الصحابة الذين سمعوه منه ﷺ مباشرة، وهذا كالذي قبله في البطلان بل أظهر وبيانه أن جماهير المسلمين، وخاصة قبل جمع الحديث وتدوينه، إنما وصلهم الحديث بطريق الآحاد والذين وصلهم شيء منه من طريق التواتر إنما هم أفراد..

---

(١) حجية أحاديث الآحاد في الأحكام والعقائد، الأمين الحاج محمد أحمد، دار المطبوعات الحديثة ١٤١٠هـ، ص ٦٩.

(٢) انظر مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم، ص ٤٥٢ - ٤٨٣.

ويلزم مما سبق أحد أمرين: -

أحدهما: إما أن يقال بأن العقيدة تثبت بخبر الآحاد لتعذر وصوله متواتراً إلى جماهير الناس. وهذا هو الصواب قطعاً.

وثانيهما: وهو أن يقال: إنه لا تثبت العقيدة بخبر الآحاد ولو شهد بتواتره أهل الاختصاص، حتى يثبت تواتره عند جميع الناس، ولما سبق بيانه من عدم تيسر الحصول على شهادة جمع من أئمة الحديث بالتواتر لعامة المسلمين. وما أظن عاقلاً يلتزم بذلك، ولاسيما أن كثيراً منهم يؤكدون في خطبهم ومقالاتهم على وجوب الرجوع إلى أهل الاختصاص في كل علم»[1].

٣ - إن احتجاجهم بآيات النهي عن الأخذ بالظن في أمور العقيدة، ثم استبعاد أخبار الآحاد، تحكم منهم، وتفريغ للنصوص عن دلالتها، وأبطال لها، وفي نهاية الأمر تكذيب وتهميش لأمر الشارع، ما أنزل الله به من سلطان وقد سبق في ثنايا هذا البحث بيان أن ذلك الظن المزعوم لم يكن سوى الرد على الضالين والمشركين المعرضين عن هدي النبوة والرسالة، من كان منهم مخاطباً في زمن الرسالة أو من سبقهم ومن سيأتي إلى يوم القيامة معرضاً ملحداً شاكاً وقد علم الله سبحانه ذلك منهم.

٤ - «لو كان هناك دليل قطعي على أن العقيدة لا تثبت بخبر الآحاد كما يزعمون لصرح بذلك الصحابة، ولما خالف في ذلك من سبق ذكرهم من العلماء، لأنه لا يعقل أن ينكروا الدلالة القاطعة أو تخفى عليهم، لما هم عليه من الفضل والتقوى وسعة العلم، فمخالفتهم في ذلك أكبر دليل على أن هذا القول أو هذه العقيدة في حديث الآحاد ظنية غير قطعية، حتى ولو فرض أنهم مخطئون في أخذهم بحديث الآحاد، فكيف وهم المصيبون ومخالفوهم من علماء الكلام ومقلديهم هم المخطئون. بل إن هذا القول مخالف لجميع أدلة الكتاب والسنة التي نحتج نحن وإياهم بها على وجوب

---

(١) وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة للشيخ ناصر الدين الألباني، دار العلم بنها ١٣٩٤هـ، انظر ص ٥، ٦، ١٥.

الأخذ بحديث الآحاد في الأحكام، وذلك لعمومها وشمولها لما جاء به رسول الله ﷺ عن ربه سواء كان عقيدة أو حكماً»[1].

ثانياً: أما شبهتهم الثانية فهي قولهم: «إن الدليل الشرعي يدل على أن الاستدلال بالدليل الظني لا يجوز، غير أن هذا خاص بالعقائد فحسب ولا يشمل الأحكام الشرعية. وذلك أن الأحكام الشرعية قد جاء الدليل الشرعي من فعل الرسول ﷺ وقوله على الاستدلال عليه بالظني»[2].

ويجاب على شبهتهم هذه من وجوه:

١ - قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾[3] قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[4].

قال الشيخ سليم الهلالي: «إن كلمتي أمراً و ـ ما ـ تشملان العقائد والأحكام لأن الأولى نكرة في سياق العموم، والثانية تدل على العموم فهي اسم موصول بمعنى الذي.

فما الذي حملهم على استثناء العقيدة وهي داخلة في عموم الآيات؟ لقد عرضت لهم شبهة ظنوها يقيناً وهي: أن أحاديث الآحاد لا تفيد إلا الظن، لذلك قالوا: يجب أن يكون دليل العقيدة قطعياً.. قال ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن: «إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فأول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله فإذا هم عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات..»[5].

---

(١) أصل الاعتقاد، د. الأشقر، ص ٦٤.

(٢) الاستدلال بالظني في العقيدة، فتحي سليم، ص ١٠١.

(٣) سورة الأحزاب آية: ٣٦.

(٤) سورة الحشر: ٧.

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري،كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء أهل اليمن إلى توحيد الله، ج ١٣، ص ٣٤٧

وهذا الحديث صاعقة على رؤوس المنكرين حجية خبر الآحاد في العقائد:

- لأن تبليغ الإسلام يشمل تبليغ العقيدة لذلك فقولهم إن تبليغ الإسلام ليس تبليغ للعقيدة داحض وعليه فتبيلغ الإسلام تبليغ للعقيدة ودون ذلك خرط القتاد ومنه نعلم وجوب الاحتجاج بخبر الآحاد.

- ولأن تبليغ الإسلام يشمل العقائد والأحكام فتخصيص التبليغ بالأحكام تخصيص دون مخصص وهذا باطل.

- ولأن تخصيص التبليغ بالأحكام لا يصح عقلاً وشرعاً، أما عقلاً فكيف تستسيغ العقول قبول حكم شرعي دون الإيمان به أولاً وأما شرعاً فلأن تبليغ الأحكام الشرعية مشروط بقبول العقيدة فالعقيدة أولاً لو كانوا يعلمون!»[١].

٢ - إن رسول الله ﷺ أرسل رسلاً أفراداً إلى هرقل ملك الروم وقيصر ملك الفرس وملك عمان وغيرهم، يدعوهم إلى الإسلام عقيدة وشريعة وقد علم بالضرورة أنه لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة.

وقد قال ﷺ في رسالته إلى هرقل: «أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين»[٢].

«وما ذلك إلا لأن الرسول ﷺ يعلم أن الناس تبع لساداتهم، وأن شان الناس التقليد، والقليل الذي يستقل بالبحث والنظر.. لأن رسول الله ﷺ

؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام ج ١، ص١٩٦.

(١) الأدلة والشواهد على وجوب الأخذ بخبر الواحد، سليم الهلالي، ص ٤٤، ٤٥.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم الناس إلى الإسلام، ج٦، ص ١٠٩

؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الجهاد، باب كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل ملك الروم، ج ١٢، ص ١٠٣

؛ مسند الإمام أحمد، ج ١، ص ٢٦١.

قال في كتابه فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين.. أي أن أعرضت ولم تقبل ما أرسلت لك به وهذا رفض الخبر بالإسلام ابتداءً وإلا كيف تقام الحجة على المخالفين الذين يرفضون الخبر بالإسلام إذا كان المراد بقيام الحجة عليهم الدليل القطعي وإن إرسال الرسل تترى لا يفيد ذلك فإن الذي يرفض الخبر بالإسلام لا يمكن أن تقام عليه الحجة أبداً لأنه أغلق باب البحث والنظر والاستدلال ابتداءً.. ومثل القائلين بهذه السفسطة كمثل رجل ذهب يطوف آفاق الأرض يدعو إلى الله ولكنه بعدما يبلغهم الإسلام يقول لهم: إني واحد لا تقوم بي الحجة عليكم فيكون كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا!.

أو أنه بلغ الناس، وعلمهم أن أحاديث الآحاد لا تقوم به الحجة في العقيدة، فقيل له: إذن لا نؤمن لك حتى تأتينا بجمع يؤمن تواطؤهم على الكذب!

واعلم أن الاحتجاج بخبر الآحاد في العقائد والأحكام هو الثابت عن رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام لا نعلم خلافاً وقع في احتجاجهم به في العقائد ولو وقع لنقل كما نقل في الأحكام كقصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أبي موسى الأشعري في مسألة الاستئذان»[1].

٣ ـ قبول خبر الواحد في العقيدة والأحكام في زمن الرسول ﷺ: ويتجلى هذا في حديث ضمام بن ثعلبة لما بلّغ قومه ما سمع من الرسول ﷺ. فقد روى البخاري ومسلم رحمهما الله عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بينما نحن جلوس مع النبي ﷺ في المسجد، دخل رجل على جمل فأناخه في المسجد ثم عقله، ثم قال لهم: أيكم محمد ـ والنبي متكئ بين ظهرانيهم ـ فقلنا: هذا الرجل الأبيض المتكئ، فقال الرجل: ابن عبد المطلب، فقال له النبي: قد أجبتك، فقال الرجل للنبي: إني سائلك فمشدد عليك في المسألة فلا تجد علي في نفسك، فقال: سل

---

(١) الأدلة والشواهد على وجوب الأخذ بخبر الواحد سليم الهلالي، ص٤٧، ٤٨، ٥٠.

عما بدا لك، قال الرجل: أسألك بربك ورب من قبلك، آلله أرسلك إلى الناس كلهم؟ فقال: اللهم نعم، قال: أنشدك بالله آلله أمرك أن نصلي الصلوات الخمس في اليوم والليلة؟ قال اللهم نعم، قال: أنشدك بالله آلله أمرك أن نصوم هذا الشهر من السنة؟ قال: اللهم نعم، قال: أنشدك آلله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا؟ فقال النبي: اللهم نعم، فقال الرجل: آمنت بما جئت به وأنا رسول مَنْ ورائي مِن قومي، وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر»[1].

قال الإمام النووي في شرح مسلم: وفي هذا الحديث العمل بخبر الواحد»[2].

وقال الحافظ بن حجر في شرح صحيح البخاري: وفي هذا الحديث العمل بخبر الواحد ولا يقدح فيه مجيء ضمام مستثبتاً؛ وقد رجع ضمام إلى قومه وحده فصدقوه وآمنوا»[3].

٤ ـ قبول خبر الواحد في العقيدة والأحكام، وفيه أمان الله ورسوله لمن وَفَّى بما ذُكر في الحديث الذي رواه أبو داود في سننه حيث قال: حدثنا مسلم بن إبراهيم، أخبرنا قرة قال: سمعت يزيد بن عبد الله قال: كنا بالمربد، فجاء رجل أشعث الرأس، بيده قطعة أديم أحمر، فقلنا: كأنك من أهل البادية؟ فقال: أجل قلنا ناولنا هذه القطعة الأديم التي في يديك، فناولناها فقرأنا ما فيها فإذا فيها: من محمد رسول الله إلى بني زهير بن أقيش، إنكم أن شهدتم أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأقمتم الصلاة، وأتيتم الزكاة، وأديتم الخمس من المغنم، وسهم النبي ﷺ الصفي، أنتم

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ما جاء في العلم، ج ١، ص ١٤٨،

؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب في بيان الإيمان بالله وشرائع الدين، ج١، ص ١٦٩.

(٢) المصدر السابق شرح النووي ج ١، ص ١٧١.

(٣) المصدر السابق فتح الباري، ج ١، ص ١٥٣.

آمنون بأمان الله ورسوله، فقلنا من كتب لك هذا الكتاب؟ قال «رسول الله ﷺ»[(١)].

وهكذا أرسل رسول الله ﷺ إلى أهل بادية بني زهير رجلاً منهم وأعطاهم الأمان إن هم قالوا بشهادة لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأقاموا أركان الإسلام، وهذا حجة على المفرقين بين أمور العقيدة والأحكام، وقد بلّغها وأخبر بها واحدٌ كما دل عليه الحديث.

ثالثاً: شبهتهم في قولهم: إن العقيدة لا يقترن معها عمل، والأحكام العملية لا يقترن معها عقيدة وكلا الأمرين باطل، لما يأتي: -

قال ابن القيم رحمه الله: «المطلوب في المسائل العملية أمران: العلم والعمل، والمطلوب في العلميات العلم والعمل أيضاً، وهو حب القلب وبغضه، حبه للحق الذي دلت عليه وتضمنته، وبغضه للباطل الذي يخالفها، فليس العمل مقصوراً على عمل الجوارح، بل أعمال القلوب أصل لعمل الجوارح، وأعمال الجوارح تبع لأعمال القلوب، فكل مسألة علمية فإنه يتبعها إيمان القلب وتصديقه وحبه، وذلك عمل بل هو أصل العمل وهذا ما غفل عنه كثير من المتكلمين في مسائل الإيمان، حيث ظنوا أنه مجرد التصديق دون الأعمال وهذا من أقبح الغلط وأعظمه...»[(٢)].

قال الشيخ الألباني رحمه الله: «إن طرد قولهم بهذه العقيدة وتبنيها دائماً يستلزم تعطيل العمل بحديث الآحاد في الأحكام العملية أيضاً، وهذا باطل لا يقولون هم أيضاً به، وما لزم منه باطل فهو باطل.

وبيانه أن كثيراً من الأحاديث العملية تتضمن أموراً إعتقادية، فهذا رسول

---

(١) سنن أبي داود. كتاب الخراج والإمارة، باب ما جاء في صفي السهم، ج٣، ص ٤٠٠
؛ مسند الإمام أحمد ج٥، ص ٧٧، ٧٨، ٢٦٣.
؛ معجم الطبراني الأوسط، ج٥، ص ١٥٩.
؛ تفسير ابن كثير وقال بعد ذكر الاستدلال على سهم الرسول ﷺ: فهذه أحاديث جيدة تدل على تقرير هذا وثبوته ج٢، ص ٢٧٠.

(٢) الصواعق المرسلة لابن القيم، ص ٥١٥.

الله ﷺ يقول لنا: «إذا جلس أحدكم في التشهد الأخير فليستعذ بالله من أربع، يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، ومن عذاب جهنم، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال»[1] ومثله أحاديث كثيرة لا مجال لاستقصائها الآن، فالقائلون بهذا القول إن عملوا به هنا وتركوا العمل بهذا الحديث، نقضوا أصلاً من أصولهم وهو وجوب العمل بحديث الآحاد في الأحكام، ولا يمكنهم القبول بنقضه لأن جل الشريعة قائم على أحاديث الآحاد، وإن عملوا بالحديث طرداً للأصل المذكور فقد نقضوا به ذلك القول. فإن قالوا: نعمل بهذا الحديث، ولكنا لا نعتقد ما فيه من إثبات عذاب القبر والمسيح الدجال، قلنا: إن العمل به يستلزم الاعتقاد به كما سبق بيانه.. وإلا فليس عملاً مشروعاً، ولا عبادة، وبالتالي فلم يعملوا بأصلهم المذكور، وكفى بقولٍ بطلاناً أنه يلزم منه إبطال ما قامت الأدلة الصحيحة على إيجابه، واتفق المسلمون عليه.. بل إن القائلين بهذه العقيدة الباطلة، لو قيل لهم إن العكس هو الصواب لما استطاعوا رده»[2].

رابعاً: شبهتهم في قولهم: «والسنة إنما جاءت لتبيين المجمل وتخصيص العام وتقييد المطلق وإلحاق فروع بأصولها. فكلها أحكام شرعية عملية. وما ورد فيها من بعض أمور اعتقادية فإن أصولها موجودة في القرآن الكريم. وأما ما ورد فيها من بعض الغيبيات الفرعية كمجيء المهدي ومجيء الدجال ونزول عيسى عليه السلام وعذاب القبر، فلا بد لها من أن تكون فروعاً لأصل قرآني، أو أن يكون دليلها قطعي الثبوت، أو أن نتبع فيها الأمر الرباني القطعي الثبوت القطعي الدلالة وهو عدم جواز أخذ العقيدة بالدليل الظني وأن نبتعد عن هذا المحرم وهو الاعتقاد بها وإن كنا نصدقها ولا نردها والمسألة مسألة شرعية وليست عقلية ولا عاطفية، ونحن متبعون ولسنا مبتدعين...

لذلك فإن إجماع الأمة ليس مصدراً من مصادر التشريع، كما أن الأمة

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الآذان، باب الدعاء قبل السلام، ج٢، ص ٣١٧؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب المساجد، باب التعوذ من عذاب القبر، ج ٥، ص ٨٧.

(٢) وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة للشيخ الألباني، ص ٢٢، ٢٣.

ليست معصومة عن الخطأ وتلقيها شيئاً بالقبول لا يعني أنه وصل إلى درجة القطع واليقين. وأما العلماء الذين قالوا بجواز أخذ الظني في العقيدة فهم قلة قليلة وليسوا بجانب القائلين بعدم الجواز إلا شيئاً يسيراً.

فجمهور علماء المسلمين وفي مختلف الأعصر يقولون بعدم أخذ الظني في العقيدة»[1].

ويجاب عليهم بما يأتي:

١ ـ مما تقدم في هذا البحث ومن خلال استعراض أقوالهم يتبين فساد قولهم بأن أحاديث الآحاد ظنّية، وذلك بعد أن علم أن الأحاديث المعتبرة والمعتدّ بالاعتماد عليها هي ما انطبقت عليها شروط الصحة والقبول عند الأمة، وبهذا فإنه يعمل بها في العقائد والأحكام سواء.

٢ ـ إن هؤلاء المنكرين حجية الإجماع مخالفون لما دأب عليه سلف هذه الأمة وعلمائها، فقد تواتر عنهم إطلاق اسم الجماعة لاجتماعهم على ما ورد عن رسول الله ﷺ ولم يكن بينهم خلاف يذكر حينذاك «وبهذا سُمّوا أهل الكتاب والسنة وُسمّوا أهل الجماعة، لأن الجماعة هي الاجتماع وضدها الفرقة، وإن كان لفظ الجماعة قد صار اسماً لنفس القوم المجتمعين، والإجماع هو الأصل الثالث الذي يعتمد عليه في العلم والدين.

وهم يزنون بهذه الأصول الثلاثة جميع ما عليه الناس من أعمال وأفعال، باطنة أو ظاهرة مما له تعلق بالدين. والإجماع الذي ينضبط هو ما كان عليه السلف الصالح، إذ بعدهم كثر الاختلاف وانتشرت الأمة»[2].

وقال الشيخ محمد العثيمين رحمه الله في شرحه للعقيدة الواسطية: «واستدلوا بحديث: لا تجتمع أمتي على ضلالة[3]. وهذا الحديث حسّنه بعضهم وضعفه

---

(١) الاستدلال بالظني في العقيدة، فحتى سليم، ص ٨٦، ١٧٤.

(٢) مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية، ج ١، ص ٤١٠.

(٣) الجامع الصحيح لسنن الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في لزم الجماعة، ج٤، ص ٤٦٦. قال أبو عيسى: هذا حديث غريب من هذا الوجه

آخرون، لكن قد نقول إن هذا وإن كان ضعيف السند، لكن يشهد لمتنه ما سبق من النص القرآني.

فجمهور الأمة أن الإجماع دليل مستقل، وأننا إذا وجدنا مسألة فيها إجماع؛ أثبتناها بهذا الإجماع.

وكأن المؤلف رحمه الله يريد من هذه الجملة إثبات أن إجماع أهل السنة حجة»[1].

ثم يقول الدكتور محمد الأعظمي: «وأما الآحاد» فهو كل حديث لم يجمع فيه شروط التواتر، وقد ينفرد به واحد فيسمى غريباً، وقد يرويه اثنان فأكثر فيسمى عزيزاً، وقد يستفيض بأن يرويه جماعة فيكون مشهوراً أو مستفيضاً.

والسنة بقسميها تفيد العلم بدون فرق بين العقيدة والشريعة، وكان على هذا الصحابة والتابعون ومن بعدهم من أهل السنة خلافاً للمبتدعة من المعتزلة وغيرهم قديماً، ولبعض الكتاب العصريين المتأثرين بأفكارهم حديثاً الذين قالوا: إن خبر الواحد لا يفيد العلم، ولا يؤخذ به في العقيدة ولهم في ذلك شبهات غير واردة ولا صحيحة ولا معقولة.

وأما العقيدة الصحيحة: فهي التي جاء بها القرآن، ونطق بها سيد المرسلين، وأخذ بها الصحابة الكرام، وتلقاها عنهم التابعون وأتباعهم إلى أن وصلت إلينا صافية نقية وكأنها نزلت اليوم، وهي عقيدة سلف هذه الأمة. ومن

؛ شرح سنن أبن ماجة باب السواد الأعظم، ج٢، ص ٤٦٣

؛ المستدرك للحاكم، ج١، ص ٢٠٠ -٢٠٣.

؛ والمقاصد للسخاوي ص ٤٦٠، وقال: وبالجملة فهو حديث مشهور المتن ذو أسانيد كثيرة وشواهد متعددة في المرفوع وغيره.

؛ وانظر في هذا شرح العقيدة الواسطية للشيخ ابن عثيمين، ج٢، ص ٣٢٧.

؛ مسند الإمام أحمد، ج٥، ص ١٤٥.

(١) شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية، شرحه سماحة الشيخ محمد بن عثيمين، دار ابن الجوزي ١٤١٥هـ، ج٢، ص ٣٢٦.

أجلّ من جاهد في سبيل ترسيخها إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى وسار على نهجه شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه الحافظ ابن القيم، ثم الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمهم الله جميعاً»[1].

قال شيخ الإسلام: «ومذهب أهل السنة والجماعة مذهب قديم معروف، قبل أن يخلق الله أبا حنيفة ومالكاً والشافعي وأحمد، فإنه مذهب الصحابة الذي تلقوه عن نبيهم، ومن خالف ذلك كان مبتدعاً عند أهل السنة والجماعة، فإنهم متفقون على أن إجماع الصحابة حجة، ومتنازعون في إجماع من بعدهم.

وأحمد بن حنبل إن كان قد اشتهر بإمامة السنة والصبر في المحنة فليس ذلك لأنه انفرد بقول أو ابتدع قولاً، بل لأن السنة التي كانت موجودة معروفة قبل علمها ودعا إليها وصبر على ما امتحن به ليفارقها، وكان الأئمة قبل قد ماتوا قبل المحنة، فلما وقعت محنة الجهمية نفاة الصفات في أوائل المائة الثالثة على عهد المأمون وأخيه المعتصم ثم الواثق ودعوا الناس إلى التجهم وإبطال صفات الله وكانوا قد أدخلوا معهم من أدخلوا من ولاة الأمر، فلم يوافقهم أهل السنة والجماعة حتى هدَّدوا بعضهم بالقتل، وقيدوا بعضهم وعاقبوهم بالرهبه والرغبة، وثبت أحمد بن حنبل على ذلك الأمر حتى حبسوه مدة ثم طلبوا أصحابه لمناظرته فانقطعوا معه في المناظرة يوماً بعد يوم.. وبسبب محنة الإمام أحمد كثر الكلام والتدقيق والبحث في هذه الأشياء، ورفع الله قدر الإمام أحمد وأتباعه»[2].

قال شارح الواسطية: «وحكم السنة حكم القرآن في ثبوت العلم واليقين والاعتقاد والعمل؛ فإن السنة توضيح للقرآن، وبيان للمراد منه: تفصيل مجمله وتقييد مطلقه، وتخصيص عمومه كما قال تعالى ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[3].

---

(١) التمسك بالسنة في العقائد والأحكام للدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي مكتبة الغرباء الأثرية ١٤١٧هـ، ص ٤٣، ٦٢.

(٢) المنتقى من منهاج الاعتدال، للذهبي، ١ ص ١١٣، ١١٤.

(٣) سورة النحل: ٤٤.

فأهل الأهواء والبدع بإزاء السنة الصحيحة فريقان:

١ - فريق لا يتورع عن ردها وإنكارها، إذا وردت بما يخالف مذهبه بدعوى أنها أحاديث آحاد، لا تفيد إلا الظن، والواجب في باب الاعتقاد هو اليقين وهؤلاء هم المعتزلة والفلاسفة ومن تبعهم..

٢ - فريق يثبتها ويعتقد بصحة النقل، ولكنه يشتغل بتأويلها، كما يشتغل بتأويل آيات الكتاب وهم الأشاعرة»[١].

ثم قال العلامة الشيخ محمد خليل الهراس -رحمه الله- في بيان أصول منهج أهل السنة والجماعة في شرحه للعقيدة الواسطية: «هذا بيان لمنهج أهل السنة والجماعة في استنباط الأحكام الدينية كلها، أصولها وفروعها، وهذا المنهج يقوم على أصول ثلاثة:

أولها: كتاب الله عز وجل، الذي هو خير الكلام وأصدقه، فهم لا يقدمون على كلام الله كلام أحد من الناس.

ثانيهما: سنة رسول الله ﷺ، وما أثر عنه من هدي وطريقة، لا يقدمون على ذلك هدىً أحد من الناس.

ثالثهما: ما وقع عليه إجماع الصدر الأول من هذه الأمة قبل التفرق والانتشار وظهور البدع والمقالات، وما جاءهم بعد ذلك مما قاله الناس وذهبوا إليه من المقالات وزنوها بهذه الأصول الثلاثة التي هي الكتاب والسنة والإجماع، فإن وافقها قبلوه، وإن خالفها ردوه، أياً كان قائله.

وهذا هو المنهج الوسط، والصراط المستقيم، الذي لا يضل سالكه، ولا يشقى من اتبعه، وسط بين من يتلاعب بالنصوص، فيتأول الكتاب، وينكر الأحاديث الصحيحة، ولا يعبأ بإجماع السلف، وبين من يخبط خبط عشواء،

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للشيخ محمد خليل الهراس، ص ١٦٢، ١٦٣.

فيتقبل كل رأي، ويأخذ بكل قول، لا يفرق في ذلك بين غث وسمين، وصحيح وسقيم»[1].

ومما تقدم يتضح أن ما ذهب إليه القوم في ردهم لحديث الآحاد في العقيدة ودعوتهم بأنه ظني الثبوت والدلالة، وقولهم إنه لم ينعقد إجماع أمة فيما سلف، وقولهم إن القائلين بجواز الأخذ بالظني في العقيدة إنما هم قلة بالنسبة للمانعين، وقولهم بإن الإئمة الأربعة يقولون بهذا، جميع ذلك وغيره وهمٌ وتخرصٌ وقولٌ بلا علم، كيف وقد ظهر بوضوح عمل الأئمة الأربعة بحديث الآحاد وقبولهم إجماع السلف الصالح في صدر هذه الأمة.

---

(١) شرح العقيدة الواسطية، لشيخ الإسلام ابن تيمية: للعلامة محمد خليل الهراس، خرج أحاديثه وضبط نصه، علوي السقاف، دار الهجرة للتوزيع ١٤١١هـ، ص ٢٥٦.





الباب الثاني

استدلال السلف بأحاديث الآحاد في أبواب الاعتقاد وموقف المخالفين في حجيتها في إثبات العقيدة والرد عليهم

وفيه تمهيد وخمسة فصول:

تمهيـــــــد

الفصل الأول: استدلالهم بها في باب الإيمان بالله وموقف المخالفين منها والرد عليهم.

الفصل الثاني: استدلالهم بها في باب الأسماء والصفات وموقف المخالفين منها والرد عليهم.

الفصل الثالث: استدلالهم بها في باب القدر وموقف المخالفين منها والرد عليهم.

الفصل الرابع: استدلالهم بها في باب النبوات وموقف المخالفين منها والرد عليهم.

الفصل الخامس: استدلال السلف بأحاديث الآحاد في باب الإيمان باليوم الآخر وموقف المخالفين منها والرد عليهم.





تمهيد

حين كتب الله الخيرية لهذه الأمة المحمدية كان مناط ذلك أمران عظيمان بهما تؤدى الرسالة وفيهما فلاح ونصر الأمة وهما الإيمان بالله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[1].

ثم أخبرنا رسول الله ﷺ أنه قد ترك لأمته ديناً كاملاً مشتملاً أمور الحياة الدنيا والآخرة محفوظاً بما جاء في القرآن العظيم وسنته ﷺ حيث قال: «إني تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض»[2].

«وقد آمن السلف الصالح رضوان الله عليهم أن الرسول ﷺ قد بين ما أنزل إليه من ربه بياناً شافياً قاطعاً للعذر، ولاسيما ما يتعلق بأصول الدين مسائله ودلائله، لأن هذا من أعظم ما بلغة الرسول ﷺ البلاغ المبين، وبينه للناس أعظم

---

(١) سورة آل عمران ١١٠.

(٢) موطأ الإمام مالك، كتاب القدر، باب النهي عن القول بالقدر، ص ٦٤٨؛ سنن أبي داود، كتاب المناسك، باب صفة حجة النبي صلى الله عليه وسلم من حديث جابر رضي الله عنه، ج٢، ص ٤٥٥.؛ سنن ابن ماجة، أبواب المناسك، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم، ج٢، ص ٢٥٢؛ المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري، حققه مصطفى عبد القادر عطا دار الكتب العلمية، وله شاهد من حديث ابن عباس، ج١، ص ١٧١.

؛ سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت ١٣٩٩هـ عن أبي هريرة رضي الله عنه. ج٤، ص ٣٦١.

بيان، وهو من أعظم ما أقام الله به الحجة على عباده بالرسل الذين بينوه وبلّغوه، وكتاب الله الذي نقل الصحابة. ثم التابعون عن الرسول ﷺ ألفاظه ومعانيه، والحكمة التي هي سنة رسول الله ﷺ مشتملة من ذلك على غاية المرام، وتمام الواجب والمستحب وإنما يظن عدم اشتمال الكتاب والحكمة على بيان ذلك من كان ناقصاً في عقله وسمعه..

والسلف الصالح يحتجون بسنة رسول الله ﷺ في مسائل الاعتقاد كما يحتجون بها في الأحكام الشرعية، ولم يكن معروفاً عندهم تقسيم الشرع إلى مسائل علمية، وإلى أصول وفروع، كما لم يكن عندهم الاحتجاج بأخبار الآحاد في مسائل الفروع دون مسائل أصول الدين كما فعل المتكلمون»[١].

«وكان من أعظم ما أنعم الله به عليهم اعتصامهم بالكتاب والسنة، فكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان أنه لا يقبل من أحد قط أن يعارض القرآن، لا برأيه ولا ذوقه ولا معقوله ولا قياسه ولا وجده، فإنهم ثبت عندهم بالبراهين القطعيات والآيات البينات أن الرسول جاء بالهدى ودين الحق، وأن القرآن يهدي للتي هي أقوم، فيه نبأ من قبلهم، وخبر ما بعدهم، وحكم ما بينهم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، هو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم.

فعلى كل مؤمن أن لا يتكلم في شيء من الدين إلا تبعاً لما جاء به الرسول، ولا يتقدم بين يديه بل ينظر ما قال، فيكون قوله تبعاً لقوله، وعلمه تبعاً لأمره، فهكذا كان الصحابة ومن سلك سبيلهم من التابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين، فلهذا لم يكن أحد منهم يعارض النصوص بمعقوله ولا يؤسس ديناً غير ما جاء به الرسول ﷺ.

وكل من خالف ما جاء به الرسول ﷺ لم يكن عنده علم بذلك ولا عدل، بل لا يكون عنده إلا جهل وظلم وظن وما تهوى الأنفس ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ

---

(١) درء تعارض النقل والعقل لابن تيمية، ج ١، ص ٢٦، ٢٧.

ٱلْهُدَىٰٓ﴾[1] وذلك لأن ما أخبر به الرسول ﷺ فهو حق باطناً وظاهراً، فلا يمكن أن يتصور أن يكون الحق في نقيضه، وحينئذ فمن اعتقد نقيضه كان اعتقاده باطلاً، والاعتقاد الباطل لا يكون علماً، وما أمر به الرسول ﷺ فهو عدل لا ظلم فيه»[2].

«فإن ما تلقاه أهل الحديث وعلماؤه بالقبول والتصديق فهو محصل للعلم مفيد لليقين، ولا عبرة بمن عداهم من المتكلمين والأصوليين، فإن الاعتبار في الإجماع على كل أمر من الأمور الدينية بأهل العلم به دون غيرهم، كما لم يعتبر في الإجماع على الأحكام الشرعية إلا العلماء بها دون المتكلمين والنحاة والأطباء، وكذلك لا يعتبر في الإجماع على صدق الحديث وعدم صدقه إلا أهل العلم بالحديث وطرقه وعلله، وهم علماء أهل الحديث العالمون بأحوال نبيهم، الضابطون لأقواله وأفعاله، المعتنون بها أشد من عناية المقلدين بأقوال متبوعيهم»[3].

وقال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله: «والحق الذي ترجحه الأدلة الصحيحة ما ذهب إليه ابن حزم ومن قال بقوله، من أن الحديث الصحيح يفيد العلم القطعي سواء كان من أحد الصحيحين أم في غيرهما. وهذا العلم اليقيني علم نظري برهاني، لا يحصل إلا للعالم المتبحر في الحديث العارف بأحوال الرواة والعلل.

وهذا العلم اليقيني النظري يبدو ظاهراً لكل من تبحر في علم من العلوم، وتيقنت نفسه بنظرياته، واطمأن قلبه إليه. ودع عنك تفريق المتكلمين في اصطلاحاتهم بين العلم والظن، فإنما يريدون بهما معنى آخر غير ما نريد»[4].

«وأهل الكلام إذا زعموا أن أحاديث الآحاد لا تفيد علماً فإنما تحدثوا عن أنفسهم أنهم لم يستفيدوا منها ذلك، فهم صادقون فيما أخبروا به عن أنفسهم،

---

(١) سورة النجم: ٢٣.

(٢) الفرقان بين الحق والباطل لابن تيمية تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، دار البيان دمشق، ط٢، ١٤١٣هـ، ص ١٧، ٤١، ٤٢.

(٣) مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم، ص ٤٨٣، ٤٨٤.

(٤) الباحث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، أحمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٣هـ، ص ٤٩٦.

وذلك لا يقدح في حصول العلم لغيرهم من أهل الحديث»[1].

وقال الشيخ الألباني رحمه الله: «والحق الذي نراه ونعتقده أن كل حديث آحادي صحيح تلقته الأمة بالقبول من غير نكير منها عليه، أو طعن فيه، فإنه يفيد العلم واليقين، سواء كان في الصحيحين أو في غيرهما»[2].

وبهذا فإن السلف رحمهم الله كان اعتمادهم في العلم بما جاء عن الله سبحانه من أمور العقيدة وغيرها هو كتاب الله تعالى وما جاء عن رسول الله ﷺ من السنة الصحيحة ثم إجماع الصحابة لفهم هذين المصدرين العظيمين، ولا عبرة للمخالفين للأدلة الظاهرة بالحق المبين. «والناظر في كلام السلف الصالح يعلم أنهم كانوا يثبتون العقائد بنصوص القرآن والحديث، لا يفرقون بين المتواتر والآحاد، ولا يفرقون في الاحتجاج بين العقائد والأحكام، ولم يُعرف أحدٌ خالف في هذا من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين، ولا من الأئمة المرضيين أمثال الأئمة الأربعة، وكان السلف الصالح ما يزال اتباعهم ينكرون أشد الإنكار على الذين يرغبون إلى ترك الأحاديث والاحتكام إلى العقل، ويسفِّهون من قال بذلك»[3].

«وكيف يتكلم في أصول الدين من لا يتلقاه من الكتاب والسنة، وإنما يتلقاه من قول فلان وفلان؟! وإذا زعم أنه يأخذه من كتاب الله لا يتلقى تفسير كتاب الله من أحاديث الرسول ﷺ، ولا ينظر فيها، ولا فيما قاله الصحابة والتابعون لهم بإحسان، المنقول إلينا عن الثقات النقلة، الذين تخيرهم النقاد، فإنهم لم ينقلوا نظم القرآن وحده، بل نقلوا نظمه ومعناه..

وطريق أهل السنة: أن لا يعدلوا عن النص الصحيح، ولا يعارضوه

---

(١) موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية، الأمين الصادق الأمين، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٨هـ، ج١، ص ١٦٦؛ وانظر: الصواعق المرسلة لابن القيم، ص ٥٢٣.

(٢) الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام، لمحمد ناصر الدين الألباني، مطبعة الدار السلفية، الكويت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٠هـ، ص ١٥.

(٣) أصول الاعتقاد، د. عمر بن سليمان الأشقر، ص ١٤.

بمعقول، ولا قول فلان.. وخبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول، عملاً به وتصديقاً له: يفيد العلم اليقيني عند جماهير الأمة، وهو أحد أقسام المتواتر. ولم يكن بين سلف الأمة في ذلك نزاع..

وكان رسول الله ﷺ يرسل رسله آحاداً، ويرسل كتبه مع الآحاد ولم يكن المرسل إليهم يقولون لا نقبله لأنه خبر واحد! وقد قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾[1]. فلا بد أن يحفظ الله حججه وبيناته على خلقه، لئلا تبطل حججه وبيناته»[2].

---

(١) سورة التوبة: ٣٣.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، المكتب الإسلامي، ص ١٩٦، ٣٥٤، ٣٥٥.



الفصل الأول

استدلالهم بأحاديث الآحاد في باب الإيمان بالله وموقف المخالفين منها والرد عليهم

وفيه:

- تمهيد
- طرق إثبات العقائد.
- التوحيد الذي دعت إليه الرسل.
- الإيمان هو حق الله على العباد.
- شعب الإيمان.
- الاستدلال على وجود الله سبحانه
- طريقة المخالفين في الاستدلال على وجود الله.
- أول واجب في الإسلام على المكلف.
- الإيمان بالله عند المتكلمين.
- الإيمان عند السلف وموقفهم من المتكلمين.
- حقيقة التوحيد عند المتكلمين.
- حقيقة التوحيد عند السلف وموقفهم من المتكلمين.

* * * * * *





تمهيد

أرسل الله سبحانه إلى هذه الأمة رسولاً مبشراً ونذيراً، وأنزل عليه الكتاب هادياً ومنيراً، فكانت دعوته ﷺ مؤيدة بالوحي الإلهي، قرآناً وسنة، فاستجابت الأمة إلى الهدى، ولقي رسول الله ﷺ ربه بعد أن ترك أمته على المحجة البيضاء. «فيا عجباً ممن يزعم أن الهداية والسعادة لا تحصل بالقرآن ولا بالسنة، مع أن النبي ﷺ لم يهتد إلا بذلك، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾[1]. ثم بعد ذلك يحيلها على قول فلان وفلان. وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[2]. والآيات في هذا المعنى كثيرة، فوجب على كل من عقل عن الله أن يكون على بصيرة ويقين في دينه. كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[3] ومحال أن يحصل اليقين والبصيرة إلا من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وكيف ينال الهدى والإيمان من زعم أن ذلك لا يحصل من القرآن إنما يحصل من الآراء الفاسدة التي هي زبالة الأذهان.. وهذه المتابعة لكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ هي حقيقة دين الإسلام، الذي افترضه الله على الخاص والعام، وهو حقيقة الشهادتين الفارقتين بين المؤمنين والكفار، والسعداء أهل الجنة والأشقياء أهل النار، إذ معنى الإله: هو المعبود المطاع، وذلك هو دين الله الذي ارتضاه لنفسه وملائكته ورسله

(١) سورة سبأ آية: ٥٠.

(٢) سورة الحشر: ٧.

(٣) سورة يوسف آية: ١٠٨.

وأنبيائه، فبه اهتدى المهتدون وإليه دعا المرسلون»[1].

وكان ذلك حال سلف الأمة متابعة واقتداء بمن سبقهم من صحابة رسول الله ﷺ وتابعيهم، حتى نبتت نابتة الفرق وأهل الزيغ والضلال من الخوارج والشيعة وأهل الاعتزال والكلام «وتجد المصّنفين في الكلام يبدءون بمقدماته في الكلام: في النظر والعلم والدليل، وهو من جنس المنطق، ثم ينتقلون إلى حدوث العالم واثبات محدثه، ومنهم من ينتقل من تقسيم المعلومات إلى الموجود والمعدوم وأقسامه، كما يفعل الفيلسوف في أول العلم الإلهي..

وأما الغاية التي يرمي إليها المتكلمون الذين يقررون التوحيد في كتب الكلام والنظر هي إثبات وحدانية الخالق، وإنه لا شريك له، ويظنّون أن هذا هو المراد بـ (لا إله إلا الله). هذا المنهج الفلسفي الكلامي يشغل الباحث والناظر فيه في قضايا ينقضي العمر، ولا ينتهي من بعضها، بل إن الذي يحصله منها ينطوي على شبهات تجعل اليقين غير موجود، فيصاب الباحث بالحيرة والشك.

أما المنهج القرآني، فإنه يجعل فاتحة دعوته ودعوة الرسل جميعاً: الدعوة إلى عبادة الله وحده ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾[2] وكل رسول كان يطالب قومه في أول الأمر بأن يعبدوا الله وحده ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾[3] يطالبهم بعبادته بالقلب، وعبادته باللسان، وعبادته بالجوارح، وعبادة الله متضمنة لمعرفته وذكره. وأصل العلم عندهم هو العلم بالله سبحانه، لا الحس ولا البدهيات، فالله هو الأول الذي خلق الكائنات، والآخر الذي إليه تصير الحادثات، فهو الأصل الجامع، والعلم به أصل كل علم وجامعة، وذكره أصل كل ذكر وجامعه، والعمل له أصل كل عمل وجامعه»[4].

---

(١) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، المكتب الإسلامي، ط٥، ١٤٠٢هـ، ص ٢٠، ٢١.

(٢) سورة الأنبياء الآية: ٢٥.

(٣) سورة المؤمنون: ٢٣.

(٤) العقيدة في الله، د. عمر الأشقر، دار النفائس ط ١٢ عمّان ١٤١٩هـ، ص ٣٧، ٣٨.

طرق إثبات العقائد

والناس في طرق إثبات العقائد على خمس فرق: ـ

١ ـ المعتمدون على العقل المكذبون للرسل ـ الفلاسفة ـ :

وهم الذي يستنكفون عن اتباع الرسل الذين جاءوا بالخبر الصادق، ويحاولون أن يعرفوا الحقيقة عما وراء الكون المشهود بعقولهم.. وزعم هؤلاء أن ما جاءت به الرسل لا يفيد اليقين.

٢ ـ منهج فلاسفة الإسلام:

وهم الذين رضوا بما جاءت به الرسل ولكنهم لم يتخلصوا من تلك النزعة الاستقلالية التي يحاولون بها الاعتماد على أنفسهم في مجال لم يعطهم الله القدرة على الخوض فيه، ومن هؤلاء من رفض الاحتجاج على العقيدة بالقرآن والحديث المتواتر ما لم تكن دلالتهما قطعية، أما أحاديث الآحاد فهي مرفوضة رفضاً كلياً، فلا يجيزون الاحتجاج بها لا في العقيدة ولا في الأحكام، ومن هؤلاء المعتزلة والخوارج.

٣ ـ منهج أصحاب الكشف والتجليات:

وهم الصوفية الذي يزعمون أن لهم طريقاً خاصاً يعرفون به ربهم وعوالم الغيب والأحكام، وهي طريق الكشف والتجليات المزعومة، فيقول أحدهم: «حدثني قلبي عن ربي» ويزعم قائلهم أن طريقهم هذا أقوم لأن طريق العلماء حديث فلان عن فلان عن فلان عن رسول الله عن جبريل وطريقهم حديث القلب عن الرب.

٤ ـ منهج الذين يرفضون الأخذ بأحاديث الآحاد في العقائد:

وهم الذي يرفضون الاحتجاج بأحاديث الآحاد في مسائل الاعتقاد، فلا يحتجون إلا بالقرآن أو المتواتر من الأحاديث، ولا يثبتون العقيدة بالقرآن والحديث المتواتر إلا إذا كان النص قطعي الدلالة، وإذا لم يكن النص قطعي الدلالة فإنه لا يجوز الاحتجاج به عندهم. قال بذلك علماء الكلام

قديماً، وتابعهم بعض علماء الأصول، وقد انتشر هذا القول في أيامنا، حتى كاد ينسى القول الحق، ويستغرب من قائله. والعلماء قديماً وحديثاً كانوا ولا زالوا يبينون فساد هذا القول وخطورته، ويكشفون شبه القائلين به.

٥ ـ منهج السلف الصالح:

يرى علماء السلف الصالح أن كل ما أخبرنا الله به، أو أخبرنا به رسوله ﷺ، ووصل إلينا بطريق صحيح، يجب الإيمان به وتصديقه، وهم لا يفرقون بين الخبر المتواتر وخبر الآحاد، إذا كان صحيحاً، بل يثبتون العقائد بهما من غير تفريق.

ويستدلون على ذلك بالأدلة العامة التي تأمرنا بتصديق الله ورسوله فيما أخبرا به، وطاعتهما فيما أمرا به مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[١]. وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾[٢]، [٣].

وبهذا فإن مصدري العقيدة عند أهل السنة والجماعة هما الكتاب والسنة.
قال شيخ الإسلام رحمه الله «واعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة، أهل السنة والجماعة، الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والإيمان بالقدر خيره وشره.. فلا عدول لأهل السنة والجماعة عما جاءت به المرسلون، فإنه الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.. وهذا الباب في كتاب الله تعالى كثير، من تدبر القرآن طالب الهدى تبين له طريق الحق، ثم سنة رسول الله ﷺ تفسر القرآن وتبينه وتدل عليه وتعبر عنه، وما وصف الرسول به ربه من الأحاديث الصحاح التي تلقاها

(١) سورة الأحزاب: ٣٦.
(٢) سورة آل عمران: ٣٢.
(٣) انظر العقيدة في الله، د. عمر الأشقر، ص ٥١ - ٥٣؛ أصل الاعتقاد، د. عمر الأشقر ص ٧ - ١٤.

أهل المعرفة بالقبول وجب الإيمان بها»[1].

وإذا كان هذا حال عقيدة السلف، فإن عقيدة أهل الكلام تبدأ بالكلام في النظر والمنطق وحدوث العالم والجواهر والأعراض والكيفيات والصوت والصدى والذوق واللمس والأفلاك والأجرام، وفي نهاية المطاف وآخر الأبواب يثبتون ذاتاً وصانعاً ثم يصفونه بصفات السلوب، ليس في جهة ولا مكان، وليس بجسم، وليس جوهراً، وممتنع أن يقوم بذاته حادث، وهم يقصدون بهذا نفي علوه واستوائه على عرشه، ونفي صفاته كالوجه واليد وغيرهما، وصفة النزول والمجيء..[2].

ثم يثبتون توحيداً ناقصاً يعترف به مشركوا الجاهلية، وهو أن الله خالق كل شيء. معرضين عن توحيد الألوهية الذي من أجله أرسل الرسل وخلق الخلق، ويحيلون هذا التوحيد العظيم إلى أبواب الفقه، ثم يجيزون الاستدلال عليه بأخبار الآحاد الظنيّة عندهم!.

«لقد ابتعد علم الكلام على مرّ الزمن عن القرآن مقترباً من الفلسفة، حتى ليوشك أن يصير فلسفة عقلية بحته وقد عمل رسول الله ﷺ جاهداً في أن يوطد أركان هذه العقيدة في نفوس الذين اتبعوه، ولم يفعل ذلك عن أمره، وإنما فعله منفذاً للوحي المعصوم؛ ذلك أن القرآن في جميع أجزائه قد جعل هذه العقيدة، أولى العقائد الجوهرية: لا إله إلا الله: إنها كلمة التوحيد، وهي كلمة الإخلاص، وهي أول ما ينطق به الشخص حينما يعتنق الإسلام، وتوحيد الله هو جوهر وحدة الدين... وكذلك الأحاديث الشريفة التي ترسم للمؤمنين الطريق الذي يجب أن يتبعوه احتفاظاً بالوحدة، واتباعاً للنهج الصحيح، وابتغاءً للطمأنينة القلبية.. وليس بعسير تبيين هذه العوامل وتوضيحها، فإن القرآن الكريم والسنة الشريفة قد بيّنا ذلك في وضوح، وفي أسلوب لا لبس فيه، وبيّنا أيضاً العلاج

---

(١) مجموعة الرسائل الكبرى، ابن تيمية، ج ١، ص ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٨.

(٢) انظر المواقف في علم الكلام، عبد الرحمن الإيجي، مكتبة المتنبي، القاهرة وغيره (من كتب أهل الكلام) الفهرس ص ٣ - ٢٠.

الذي ينجع، وقد وضَّح سلفنا الصالح نهج الكتاب والسنة في أمر العقائد»[1].

التوحيد الذي دعت إليه الرسل

أرسل الله رسله وأنزل كتبه، لدعوة الناس إلى التوحيد الذي هو حق الله سبحانه على العبيد، فكان القرآن العظيم آخر ما أنزل من الكتب على آخر الرسل وخاتمهم محمدﷺ، وكان «التوحيد الذي دعت إليه الرسل ونزلت به الكتب نوعان»: توحيد في الإثبات والمعرفة، وتوحيد في الطلب والقصد.

فالأول: هو إثبات حقيقة ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله وأسمائه، ليس كمثله شيء في ذلك كله، كما أخبر عن نفسه، وكما أخبر رسولهﷺ. وقد أفصح القرآن عن هذا النوع كل الإفصاح كما في أول سورة آل عمران والحديد والسجدة وسورة الإخلاص وغير ذلك.

والثاني: هو توحيد الطلب والقصد، مثل ما تضمنته سورة الكافرون وجملة سورة الأنعام وغيرها وغالب سور القرآن متضمنة لنوعي التوحيد، بل كل سورة في القرآن. فالقران أما خبر عن الله وأسمائه وصفاته، وهو التوحيد العلمي الخبري. وأما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي.

وأما أمر ونهي وإلزام بطاعته، فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته.

وأما خبر عن إكرامه لأهل توحيده، وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده، وأما خبر عن أهل الشرك، وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في العقبى من العذاب فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد.

---

(١) التوحيد الخالص، الدكتور عبد الحليم محمود، دار الكتب الحديثة، مصر ١٣٩٣هـ، ص ١٢٩، ١٣٢، ١٣٣.

فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم»[1].

ثم كانت سنة المصطفى ﷺ صريحة في الدعوة إلى التوحيد، ويتجلى هذه في حديث معاذ رضي الله عنه عندما أرسله ﷺ إلى اليمن مبلغاً وداعياً إلى الإيمان بالله وبرسوله فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: «إنك ستأتي قوماً أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينه وبين الله حجاب»[2].

ثم قال النووي وابن حجر: وفي هذه الحديث قبول خبر الواحد.[3].

وفي كتاب أخبار الآحاد من صحيح البخاري الذي ترجم باباً في وصاة النبي ﷺ وفود العرب بأن يبلغوا من وراءهم. قال ابن حجر في شرحه لقوله ﷺ: «أحفظوهن وأبلغوهن من وراءكم» فإن الأمر بذلك يتناول كل فرد، فلولا أن الحجة تقوم بتبليغ الواحد ما حضهم عليه.

أخرج البخاري بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن وفد عبد القيس لما أتوا رسول الله ﷺ قال: من الوفد؟ قالوا ربيعة، قال: مرحباً بالوفد والقوم غير خزايا

---

(١) العقيدة الطحاوية لابن أبي العز تعليق الشيخ الألباني، ص ٨٩.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء، ج ٣، ص ٣٥٧

؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، ج١، ص ١٩٥.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام ج١، ص ١٩٧.

؛ فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة، ج٣، ص ٣٦٠.

ولا ندامى، قالوا: يا رسول الله، إن بيننا وبينك كفار مضر، فمرنا بأمر ندخل به الجنة ونخبر به من وراءنا. فسألوا عن الأشربه، فنهاهم عن أربع، وأمرهم بأربع، وأمرهم بالإيمان بالله، هل تدرون ما الإيمان بالله؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال: شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان وتؤتوا من المغانم الخمس.. قال احفظوهن وأبلغوهن من وراءكم»(١).

وهذا الحديث الصحيح ردٌ على أولئك الذين يقولون إن الإيمان هو القول والتصديق ويؤخرون الأعمال كالأحناف والأشاعرة والجهمية وكذلك المرجئة الذين يقولون لا يضر مع الإيمان معصية. وهنا يبين الرسولﷺ ركائز الإيمان التي يقوم عليها وذلك في مقام التعليم والتوجيه لأولئك الذين جاءوا يسألون عن الأمر الذي يدخلهم به الجنة: فكان جواب المصطفىﷺ موضحاً لهم أن الإيمان هو سبب دخول الجنة، ثم بينﷺ أن أركان الإيمان هي أركان الإسلام من الشهادتين والصلاة والزكاة والصيام، ولم يذكر الحج لتأخر فرضه أو لكونه معلوماً عند العرب، أو لأنه ليس بفرض عين إلا على المستطيع خاصة وأنهم يشكون عدم الأمان في طريقهم إلى النبيﷺ(٢).

وبهذا يتضح أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، وأن الإيمان والإسلام مترادفان متحدان إذا تفرقا كما في هذا الحديث فكلاهما بمعنى واحد، وأنهما يختلفان إذا اجتمعا اختلاف تفصيل وبيان، كما في حديث جبريل في سؤاله عن الإيمان والإسلام والإحسان. فالإيمان بالله يقتضي الإسلام كله، وكذلك شهادة أن لا إله إلا الله بشروطها التي استقرأها علماء أهل السنة والجماعة من القرآن والسنة، فقال الناظم:

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب أخبار الآحاد، باب وصاة النبي وفود العرب أن يبلغوا أمرهم ج ١٣، ص ٢٤٢.
؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى، ج١، ص ١٧٩.

(٢) فتح الباري، كتاب الإيمان، باب أداء الخمس من الإيمان، ج ١،: ص ١٣٤.

«وبشروط سبعة قد قيدت　　وفي نصوص الوحي حقاً وردت
العلم واليقين والقبول　　والانقياد فادر ما أقول
والصدق ولإخلاص والمحبة　　وفقك الله لما أحبه»[(1)]

وكذلك حديث ضمام بن ثعلبة عندما وفد على رسول الله ﷺ يسأله عن أمور الإسلام، ثم عاد يخبر ويبلغ قومه شرائع الإسلام، وقد أدرجه البخاري رحمه الله في كتاب العلم ثم ترجم له باباً، فيما جاء في العلم، وقوله تعالى ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[(2)].

فعن شريك بن عبد الله بن أبي نمر أنه سمع أنس بن مالك يقول: بينما نحن جلوس مع النبي ﷺ في المسجد دخل رجل على جمل فأناخه في المسجد ثم عقله ثم قال لهم أيكم محمد ـ والنبي ﷺ متكئ بين ظهرانيهم ـ فقلنا هذا الرجل الأبيض المتكيء، فقال له الرجل: ابن عبد المطلب. فقال له النبي ﷺ: «قد أجبتك: فقال الرجل للنبي ﷺ: إني سائلك فمشدد عليك في المسألة، فلا تجد علي في نفسك. فقال: سل عما بدا لك. فقال. أسألك بربك ورب من قبلك، آلله أرسلك إلى الناس كلهم؟ فقال: اللهم نعم.. قال: أنشدك بالله، آلله أمرك أن نصلي الصلوات الخمس في اليوم والليلة؟ قال: اللهم نعم. قال: أنشدك بالله. آلله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا؟ فقال ﷺ: اللهم نعم. فقال الرجل آمنت بما جئت به. وأنا رسول من ورائي من قومي، وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر.

وزاد مسلم: قال: والذي بعثك بالحق لا أزيد عليها ولا أنقص. فقال النبي ﷺ: لئن صدق ليدخلن الجنة»[(3)].

---

(1) معارج القبول بشرح سلم الوصول، الشيخ حافظ الحكمي، تعليق عمر بن محمود، دار القيم، الدمام ١٤١٠هـ، ج٢، ص ٤١٨

(2) سورة طه: ١١٤.

(3) فتح الباري، شرح صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ما جاء في العلم، وقوله تعالى: ج١، ص ١٤٨. صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب في الإيمان بالله وشرائع الدين، ج١، ص ١٦٩.

بل إن هذا الحديث مشتمل على رحلة الإيمان الخالد، والمتجدد من الله سبحانه حين يرسل رسله إلى الخلق أجمعين يدعونهم إلى التوحيد وعبادة الله سبحانه، فما لبث ضمام بعد ما سمع رسالة التوحيد والإيمان إلا أن هداه الله وآمن، وشعر بمسئولية وثقل تلك الأمانة فألزم نفسه تبليغ قومه نعمة هدي الإسلام لما أحس به من ثبات الاعتقاد، وسلامة المنهج، وصدق الرسول، وصحة الرسالة.

وهذا رجل من أهل نجد جاء من البادية لا يفقه شيئاً عن دين الإسلام، جاء بغرض معرفة هذا الدين والسؤال عنه وكيفيته، فهو في موقف المتعلم الجاهل لهذا الأمر.

فعن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه يقول: جاء رجل من أهل نجد إلى رسول الله ﷺ ثائر الرأس نسمع دوي صوته، ولا نفقه ما يقول حتى دنا، فإذا هو يسأل عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «خمس صلوات في اليوم والليلة، فقال: هل علي غيرها؟ قال لا، إلا أن تطوع، قال رسول الله ﷺ: وصيام رمضان، قال: هل علي غيره؟ قال: لا، إلا أن تطوع، قال رسول الله ﷺ: والزكاة، قال: هل علي غيرها؟ قال: لا، إلا أن تطوع، قال: فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص، قال رسول الله ﷺ، أفلح إن صدق»[(١)].

«ولم يذكر الشهادتين: لأنه علم أنه يعلمها أو علم أنه إنما يسأل عن الشرائع الفعلية، أو ذكرها ولم ينقلها الراوي لشهرتها، وإنما لم يذكر الحج إما لأنه لم يكن فرض بعد أو الراوي اختصره، ويؤيد هذا الثاني ما أخرجه المصنف في الصيام من طريق آخر... قال: فأخبره رسول الله ﷺ بشرائع الإسلام»[(٢)].

ويشهد لهذا الحديث ما أورده مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب الزكاة من الإسلام، ج ١، ص ١٠٦. صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام ج١، ص ١٦٦.

(٢) فتح الباري ج ١، ص ١٠٧.

أعرابياً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: دلني على عملٍ إذا عملته دخلت الجنة قال تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان قال والذي نفسي بيده لا أزيد على هذه شيئاً ولا أنقص منه فلما ولى قال النبي ﷺ من سَّره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا»(١).

وبهذا فإن الأمة قد تلقت أمر هذا الدين عبر أفراد أو طوائف لم يبلغوا في الغالب حد التواتر، وشهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة إن هم أقاموا ما أُمروا به وبلغهم، وهذا مجمل الرسالة، قبول وعمل في الدنيا ابتغاء وجه الله وجنته في الدار الآخرة.

الإيمان هو حق الله على العباد

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾(٢) ثم قال تعالى مبيناً الغاية من خلق الإنسان والجانّ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾(٣).

ثم يبين رسول الله ﷺ حق الله على عباده وحقهم إن هم آمنوا به وعبدوه، ولم يشركوا به شيئاً وماتوا على ذلك.

فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: «كنت ردِف رسول الله ﷺ ليس بيني وبينه إلا مؤخرة الرحل فقال يا معاذ ابن جبل قلت لبيك رسول الله وسعديك ثم سار ساعة ثم قال يا معاذ بن جبل قلت لبيك رسول الله وسعديك. قال هل تدري ما حق الله على العباد؟ قال قلت: الله ورسوله أعلم قال فإن حق الله على العباد أن يعبدوه

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب الإيمان الذي يدخل الجنة، ج١، ص١٧٤.

(٢) سورة البقرة آية: ٣٠.

(٣) سورة الذاريات آية: ٥٦ - ٥٧ - ٥٨.

ولا يشركوا به شيئاً ثم سار ساعة ثم قال يا معاذ بن جبل قلت لبيك يا رسول الله وسعديك، قال هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك، قال قلت الله ورسوله أعلم؟ قال أن لا يعذبهم ـ ثم قال في رواية أخرى: قال قلت يا رسول الله أفلا أبشر الناس؟ قال لا تبشرهم فيتكلوا»[1].

فالإيمان بالله تعالى له «شطران: عقيدة نقية راسخة تستكن في القلب، وعمل يظهر على الجوارح، فإذا فُقد أحد الركنين، فإن الإيمان يزول أو يختل؛ إذ الاتصال بين الطرفين وثيق جداً. ومثل الإيمان كشجرة طيبة ضاربة بجذورها في الأرض الطيبة، وباسقة بسوقها في السماء، مزهرة مثمرة معطاءة، تعطي أكلها كل حين بإذن ربها، فالإيمان هو الشجرة، وجذورها العقيدة التي تغلغلت في قلب صاحبها، والسوق والفروع والثمار هي العمل. ولذلك قال علماء السلف، الإيمان: اعتقاد بالجنان، ونطق باللسان وعمل بالأركان، وهذا قول عامة السلف ومنهم الأئمة الثلاثة أحمد ومالك والشافعي، وخالف الإمام أبو حنيفة فقال الإيمان، الاعتقاد والنطق، والعمل من لوازم الإيمان ولا يدخل في مسماه. وذهب فريق آخر إلى أن الإيمان مجرد التصديق فقط، ولو لم يكن معه قول ولا عمل، هذا مذهب الجهمية والأشاعرة. وذهبت الكرامية إلى أن الإيمان هو القول فقط»[2].

ولا شك أن كل من فرّق بين مقتضيات الإيمان الثلاثة قد جانب الصواب وشطح عن الحق، فالأحناف الذين هم الأقرب إلى قول أهل السنة، ولكن الدليل يعارض ما ذهبوا إليه، وكان ذلك دهليزاً مرقت منه تلك الفرق المبتدعة كالجهمية والكرامية والصوفية وغيرها. وأما الخوارج والمعتزلة الذين جعلوا العمل شرطاً في صحة الإيمان فيزول بزوال العمل، ثم اختلفوا في إطلاق المسمى في الحياة الدنيا، واتفقوا على خاتمة من مات ولم يتب إلى الله من كبيرته فهو في النار خالداً فيها.

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ن كتاب الإيمان، باب حق الله على العباد، ج١، ص ٢٢٩.
؛ فتح الباري شرح صحيح البخاري: كتاب الاستئذان، باب من أجاب بلبيك وسعديك، ج١١، ص ٦٠.

(٢) العقيدة في الله، د. عمر الأشقر، ص ٢٠.

وهذا مخالف لمذهب أهل السنة الذين يعتقدون أن العمل مكمل للإيمان وليس شرطاً في صحة الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، فتارك العمل مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، وأمره إلى الله إن مات ولم يتب، إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه ثم يدخله الله الجنة ما لم يشرك بالله(١).

ويدل على هذا الأمر العظيم ما ورد في الصحيحين وغيرهما من حديث الشفاعة المتواتر مطوّلاً والذي اختص الله سبحانه لنفسه بالشفاعة فيمن قال لا إله إلا الله بعد أن دخل النار وعذّب فيها، كما تشهد بذلك الأحاديث الصحية.

فعن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا كان يوم القيامة شفعت... فأقول: يا رب ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله. فيقول: وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال: لا إله إلا الله»(٢).

وهذا حديث متواتر جامع معتمد لعقيدة أهل السنة، وصحة اعتقادهم وفساد ما ذهب إليه مخالفيهم الذين قالوا إن الإيمان هو التصديق من غير عمل، وعكسهم الذين قالوا إن العمل شرطٌ في صحة الإيمان وإذا سقط الشرط سقط المشروط، فلا إيمان.

وهدى الله أهل السنة والجماعة، أهل الوسط الذين قالوا إن الإيمان يزيد وينقص وإن شهادة لا إله إلا الله تنفع قائلها، وهذا ما دلّ عليه الحديث الصحيح، وخروج قائلها من النار بعد دخوله وعذابه فيها لمن يشاء، وذلك بعزة الله وعظمته وجلاله وكبريائه.

---

(١) معارج القبول، للشيخ حافظ الحكمي، ج ٢، ص ٤٢٨.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة لأنبيائه ج ١٣، ص ٤٧٣؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب الشفاعة ج ٣، ص ٦٤؛ قطف الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة، جلال الدين السيوطي، تحقيق خليل الميس، المكتب الإسلامي ١٤٠٥هـ، ص ٣٠٣.

شعب الإيمان

وصف الله المؤمنين في كتابه بالفلاح والفوز في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾[1]. ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[2] وحيث إن الإيمان الذي «أثنى الله على أهله ليس هو العقيدة فحسب، ولكن العقيدة تمثل قاعدة الإيمان وأصله، فالإيمان عقيدة تستقر في القلب استقراراً يلازمه، ولا ينفك عنه، ويعلن صاحبها بلسانه عن العقيدة المستكنَّة في قلبه، ويصدّق الإعتقاد والقول بالعمل وفق مقتضى هذه العقيدة.

إن العقيدة التي تستكنّ في القلب، ولا يكون لها وجود في العلانية عقيدة خاوية باردة، لا تستحق أن تسمى عقيدة، وقد نرى كثيراً من الناس يعرفون الحقيقة على وجهها، ولكنهم لا ينصاعون لها، ولا يصوغون حياتهم وفقها، بل قد يعارضون الحق الذي استيقنوه ويحاربونه، فهذا إبليس يعرف الحقائق الكبرى معرفة يقينية، يعرف الله، ويعرف صدق الرسل والكتب، ولكنه نذر نفسه لمحاربة الحق الذي يعرفه»[3].

ويقرر ابن تيمية أن الإيمان ليس مجرد التصديق فقط، بل لابد من أمر آخر، وهو عمل القلب الذي يتضمن الحب والانقياد والقبول والعمل فيقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن الايمان وإن كان يتضمن التصديق فليس هو مجرد التصديق، وإنما هو الإقرار والطمأنينة، وذلك لأن التصديق إنما يعرض للخبر فقط، فأما الأمر فليس فيه تصديق من حيث هو أمر، وكلام الله خبر وأمر. فالخبر يستوجب تصديق المخبر، والأمر يستوجب الانقياد له والاستسلام، وهو عمل القلب، وجماعه الخضوع والإنقياد للأمر، وإن لم يفعل المأمور به، فإذا قوبل الخبر والتصديق. والأمر بالإنقياد، فقد حصل أصل الإيمان في القلب، وهو الطمأنينة والإقرار، فإن اشتقاقه من الأمر الذي هو القرار والطمأنينة، وذلك

---

(١) سورة المؤمنون آية: ١.

(٢) سورة البقرة آية: ٥.

(٣) العقيدة في الله. د. عمر الأشقر، ص ١٩.

يحصل إذا استقر في القلب التصديق والانقياد»[1].

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «الإيمان بضع وستون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان»[2].

قال ابن القيم رحمه الله: «أعمال القلوب هي الأصل المراد المقصود، وأعمال الجوارح تبع ومكملة ومتممة، وأن النية بمنزلة الروح، والعمل بمنزلة الجسد للأعضاء، الذي إذا فارق الروح فموات، وكذلك العمل إذا لم تصحبه النية فحركة عابث، فمعرفة أحكام القلوب أهم من معرفة أحكام الجوارح، إذ هي أصلها، وأحكام الجوارح متفرعة عليها..

ومن تأمل الشريعة في مصادرها ومواردها، علم ارتباط أعمال الجوارح بأعمال القلوب، وأنها لا تنفع بدونها، وأن أعمال القلوب أفرض على العبد من أعمال الجوارح فعبودية القلب أعظم من عبودية الجوارح، وأكثر وأدوم، فهي واجبة في كل وقت»[3].

وقال القاضي عياض رحمه الله في شعب الإيمان: «وقد تقدم أن أصل الإيمان في اللغة التصديق وفي الشرع تصديق القلب واللسان وظواهر الشرع تطلقه على الأعمال كما وقع هنا أفضلها لا إله إلا الله وآخرها إماطة الأذى عن الطريق، وقد قدمنا أن كمال الإيمان بالأعمال وتمامه بالطاعات وأن التزام الطاعات وضم هذه الشعب من جملة التصديق ودلائل عليه. وأنها خلق أهل التصديق فليست خارجة عن اسم الإيمان الشرعي ولا اللغوي، وقد نبه ﷺ على أن أفضلها التوحيد المتعين على كل أحد والذي لا يصح شيء من الشعب إلا بعد صحته

---

(١) الصارم المسلول لابن تيمية تحقيق. محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ٥١٩.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان، ج ١، ص ٥١. ؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان، ج٢، ص ٣.

(٣) بدائع الفوائد لابن القيم، مكتبة القاهرة، ط٢، ١٣٩٢هـ، ج ٣، ص ٢٢٤، ٢٣٠.

وأدناها ما يتوقع ضرره بالمسلمين من إماطة الأذى عن طريقهم، وبقي بين هذين الطرفين أعداد لو تكلف المجتهد تحصيلها بغلبة الظن وشدة التتبع لأمكنة، وقد فعل ذلك بعض من تقدم، وفي الحكم بأن ذلك مراد النبي ﷺ صعوبة، ثم أنه لا يلزم معرفة أعيانها، ولا يقدح جهل ذلك في الإيمان، إذ أصول الإيمان وفروعه معلومة محققة، والإيمان بأنها هذا العدد واجب في الجملة»[1].

الاستدلال على وجود الله سبحانه

لم يكن الاستدلال على وجود الله مطلباً عند السلف الكرام، «وذلك نتيجة حقيقة علمهم بأن الخالق سبحانه لا يحتاج في معرفته إلى برهان ولا إلى قياس اليونان.

وقالوا ائتنا ببرهان فقلت لهم أنى يقوم على البرهان برهان

وذلك أن الأنبياء ﷺ: دعوا الناس إلى عبادة الله أولاً بالقلب واللسان، وعبادته متضمنة معرفته وذكره، فأصل علمهم وعملهم، هو العلم بالله، والعمل لله، وذلك فطري»[2].

«وتأمل حال العالم كله، علوية وسفلية، بجميع أجزائه، نجده شاهداً بإثبات صانعه، وفاطره ومليكه، فإنكار صانعه وجحده في العقول والفطر بمنزلة إنكار العلم وجحده، لا فرق بينهما، بل دلالة الخالق على المخلوق، والفعال على الفعل، والصانع على أحوال المصنوع عند العقول الزكية المشرقة العلوية والفطر الصحيحة؛ أظهر من العكس. فالعارفون أرباب البصائر يستدلون بالله على أفعاله وصنعه، إذا استدل الناس بصنعه، وأفعاله عليه، ولا ريب أنهما طريقان صحيحان كل منهما حق، والقرآن مشتمل عليهما. فأما الاستدلال بالصنعة فكثير. وأما الاستدلال بالصانع فله شأن. وهو الذي أشارت إليه الرسل بقولهم لأممهم «أفي الله شك» أي أيشك في الله حتى يطلب إقامة الدليل على وجوده؟! وأي

---

(١) شرح الإمام النووي لصحيح مسلم، ج٢، ص ٤.

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية، ج ٢، ص ١٥، ١٩.

دليل أصح وأظهر من هذا المدلول؟ فكيف يستدل على الأظهر بالأخفى؟ ثم نبهوا على الدليل بقولهم: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[١].. سمعت شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية ـ قدس الله روحه ـ يقول: كيف يطلب الدليل على من هو دليل كل شيء؟ وكان كثيراً ما يتمثل بهذا البيت:

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

ومعلوم أن وجود الرب تعالى أظهر للعقول والفطر من وجود النهار، ومن لم ير ذلك في عقله وفطرته فليتّهمهما»[٢].

إن الفطر السليمة تشهد بوجود الله سبحانه من غير دليل، بل إن توحيده سبحانه أمر فطري ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾[٣] وقد نص الرسول ﷺ على دليل الفطرة، ففي الصحيحين، عن أبي هريرة قال، قال ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه أو يمجسانه»[٤] ولم يقل يسلمانه، لأن الإسلام موافق للفطرة، «وقد أغلق الله جميع الطرق إلا طريقاً واحداً هو الموصل إليه، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٥]. والرسول ﷺ هو الدليل الهادي إلى هذا الصراط وقد ألزم الله العباد بطاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، والانتهاء عما عنه نهى وزجر و ألا يعبد الله إلا بما شرع على لسانه ﷺ»[٦].

---

(١) سورة إبراهيم ١٠.

(٢) مدارج السالكين لابن القيم، مراجعة لجنة من العلماء، دار الحديث، القاهرة، ج١، ص ٧١.

(٣) سورة الروم: ٣٠.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه؟ وهل يعرض على الصبي الإسلام، ج٣، ص ٢١٩.؛
صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب القدر، باب كل مولود يولد على الفطرة، ج١٦، ص ٢٠٩.

(٥) سورة الأنعام أية: ١٥٣.

(٦) مجموع فتاوي ابن تيمية ص ٤، ص ٥٦، ٥٧.

عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: «دخلت على النبي ﷺ وعقلت ناقتي بالباب، فأتاه ناس من بني تميم فقال: اقبلوا البشرى يا بني تميم. قالوا: بشرتنا فأعطنا (مرتين). ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن فقال: اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إن لم يقبلها بنو تميم. قالوا قد قبلنا يا رسول الله. قالو جئناك نسألك عن هذا الأمر قال: كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السموات والأرض»[1]. وحيث إن معرفة الله فطرة وجبلّة فطر الله الناس عليها، وقد كان هذا حال السلف، فإذا كان السلف قد اعتمدوا كلام الله وسنة رسول الله ﷺ في جميع المطالب، وكافة المقاصد، فإنه من الواجب بيان مخالفة منهج المتكلمين فإن «طريقة القرآن جاءت في أصول الدين وفروعه في الدلائل والمسائل بأكمل وجه»[2].

طريقة المتكلمين في الاستدلال على وجود الله بالنظر والمقدمات المنطقية والرد عليهم

ذهب المتكلمون إلى القول بوجوب النظر في الاستدلال على الله، وعدّوا ذلك أول واجب على المكلف، فقال البغدادي في أصول الدين: «الصحيح عندنا قول من يقول إن أول الواجبات على المكلف النظر والاستدلال المؤدي إلى المعرفة بالله تعالى وبصفاته وتوحيده وعدله وحكمته، ثم النظر والاستدلال المؤدي إلى جواز إرسال الرسل منه وجواز تكليف العباد ما شاء، ثم النظر المؤدي إلى وجوب الإرسال والتكليف منه، ثم النظر المؤدي إلى تفصيل أركان الشريعة ثم العمل بما يلزم منها»[3].

وقال صاحب المواقف: «النظر في معرفة الله واجب إجماعاً وهي لا تتم إلا بالنظر وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.. وقد أُختلف في أول واجب

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قوله تعالى: ج٦، ص ٢٨٦. مسند الإمام أحمد، ج٢، ص ٢١٢، ج٤، ص ٤٢١.

(٢) المصدر السابق، ج٢، ص ٨.

(٣) أصول الدين، لعبد القاهر البغدادي، مدرسة الإلهيات باسطنبول ١٣٤٦هـ، ص ٢١٠.

على المكلف فالأكثر على أنه معرفة الله تعالى إذ هو أصل المعارف الدينية وعليه يتفرع وجوب كل واجب، وقيل هو النظر فيها لأنه واجب وهو قبلها، وقيل أول جزء من النظر، وقال القاضي ابن الطيب الباقلاني واختاره ابن فورك: القصد إلى النظر.. وقال أبو هاشم من المعتزلة: هو الشك»[1]. وقال الجبائي من المعتزلة: «من لا يعرف الله بالدليل فهو كافر، لأن ضد المعرفة نكره والنكرة كفر»[2].

وذهب النظام من المعتزلة أيضاً «إلى أن المتمكن من المعرفة إن كان عاقلاً فإنه يجب عليه تحصيل معرفة الباري تعالى بالنظر والاستدلال»[3].

ويجاب على هؤلاء المتكلمين بأن قولهم إن أول الواجبات على المكلف النظر والاستدلال المؤدي إلى المعرفة بالله، أو القصد أو الشك، وحيث إن هذا الواجب غير معلوم من الدين بالضرورة فقد اعتبره علماء أهل السنة والجماعة بدعة في الدين مبتكرة ليس لها أصل في الشرع ولم يأمر بها الشارع فقال شيخ الإسلام: «ولما كان الكلام في هذه الأبواب المبتدعة، مأخوذاً في الأصل عن المعتزلة والجهمية ونحوهم: وقد تكلم هؤلاء في أول الواجبات هل هو النظر أو القصد، أو الشك، أو المعرفة؟ صار كثير من المنتسبين إلى السنة المخالفين للمعتزلة في جمل أصولهم يوافقونهم على ذلك ثم الواحد من هؤلاء إذا انتسب إلى إمام من أئمة العلم.. وصنف كتاباً في هذا الباب يقول فيه: قال أصحابنا واختلف أصحابنا فإنما يعني بذلك أصحابه الخائضين في هذا الكلام، وليسوا من هذا الوجه من أصحاب ذلك الإمام»[4].

ثم يقول رحمه الله: «والقرآن العزيز ليس فيه أن النظر أول الواجبات، ولا فيه

---

(١) المواقف لعضد الدين الإيجي، مكتبة المتنبي، القاهرة، ص ٢٨، ٢٩، ٣٢.

(٢) فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، ج ١٧، ص ١١٨.

(٣) الملل والنحل للشهرستاني، تحقيق محمد سيد الكيلاني، دار المعرفة بيروت ١٤٠٤هـ، ج١، ص ٥٨.

(٤) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ج٨، ص ٣، ٤.

إيجاب النظر على كل أحد.. ونحن نعلم بالاضطرار من دين الرسول ﷺ وسلف الأمة بطلان قول هؤلاء، وأن الرسول ﷺ لم يأمر أحداً بهذه الطرق، ولا علق إيمانه ومعرفته بالله بهذه الطرق، بل القرآن وصف بالعلم والإيمان من لم يسلك هذه الطرق.. ثم القول بأن أول الواجبات هو المعرفة أو النظر لا يمشي على قول من يقول: لا واجب إلا بالشرع كما هو قول الأشعرية»[1].

وإذا كان النظر والاستدلال هو أول واجب عند هؤلاء فما هو قول أهل السنة والجماعة في هذا؟.

أول واجب في الإسلام على المكلف عند أهل السنة والجماعة

حيث إن هذا الأمر الجلل لا يصح أن يخفى على الأمة منه شيء، كيف وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يسألون نبيهم ﷺ وهو بين ظهرانيهم، والوحي يأتيه من السماء، فكل أمر بدليل وكل حجة ببرهان «ولهذا كان الصحيح أن أول واجب يجب على المكلف، شهادة أن لا إله إلا الله، لا النظر ولا القصد إلى النظر ولا الشك، كما هي أقوال لأرباب الكلام المذموم بل أئمة السلف كلهم متفقون على أن أول ما يؤمر به العبد الشهادتان»[2].

«والمقصود هنا أن السلف والأئمة متفقون على أن أول ما يؤمر به العباد الشهادتان، والشهادة تتضمن الإقرار بالصانع تعالى وبرسوله، ولكن مجرد المعرفة بالصانع لا يصير به الرجل مؤمناً، بل ولا يصير مؤمناً حتى يشهد أن لا إله إلا الله، ولا يصير مؤمناً بذلك حتى يشهد أن محمداً رسول الله ﷺ»[3].

«وهذا التوحيد هو أول واجب على المكلف، لا النظر ولا القصد إلى النظر، ولا الشك في الله، كما هي أقوال لمن لم يدر ما بعث الله به رسول الله ﷺ من معاني الكتاب والحكمة، فهو أول واجب وآخر واجب، وأول ما

---

(١) نفس المصدر، ج٨، ص ٨، ١٢، ١٣.
(٢) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز تعليق الشيخ الألباني ص ٧٧.
(٣) درء تعارض العقل والنقل، ج٨، ص ١١.

يدخل به الإسلام وآخر ما يخرج به»[1].

ثم يرد شيخ الإسلام على من أنكر الفطرة واستدل بالأدلة العقلية على المطالب الإلهية «فإن قيل: إذا كانت معرفته تعالى فطرية ضرورية وهي ثابتة في فطرة كل أحد، فكيف ينكر ذلك كثير النظار وفي زعمهم أنهم الذين يقيمون الأدلة العقلية على المطالب الإلهية؟ فيقال لهم: أول من عرف في الإسلام بإنكار هذه المعرفة، هم أهل الكلام الذين اتفق السلف على ذمهم من الجهمية والقدرية، وهم عند سلف الأمة من أضلّ الطوائف وأجهلهم...

ومن بيان ذلك ما أركزه الله في فطرة كل أحد أنه إذا دعا لم يلتفت يمنة ولا يسرة، بل يجد في قلبه ضرورة تطلب العلو، ولهذا قال إمام الحرمين لما أُورد عليه معنى هذا: قال حيرني الهمداني!.

وشيخ الإسلام لا ينكر النظر الشرعي في مجاله الخاص فقال: «وأما العلم الذي لا يحصل إلا بالنظر، فيجب لأجله النظر لفهم القرآن الذي لا يحصل إلا بتدبره والنظر فيه، وكذلك يجب النظر في مسائل النزاع التي لا يعلم الحق فيها إلا بالنظر فإذا أراد معرفة الحق فيها وجب عليه النظر، فإذا اجتهد غاية الاجتهاد وبذل وسعه وأداه النظر إلى غير الحق فيها، فخطؤه مغفور له وله أجر اجتهاده، وإن أصاب الحق فله أجران»[2].

ثم يبين رحمه الله أساس هذا الدين العظيم وأصله المتين ودعامته العظمي فيقول: «ودين الإسلام مبني على أصلين وهما: تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله: وأول ذلك أن لا تجعل مع الله إلهاً أخر فلا تحب مخلوقاً كما تحب الله، ولا ترجوه كما ترجو الله، ولا تخشاه كما تخشى الله، ومن سوّى بين المخلوق والخالق في شيء من ذلك فقد عدل بالله وهو من الذين بربهم يعدلون، وقد جعل مع الله إلهاً أخر، وإن كان مع ذلك يعتقد أن الله وحده خلق السموات والأرض.

---

(1) تيسير العزيز الحميد، سليمان بن عبد الله بن عبد الوهاب، المكتب الإسلامي، ص ٣٧.
(2) مجموعة الرسائل الكبرى، لابن تيمية، ج٢، ص ٣٤٨، ٣٤٩.

[الأصل الثاني] أن نعبده بما شرع على ألسن رسله، لا نعبده إلا بواجب أو مستحب، والمباح إذا قصد به الطاعة دخل في ذلك. والدعاء من جملة العبادات فمن دعا المخلوقين من الموتى والغائبين واستغاث بهم، كان مبتدعاً في الدين، مشركاً برب العالمين»[1].

فكيف وهذا حال كثير من المسلمين في شتى أقطارهم، وما ذاك إلا نتيجة انحراف المعتقد، وإنكار المعلوم بالضرورة وهو معرفة الله بالفطرة، وتحويل مسار مباحث التوحيد إلى مناهج كلامية وفلسفية لا تغني من الحق شيئاً، بعيداً عن النص الذي جاء بإخلاص التوحيد وعبادة الخالق. في حين أن تلك المناهج تنتهي إلى إثبات وجود الخالق المعلوم في فطرة المخلوق بالضرورة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾[2] وبشهادة أهل الكفر أنفسهم ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[3].

إن تلك المباحث التي درج عليها المتكلمون لإثبات وجود الله، ودونوا بها أسفارهم، واستفرغوا جهدهم فيها، قد آلت بهم إلى تشويه حقائق الإيمان بالله وكلمة التوحيد، بل إن هذين الأمرين الجليلين قد حُصِرا في آخر تلك المباحث عندهم ثم فرّغا من المضامين اللازمة والتوجيه الراشد، ويتضح هذا من تعريف الإيمان عند المتكلمين.

الإيمان بالله عند المتكلمين

قال الباقلاني: «واعلم أن حقيقة الإيمان هو التصديق. والدليل قوله تعالى إخباراً عن أخوة يوسف عليه السلام ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾[4] أي بمصدق»[5].

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية، ج١، ص ٣١٠، ٣١١، ٣١٢.

(٢) سورة الأعراف آية: ١٧٢.

(٣) سورة لقمان: ٢٥.

(٤) سورة يوسف: ١٧.

(٥) الإنصاف للقاضي الباقلاني، تحقيق محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، ١٣٦٩هـ، ص٤٨.

وقال القاضي الإيجي: «اعلم أن حقيقة الإيمان في اللغة التصديق. قال تعالى حكاية عن أخوة يوسف «وما أنت بمؤمن لنا» أي بمصدق. وقال عليه السلام الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، أي تصدق. وأما في الشرع فهو عندنا وعليه أكثر الأئمة كالقاضي والأستاذ ابن فورك، التصديق للرسول فيما علم مجيئه به ضرورة»(١).

بل قالوا إن صحة هذا الإيمان عندهم قائم على المعرفة بالأصول العقلية. يقول البغدادي «من شرط صحة الإيمان عندنا تقدم المعرفة بالأصول العقلية في التوحيد والحكمة والعدل وثبوت النبوة والرسالة واعتقاد أركان الشريعة ومن شرطه معرفة صحة ذلك كله بأدلته المشهورة»(٢).

ثم عدّوا من اعتقد الإيمان من دون الاستدلال والنظر، مقلداً في دينه ثم قالوا: «قال أصحابنا كل من اعتقد أركان الدين تقليداً من غير معرفة بأدلتها ننظر فيه، فإن اعتقد مع ذلك جواز ورود الشبهة عليها وقال لا آمن من أن يرد عليها من الشبه ما يفسدها فهذا غير مؤمن بالله ولا مطيع له بل هو كافر. وإن اعتقد الحق ولم يعرف دليله واعتقد مع ذلك أنه ليس في الشبه ما يفسد اعتقاده فهو الذي اختلف فيه أصحابنا. فمنهم من قال هو مؤمن وحكم الإسلام له لازم.. وإن كان عاصياً بتركه النظر والاستدلال.. ومنهم من قال إن معتقد الحق قد خرج باعتقاده عن الكفر.. غير أنه لا يستحق اسم المؤمن إلا إذا عرف الحق في حدوث العالم وتوحيد صانعه... وهذا اختيار الأشعري»(٣).

«فأما الرافضة من الشيعة فقالوا: الإيمان هو الإقرار بالله وبرسوله وبالإمام أما المعرفة فضرورة عندهم. وأما المعتزلة: فقالوا: الإيمان هو جميع الطاعات فرضها ونفلها وصاحب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين في الدنيا وفي الآخرة مخلد

---

(١) المواقف، للقاضي الإيجي، ص ٣٨٤.

(٢) أصول الدين للبغدادي، ص ٢٦٩.

(٣) أصول الدين للبغدادي، ص ٢٥٤، ٢٥٥. وقد عاد الأشعري رحمه الله إلى مذهب أهل السنة، ويشهد له رحمه الله كتاباه، الإبانة عن أصول الديانة، ورسائل إلى أهل الثغر.

في النار إن لم يتب. وقد وافقهم الشيعة في العموم على هذا وكذلك الزيدية منهم.

وأما الخوارج الأباضية فقالوا: إن جميع ما افترض الله سبحانه على خلقه إيمان وإن كل كبيرة فهي كفر نعمة لا كفر شرك وإن مرتكبي الكبائر في النار خالدون مخلدون فيها. وأجمع عامة الخوارج: على أن الله سبحانه يعذب أصحاب الكبائر عذاباً دائماً.

وأما المرجئة: فقالوا إن الإيمان هو المعرفة بالله وبرسله وما جاء عنهما ومنهم من قال المعرفة فقط.

وأما الكرامية: فيزعمون أن الإيمان هو الإقرار والتصديق باللسان دون القلب»[(١)].

الإيمان عند السلف والردّ على المتكلمين

تابع السلف أصحاب رسول الله ﷺ فيما يتعلق بالإيمان وأنه قول واعتقاد وعمل وردّوا أقوال المبتدعة في الإيمان بأنه التصديق فقالوا: «إن الإيمان وإن كان هو التصديق، فالتصديق التام القائم بالقلب مستلزم لما وجب من أعمال القلب والجوارح، فإن هذه لوازم الإيمان التام، وانتفاء اللازم دليل على انتفاء الملزوم»[(٢)] فيلزم «التصديق الجازم من صميم القلب لوجود ذاته تعالى، الذي لم يسبق بضد، ولم يعقب به وهو الأول فليس قبله شيء، والآخر فليس بعده شيء، والظاهر فليس فوقه شيء، والباطن فليس دونه شيء، حي قيوم أحد صمد لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفواً أحد، وتوحيده بإلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته»[(٣)].

---

(١) مقالات الإسلاميين للأبي الحسن الأشعري. صححه هيلموت ريتر، فرانز شتاينر فيسبادن، ألمانيا، ط٢، سنة ١٤٠٠هـ. ص ٥٣، ٧٣، ١١٠، ١٣٢، ١٤١، ٢٦٦

(٢) كتاب الإيمان لشيخ الإسلام، تحقيق الشيخ حسن الغزال، دار إحياء العلوم بيروت الطبعة الرابعة ١٤٠٩هـ، ص ١٠٧.

(٣) أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة المنصورة، الشيخ حافظ الحكمي، تحقيق أحمد مدخلي، مكتبة دار الرشد، الرياض ١٤١٨هـ، ص ٤٩.

قال شيخ الإسلام، «قد علم بالاضطرار من دين الرسول ﷺ والنقل المتواتر أنه دعا الخلق إلى الإيمان بالله ورسوله، ولم يدع الناس بهذه الطريقة التي قلتم إنكم أثبتم بها حدوث العالم ونفي كونه جسماً، وآمن بالرسول من آمن به من المهاجرين والأنصار، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، ولم يدع أحداً منهم بهذه الطريقة، ولا ذكرها أحد منهم، ولا ذكرت في القرآن ولا حديث الرسول ﷺ، ولا دعا بها أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، الذين هم خير هذه الأمة وأفضلها علماً وإيماناً، وإنما ابتدعت هذه الطريق في الإسلام بعد المائة الأولى وانقراض عصر أكابر التابعين بل وأوساطهم، فكيف يجوز أن يقال: إن تصديق الرسول موقوف عليها، وأعلم الذين صدقوه وأفضلهم لم يدعوا بها، ولا ذكروها، ولا ذكرت لهم، ولا نقلها أحد عنهم، ولا تكلم بها أحد في عصرهم»[1].

وقد تجلى هذا في منهج رسول الله ﷺ وسيرته وطريقته في الدعوة، فقد تبين أنه لم يكن لديه أكثر من منهج، بل أنه أرسل رسلاً إلى القبائل والأمصار والقرى بنفس دعوة معاذ رضي الله عنه إلى اليمن، حين أرشده إلى دعوتهم إلى التوحيد بإعلان الشهادتين وإقام الصلاة وأداء الفروض، ثم أرسل للملوك والأمراء من العرب والعجم رسائل تحمل نفس المنهج، وهذا دليل على وحدة أسلوب الدعوة وسلامة المنهج واستقامته وثباته.

بل إن الإيمان بالله يمثل أكرم صلة بين الإنسان وخالقه، ذلك أن أشرف ما في الأرض الإنسان، وأشرف ما في الإنسان قلبه، واشرف ما في القلب الإيمان، ومن ثم كانت الهداية إلى الإيمان أجل نعمة، وأفضل آلاء الله على الإطلاق.

وليس الإيمان مجرد النطق باللسان، واعتقاد بالجنان، إنما هو عقيدة تملأ القلب، والعمل الصالح الذي تزكو به النفس؛ ويطهر به القلب وتعمر به الحياة أثر من آثار الإيمان. ولهذا يأتي الإيمان في الآيات القرآنية مقروناً بالعمل الصالح؛ لأن الإيمان إذا تجرد عن العمل كان إيماناً عقيماً، .. والعمل إذا خلا

---

(١) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية، ج١، ص ٩٧ - ٩٨ .

عن الإيمان، كان رياء ونفاقاً.. إن الإيمان بهذا المعنى هو الإيمان القرآني، وهو الإيمان الذي أراده الله لعباده. وإقامة الدين، وعبادة الله، تنتظم الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، كما تنتظم الأعمال الصالحة التي تزكي النفس الإنسانية.

وهذه التعاليم العالية لا يمكن للبشر أن يصلوا إليها بعقولهم، وإنما يتعلمونها بوحي الله[1]. و«المتتبع لكل الآيات التي جاء فيها الأمر بالإخلاص يجد أنها متعلقة بتوجيه العبادة لله وحده دون شريك، فهي إذن ليست متعلقة بالاعتقاد وحده، وإنما هي متعلقة كذلك بسلوك معين مرتبط بالاعتقاد، فالعبادة سلوك واقعي وليست مجرد مشاعر واعتقادات، سلوك مبني على المشاعر ومنبثق عن الاعتقاد.. فما العبادة وما كيفية البراءة من الشرك؟.

العبادة كما بينها الله في كتابه المنزل تشمل أموراً ثلاثة:

ـ الاعتقاد الجازم بأن الله واحد في ذاته وفي أسمائه وصفاته.

ـ والتوجه إليه وحده بالشعائر التعبدية التي افترضها على عباده.

ـ والالتزام بما أنزل الله من التحليل والتحريم والإباحة والمنع...»[2]

مما تقدم يتبين أن الإيمان قول واعتقاد وعمل وهذا ما ذهب إليه السلف، «ومن أصول أهل السنة والجماعة أن الدين والإيمان قول وعمل، قول القلب واللسان وعمل القلب واللسان والجوارح، وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فالإيمان المطلق يدخل فيه جميع الدين: ظاهره وباطنه، أصوله وفروعه، فلا يستحق اسم الإيمان المطلق إلا من جمع ذلك كله، ولم ينقص منه شيئاً. ولما كانت الأعمال والأقوال داخلة في مسمى الإيمان؛ كان الإيمان قابلاً للزيادة والنقصان، فهو يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، كما هو صريح الأدلة من الكتاب والسنة... فمذهب أهل السنة والجماعة وسط هذين المذهبين، فمرتكب

---

(١) العقائد الإسلامية، الشيخ السيد سابق، انظر ص ٧٩، ٨٣، ٨٤، ١٧٨.

(٢) واقعنا المعاصر، للأستاذ الشيخ محمد قطب، مؤسسة المدينة، الطبعة الثانية: ص ٣٤.

الكبيرة عندهم مؤمن ناقص الإيمان، قد نقص إيمانه بقدر ما ارتكب من معصية، فلا ينفون عنه الإيمان أصلاً؛ كالخوارج والمعتزلة. ولا يقولون بأنه كامل الإيمان؛ كالمرجئة والجهمية. وحكمه في الآخرة عندهم أنه قد يعفوا الله عز وجل عنه فيدخل الجنة ابتداء، أو يعذبه بقدر معصيته، ثم يخرجه ويدخله الجنة، وهذا الحكم أيضاً وسط بين من يقول بخلوده في النار، وبين من يقول أنه لا يستحق على المعصية عقاباً»[1].

ولقد غلط المتكلمون في فهم حديث افتراق الأمة، حيث ظنّوا أن تلك الفرق التي أخبر عنها رسول الله ﷺ، مخلدة في النار لكفر أصحابها وهذا ناتج عن تأصيلهم الخاطيء وحصرهم الإيمان بالتصديق «والحديث صحيح مشهور في السنن والمسانيد، كسنن أبي داود والترمذي والنسائي وغيرهم ولفظه: افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقه كلها في النار إلا واحدة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعون فرقه كلها في النار إلا واحدة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة.. قالوا: يا رسول الله من الفرقة الناجية؟ قال: من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي»[2].

وفي رواية قال: «هي الجماعة يد الله على الجماعة» ولهذا وصف الفرقة الناجية بأنها أهل السنة والجماعة، وهم الجمهور الأكبر والسواد الأعظم.

وبهذا يتبين أن أحق الناس بأن تكون هي الفرقة الناجية أهل الحديث والسنة؛ الذين ليس لهم متبوع يتعصبون له إلا رسول الله ﷺ، وأئمتهم فقهاء فيها وأهل معرفة بمعانيها واتباعاً لها: تصديقاً وعملاً، حباً وموالاة لمن والاها

---

(١) شرح العقيدة الواسطة للشيخ العلامة محمد خليل الهراس، ص ١٩١، ١٩٢، ٢٣١.

(٢) سنن أبي داود، دار الحديث، كتاب السنة، باب شرح السنة، ج ٥، ص ٤، ٥.
؛ الجامع الصحيح لسنن الترمذي، مصطفى الحلبي، ج٥، ص ٢٥. قال أبو عيسى حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح.
شرح سنن ابن ماجة، دار الجيل بيروت، ج٢، ص ٤٧٩.
؛ مسند الإمام أحمد، المكتب الإسلامي، ج٢، ص ٣٣٢.
المستدرك للحاكم وصححه ووافقه الذهبي ج ١، ص ٢١٧.

ومعاداة لمن عاداها الذين يردون المقالات المجملة إلى ما جاء به من الكتاب والحكمة»[1].

إن حديث افتراق الأمة لا يدل على ما ذهب إليه من كفر تلك الفَرق، بل لقد فهمه علماء الأمة كما أراد ﷺ الذي قال: «ستفترق أمتي» ويستحيل أن ينسبها إليه ﷺ وقد خرجت إحداها بالكفر. وفي هذا يقول الإمام الخطابي صاحب كتاب معالم السنن رحمه الله: «قوله ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة فيه دلالة على أن هذه الفرق كلها غير خارجة من الدين، إذ قد جعلهم النبي ﷺ كلهم أمته، وفيه أن المتأول لا يخرج من الملة وإن أخطأ في تأويله»[2].

فهم أصحاب بدع عظمى كما قال الإمام الشاطبي رحمه الله: «وقد اختلفت الأمة في تكفير هؤلاء أصحاب البدع العظمى، ولكن الذي يقوى في النظر، وبحسب الأثر عدم القطع بتكفيرهم. والدليل عليه عمل السلف الصالح فيهم، ألا ترى إلى ما صنع علي رضي الله عنه في الخوارج؟ وكونه عاملهم في قتالهم معاملة أهل الإسلام»[3].

قال شيخ الإسلام: «ومن قال إن الأثنتين وسبعين فرقه كل واحد منها يكفر كفراً ينتقل عن الملة، فقد خالف الكتاب والسنة وإجماع الصحابة رضوان الله عليهم، بل وإجماع الأئمة الأربعة وغير الأربعة»[4].

وبهذا فإن تلك الفرق المتوعدة بالنار من أمة محمد ﷺ إنما هي «الفرق الضالة المبتدعة التي لم تصل بها بدعتها إلى الكفر، بل هي فرق من الأمة لكنها متوعدة بالنار لا على جهة التكفير ولا التخليد، بل وعيد كسائر ما يرد من نصوص الوعيد، ومما يدل على أن المراد بهذا الحديث الفرق المبتدعة الضالة وليست الكافرة نفس الحديث، فقد ذكر فيه أن اليهود افترقوا على إحدى وسبعين فرقه، ولم يخرجهم ذلك كونهم يهوداً.. فكذلك الفرق في هذه الأمة لا تخرجهم

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية، ج٣، ص ٣٤٥، ٣٤٧.

(٢) شرح سنن أبي داود، للخطابي، ج ٥، ص ٥.

(٣) الاعتصام للشاطبي، دار المعرفة تعليق محمد رشيد رضا - بيروت ١٤٠٢هـ، ج٢، ص١٨٦، ١٨٥

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية، ج٧، ص ٢١٨.

بدعتهم عن أن يكونوا من الأمة وأهل القبلة وإن كانوا من أهل التفرق والبدعة»[1].

قال شيخ الإسلام: «وإذا كان هؤلاء الذين ثبت ضلالهم بالنص والإجماع لم يُكفَّروا مع أمر الله ورسوله ﷺ بقتالهم، فكيف بالطوائف المختلفين الذين اشتبه عليهم الحق في مسائل غلط فيها من هو أعلم منهم»[2].

«فلهذا كان أهل العلم والسنة لا يكفّرون من خالفهم، وإن كان ذلك المخالف يكفرهم، لأن الكفر حكم شرعي، فليس للإنسان أن يعاقب عليه»[3].

حقيقة التوحيد عند المتكلمين

قال الشهرستاني: «قال أصحابنا الواحد هو الشيء الذي لا يصح انقسامه إذ لا تقبل ذاته القسمة بوجه ولا تقبل الشركة بوجه، فالباري تعالى واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته لا شبيه له، وواحد في أفعاله لا شريك له.

فدليلنا على استحالة وجود إلهين، أنا لو فرضنا الكلام في جسم وقدرنا في أحدهما إرادة تحريكه ومن الثاني إرادة تسكينه في وقت واحد، لم يخل الحال من أحد ثلاثة أمور إما أن تنفذ إرادتهما فيؤدي إلى اجتماع الحركة والسكون في محل واحد في حالة واحدة وذلك بين الاستحالة، وأما أن لا ينفذ إرادتهما فيؤدي إلى عجز وقصور في الإلاهية كل واحد منهما وخلو المحل عن الضدين وذلك أيضاً بين الاستحالة، وأما أن تنفرد إرادة أحدهما دون الثاني فيصير الثاني مغلوباً على إرادته ممنوعاً من فعله مضطراً في إمساكه وذلك ينافي الإلهية. قال الله تعالى ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[4][5].

---

(١) ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة، د. عبد الله القرني، مؤسسة الرسالة ١٤١٣هـ، ص ٢٥٢.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية، ج٣، ص ٢٨٢.

(٣) الرد على البكري، لابن تيمية، الدار العلمية، دلهي الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ، ص٢٥٨.

(٤) سورة المؤمنون: ٩١.

(٥) نهاية الإقدام في علم الكلام، للشهرستاني، ص ٩٠، ٩١، ٩٢

وقال الإيجي في المواقف: «المرصد الثالث في توحيده تعالى وهو مقصد واحد. وهو أنه يمتنع وجود إلاهين.. وأما المتكلمون: فقالوا يمتنع وجود إلاهين مستجمعين لشرائط الإلهية»[١]. بل إنهم فسروا اسم الله بقولهم: «إذا كان الخالق على الحقيقة هو الباري تعالى لا يشاركه في الخلق غيره، فأخص وصفه تعالى هو: القدرة على الاختراع. وهذا هو تفسير اسمه تعالى، الله»[٢].

إن هؤلاء المتكلمين قد انتهى بهم استدلالهم بالحوادث والأعراض إلى ما استقر في فطر الخلق من قبل، وهو وجود الرب سبحانه، ثم ما لبثوا أن التزموا بموانع ذلك الاستدلال فمنهم من نفى صفات الله اللائقة بجلاله، ومنهم من أثبت سبعاً منها ثم اتفقوا على نفي صفة العلو والاستواء على العرش، وقالوا: «كان الله ولا مكان، ثم خلق المكان، وهو الآن على ما كان قبل خلق المكان.. ـ أين معبود هؤلاء؟! ـ بل الحق أن يقال: كان الله ولم يكن شيء قبله، ثم خلق السموات والأرض في ستة أيام، وكان عرشه على الماء، ثم استوى على العرش»[٣]وإذا كان أولئك قد أثبتوا توحيدي ربوبية وأسماء وصفات لا يرقيان إلى ما أثبت الله لنفسه سبحانه وأنزل في محكم بيانه، وفيما صح عن أشرف وخاتم أنبيائه فلم يكن توحيد الألوهية بمنأى عن تخرصات القوم واجتهاداتهم بعيداً عن الوحي، وما ذاك إلا بإعراضهم عما أسموه خبر الآحاد وعدم قبولهم به في الاعتقاد؛ فنتج عن هذا أن حمّلوا الأشياء غير مقتضياتها، وسموها بغير مسمياتها، فكان هذا خلل ظاهر في توحيد الألوهية الذي عدّوه أنه قدرة الله على الاختراع واستدلوا على ذلك بدليل التمانع، ظانِّين أن ما ذهبوا إليه هو مقتضى الألوهية وأن ذلك معنى اسم الله ومقتضاه، وتلك نتيجة مباحث علم الكلام، والتي لم يرقبوا فيها كلام الرب الرحمن، ولا الخبر الصحيح عن سيد الأنام.

---

(١) الموافق في علم الكلام للإيجي، ص ٢٧٨.

(٢) الملل والنحل للشهرستاني، ج١، ص ١٠٠.

(٣) شرح العقيدة الواسطية للشيخ محمد خليل الهراس، ص ١٤١، ١٤٢؛ وانظر فتح الباري ج٦، ص ٢٨٦.

حيث أن المتكلمين قد جانبوا الصواب في توحيد رب العالمين، فمنهم من عدّه القدرة على الخلق، ومنهم من نفى الصفات وسمى ذلك توحيداً. «وبهذا وغيره يعرف ما وقع من الغلط في مسمى التوحيد، فإن عامة المتكلمين الذين يقررون التوحيد في كتب الكلام والنظر غايتهم أن يجعلوا التوحيد ثلاثة أنواع فيقولون: هو واحد في ذاته لا قسيم له وواحد في صفاته لا شبيه له، وواحد في أفعاله لا شريك له، واشهر الأنواع الثلاثة عندهم هو الثالث: وهو توحيد الأفعال وهو أن خالق العالم واحد، وهم يحتجون على ذلك بما يذكرونه من دلالة التمانع وغيرها، ويظنون أن هذا هو التوحيد المطلوب وأن هذا هو معنى قولنا لا إله إلا الله، حتى أنهم قد يجعلون معنى الإلهية القدرة على الاختراع. ومعلوم أن المشركين من العرب الذين بعث إليهم محمدﷺ أولاً لم يكونوا يخالفونه في هذا، بل كانوا يقرون بأن الله خالق كل شيء، حتى أنهم كانوا مقرين بالقدر أيضاً وهم مع هذا مشركون»[1]. «والمقصود هنا: أنه ليس في الطوائف من يثبت للعالم صانعين متماثلين، مع أن كثيراً من أهل الكلام والنظر والفلسفة تعبوا في إثبات هذا المطلوب وتقريره، ومنهم من اعترف بالعجز عن تقرير هذا بالعقل، وزعم أنه يتلقى من السمع..

وكثير من أهل النظر يزعمون أن دليل التمانع هو معنى قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[2] لاعتقادهم أن توحيد الربوبية الذي قرروه هو توحيد الألوهية الذي بينه القرآن، ودعت إليه الرسلعليهم السلام، وليس الأمر كذلك، بل التوحيد الذي دعت إليه الرسل، ونزلت به الكتب، هو توحيد الألوهية المتضمن توحيد الربوبية، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، فإن المشركين من العرب كانوا يقرون بتوحيد الربوبية، وأن خالق السموات والأرض واحد»[3].

---

(١) الرسالة التدمرية لابن تيمية، تحقيق محمد السعوي ١٤٠٥هـ، ص ١٧٩.
(٢) سورة الأنبياء: ٢٢.
(٣) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص ٨٠، ٨١.

«والمتأمل في مناهج المتكلمين عموماً يجد أن التوحيد عندهم اعتقادي فقط، وأن الشرك في الإرادة إذا لم يتضمن الشرك في الاعتقاد لا يكون شركاً عندهم، فاتخاذ الوسائط بالسؤال والطلب عندهم ليس شركاً بمجرد طلب غير الله مالا يقدر عليه إلا الله مثلاً، بل لابد أن يتضمن ذلك اعتقاد استقلالية المطلوب وقدرته على الاختراع الذي هو حقيقة الألوهية عندهم. وصرف شيء من أنواع العبادة لغير الله ليس شركاً لذاته عندهم إلا إذا تضمن اعتقاد استحقاق العبادة لمن صرفت له»[1].

قال شيخ الإسلام: «والإله هو بمعنى المألوه المعبود الذي يستحق العبادة، ليس هو الإله بمعنى القادر على الخلق، فإذا فسر المفسر الإله بمعنى القدرة على الاختراع، واعتقد أن هذا أخص وصف الإله، وجعل إثبات هذا التوحيد الغاية في التوحيد، كما يفعل ذلك من يفعله من متكلمة الصفاتية، وهو الذي ينقلونه عن أبي الحسن الأشعري وأتباعه، لم يعرفوا حقيقة التوحيد الذي بعث الله به رسوله ﷺ..

ولهذا كان من أتباع هؤلاء من يسجد للشمس والقمر والكواكب، ويدعوها كما يدعو الله تعالى، ويصوم لها، وينسك لها، ويتقرب إليها، ثم يقول: إن هذا ليس بشرك، وإنما الشرك إذا اعتقدت أنها هي المدبرة لي، فإذا جعلتها سبباً وواسطة لم أكن مشركاً. ومن المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام أن هذا شرك، فهذا ونحوه من التوحيد الذي بعث الله به رسله، وهم لا يدخلونه في مسمى التوحيد الذي اصطلحوا عليه»[2].

أما التوحيد الحق فهو الاعتقاد بوحدانية الله سبحانه في ذاته وصفاته ثم عبادته وحده لا شريك له، وعلى هذا فإن التوحيد نوعان:

الأول: التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي المتضمن إثبات صفات الكمال لله عز وجل وتنزيهه فيها عن التشبيه والتمثيل وتنزيهه عن صفات النقص وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات.

---

(١) ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة، د. عبد الله القرني، ص ٩٩، ١٠٠.

(٢) درء تعارض النقل والنقل لابن تيمية، ج١، ص ٢٢٧،٢٢٦، ٢٢٨.

الثاني: التوحيد الطلبي القصدي الإرادي وهو عبادة الله تعالى وحده لا شريك له وتجريد محبته والإخلاص له وخوفه ورجاؤه والتوكل عليه والرضا به رباً وإلهاً ووليًا وأن لا يجعل له عدلاً في شيء من الأشياء، وهو توحيد الإلهية»[1].

وبهذا يتحقق أن «التوحيد العلمي لا يكفي كي يكون المرء مؤمناً، بل لابد من اتخاذه وحده إلهاً معبوداً بالتوجه إليه بالعبادة دون سواه.

وأن لا إله إلا الله كلمة التوحيد، جمعت الإيمان واحتوته، وهذه الكلمة عنوان الإسلام وأساسه.

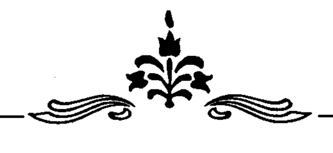
ومعناها لا معبود يستحق العبادة إلا الله سبحانه»[2].

وهذا هو اعتقاد السلف في الإيمان بالله، والاستدلال عليه بكتاب الله وبما صح عن رسول الله ﷺ من الأخبار، في حين تبين خطأ المتكلمين الذين اعتمدوا مقدماتهم ونظرهم في إثبات ما يستحق الله من الصفات والتوحيد والإيمان وعوّلوا على عقولهم ووصفوا النقل بالظنّ وعدم الدلالة وخبر الآحاد. فكان ناقض الإيمان الوحيد عندهم هو عدم التصديق بالله، فكان من نتائج هذا وغيره القبول أو الموافقة على الحكم بغير ما أنزل الله في معظم البلاد الإسلامية[3].

---

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول للشيخ حافظ الحكمي، ج١، ص ٩٨.
(٢) العقيدة في الله، د. عمر الأشقر، ص ٢٢٩، ٢٣٠.
(٣) وانظر البحث ص ٢١٤ وما بعدها.





الفصل الثاني

استدلالهم بأحاديث الآحاد في باب الأسماء والصفات وموقف المخالفين منها والرد عليهم

وفيه:

- تمهيد
- أسماء الله سبحانه الحسنى.
- موقف المخالفين في أسماء الله تعالى.
- الاسم عين المسمى أو غيره.
- صفات الله تعالى في مفهوم السلف.
- موقف المخالفين من صفات رب العالمين.
- إثبات رؤية الله سبحانه وتعالى في الآخرة عند السلف.
- الأشاعرة وأصحابهم وموقفهم من الصفات والرد عليهم.
- رؤية الله في الآخرة وموقف الأشاعرة وأصحابهم منها.
- صفة الاستواء على العرش وعلوه سبحانه على خلقه.
- صفة العلو لله سبحانه والمجيء والإتيان.
- الصفات الذاتية الخبرية ـ صفة الوجه واليدين والعين.

******





تمهيد

كان لاعتقاد السلف رحمهم الله في تعظيم النصوص وإثباتها والعلم والعمل بها في الأمر والنهي والاعتقاد، مردود تحقق منه تعظيم الله وإجلاله واتباع أمره واجتناب نهيه واتباع نبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

فكان غاية مرادهم هو توحيد الله المتضمن توحيده بأسمائه وصفاته وأفعاله وإخلاص العبادة له في توحيده بألوهيته، وهما توحيدا الربوبية والأسماء والصفات وتوحيد الإلوهية.

«وتوحيد الأسماء والصفات هو الإيمان بما وصف الله تعالى به نفسه في كتابه، ووصفه به رسول الله ﷺ من الأسماء الحسنى والصفات العلى، وامرارها كما جاءت بلا كيف، كما جمع الله بين إثباتها ونفي التكييف عنها في غير موضع كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾»[1][2].

وأسماء الله تبارك وتعالى «دالة على صفات كماله فهي مشتقة من الصفات، فهي أسماء وهي صفات، وبذلك كانت حسنى، إذ لو كانت ألفاظاً لا معاني فيها لم تكن حسنى، ولا كانت دالة على مدح ولا كمال»[3].

وقال البيهقي رحمه الله: «فلله عز وجل أسماء وصفات وأسماؤه صفاته، وصفاته

---

(١) سورة الشورى: ١١.

(٢) أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة المنصورة، للشيخ حافظ الحكمي، تحقيق أحمد مدخلي، مكتبة الرشد، ص ٥٧.

(٣) الصفات الإلهية في الكتاب والسنة، محمد الجامي، الطبعة الثانية ١٤١١هـ، ص ١٥٧.

أوصافه»[1] ويعني بذلك أن أسماء الله تعالى متضمنة لصفاته.

ولهذا قال ابن تيمية رحمه الله «البيان التام هو ما بينه الرسول ﷺ فإنه أعلم الخلق بالحق، وأنصح الخلق للخلق، وأفصح الخلق في بيان الحق، فما بينه من أسماء الله وصفاته وعلوه ورؤيته، هو الغاية في هذا الباب»[2].

«ثم القول الشامل في جميع هذا الباب: أن يوصف الله بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ، وبما وصفه به السابقون الأولون لا يتجاوز القرآن والحديث. قال الإمام أحمد رحمه الله: لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ لا يتجاوز القرآن والحديث.

ومذهب السلف: أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، ونعلم أن ما وصف الله به من ذلك فهو حق ليس فيه لغز ولا أحاجي؛ بل معناه يعرف من حيث يعرف مقصوده المتكلم بكلامه؛ لاسيما إذا كان المتكلم أعلم الخلق بما يقول، وأفصح الخلق في بيان العلم، وأفصح الخلق في البيان والتعريف، والدلالة والإرشاد. وهو سبحانه مع ذلك ليس كمثله شيء، لا في نفسه المقدسة المذكورة بأسمائه وصفاته، ولا في أفعاله، فكما نتيقن أن الله سبحانه له ذات حقيقة، وله أفعال حقيقة؛ فكذلك له صفات حقيقة، وهو ليس كمثله شيء لا في ذاته، ولا في صفاته ولا في أفعاله، وكل ما أوجب نقصاً أو حدوثاً فإن الله منزه عنه حقيقة، فإنه سبحانه مستحق للكمال الذي لا غاية فوقه»[3].

«وقد كان السلف الصالح من الصحابة ومن نهج منهجهم على هذا المنهج لم يحصل بينهم نزاع في مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات بل اتفقوا كلهم جميعاً على إثبات ما نطق به الكتاب والسنة كلمة واحدة من أولهم إلى آخرهم»[4].

وقال الإمام ابن خزيمة رحمه الله في كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل

---

(١) الإعتقاد للبيهقي، تحقيق أحمد عصام الطالب، دار الأوقاف الجديدة، بيروت، ص ٧٠.

(٢) منهاج السنة النبوية لابن تيمية، ج٣، ص ٣٥٢.

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية، ج٥، ص ٢٦.

(٤) أعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم، ج٢، ص ٤٩.

التي وصف بها نفسه في تنزيله الذي أنزله على نبيه المصطفى ﷺ وعلى لسان نبيه نقل الأخبار الثابتة الصحيحة نقل العدول من غير قطع في إسناد ولا جرح في ناقلي الأخبار الثقات: «والإيمان بجميع صفات الرحمن الخالق جل وعلا بما وصف الله به نفسه في محكم تنزيله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وبما صح وثبت عن نبينا ﷺ بالأسانيد الثابتة الصحيحة بنقل أهل العدالة موصولاً إليه ﷺ، فيعلم الناظر في كتابنا هذا ممن وفقه الله تعالى لإدراك الحق والصواب ومنّ عليه بالتوفيق لما يحب ويرضى صحة مذهب أهل الآثار في هذين الجنسين من العلم وبطلان مذاهب أهل الأهواء والبدع والذين هم في ريبهم وضلالتهم يعمهون»[1].

وحيث إن الخلاف قائم مع المتكلمين وهم الذين يثبتون السنة ثم يردّون خبر الآحاد مطلقاً كالمعتزلة، أو يثبتونه في الأعمال ويردونه في العقائد كالأشاعرة والكلابية؛ فقد تبين أنهم يُعملون العقل في فهم أسماء الله ومعانيها التي تقتضى صفات الكمال للواحد القهار، على خلاف ما اقتضته الأدلة وما تعبدنا الله به، ويتضح ذلك في لفظ الجلالة اسم الله، وسيتبين هذا مع إيراد النصوص من السنة الصحيحة في حالتي الأسماء ثم الصفات وبيان أقوال المخالفين.

أسماء الله سبحانه الحسنى

أثبت الله سبحانه لنفسه أسماءً ووصفها بالحسنى في أكثر من موضع في كتابه تعالى، فقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾[2]. وقال تعالى ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[3] وقال تعالى ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[4].

---

(١) كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عز وجل، لابن خزيمة، تحقيق محمد خليل الهراس، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٣هـ، ص ٥.

(٢) سورة الأعراف: ١٨٠.

(٣) سورة الإسراء: ١١٠.

(٤) سورة طه آية: ٨.

وكتاب الله مشتمل على أسمائه سبحانه وأوصافه اللائقة بجلاله والدالة على عظمته وكبريائه..

أما سنة المصطفى ﷺ فكما هي في كتاب الله تذكيراً وحكمة وتبياناً، فقد اشتملت على بيان لأسماء الله تعالى. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين أسماً من أحصاها دخل الجنة»[١].

قال ابن حجر رحمه الله: «الإحصاء يقع بالقول ويقع بالعمل، فالذي بالعمل أن لله أسماء يختص بها كالأحد والمتعال والقدير ونحوها، فيجب الإقرار بها والخضوع عندها؛ وله أسماء يستحب الإقتداء بها في معانيها: كالرحيم والكريم والعفو ونحوها، فيستحب للعبد أن يتحلى بمعانيها ليؤدي حق العمل بها فبهذا يحصل الإحصاء العملي، وأما الإحصاء القولي فيحصل بجمعها وحفظها والسؤال بها.. ونقل عن اسحق بن راهويه عن الجهمية أن جهماً قال: لو قلت إن لله تسعة وتسعين اسماً لعبدت تسعة وتسعين إلهاً، قال فقلنا لهم: إن الله أمر عباده أن يدعوه بأسمائه فقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ والأسماء جمع أقله ثلاثة ولا فرق في الزيادة على الواحد بين الثلاثة وبين التسعة والتسعين»[٢].

والحديث يتضمن مسألتين:

«أولاهما: إن لله تعالى أسماء حسنى، بلغت الغاية من الحسن والكمال، وأن من أحصى منها تسعة وتسعين أسماً دخل الجنة. وليس المراد بالحديث حصر الأسماء الحسنى في هذا العدد، وليس فيه نفي ما عداها من الزيادة عليها..

والمسألة الثانية: هي إحصاء هذه الأسماء، وفي معنى الإحصاء المراد أوجه.. ولعل هذه الوجوه كلها مجتمعة هي المراد بالإحصاء، فكانت مراتب:

المرتبة الأولى: إحصاء ألفاظها وعددها، والمرتبة الثانية، فهم معانيها

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب إن لله مائة اسم إلا واحداً، ج١٣، ص ٣٧٧. صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الذكر والدعاء، باب أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها ج١٧، ص٥.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب التوحيد، ج ١٣، ص ٣٧٨.

ومدلولها، والمرتبة الثالثة: دعاؤه سبحانه وتعالى بها كما قال: «﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ وهو مرتبتان: إحداهما: دعاء ثناء وعبادة، والثاني: دعاء طلب ومسألة»[1].

وقد جاءت السنة مؤكدة على أن أسماءه سبحانه لا تحصى وأنه قد استأثر ببعضها في علم الغيب، فعن عبد الله بن مسعودﷺ قال. قال رسول الله ﷺ: «ما قال عبد قط إذا أصابه همٌّ أو حزن: اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب هميّ إلا أذهب الله همه وحزنه وأبدله مكانه فرجاً فقيل يا رسول الله ألا نتعلمها فقال بلى ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها»[2] بل قد ناداه رسوله ﷺ بأسماء فتح الله عليه بها، فعن ابن عباسﷺ أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب، «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم»[3].

---

(١) شرح كتاب التوحيد، مكتبة الدار بالمدينة النبوية ١٤٠٥هـ، عبد الله الغنيمان ج١، ص ٢١٨ - ٢٢٠؛ انظر بدائع الفوائد لابن القيم ج١، ص ١٦٤.

؛ انظر مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، عثمان ضميرية، مكتبة السوادي بجدة، الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ، ص ٢٤٣ - ٢٤٦.

(٢) مسند الإمام أحمد، ج١، ص ٣٩١، ٤٥٢؛ المستدرك على الصحيحين للحاكم، دار المعرفة بيروت، ج١، ص ٥٠٩، صحيح الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم تحقيق سليم الهلالي دار ابن الجوزي ١٤٠٩هـ، الدمام ص ٢٠٤، وقال المحقق: وهو حديث صحيح

؛ موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، للهيثمي، تحقيق محمد حمزة دار الكتب العلمية، ج١، ص ٥٨٩.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب دعاء المكروب، ج١١، ص ١٤٥.

؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الدعاء والذكر، باب دعاء الكرب، ج١٧، ص ٤٧.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أكثر ما كان النبي ﷺ يحلف: «لا ومقلب القلوب»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه في حديث الشفاعة الطويل قال.. أذهبوا إلى محمد ﷺ، فيأتوني، فيقولون: يا محمد، أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، غفر الله لك ذنبك، ما تقدم منه وما تأخر، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما بلغنا؟ فأقوم، فآتي تحت العرش، فأقع ساجداً لربي عز وجل، ثم يفتح الله عليَّ ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي..»(٢).

وكان يقرر ﷺ عقيدة أهل السنة والجماعة في أثناء دعائه ومناجاته ربه وخالقه ومرسله رسولاً للخلق أجمعين، وذلك بأسماء اختص الله بها وبمعانيها على ما يليق بجلاله وعظمته فكانت تفسيراً من المعصوم ﷺ لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾(٣) وذلك كما في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه كان يقول إذا آوى إلى فراشه «اللهم رب السموات السبع، ورب الأرض، رب كل شيء، فالق الحب والنوى، منزل التوارة والإنجيل والقرآن، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عني الدين وأغنني من الفقر»(٤).

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب مقلب القلوب. ج ١٣، ص ٣٧٧.؛مسند الإمام أحمد، ج٦، ص ٣١٥ عن أم سلمة، ج٦، ص ٩١ عن عائشة، ج٤ ص ١٨٢ عن النواس بن سمعان.

(٢) فتح الباري صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، ج٦، ص ٣٧١ ج ٨، ص ٣٩٥
؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في عصمة الأنبياء، ج٣، ص ٦٥.
؛ مسند الإمام أحمد ج٥، ص ١٣٦.

(٣) سورة الحديد ٣.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الذكر والدعاء، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، ج ١١، ص ٣٥.

«فهذا تفسير واضح جامع يدل على كمال عظمته سبحانه، وأنه محيط بالأشياء من كل وجه. فالأول والآخر: بيان لإحاطته الزمانية. والظاهر والباطن: بيان لإحاطته المكانية.

كما إن اسمه الظاهر يدل على أنه العالي فوق جميع خلقه، فلا شيء منها فوقه. فمدار هذه الأسماء الأربعة على الاحاطة، فأحاطت أوليته وآخريته بالأوائل والأواخر، وأحاطت ظاهريته وباطنيته بكل ظاهر وباطن»[1].

وهذا اسم الله الأعظم حيث أخبرنا المصطفىﷺ أنه إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى، فعن عبد الله ابن بريدة الأسلمي عن أبيه قال «سمع النبيﷺ رجلاً يدعو وهو يقول: اللهم إنني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد قال: فقالﷺ: والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى..» قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب[2].

وقال ابن حجر في الفتح: «وإذ قد جرى ذكر الاسم الأعظم في هذه المباحث فليقع الإلمام بشيء من الكلام عليه... التاسع قيل هو: «الله لا إله إلا هو الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجة وابن حبان والحاكم من حديث بريدة، وهو أرجح من حيث السند من جميع ما ورد في ذلك»[3].

---

(١) شرح العقيدة الواسطية، للشيخ الهراس، ص ٨٩.

(٢) الجامع الصحيح لسنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب جامع الدعوات عن النبي صلى الله عليه وسلم، ج٥، ص ٥١٥، ٥١٦.

؛ سنن النسائي، كتاب السهو، باب الدعاء بعد الذكر. ج٣، ص ٥٢.

؛ مسند الإمام أحمد، ج٤، ص ٣٣٨، عن محجن بن الأدرع.

؛ المستدرك للحاكم وصححه ووافقه الذهبي، ج١، ص ٦٣٨.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب لله مائه اسم غير واحد، ج١١، ص ٢٢٤، ٢٢٥.

وحيث قد تبين اعتقاد السلف في إثبات أسماء الله تعالى وأنها توقيفية بل «إن الله قد استأثر ببعضها في علم الغيب عنده وأخبر بعض عباده بما أراده، فإنهم قد علموا المراد منها وأن أسماءه صفاته وصفاته أوصاف له، وأن دلالة أسماء الله الحسنى على ثلاثة أنواع، دلالتها على الذات مطابقة، ودلالتها على الصفات المشتقة منها تضمناً، ودلالتها على الصفات التي ما اشتقت منها إلتزاماً. ومثال ذلك: اسمه تعالى الرحمن الرحيم، يدل على ذات المسمى وهو الله عز وجل مطابقة، وعلى الصفة المشتق منها وهي الرحمة تضمناً، وعلى غيرها من الصفات التي لم تشتق منها كالحياة والقدرة التزاماً، وهكذا سائر أسمائه، وذلك بخلاف المخلوق فقد يسمى حكيماً وهو جاهل، وحكماً وهو ظالم، وعزيزاً وهو ذليل..»[1].

وبهذا يظهر اعتقاد السلف في أسمائه تعالى واستدلالهم عليها بأحاديث الآحاد الصحيحة، فماذا كان حال المخالفين؟!.

موقف المخالفين في أسماء الله تعالى والرد عليهم

إن الله تعالى بعث رسوله ﷺ بالهدى ودين الحق، وأكمل له الدين، وأتم نعمته عليه فترك أمته على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، وبين لهم جميع ما يحتاجون إليه، «وكان أعظم ما يحتاجون إليه معرفتهم ربهم بما يستحقه من أسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وما يجب له وما يجوز عليه، وما يمجد به وما يمتنع عليه، فينزه عنه ويقدس. ثم أحدث بعد المائة الأولى الجهم بن صفوان[2] وأتباعه، الذين عطلوا حقيقة أسمائه الحسنى، وصفاته العلا، وسلكوا مسلك

---

(١) أعلام السنة المنشورة للحافظ الحكمي، ص ٦٣، ٦٤. وانظر: عقائد السلف، رد الإمام الدرامي على بشر المريسي، تحقيق علي النشار وعمار الطالبي، منشأة المعارف ١٣٩١هـ، ص ٣٦٥.

(٢) أبو محرز الراسبي المتكلم أسّ الضلالة ورأس الجهمية - ينكر الصفات ويقول بخلق القرآن والإيمان عقد القلب، قتله سلم بن أحوز لإنكاره أن الله كلم موسى. سير أعلام النبلاء، ج٦، ص ٢٦.

أخوانهم المعطلة الجاحدين للصانع، وصار أغلب ما يصفون به الرب هو الصفات السلبية العدمية، ولا يقرون إلا بوجود مجمل، ثم يقرنونه بسلب ينفي الوجود»[(١)].

«ولما كان في حدود المائة الثالثة، انتشرت هذه المقالة التي كان السلف يسمونها مقالة الجهمية.. فإذا كان أصل هذه المقالة ـ مقالة التعطيل والتأويل ـ مأخوذاً عن تلامذة المشركين والصابئين واليهود، فكيف تطيب نفس مؤمن ـ بل نفس عاقل ـ أن يأخذ سبيل هؤلاء المغضوب عليهم أو الضالين، ويدع سبيل الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين؟!»[(٢)].

قال ابن القيم رحمه الله في نونيته:

«وقضى على أسمائه بحدوثها	وبخلقها من جملة الأكوان
فانظر إلى تعطيله الأوصاف	والأفعال والأسماء للرحمن
ولذا تقسمت الطوائف قوله	وتوارثوه إرث ذي السهمان»[(٣)]

وعلى هذا أصبح لقب الجهمية علماً متعارفاً عليه عند العلماء من أهل السنة، على تلك الفرق الكلامية التي تعارض النصوص بمجرد العقل والهوى وتصف الله بصفات التعطيل التي لم تثبت في محكم الآيات والتنزيل.

ثم يبين شيخ الإسلام درجات هؤلاء الجهمية في إقرار أسماء الله وصفاته ونفيها، فيقول: «وكذلك الجهمية على ثلاث درجات: ـ

أما الدرجة الأولى: فشرّها الغالية الذين ينفون أسماء الله وصفاته، وإن سمّوه بشيء من أسمائه الحسنى قالوا: هو مجاز فهو في الحقيقة عندهم ليس بحي ولا عالم ولا قادر ولا سميع ولا بصير ولا متكلم ولا يتكلم، وكذلك

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية، ج٥، ص ١٥، ١٦.

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية، ج٥،ص ٢٢، ٢٥.

(٣) شرح القصيدة النونية لابن القيم، لأحمد بن إبراهيم العيسى، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي ط٣، ١٤٠٦هـ ج١، ص ١١٩.

وصف العلماء حقيقة قولهم، كما ذكره الإمام أحمد في رده على الزنادقة والجهمية قال: فعند ذلك تبين للناس أنهم لا يثبتون شيئاً..

والدرجة الثانية من التجهم: هو تجهم المعتزلة ونحوهم، الذين يقرون بأسماء الله الحسنى في الجملة، لكن ينفون صفاته. وهم أيضاً لا يقرون بأسماء الله الحسنى كلها على الحقيقة، بل يجعلون كثيراً منها على المجاز.

وأما الدرجة الثالثة : فهم الصفاتية المثبتون المخالفون للجهمية، لكن فيهم نوع من التجهم، كالذين يقرون بأسماء الله وصفاته في الجملة، لكن يردون طائفة من أسمائه وصفاته الخبرية، ويتأولونها كما تأول الأولون صفاته كلها، ومن هؤلاء من يقر بصفاته الخبرية الواردة في القرآن دون الحديث.. ومنهم من يقر بالصفات الواردة في الأخبار أيضاً في الجملة، لكن مع نفي وتعطيل لبعض ما ثبت بالنصوص»[1].

وحيث إن جمهور المتكلمين وهم المعتزلة والأشاعرة والكلابية والماتريدية، ممن يثبتون أسماء الله توقيفاً، لكنهم مخالفون للمنهج الحق في أسماء الله، فمنهم من توسع في إطلاق أسماء ليست من الشرع لله سبحانه وهم المعتزلة، ومنهم من أوّل بعض تلك الأسماء الواردة بالشرع حتى توافق مذهبهم الكلامي.

فالمعتزلة يجّوزون تسمية الله بأسماء وإن لم ترد في النقل حيث أعطوا العقل فرصة الاختيار والتصرف كما يشاء قال القاضي عبد الجبار في المغني: «إن إجراء الأسماء على القديم كإجرائها على غيره في أنه يحسن من غير سمع وتوقف... وإذا علمناه بالعقل لم يمتنع أن يجري عليه من الأسماء ما يفيد ما هو عليه في ذاته»[2] ويقصد بالإضافة إلى جواز تسمية الله بأسماء من العقل، فإن عموم أسمائه لا تدل على معنى قائم بنفسه سبحانه.

---

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية، ج٥، ص ٤٢، ٤٣، ٤٤.

(٢) المغني في أبواب التوحيد والعدل للقاضي عبد الجبار، ج٥، ٨٨، ١٧٩. وانظر: منهج السلف والمتكلمين لجابر أدريس، ج٢، ص ٧٤.

قال ابن القيم رحمه الله في مفتاح دار السعادة: «إنه سبحانه له الأسماء الحسنى ولكل اسم من أسمائه أثر من الآثار في الخلق والأمر لابد من ترتبه عليه كترتب المرزوق والرزق على الرازق، وترتب المرحوم وأسباب الرحمة على الراحم وترتب المرئيات والمسموعات على السميع والبصير، ونظائر ذلك في جميع الأسماء، فلو لم يكن في عباده من يخطئ ويذنب ليتوب إليه ويغفر له ويعفو عنه لم يظهر أثر أسمائه الغفور والعفو والحليم والتواب، وظهور أثر هذه الأسماء ومتعلقاتها في الخليقة كظهور آثار سائر الأسماء الحسنى.. وهذا باب أوسع من أن يدرك واللبيب يكتفي منه باليسير، وغليظ الحجاب في واد ونحن في واد:

وإن كان أثل الواد يجمع بيننا فغير خفي شيحه من خزامه»[1]

ثم إن هؤلاء نفاة الصفات «يلزمهم نفي الأسماء من جهة أخرى، فإن العليم والقدير والسميع والبصير، أسماء تتضمن ثبوت الصفات في اللغة فيمن وصف بها، فاستعمالها لغير من وصف بها استعمال للأسم في غير ما وضع له؛ فكما انتفت عنه حقائقها فإنه تنتفي عنه أسماؤها، فإن الأسم المشتق تابع للمشتق منه في النفي والإثبات.

ثم يبين ابن القيم مذهب الصفاتية من أهل التجهم فيقول:

«وبعض الجهمية يرى على أن الأسم يستلزم الصفة، ثم ينفي الصفة وينفي حقيقة الأسم ويقول هذا مجاز؛ فهو شر من المعتزلة من هذا الوجه، وهم خير منهم من وجه آخر، وهو أنه يتناقض فيثبت بعض الصفات وحقائق الأسماء وينفي نظيرها وما يدل عليها من حقيقة الأسم.

ثم يوضح حقيقة مذهب أهل السنة فيقول:

وأهل السنة يثبتون الصفات وحقائق الأسماء؛ فالأسماء عندهم حقائق وهي متضمنة للصفات»[2].

---

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم، ج١، ص ٢٨٧، ٢٨٨.

(٢) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم، ص ٣١١

بل إن معرفة الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى على هذه المنهج السنّي يقتضي «إن الإيمان بأسماء الله الحسنى ومعرفتها يتضمن أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وهذه الأنواع الثلاثة هي رُوح الإيمان ورَوحَه، وغايته، فكلما ازداد العبد معرفةً بأسماء الله وصفاته أزداد إيمانه وقوي يقينه»[1].

الاسم عين المسمى أو غيره

وهذه مسألة ابتدعها أهل الكلام الذين عارضوا صحيح المنقول بشبهاتهم، فقالت الجهمية والمعتزلة: «إن الأسم غير المسمى ومرادهم من هذا الكلام المجمل أن أسماء الله مخلوقة، وما دامت كذلك فهي غيره، لأن غير الله مخلوق»[2].

وللرد على هؤلاء يقول الإمام الدارمي رحمه الله: «ومن ادعى التأويل في أسماء الله فقد نسب الله تعالى إلى العجز والوهن، والضرورة والحاجة إلى الخلق. لأن المستعير محتاج مضطر، والمعير أبداً أعلى منه وأغنى، ففي هذا استجهال للخالق إذا كان بزعمه هملا لا يدري ما اسمه هو وما صفته. والله المتعالي عن هذا الوصف المنزه عنه. لأن أسماء الله هي تحقيق صفاته. سواء عليك قلت: عبدت الله، أو عبدت الرحمن، أو الرحيم.. وسواء قلت ربي الله، أو ربي الرحمن.. ولو كان الأسم مخلوقاً مستعاراً، غير الله، لم يأمر الله أن يسبح مخلوقاً غيره.

ولا تقاس أسماء الله بأسماء الخلق، لأن أسماء الخلق مخلوقة مستعارة، وليست أسماؤهم نفس صفاتهم، بل مخالفة لصفاتهم، وأسماء الله صفاته ليس شيء منها مخالفاً لصفاته، ولا شيء من صفاته مخالفاً لأسمائه وقد يسمى الرجل

---

(١) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٦هـ، ص ٤١.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام، ج٦، ص ١٨٥ - ١٨٦.

حكيماً وهو جاهل، وحكماً وهو ظالم، وعزيزاً وهو حقير..»[(١)].

وقالت الأشاعرة والماتريدية: إن الإسم هو المسمى: ومرادهم بهذا القول إن اسم الله غير مخلوق رداً على المعتزلة «ويجب أن يعلم أن الأسم هو المسمى بعينه وذاته، والتسمية الدالة عليه تسمى أسماً على سبيل المجاز»[(٢)].

قال شيخ الإسلام: «أما الأسماء الحسنى التي أطلقوا عليها تسميات فهي عندهم إما مجازاً غير حقيقة، وإما مخلوقة وبهذا اتفقوا مع المعتزلة في المعنى وإن كان يظن أنهم خالفوهم بقولهم الأسم هو المسمى»[(٣)].

قال ابن القيم رحمه الله: «طالما غلط الناس في ذلك وجهلوا الصواب فيه. فالأسم يراد به المسمى تارةً. ويراد به اللفظ الدال عليه أخرى، فإذا قلت: قال الله كذا، واستوى الله على عرشه، وسمع الله ورأى وخلق، فهذا المراد به المسمى نفسه.

وإذا قلت: الله اسم عربي والرحمن اسم عربي من أسماء الله.. فالأسم ها هنا للمسمى، ولا يقال غيره لما في لفظ الغير من الإجمال. فإن أريد بالمغايرة أن اللفظ غير المعنى فحق، وإن أريد أن الله سبحانه كان ولا أسم له حتى خلق لنفسه أسماء، أو حتى سماه خلقه بأسماء من صنعهم فهذا من أعظم الضلال والإلحاد في أسماء الله تعالى»[(٤)].

وقال الدكتور المحمود: «يلاحظ على كتب الأشاعرة التي شرحت أسماء الله تعالى أنها مع أنها تثبت هذه الأسماء وما دلت عليه من الصفات، إلا أنها عند تفصيل القول في هذه الصفات تشرحها بما يوافق معتقدها، فإذا كان الاسم

---

(١) عقائد السلف، رد الإمام الدارمي على المريسي، منشأة المعارف، ١٣٩١هـ، ص ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥.

(٢) الإنصاف للباقلاني، تحقيق زاهد الكوثري، مؤسسة الخانجي للطباعة، ط٢، ١٣٨٢هـ، ص ٦٠.

(٣) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام انظر، ج٦، ص ١٩٢.

(٤) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٧هـ، ص ٤٥٧.

دالاً على صفة يؤولونها نفوا دلالة الاسم على هذا المعنى الذي ينفونه وإن كان موافقاً لمذهب السلف، والأمثلة على ذلك كثيرة ومن أبرزها اسم الله تعالى «العلي» فكل من شرح هذا الأسم من الأشاعرة المتأخرين فسروه بعلو الشرف والمكانة وغيرها ونفوا دلالته على إثبات علو الله على خلقه، ونصوا على نفي هذا المعنى عند شرحهم له»[1].

قال الباحث: بل من أعظم غلط هؤلاء المتكلمين في أسماء رب العالمين مفهومهم للفظ الجلالة وهو الله حيث قالوا: «والله علمٌ مرتجل على ذات واجب الوجود»[2].

قال الإيجي: «الله أسم خاص بذاته لا يوصف به غيره فقيل علم جامد..»[3]. ومقصودهم من هذا أن لفظ الجلالة «الله» غير مشتق، وأنه يدل على القدرة والخلق والاختراع[4] ولا شك أن هذا القول وهمٌ منهم بل مخالف للنص الصحيح والمفهوم الصريح.

قال صاحب لسان لعرب: «الإله: هو الله عز وجل، وكل ما اتخذ من دونه معبوداً إله عند متخذه، والجمع آلهة، والآلهة الأصنام سموا بذلك لاعتقادهم أن العبادة تحق لها. فالله أصله إلاه ولا يكون إلاهاً حتى يكون معبوداً.. فإذا قيل الإله انطلق على الله سبحانه وعلى ما يعبد من الأصنام، وإذا قلت الله لم ينطلق إلا عليه سبحانه وتعالى..

وقيل في اسم الباري سبحانه أنه مأخوذ من أله إذا تحير، لأن العقول تأله في عظمته»[5].

---

(١) موقف ابن تيمية من الأشاعرة د. عبد الرحمن المحمود، مكتبة الرشد الرياض، ج٣، ص ١٠٣٥.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية لعبد الغني الغنيمي، تحقيق محمد الحافظ ومحمد المالح، دار الفكر دمشق، ص ٣٩.

(٣) المواقف لعضد الدين الإيجي، ص ٣٣٣.

(٤) الملل والنحل للشهرستاني، ج١، ص ١٠٠.

(٥) لسان العرب لابن منظور، ج١٣، ص ٤٦٧ - ٤٦٩.

فاللسان العربي يدل على أن اسم الله مشتق وأنه يدل على أعظم أمر خلق الله العباد من أجله وهو توحيده وعبادته وإخلاص القول والعمل في توحيده سبحانه. وهكذا يقول ابن القيم رحمه الله في بيان «أنه دال على صفة له تعالى وهي الإلهية كسائر أسمائه الحسنى كالعليم والقدير والغفور والسميع والبصير فإن هذه الأسماء مشتقة من مصادرها بلا ريب»[1].

أما مخالفة قولهم، للنص: فإن الله سبحان قد أخبرنا بالوصف المشتق من اسمه «الله» فقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾﴾.

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير القرآن العظيم: «أي هو إله من في السماء وإله من في الأرض يعبده أهلها وكلهم خاضعون له أذلاء بين يديه»[2].

ثم إن «تعطيل اسمه تعالى عن معناه تعطيل لجميع معاني الأسماء الحسنى، لأنه دال عليها بالإجمال والأسماء الحسنى تفصيل وبيان للصفات الإلهية، التي اشتق منها اسم الله.. واسم الله دال على كونه مألوهاً معبوداً، تألهه الخلائق محبة، وتعظيماً، وخضوعاً، وفزعاً إليه في الحوائج والنوائب، وذلك مستلزم لكمال ربوبيته ورحمانيته وملكه مستلزم لجميع صفات كماله»[3].

إن إعراض هؤلاء المتكلمين عن ما صح عن رسول الله ﷺ وعدم إعمال تلك الأخبار الصادقة في مسائل العقيدة، قد أدى بهم ذلك إلى تخبط عجيب في أمر كان من الوضوح والظهور الجلي بما يقيم الحجة ويظهر المحجة.

أما أسماء الله الحسنى والتي وهم المتكلمون في أن إثباتها على ظاهرها يقتضي التشبيه بالمخلوق، وذلك بسبب أنهم أعملوا عقولهم قبل أن تؤمن قلوبهم بقدسية النص وأن الذي بلّغهم هو الذي أُنزل عليه أمر التبليغ بالرسالة والوحي، وكان المؤمنون بين يديه ﷺ وهو يتلقى الوحي ويبلغ الرسالة؛ فما كان من المتكلمين إلا أن شبّهوا ثم أوّلوا.

---

(١) بدائع الفوائد لابن القيم، ج١، ص ٨٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء ابن كثير، ج٤، ص ١٢٢.

(٣) مدارج السالكين لابن القيم، ج١، ص ٤١، ٥٦.

وكونهم فروّا من التشبيه في زعمهم فإن تأويلهم تلك الأسماء قد نتج عنه تعطيلاً لمدلولات تلك الأسماء كما أراد الله وأخبر به الرسول ﷺ ومثال ذلك: «اسمه سبحانه الودود، الرحيم، الظاهر، والباطن.. فإنهم فسروا تلك الأسماء بالإرادة في إكرام عباده، ورضاه عنهم، وأنه الغالب على خلقه، والعارف ببواطن الأمور والمحتجب بموانع أبدعها في أبصارهم. وودّه إرادته الكرامة والنعمة وإحسانه وإنعامه وهو منزه عن ميل المودة»[1].

وهذا القول وغيره مما تقدم منافٍ للحقيقة كما أرادها الله وفهمها أصحاب رسول الله ﷺ حيث قال ابن كثير في تفسيره: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾﴾ أي يغفر ذنب من تاب إليه وخضع لديه ولو كان الذنب من أي شيء كان، والودود قال ابن عباس وغيره: هو الحبيب»[2].

ولا شك أن ما طال الأسماء من التشبيه ثم التعطيل وارد على الصفات من باب أولى واجتهادهم هذا ليس من باب اجتهاد الخطأ المأجور، ذلك كونهم اعتمدوا فيه العقل ولم يراعوا الأدلة من كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ. فإن الاجتهاد هو بذل الوسع والطاقة في أمر له أصل من الشرع، وقولهم وتنظيرهم لا دليل عليه من الشرع بل هو الهوى والرأي ومقدمات الدليل التي ألزمتهم تأويل النصوص، والله المستعان.

صفات الله تعالى في مفهوم السلف

أنعم الله على سلف هذه الأمة بمتابعتهم لمن سبقهم في الفضل والفهم والإتباع، قولاً وعملاً، ونحسب هذا لمن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين بمشيئة ورحمة رب العالمين. وصفات الله سبحانه هو الذي وصف بها نفسه ووصفه بها رسوله ﷺ كما أخبرنا هو عن نفسه سبحانه فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ

(١) المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، لأبي حامد الغزالي، الجبائي للطباعة والنشر، قبرص، ١٤٠٧هـ، ص ١٢٢.

(٢) تفسير ابن كثير، ج٤، ص ٤٣٤.

﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1] فنفى عن نفسه المثل وأثبت لنفسه الكمال كما يريد سبحانه وقد بيّن ذلك رسول الله ﷺ في سنته بما يليق بجلال الله سبحانه من الأسماء والصفات.

وهذه الآية العظيمة قاعدة كبرى في مذهب أهل السنة والجماعة، فلا تمثيل ولا تشبيه، وفيها الرد على المعطلة الذين ينفون ويعطلون صفات الكمال للرب المتعال.وقد ذكر علماء أهل السنة قواعد في فهم صفات الله سبحانه.

القاعدة الأولى: إن الاتفاق في الأسم لا في المسمي.

فقد سمى الله تعالى نفسه: عليماً بصيراً سميعاً رازقاً حكيماً رؤوفاً رحيماً ملكاً جباراً.. وقد سمى بعض عباده بمثل تلك الأسماء بل ومدحهم بها كمحمد ﷺ وكونه رؤوفاً رحيماً. وسمى الحي من عباده، والله هو الحي القيوم سبحانه.

وحيث إن أسماء الله التي تدل على تلك الصفات متفقة بين الخالق والمخلوق، فإن إطلاقها على الله يقتضي كمال الصفات وأحسن الأوصاف، فلا تشبه صفات المخلوقين التي يعتريها النقص والفقر والحاجة إلى بارئها سبحانه.

وما أصدق ما قال الإمام مالك رحمه الله: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة»[2].

فأين العلم والحكمة في مخالفة هذا القول وأمثاله؛ بل العلم والحكمة والسلامة في اتباع السلف الذي امتثلوا أمر الله وعملوا بما جاء عن الله على مراده، وآمنوا برسول الله ﷺ وعملوا بما جاء به عن ربه على مراد رسوله ﷺ.

القاعد الثانية: إن القول في الصفات كالقول في الذات.

إن الله سبحانه ليس كمثله شيء في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله. وكون

---

(١) سورة الشورى ١١.

(٢) الأسماء والصفات للبيهقي ج ٢، ١٥٠ - ١٥١؛ وانظر: أصل الاعتقاد للالكائي ج ٢، ص ٣٩٨.

لله ذاتاً حقيقية لا تماثل ذوات المخلوقين؛ فإن ذات الله متصفة بصفات حقيقية لا تماثل صفات المخلوقين.

القاعدة الثالثة: إن القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر.

وحيث وجب الإيمان بصفة العلم والحياة والقدرة لله سبحانه.. وأنها حقيقية في صفات الله تعالى وغيرها من الصفات الثابتة، فإنه يجب الإيمان بالبعض الآخر كالمحبة والرضا والغضب والنزول والمجيء والوجه واليدين.. وغيرها، فإن المفرق بينهما قد جاوز الحق والعدل[1].

وقد أثبت السلف لله سبحانه ما أثبت لنفسه من عظيم الصفات الدالة على كمال التوحيد لله سبحانه؛ ومن ذلك سورة الإخلاص.

ففي مسند الإمام أحمد وصحيح الترمذي عن أبي بن كعب رضي الله عنه في سبب نزولها: أن المشركين قالوا: يا محمد أنسب لنا ربك. فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾[2] وفي صحيح البخاري في كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى التوحيد قوله: «والذي نفسي بيده؛ إنها لتعدل ثلث القرآن»[3]«معناه أنزل القرآن على ثلاثة أقسام: ثلث منها الأحكام، وثلث منها وعد ووعيد، وثلث منها الأسماء والصفات. وهذه السورة جمعت الأسماء والصفات»[4].

وقوله: «الله الصمد. قد فسرها ابن عباس رضي الله عنهما بقوله: «السيد الذي قد كمل في سؤدده، والشريف الذي كمل في شرفه، والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والغني الذي قد كمل في غناه، والجبار الذي

---

(١) انظر الرسالة التدمرية لابن تيمية ص ٢٠، ٣١، ٤٣. بتحقيق محمد السعوي.

(٢) سورة الإخلاص آية ١، ٢ مسند الإمام أحمد ج٥، ص١٣٤؛ سنن الترمذي كتاب التفسير، ج٥، ص ٤٥٢ وقال: حديث صحيح.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم ج١٣، ص ٣٤٧.

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية، ج١٧، ص ١٠٣.

قد كمل في جبروته، والعليم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله عز وجل، هذه صفته، لا تنبغي إلا له، ليس له كفءٌ، وليس كمثله شيء»[1].

قال الشيخ محمد الهراس شارحاً الواسطية: «وإثبات الصمدية بكل معانيها المتقدمة تتضمن إثبات جميع تفاصيل الأسماء الحسنى والصفات العلى. وهذا توحيد الإثبات.

وأما النوع الثاني: وهو توحيد التنزيه، فيؤخذ من قوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾.. فانظر كيف تضمنت هذه السورة توحيد الاعتقاد والمعرفة، وما يجب إثباته للرب تعالى من الأحدية المنافية لمطلق المشاركة، والصمدية المثبتة له جميع صفات الكمال الذي لا يلحقه نقص بوجه من الوجوه، ونفي الولد والوالد الذي هو من لوازم غناه وصمديته وأحديته، ثم نفي الكفء المتضمن لنفي التشبيه والتمثيل والنظير.

فحق لسورة تضمنت هذه المعارف كلها أن تعدل ثلث القرآن»[2].

ثم يستدل السلف بآية الكرسي وهي أعظم آية في كتاب الله تعالى فقد تضمنت أسماء وصفات عظمى أخبر الله بها عن نفسه ابتداء بالتوحيد وكمال الحياة والقيومية المتضمنة اسم الله الأعظم والذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب.

وقد «ذكر ما يدل على عظيم ملكه، وواسع سلطانه، فأخبر أن كرسيه قد وسع السموات والأرض جميعاً، والصحيح في الكرسي أنه غير العرش، وأنه موضع القدمين، وأنه في العرش كحلقة ملقاة في فلاة.. ثم وصف نفسه سبحانه في ختام تلك الآية الكريمة بهذين الوصفين الجليلين وهما: العلي والعظيم.

فالعلي: هو الذي له العلو المطلق من جميع الوجوه:

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج٣، ص ٤٩٨.

(٢) شرح العقيدة الواسطية للشيخ محمد الهراس، ص ٨٣.

علو الذات: وكونه فوق جميع المخلوقات مستوياً على عرشه.

وعلو القدر: إذ كان له كل صفة كمال، وله من تلك الصفة أعلاها وغايتها.

وعلو القهر: إذ كان هو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير.

وأما العظيم؛ فمعناه الموصوف بالعظمة، الذي لا شيء أعظم منه، ولا أجل، ولا أكبر، وله سبحانه التعظيم الكامل في قلوب أنبيائه وملائكته وأصفيائه»[1].

وبهذا وغيره يتضح مذهب السلف في إثبات صفات الله سبحانه كما أنزل في كتابه وكما جاء عن نبيه ﷺ فيما وصف به ربه بالأحاديث الصحاح، فهو أعلم بما يستحقه ربه من الصفات العلى والأوصاف العظمى، ولا عبرة بقول المخالف في هذا ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾[2].

موقف المخالفين في صفات رب العالمين

كان إعراض المتكلمين عن دليل الفطرة والخلق والعناية الدالة على وجود الله سبحانه؛ واعتمادهم على أدلة الحدوث والافتقار والتمانع والإمكان؛ كل ذلك قد أدى بهم إلى الالتزام بمقتضيات الدليل فحجّروا صفات العظيم الجليل وظنّوها حدوثاً وتركيباً و أبعاضاً، تعالى الله عن قولهم وظنونهم.. «والمخالف في هذا الأصل فريقان:

أولاً: الجهمية الغالية: وينفون الأسماء والصفات جميعاً.

ثانياً: المعتزلة: فإنهم ينفون جميع الصفات، ويثبتون الأسماء والأحكام، فيقولون: عليم بلا علم، وقدير بلا قدرة، وحي بلا حياة.

وهذا القول في غاية الفساد؛ فإن إثبات موصوف بلا صفة، وإثبات ما للصفة للذات المجردة: محال في العقل؛ كما هو باطل في الشرع.

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للشيخ الهراس، ص ٨٦ - ٨٧- ٨٨.

(٢) سورة البقرة ١٤٠.

أمّا الأشعرية ومن تبعهم: فإنهم يوافقون أهل السنة في إثبات سبع صفات يسمونها صفات المعاني، ويدّعون ثبوتها بالعقل، وهي: الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام.

ولكنهم وافقوا المعتزلة في نفي ما عدا هذه السبع من الصفات الخبرية التي صح بها الخبر. والكل محجوجون بالكتاب والسنة وإجماع الصحابة والقرون المفضلة»[1].

أما الجهمية الغالية وهم أتباع الجهم بن صفوان تلميذ الجعد بن درهم الذي زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى، وابتدع القول بخلق القرآن، فكان زنديقاً قتله عبد الله القسري يوم النحر، وقال للناس بعد خطبة العيد ضحوا تقبل الله منكم ضحاياكم أما أنا فإني مضح بالجعد بن درهم.

وأما الجهم بن صفوان فقد قتله سلم بن أحوز لزندقته وإنكاره صفـــات الله تعالى.[2] وهؤلاء هم منكروا الأسماء والصفات لله تعالى.

أما المعتزلة: وهم الذين يثبتون الأسماء وينفون الصفات، والذي دفعهم إلى نفي صفات الله تعالى، الخوض في ذلك بعقولهم والاعتماد عليها في معرفة الله سبحانه وصفاته. ولذا اشترطوا في إثبات الصفة لله تعالى «أن تكون معقولة ليصح إثباتها لله تعالى، لأن إيراد الدلالة على إثبات الشيء فرع على كونه معقولاً في نفسه.. والاستدلال بالسمع على ذلك غير ممكن»[3].

وقالوا: «إن من أثبت لله صفة قديمة فقد قال بتعدد القدماء لأن صفاته لو

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للشيخ الهراس، ص ١٦٠، ١٦١.

(٢) الملل والنحل للشهرستاني انظر ج ١، ص ٨٦.؛ انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٥، ص ٤٣٣، ج ٦، ص ٢٦ -٢٧.

(٣) المحيط بالتكليف: للقاضي عبد الجبار الهمذاني، جمع الحسن بن أحمد، ت عمر عزمي، ط الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة. ص ٣٠، ٣١، ٣٣، ١١٠.؛ انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار الهمذاني، مكتبة وهبة سنة ١٣٨٤، مصر، ص ٢٠١.

شاركته في القدم لشاركته في الألوهية، وأدى ذلك إلى تعدد القديم سبحانه»[١].

«وأهل السنة المثبتون لصفات الله تعالى مشبهة، غير موحدين لله، ولا يعرفون ربهم، لأنهم وصفوه بالأعضاء والزوال والاستواء ويلزم من ذلك أن يكون جسماً»[٢].

وأما آيات القرآن الكريم التي تثبت صفات الله تعالى فهي آيات متشابهة كما يزعمون، «فيجب أن تؤول لموافقة الأدلة القاطعة وهي أدلة العقول، لأنها موهمة للتشبيه، ولأنها محتملة الدلالة، وأما العقل فلا احتمال في دلالته. وما وقع التشبيه في الأمة إلا بسبب التعلق بالآيات المتشابهة وترك تأولها على ما يوافق دليل العقل»[٣].

«وبالتالي لا يجوز عندهم الاحتجاج بأحاديث الآحاد في هذا الباب لأنه لا اعتماد عليها هاهنا، وإنما فارس الميدان في هذا المقام هو العقل.. ولازم ذلك أن يرد كل حديث مهما كانت صحته.. في إثبات صفات الله تعالى»[٤] ثم أصَّل المعتزلة لأنفسهم أصولاً خمسة فكان أولها التوحيد «فإنهم فسروا التوحيد بتفسير لم يدل عليه الكتاب والسنة، ولا قاله أحد من سلف الأمة وأئمتها.. وادعوا أن من أثبت الصفات لم يكن موحداً.. وثبوت الصفات يقتضي الكثرة.

وهذا بخلاف ما كان من أهل الإثبات المقرين بالتوحيد والتنزيه الذي جاءت به الرسلﷺ ونزلت به الكتب «التوحيد العلمي القولي» كالتوحيد الذي دلت عليه السورة التي هي صفة الرحمن وهي تعدل ثلث القرآن.

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني ج ١، ص ٤٤ - ٤٦.

(٢) فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة للقاضي عبد الجبار، الدار التونسية للنشر ص ١٩٦ - ١٩٧.

(٣) نفس المصدر ص ١٤٩، وانظر موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية، الآمين الصادق، ج١، ص ١٧٥ .

(٤) موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية، الأمين الصادق الأمين، مكتبة الرشد، الرياض ١٤١٨هـ، ج١، ص ١٧٢

و«التوحيد العملي الإرادي» الذي دلت عليه السورة التي هي براءة من الشرك، وهما سورتا الإخلاص، فإن هؤلاء الموحدين كلما حققوا هذا التوحيد بعدوا عن أهل الشرك والتعطيل وتبرؤا منهم... وأما تفسير التوحيد بما يستلزم نفي الصفات أو نفي علوه على العرش؛ بل بما يستلزم نفي ما هو أعم من ذلك فهو شيء ابتدعته الجهمية لم ينطق به كتاب ولا سنة ولا إمام، وكذلك جعل التشبيه ضد التوحيد، وتفسير التشبيه بما فيه إثبات الصفات. هو أيضاً باطل، فإن التوحيد نقيضه الإشراك بالله تعالى والتمثيل له بخلقه وإن كان ينافي التوحيد فليس المراد بذلك ما يسمونه هم تشبيهاً؛ فإنهم يسمون المعاني بأسماء سموها هم ما أنزل الله بها من سلطان»[1].

بل إن هؤلاء المعتزلة ومن وافقهم قد وقعوا في محاذير عقدية نتيجة تأصيلهم هذا، ومن ذلك: القول بخلق القرآن لأنهم ينفون أن الله قد تكلم وإنما خلق القرآن كسائر الخلق. «والقرآن كلام الله، منه بدأ وإليه يعود بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحياً، وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية... ـ قال الشارح رحمه الله ـ ولقد قال بعضهم لأبي عمرو بن العلاء ـ أحد القراء السبعة ـ أريد أن تقرأ «وكلم الله موسى» بنصب اسم الله، ليكون موسى هو المتكلم لا الله! فقال أبو عمرو: هب أني قرأت هذه الآية كذا، فكيف تصنع بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾[2] فبُهت المعتزلي»[3].

كيف وقد أنزله الله تعالى في أعظم ليلة وهي ليلة القدر وشهد بذلك سورة منه وكذلك غيرها من آيات الله التي تثبت التنزيل والوحي والتكليم من رب العالمين، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من الأنبياء من نبي إلا وقد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً

---

(١) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية لشيخ الإسلام ابن تيمية، جمع محمد بن قاسم، ج١، ص ١٣٣.

(٢) سورة الأعراف ١٤٣.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية، ص ١٦٨.

أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة»[1].

وإذا كان هذا القرآن العظيم قد أنزله الله تعالى على خير خلقه وخاتم أنبيائه، فإنه قد أخبرنا الصادق المصدوق أنه سيرفع في آخر الزمان من المصاحف وأن ذلك من أشراط الساعة، فقد روى ابن ماجة في سننه في باب ذهاب القرآن والعلم، عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ﷺ: «يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب، حتى لا يدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة وليسرى على كتاب الله عز وجل في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية وتبقى طوائف من الناس الشيخ الكبير والعجوز يقولون أدركنا آباءنا على هذه الكلمة لا إله إلا الله فنحن نقولها فقال له صلة: ما تغني عنهم لا إله إلا الله وهم لا يدرون ما صلاة ولا صيام ولا نسك ولا صدقة فأعرض عنه حذيفة ثم ردها عليه ثلاثاً كل ذلك يعرض عنه حذيفة ثم أقبل عليه في الثالثة فقال يا صلة تنجيهم من النار ثلاثاً»[2].

«وخلاصة القول: إن القرآن العربي كلام الله، منزل، غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود، والله تكلم به على الحقيقة، فهو كلامه حقيقة لا كلام غيره، وإذا قرأه الناس أو كتبوه في المصاحف لم يخرجه ذلك عن أن يكون كلام الله؛ فإن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئاً، لا إلى من بلغه مؤدياً، والله تكلم بحروفه ومعانية بلفظ نفسه، ليس شيء منه كلاماً لغيره، ولا لجبريل، ولا لمحمد، ولا لغيرهما، والله تكلم به أيضاً بصوت نفسه، فإذا قرأه العباد قرؤوه بصوت أنفسهم وكما أن القرآن كلام الله، فكذلك هو كتابه، لأنه كتبه في اللوح المحفوظ، ولأنه مكتوب في المصاحف قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِى كِتَـٰبٍ مَّكْنُونٍ﴾[3]»[4].

---

(1) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي وأول ما نزل ج٩، ص ٣؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة محمد ﷺ ج٢، ص ١٨٦؛ مسند الإمام أحمد ج٢، ص ٣٤١، ٤٥١.

(2) شرح سنن ابن ماجة، باب ذهاب القرآن والعلم، ج ٢، ص ٤٩٨؛ المستدرك للحاكم وصححه ووافقه الذهبي ج٤، ص ٥٨٧.

(3) سورة الواقعة آية ٧٧ ـ ٧٨.

(4) شرح العقيدة الواسطية للشيخ محمد الهراس، ص ١٥٤.

«والنزاع بين أهل القبلة إنما هو في كونه مخلوقاً خلقه الله، أو هو كلام الله الذي تكلم به وقام بذاته؟ وأهل السنة إنما سئلوا عن هذا، وإلا فكونه مكذوباً مفترى مما لا ينازع مسلم في بطلانه، ولا شك أن مشايخ المعتزلة وغيرهم من أهل البدع معترفون بأن اعتقادهم في التوحيد والصفات والقدر لم يتلقوه لا عن كتاب ولا سنة، ولا عن أئمة الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وإنما يزعمون أن عقلهم دلهم عليه»[1].

«وأما أحمد بن حنبل فكلامه في مثل هذا مشهور متواتر، وهو الذي اشتهر بمحنة هؤلاء الجهمية، فإنهم أظهروا القول بإنكار صفات الله تعالى، وحقائق أسمائه، وأن القرآن مخلوق، حتى صار حقيقة قولهم تعطيل الخالق سبحانه وتعالى، ودعوا الناس إلى ذلك، وعاقبوا من لم يجبهم إما بالقتل وإما بقطع الرزق وإما بالعزل عن الولاية، وإما بالحبس أو بالضرب، وكفّروا من خالفهم، فثبت الله تعالى الإمام أحمد حتى أخمد الله باطلهم، ونصر أهل الإيمان والسنة عليهم، وأذلهم بعد العز، وأخملهم بعد الشهرة، واشتهر عند خواص الأمة وعوامها أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وإطلاق القول أن من قال إنه مخلوق فقد كفر»[2].

إنكار المعتزلة رؤية الله في الجنة

وذلك أن التوحيد عندهم يقتضي نفي صفات الله، لأنهم قالوا إن إثباتها يلزم تعدد القدماء، وقد أخطأوا في هذا وخالفوا اعتقاد الأمة وأعرضوا عن الأدلة من الكتاب والسنة وإجماع الأمة، فقالوا بخلق القرآن ونفي رؤية وجه الرحمن، في دار الجنان «والمعتزلة حين ينفون الرؤية يزعمون أن كل شيء يرى بالعين يجب أن يكون في مقابلة العين، أي ينبغي أن يكون جسماً يحتل حيزاً»[3].

وقال الشهرستاني: «واتفقوا على نفي رؤية الله تعالى بالأبصار في دار

(١) شرح العقيدة الطحاوية خرج أحاديثها الشيخ محمد الألباني، ص ١٧٦.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام، ج ١٢، ص ٥٠٧، ٥٠٨.

(٣) إعجاز القرآن، للباقلاني، دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة، ١٣٩٢هـ، ص ٢٣.

القرار»[1] وقال عبد الجبار: «لا أحد يدعي أنه يرى الله سبحانه إلا من اعتقده جسماً مصوراً بصورة مخصوصة، أو يعتقد فيه أن يحل في الأجسام»[2].

ثم يقول: «إن من شأن أحدنا أن لا يرى إلا إذا كانت له حاسة صحيحة، ولا يكفي ذلك دون أن يكون المرئي مقابلاً لحاسته، إن كان إنما يراه بلا واسطة، أو يقابل ما قابل حاسته إن كان يرى بواسطة هي المرآة، وكانت هذه القضية لازمة وواجبة في الرائي بحاسة، لأنه مهما حصل الشرطان صح كونه رائياً، ومهما فقدا أو فقد أحدهما امتنعت الرؤية، ومعلوم أن القديم يرى الجوهر ولا يقابله، فإذا ثبتت هذه الجملة، وكان من حق الرائي هنا أن لا يرى إلا ما هو مقابل لنا، وكانت هذه القضية فيه تعالى ممتنعة، فيجب أن تمتنع الرؤية»[3].

ثم استدل المعتزلة بأدلة من القرآن والسنة وقاموا بتوجيه مرادهم منها ليظهروا حجتهم، وعند النظر في أقوال الأئمة المفسرين يكون الأمر بخلاف ما قالوا، لأنهم ينطقون بهواهم وينطلقون من مقدماتهم ويقولون في القرآن والسنة برأيهم «ولقد تبين مع كثرة الخلاف أن الله تعالى لم يُر ولا يُرى في الدنيا بالأبصار الجارحة مع جواز ذلك، وأنه لم يره موسى عليه السلام ولا محمد ﷺ. وإن رؤيته تقع في الدنيا بالقلب كما وقع لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم والمنام وتتغير تبعاً لإيمان الرائي قوة وضعفاً، وليس الرب تبارك وتعالى كما يرى في هاتين الحالتين.

ثم إنه تعالى يُرى يوم القيامة رؤية عامة بأعين الرؤوس يراه أهل الموقف وليست رؤية حقيقية للذات المقدسة التي رؤيتها أعلى نعيم أهل الجنة، فلا يقال إن غير المؤمنين يرى ذات البارى تعالى وتقدس، إذ الرؤية الحقيقية التي فيها النعيم خاصة بالمؤمنين بعد دخولهم الجنة»[4].

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني، ج١، ص ٤٥.

(٢) المغني في أبواب التوحيد والعدل، عبد الجبار الهمذاني، ج٤، ص ٩٩.

(٣) المحيط بالتكليف، ص ٢٠٩، ٢١٠.

(٤) رؤية الله تعالى وتحقيق الكلام فيها. د. أحمد بن ناصر الحمد - جامعة أم القرى - مركز بحوث الدراسات الإسلامية، ص ٢٤٠.

«ورؤية الله تبارك وتعالى رب العالمين أعظم وأجل وأشرف وأنعم نعيم الجنة قدراً وأعلاه وأغلاه خطراً وأمراً، وهي الغاية القصوى والنهاية العظمى التي شمر إليها السابقون وتنافس فيها المتنافسون واتفق الأنبياء والمرسلون والصحابة والتابعون وأئمة السلف والدين على ثبوتها في دار القرار من غير شك ولا إنكار وإنما أنكرها أهل البدع والضلال والتجهم والإعتزال.

وقال الأوزاعي رحمه الله - عبد الرحمن بن عمرو - : إني لأرجو أن يحجب الله عز وجل جهماً وأصحابه أفضل ثوابه الذي وعد أولياءه حين يقول: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[١] فجحد جهم وأصحابه أفضل ثوابه الذي وعد أولياءه»[٢].

«وقد روى أحاديث الرؤية نحو ثلاثين صحابياً. ومن أحاط بها معرفة يقطع بأن الرسول ﷺ قالها، ولو لا أني التزمت الاختصار لسقت ما في الباب من الأحاديث. ومن أراد الوقوف عليها فليواظب سماع الأحاديث النبوية، فإن فيها مع إثبات الرؤية أنه يكلم من شاء إذا شاء، وأنه يأتي لفصل القضاء يوم القيامة، وأنه فوق العالم، وانه يناديهم بصوت يسمعه من قُرب، وأنه يتجلى لعباده، وأنه يضحك، إلى غير ذلك من الصفات التي سماعها على الجهمية بمنزلة الصواعق، وكيف تعلم أصول دين الإسلام من غير كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؟! وكيف يفسر كتاب الله بغير ما فسره به رسول الله ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم، الذي نزل القرآن بلغتهم؟!»[٣].

وإذا كان المعتزلة قد ردّوا آيات إثبات رؤية الله تعالى لأنها تقتضي التشبيه؛ فإن موقفهم من السنة لم يكن أحسن حالاً، كيف وقد علم تواتر خبر الرؤية كما سبق بيانه، غير أن أهل الضلال قد سولت لهم أنفسهم وعقولهم بالقول على الله وعلى رسوله بغير علم والعياذ بالله! فقال كبيرهم القاضي عبد الجبار: «ومما

---

(١) سورة القيامة آية ٢٢-٢٣.

(٢) لوامع الأنوار للسفاريني، ج٢، ص ٢٤١.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية، ص ١٩٤.

يتعلقون به أخبار مرويّة عن النبي ﷺ، وأكثرها يتضمن الجبر والتشبيه، فيجب القطع على أنه ﷺ لم يقله، وإن قاله فإنه قاله حكاية عن قوم، والراوي حذف الحكاية ونقل الخبر... ـ ثم تكلم في حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه عن الرؤية الصحيح ـ ثم قال: لو صح وسلم فهو خبر آحاد، وخبر الواحد لا يقتضي العلم، ومسألة الرؤية طريقها القطع والثبات»[1].

إثبات رؤية الله سبحانه وتعالى في الآخرة عند السلف

وقد أثبتها الله سبحانه في كتابه العظيم لعباده المؤمنين، فكانت المزيد والحسنى والزيادة، حيث قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[2] وقال تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾[3] وقال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[4]. «ولهذا اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن الله يرى في الآخرة، وانه لا يراه أحد في الدنيا بعينه»[5]. «وقد تضافرت على إثباتها أدلة الكتاب والسنة، وأجمع على ذلك سلف الأمة»[6].

وحيث أن رؤية الله تعالى في جنته خاصة بعباده المؤمنين، فإن الله حرّم رؤيته وحجبها عن الكافرين والضالين، فقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾[7]. «فدل حجب هؤلاء على أن أولياءه يرونه، وأحاديث الرؤية

---

(١) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار. ص ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠ وانظر حديث جرير ابن عبد الله رضي الله عنه ص ٢٥٧.

(٢) سورة يونس ٢٦

(٣) سورة ق آية ٣٥.

(٤) سورة القيامة آية ٢٢- ٢٣.

(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ج٢، ص ٢٣٠.

(٦) لوامع الأنوار للسفاريني، ج ٢، ص ٢٤١.

(٧) سورة المطففين آية ١٥.

متواترة في هذا المعنى عند أهل العلم بالحديث، لا ينكرها إلا ملحد زنديق»[1].

فعن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: «كنا عند النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلةً - يعني البدر - فقال: إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا...»[2].

«وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ ما منكم من أحدٍ إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ولا حجاب يحجبه»[3].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن»[4] قال الطحاوي رحمه الله: «والرؤية حق لأهل الجنة بغير إحاطة ولا كيفية كما نطق به ربنا ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ وتفسيره على ما أراد الله تعالى وعلمه، وكل ما جاء في ذلك من الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ فهو كما قال. ومعناه على ما أراد، لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا فإنه ما سلم في دينه إلا من سلّمَ لله عز وجل ولرسوله ﷺ. وردّ علم ما اشتبه عليه إلى عالمه.

ثم قال الشارح رحمه الله: المخالف في الرؤية الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من الخوارج والإمامية وقولهم باطل مردود بالكتاب والسنة. وقد قال بثبوت الرؤية

(١) شرح العقيدة الواسطية، للشيخ محمد الهراس، ص ٥٧.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، ج٢، ص ٣٣؛ صحيح مسلم النووي، كتاب المساجد، باب فضل صلاتي الصبح والعصر ج٥، ص ١٣٤؛.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب التوحيد، ج ١٣، ص ٤٢٣؛ صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الزكاة باب الحث على الصدقة ج٧، ص١٠١.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب التوحيد، ج١٣، ص ٤٢٣؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة لربهم سبحانه وتعالى، ج٣، ص ١٦.

الصحابة والتابعون. وأئمة الإسلام المعروفون بالإمامة في الدين، وأهل الحديث.. وهذه المسألة من أشرف مسائل أصول الدين وأجلها، وهي الغاية التي شمر إليها المشمرون، وتنافس المتنافسون، وحرمها الذين هم عن ربهم محجوبون وعن بابه مردودون»[١].

ويقول شيخ الإسلام: «إنه قد ثبت بالسنة المتواترة وباتفاق سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة أهل الإسلام الذين أئتموا بهم في دينهم أن الله سبحانه وتعالى يرى في الدار الآخرة بالأبصار عياناً، وقد دل على ذلك القرآن في مواضع، والأحاديث الصحيحة في ذلك كثيرة متواترة في الصحاح والسنن والمسانيد.. ومسألة الرؤية كانت من أكبر المسائل الفارقة بين السنة المثبتة وبين الجهمية حتى كان علماء أهل الحديث والسنة يصنفون الكتب في الإثبات ويقولون «كتاب الرؤية» و«الرد على الجهمية» وكذلك الأحاديث التي تنكرها الجهمية من أحاديث الرؤية وما يتبعها، ويعدون من أنكر الرؤية معطلاً»[٢].

الأشاعرة وأصحابهم وموقفهم من الصفات والرد عليهم

استدل الأشاعرة والماتريدية بالأدلة العقلية على أن لله سبحانه سبعاً أو ثمان من الصفات ونفوا ما عداها مما يليق بالله تعالى مما ورد بالنص فقالوا: «الباري تعالى عالم بعلم، قادر بقدرة، حي بحياة، مريد بإرادة، متكلم بكلام، سميع بسمع، بصير ببصر والباقي.. وهذه الصفات أزلية قائمة بذاته تعالى. لا يقال: هي هو، ولا هي غيره. ولا: لا هو ولا غيره.

والدليل على أنه متكلم بكلام قديم، ومريد بإراده قديمة، أنه قد قام الدليل على أنه تعالى ملك، والملك من له الأمر والنهي، فهو آمرٍ ناه، فلا يخلو أن

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، ص ١٨٨، ١٨٩.

(٢) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ج١، ص ٣٤٨، ٣٤٩.

يكون آمراً بأمر قديم، أو بأمر محدث، وإن كان محدثاً فلا يخلو: إما أن يحدث في ذاته أو في محل أو لا في محل، ويستحيل أن يحدثه في ذاته، لأنه يؤدي إلى أن يكون محلاً للحوادث، وذلك محال، ويستحيل أن يحدثه في محل، لأنه يوجب أن يكون المحل به موصوفاً، ويستحيل أنه يحدثه لا في محل، لأن ذلك غير معقول، فتعين أنه قديم، قائم به صفة له، وكذلك التقسيم في الإرادة والسمع والبصر..»[1].

ولا شك أن إثباتهم هذا ونفي صفات الله الأخرى الواردة في كتاب الله سبحانه وسنة رسوله ﷺ، كان نتيجة اعتمادهم على منهجهم العقلي في إثبات وجود الله وما يستحق أن يطلق على الله من الصفات، متأثرين بأصحاب أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم، معرضين عن اعتقاد السلف وما أثبت الله لنفسه وأخبرنا به رسوله ﷺ.

وإذا كان هؤلاء موافقون للسلف في إثبات تلك الصفات، وسموها صفات المعاني وأنها قديمة أزلية؛ فإنهم مخالفون لما أثبته الله أيضاً لنفسه من تجدد تلك الصفات وأن الله يتكلم متى شاء وكيف شاء ويبصر ويسمع وهذا بخلاف معتقدهم حيث قالوا: «هو متصف بالصفات التي ليست له عليها قدرة ولا تكون بمشيئته، فأما ما يكون بمشيئته فهو حادث، والرب لا تقوم به الحوادث.. ولو قامت به الحوادث لا يخلو منها، وما لم يخل من الحوادث فهو حادث»[2].

«ومسألة حلول الحوادث من المسائل التي ابتدعها المتكلمون وعارضوا به صحيح المنقول وأوهموا بها على الناس لأنها من الألفاظ المجملة التي تحتمل حقاً وباطلاً، فإذا قالوا إن الله لا تحله الحوادث أوهموا الناس أنه تعالى لا يكون محلاً للتغيرات والاستحالات ونحو ذلك من الأمور.. وهذا معنى صحيحاً، لكنهم أرادوا نفي أفعال الله الاختيارية المتعلقة بمشيئته وقدرته من نحو استوائه

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني، ج١، ص ٩٥.
؛ انظر المواقف في علم الكلام للإيجي، ص ٢٧٩، وما بعدها؛ وانظر أصول الدين للبغدادي ص ٢٤، ٧٨، وكذلك كتب أهل الكلام.
(٢) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام، ح٦، ص ٢٢٠.

على عرشه، وضحكه ومحبته وغيرها من الصفات التي يفعلها الله متى شاء وكيف شاء.

ـ ومن المعلوم في كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ أن تلك الصفات التي أثبتوها ووافقوا فيها أهل السنة وسلف الأمة، أن نوعها قديم وآحادها حادث ـ قال شيخ الإسلام: وكذلك صفة الإرادة نوعها قديم وآحادها حادث فالله تعالى له الإرادة أزلاً ويريد متى شاء، وكيف شاء يدل على هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾.. إلى غير ذلك من الآيات الدالة على استمرار إرادة الله تعالى وأنه تعالى كما هو متصف بصفة الإرادة قبل وجود المراد فهو كذلك متصف بها مستقبلاً وعند حدوث المراد وليست إرادته فقط قديمة متعلقة بذاته كما توهم المتكلمون بل الله له الإرادة التامة الصالحة للماضي والمستقبل»[١]

وكذلك صفة العلم لله فهو قديم متجدد فيعلم الأشياء قبل حدوثها ووقت حدوثها وبعد ذلك وكذلك قدرته سبحانه، وكلامه، وسمعه وبصره. فقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾[٢] وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾[٣]. وقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[٤]. وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[٥].

قال الإمام الطحاوي: «ما زال بصفاته قديماً قبل خلقه، لم يزدد بكونهم شيئاً لم يكن قبلهم من صفته، وكما كان بصفاته أزلياً كذلك لا يزال عليها أبدياً»[٦].

---

(١) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية، ج٢، ص ١١، ١٢.

(٢) سورة طه ١١٠.

(٣) سورة فاطر آية: ٤٤

(٤) سورة النساء ١٦٤.

(٥) سورة الشورى آية: ١١.

(٦) شرح العقيدة الطحاوية، ص ١٢٤.

قال شيخ الإسلام: «وهو سبحانه يتكلم بمشيئته وقدرته لم يقل أحد من سلف الأمة إن كلام الله مخلوق بائن عنه، ولا قال أحد منهم إن القرآن أو التوراة أو الإنجيل لازمة لذاته أزلاً وأبداً وهو لا يقدر أن يتكلم بمشيئته وقدرته، بل قالوا لم يزل الله تعالى متكلماً إذا شاء»[1].

«وقد تنازع الناس حول هذه المسألة نزاعاً كبيراً:

فمنهم من جعل كلامه سبحانه مخلوقاً منفصلاً عنه وقال: إن معنى متكلم: خالق للكلام في غيره. وهم المعتزلة .

ومنهم من جعله لازماً لذاته أزلاً وأبداً، لا يتعلق بمشيئته وقدرته، ونفى عنه الحرف والصوت وقال: إنه معنى واحد في الأزل، وهم الكلابية والأشعرية»[2].

وقال الشهرستاني: «والكلام عند الأشعري معنى قائم بالنفس سوى العبارة، والعبارة دلالة عليه من الإنسان، فالمتكلم عنده من قام به الكلام، وعند المعتزلة من فعل الكلام، غير إن العبارة تسمى كلاماً إما بالمجاز، وإما باشتراك اللفظ»[3] ويؤكد هذا القول ما ذهب إليه أبو الطيب الباقلاني أحد مؤسسي المذهب حيث قال: «فصحَّ أن الكلام الحقيقي هو المعنى القائم بالنفس دون غيره، وإنما الغير دليل عليه بحكم التواضع والاصطلاح ويجوز أن يسمى كلاماً إذ هو دليل على الكلام، لا أنه نفس الكلام الحقيقي، فأخبر تعالى أنه أرسل موسى عليه السلام إلى بني إسرائيل بلسان عبراني، فأفهم كلام الله القديم القائم بالنفس بالعبرانية، وبعث عيسى عليه السلام بلسان سرياني، فأفهم قومه كلام الله القديم القائم بالنفس بكلامهم، وبعث نبينا ﷺ بلسان عربي، فأفهم قومه كلام الله القديم القائم بالنفس بكلامهم.

فلغة العرب غير اللغة العبرانية، واللغة السريانية غيرهما، لكن الكلام القديم القائم بالنفس شيء واحد لا يختلف ولا يتغير، ويدل على الكلام القائم

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام، ج٦، ص ٢٥٠.

(٢) شرح العقيدة الواسطية ص ١٤٩.

(٣) الملل والنحل للشهرستاني، ص ١٠٨.

بالنفس الخطوط المصطلح عليها بين كل أهل خط فيقوم الخط في الدلالة مقام النطق باللسان»[1].

وقد غلط هؤلاء في فهم كلام رب العالمين المنزّل باللسان العربي المبين، وذلك بإعراضهم عن النقل الصحيح عن سيد المرسلين ﷺ وفهم السلف الصالح وعلماء أهل السنة والجماعة «وأما من قال إنه معنى واحد، واستدل عليه بقول الأخطل:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما ... جعل اللسان على الفؤاد دليلاً

فاستدلال فاسد، ولو استدل مستدل بحديث في «الصحيحين» لقالوا هذا خبر واحد! ويكون مما أتفق العلماء على تصديقه وتلقيه بالقبول والعمل به! فكيف وهذا البيت قد قيل إنه موضوع منسوب إلى الأخطل النصراني..

ولا شك أن من قال: إن كلام الله معنى واحد قائم بنفسه تعالى وأن المتلو المحفوظ المكتوب المسموع من القارئ حكاية كلام الله وهو مخلوق: فقد قال بخلق القرآن وهو لا يشعر فإن الله يقول: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾[2]. افتراه سبحانه وتعالى يشير إلى ما في نفسه أو إلى المتلو المسموع؟ ولا شك أن الإشارة إنما هي إلى هذا المتلو المسموع، إذ ما في ذات الله غير مشار إليه، ولا منزل ولا متلو ولا مسموع. وقوله: ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾ أفتراه سبحانه يقول: لا يأتون بمثل ما في نفسي مما لا يسمعوه ولم يعرفوه، ومافي نفس الله عز وجل لا حيلة إلى الوصول إليه ولا إلى الوقوف عليه.

فإن قالوا: إنما أشار إلى حكاية ما في نفسه وعبارته وهو المتلو المكتوب المسموع، فأما أن يشير إلى ذاته فلا ـ فهذا صريح القول بأن القرآن مخلوق.. وهذا تصريح بأن صفات الله محكية، ولو كانت هذه التلاوة حكاية لكان الناس قد أتوا بمثل كلام الله فأين عجزهم؟! ويكون التالي ـ في زعمهم ـ قد حكى

---

(١) الإنصاف لأبي الطيب الباقلاني، ص ٩٤، ٩٥.

(٢) سورة الإسراء: ٨٨.

بصوت وحرف ما ليس بصوت وحرف»[1]. بل إن إعجاز القرآن المتحدى به جميع الخلق سيسقط وإن ادعوا أن جبريلاً قد حكاه عن ربه. «ومن قال إن القرآن العربي لم يتكلم الله به وإنما هو كلام جبريل أو غيره عبر به عن المعنى القائم بذات الله، كما يقول ذلك ابن كلاب والأشعري ومن وافقهما فهو قول باطل من وجوه كثيرة.. والله تكلم بالقرآن بحروفه ومعانية بصوت نفسه، ونادى موسى بصوت نفسه، كما ثبت بالكتاب والسنة وإجماع السلف، وصوت العبد ليس هو صوت الرب ولا مثل صوته؛ فإن الله ليس كمثله شيء: لا في ذاته ولا في صفاته، ولا في أفعاله. وقد نص أئمة الإسلام أحمد ومن قبله من الأئمة على ما نص به الكتاب والسنة من أن الله ينادي بصوت، وأن القرآن كلامه تكلم به بحرف وصوت ليس منه شيء كلاماً لغيره، لا جبريل ولا غيره، وأن العباد يقرءونه بأصوات أنفسهم وأفعالهم، فالصوت المسموع من العبد صوت القارئ والكلام كلام البارئ»[2].

ومما يدل على تجدد كلام الله ما أورده البخاري ﷺ في باب «كلام الرب مع أهل الجنة». فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال ﷺ: «إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، والخير في يديك، فيقول تعالى هل رضيتم؟ فيقولون وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول تعالى: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا»[3].

فأهل الجنة يسمعون كلام الله مباشرة ويجيبون عليه ويبشرهم برضوانه الأبدي وهذا من أجلّ نعم الله سبحانه على عباده المؤمنين، فمن أنكر كلام الله

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، ص ١٨٤، ١٨٦.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام، ج ١٢، ص ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب التوحيد، باب كلام الرب مع أهل الجنة ج١٣، ص ٤٨٧؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب رؤية الله سبحانه في اللجنة، ج٣، ص ٣٣.

المتجدد المسموع فأنّى يحصل له هذا الرضى والخلود؟!. فأين قولهم إنه كلام نفسي أو أنه عبارة عنه أو حكاية عنه؟!. فقط إنه الإعراض عن أخبار المصطفي ﷺ وقولهم إنها آحاد، فكيف وقد أوردها أصحاب الصحيحين وغيرهم وتلقتها الأمة بالقبول والتسليم، بل ويحمدون الله على هذه النعمة والرضوان من الرحيم الرحمن. وسيكلم الله آدم عليه السلام يوم القيامة. فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يقول الله تعالى يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك، والخير في يديك. قال: أخرج بعث النار، قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، فذاك حين يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد. فاشتد ذلك عليهم فقالوا: يا رسول الله أينا ذلك الرجل؟ قال: أبشروا، فإن من يأجوج ومأجوج ألف ومنكم رجل، ثم قال ﷺ والذي نفسي بيده، إني لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة. قال فحمدنا الله وكبرنا. ثم قال: والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة...»[1].

وكذلك علم الله وقدرته وسمعه وبصره المحيطة بالمؤمن كما أخبرنا المصطفى ﷺ، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: « كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القرآن: إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم يقول: اللهم إني أستخيرك بعلمك، واستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب..»[2].

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: «كنا مع النبي ﷺ في سفر، فكنا إذا علونا كبرنا،

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب الرقاق، باب إن زلزلة الساعة شيء عظيم، ج ١١، ص ٣٨٨؛ صصحيح مسلم شرح النووي كتاب الإيمان، باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة، ج٣، ص ٩٧.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء عند الاستخارة،ج ١١، ص ١٨٣.

فقال: اربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً تدعون سمعياً بصيراً قريباً..»[1].

وبهذا يتبين أن المتكلمين الأشاعرة والماتريدية وإن أصابوا ووافقوا صحيح المنقول في إثبات صفات المعاني لكنهم غلطوا وخالفوا صحيح المنقول في «اعتبارهم صفات المعاني قديمة أزلية لازمة للذات أزلاً ليس منها ما يتعلق بمشيئته واختياره تعالى وأنه يفعلها متى شاء وكيف شاء. وقد وقعوا في إشكالات نتيجة سلوكهم هذا المسلك وذلك لأنه لا يعقل أن يكون الله تعالى له إرادة واحدة قديمة وقد تعلقت في الأزل بإيجاد العالم فيما لا يزال، فإن هذا قول بتأخر المراد عن الإرادة التامة من غير عائق!، فإنه متى تمت القدرة والإرادة وارتفعت العوائق عنهما وجب حصول المراد لا محالة... فكيف قال الله تعالى في الأزل: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ﴾[2] ولم يكن خلق نوحاً بعد!! وكيف قال الله تعالى في الأزل لموسى: ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾[3]، ولم يخلق بعد موسى؟ وكيف أمر ونهى من غير مأمور ولا منهي»[4]. «والمعقول الصريح يدل على ذلك، فإن المعدوم لا يرى ولا يسمع بصريح العقل واتفاق العقلاء.. فإذا خلق العباد، وعملوا، وقالوا؛ فأما أن نقول إنه يسمع أقوالهم ويرى أعمالهم؛ وأما لا يرى ولا يسمع. فإن نفى ذلك فهو تعطيل لهاتين الصفتين، وتكذيب للقرآن، وهما صفتا كمال لا نقص فيه، فمن يسمع ويبصر أكمل ممن لا يسمع ولا يبصر. والمخلوق يتصف بأنه يسمع ويبصر، فيمتنع اتصاف المخلوق بصفات الكمال دون الخالق سبحانه وتعالى، وقد عاب الله تعالى من يعبد من لا يسمع ولا يبصر

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب وكان الله سمعياً بصيراً، ج ١٣، ص ٣٧٢؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الذكر، باب خفض الصوت بالدعاء، ج ١٧، ص ٢٥. ومعنى اربعوا: أي ارفقوا بأنفسكم واخفضوا اصواتكم شرح النووي ج١٧، ص ٢٦

(٢) سورة نوح ١.

(٣) سورة طه: ١٢.

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام، ج٦، ص ٢٢٣؛ وانظر ابن تيمية السلفي للدكتور/ محمد خليل الهراس، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٤هـ، ص ٩٧، ٩٨.

في غير موضع. ولأنه حي، والحي إذا لم يتصف بالسمع والبصر اتصف بضد ذلك وهو العمى والصمم وذلك ممتنع.. وإنما المقصود هنا أنه إذا كان يسمع ويبصر الأقوال والأعمال بعد أن وجدت؛ فأما أن يقال: إنه تجدد، أو كان لا يسمعها ولا يبصرها، فهو بعد أن خلقها لا يسمعها ولا يبصرها. وإن تجدد شيء: فأما أن يكون وجوداً أو عدماً؛ فإن كان عدماً لم يتجدد شيء، وإن كان وجوداً؛ فأما أن يكون قائماً بذات الله، أو قائماً بذات غيره، والثاني يستلزم أن يكون ذلك الغير هو الذي يسمع ويرى، فيتعين أن ذلك السمع والرؤية الموجودين قائم بذات الله، وهذا لا حيلة فيه.. فالسلف يقولون: لم يزل متكلماً إذا شاء؛ وقد قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾[(١)]. فكلمات الله لا نهاية لها، وهذا تسلسل جائز كالتسلسل في المستقبل فإن نعيم الجنة دائم لا نفاد له، فما من شيء إلا وبعده شيء لا نهاية له»[(٢)].

رؤية الله في الآخرة وموقف الأشاعرة وأصحابهم منها

قال الأشاعرة والماتريدية برؤية الله في الآخرة وأنها جائزة وأن المؤمنين سوف يرون ربهم رؤية بصرية.

قال الشهرستاني: «ذهب الأشاعرة إلى جواز رؤية الله تعالى، وأن المؤمنين سوف يرونه في الآخرة رؤية بصرية، مع نفي الجهة والمقابلة! وقالوا: إنه إدراك وراء العلم لا يقتضي تأثيراً في المدرك ولا تأثراً عنه»[(٣)].

وقال صاحب شرح المقاصد: «ولا نزاع للمخالفين في جواز الإنكشاف التام العلمي ولا لنا في امتناع ارتسام صورة من المرئي في العين، أو اتصال الشعاع الخارجي من العين بالمرئي، حالة إدراكية مستلزمة لذلك. وإنما محل

---

(١) سورة الكهف آية ١٠٩.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام، ج٦، ٢٢٨، ٢٣٢.

(٣) الملل والنحل للشهرستاني، ج١، ص ١٠٠.

النزاع أنا إذا عرّفنا الشمس مثلاً بحد أو رسم كان نوعاً من المعرفة، ثم إذا أبصرنا وأغمضنا العين كان نوعاً آخر فوق الأول، ثم إذا فتحنا العين حصل نوع آخر من الإدراك فوق الأولين نسميها الرؤية لا تعلق لها في الدنيا إلا بما هو في جهة ومكان فمثل هذه الحالة الإدراكية هل تصح أن تقع بدون المقابلة والجهة، وأن تتعلق بذات الله تعالى منزهاً عن الجهة والمكان؟»[1].

«وهكذا اقتربوا من المعتزلة عند ما قالوا: من الممكن أن يخلق الله لعباده انكشافاً تاماً لا يتوقف على شروط الرؤية العادية فالخلاف إذن لفظي؛ إذ تنتهي الرؤية بعد حذف شروطها المادية بأن تكون علماً»[2].

ويقول ابن رشد في مناهج الأدلة: «وأما الأشعرية فراموا الجمع بين الاعتقادين أعني بين انتفاء الجسمية وبين جواز الرؤية لما ليس بجسم بالحس، فعسر ذلك عليهم، ولجأوا في ذلك إلى حجج سفسطائية مموهة..»[3].

إن مصدر غلط الأشاعرة ومن تبعهم؛ كان اعتمادهم على العقل وحده في إثبات وجود الله سبحانه معرضين عن دليل الفطرة والكتاب والسنة، فما كان منهم إلا أن شبهوا الخالق عز وجل بالمخلوق، ثم ظنّوا أن ما أثبته الخالق لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ في الصحيح من سنته من كمال الصفات والأوصاف مماثل للمخلوق، فما كان منهم إلا أن أولوا وأعرضوا عن الحديث الصحيح وقالوا أخبار آحاد لا تقبل في العقيدة. ثم نفوا لوازم الرؤية الصحيحة وهي علو الله الثابت لجلاله بالقرآن والسنة وإجماع سلف الأمة، ونفوا استواءه على عرشه وأوّلوا آيات الاستواء على العرش بأنه الاستيلاء عليه في مغالطة لغوية لا تقر لهم بها لغة القرآن العظيم، بل تعدوا على الثابت من صفاته العظمى وهو وجهه فقالوا ذاته. وهنا كانت الرؤية عندهم انكشافاً وإدراكاً وعلماً وتخييلاً!!.

---

(١) شرح المقاصد لسعد الدين التفتازاني، تحقيق د / عبد الرحمن عميره، عالم الكتب، بيروت ١٤٠٩هـ، ج٤، ص ١٨١.

(٢) مقدمة في نقد مدارس الكلام على مناهج الأدلة لابن رشد، للدكتور محمود قاسم، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٣، سنة ١٣٨٩، ص ٨٤.

(٣) مناهج الأدلة لابن رشد تحقيق د. محمود قاسم، ص ١٨٦.

وقد ذهب إلى هذا أساطين علمائهم وذكروا أنها علم أو أنها حالة نسبية أو مجاز أو تخيلاً أو انكشاف: فقال الرازي: «إنا قد ذكرنا مرادنا من الرؤية، وهي: أنها حاله نسبتها إلى معرفة ذات الله، كنسبة إبصار اللون المعين إلى العلم بذلك اللون المعين. وإذا ثبت هذا فلم قلتم: إن حصول ذلك الانكشاف مشروط بحصول المقابلة؟ بل حصول انكشاف ماهية الشيء المختص بالمكان والحيز مشروط بحصول المقابلة، فأما حصول انكشاف ماهية الشيء المنزه عن المكان والحيز فلم قلتم إنه مشروط بحصول المقابلة؟ وهذا لا يمكن إثباته بحال مناسب، فضلاً عن ادعاء العلم الضروري فيه»[١].

وقد ذهب الغزالي أبعد من هذا واصفاً الرؤية بالإنكشاف والتخييل «وتحصيله أن الرؤية تدل على معنى له محل وهو العين وله متعلق وهو اللون والقدر والجسم وسائر المرئيات، فلننظر إلى حقيقة معناه ومحله وإلى متعلقة ولنتأمل أن الركن من جملتها في إطلاق هذا الاسم فنقول: أما المحل فليس بركن في صحة هذه التسمية فإن الحالة التي تدركها بالعين من المرئي لو أدركناها بالقلب، أو الجهة مثلاً لكنا نقول قد رأينا الشيء وأبصرناه وصدق كلامنا، فإن العين محل آلة لا تراد لعينها بل لتحل فيه هذه الحالة، فحيث حلت الحالة تمت الحقيقة وصح الاسم، فإذاً الركن الذي الاسم مطلق عليه هو الأمر الثالث وهو حقيقة المعنى من غير التفات إلى محله ومتعلقه، فلنبحث عن الحقيقة ما هي ولا حقيقة لها إلا أنها نوع إدراك هو كمال ومزيد كشف بالإضافة إلى التخييل»[٢].

وقد جاء المستشرق جولدتسيهر فأثنى على الأشاعرة والمعتزلة لقولهم إن البرهان المؤسس على النص لا يفيد اليقين «ومن العسير أن نستخلص من القرآن نفسه مذهباً عقدياً موحداً متجانساً وخالياً من التناقضات، ولم يصلنا من المعارف الدينية الأكثر أهمية وخطراً إلا آثاراً عامة نجد فيها إذا بحثناها في تفاصيلها أحياناً تعاليم متناقضة.. إذاً كان لزاماً على علم الكلام المنسق أن يتولى منذ أول الأمر

(١) المطالب العالية من العلم الإلهي للرازي، دار الكتاب العربي، تحقيق أحمد السقا، سنة ١٤٠٧هـ، ج٢، ص ٨٦.

(٢) الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي، دار الكتب العلمية، بيروت سنة ١٤٠٣هـ، ص٤٣، ٤٤.

حل الصعوبات النظرية الناشئة عن مثل هذه التناقضات. لأن المبدأ المشترك بين المعتزلة والأشاعرة هو أن البرهان المؤسس على العناصر النقلية لا يعطينا أي يقين.. فجاء اليقين المتنوع الذي استخدمه الأشاعرة في تأويل هذا النص المضايق للفهم أو التصور المنزه لله، يرينا معرضاً كاملاً للحيل التفسيرية في صالح المدرسة الأشعرية»[1].

إنه لا يستغرب حقد هذا اليهودي وأمثاله وافتراؤه على الإسلام وأهله ومعتقداته ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ﴾[2]. لكن رضاءه وموافقته لما ذهب إليه المتكلمون من التأويل في كتاب الله والإعراض عن الصحيح فيما ثبت من سنة رسول الله ﷺ وتسميته آحاداً فلا يقبل في أمور العقيدة، ثم القول في دين الله بدون هدى من الله وسنة رسول الله ﷺ لهو من أكبر أدلة غلط هؤلاء المتكلمين، وإن مخالفتهم معلومة بأمور أكبر وضوحاً من هذا، ففي كتاب الله تعالى الحجة والبرهان والدليل والبيان، وفي سنة المصطفى ﷺ الوضوح كبارقة الشمس في وضح النهار، وسطوع القمر في ليلة البدر فقد أخبرنا رسول الله ﷺ فيما صح عنه أن الله يتجلى لعباده وأنهم يرونه في الجنة عياناً ومثّل تلك الرؤية برؤية البدر والشمس ليس دونهما حجاب «وليس تشبيه رؤية الله تعالى برؤية الشمس والقمر تشبيهاً لله، بل هو تشبيه الرؤية بالرؤية، لا تشبيه المرئي بالمرئي، ولكن فيه دليل على علو الله على خلقه، وإلا فهل تعقل رؤية بلا مقابله؟ ومن قال: يرى لا في جهة ـ فليراجع عقله!! فإما أن يكون مكابراً لعقله أو في عقله شيء، وإلا فإذا قال يرى لا أمام الرائي ولا خلفه ولا عن يمينه ولا عن يساره ولا فوقه ولا تحته، رد عليه كل من سمعه بفطرته السليمة، ولهذا ألزم المعتزلة من نفى العلو بالذات بنفي الرؤية، وقالوا كيف تعقل رؤية بلا مقابلة بغير جهة، وإنما لم نره في الدنيا لعجز أبصارنا، لا لامتناع الرؤية، فهذه الشمس إذا حدق الرائي البصر في شعاعها ضعف عن رؤيتها، لا

---

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام، لجولد تسيهر، عربه وعلق عليه محمد يوسف وآخرون، دار الكتب المصرية، ١٣٦٦هـ، ص ٦٨، ١١٢، ١١٣.

(٢) سورة البقرة: ١٢٠.

لامتناع في ذات المرئي، بل لعجز الرائي، فإذا كان في الدار الآخرة أكمل الله قوى الآدميين حتى أطاقوا رؤيته.. وما ألزمهم المعتزلة هذا الإلزام - وهو نفي الرؤية - إلا لما وافقوهم على أنه لا داخل العالم ولا خارجه»(١).

قال شيخ الإسلام: «فإذا قال قوم: إن الله في جهة أو حيز، وقال قوم: إن الله ليس في جهة ولا حيز، استفهموا كل واحد من القائلين عن مراده فإن لفظ الجهة والحيز فيه إجمال واشتراك، فيقول: ما ثم موجود إلا الخالق والمخلوق، والله تعالى منزه بائن عن مخلوقاته، فإنه سبحانه خلق المخلوقات بائنة عنه، متميزة عنه خارجة عن ذاته، ليس في مخلوقاته شيء من ذاته، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته، ولو لم يكن مبايناً لكان إما مداخلاً حالاً فيها، أو محلاً لها، والله تعالى منزه عن ذلك، وأما أن لا يكون مبايناً لها، ولا مداخلاً لها فيكون معدوماً والله تعالى منزه عن ذلك»(٢).

ثم يقول في درء تعارض العقل والنقل: «وهذا هو البحث المشهور بين المعتزلة والأشعرية، فلهذا صار الحذاق من متأخري الأشعرية على نفي الرؤية وموافقة المعتزلة، فإذا أطلقوها موافقة لأهل السنة فسروها بما تفسرها به المعتزلة، وقالوا النزاع بيننا وبين المعتزلة لفظي»(٣).

قال ابن القيم رحمه الله: «إن الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وجميع أهل السنة والحديث والأئمة الأربعة، وأهل الاستقامة من أتباعهم متفقون على أن المؤمنين يرون وجه ربهم في الجنة، وهو الزيادة التي فسر بها النبي ﷺ والصحابة ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾(٤) ذلك ما رواه مسلم في صحيحه بإسناده عن النبي ﷺ في قوله ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ أي النظر إلى وجه الله تعالى فمن أنكر حقيقة الوجه لم يكن للنظر عنده حقيقة، ولاسيما إذا أنكر الوجه والعلو، فيعود النظر عنده إلى خيال مجرد، وإن أحسن العبارة قال: هو معنى يقوم بالقلب نسبته إليه كنسبة

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، ص ١٩٥.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام، ج٦، ص ٣٩.

(٣) درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام، ج١، ص ٢٥٠.

(٤) سورة يونس: ٢٦.

النظر إلى العين، وليس في الحقيقة عنده نظر ولا وجه ولا لذة تحصل للناظر»[1].

وقد وردت أحاديث صحيحة رداً على المعتزلة في ثنايا البحث إثباتاً للرؤية وأنها عياناً كحديث جرير البجلي وحديث أبي هريرة وحديث أبي موسى الأشعري وحديث عدي بن حاتم رضي الله عنهم[2].

وروى مسلم عن صهيب رضي الله عنه قال: قرأ رسول الله ﷺ ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار نادى منادٍ: يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه، فيقولون: وما هو؟ فينظرون إليه، فوالله ما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه ولا أقر لأعينهم»[3].

وعن عمار بن ياسر رضي الله عنه أن الرسول ﷺ كان يدعو فيقول: اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق، أحيني ما علمت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيراً لي، اللهم واسألك خشيتك في الغيب والشهادة، واسألك كلمة الحق والعدل في الغضب والرضا، واسألك القصد في الفقر والغنى، واسألك نعيماً لا يبيد، واسألك قرة عين لا تنقطع، واسألك الرضا بعد القضاء، واسألك برد العيش بعد الموت، واسألك لذة النظر إلى وجهك، واسأل الشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين»[4].

---

(١) الصواعق المرسلة لابن القيم، ص ٣٥٣، ٣٥٤.

(٢) انظر: البحث ص ٢٥٧.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه، ج٣، ص ١٧.

(٤) كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، لإمام الأئمة محمد بن خزيمة، ص ١٢.
؛ سنن النسائي، ج ٣، ص ٥٤، ٥٥ من طريقين أحدهما عن عمار بن ياسر رضي الله عنه.
؛ مسند الإمام أحمد، ج١، ص ٥٢٤، ٥٢٥
؛ وانظر صحيح الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم تحيق سليم بن عيد الهلالي، دار ابن الجوزي، ط ٢، ١٤١٠هـ، ص ٢٨٧ وقال المحقق: إسناده صحيح.
؛ المستدرك للحاكم، ج١، ص ٥٢٤ وصححه ووافقه الذهبي.

قال ابن خزيمة رحمه الله - أحد رواة الحديث - : «ألا يعقل ذو الحجا أن النبي ﷺ لا يسأل ربه ما لا يجوز كونه؟! وفي مسألة النبي ﷺ ربه لذة النظر إلى وجه أبين البيان وأوضح الوضوح أن لله عز وجل وجهاً يتلذذ بالنظر إليه منْ مَنّ الله عليه وتفضل بالنظر إلى وجهه»[١].

وبعد هذا أفلا نطمع في رؤية ربنا ومولانا؟! وفي هذا أورد ابن القيم أبياتاً، صور فيها يوم اللقاء أروع تصوير وأصدقه استنتاجاً من نصوص الكتاب والسنة إذ يقول رحمه الله:

«ولله أفراح المحبين عندما ... يخاطبهم من فوقهم ويسلم
و أبصار ترى الله جهرة ... فلا الضيم يغشاها ولاهي تسأم
فيا نظرة أهدت إلى الوجه نضرة ... أمن بعدها يسلو المحب المتيم
فحيّ على جنات عدن فإنها ... منازلك الأولى وفيها المخيم
وحيّ على يوم المزيد الذي به ... زيارة رب العرش واليوم موسم»[٢]

الصفات الخبرية وموقف المتكلمين منها

سبق عرض موقف المعتزلة من الصفات عموماً حيث اعتقدوا أن إثباتها لله سبحانه يقتضي تعدد القدماء فنفوا الصفات وعدوا ذلك توحيداً لله! فسبحانه عما يقولون!.

أما الأشاعرة والماتريدية والكلابية فقد قسموا الصفات إلى صفات المعاني وهي التي يثبتها العقل والشرع وقد تقدم البحث في ذلك.

وأما الصفات الخبرية وهي التي لا سبيل إلى إثباتها إلا بطريق النص عن الله تعالى أو عن رسوله ﷺ في الكتاب والسنة، وهي الصفات الفعلية الاختيارية لله والصفات الذاتية لله تعالى.

---

(١) كتاب التوحيد لابن خزيمة، ص ١٣.

(٢) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم حققه علي الشوربجي وقاسم النوري، مؤسسة الرسالة، ط٣، سنة١٤١٨هـ، ص ٣٦٠.

«وأهل السنة لا يلتزمون هذا الاصطلاح فلا يسمون هذه بالصفات الخبرية لأن من الصفات المعنوية ما لا يعلم إلا بالخبر»[1].

الصفات الفعلية الاختيارية

ومن أظهرها علو الله تعالى على خلقه واستوائه على عرشه، وكذلك صفة النزول والمجيء والغضب والرضا والفرح والتعجب والضحك والكلام..

وهذه الصفات العظيمة التي أثبتها الله لنفسه سبحانه وأخبرنا الصادق المصدوق عن ربه تعالى بما يستحقه من عظيم الصفات اللائقة بجلاله، ثم أجمع عليها سلف الأمة، بل إنها من الدين ثابتة بالضرورة، فكيف وقد أُقر توحيد الصفات قسيما لتوحيد الألوهية والربوبية عقيدة لأهل السنة والجماعة.

أما الأشاعرة ومن وافقهم من المتكلمين فقد كان موقفهم من أدلة السمع المثبتة للصفات مبني على «أدلتهم العقلية السابقة، حيث إنهم قالوا بتقديم العقل على النقل عند التعارض، ومن ثم كان خلاصة موقفهم من الأدلة السمعية التي جاءت بإثبات الصفات التي نفوها أو أولوها:

أ ـ من ناحية الثبوت ـ قالوا عن أخبار الآحاد إنها لا يحتج بها في العقيدة.

ب ـ من ناحية الدلالة ـ وذلك في مثل دلالة القرآن ـ الذي لا يشك أحد في ثبوته ـ أو الحديث المتواتر والصحيح عند من يرى الاحتجاج به في العقائد ـ فقد قالوا فيها إنها من المتشابه وحينئذ فسبيلها أحد أمرين:

ـ أما التفويض.

ـ أو التأويل عن طريق المجاز وغيره.

هذه هو خلاصة موقفهم في باب الصفات، وهو كما يلاحظ بني على أدلة العقول، وتشبيه الله بخلقه، حيث صاروا يحكمون عليه تعالى وعلى صفاته بما يحكمون به على مخلوقاته، فأدى بهم هذا التشبيه إلى التعطيل»[2].

---

(١) تلبيس الجهمية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ج١، ص ٧٦.

(٢) موقف ابن تيمية من الأشاعرة للدكتور عبد الرحمن المحمود، مكتبة الرشد ١٤١٥هـ، ج٣، ص ١٠٩٧.

صفة الاستواء على العرش وعلوه سبحانه على خلقه

وهما صفتان ثابتتان لله تعالى بنص الكتاب والسنة، لكن المتكلمين وعلى الرغم من كثرة أدلة الإثبات لها وتنوعها سلكوا منهجاً أدى بهم إلى تعطيل صفتي العلو والاستواء حيث عرضوا النصوص الواردة في ذلك على عقولهم وشبهاتهم التي عارضوا بها صحيح المنقول فتصوروا بعقولهم أن إثبات صفتي العلو والاستواء يؤدي إلى أن يكون الله تعالى محصوراً ومتحيزاً في جهة ومكان معين وما كان كذلك لا يكون إلا جسماً مماثلاً للمخلوقات[1].

بل قال الجويني في المواقف: «احتج الخصم بوجوه: .. الخامس منها. الاستدلال بالظواهر الموهمة بالتجسيم من الآيات والأحاديث نحو قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾[2] . ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝٢٢﴾[3] وحديث النزول وسؤال الجارية.. والجواب: أنها ظواهر ظنية لا تعارض اليقينيات، ومهما تعارض دليلان وجب العمل بهما ما أمكن؛ فتؤول الظواهر أما إجمالاً أو يفوض تفصيلها إلى الله.. فنقول: الاستواء الاستيلاء نحو: قد استوى بشر على العراق، والعندية بمعنى الإصطفاء والإكرام. وجاء ربك أي أمره، وإليه يصعد الكلم الطيب أي يرتضيه، ومن في السماء أي حكمه أو سلطانه، أو ملك موكل بالعذاب وعليه فقس...»[4].

قال ابن القيم رحمه الله: «وقول المعطلة والجهمية الذين يقولون: ليس على العرش شيء سوى العدم، وإن الله ليس مستوياً على عرشه، ولا ترفع إليه الأيدي، ولا يصعد إليه الكلم الطيب، ولا رفع المسيح عليه الصلاة والسلام

---

(١) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار المعتزلي، ص ١٢٦. وانظر التوحيد لأبي منصور الماتريدي تحقيق د. فتح الله خليف، دار الشروق، بيروت، ص ٧٠؛ وانظر نهاية الإقدام في علم الكلام للشهرستاني، ص ١١٠. وغيرها من كتب أهل الكلام.

(٢) سورة طه: ٥.

(٣) سورة الفجر آية: ٢٢.

(٤) المواقف في علم الكلام للأيجي، انظر: ص ٢٧٢.

إليه، ولا عرج برسوله محمدﷺ ولا تعرج الملائكة والروح إليه، ولا ينزل من عنده جبريل عليه الصلاة والسلام ولا غيره.

ولا ينزل هو كل ليلة إلى السماء الدنيا ولا يخافه عباده من الملائكة وغيرهم من فوقهم، ولا يراه المؤمنون في الدار الآخرة عياناً بأبصارهم من فوقهم، ولا تجوز الإشارة إليه بالأصابع إلى فوق كما أشار إليه النبيﷺ في أعظم مجامعه في حجة الوداع وجعل يرفع أصبعه إلى السماء وينكتها إلى الناس ويقول «اللهم اشهد»[١] - ثم يقول ابن القيم - قال شيخ الإسلام: وهذا كتاب الله من أوله إلى آخره وسنة رسول اللهﷺ وكلام الصحابة والتابعين وكلام سائر الأئمة مملوء مما هو نص أو ظاهر في أن الله سبحانه وتعالى فوق كل شيء، وأنه فوق العرش فوق السموات مستوٍ على عرشه»[٢].

ويقول ابن قدامة المقدسي رحمه الله: «إن الله تعالى وصف نفسه بالعلو في السماء ووصفه بذلك محمد خاتم الأنبياء وأجمع على ذلك جميع العلماء من الصحابة الأتقياء والأئمة من الفقهاء، وتواترت الأخبار بذلك على وجه حصل به اليقين، وجمع الله تعالى عليه قلوب المسلمين، وجعله مغروزاً في طباع الخلق أجمعين»[٣].

بل إن «القبول والتصديق بكل ما رواه العلماء ونقله الثقات أهل الآثار عن رسول اللهﷺ وتلقوه بالقبول لا ترد بالمعاريض ولا يقال لم وكيف ولا تحمل على المعقول ولا تضرب لها المقاييس ولا يعمل لها التفاسير إلا ما فسره رسول

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب الفتن، باب قول النبيﷺ: لا ترجعوا بعدي كفاراً، ج١٣، ص ٢٦؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الحج، باب حجة النبيﷺ، ج٨، ص ١٨٤.

(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية لابن القيم تحقيق فواز زمرلي، دار الكتاب العربي ١٤٠٨هـ، ص ٨٦.

(٣) إثبات صفة العلو لابن قدامة المقدسي تحقيق د. أحمد عطية الغامدي، موسوعة علوم القرآن، بيروت، ١٤٠٣هـ، ص ٦٣.

الله ﷺ أو رجل من علماء الأمة ممن قوله شفاء وحجة مثل أحاديث الصفات والرؤية»[1].

ثم نقف مع هذا التوجيه المشرق من شمس الدين الذهبي حيث قال: «فإن أحببت يا عبد الله الإنصاف فقف مع نصوص القرآن والسنة ثم انظر ما قاله الصحابة والتابعون وأئمة التفسير في هذه الآيات، وما حكوه من مذاهب السلف، فإما أن تنطق بعلم، وإما أن تسكت بحلم، ودع المراء والجدال، فإن المراء في القرآن كفر، كما نطق بذلك الحديث الصحيح، وسترى أقوال الأئمة في ذلك على طبقاتهم بعد سرد الأحاديث النبوية.

جمع الله قلوبنا على التقوى، وجنبنا المراء والهوى، فإننا على أصل صحيح وعقد متين، من الله تقدس اسمه لا مثل له، وأن إيماننا بما ثبت من نعوته كإيماننا بذاته المقدسة»[2].

وقد أورد المتكلمون شبهاً ظنّوها، ليتقوى احتجاجهم على نفي هاتين الصفتين لله تعالى وحسبوا ذلك تنزيهاً وقد غلطوا، فلقد «اشتهر عند الخلف نسبة كل من يثبت الفوقية لله تعالى إلى أنه مشبه أو مجسم، أو إلى أنه ينسب لله الجهة والمكان.. ولو كان إثبات الفوقية لله تعالى معناه التشبيه، لكان كل من أثبت الصفات الأخرى لله تعالى ككونه حياً قديراً سميعاً بصيراً مشبهاً أيضاً، وهذا ما لا يقول به مسلم... خلافاً لنفات الصفات المعتزلة وغيرهم»[3].

قال شيخ الإسلام: «وما تنازع فيه المتأخرون نفياً وإثباتاً، فليس على أحد بل ولا له أن يوافق أحداً على إثبات لفظ أو نفيه، حتى يعرف مراده، فإن أراد

---

(١) الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة للإمام عبد الله بن بطة، تحقيق رضا نعسان، مكتبة الفيصلية، مكة المكرمة ١٤٠٤هـ، ص ٢١٣.

(٢) مختصر العلو للعلي الغفار للحافظ الذهبي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، إشراف زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٨هـ، ص ٨٦.

(٣) مقدمة مختصر العلو للعلي الغفار للشيخ محمد ناصر الدين الألباني - نفس المصدر السابق - ص ٦٧.

حقاً قبل، وإن أراد باطلاً رد، وإن اشتمل كلامه على حق وباطل لم يقبل مطلقاً ولم يرد جميع معناه، بل يوقف اللفظ ويفسر المعنى، كما تنازع الناس في الجهة والتحيز وغير ذلك. فلفظ «الجهة» قد يراد به شيء موجود غير الله فيكون مخلوقاً، كما إذا أريد بالجهة نفس العرش أو نفس السماوات. وقد يراد به ما ليس بموجود غير الله، كما إذا أريد بالجهة ما فوق العالم.

ومعلوم أنه ليس في النص إثبات لفظ «الجهة» ولا نفيه كما فيه إثبات العلو والإستواء والفوقية والعروج إليه ونحو ذلك.

وقد علم أنه ما ثم موجود إلا الخالق والمخلوق، والخالق مباين للمخلوق سبحانه وتعالى، ليس في مخلوقاته شيء من ذاته، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته.

فيقال لمن نفى الجهة: أتريد بالجهة شيء موجود مخلوق؟ فالله ليس داخلاً في المخلوقات؛ أم تريد بالجهة ما وراء العالم؟ فلا ريب أن الله فوق العالم، بائن من المخلوقات وكذلك يقال لمن قال: إن الله في جهة: أتريد بذلك إن الله فوق العالم، أو تريد به أن الله داخل في شيء من المخلوقات، فإن أردت الأول فهو حق، وإن أردت الثاني فهو باطل. وكذلك «المتحيز» إن أراد به أن الله تحوزه المخلوقات فالله أعظم وأكبر.. وإن أراد به أنه منحاز عن المخلوقات، أي مباين لها، منفصل عنها، ليس حالاً فيها. فهو سبحانه كما قال أئمة السنة: فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه»[١].

أما صفة الاستواء لله تعالى فقد وردت في كتاب الله في سبع آيات منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[٢].

وكذلك في سورة يونس والرعد وطه والفرقان والسجدة والحديد[٣]. وجميع

---

(١) الرسالة التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨.
(٢) سورة الأعراف: ٥٤.
(٣) سورة يونس والرعد وطه والفرقان والسجدة والحديد آيات ٣، ٢، ٥، ٥٩، ٤، ٤.

هذه الآيات بلفظ استوى التي تعني علا وارتفع وصعد «فإن لفظ استوى في اللغة إذا عُدي بـ على لا يمكن أن يفهم منه إلا العلو والارتفاع والصعود والاستقرار ولهذا لم تخرج تفسيرات السلف لهذا اللفظ عن هذه العبارات الأربع.. فأهل السنة والجماعة يؤمنون بما أخبر به سبحانه عن نفسه من أنه مستوٍ على عرشه، بائن من خلقه بالكيفية التي يعلمها هو جل شأنه كما قال مالك وغيره: الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة»[(١)].

أما قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾﴾[(٢)].

فقال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله في تفسير هذه الآية: «ثم استوى بعد ذلك على العرش الذي هو سقف المخلوقات وأعلاها وأوسعها وأجملها. الرحمن استوى على عرشه الذي وسع السموات والأرض باسمه الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء فاستوى على أوسع المخلوقات بأوسع الصفات وأثبت بهذه الآية خلقه للمخلوقات واطّلاعه على ظاهرهم وباطنهم وعلوه فوق العرش ومباينته إياهم، ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ يعني بذلك نفسه الكريمة، فهو الذي يعلم أوصافه وعظمته وجلاله، وقد أخبركم بذلك وأبان لكم من عظمته ما تسعدون به من معرفته فعرفه أصحاب الفطر السليمة، وخضعوا لجلاله»[(٣)].

قال الإمام البخاري رحمه الله «باب وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم»: قال أبو العالية: استوى إلى السماء: ارتفع. فسواهن خلقهن وقال مجاهد: استوى علا على العرش.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «من آمن بالله ورسوله، وأقام

---

(١) شرح العقيدة الواسطيه للشيخ محمد خليل الهراس، ص ١٣٩
؛ انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، دار الكتاب العربي، القاهرة، ط٢، ١٣٨٧هـ، ج٢، ص٢١٩.

(٢) سورة الفرقان آية: ٥٩.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للعلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مطبوعات الجامعة الإسلامية، ج٥، ص ٢٤٠.

الصلاة وصام رمضان، كان حقاً على الله أن يدخله الجنة هاجر في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها، قالوا يا رسول الله أفلا ننبئ الناس بذلك؛ قال: إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة»(١).

وعن أبي هريرةرضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه أن رحمتي سبقت غضبي»(٢).

وعن ابن عباسرضي الله عنهما قال: «كان النبي ﷺ يقول عند الكرب، لا إله إلا الله العليم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم»(٣).

وعن جابر بن عبد اللهرضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذرضي الله عنه»(٤). إنها أخبار غيب نؤمن بها لصحة أخبارها وعلم كيفيتها موكول إلى الله سبحانه وتعالى، وقد تخبط منكروها لدفعهم الأحاديث الصحيحة فيها فضلوا الطريق.

وإن المرء ليعجب من قول هؤلاء الذين يفسرون الاستواء بالاستيلاء بل ونستغفر الله من قولهم هذا! فمن يعادي الله سبحانه ليقهره ثم يستولي على ما خلقه سبحانه؟! ثم لماذا يستوي على العرش وحده في سبعة مواضع بنفس صيغة الفعل «استوى» وما حال المخلوقات الأخرى التي لم يذكر استوائه عليها؟!.

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء ج ١٣، ص٤٠٣، ٤٠٤.

(٢) نفس المصدر السابق، ص ٤٠٤.

(٣) نفس المصدر السابق، ص ٤٠٥.

(٤) نفس المصدر، كتاب مناقب الأنصار، باب مناقب سعد بن معاذ، ج٧، ص ١٢٢ ؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل سعد بن معاذ ج ١٦، ص ٢١، ٢٢.

أورد البيهقي رحمه الله بإسناده في كتاب الأسماء والصفات عن أبي سليمان قال: «كنا عند ابن الإعرابي فأتاه رجل فقال: يا أبا عبد الله ما معنى قوله «الرحمن على العرش استوى» فقال: إنه مستوي على عرشه كما أخبر، فقال الرجل: إنما معنى قوله استوى أي استولى، فقال له ابن الأعرابي: ما يدريك؟ العرب لا تقول استولى على العرش فلان؟ حتى يكون له فيه مضاد، فأيهما غلب قيل: قد استولى عليه والله تعالى لا مضاد له فهو على عرشه كما أخبر»[1].

أما صفة العلو:

فقد جاءت الأدلة الصريحة في كتاب الله تعالى مثبتة علو الله على سائر مخلوقاته فمنها قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾[2] في سبعة مواضع من القرآن. وقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ﴾[3]. وقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾[4] وقوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤﴾[5].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الملائكة يتعاقبون فيكم، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج إليه الذين باتوا فيكم فيسألهم - وهو أعلم بهم - فيقول كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون»[6].

وعن معاوية بن الحكم السلمي قال: .. وكانت لي غنم بين أحد والجوانية

---

(١) الأسماء والصفات للإمام أبي بكر أحمد ابن حسين البيهقي، تحقيق عماد الدين حيدر، دار الكتاب العربي بيروت سنة ١٤٠٥هـ، ج٢، ص ١٥٧.

(٢) سورة طه آية: ٥.

(٣) سورة الملك آية: ١٦.

(٤) سورة فاطر: ١٠.

(٥) سورة المعارج آية: ٤.

(٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب كلام الرب مع جبريل ونداء الله الملائكة ج١٣، ص ٤٦١؛ وكتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ج٦، ص ٣٠٦.
؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاة الصبح والعصر والمحافظة عليها، ج٥، ص ١٣٣.

فيها جارية لي، فاطّلعتها ذات يوم فإذ الذئب قد ذهب منها بشاة ـ وأنا رجل من بني آدم ـ فأسفت فصككتها[(١)] فأتيت النبي ﷺ فذكرت ذلك له، فعظّم ذلك علي، فقلت: يا رسول الله أفلا أعتقها؟ قال: ادعها فدعوتها، فقال لها أين الله؟ قالت: في السماء قال: ومن أنا؟ قالت: أنت رسول الله، قال: أعتقها فإنها مؤمنة»[(٢)].

قال الذهبي رحمه الله: «هذا حديث صحيح أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي وغير واحد من الأئمة في تصانيفهم، يمرونه كما جاء ولا يتعرضون له بتأويل ولا تحريف. وهكذا رأينا كل من يسأل: أين الله؟ يبادر بفطرته ويقول في السماء ففي الخبر مسألتان: احداهما شرعية: قول المسلم: أين الله؟. وثانيهما: قول المسلم: في السماء. فمن أنكر هاتين المسألتين فإنما ينكر على المصطفى ﷺ»[(٣)]. وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: «أن رسول الله ﷺ قال في خطبته يوم عرفة: (ألا هل بلغت) فقالوا: نعم فجعل يرفع أصبعه إلى السماء وينكتها إليهم ويقول اللهم اشهد»[(٤)].

وعن عمران بن حصين قال: «إني عند النبي ﷺ إذ جاء قوم من بني تميم فقال: اقبلوا البشرى يا بني تميم، قالوا: بشرتنا فأعطنا، فدخل ناس من أهل اليمن فقال: اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم، قالوا قبلنا، جئناك لنتفقه في الدين، ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان؟ قال: كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، ثم خلق السموات والأرض، وكتب في الذكر كل شيء ثم أتاني رجل فقال يا عمران أدرك ناقتك فقد ذهبت فانطلقت أطلبها فإذا السراب ينقطع دونها، وأيمُ الله لوددت أنها قد ذهبت ولم أقم»[(٥)].

---

(١) الصك: هو الضرب الشديد بالشيء العريض / لسان العرب، ج ١٠، ص٤٥٦.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب المساجد ومواقع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة، ج٥، ص ٢٣.

(٣) مختصر العلو للعلي الغفار للذهبي تحقيق الألباني، ص ٨١.

(٤) سبق تخريجه، انظر البحث ص ٢٧٥.

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم، ج ١٣، ص ٤٠٣. وأيمُ الله معناه يمين الله. فتح الباري ج١١، ص ٥٢٢.

وبهذا تتظاهر الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ على علو الله سبحانه وتعالى واستوائه على عرشه استواءاً يليق بجلاله «وهذه المسألة من كبار مسائل العقيدة الإسلامية، ومع ظهورها، وكثرة الأدلة عليها وتنوعها، واتفاق الرسل، والكتب وأتباع الرسل عليها، ضل فيها طوائف كثيرة كالجهمية، والمعتزلة، وأكثر الأشعرية ولا يزال على الضلال فيها خلق كثير ممن يتبنى مذهب الأشعرية والماتريدية، معتقدين أن ذلك الضلال هو الحق وأنه مذهب أهل السنة، وأن أدلة كتب الله، ووحيه إلى رسله، ظواهر تدل على التشبيه بظاهرها، فلهذا يجب صرفها عن ذلك الظاهر.

ويرى هؤلاء أن من اعتقد ما دل عليه القرآن، والسنة بظاهرهما، أنه مشبه ومجسم، مع أن العقل والفطر السالمة من الانحراف، يتفقان على ما دل عليه وحي الله تعالى، ولهذا ترمي الأشعرية كل من اعتقد علو الله، واستواءه على عرشه على الحقيقة، بالتشبيه، والتجسيم.. ومن المؤسف أن بعض ضلالات الجهمية، قد ورثها كثير من علماء المسلمين كالأشعرية، الذين يزعمون أنهم أعداء لهم وخصوم، مع أنهم يتفقون معهم على إنكار علو الله تعالى، واستوائه على عرشه، ومجيئه لفصل القضاء بين عباده، ونزوله إلى السماء الدنيا كل ليلة، كما أخبر به رسول الله ﷺ.

كما أنهم يؤولون الصفات إلا قليلاً، تأويلاً يؤول إلى الإنكار، مثل اليدين، والرجل والقدم، والوجه، والرحمة، والمحبة، والضحك، والرضا، والغضب، والسخط، والمقت وغير ذلك. ويوافقون الجهمية في كون القرآن مخلوقاً، فإنهم يجعلون الكلام قسمين: نفسي، وهو المعنى القائم بالنفس وهذا هو الذي يصفون الله به، ولفظي حرفي، وهو المكتوب في المصاحف، وهو ليس كلاماً لله عندهم، بل هو عبارة عن كلام الله وهو مخلوق، وهذا قول الجهمية»(١).

قال شيخ الإسلام: «افترق الناس، في علو الله واستوائه أربع فرق:

---

(١) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، تأليف عبد الله بن محمد الغنيمان، مكتبة المدني، ١٤٠٥هـ، ج ١، ص ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥.

الأولى: الجهمية، النفاة، يقولون: ليس داخل العالم ولا خارجه، ولا فوق ولا تحت، وجميع الطوائف من أهل البدع يتمسكون بنصوص، إلا الجهمية.

الثانية: وهم الذين يقولون: إنه بذاته في كل مكان ويدخل فيهم الأشاعرة.

الثالثة: من يقول: أنه فوق العرش، وهو في كل مكان ويزعم أنه بذلك يجمع بين النصوص.

الرابعة: المتبعون للكتاب والسنة، والذين أثبتوا ما أثبته الله ورسوله ﷺ من غير تحريف، فآمنوا بأن الله فوق سماواته، مستوٍ على عرشه»[(١)].

«وعلوه سبحانه وتعالى كما هو ثابت بالسمع، ثابت بالعقل والفطرة، أما ثبوته بالعقل فمن وجوه: أحدها: العلم البديهي القاطع بأن كل موجودين، أما أن يكون أحدهما سارياً في الآخر قائماً به كالصفات، وأما أن يكون قائماً بنفسه بائناً من الآخر والثاني: أنه لما خلق العالم فإما أن يكون خلقه في ذاته أو خارجاً عن ذاته، والأول باطل.. والثاني يقتضي كون العالم واقعاً خارج ذاته، فيكون منفصلاً، فتعينت المباينة، لأن القول بأنه غير متصل بالعالم وغير منفصل عنه غير معقول... وإذا كان صفة العلو والفوقية صفة كمال، لا نقص فيه، ولا يستلزم نقصاً، ولا يوجب محذوراً، ولا يخالف كتاباً ولا سنة ولا إجماعاً، فنفي حقيقته يكون عين الباطل والمحال الذي لا تأتي به شريعة أصلاً، فكيف إذا كان لا يمكن الإقرار بوجوده وتصديق رسله، والإيمان بكتابه وبما جاء به رسوله: إلا بذلك؟ فكيف إذا انضم إلى ذلك شهادة العقول السليمة والفطر المستقيمة، والنصوص الواردة المتنوعة المحكمة على علو الله على خلقه، وكونه فوق عباده، وأما ثبوته بالفطرة، فإن الخلق جميعاً بطباعهم وقلوبهم السليمة يرفعون أيديهم عند الدعاء، ويقصدون جهة العلو بقلوبهم عند التضرع إلى الله تعالى»[(٢)].

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام، ج٥، ص ٢٢٩، ٢٣١.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق الألباني، ص ٢٨٥، ٢٩٠، ٢٩١.

صفتا المجيء والإتيان:

وهما صفتان ثابتتان لله سبحانه وتعالى: وتتجلى حين يأتي سبحانه لفصل القضاء بين عباده يوم القيامة: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٢١٠﴾[1] وقال تعالى: ﴿كَلَّآۖ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا ٢١ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾[2]. قال ابن كثيررحمه الله في تفسيره لسورة البقرة: «إن الناس إذا اهتموا لموقفهم في العرصات تشفعوا إلى ربهم بالأنبياء واحداً واحداً من آدم فمن بعده فكلهم يحيد عنها حتى ينتهوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم فإذا جاءوا إليه قال: (أنا لها) فيذهب فيسجد لله تحت العرش ويشفع عند الله في أن يأتي لفصل القضاء بين العباد فيشفعه الله ويأتي في ظلل من الغمام بعدما تنشق السماء الدنيا وينزل من فيها من الملائكة.. وينزل الجبار عز وجل في ظلل الغمام والملائكة ولهم زجل من تسبيحهم»[3].

ثم يخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يقوم به من الدعاء والسجود والشفاعة حتى ينزل الله ويجئ لفصل القضاء فعن أنس بن مالكرضي الله عنه قال: « قال رسول الله ﷺ: يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك فيقولون لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا، قال فيأتون آدم عليه السلام.. قال رسول الله ﷺ فيأتوني فاستأذن على ربي فيؤذن لي فإذا أنا رأيته وقعت ساجداً فيدعني ما شاء الله فيقال يا محمد ارفع رأسك قل تُسمع سل تعط اشفع تشفع فأرفع رأسي فأحمد ربي تحميد يعلمنيه ربي..»[4].

وعن أبي هريرةرضي الله عنه قال: «قال النبي ﷺ: يقول الله تعالى: أنا عند ظن

---

(١) سورة البقرة آية: ٢١٠.

(٢) سورة لفجر آية: ٢١، ٢٢.

(٣) تفسير ابن كثير، ج١، ص ٢١٧.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الأنبياء باب قول الله تعالى ج ١٣، ص ٣٩٢ ؛ صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الإيمان باب ما جاء في عصمة الأنبياء والشفاعة، ج٣، ص ٥٣.

عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة»[1].

قال شيخ الإسلام: «أما كون إتيانه ومجيئه ونزوله ليس مثل إتيان المخلوق ومجيئه ونزوله، فهذا أمر ضروري متفق عليه بين علماء السنة ومن له عقل فإن الصفات والأفعال تتبع الذات المتصفة الفاعلة، فإذا كانت ذاته مباينة لسائر الذوات ليست مثلها لزم ضرورة أن تكون صفاته مباينة لسائر الصفات ليست مثلها، ونسبة صفاته إلى ذاته كنسبة صفة كل موصوف إلى ذاته، ولا ريب أنه العلي العظيم، فهو أعلى من كل شيء، وأعظم من كل شيء، فلا يكون نزوله وإتيانه بحيث تكون المخلوقات تحيط به أو تكون أعظم منه أو أكبر، هذا ممتنع»[2].

«وقربه من العباد بتقربهم إليه مما يقر به جميع من يقول: إنه فوق العرش.. وأما من ينكر ذلك: فمنهم من يفسر قرب العباد بكونهم يقاربونه ويشابهونه من بعض الوجوه فيكونون قريبين منه.

ومنهم من يفسر قربهم بطاعتهم، ويفسر قربه بإثابته وهذا تفسير جمهور الجهمية؛ فإنهم ليس عندهم قرب ولا تقريب أصلاً..

وأما دنوه نفسه وتقربه من بعض عباده؛ فهذا يثبته من يثبت قيام الأفعال الاختيارية بنفسه، ومجيئه يوم القيامة، ونزوله واستوائه على العرش. وهذا مذهب أئمة السلف وأئمة الإسلام المشهورين وأهل الحديث، والنقل عنهم بذلك متواتر»[3]..

«على أن الآيات صريحة في بابها، لا تقبل شيئاً من تلك التأويلات: فالآية الأولى تتوعد هؤلاء المصرّين على كفرهم وعنادهم واتباعهم للشيطان بأنهم ما ينتظرون إلا أن يأتيهم الله عز وجل في ظلل من الغمام لفصل القضاء بينهم،

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب التوحيد، باب قوله تعالى، ج١٣، ص ٣٨٤.
(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام، ج ١٦، ص ٤٢٢.
(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام، ج ٥، ص ٤٦٥.

وذلك يوم القيامة، ولهذا قال بعد ذلك: ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾. وقوله: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ لا يمكن حملها على مجيء العذاب؛ لأن المراد مجيئه سبحانه يوم القيامة لفصل القضاء. والملائكة صفوف؛ إجلالاً وتعظيماً له، وعند مجيئه تنشق السماء بالغمام.. وهو سبحانه يجئ ويأتي وينزل ويدنو وهو فوق عرشه بائن من خلقه.

فهذه كلها أفعال له سبحانه على الحقيقة، ودعوى المجاز تعطيل له عن فعله، واعتقاد أن ذلك المجيء والإتيان من جنس مجيء المخلوقين وإتيانهم نزوع إلى التشبيه يفضي إلى الإنكار والتعطيل»[1].

صفة الرحمة والغضب والمحبة والرضا

وهذه الصفات الاختيارية من فعله سبحانه ثابتة بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ﴾[2]. و﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[3] وقال تعالى: ﴿وَبَاءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾[4]. ﴿وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾[5] وقال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[6]. و﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[7]. وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾[8]. و﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾[9].

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لما خلق الله الخلق كتب كتاباً، فهو

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للشيخ محمد الهراس، ص ١١٣ .

(٢) سورة الأنعام: ١٣٣.

(٣) سورة الأعراف: ٥٦.

(٤) سورة البقرة: ٦١.

(٥) سورة النساء: ٩٣.

(٦) سورة البقرة: ١٩٥.

(٧) سورة آل عمران: ٣١.

(٨) سورة الفتح: ١٨.

(٩) سورة المجادلة: ٢٢.

عنده فوق العرش: إن رحمتي سبقت أو تسبق غضبي»[1].

وعن أبي هريرةﷺ عن عائشةﷺ قالت: «فقدت رسول الله ﷺ، ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد وهما منصوبتان وهو يقول اللهم أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك»[2].

وفي حديث الشفاعة عن أبي هريرةﷺ: « قال أُتي رسول الله ﷺ يوماً.. فيأتون آدم فيقول يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فيقول آدم، إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله..»[3].

وعن أبي هريرةﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال: إني أحب فلاناً فأحبه قال: فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء. قال: ثم يوضع له القبول في الأرض. وإذا أبغض عبداً دعا جبريل فيقول إني أبغض فلاناً فأبغضه قال: فيبغضه جبريل ثم ينادي في أهل السماء إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه. قال: فيبغضونه ثم توضع له البغضاء في الأرض»[4].

وهذه الصفات الثابتة لله سبحانه وتعالى بما يليق بجلاله قد أوّلها الأشاعرة بمعنى الإرادة فقالوا: «والرحمة عندنا إرادة الإنعام. والغضب إرادة العقاب.

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى ويحذركم الله نفسه، ج ١٣، ص ٣٨٤.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب التوبة باب في سعة رحمة الله وأنها سبقت غضبه ج ١٧، ص ٦٧.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب التوبة، كتاب الإيمان باب الشفاعة، ج٣، ص ٦٧.

(٤) نفس المصدر كتاب البر والصلة والآداب، باب إذا أحب الله عبداً وضع له القبول في الأرض، ج١٦، ص ١٨٣، ١٨٤.

والمحبة والرضا إرادة الخير بالمحبوب والمرضي فهذا كله داخل في معنى الإرادة»[١].

«وينفي الأشاعرة والمعتزلة صفة المحبة؛ بدعوى أنها توهم نقصاً، إذ المحبة في المخلوق معناها ميله إلى ما يناسبه أو يستلذه.

فأما الأشاعرة؛ فيرجعونها إلى صفة الإرادة، فيقولون: إن محبة الله لعبده لا معنى لها إلا إرادته لإكرامه ومثوبته.

وكذلك يقولون في صفات الرضى والغضب والكراهية والسخط؛ كلها عندهم بمعنى إرادة الثواب والعقاب.. وأما أهل الحق؛ فيثبتون المحبة صفة حقيقية لله عز وجل على ما يليق به، فلا يقتضي عندهم نقصاً ولا تشبيهاً»[٢].

قال شيخ الإسلام: «وإن الذين قالوا يريد جميع المرادات بإرادة واحدة إنما أخذوه عن ابن كلاب، وجمهور العقلاء قالوا: هذا معلوم الفساد بالضرورة حتى أن من فضلاء النظار من ينكر أن يذهب إلى هذا عاقل من الناس، لأنه يراه ظاهر الفساد في العقل، ولم يعلم أنه قاله طائفة من النظار.

وكذلك من جعل نفس إرادته هي رحمته وهي غضبه يكون قوله ﷺ «أعوذ برضاك من سخطك» معناه يكون مستعيذاً عنده بنفس الإرادة من نفس الإرادة، وهذا ممتنع، فإنه ليس عنده للإرادة صفة ثبوتيه يستعاذ بها من أحد الوجهين.. بل الإرادة عنده لها مجرد تعلق بالمخلوقات والتعلق أمر عدمي. وهذا بخلاف الاستعاذة به منه، لأن له سبحانه صفات متنوعة فيستعاذ به باعتبار، ومنه باعتبار»[٣].

«والأشاعرة يتأولون هذا الصفات: أما بالإرادة، أو لقولهم إنها أزلية، وكل ذلك بناء على أصولهم في مسألة حلول الحوادث، ومذهب السلف أن هذه

---

(١) أصول الدين للبغدادي، ص ٤٦.
(٢) شرح العقيدة الواسطية، ص ١٠٢.
(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية، ص ١٥٨ ج ١٧.

الصفات كغيرها من الصفات يثبت ما ورد منها، ولا يجوز تأويل شيء منها، وأهل السنة يثبتونها كما يليق بجلال الله وعظمته من غير تشبيه بصفات المخلوقين ومن غير تكييف ولا تحريف ولا تعطيل»[1].

الصفات الذاتية الخبرية:

وهي صفات الكمال التي أثبتها الله لنفسه في كتابه وثبتت في سنة نبيه ﷺ مخبراً بها أمته فيما صح عنه من هدية ﷺ كالوجه واليدين والعين والساق وإثبات النفس لله تعالى وأن نفسه ذاته.

صفة الوجه:

قال تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾[2]. وقال ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[3] وقال :

وعن عتبان بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قد حرم الله على النار أن تأكل من قال لا إله إلا الله يبتغي به وجه الله»[5].

وعن جابر بن عبد الله قال: «لما نزل على رسول الله ﷺ ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾[6]. قال: أعوذ بوجهك، أو من تحت أرجلكم، قال: أعوذ بوجهك، أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض، قال: هاتان أهون وأيسر»[7].

---

(١) موقف ابن تيمية من الأشاعرة. د. عبد الرحمن الحمود، ج٣، ص ١٢٢٣.

(٢) سورة الرحمن آية: ٢٧.

(٣) سورة القصص: ٨٨.

(٤) سورة الإنسان: ٩ .

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب المساجد في البيوت، ج١، ص ٥١٩.
؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب قصة عتبان رضي الله عنه، ج١، ص ٢٤٢.

(٦) سورة الأنعام: ٦٥.

(٧) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الاعتصام، باب قوله تعالى أو يلبسكم شيعاً، ج١٣، ص ٢٩٥.

وعن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم عز وجل إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن»[1].

«والنصوص في إثبات الوجه من الكتاب والسنة لا تحصى كثرة، وكلها تنفي تأويل المعطلة الذين يفسرون الوجه بالجهة أو الثواب أو الذات، والذي عليه أهل الحق أن الوجه صفة غير الذات، ولا يقتضي إثبات كونه تعالى مركباً من أعضاء؛ كما يقوله المجسمة، بل هو صفة لله على ما يليق به، فلا يشبه وجهاً ولا يشبهه وجه، واستدلت المعطلة بهاتين الآيتين على أن المراد بالوجه الذات، إذ لا خصوص للوجه في البقاء وعدم الهلاك.

ونحن نعارض هذا الاستدلال بأنه لو لم يكن لله عز وجل وجه على الحقيقة لما جاء استعمال هذا اللفظ في معنى الذات؛ فإن اللفظ الموضوع لمعنى لا يمكن أن يستعمل في معنى آخر إلا إذا كان المعنى الأصلي ثابتاً للموصوف، حتى يمكن للذهن أن ينتقل من الملزوم إلى لازمه»[2].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل لا ينام ولاينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»[3].

قال ابن القيم رحمه الله: «وجه الرب جل جلاله حيث ورد في الكتاب والسنة فليس بمجاز بل على الحقيقة؛ واختلف المعطلون في جهة التجوز في هذا؛ فقالت طائفة: لفظ الوجه زائد؛ والتقدير ويبقى ربك. وقالت فرقة أخرى منهم:

---

(١) نفس المصدر، كتاب التوحيد، باب وجوه يومئذ ناضره، ج١٣، ص ٤٢٣.
؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة، ج٣، ص١٦.

(٢) شرح العقيدة الواسطية للشيخ الهراس، ص ١١٤.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في رؤية وجه الله عز وجل، ج٣، ص ١٣.

الوجه بمعنى الذات؛ وهذا قول أولئك وإن اختلفوا في التعبير عنه. وقالت فرقة: ثوابه وجزاؤه؛ فجعله هؤلاء مخلوقاً منفصلاً؛ قالوا لأن الذي يراد هو الثواب، وهذه أقوال نعوذ بوجه الله العظيم أن يجعلنا من أهلها..

إن من تدبر سياق الآيات والأحاديث والآثار التي فيها ذكر وجه الله الأعلى ذي الجلال والإكرام قطع ببطلان قول من حملها على المجاز، وأنه الثواب والجزاء لو كان اللفظ صالحاً وذلك في اللغة.. إن الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وجميع أهل السنة والحديث والأئمة الأربعة؛ وأهل الاستقامة من أتباعهم متفقون على أن المؤمنين يرون وجه ربهم في الجنة.. فمن أنكر حقيقة الوجه لم يكن للنظر عنده حقيقة، ولاسيما إذا أنكر الوجه والعلو، فيعود النظر عنده إلى خيال مجرد وإن أحسن العبارة قال: هو معنى يقوم بالقلب نسبته إليه كنسبة النظر إلى العين، وليس في الحقيقة عنده نظر ولا وجه ولا لذة تحصل للناظر»[١].

قال البيهقي: «فاستعاذ رسول الله ﷺ في الخبر بكلمات الله كما استعاذ بوجهه الكريم، فكما أن وجهه الذي استعاذ به غير مخلوق فكذلك كلماته التي استعاذ بها غير مخلوقة»[٢].

قال ابن القيم:

«والله لولا رؤية الرحمن في	الجنات ما طابت لذي العرفان
أعلى النعيم نعيم رؤية وجهه	وخطابه في جنة الحيوان»[٣]

إثبات النفس لله سبحانه وتعالى:

قال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾[٤]. وقال تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ

(١) الصواعق المرسلة، لابن القيم، ص ٣٥٠، ٣٥٣، ٣٥٤.

(٢) الأسماء والصفات للبيهقي، ج١، ص ٣٠٥؛ وانظر مشكاة المصابيح «أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم» وصححه الألباني ج ١، ص ٢٣٤.

(٣) توضيح المقاصد في شرح قصيدة ابن القيم الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، أحمد بن عيسى المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٠٦، ج٢، ص ٥٧٩.

(٤) سورة آل عمران: ٢٨.

أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾[2] وقال تعالى: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾﴾[3].

قال ابن خزيمة رحمه الله: «ذكر نفسه عز وجل ربنا عن أن تكون نفسه كنفس خلقه وعز عن أن يكون عدماً لا نفس له.. فأعلمنا ربنا أن له نفساً كتب عليها الرحمة أي ليرحم بها من عمل سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده على ما دل عليه سياق الآية»[4]. وقال الراغب الاصفهاني في المفردات: «نفسه، ذاته، وهذا إن كان قد حصل من حيث اللفظ مضاف ومضاف إليه يقتضي المغايرة وإثبات شيئين من حيث العبارة، فلا شيء من حيث المعنى سواه سبحانه عن الأثنوية من كل وجه»[5].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «التقى آدم وموسى فقال موسى لآدم: أنت الذي أشقيت الناس وأخرجتهم من الجنة؟ قال: فقال آدم لموسى: أنت موسى الذي أصطفاك الله برسالته وأصطفاك لنفسه، وأنزل عليك التوراة؟ قال: نعم قال: فهل وجدته كتب علي قبل أن يخلقني؟ قال: نعم، قال رسول الله ﷺ: فحج آدم موسى، فحج آدم موسى»[6].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه...»[7].

---

(١) سورة المائدة: ١١٦.

(٢) سورة الأنعام ٥٤.

(٣) سورة طه آية: ٤١.

(٤) كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، إمام الأئمة محمد بن خزيمة، تحقيق الشيخ محمد الهراس، ص ٥، ٦.

(٥) المفردات في غريب القرآن للراغب الاصفهاني، تحقيق محمد سيد الكيلاني، مطبعة الحلبي، ص ٥١١.

(٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب واصطنعتك لنفسي ج٨، ص ٤٣٤.

(٧) نفس المصدر كتاب التوحيد، باب قوله تعالي ويحذركم الله نفسه ج، ١٣، ص ٣٨٣.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن جويرية رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ مرّ بها حين صلى الغداة - أو بعدما صلى الغداة - وهي تذكر الله ثم مرّ بها بعدما ارتفع النهار أو بعدما انتصف النهار، وهي كذلك فقال لها: «لقد قلت منذ وقفت عليك كلمات ثلاث مرات هي أكثر وأرجح وأوزن مما كنت فيه منذ الغداة، سبحان الله عدد خلقه، سبحان الله رضا نفسه، سبحان الله زنة عرشه، سبحان الله مداد كلماته»(١).

وعن أبي ذر عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه قال: قال الله تعالى: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا»(٢).

قال ابن بطال رحمه الله في الفتح: «في هذه الآيات والأحاديث، إثبات النفس لله تعالى، وللنفس معانٍ، والمراد بنفس الله تعالى ذاته، وليس بأمر مزيد عليه فوجب أن يكون هو»(٣).

وقال شيخ الإسلام: «ونفسه هي ذاته المقدسة»(٤). «ويراد بنفس الشيء ذاته وعينه، كما يقال: رأيت زيداً نفسه، وعينه.. فهذه المواضع المراد فيها بلفظ النفس عند جمهور العلماء، فالله نفسه التي هي ذاته، المتصفة بصفاته، ليس المراد بها ذاتاً منفكة عن الصفات ولا المراد بها صفة للذات. وطائفة من الناس يجعلونها من باب الصفات، كما يظن طائفة أنها الذات المجردة عن الصفات، وكلا القولين خطأ»(٥).

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله في أضواء البيان: «ولا يخفى على كل عالم بالقوانين الكلامية والمنطقية أن إطلاق النفسية على شيء من صفاته جل

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الدعاء، باب التسبيح أول النهار وعند النوم، ج ١٧، ص ٤٤.

(٢) نفس المصدر. كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، ج١٦، ص ١٣٣.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ويحذركم الله نفسه ج ١٣، ص ٣٨٤.

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية، ج١٤، ص ١٩٦.

(٥) نفس المصدر ج ٩، ص ٢٩٢ - ٢٩٣.

وعلا أنه لا يجوز وأن فيه من الجرأة على الله عز وجل ما الله به عليم، وإن كان قصدهم بالنفسية في حق الله تعالى الوجود فقط وهو صحيح، إلا أن إطلاق الموهم المحذور في حقه تعالى لا يجوز وإن كان المقصود صحيحاً، لأن الصفة النفسية في الاصطلاح لا تكون إلا جنساً أو فصلاً كالحيوان بالنسبة إلى الإنسان، والفصل كالنطق بالنسبة إلى الإنسان. ولا يخفى أن الجنس في الاصطلاح قدر مشترك بين افراد مختلفة الحقائق كالحيوان بالنسبة إلى الإنسان والفرس، وأن الفصل صفة نفسية لبعض أفراد الجنس ينفصل بها عن غيره من الأفراد المشاركة له في الجنس، كالنطق بالنسبة للإنسان، فإن صفته النفسية التي تفصلها عن الفرس مثلاً المشارك له في الجوهرية والجسمية والنمائية والحساسية.

ووصف الله جل وعلا بشيء يراد به اصطلاحاً ما بينا من أعظم الجرأة على الله تعالى كما ترى، لأنه جل وعلا واحدٌ في ذاته وصفاته وأفعاله، فليس بينه وبين غيره اشتراك في شيء من ذاته ولا في صفاته حتى يطلق عليه ما يطلق على الجنس والفصل سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً»[1].

صفة اليدين:

وهي صفة كمال لائقة بجلال الله تعالى كما أخبرنا سبحانه في كتابه وبينها رسوله ﷺ أكمل بيان في سنته وفقهها أصحابه ﷺ ثم تابعوهم بحق إلى يوم الدين، وأعرض عن القول الحق أهل البدع والرأي والجدل. وتلك سنة الله في خلقه.

قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾[3].

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، عالم الكتب، بيروت، ج٢، ص٦٠٣.

(٢) سورة المائدة: ٦٤.

(٣) سورة الزمر: آية: ٦٧.

وقال تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾(١).

وعن أبي هريرةرضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يد الله ملأ لا يغيضها نفقه، سحاء الليل والنهار، وقال: أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض، فإنه لم يغض ما في يده؛ وقال: عرشه على الماء وبيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع»(٢).

وعن المغيرة بن شعبة قال: سأل موسى ربه عز وجل ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال: هو رجل يجئ بعدما دخل أهل الجنة الجنة فيقال له: ادخل الجنة. فيقول: أي ربي وكيف أدخل وقد نزل الناس منازلهم، وقد أخذوا أُخُذَاتهم، فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ما كان يكون لملك من ملوك الدنيا؟ فيقول رضيت رب؛ فيقال: ولك مثل هذا ومثله ومثله ومثله ـ حتى عقد خمساً ـ فيقول رضيت، فيقول: لك هذا وعشرة أمثاله، فيقول: رب رضيت، فيقال: لك هذا وما اشتهت نفسك ولذت عينك، قال: يا رب أخبرني بأعلاهم منزلة قال: أولئك الذين أردت وسوف أخبرك: غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها، فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر ـ قال ـ ومصداقه في كتاب الله: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ﴾(٣)(٤).

وعن أبي هريرةرضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لولا أن أشق على المؤمنين ما قعدت خلف سرية تغزوا في سبيل الله تعالى، ولكن لا أجد سعة فأحملهم، ولا يجدون سعة فيتبعوني، ولا تطيب أنفسهم أن يقعدوا بعدي»(٥).

---

(١) سورة ص: ٧٥.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب لما خلقت بيدي. ج١٣، ص ٣٩٣؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الزكاة، باب الحث على النفقة، ج٧، ص ٨٠.

(٣) سورة السجدة: ١٧.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الإيمان باب آخر أهل النار خروجاً، ج٣، ص ٤٤.

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الأمارة، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله، ج١٣، ص ٢٢.

قال شيخ الإسلام: «فهل يجوز أن يملأ الكتاب والسنة من ذكر اليد، وأن الله تعالى خلق بيده، وأن يداه مبسوطتان، وأن الملك بيده، وفي الحديث ما لا يحصى، ثم أن رسول الله ﷺ، وأولي الأمر: لا يبينون للناس أن هذا الكلام لا يراد به حقيقته ولا ظاهره.. وكيف يجوز للسلف أن يقولوا: أمروها كما جاءت مع إن معناها المجازي هو المراد وهو شيء لا يفهمه العرب، حتى يكون أبناء الفرس والروم أعلم بلغة العرب من أبناء المهاجرين والأنصار؟!.

ومن ذلك أنهم إذا قالوا: بيده الملك، أو عملته يداك، فهما شيئان: أحدهما: إثبات اليد، والثاني: إضافة الملك والعمل إليها، والثاني يقع فيه التجوز كثيراً، أما الأول فإنهم لا يطلقون هذا الكلام إلا لجنس له يد حقيقة، ولا يقولون يد الهوى ولا يد الماء، فهب أن قوله: بيده الملك، قد علم منه أن المراد بقدرته، لكن لا تجوز بذلك إلا لمن له يد حقيقة..

فهل تقبل هذه الأحاديث تأويلاً؛ أم هي نصوص قاطعة؟ وهذه أحاديث تلقتها الأمة بالقبول والتصديق»[1]. «ولا يمكن حمل اليدين هنا على القدرة فإن الأشياء جميعاً ـ حتى إبليس ـ خلقها الله بقدرته، فلا يبقى لآدم خصوصية يتميز بها.. وأيضاً؛ فلفظ اليدين التثنية لم يعرف استعماله إلا في اليد الحقيقية، ولم يرد قط بمعنى القدرة أو النعمة؛ فإنه لا يسوغ أن يقال: خلقه الله بقدرتين أو بنعمتين. على أنه لا يجوز إطلاق اليدين بمعنى النعمة أو القدرة أو غيرهما إلا في حق من اتصف باليدين على الحقيقة.. وأما احتجاج المعطلة بأن اليد قد أفردت في بعض الآيات، وجاءت بلفظ الجمع في بعضها، فلا دليل فيه، فإن ما يصنع بالاثنين قد ينسب إلى الواحد.. ترى لو لم يكن لله يدان على الحقيقة؛ هل كان يحسن هذا التعبير ببسط اليدين؟!»[2].

صفة العين:

وهي صفة لله تعالى أثبتها الله سبحانه لنفسه في كتابه وأثبتها رسول الله ﷺ في

---

(١) فتاوى ابن تيمية، ج٦، ص ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧٢.

(٢) شرح العقيدة الواسطية محمد خليل الهراس، ص ١١٥، ١١٦، ١١٧.

سنته، وآمن بها أهل السنة والجماعة بلا تكييف ولا تمثيل امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ۝٣٧﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[3]. وقوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ۝١٤﴾[4].

وعن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «ذكر الدجال عند النبي ﷺ فقال: إن الله لا يخفى عليكم، إن الله ليس بأعور ـ وأشار بيده إلى عينه ـ وأن المسيح الدجال أعور عين اليمنى، كأن عينه عنبة طافية»[5].

وعن قتادة قال: سمعت أنساً رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما بعث الله من نبي إلا أنذر قومه الأعور الكذاب، إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور، مكتوب بين عينيه كافر»[6].

وذكر البيهقي رحمه الله في كتاب الأسماء والصفات بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ قال: بعين الله تبارك وتعالى ـ قال البيهقي ـ قلت ومن أصحابنا من حمل العين المذكورة في الكتاب على الرؤية، وقال: قوله ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ معناه بمرأى مني. وقوله ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ إي بمرأى منا وكذلك قوله ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ أي بمرأى منا»[7].

---

(١) سورة طه: ٣٩.

(٢) سورة هود آية: ٣٧.

(٣) سورة الطور: ٤٨.

(٤) سورة القمر آية: ١٤.

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب التوحيد باب قوله تعالى: ولتصنع على عيني ج١٣، ص ٢٨٩؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى ولتصنع على عيني ج١٨، ص ٥٨.

(٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب التوحيد باب قوله تعالى: ولتصنع على عيني ج١٣، ص ٢٨٩؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى ولتصنع على عيني ج١٨، ص ٥٩.

(٧) كتاب الأسماء والصفات للبيهقي تحقيق عماد الدين حيدر، دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ، ج٢ ص ٤٢.

وقال أبن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ أي بمرأى منا..؛ وقوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ أي أصبر على أذاهم فإنك بمرأى منا وتحت كلأتنا والله يعصمك من الناس..؛ وقوله تعالى ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ أي بأمرنا بمرأى منا وتحت حفظنا وكلأتنا»[1] قال ابن حجر في الفتح: «قال الشيخ شهاب الدين السهروردي في كتاب العقيدة له: أخبر الله في كتابه ونسبت عن رسوله ﷺ، الاستواء والنزول والنفس واليد والعين، فلا يتصرف فيها بتشبيه ولا تعطيل إذ لولا إخبار الله ورسوله ما تجاسر عقل أن يحوم حول ذلك الحمى، قال الطيبي: هذا هو المذهب المعتمد وبه يقول السلف الصالح. وقال غيره لم ينقل عن النبي ﷺ ولا عن أحد من أصحابه من طريق صحيح التصريح بوجوب تأويل شيء من ذلك ولا المنع من ذكره، ومن المحال أن يأمر الله نبيه بتبليغ ما أنزل إليه من ربه وينزل عليه ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ ثم يترك هذا الباب فلا يميز ما يجوز نسبته إليه مما لا يجوز مع حضه على التبليغ عنه بقوله «ليبلغ الشاهد الغائب» حتى نقلوا أقواله وأفعاله وأحواله وصفاته وما فعل بحضرته، فدل على أنهم اتفقوا على الإيمان بها على الوجه الذي أراده الله منها، ووجب تنزيهه عن مشابهة المخلوقات بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ فمن أوجب خلاف ذلك بعدهم فقد خالف سبيلهم وبالله التوفيق. وقد سئلت هل يجوز لقارئ هذا الحديث أن يصنع كما صنع رسول الله ﷺ فأجبت وبالله التوفيق، أنه إن حضر عنده من يوافقه على معتقده وكان يعتقد تنزيه الله تعالى عن صفات الحدوث وأراد التأسي محضاً جاز...»[2].

بل إن تنزيه الله تعالى يتطلب إثبات ما أثبته لنفسه في محكم كتابه وأخبرنا به نبينا محمد ﷺ في الصحيح من سنته، وهذا ما ذكره الحافظ إمام الأئمة محمد بن خزيمة رحمه الله في كتابه التوحيد وإثبات صفات الرب في باب ذكر إثبات العين لله جل جلاله وعلا حيث يقول: «بيان النبي ﷺ الذي جعله الله مبيناً عنه عز وجل.. أن لله عينين فكان بيانه موافقاً لبيان محكم التنزيل الذي هو مسطور بين الدفتين

---

(١) تفسير ابن كثير، ج ٣، ص ١٢٩، ج ٢، ص ٢١٦، ص ٢٣٢.

(٢) فتح الباري شرح ابن حجر، ج ١٣، ص ٣٩٠ وانظر البحث ص ١٥٦.

مقروء في المحاريب والكتاتيب. . . ثم ذكر بسنده حديث أبي هريرة ـ وقرأ قوله تعالى: ﴿نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾[(١)] رأيت رسـول الله ﷺ يضع إبهامه على أذنه وأصبعه التي تليها على عينه»[(٢)].

«واعلم أن المتكلمين من المعتزلة والأشاعرة ونحوهم، يزعمون أن من أثبت لله عينين ويدين ووجه ونحو ذلك مما جاءت بن النصوص، من أثبت ذلك على ظاهر اللفظ، إنه أثبت جوارح تشبه جوارح الخلق على حد زعمهم، تعالى الله وتقدس عن زعمهم وظنهم السيئ في الله ورسوله، حيث ظنوا أن ظاهر وصف الله نفسه، وظاهر وصف رسوله إياه يقتضي التشبيه، ولهذا تجد الذين تلقوا هذا الفكر، وتأثروا به، من الذين يشتغلون بالحديث إذا جاء ذكر ذلك قالوا: مثلاً إثبات صفة اليد لا من حيث الجارحة. . .»[(٣)].

قال أبو سعيد الدارمي رحمه الله: «قال بعض زعمائهم: زعم قوم أن لله عيناً، يريد كجارحة العين من الإنسان، وأرادوا التركيب واحتجوا بقـوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾[(٤)] ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[(٥)]، ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[(٦)].

قال أبو سعيد: أما ما ادعيت أن قوماً يزعمون أن لله عيناً فإنا نقوله لأن الله تعالى قاله ورسوله. وأما زعمك أنهم يثبتون جارحة كجارحة العين من الإنسان، على التركيب، فهذا كذب ادعيته علينا عمداً، وأنت تعلم أن أحداً لم يقله، ولكنك تريد التشنيع، ليكون هنالك قبولاً لدى الجهال، فمن الذي قال إنها جارح مركب؟ اذكره فإن قائله كافر. وكما تشنع بما تقرر من قولك: جسم مركب،

---

(١) سورة النساء: ٥٨.

(٢) كتاب التوحيد لابن خزيمة ص ٤٢، ٤٣؛ وانظر تفسير ابن كثير ج١، ص ٤٤٣ وصححه الحاكم ووافقه الذهبي ج٢، ص ٢٥٧.

(٣) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، عبد الله الغنيمان، ج١، ص ٢٨٨.

(٤) سورة طه آية: ٣٩.

(٥) سورة هود: ٣٧.

(٦) سورة الطور: ٤٨.

وجوارح، وأجزاء وأبعاض تريد أن يكف المؤمنون عن وصف الله تعالى بما وصف به نفسه في كتابه وما وصفه به رسوله.

ونحن لم نصف الله بجسم كأجسام المخلوقين ولا بعضو ولا بجارحة؛ لكنا نصفه بما يغيظك من هذه الصفات، التي أنت ودعاتك لها منكرون، فنقول: إنه الواحد الأحد، الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، ذو الوجه الكريم، والسمع السميع، والبصر البصير»[(١)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «إنه مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام أن الرسول ﷺ إذا أخبر بشيء من صفات الله تعالى وجب علينا التصديق به وإن لم نعلم ثبوته بعقولنا، ومن لم يقر بما جاء به رسول الله ﷺ حتى يعلمه بعقله فقد أشبه: الذين قال الله عنهم: ﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[(٢)].

ومن سلك هذا السبيل فهو في الحقيقة ليس مؤمناً بالرسول ولا متلقياً عنه الأخبار بشأن الربوبية، ولا فرق عنده بين أن يخبر الرسول بشيء من ذلك، أو لم يخبر به، فإن ما أخبر به إذا لم يعلمه بعقله لا يصدق به، بل يتأوله أو يفوضه، وما لم يخبر به إن علمه بعقله آمن به وإلا فلا فرق عند من سلك هذا السبيل بين وجود الرسول وأخباره، وبين عدم الرسول وعدم أخباره..

والقول الحق هو ما اعتقده السلف رحمهم الله من التصديق والإيمان بما جاء عن الله ورسوله واعتقادهم أن ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[(٣)]»[(٤)].

---

(١) عقائد السلف. نقض عثمان بن سعيد الدارمي على بشر المريسي، ص ٥٤٥، ٥٤٦.

(٢) سورة الأنعام: ١٢٤.

(٣) سورة الشورى: ١١.

(٤) شرح العقيدة الاصفهانية لابن تيمية، ص ١٢.



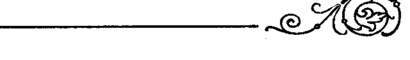


الفصل الثالث

استدلالهم بأحاديث الآحاد في باب القدر وموقف المخالفين منها والرد عليهم

وفيه:

- تمهيد.
- مذهب أهل السنة والجماعة في باب القدر.
- أدلة الإيمان بالقدر.
- أدلة مراتب القدر من السنة.
- الرد على المخالفين في باب القدر.
  - غلاة الإثبات للقدر.
  - الرد على الجهمية والجبرية.
  - الرد على الأشاعرة والماتريدية في القدر.
- نفاة القدر والرد عليهم.
- غلط المعتزلة في استطاعة العبد.
- منشأ الضلال في القدر.
- حكم من أنكر القدر.



تمهيد

إن تقدير الله لما كان وما هو كائن وما سيكون في هذا الكون «من الموضوعات الكبرى التي خاض فيها جميع الناس، مؤمنهم وكافرهم، على مر العصور والأزمان وقد تكلم فيها الجميع، وشغلت أذهان الفلاسفة والمتكلمين وأتباع الطوائف من أهل الملل والنحل وغيرهم، والسبب واضح وهو ارتباط القدر بحياة الناس وأحوالهم اليومية وما فيها من أحداث وتقلبات ليس لهم في كثير منها إرادة أو تأثير، ويكفي النظر في مسألة الحياة والموت ومسألة الغنى والفقر والصحة والمرض وتفاوت الناس فيها..

والأقوال في القدر ترجع دائماً إلى ثلاثة أقوال:

١ ـ قول أهل الجبر، الذين يقولون إن الإنسان مجبور على أفعاله وليس له إرادة ولا قدرة، ويمثل هذا في الفرق الإسلامية مذهب الجهمية ومن وافقهم، وهو ما يسمى في العصور المتأخرة بالمذهب الحتمي.

٢ ـ ويقابلهم قول أهل حرية الإرادة واستقلال الإنسان في أفعاله عن خالقه، وأن الإنسان له إرادة مستقلة عن إرادة الله، كما أنه هو الذي يخلق أفعاله، ويمثل هذا المذهب المعتزلة القدرية، ومن وافقهم.

٣ ـ قول أهل الوسط بين هؤلاء وهؤلاء، الذي يثبتون القدر، وأن الله خالق كل شيء، ويقولون أيضاً أن للإنسان إرادة ومشيئة ولكنها خاضعة لمشيئة الله، كما أن له قدرة يفعل بها فعله، لكنه هو الفاعل وأفعاله مخلوقة لله تعالى وهذا مذهب السلف واتباع الأنبياء.

وقد نشأ بين هذه الطوائف فرق أخرى، تميل في بعض المسائل إلى طائفة، وفي المسائل الأخرى إلى طائفة ثانية، ويكون الحكم عليها حسب ما يغلب على مذهبها، فقد يقال إنها مائلة إلى مذهب الجبر، أو إلى مذهب القدرية، أو إلى مذهب السلف.

ومن أشهر هذه الطوائف طائفة الأشعرية، حيث يغلب عليها مخالفة المعتزلة والميل إلى مذهب الجبرية، وإن لم يصلوا إلى حدّ موافقة الجهم في أقواله وفي غلوه»[١]. «ولما كان الكلام في هذا الباب نفياً أو إثباتاً موقوفاً على الخبر عن أسماء الله وصفاته وأفعاله وخلقه وأمره، فأسعد الناس بالصواب فيه من تلقى ذلك من مشكاة الوحي المبين، ورغب بعقله ونظرته وإيمانه عن آراء المتهوكين[٢].. واستمطر دِيمَ الهداية من كلمات أعلم الخلق برب العالمين»[٣]. «والقدر سر من أسرار الله تعالى لم يُطْلع عليه ملكاً مقرباً، ولا نبياً مرسلاً، ولا يجوز الخوض فيه والبحث عنه بطريق العقل، بل يعتقد أن الله تعالى خلق الخلق.. فجعلهم فريقين: أهل يمين خلقهم للنعيم فضلاً، وأهل شمال خلقهم للجحيم عدلاً، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾[٤]. وقد سأل رجل علي بن أبي طالبرضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر قال: طريق مظلم، فلا تسلكه، فأعاد السؤال فقال: بحر عميق لا تلجه، فأعاد السؤال فقال: سر الله خفي عليك فلا تفشه»[٥].

---

(١) موقف ابن تيمية من الأشاعرة، د. عبد الرحمن المحمود مكتبة الراشد، الرياض ١٤١٥هـ ج٣، ص ١٣٠٨، ١٣٠٩.

(٢) الأهوك الأحمق، ومتهوك متحير، قالﷺ: أمتهوكون أنتم.. قال أبو عبيدة معناه أمتحيرون. لسان العرب، ج١٠، ص ٥٠٨.

(٣) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدرة والحكمة والتعليل لابن القيم دار الكتب العلمية، بيروت، ص ٤.

(٤) سورة الأعراف: ١٧٩.

(٥) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن عبد الله بن عبد الوهاب، المكتب الإسلامي، ص ٦٨٥.

مذهب أهل السنة والجماعة في باب القدر:

لقد توسط أهل السنة والجماعة «السلف» في اعتقادهم أن القدر أمر اختص الله به في سابق علمه، وسجله في كتابه وشاء ما يريده، وأنه تعالى «خالق كل شيء، وربه ومليكه لا رب غيره ولا خالق سواه، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وهو على كل شيء قدير، وبكل شيء عليم، والعبد مأمور بطاعة الله، وطاعة رسوله، منهي عن معصية الله، ومعصية رسوله، فإن أطاع كان ذلك نعمة، وإن عصى كان مستحقاً للذم والعقاب، وكان لله عليه الحجة البالغة، ولا حجة لأحد على الله تعالى، وكل ذلك كائن بقضاء الله وقدره ومشيئته وقدرته، لكن يحب الطاعة ويأمر بها، ويثيب أهلها على فعلها ويكرمهم، ويبغض المعصية وينهى عنها ويعاقب أهلها ويهينهم، وما يصيب العبد من النعم فالله أنعم بها عليه، وما يصيبه من الشر فبذنوبه ومعاصيه كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفۡسِكَۚ﴾[2].

أي ما أصابك من خصب ونصر وهدى فالله أنعم به عليك، وما أصابك من حزن وذل وشر فبذنوبك وخطاياك، وكل الأشياء كائنة بمشيئة الله وقدرته وخلقه، فلابد أن يؤمن بقضاء الله وقدره، وأن يؤمن العبد بشرع الله وأمره»[3].

ثم قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وتؤمن الفرقة الناجية من أهل السنة والجماعة بالقدر خيره وشره.

والإيمان بالقدر على درجتين، كل درجة تتضمن شيئين:

فالدرجة الأولى: الإيمان بأن الله تعالى عليم بالخلق وهم عاملون بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلاً وأبداً، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات

---

(١) سورة الشورى: ٣٠.

(٢) سورة النساء: ٧٩.

(٣) القضاء والقدر لابن تيمية، ضبط د. أحمد السائح، د. السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، ١٤٢٢هـ ط٣، ص ٨٧.

والمعاصي والأرزاق والآجال، ثم كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق.

فـ «أول ما خلق الله القلم قال له: اكتب. قال: ما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة، فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، جفت الأقلام وطويت الصحف»[1].

وهذا التقدير التابع لعلمه سبحانه يكون في مواضع أخرى جملة وتفصيلاً: فقد كتب في اللوح المحفوظ ما شاء، وإذا خلق جسد الجنين قبل نفخ الروح فيه؛ بعث إليه ملكاً، فيؤمر بأربع كلمات، فيقال له: اكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد.[2] فهذا التقدير قد كان ينكره غلاة القدرية قديماً ومنكروه اليوم قليل.

وأما الدرجة الثانية: فهي مشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة وهو: الإيمان بأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.. والعباد فاعلون حقيقة والله خلق أفعالهم.

والعبد هو: المؤمن والكافر والبر والفاجر والمصلي والصائم، وللعباد قدرة على أعمالهم، ولهم إرادة والله خالقهم وقدرتهم وإرادتهم.. وهذه الدرجة من القدر يكذب بها عامة القدرية الذين سماهم النبي ﷺ مجوس هذه الأمة[3] ويغلو فيها قوم من أهل الإثبات، حتى سلبوا العبد قدرته واختياره، ويخرجون عن أفعال الله وأحكامه حكمها ومصالحها»[4].

---

(١) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في القدر، ج٥، ص ٧٦.
؛ الجامع الصحيح لسنن الترمذي، كتاب القدر، ج٤، ص ٤٥٧، وقال أبو عيسى: هذا حديث غريب من هذا الوجه.
؛ شرح العقيدة الطحاوية، ص ٣٦٤، وصححه الألباني في التعليق.

(٢) صحيح البخاري، كتاب، القدر، ج ١١، ص ٤٧٧.
؛ صحيح مسلم، كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه، ج١٦، ص ١٩٠.

(٣) سنن أبي داود باب القدر، ج٥، ٦٧، وحسنه الألباني بجميع طرقه، شرح الطحاوية، ص ٢٧٣.
؛ وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج٦، ق ١، ص ٥٦٤.

(٤) مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية - العقيدة الواسطية ج٢، ص ٤٠٤، ٤٠٥.

أدلة الإيمان بالقدر من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ:

وحيث إن الإيمان بالقدر خيره وشره أحد أركان الإيمان الستة بالله تعالى، وذلك لعلو منزلته وعظيم قدره في حياة المؤمن وآخرته؛ فقد جمع علماء أهل السنة والجماعة أدلة جليلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ لبيانه وإثبات وجوبه والردّ على منكريه والغالين فيه..

فمن القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾[2].

فمن هذه الآيات يتبين أركان الإيمان الستة التي ألزم الله بها عباده المؤمنين فلا يقبل إيمان من لم يؤمن بها مجتمعة، وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾[3].

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: «يستدل بهذه الآية الكريمة أئمة السنة على إثبات قدر الله السابق لخلقه، وهو علمه بالأشياء قبل كونها وكتابتها قبل برئها»[4]. وقال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾[5] وقال تعالى: ﴿لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾[6]. وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[7].

---

(١) سورة البقرة: ١٧٧.

(٢) سورة الفرقان آية: ١، ٢.

(٣) سورة القمر آية: ٤٩.

(٤) تفسير ابن كثير، ج٤، ص ٢٣٥.

(٥) سورة الأحزاب: ٣٨.

(٦) سور الأنفال: ٤٢.

(٧) سورة آل عمران: ١٦٦.

ومن السنة:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة قال: وعرشه على الماء»[١].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد سواد الشعر شديد بياض الثياب لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد أخبرني عن الإسلام فقال رسول الله ﷺ الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً قال صدقت فعجبنا له يسأله ويصدقه قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال: صدقت.»[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا ولكن قلْ قدّر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان»[٣]. وقد ذكر العلماء أن للقدر مراتب فصّلوها بأدلتها فيما يلي:

أدلة مراتب القدر من السنة:

المرتبة الأولى: مرتبة العلم:

وهي مرتبة يجب الإيمان بها وأن علم الله عز وجل محيط بكل شيء «وأنه

---

(١) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب الإيمان بالقدر والإذعان له، ج١٦، ص ٢١٥.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تعريف الإسلام والإيمان، ج١، ص ١٥٧.
؛ صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم، ج ١، ص ١١٤.

(٣) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب الإيمان بالقدر والإذعان له، ج ١٦، ص ٢١٥.

علم ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، وأنه علم ما الخلق عاملون قبل أن يخلقهم، وعلم أرزاقهم وآجالهم، وحركاتهم، وسكناتهم، وأعمالهم، ومن منهم من أهل الجنة، ومن منهم من أهل النار وأنه يعلم كل شيء بعلمه القديم المتصف به أزلاً وأبداً»[1].

فعن عمران بن حصينﷺ قال: « قيل يا رسول الله أَعُلم أهل الجنة من أهل النار؟ قال: فقال: نعم. قيل: ففيم يعمل العاملون؟ قال: كل ميسر لما خلق له»[2].

وعن أبي هريرةﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه، كما تنتجون البهيمة هل تجدون فيها من جدعاء، حتى تكونوا أنتم تجدعونها، قالوا يا رسول الله: أفرأيت من يموت وهو صغير؟ قال الله أعلم بما كانوا عاملين»[3].

وعن عائشة أم المؤمنينﷺ قالت: « دعي رسول الله ﷺ إلى جنازة صبي من الأنصار فقلت يا رسول الله طوبى لهذا عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه، قال أو غير ذلك يا عائشة إن الله خلق للجنة أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم وخلق للنار أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم»[4].

والآيات والأحاديث تثبت علم الله الكامل المحيط بكل مخلوقاته «ولهذا كان علم الله عز وجل غير مسبوق بجهل ولا ملحوق بالنسيان؛ كما قال موسى عليه الصلاة والسلام لفرعون: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ۝٥٢﴾[5] بخلاف علم المخلوق المسبوق بالجهل والملحوق بالنسيان.. فالله عالم

---

(١) القضاء والقدر، د. عبد الرحمن المحمود، دار الوطن، ١٤١٨هـ، ط٢، ص ٥٥.

(٢) صحيح مسلم شرح كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه، ج١٦، ص ١٩٨.

(٣) صحيح مسلم شرح كتاب القدر، باب كل مولود يولد على الفطرة، ج١٦، ص ٢١٠ ؛ صحيح البخاري، كتاب القدر، باب الله أعلم بما كانوا عاملين ج ١١، ص ٤٩٣.

(٤) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب حكم موتى أطفال الكفار والمسلمين، ج١٦، ص ٢١٢.

(٥) سورة طه: ٥٢.

بذلك قبل أن يخلق الإنسان فطاعتنا معلومة لله، ومعاصينا معلومة لله، وأرزاقنا معلومة له بخلاف علم الإنسان»[1].

المرتبة الثانية: مرتبة الكتابة:

وهي أن الله تعالى كتب مقادير وآجال المخلوقات في اللوح المحفوظ قبل أن يخلقها بخمسين ألف سنة كما ورد في الحديث السابق. قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾[2].

وهذه الآية من أوضح الأدلة على علمه المحيط بكل شيء، وأنه علم الكائنات كلها قبل وجودها ثم كتب الله ذلك في كتابه اللوح المحفوظ، فالآية جمعت المرتبتين العلم والكتابة.

وعن علي رضي الله عنه قال: «كنا جلوساً مع النبي ﷺ ومعه عود ينكت به في الأرض فقال: ما منكم من أحد إلا قد كتب مقعده من النار أو من الجنة. فقال رجل من القوم: ألا نتكل يا رسول الله؟ قال: لا، أعملوا فكل ميسر ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾﴾[3][4].

والحديث رواه مسلم بلفظ: عن علي رضي الله عنه قال: «كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا رسول الله ﷺ فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة، فنكس فجعل ينكت بمخصرته ثم قال: ما منكم من أحد، ما من نفس منفوسة إلا قد كتب الله تعالى مكانها من الجنة والنار، وإلا وقد كتبت شقية أو سعيدة، قال: فقال رجل: يا رسول الله أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل؟ فقال: من كان من أهل السعادة فيصير إلى عمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة فيصير إلى عمل أهل الشقاوة، ثم قال: اعملوا فكل ميسر، أما أهل السعادة فسييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فسييسرون لعمل أهل الشقاوة، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للشيخ محمد بن عثيمين ج، ٢، ص ١٩٥، ١٩٦.

(٢) سورة الحج آية: ٧٠.

(٣) سورة الليل آية: ٥.

(٤) صحيح البخاري، كتاب القدر، باب وكان أمر الله قدراً مقدوراً، ج١١،ص ٤٩٤.

﴿وَأَتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾[1]»[2].

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه ركب خلف رسول الله ﷺ يوماً فقال له رسول الله ﷺ يا غلام إني معلمك كلمات ينفعك الله بهن: « احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»[3]. ورواه الترمذي بنحوه وقال حديث حسن صحيح.

المرتبة الثالثة: مرتبة الإرادة والمشيئة:

وهو أن كل ما يجري في هذا الكون بمشيئة الله سبحانه وإرادته، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وهذا دليل عظيم على سعة ملكه وعظيم سلطانه فلا يحدث شيء في ملكه إلا بأمره وتدبيره ومشيئته، قال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾[4]. وقال تعالى: ﴿وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[5].

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال إنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء. ثم قال رسول الله ﷺ اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك»[6].

---

(١) سورة الليل الآيات: ٥ -١٠.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه، ج١٦، ١٩٥.

(٣) الجامع الصحيح لسنن الترمذي، كتاب صفة القيامة، ج٤، ص ٦٦٧؛ ورواه الإمام أحمد في مسنده، ج١، ص ٢٩٣، واللفظ له.

(٤) سورة الأنعام: ١٢٥.

(٥) سورة الأنعام: ٣٩.

(٦) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء، ج ١٦، ص ٢٠٤.

قال الإمام النووي رحمه الله في شرح الحديث: «هذا من أحاديث الصفات نؤمن بها من غير تعرض لتأويل ولا لمعرفة المعنى وأن ظاهرها غير مراد، والثاني يتأول بحسب ما يليق بها مجازاً فيقال فلان بين أصبعي أقلبه كيف شئت أي أنه مني على قهره والتصرف فيه كيف شئت، فإن قيل فقدرة الله تعالى واحدة والأصبعان للتثنية فالجواب أنه قد سبق أن هذا مجاز واستعارة..»[1].

وحيث إن الإمام النووي رحمه الله عاش في عصر طغى المذهب الأشعري على فكر الأمة، مما جعله سائراً على ما درج عليه علماء عصره، ويظهر ذلك في عدم إثبات صفة أصابع الرحمن كما هو مذهب الأشاعرة وحتى اليوم وتأويلهم الأصابع بالقوة والقهر والقدرة، ولكن الأصل في هذا ما ذهب إليه أهل السنة من إثبات ما يستحقه سبحانه من صفات أثبتها الله في كتابه أو أخبرنا بها نبيه صلى الله عليه وسلم في سنته الصحيحة من غير تحريف ولا تعطيل ولا تأويل فليس كمثله شيء سبحانه وتعالى.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يقل أحدكم اللهم اغفرلي إن شئت، ارحمني إن شئت، ارزقني إن شئت، وليعزم المسألة، إنه يفعل ما يشاء لا مكره له»[2].

قال النووي: «وفيه إثبات المشيئة لله تعالى، فهو الغفور الرحيم، والرزاق إذا شاء، وهو سبحانه يفعل ما شاء لا مكره له، والحديث فيه الحث على العزم في المسألة والجزم فيها دون ضعف أو تعليق على المشيئة، وإنما نهى عن التعليق على المشيئة لأنه لا يتحقق استعمال المشيئة في حق من يتوجه عليه الإكراه، والله سبحانه وتعالى لا مكره له، كما نص عليه الرسول ﷺ هنا»[3].

---

(١) شرح النووي لصحيح مسلم، ج ١٦، ص ٢٠٤.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب في المشيئة والإرادة، ج١٣، ص ٤٤٨؛ صحيح مسلم بشرح النووي: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب العزم في الدعاء ج ١٧، ص ٦.

(٣) شرح النووي لصحيح مسلم، ج ١٧، انظر ص ٦، ٧.

المرتبة الرابعة: مرتبة الخلق:

إن الله سبحانه خالق كل شيء في هذا الكون، بل الكون كله مخلوق لله ومن ذلك أعمال العباد، فالله خالق أعمالهم والعباد فاعلون بإرادتهم ومشيئتهم التي خلقها الله فيهم وخلق قدراتهم وحواسهم، فيؤول الأمر إلى خلق الله وحده لا شريك له، قال الله تعالى في قصة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾[1]. قال ابن كثير رحمه الله: «أي خلقكم وعملكم، فتكون ما مصدرية وقيل: إنها بمعنى الذي، فيكون المعنى: والله خلقكم وخلق الذي تعملونه بأيدكم وهو الأصنام وكلا القولين متلازم والأول أظهر لما رواه البخاري في كتاب أفعال العباد»[2].

حيث قال أبو عبد الله: «فأما أفعال العباد فقد حدثنا.. عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إن الله يصنع كل صانع وصنعته» وتلا بعضهم عند ذلك ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ فأخبر أن الصناعات وأهلها مخلوقة»[3].

وعن أبي موسى قال: «كنا مع النبي ﷺ في سفر فجعل الناس يجهرون بالتكبير فقال النبي ﷺ أيها الناس اربعوا على أنفسكم أنكم ليس تدعون أصماً ولا غائبا إنكم تدعون سميعاً قريبا وهو معكم قال وأنا خلفه وأنا أقول لا حول ولا قوة إلا بالله فقال يا عبد الله بن قيس ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة فقلت بلى يا رسول الله قال: قل لا حول ولا قوة إلا بالله»[4].

وقال النووي رحمه الله: «قال العلماء سبب ذلك أنها كلمة استسلام وتفويض إلى

---

(١) الصافات آية: ٩٥، ٩٦.

(٢) تفسير ابن كثير ج٤، ص ١٥.

(٣) المستدرك للحاكم وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي، ج١، ص ٨٥؛ خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، مؤسسة الرسالة، ط ٣، سنة ١٤١١هـ، ص ٢٥.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب استحباب الإكثار من قول لا حول ولا قوة إلا بالله، ج١٧، ص ٢٦.

الله تعالى واعتراف بالإذعان له وأنه لا صانع غيره ولا راد لأمره وأن العبد لا يملك شيئاً من الأمر ومعنى الكنز هنا أنه ثواب مدخر في الجنة وهو ثواب نفيس كما أن الكنز أنفس أموالكم، قال أهل اللغة: الحول الحركة والحيلة أي لا حركة ولا استطاعة ولا حيلة إلا بمشيئة الله تعالى وقيل معناه لا حول في دفع شر ولا قوة في تحصيل خير إلا بالله وقيل لا حول عن معصية الله إلا بعصمته ولا قوة على طاعته إلا بمعونته»[1].

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «رأيت النبي ﷺ يوم الخندق ينقل معنا التراب، وهو يقول:

والله لو الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ... ولا صلينا - وفي رواية ولا صمنا -

فأنزل سكينة علينا ... وثبت الأقدام إن لاقينا

والمشركون قد بغوا علينا ... إذا أرادوا فتنة أبينا[2]

وحيث إن الإمام البخاري قد أورد هذا النص في كتاب القدر وباب «وما كنا لنتهدي لو أن هدانا الله»؛ فإن هذا دليل على أن المقصود بأن الله سبحانه خالق هداية العباد وأفعالهم من الصدقة والصلاة والصيام وغيرها.

«فالله خالق كل شيء، فهو خالق كل عامل وعمله، وكل متحرك وحركته، وكل ساكن وسكونه، وما من ذرة في السموات ولا في الأرض إلا الله سبحانه وتعالى خالقها وحركتها وسكونها، سبحانه لا خالق غيره ولا رب سواه.. وللعباد قدرة على أعمالهم ولهم مشيئة، والله تعالى خالقهم وخالق قدرتهم ومشيئتهم وأقوالهم وأعمالهم، وهو تعالى الذي منحهم إياها وأقدرهم عليها وجعلها قائمة بهم مضافة إليهم حقيقة، وبحسبها كلفوا عليها يثابون ويعاقبون، ولم يكلفهم الله تعالى إلا وسعهم ولم يحملهم إلا طاقتهم، وقد أثبت الله تعالى ذلك لهم في

---

(1) شرح مسلم للنووي، ج ١٧، ص ٢٦.

(2) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب القدر، باب وما كنا لنتهدي لولا أن هدانا الله، ج١١، ص ٥٢٥؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الجهاد، باب غزوة الأحزاب وهي الخندق، ج١٢، ص ١٧١.

الكتاب والسنة، ووصفهم به، ثم أخبر تعالى أنهم لا يقدرون إلا على ما أقدرهم الله تعالى عليه ولا يشاؤون إلا أن يشاء الله عز وجل، ولا يفعلون إلا بجعله إياهم فاعلين.. فكما لم يوجد العباد أنفسهم لم يوجدوا أفعالهم، فقدرتهم وإرادتهم ومشيئتهم وأفعالهم، تبع لقدرة الله سبحانه وإرادته ومشيئته وأفعاله، إذ هو خالقهم وخالق قدرتهم ومشيئتهم وإرادتهم وأفعالهم.

والمقصود أن الله سبحانه في جميع تصرفاته في عباده فاعل حقيقة والعبد منفعل حقيقة.. ولهذا أضاف تعالى كلاً من الفعلين إلى من قام به فقال عز وجل ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾[1] فإضافة الهداية إلى الله تعالى حقيقة، وإضافة الاهتداء إلى العبد حقيقة، وكما أن الهادي تعالى ليس هو عين المهتدي، فكذلك ليست الهداية هي عين الاهتداء»[2]. «ولهذا أثنى على من يسأله أن يصبره فقال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[3] ففي الآية أربعة أدلة، أحدها قولهم: «أفرغ علينا صبراً» والصبر فعلهم الاختياري فسألوه ممن هو بيده ومشيئته وإذنه إن شاء أعطاهموه وإن شاء منعهموه، الثاني قولهم: «وثبت أقدامنا» وثبات الأقدام فعل اختياري، ولكن التثبيت فعله والثبات فعلهم، ولا سبيل إلى فعلهم إلا بعد فعله. الثالث: قولهم «وانصرنا على القوم الكافرين» فسألوه النصر وذلك بأن يقوي عزائمهم ويشجعهم ويصبرهم ويثبتهم ويلقي في قلوب أعدائهم الخور والخوف والرعب فيحصل النصر، وأيضاً فإن كون الإنسان منصوراً على غيره أما أن يكون بأفعال الجوارح وهو واقع بقدرة العبد واختياره، وإما أن يكون بالحجة والبيان والعلم وذلك أيضاً فعل العبد، وقد أخبر سبحانه أن النصر بجملته من عنده، وأثنى على من طلبه منه... فأعادت الرسل بكمال معرفتها بالله أمورها إلى مشيئة الرب وعلمه، ولهذا أمر الله رسوله أن لا يقول لشيء إني فاعله حتى يستثني بمشيئة الله فإنه إن شاء فعله وإن شاء لم يفعله..

---

(١) سورة الإسراء ٩٧.
(٢) معارج القبول للشيخ حافظ الحكمي، ج٣، ص ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢.
(٣) سورة البقرة آية ٢٥١، ٢٥٠.

وبالجملة فكل دليل في القرآن على التوحيد فهو دليل على القدر وخلق أفعال العباد، ولهذا كان إثبات القدر أساس التوحيد. قال ابن عباس: الإيمان بالقدر نظام التوحيد من كذّب بالقدر نقض تكذيبه توحيده»[1].

وبهذا تضافرت الأدلة من الكتاب والسنة على إثبات القدر وأنه من أركان الإيمان الستة وأن أهل السنة والجماعة يثبتون قدرة الله على جميع الموجودات ويثبتون المشيئة لله تعالى ويؤمنون بأن من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وهكذا مضى السلف الصالح وعلماؤهم على إثبات القدر على ما جاء في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والإيمان بمراتبه:

فقال الإمام أحمد رحمه الله: «ونؤمن بالقضاء والقدر خيره وشره، حلوه ومره من الله.. وأجمع سبعون رجلاً من التابعين، وأئمة السلف، وفقهاء الأمصار على أن السنة التي توفي عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم: أولها الرضاء بقضاء الله، والتسليم لأمر الله، والصبر تحت حكمه، والأخذ بما أمر الله به، والنهي عما نهى عنه، وإخلاص العمل لله، والإيمان بالقدر خيره وشره، وترك المراء والجدال والخصومات في الدين»[2] ويقول الإمام ابن قتيبة[3] رحمه الله: «وعدل القول في القدر أن تعلم أن الله عدل لا يجور، كيف خلق، وكيف قدر، وكيف أعطى، وكيف منع، وأنه لا يخرج من قدرته شيء، ولا يكون في ملكوته من السموات والأرض إلا ما أراد، وأنه لا دين لأحد عليه، ولا حق لأحد قبله، فإن أعطى فبفضل، وإن منع فبعدل، وان العباد يستطيعون ويعملون، ويجزون بما يكسبون،

(١) شفاء العليل لابن القيم ص ١١٦.

(٢) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي تحقيق د. عبد الله التركي صححه علي محمد عمر، سنة ١٣٩٩هـ، مكتبة الخانجي، ص ٢١٩، ٢٢٨.

(٣) هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة المروزي الدينوري ولد سنة ٢١٣هـ في بغداد وقيل ولد بمرو ولي قضاء مصر رحل إلى نيسابور ألف تأويل مشكل القرآن، وغريب القرآن، وغريب الحديث، وتأويل مختلف الحديث.. والرد على الجهمية والمشبهة وغيرها. توفي ببغداد وقيل بالكوفة سنة ٢٧٦هـ. عقيدة الإمام ابن قتيبة د. علي العلياني، مكتبة الصديق - الطائف سنة ١٤١٢هـ، انظر ص ٤٥ وما بعدها.

وإن الله لطيفة يبتديء بها من أراد، ويتفضل بها على من يحب، ويوقعها في القلوب فيعود بها إلى طاعته، ويمنعها من حقت عليه كلمته، فهذه جملة ما ينتهي إليه علم ابن آدم من قدر الله عز وجل، وما سوى ذلك مخزون عنده»[1].

وقال الإمام البغوي[2] رحمه الله في شرح السنة: «الإيمان بالقدر فرض لازم، وهو أن يعتقد أن الله تعالى خالق أعمال العباد، خيرها وشرها، كتبها عليهم في اللوح المحفوظ قبل أن خلقهم، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾[3]. وقال الله عز وجل: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[4]. وقال عز وجل: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾[5] فالإيمان والكفر، والطاعة والمعصية، كلها بقضاء الله وقدره، وإرادته ومشيئته، غير أنه يرضى الإيمان والطاعة، ووعد عليهما الثواب، ولا يرضى الكفر والمعصية، وأوعد عليهما العقاب، والقدر سر من أسرار الله لم يطلع عليه ملكاً مقرباً، ولا نبياً مرسلاً، لا يجوز الخوض فيه، والبحث عنه بطريق العقل، بل يعتقد أن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق فجعلهم فريقين: أهل يمين خلقهم للنعيم فضلاً، وأهل شمال خلقهم للجحيم عدلاً»[6].

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: «من أصول الإيمان الإيمانُ بالقدر خيره وشره وحلوه ومره.. وأن القدر لا شر فيه بوجهٍ من الوجوه، فإنه علم الله وقدرته وكتابه ومشيئته. وذلك خير محض وكمال من كل وجه، فالشر ليس إلى الرب تعالى بوجه من الوجوه، لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله، وإنما

---

(١) عقائد السلف جمع على سامي النشار وعمار الطالبي، منشأة المعارف، مصر ١٣٩١هـ، ص ٢٣٢.
(٢) شيخ الإسلام محي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن الفراء البغوي، صاحب التصانيف شرح السنة ومعالم التنزيل والمصابيح وكتاب التهذيب، توفي بمروالروز وقد ولد في بغشور ومات سنة ٥١٦هـ بخراسان، سير أعلام النبلاء ج ١٩، ص ٤٣٩، ٤٤٢.
(٣) سورة الصافات آية: ٩٦.
(٤) سورة الرعدة: ١٦.
(٥) سورة القمر آية: ٤٩.
(٦) شرح السنة للإمام أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، ومحمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي ١٣٩٠هـ، ج ١، ص ١٤٢.

يدخل الشر الجزئي الإضافي في المقضي المقدر ويكون شراً بالنسبة إلى محل وخيراً بالنسبة إلى محل آخر.

وقد يكون خيراً بالنسبة إلى المحل القائم به من وجه، كما هو شر له من وجه، بل هذا هو الغالب، وهذا كالقصاص وإقامة الحدود وقتل الكفار، فإنه شر بالنسبة إليهم لا من كل وجه بل من وجه دون وجه، وخير بالنسبة إلى غيرهم لما فيه مصلحة الزجر والنكال ودفع الناس بعضهم ببعض..

والحكم والقضاء نوعان: دينيّ وكونيّ. فالدينيَّ: يجب الرضا به، وهو من لوازم الإسلام، والكوني: منه ما يجب الرضا به، كالنعم التي يجب شكرها ومن تمام شكرها الرضا بها، ومنه ما لا يجوز الرضا به كالمعائب والذنوب التي يسخطها الله وإن كانت بقضائه وقدره، ومنه ما يستحب الرضا به كالمصائب، وفي وجوبه قولان. هذا كله في الرضا بالقضاء الذي هو المقضي، وأما القضاء الذي هو وصفه سبحانه وفعله، كعلمه وكتابه وتقديره ومشيئته، فالرضا به من تمام الرضا بالله رباً وإلهاً ومالكاً ومدبراً.

فبهذا التفصيل يتبين الصواب ويزول اللبس في هذه المسألة العظيمة»[(١)] ويتبين مذهب أهل السنة والجماعة في الإيمان بالقدر خيره وشره وأن ذلك من الإيمان بالله سبحانه وتعالى، وإثبات قدرة وإرادة المكلف واختياره، وإن ذلك لا يتعارض مع الإيمان بالقدر. فما أراد الله كائن، ولا يكون في ملكه سبحانه إلا ما يريد، وأن الله خالق كل شيء وأن العبد فاعل لعمله حقيقة وأن الله خالق المخلوق وفعله، وأنه محاسب على عمله خيراً وشراً.

أما المخالفون لمذهب أهل السنة والجماعة فلهم أقوال سيتم إيرادها والرد عليها فيما يأتي مع بيان أمور تلحق بالقدر كالإستطاعة، والكسب والتعليل لأفعال الله، وغيرها.. مع الرد على أقوال المخالف للحق فيها.

---

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ٤٤٣، ٣٦١.

الرد على المخالفين في باب القدر

اختلف الناس في مسالة القدر إلى غلاة في الإثبات وهم الجبرية، وإلى غلاة في النفي وهم القدرية، وتوسط أهل السنة والجماعة فهداهم الله إلى الحق ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(١).

قال ابن تيمية رحمه الله وهو يتكلم عن وسطية أهل السنة والجماعة بين الفرق: «.. وهم في باب خلق الله وأمره وسط بين المكذبين بقدر الله الذين لا يؤمنون بقدرته الكاملة ومشيئته الشاملة وخلقه لكل شيء وبين المفسدين لدين الله الذين يجعلون العبد ليس له مشيئة ولا قدرة ولا عمل، فيعطلون الأمر والنهي والثواب والعقاب فيصيرون بمنزلة المشركين الذين قالوا ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ﴾(٢). فيؤمن أهل السنة بأن الله على كل شيء قدير، يقدر أن يهدي العباد ويقلب قلوبهم وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فلا يكون في ملكه ما لا يريد، ولا يعجز عن إنفاذ مراده وأنه خالق كل شيء من الأعيان والصفات والحركات، ويؤمنون أن العبد له قدرة ومشيئة وعمل وأنه مختار ولا يسمونه مجبوراً لما يفعله فهو مختار مريد، والله خالقه وخالق اختياره وهذا ليس له نظير، فإن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله»(٣).

غلاة الإثبات للقدر:

وهم الذي تسمّوا بالجبرية: والجبر لغةً: «هو القهر والإكراه، والجبرية الذين يقولون أجبر الله العباد على الذنوب أي أكرههم، ومعاذ الله أن يكره أحداً على معصيته! ولكنه علم ما العبادُ عاملون»(٤).

---

(١) سورة البقرة: ٢١٣.

(٢) سور الأنعام: ١٤٨.

(٣) فتاوى شيخ الإسلام، ج ٣، ص ٣٧٣ - ٣٧٤.

(٤) لسان العرب لابن منظور، ج ٤، ص ١١٥، ١١٦.

والجبرية: هم الذين قالوا: «إن الإنسان لا يقدر على شيء، ولا يوصف بالاستطاعة، وإنما هو مجبور في أفعاله؛ لا قدرة له، ولا إرادة، ولا اختيار. وإنما يخلق الله تعالى الأفعال فيه على حسب ما يخلق في سائر الجمادات، وتنسب إليه الأفعال مجازاً كما تنسب إلى الجمادات.. والثواب والعقاب جبر، كما أن الأفعال كلها جبر.. وإذا ثبت الجبر فالتكليف أيضاً كان جبراً. ـ ثم قالوا ـ إن حركات أهل الخلد تنقطع، والجنة والنار تفنيان بعد دخول أهلهما فيهما.. وحملوا قوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ على المبالغة والتأكيد دون الحقيقة في التخليد»[1].

قال الإمام ابن حزم: «ذهبت طائفة إلى أن الإنسان مجبر على أفعاله وأنه لا استطاعة له أصلاً.. ثم احتجوا فقالوا لما كان الله تعالى فعالاً وكان لا يشبهه شيء من خلقه وجب أن لا يكون أحد فعالاً غيره، وقالوا معنى إضافة الفعل إلى الإنسان إنما هو كما تقول مات زيد وإنما أماته الله تعالى وقام البناء وإنما أقامه الله تعالى»[2].

وقال شارح الطحاوية رحمه الله: «اختلف الناس في أفعال العباد الاختيارية. فزعمت الجبرية ورئيسهم الجهم بن صفوان السمرقندي[3]: إن التدبير في أفعال الخلق كلها لله تعالى، وهي كلها اضطرارية، كحركات المرتعش، والعروق النابضة، وحركات الأشجار، وإضافتها إلى الخلق مجاز! وهي على حسب ما يضاف الشيء إلى محله دون ما يضاف إلى محصله!»[4].

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني، ج١، ص ٨٧، ٨٨ وقوله والثواب والعقاب جبر أي أن العبد لم يصنع ولم يصدر من جهته ما يستأهل بسببه أحدهما.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم، ج ٣، ص ١٤.

(٣) هو أبو محرز، الكاتب المتكلم، الضال المبتدع، رأس الجهمية، يقول بخلق القرآن، وأن الله في الأمكنة كلها، وينكر الصفات، والإيمان عقد القلب، قتل بمرو عام ١٢٨هـ. سير أعلام النبلاء، ج ٦، ص ٢٦ - ٢٧، الإعلام ج ٢، ص ١٤١ .

(٤) شرح العقيدة الطحاوية تحقيق ناصر الدين الألباني، ص ٤٣٦.

وإذا علم أن غلاة الجبرية ينفون الاختيار والإرادة عند المكلف فإن هناك؛ من قال بأن للمكلف قدرة وإرادة وذلك عند اقتران القدرة المحدثة والفعل وهو ما أسموه كسباً.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا عرف هذا فلفظ الكسب تطلقه القدرية على معنى، والجبرية على معنى، وأهل السنة على معنى، فكسب القدرية هو وقوع الفعل عندهم بإيجاد العبد وإحداثه ومشيئته من غير أن يكون الله شاءه أو أوجده.

وكسب الجبرية لفظ لا معنى له ولا حاصل تحته، وقد اختلفت عباراتهم فيه، وضربوا له الأمثال وأطالوا في المقال، فقال القاضي: الكسب ما وجد عليه قدرة مُحدِثة، وقال الإسفراييني[1] حقيقة الخلق من الخالق وقوعه بقدرته من حيث صح انفراده به، وحقيقة الفعل وقوعه بقدرته، وحقيقة الكسب من المكتسب وقوعه بقدرته مع عدم انفراده به، ويختص القديم تعالى بالخلق، ويشترك القديم والمحدث في الفعل، ويختص المحدث بالكسب..

ثم قال ابن القيم: ولخص بعض متأخريهم هذه العبارات بأن قال: الكسب عبارة عن الاقتران العادي بين القدرة المحدثة والفعل، فإن الله سبحانه أجرى العادة بخلق الفعل عند قدرة العبد وإرادته لا بهما، فهذا الاقتران هو الكسب، ولهذا قال كثير من العقلاء إن هذا من محالات الكلام...»[2].

«وذلك كقول من زعم: أن العبد كاسب ليس بفاعل حقيقة، وجعل الكسب مقدوراً للعبد، وأثبت له قدرة لا تأثير لها في المقدور، ولهذا قال جمهور العقلاء: إن هذا كلام متناقض غير معقول، فإن القدرة إذا لم يكن لها تأثير أصلاً في الفعل كان وجودها كعدمها، ولم تكن قدرة.. وهؤلاء المتبعون لجهم يقولون: إن العبد ليس بفاعل حقيقة؛ وإنما هو كاسب حقيقة، ويثبتون مع الكسب قدرة لا

(١) أبو إسحاق الإسفراييني، إبراهيم بن محمد بن مهران الأصولي الشافعي المتكلم صنف الجامع في أصول الدين ورسالة في أصول الفقه. مات سنة ٤١٨هـ، سير أعلام النبلاء ١٧/٣٥٣.

(٢) شفاء العليل لابن القيم، ٢٠٩، ٢١٠.

تأثير لها في الكسب، بل وجودها وعدمها بالنسبة إليه سواء، ولكن اقترنت من غير تأثير فيه، وزعموا أن كل ما في الوجود من القوى والطبائع والأسباب العلوية والسفلية كقدرة العبد لا تأثير لشيء منها فيما اقترنت به من الحوادث والأفعال والمسببات بل قرن الخالق هذا بهذا لا لسبب ولا لحكمة أصلاً»[1].

قال البغدادي[2]: «وقد ضرب بعض أصحابنا للإكتساب مثلاً في الحجر الكبير قد يعجز عن حمله رجل ويقدر آخر على حمله منفرداً به، إذا اجتمعا جميعاً على حمله كان حصول الحمل بأقواهما ولا خرج أضعفهما بذلك عن كونه حاملاً. كذلك العبد لا يقدر على الانفراد بفعله ولو أراد الله الانفراد بإحداث ما هو كسب للعبد قدر عليه ووجد مقدوره، فوجوده على الحقيقة بقدرة الله تعالى، ولا يخرج مع ذلك المكتسب من كونه فاعلاً»[3].

وبهذا اختص الأشاعرة بقولهم إن العبد مكتسب لفعله، وفسروا الكسب بقدرة لا تأثير لها في الفعل. «فإنهم راموا أن يأتوا بقول وسط بين القولين، فقالوا إن للإنسان كسباً، وإن المكتسب والكسب مخلوقان لله تعالى. وهذا لا معنى له. فإنه إذا كان الاكتساب والمكتسب مخلوقان لله سبحانه، فالعبد ولابد مجبور على اكتسابه»[4].

وقد تبعهم الماتريدية[5] في هذا «وقالوا بقدرة للعبد يخلقها الله فيه عند

---

(١) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ج ٨، ص ٤٦٧، ٤٦٨.

(٢) عبد القاهر بن طاهر أبو منصور البغدادي نزيل خراسان صاحب التصانيف البديعة من أئمة الأصول له كتاب التكملة في الحساب وأصول الدين والفرق بين الفرق مات بإسفرايين سنة ٤٢٩هـ. سير أعلام النبلاء ج ١٧، ص ٥٧٢، ٥٧٣.

(٣) أصول الدين للبغدادي، ص١٣٣، ١٣٤.

(٤) مناهج الأدلة في عقائد الملة لابن رشد تقديم. د. محمود قاسم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٣٨٩هـ، ط٣، ص ٢٢٥، ٢٢٦.

(٥) نسبة إلى زعيم طائفة الماتريدية الكلامية، أبو منصور محمد بن محمد الماتريدي السمرقندي له كتاب التوحيد، وتأويلات أهل السنة. كشف الظنون ج١، ص ٢٦٢. الأعلام، ج٧، ص ١٩.

قصده الفعل فكان هذا نوعاً آخر من الجبر وهو أنهم يثبتون للعباد إرادة جزئية، وهي غير مخلوقة، وأمرها بأيديهم.. ثم قالوا: إن هذه الإرادة الجزئية الصادرة من العباد، وهي لا موجودة ولا معدومة، إنما من قبيل الحال المتوسط بينهما أو من الأمور الاعتبارية، فلا يتضمن صدورها منهم معنى الخلق؛ إذ الخلق يتعلق بالموجود»[1].

«فالعبد عند الماتريدية له قدرة يخلقها الله فيه عند قصده الفعل قصداً مصمماً، طاعة كان أو معصية، وإن لم تؤثر قدرته في وجود الفعل لمانع، هو تعلق قدرة الله التي لا يقاومها شيء في إيجاد ذلك»[2].

وبهذا يتبين أقوال من ذهب إلى الجبر في أفعال العباد مثل أهل الغلو وهم الجهمية ومن تبعهم ممن لم يصرح بالجبر ولكن أتى بما يؤول إليه وهم الأشاعرة والماتريدية.

الرد على الجهمية الجبرية:

إن الله خالق العباد وأعمالهم، وهم فاعلون أعمالهم حقيقة: «وقال أهل الحق: أفعال العباد بها صاروا مطيعين وعصاة، وهي مخلوقة لله تعالى، والحق سبحانه وتعالى منفرد بخلق المخلوقات، لا خالق لها سواه، فالجبرية غلو في إثبات القدر، فنفوا صنع العبد أصلاً.. وهدى الله المؤمنين أهل السنة لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، فكل دليل صحيح يقيمه الجبري، فإنما يدل على أن الله خالق كل شيء، وأنه على كل شيء قدير، وأن أفعال العباد من جملة مخلوقاته، وإنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ولا يدل على أن العبد ليس بفاعل حقيقة ولا مريد ولا مختار.. وهذا هو الواقع في نفس الأمر، فإن أدلة الحق لا تتعارض، والحق يصدق بعضه بعضاً..فما استدلت

---

(١) موقف البشر تحت سلطان القدر، مصطفى صبري، سنة ١٣٥٢هـ، المطبعة السلفية القاهرة، ص ٦٩.

(٢) شرح الفقه الأكبر: علي قاري، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، سنة ١٣٩٩هـ، ص ٤٦.

به الجبرية، قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[(1)]. فنفى الله عن نبيه الرمي، وأثبته لنفسه سبحانه، فدل على أنه لا صنع للعبد، قالوا والجزاء غير مرتب على الأعمال، بدليل قوله ﷺ: «لن يدخل أحد الجنة بعمله، قالوا ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل»[(2)].

فأما ما استدلت به الجبرية من قوله تعالى ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ فهو دليل عليهم، لأنه تعالى أثبت لرسوله ﷺ رمياً، بقوله «إذ رميت» فعلم أن المثبت غير المنفي، وذلك أن الرمي له ابتداء وانتهاء: فابتداؤه الحذف، وانتهاؤه الإصابة، وكل منهما يسمى رمياً، فالمعنى والله أعلم: وما أصبت إذ حذفت ولكن الله أصاب. وإلا فطرد قولهم: وما صليت إذ صليت ولكن الله صلى! وما صمت إذ صمت.. وفساد هذا ظاهر.

وأما ترتب الجزاء على الأعمال فقد ضلت فيه الجبرية والقدرية، وهدى الله أهل السنة، وله الحمد والمنة، فإن الباء التي في الإثبات غير الباء التي في النفي، فالمنفي في قوله ﷺ: «لن يدخل الجنة أحد بعمله» باء العوض، وهو أن يكون العمل كالثمن لدخول الرجل الجنة.. والباء التي في قوله تعالى ﴿ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[(3)] وغيرها، باء السبب، أي بسبب عملكم، والله تعالى هو خالق الأسباب والمسببات، فرجع الكل إلى محض فضل الله ورحمته»[(4)].

وقال ابن القيم وهو يبين ما اشتملت عليه الفاتحة من الرد على جميع المبطلين في تضمنها الرد على الجبرية وذلك من وجوه:

---

(1) سورة الأنفال: ١٧.

(2) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الممنافقين باب لن يخل أحد الجنة بعمله، ج ١٧، ص ١٦٠.

؛ فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل،ج ١١، ص ٢٩٤.

(3) سورة السجدة: ١٧.

(4) شرح العقيدة الطحاوية، ص ٤٣٧، ٤٣٨.

الأول : إثبات عموم حمده سبحانه، فإنه يقتضي ألا يعاقب عبيده على ما لا قدرة لهم عليه ولا هو من فعلهم، بل هو بمنزلة ألوانهم وطولهم وقصرهم بل هو يعاقبهم على نفس فعله بهم فهو الفاعل لقبائحهم في الحقيقة، وهو المعاقب لهم عليها، فحمده عليها يأبى ذلك أشد الإباء، وينفيه أعظم النفي فتعالى من له الحمد كله عن ذلك علواً كبيراً؛ بل إنما يعاقبهم على نفس أفعالهم التي فعلوها حقيقة، فهي أفعالهم لا أفعاله وإنما أفعاله العدل والإحسان والخيرات.

الثاني: إثبات رحمته ورحمانيته ينفي ذلك إذ لا يمكن مع اجتماع هذين الأمرين قط: أن يكون رحماناً رحيماً، ويعاقب العبد على ما لا قدرة له عليه ولا هو من فعله بل يكلفة ما لا يطيقه ولا له قدرة البتة ثم يعاقبه عليه، وهل هذا إلا ضد الرحمة ونقض لها وإبطال؟! وهل يصح في معقول أحد اجتماع ذلك والرحمة التامة الكاملة في ذات واحدة؟.

الثالث: إثبات العبادة والاستعانة لهم ونسبتها إليهم بقولهم: «نعبد ونستعين» وهي نسبة حقيقية لا مجازية والله لا يصح وصفه بالعبادة والاستعانة التي هي من أفعال عبيده، بل العبد حقيقة هو العابد المستعين، والله هو المقصود والمستعان به»[(١)].

قال الدكتور عواد المعتق: «إنه يترتب على القول بهذه البدعة لوازم باطلة منها: القول بابطال التكليف والثواب والعقاب، وإرسال الرسل وذلك أنه إذا كان العبد مجبوراً على عمله فكيف يثاب ويعاقب على ما لم يفعل؟ وكيف يكلف بعمل غيره؟ أليس هذا محض الظلم تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً، ولِمَ أرسل الله الرسل ما دام العبد كالريشة في مهب الريح؟!»[(٢)].

قال شيخ الإسلام: «وأما قول القائل: ما لنا في جميع أفعالنا مقدرة، فقد كذب فإن الله تعالى فرق بين المستطيع القادر، وغير المستطيع وقال: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ

---

(١) مدارج السالكين، ابن القيم، دار الحديث، القاهرة، ج ١، ص ٧٦، ٧٧.

(٢) وسطية السنة في القدر، د. عواد المعتق، مجلة البحوث الإسلامية عدد٣٤ سنة ١٤١٢هـ، ص٢٣٤.

مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾[1] وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[2] والله تعالى قد أثبت للعبد مشيئة وفعلا كما قال تعالى ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[3] وقال تعالى: ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[4] لكن الله سبحانه خالقه وخالق كل ما فيه من قدرة ومشيئة وعمل، فإنه لا رب غيره ولا إله سواه، وهو خالق كل شيء وربه ومليكه»[5]. «وأما جمهور أهل السنة المتبعون للسلف والأئمة فيقولون: إن فعل العبد فعل له حقيقة، ولكنه مخلوق لله ومفعول لله، لا يقولون هو نفس فعل الله، ويفرقون بين الخلق والمخلوق، والفعل والمفعول، وهذا الفرق حكاه الإمام البخاري في كتابه خلق أفعال العباد عن العلماء قاطبة»[6].

«والعبد بجملته مخلوق لله: جسمه، وروحه، وصفاته، وأفعاله، وأحواله، فهو مخلوق من جميع الوجوه، وخلق على نشأة وصفة يتمكن بها من إحداث إرادته وأفعاله، وتلك النشأة بمشيئة الله وقدرته وتكوينه، وهو لم يجعل نفسه كذلك، بل خالقه وباريه جعله محدثاً لإرادته وأفعاله، وبذلك أمره ونهاه، وأقام عليه حجته وعرّضه للثواب والعقاب، فأمره بما هو متمكن من إحداثه، ونهاه عما هو متمكن من تركه، ورتب ثوابه وعقابه على هذه الأفعال والتروك التي مكنه منها، وأقدره عليها وناطها به، فالرب أعطاه مشيئة وقدرة وإرادة، وعرفه ما ينفعه وما يضره، وأمره أن يجري مشيئته وإرادته وقدرته في الطريق التي يصل بها إلى غاية صلاحه»[7].

«نعم يعلم الله ـ بشمول علمه ـ ما سيكون عليه الإنسان باختياره من هدى

---

(١) سورة التغابن ١٦.
(٢) سورة آل عمران ٩٧.
(٣) سورة التكوير آية: ٢٨ - ٢٩.
(٤) سورة السجدة ١٧.
(٥) مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية، دار الباز، مكة المكرمة، ج ٢، ص ٩٣، ٩٤.
(٦) منهاج السنة لابن تيمية، ج٢، ص ٢٩٨.
(٧) شفاء العليل لابن القيم، مكتبة الرياض الحديثة، ص ١٣٧.

أو ضلال، وخير أو شر، وليس في علم الله بذلك شيء من معاني القهر والإلزام، وإنما هو مجرد انكشاف ما وقع وسيقع على السنة الدائمة التي رسم، وهي سنة الاختيار، التي بنى عليها التكليف والثواب والعقاب.

وإذاً فلا يسمح الإسلام أن يضل الإنسان أو ينحرف عن أمر الله في عقائده ودينه، ثم يعتذر بالقضاء والقدر. ولو صح ذلك لبطلت التكاليف، وكان بعث الرسل وإنزال الكتب، ودعوة الإنسان إلى دين الله وما يجب، ووعده بالثواب لأهل الخير، وبالعقاب لأهل الشر ـ باطلاً عبثاً ـ لا يتفق وحكمة الخالق الحكيم في تصرفه وتكليفه الرحيم بعباده، وهذا رأي الإسلام بالنسبة إلى اختيار الإنسان وجبره»[(١)].

قال شيخ الإسلام، : «ولم يُعرف أحد من السلف قال: إن الله أكره أحداً على معصية، بل أبلغ من ذلك أن لفظ الجبر منعوا من إطلاقه.. ونهوا عن أن يقال: إن الله جبر العباد، وقالوا: هذا بدعة في الشرع»[(٢)].

وبهذا يعلم مخالفة الجهمية لأهل الحق في قولهم بأن العباد مجبورون في أفعالهم «وكذلك نهجت الفرق الكلامية الأشعرية والماتريدية منهج الجهمية في كثير من أصولهم مثل الإرجاء والجبر والتأويل، وتقديم العقل على النقل، والقول بالمجاز...»[(٣)].

الرد على الأشاعرة والماتريدية في القدر:

إن كلا الفريقين قد خالفا أهل السنة في إثبات قدرة العبد وفعله وأنه مريد مختار لأفعاله وحركاته، وذلك بقولهم إن العبد له قدرة غير مؤثرة في الفعل ثم سميا ذلك كسباً عند الأشاعرة، وإرادة جزئية لا موجودة ولا معدومة من قبيل الأمور الاعتبارية فلا تأثير لقدرة العبد في إيجاد فعله وذلك عند الماتريدية.

---

(١) الإسلام عقيدة وشريعة، د. محمود شلتوت، ص ٥١.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ج ١٦، ص ١٤١ - ١٤٢.

(٣) الجهمية والمعتزلة وموقف السلف منهما، د. ناصر عبد الكريم العقل، دار الوطن، ١٤٢١هـ، ص ١٢٣.

«والتحقيق الذي عليه أئمة السنة وجمهور الأمة من الفرق بين الفعل والمفعول، والخلق والمخلوق، فأفعال العباد هي كغيرها من المحدثات مخلوقة مفعولة لله، كما أن نفس العبد وسائر صفاته مخلوقة مفعولة لله، وليس ذلك نفس خلقه وفعله، بل هي مخلوقة ومفعولة، وهذه الأفعال هي فعل العبد القائم به، ليست قائمة بالله ولا يتصف بها، فإنه لا يتصف بمخلوقاته ومفعولاته، وإنما يتصف بخلقه وفعله كما يتصف بسائر ما يقوم بذاته، والعبد فاعل لهذه الأفعال وهو المتصف بها، وله عليها قدرة، وهو فاعلها باختياره ومشيئته، وذلك كله مخلوق لله، فهي فعل العبد، وهي مفعول الرب»[1].

«والمقصود هنا أن جمهور المسلمين يقولون بالحق الذي دل عليه المنقول، والمعقول فيقولون: إن أفعال العباد مخلوقة لله مفعولة له، وهي فعل للعباد حقيقة لا مجازاً، وهم يثبتون ما لله في خلقه وأمره من الأسباب والحكم، وما جعله الله في الأجسام من القوى والطبائع في الحيوان وفي الجماد»[2].

«ولهذا قال أهل السنة وأهل الإثبات من سائر الطوائف: إن العبد فاعل لفعله حقيقة، بخلاف جمهور الأشعرية ومن وافقهم فإنهم يقولون: إنه فاعل مجازاً وليس حقيقة، ويقولون: إن فعل العبد فعل لله لا للعبد لأنهم مع سائر أهل السنة المثبتين للقدر يقولون: إن الله تعالى خالق أفعال العباد، وهم يقولون: إن فعل الله هو مفعوله، والخلق هو المخلوق.

فلما كان هؤلاء يقولون إن فعل الله هو مفعوله والخلق هو المخلوق، ويقولون: إن فعل العبد مخلوق لله لزمهم أن يقولوا إن فعل العبد فعل لله، وإذا كان فعله فعلاً لله لم يكن فعلاً له، لأن الفعل الواحد لا يكون فعلاً لفاعلين ولهذا قامت الشناعة عليهم من جماهير الناس المثبتين للقدر والنافين له»[3].

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام، ج٢، ص ١١٩، ١٢٠.

(٢) الصفدية لشيخ الإسلام تحقيق. د. محمد رشاد سالم، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ،ج ١، ص ١٥٤.

(٣) نفس المصدر، ج ١، ص ١٥٢.

«بل أصل هذا القول هو قول الجهم بن صفوان، فإنه كان يثبت مشيئة الله تعالى، وينكر أن يكون له حكمة أو رحمة، وينكر أن يكون للعبد فعل أو قدرة مؤثرة، وحكي عنه أنه كان يخرج إلى الجذمى ويقول: أرحم الراحمين يفعل مثل هذا؟ انكاراً لأن تكون له رحمة يتصف بها، وزعماً منه أنه ليس له إلا مشيئة محضة لا اختصاص لها بالحكمة، بل يرجح أحد المتماثلين بلا مرجح»[1].

«فهم ينكرون حكمته ورحمته، ويقولون ليس في أفعاله وأوامره لام كي، لا يفعل شيء لشيء، ولا يأمر بشيء لشيء، وكثير من المتأخرين المثبتين للقدر من أهل الكلام ومن وافقهم سلكوا مسلك جهم في كثير من مسائل هذا الباب، وإن خالفوه في بعض ذلك، إما نزاعاً لفظياً، وإما نزاعاً لا يعقل، وإما نزاعاً معنوياً، وذلك كقول من زعم: إن العبد كاسب ليس بفاعل حقيقة، وجعل الكسب مقدوراً للعبد، وأثبت له قدرة لا تأثير لها في المقدور، ولهذا قال جمهور العقلاء: إن هذا كلام متناقض غير معقول»[2].

بل إنهم «يقولون: إن الله قد يأمر بما ليس فيه منفعة ولا مصلحة البتة، بل يكون ضرراً محضاً إذا فعله المأمور به، وقد وافقهم على ذلك طائفة من متأخري أتباع الأئمة ممن سلك مسلك المتكلمين ـ أبي الحسن الأشعري وغيره ـ في مسائل القدر»[3].

«واستطال عليهم المنازعون في مسألة القدر واضطّروهم إلى أن جعلوا نفس ما يفعله العبد من القبيح فعلاً لله رب العالمين دون العبد، ثم أثبتوا كسباً لا حقيقة له؛ فإنه لا يعقل من حيث تعلق القدرة بالمقدور فرق بين الكسب والفعل؛ ولهذا صار الناس يسخرون بمن قال هذا..

واضطروهم إلى أن فسروا تأثير القدرة في المقدور بمجرد الاقتران العادي، والاقتران العادي يقع بين كل ملزوم ولازمه، ويقع بين المقدور والقدرة، فليس

(١) منهاج السنة، ج ٣، ص ٣١، ٣٢.
(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج ٨، ص ٤٦٦، ٤٦٧.
(٣) نفس المصدر، ج ١٦، ص ١٦٥، ١٦٦.

جعل هذا مؤثراً في هذا بأولى من العكس.. ولهذا فرّ القاضي أبو بكر إلى قول، وأبو إسحق الاسفرائيني إلى قول، وأبو المعالي الجويني إلى قول؛ لما رأوا ما في هذا القول من التناقض»[1].

قال شيخ الإسلام: «إن قدرة العبد لا يكون مقدورها إلا في محل وجودها ولا يكون شيء من مقدورها خارجاً عن محلها..

فإذا فسر التأثير بمجرد الاقتران فلا فرق بين أن يكون المقدور في المحل أو خارجاً عن المحل، وأيضاً قال لهم المنازعون: من المستقر في فطر الناس أن من فعل العدل فهو عادل، ومن فعل الظلم فهو ظالم، ومن فعل الكذب فهو كاذب، فإذا لم يكن العبد فاعلاً لكذبه وظلمه وعدله، بل الله فاعل ذلك لزم أن يكون هو المتصف بالكذب والظلم ـ وهذا من أعظم الباطل ـ.

ويقال للأشاعرة أيضاً: يقال لكم هنا ما تقولونه أنتم للمعتزلة في مسألة الكلام وأن من قام به الكلام فهو المتكلم، وأن الكلام إذا كان مخلوقاً كان كلاماً للمحل الذي خلقه فيه، فكذلك إرادة العبد وقدرته»[2].

وقد أدى بهم هذا التناقض إلى أن نفوا استطاعة المكلف قبل الفعل؛ فأجازوا أن يأمر الله سبحانه بما لا يطاق، ثم قالوا إن الله لا يأمر ولا يخلق لحكمة ثم نفوا التعليل والأسباب ثم أنكروا التحسين والتقبيح بالعقل الذاتيين.

«ولما أنكرت الجبرية الحكمة والتعليل والأسباب، وأبطلت هذا الأصل بعقولها وآرائها عجزوا عن جواب أسئلته، وسدوا على نفوسهم باب استماعها والجواب عنها، وفتحوا باب مكابرة العقول الصريحة، وإنكار تحسين العقل وتقبيحه، وإنكار الأسباب والقوى والطبائع والحكم والغايات المحمودة التي لأجلها يفعل الرب ما يفعله، ويأمر بما يأمر به، وجوزوا عليه أن يفعل كل شيء، وأن يأمر بجميع ما نهى عنه، وينهى عن كل ما أمر به، لا فرق عنده البتة

---

(١) فتاوى شيخ الإسلام، ج ٨، ص ١٢٨، ١٢٩.
(٢) فتاوى شيخ الإسلام، ج ٨، ص ١١٩، ١٢٠.

بين المأمور والمحظور، والكل سواء في نفس الأمر، ولكن هذا صار حسناً بأمره لا أنه في نفسه وذاته حسن، وهذا صار قبيحاً بنهيه لا أنه في نفسه وذاته قبيح»[1].

«والجهمية الجبرية يقولون: ليس للأمر حكمة تنشأ، لا من نفس الأمر، ولا من نفس المأمور به، ولا يخلق الله شيئاً لحكمة، ولكن نفس المشيئة أوجبت وقوع ما وقع، وتخصيص أحد المتماثلين بلا مخصص، وليست الحسنات سبباً للثواب ولا السيئات سبباً للعقاب، ولا لواحد منهما صفة صار بها حسنة أو سيئة، بل لا معنى للحسنة إلا مجرد تعلق الأمر بها، ولا معنى للسيئة إلا مجرد تعلق النهي بها، فيجوز أن يأمر بكل أمر حتى الكفر والفسوق والعصيان، ويجوز أن ينهى عن كل أمر حتى عن التوحيد والصدق والعدل، وهو لو فعل لكان كما لو أمر بالتوحيد والصدق والعدل، ونهى عن الشرك والكذب والظلم، هكذا يقول بعضهم...»[2].

ولهذا قال شيخ الإسلام: «وقد تدبرت عامة ما رأيته من كلام السلف ـ مع كثرة البحث عنه، وكثرة ما رأيته من ذلك ـ هل كان الصحابة والتابعون لهم بإحسان على ما ذكرته من هذه الأقوال التي وجدتها في كتب أهل الكلام من الجهمية والقدرية، ومن تلقى ذلك عنهم. مثل دعوى الجهمية أن الأمور المتماثلة يأمر الله بأحدهما وينهى عن الآخر، لا لسبب ولا لحكمة، أو أن الأقوال المتماثلة والأعمال المتماثلة من كل وجه يجعل الله ثواب بعضها أكثر من الآخر بلا سبب ولا حكمة، ونحو ذلك مما يقولونه كقولهم: إن كلام الله كله متماثل، وإن كان الأجر في بعضه أعظم، فما وجدت في كلام السلف ما يوافق ذلك، بل يصرحون بالحكم والأسباب، وبيان ما في المأمور به من الصفات الحسنة المناسبة وما في المنهي عنه من الصفات السيئة المناسبة للنهي عنه، ومن تفضيل بعض الأقوال والأعمال في نفسها على بعض، ولم أر عن أحد منهم قط أنه

---

(١) الصواعق المرسلة ص ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ج ١٧، ص ١٩٩.

خالف النصوص الدالة على ذلك، ولا استشكل ذلك، ولا تأوله على مفهومه، مع أنه يوجد عنهم في كثير من الآيات والأحاديث استشكال واشتباه، وتفسيرها على أقوال مختلفة قد يكون بعضها خطأ. والصواب هو القول الآخر»[1].

ولقد رفض ابن القيم قول الأشاعرة: بجواز التكليف بما لا يطاق، وأنكره بل وعده من الظن الكاذب، والاتهام الباطل تعالى الله عنه علواً كبيراً؛ إذ هو يتعارض مع عدله عز وجل وكمال غناه وشكره، فقال: «وتأمل قوله تعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾[2] كيف تجد في ضمن هذا الخطاب أن شكره تعالى يأبى تعذيب عباده سدى بغير جرم كما يأبى إضاعة سعيهم باطلاً؛ فالشكور لا يضيع أجر محسن ولا يعذب غير مسيء، وفي هذا رد لقول من زعم: إنه سبحانه يكلفه مالا يطيقه، ثم يعذبه على مالا يدخل تحت قدرته، تعالى الله عن هذا الظن الكاذب والحسبان الباطل علواً كبيراً، فشكره سبحانه اقتضى أن لا يعذب المؤمن الشكور، ولا يضيع عمله، وذلك من لوازم هذه الصفة؛ فهو منزه عن خلاف ذلك كما ينزه عن سائر العيوب والنقائص التي تنافي كماله، وغناه وحمده»[3].

أما الحسن والقبح للأشياء فلا يثبتان عند الأشاعرة إلا بالشرع؛ وذلك «لأنهم يميلون إلى الجبر في القدر، فقالوا بالتحسين والتقبيح الشرعي فقط.. والجمهور من السلف على أن ما كانوا فيه قبل مجيء الرسول من الشرك والجاهلية شيئاً قبيحاً، كان شراً، لكن لا يستحقون العذاب إلا بعد مجيء الرسول؛ ولهذا كان للناس في الشرك والظلم والكذب والفواحش ونحو ذلك ثلاثة أقوال: -

قيل: إن قبحها معلوم بالعقل، وأنهم يستحقون العذاب على ذلك في الآخرة، وإن لم يأتهم الرسول كما يقوله المعتزلة.

---

(١) نفس المصدر ج ١٧، ص ١٨٢.

(٢) سورة النساء آية: ١٤٧.

(٣) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ابن القيم تعليق وضبط سليم الهلالي، دار ابن الجوزي، ط الثانية ١٤٢١هـ، ص ٤٢٧، ٤٢٨.

وقيل: لا قبح ولا حسن، ولا شر فيهما قبل الخطاب، وإنما القبيح ما قيل فيه لا تفعل؛ والحسن ما قيل فيه افعل، أو ما أذن في فعله كما تقوله الأشعرية ومن وافقهم.

وقيل: إن ذلك سيء وشر وقبيح قبل مجيء الرسول؛ لكن العقوبة إنما تستحق بمجيء الرسول، وعلى هذا عامة السلف، وأكثر المسلمين، وعليه يدل الكتاب والسنة»[1].

«أما مذهب الماتريدية، فهو باطل؛ لأن ادعاءهم أن الإرادة الجزئية غير مخلوقة لله تعالى لأنها منزلة ما بين الموجود والمعدوم، وادعاء أن العباد يملكون إرادتهم الجزئية، لكونها غير مخلوقة لله تعالى، هذه الادعاءات كلها باطلة؛ لأنه قد ثبت أن الله خالق كل شيء، لا يستثنى من ذلك شيء، والقول باستقلال العبد في إرادته ليس بعيداً عن قول المعتزلة»[2].

أما الصوفية: وهم قوم جانبوا الصواب في القول والعمل؛ بل هم بلا نقل ولا عقل «وقالوا: حقيقة وشريعة! وهذا قبيح؛ لأن الشريعة ما وضعه الحق لمصالح الخلق، فما الحقيقة بعدها سوى ما وقع في النفوس من إلقاء الشياطين، وكل من رام الحقيقة في غير الشريعة؛ فمغرور مخدوع.

وإن سمعوا أحداً يروي حديثاً؛ قالوا: مساكين، أخذوا علمهم ميتاً عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت، فمن قال حدثني أبي عن جدي؛ قلت: حدثني قلبي عن ربي.. فإذا قالوا عن أصحاب الحديث أخذوا علمهم ميتاً عن ميت فقد طعنوا في النبوة، وعولوا على الواقع، ومتى أزري عن طريق سقط الأخذ به. ومن قال: حدثني قلبي عن ربي، فقد صرح أنه غني عن الرسول»[3].

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية، ج ١١، ص ٦٧٧.

(٢) مختصر لوامع الأنوار البهية للشيخ محمد بن علي بن سلوم، تعليق الشيخ عبد الرحمن السعدي، سنة ١٣٨٦هـ، ص ١٩٧.

(٣) المنتقى النفيس من تلبيس إبليس، لابن الجوزي، تعليق علي حسن عبد الحميد، دار الجوزي ١٤١٠هـ، ص ٥٠٩ -٥١١.

«فهؤلاء لا يستحسنون حسنة ولا يستقبحون سيئة؛ فإنهم لا يرون لمخلوق فعلاً؛ بل لا يرون فاعلاً إلا الله، بخلاف من شهد لنفسه فعلاً فإنه يذم ويعاقب، وهذا قول كثير من متأخري الصوفية المدعين للحقيقة، وقد يجعلون هذا نهاية التحقيق وغاية العرفان والتوحيد. وأما شهود القدر فيقال: لا ريب أن الله تعالى خالق كل شيء ومليكه، والقدر هو قدرة الله ـ كما قال الإمام أحمد ـ وهو المقدر لكل ما هو كائن، لكن هذا لا ينفي حقيقة الأمر والنهي والوعد والوعيد وأن من الأفعال ما ينفع صاحبه، فيحصل له به نعيم، ومنها ما يضر صاحبه فيجعل له به عذاب فنحن لا ننكر اشتراك الجميع من جهة المشيئة والربوبية وابتداء الأمور، لكن نثبت فرقاً آخر من جهة الحكمة والأوامر الإلهية ونهاية الأمور، فإن العاقبة للتقوى؛ لا لغير المتقين.

وقد قال الله تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾[1]»[2].

«ولهذا نجد المحتجين والمستندين إلى القدر ـ من النساك، والصوفية والفقراء والعامة والجند وغيرهم يفرون إليه عند اتباع الظن وما تهوى الأنفس، فلو كان معهم علم وهدى لم يحتجوا بالقدر أصلاً، بل يعتمدون عليه لعدم الهدى والعلم، وهذا أصل شريف من اعتنى به علم منشأ الضلال والغي لكثير من الناس»[3].

«ومعلوم أن الصوفية هم شر من ابتلي في هذا الباب حين اعتقدوا أن ما وقع فالله يحبه ويرضاه، وما لم يقع فالله لا يحبه ولا يرضاه، والواقع هو تبع القدر لمشيئة الله وقدرته، فالمقدور هو محبوب لله تعالى مهما كان على حد زعمهم»[4].

---

(١) آية ٢٨ سورة ص.

(٢) فتاوى شيخ الإسلام، ج ٨، ص ٣٠٥، ٣٠٨.

(٣) منهاج السنة النبوية لابن تيمية، مكتبة الرياض الحديثة، ج٢، ص ٣، ٤.

(٤) رسالة الاحتجاج بالقدر، لابن تيمية، المكتب الإسلامي، ص ٨٠، ٨١.

وعند الاستقراء تجد أن هؤلاء يحتجون بالقدر في ترك حق ربهم، ومخالفة أمره، لا في ترك ما يرونه حقاً لهم، ولا مخالفة أمرهم... بل - إنه يلزم على الاحتجاج بالقدر لازم باطل ألا وهو تعطيل الشرائع ويلزم عليها أن يكون إبليس، وفرعون، وقوم نوح، وعاد، وكل من عذبه الله بسبب مخالفته أمره، معذوراً، ويلزم أيضاً ألا يفرق بين المؤمنين والكفار، ولا بين أولياء الله وأولياء الشيطان، وهذه كلها لوازم معلوم بطلانها بالضرورة»[1].

وإذا كان هؤلاء وغيرهم قد ضلوا في إثبات القدر وغلوا في نسبته إلى قدرة الله مع تعطيل فعل العبد؛ فإن هناك من أنكر القدر وغلوا في الأمر والنهي.

نفاه القدر والرد عليهم

وقد تزعم القول بنفي القدر المعتزلة «ويسمون أصحاب العدل والتوحيد، ويلقبون بالقدرية، والعدلية. وهم قد جعلوا لفظ القدرية مشتركاً، وقالوا: لفظ القدرية يطلق على من يقول بالقدر خيره وشره من الله تعالى، احترازاً عن وصمة اللقب، إذ كان الذم به متفقاً عليه لقول النبي عليه الصلاة والسلام « القدرية مجوس هذه الأمة»[2] واتفقوا على أن العبد قادر خالق لأفعاله خيرها وشرها، مستحق على ما يفعله ثواباً وعقاباً في الدار الآخرة، والرب تعالى منزه أن يضاف إليه شر وظلم، وفعل هو كفر ومعصية، لأنه لو خلق الظلم كان ظالماً، كما لو خلق العدل كان عادلاً»[3].

«وقد افترقت فيما بينها عشرين فرقة، يجمعها في بدعتها أمور: منها قولهم جميعاً بأن الله تعالى غير خالق لأكساب الناس ولا لشيء من أعمال الحيوانات، وقد زعموا أن الناس هم الذين يقدرون على أكسابهم، وأنه ليس لله عز وجل في أكسابهم صنع وتقدير، ولأجل هذا سماهم المسلمون قدرية»[4].

---

(١) القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة، د. عبد الرحمن المحمود، دار الوطن، ط الثانية، ١٤١٨هـ، انظر ص ٤١٤، ٤١٥.

(٢) تقدم تخريجة ص ٣٠٦.

(٣) الملل والنحل للشهرستاني ج، ١، ص ٤٣، ٤٥.

(٤) الفرق بين الفرق للبغدادي، ص ١١٤، ١١٥.

وسمّوا معتزلة عندما «خرج واصل بن عطاء عن قول جميع الفرق المتقدمة، وزعم أن الفاسق من هذه الأمة لا مؤمن ولا كافر، وجعل الفسق منزلة بين منزلتي الكفر والإيمان، فلما سمع الحسن البصري من واصل بدعته هذه التي خالف بها أقوال الفرق قبله طرده عن مجلسه، فاعتزل عند سارية من سواري مسجد البصرة وانضم إليه قرينه في الضلالة عمرو بن عبيد[1]. فقال الناس يومئذ فيهما: إنهما قد اعتزلا قول الأمة، وسمي اتباعهما من يومئذ معتزلة»[2].

«وذهب سائر المعتزلة ومن وافقهم على ذلك إلى أن أفعال العباد محدثة فعلها فاعلوها ولم يخلقها الله عز وجل.

بل إن الشيعة في الغالب متابعون للمعتزلة في نفي القدر، فإنه من تمام قول الإمامية ـ وهو قول من وافق المعتزلة في توحيدهم وعدلهم من متأخري الشيعة ـ إن الله لم يخلق شيئاً من أفعال الحيوان: لا الملائكة ولا الأنبياء ولا غيرهم، بل هذه الحوادث تحدث بغير قدرته ولا خلقه، ومن قولهم أيضاً: إن الله تعالى لا يقدر أن يهدي ضالاً، ولا يقدر أن يضل مهتدياً.. وفي الجملة فالقوم لا يثبتون لله مشيئة عامة، ولا قدرة تامة، ولا خلقاً متناولاً لكل حادث، وهذا القول أخذوه عن المعتزلة، هم أئمتهم فيه»[3]. وأما الزيدية «وهم أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الذين ساقوا الإمامة في أولاد فاطمةرضي الله عنها، ولم يجوزوا ثبوت الإمامة في غيرهم... وعاصر زيد بن علي واصل بن عطاء المعتزلي فاقتبس منه الاعتزال وصار أصحابه كلهم معتزلة.. وأكثرهم في زماننا مقلدون لا يرجعون إلى رأي واجتهاد. أما في الأصول فيرون رأي المعتزلة حذو القذة بالقذة، ويعظمون أئمة الاعتزال أكثر من تعظيمهم أئمة أهل البيت»[4] .«وعلى الجملة

---

(١) أبو عثمان عمرو ابن عبيد البصري الزاهد المعتزلي القدري صحب الحسن ثم خالفه واعتزل حلقته له كتاب العدل والتوحيد مات سنة ١٤٢هـ. سير أعلام النبلاء للذهبي، ج٦، ص ١٠٤، ١٠٥.

(٢) الفرق بين الفرق للبغدادي، ص ١١٨.

(٣) منهاج السنة، لابن تيمية، ج١، ص ١٢٩، ١٣٠.

(٤) الملل والنحل للشهرستاني، ج ١، ص ١٥٤، ١٥٥، ١٦٢.

فهذا أمر أوضح من أن يشرح حتى قال بعض الأشاعرة وقد عدد الفرق: وأما الزيدية فلا ينبغي أن يعدوا فرقة مستقلة وإنما هم مقلدون للمعتزلة في الأصول والحنفية في الفروع.. وقد قيل فيهم ائتني بزيدي صغير أخرج لك منه رافضياً كبيراً، وائتني برافضي صغير أخرج لك من زنديقاً كبيراً، يريد أن مذهب الزيدية يجر إلى الرفض والرفض يجر إلى الزندقة[1][2].

وحيث إن المعتزلة قد اشتهر قولهم بالأصول الخمسة في عقيدتهم وهو التوحيد المتضمن لنفي الصفات لأن تعدادها يعني تعدد القدماء عندهم، وأصل العدل المتضمن نفي خلق الله لأفعال العباد لما يستلزم ذلك من وصف الله بأفعال عباده، وكذلك قولهم بنفي القدر لئلا يحاسب الله من قدر عليه ذلك! وأصل الوعد والوعيد وهو أن «الله وعد المطيعين بالثواب وتوعد العصاة بالعقاب وأنه يفعل ما وعد به وتوعد عليه لا محالة، ولا يجوز عليه الخلف والكذب»[3]!؟.

الأصل الرابع: المنزلة بين المنزلتين وهو أن «صاحب الكبيرة له منزلة تتجاذبها هاتان المنزلتان، فليست منزلته منزلة الكافر ولا منزلة المؤمن، بل له منزلة بينهما»[4].

وعند أهل السنة أن صاحب الكبيرة هو «مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، ولم تخرجه النصوص عن الإيمان لا في كتاب الله ولا في سنة نبيه ﷺ ولا في إجماع الأمة. وفي هذا يقول الطحاوي: «ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله»[5].

---

(١) الزندقة: هي من الوثنية أو القائل بالنور والظلمة أو من لا يؤمن بالآخرة وبالربوبية أو من يبطن الكفر ويظهر الإيمان. معجم ألفاظ العقيدة، تصنيف عامر عبد الله فالح، تقديم الشيخ عبد الله الجبرين، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ، ص ٢١٧.

(٢) العلم الشامخ في تفضيل الحق على الآباء والمشايخ للعلامة صالح المقبلي، مكتبة دار البيان، دمشق ١٤٠١هـ، ص ١٢، ٢١.

(٣) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار، ص ١٣٥، ١٣٦.

(٤) المصدر السابق، ص ٦٩٧.

(٥) شرح العقيدة الطحاوية ص ٣١٦.

الأصل الخامس: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: وقد خالفوا أهل السنة في:

١ ـ طريقة تغيير المنكر إذ أن تغيير المنكر عندهم يبدأ بالحسنى ثم باللسان ثم باليد ثم بالسيف بينما حديث تغيير المنكر يرشد إلى العكس، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»(١).

٢ ـ أوجبوا الخروج على السلطان. وعند أهل السنة أن ذلك يترتب عليه مفاسد من سفك الدماء وتفريق كلمة الأمة، والإسلام لا يبيح الخروج على السلطان إلا عندما يُظهر كفراً بواحاً ليس عنده فيه من الله برهان.

٣ ـ حمل السلاح في وجوه المخالفين من أصحاب المعاصي من أهل القبلة وعند أهل السنة أن صاحب الكبيرة ليس بكافر يستحل دمه(٢).

ويتبين بعد هذا اعتقاد المعتزلة ومن تابعهم وهم الشيعة والزيدية في القدر المتعلق بأفعال العباد وتقديرها؛ وحيث إنهم لا يثبتون تقدير الله لأفعال العباد، وقولهم إن عدل الله سبحانه يقتضي أن لا يقدر مقادير العباد ثم يحاسبهم على ما ليس لهم فيه إرادة ولا قدرة وأنهم مجبورون على ما قدر عليهم. ثم سموا ذلك عدلاً!.

وللرد عليهم:

أنكر المعتزلة صفات الله تعالى، ثم أنكروا خلقه لأفعال عباده ظناً منهم أنه يتصف بما يخلقه فيهم « والمعتزلة مشبهة في الأفعال معطلة في الصفات، ومن أصولهم الفاسدة أنهم يصفون الله بما يخلقه في العالم، إذ ليس عندهم صفة لله

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ج٢، ص ٢٢.

(٢) فرق معاصرة تنسب إلى الإسلام، د. غالب عواجي، المكتبة العصرية، جدة، ط الرابعة ١٤٢٢هـ، ص ١٢٠٠، ١٢٠١.

قائمة به ولا فعل قائم به فيسمونه به، ويصفونه بما يخلقه في العالم.. وقولهم إنه لو كان خالقاً لظلم العبد وكذبه لكان هو الظالم الكاذب.. وقد علم بصريح المعقول أن الله تعالى إذا خلق صفة في محل كانت صفة لذلك المحل.. والله تعالى لا يوصف بشيء من مخلوقاته، بل صفاته قائمة بذاته، وهذا مطرد على أصول السلف وجمهور المسلمين من أهل السنة وغيرهم، ويقولون إن خلق الله للسموات والأرض ليس هو نفس السموات والأرض؛ بل الخلق غير المخلوق، لاسيما مذهب السلف والأئمة وأهل السنة الذين وافقوهم على إثبات صفات الله وأفعاله »[١].

«وأما من قال: خلق الرب تعالى لمخلوقاته ليس هو نفس مخلوقاته قال: إن أفعال العباد مخلوقة كسائر المخلوقات، ومفعولة للرب كسائر المفعولات، ولم يقل إنها نفس فعل الرب وخلقه. بل قال إنها نفس فعل العبد، وعلى هذا تزول الشبهة؛ فإنه يقال الكذب والظلم ونحو ذلك من القبائح يتصف بها من كانت فعلاً له، كما يفعلها العبد، وتقوم به، ولا يتصف بها من كانت مخلوقة له إذا كان قد جعلها صفة لغيرة، كما أنه سبحانه لا يتصف بما خلقه في غيره من الطعوم والألوان..»[٢].

غلط المعتزلة في استطاعة العبد:

وذلك حين اعتقدوا وجوب أن تتقدم استطاعة العبد على الفعل ولا تقارنه، وأنكروا تقدير الله للأشياء قبل وقوعها، فأثبتوا الاستطاعة الشرعية التي هي مناط الأمر والنهي ونفوا الاستطاعة المقارنة للفعل الكونية التي هي مناط القضاء والقدر والتي يتحقق بها أن الأفعال مخلوقة لله مفعولة له وأن العبد هو الفاعل حقيقة ومسؤول ومحاسب عنها.

قال شيخ الإسلام: «قد تكلم الناس.. في استطاعة العبد هل هي مع فعله

---

(١) فتاوى شيخ الإسلام، ج ٨، ص ١٢٥، ١٢٦.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية، ج٨، ص ١٢٣.

أم قبله؟ وجعلوها قولين متناقضين، فقوم جعلوا الاستطاعة مع الفعل فقط وهذا هو الغالب على مثبتة القدر من المتكلمين.

وقوم جعلوا الاستطاعة قبل الفعل، وهو الغالب على النفاة من المعتزلة والشيعة.. والصواب الذي دل عليه الكتاب والسنة: أن الاستطاعة متقدمة على الفعل وتقارنه أيضاً استطاعة أخرى لا تصلح لغيره. قال الله تعالى في الأولى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾(1). ولو كانت هذه الاستطاعة لا تكون إلا مع الفعل لما وجب الحج إلا على من حج، ولما عصى أحد بترك الحج، ولا كان واجباً على أحد قبل الإحرام.

قال ﷺ لعمران بن حصين: «صل قائماً فإن لم تستطع فقاعداً فإن لم تستطع فعلى جنب»(2).

فإن كل أمر علق في الكتاب والسنة وجوبه بالاستطاعة وعدمه بعدمها لم يرد به المقارنة، وإلا لما كان الله قد أوجب الواجبات إلا على من فعلها وقد أسقطها عمن لم يفعلها فلا يأثم أحد بترك الواجب المذكور.

وقال الله تعالى في الثانية وهي: «الاستطاعة المقارنة الموجبة»: ﴿مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ﴾(3) فهذه هي الاستطاعة المقارنة الموجبة، إذ الأخرى لابد منها في التكليف».

فالأولى: هي الشرعية التي هي مناط الأمر والنهي والثواب والعقاب.

والثانية: هي الكونية التي هي مناط القضاء والقدر، وبها يتحقق وجود الفعل(4).

---

(1) سورة آل عمران ٩٧.

(2) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب تقصير الصلاة، باب إذا لم يطق قاعداً صلى على جنب، ج٢، ص ٥٨٧.

(3) سورة هود ٢٠.

(4) مجموع فتاوى ابن تيمية ج٨، ص ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣.

منشأ الضلال في القدر:

حين ضل القدرية النفاة والقدرية الجبرية؛ كان ذلك الضلال ناتج عن إعراضهم عن الحق وما جاء من الحق فكان مثلهما «مثل الأعور الذي يرى أحد جانبي الشيء، ولا يرى الجانب الآخر، فالقدرية النفاة قالوا: إن الله لا يريد الكفر والذنوب والمعاصي ولا يحبها ولا يرضاها، فكيف نقول إنه خلق أفعال العباد وفيها الكفر والذنوب والمعاصي.

والقدرية الجبرية آمنوا بأن الله خالق كل شيء وزعموا أن كل شيء خلقه وأوجبه فقد أحبه ورضيه.

وأهل السنة والجماعة أبصروا الحقيقة كلها.. فهم يقولون: إن الله وإن كان يريد المعاصي قدراً، فهو لا يحبها ولا يرضاها ولا يأمر بها بل يبغضها وينهى عنها.

وهذا قول السلف قاطبة، فيقولون: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن»[1].

والمحققون من أهل السنة يقولون: «الإرادة في كتاب الله نوعان:

أحدهما: الإرادة الكونية: وهي الإرادة المستلزمة لوقوع المراد التي يقال فيها: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

وأما النوع الثاني: فهو الإرادة الدينية الشرعية، وهي محبة المراد ورضاه ومحبة أهلة والرضا عنهم وجزاهم بالحسنى.. فهذه الإرادة لا تستلزم وقوع المراد إلا أن يتعلق به النوع الأول من الإرادة ولهذا كانت الأقسام أربعة:

أحدها: ما تعلقت به الإرادتان، وهو ما وقع في الوجود من الأعمال الصالحة، فإن الله أراده إرادة دين وشرع؛ فأمر به وأحبه ورضيه، وأراده إرادة كون فوقع؛ ولولا ذلك لما كان.

---

(١) القضاء والقدر د. عمر سليمان الأشقر، دار النفائس، الكويت، ط الثالثة ١٤١١هـ، ص ١٠٣.

الثاني: ما تعلقت به الإرادة الدينية فقط. وهو ما أمر الله به من الأعمال الصالحة، فعصى ذلك الأمر الكفار والفجار.

والثالث: ما تعلقت به الإرادة الكونية فقط، وهو ما قدره وشاءه من الحوادث التي لم يأمر بها: كالمباحات والمعاصي فإنه لم يأمر بها ولم يرضها ولم يحبها.

الرابع: ما لم تتعلق به هذه الإرادة ولا هذه، فهذا ما لم يكن من المباحات والمعاصي»[1].

حكم من أنكر القدر:

لقد رفض أهل السنة والجماعة هذه البدعة وأنكروها بالدليل والبرهان لكن اختلف حكمهم باختلاف هؤلاء القدرية:

فأما القدرية الأُول القائلون بإنكار العلم المتقدم وأن الأمر أنف أي مستأنف فقد حكموا بكفرهم وقد «قيل لأبي عبد لرحمن إنه ظهر قبلنا ناس يقرأون القرآن ويتقفرون العلم ـ وذكر من شأنهم ـ وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف، فقال: إذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم براء مني، والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر ثم ساق حديث جبريل وفيه.. وتؤمن بالقدر خيره وشره»[2].

وقال الشافعي: «ناظروا القدرية بالعلم فإن أقروا به خُصموا وإن أنكروه كفروا»[3].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد نص الأئمة كمالك والشافعي وأحمد على كفر هؤلاء الذين ينكرون علم الله القديم وأما القدرية المثبتون للعلم والكتابة

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية، ج ٨، ص ١٨٨، ١٨٩.
(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب كفر من نفي القدر، ج١، ص ١٥٦.
(٣) شرح العقيدة الواسطية لعبد العزيز الرشيد، ص ٢٩٦، ٢٧٠؛ وانظر مجلة البحوث الإسلامية عدد ٣٤ سنة ١٤١٢هـ. ص ٢٤٢؛ شرح الطحاوية ص ٢٧١.

المتأخرون فإنهم يقولون إن العبد يخلق فعل نفسه فقد حكموا عليهم بأنهم مبتدعة ضالون»[١].

ويقول شيخ الإسلام: «وأما جمهور القدرية فهم يقرون بالعلم والكتاب المتقدم لكن ينكرون أن الله خلق أفعال العباد، وكل هؤلاء مبتدعة ضالون»[٢].

ثم يقول في موضع آخر «وأما هؤلاء فإنهم مبتدعون ضالون لكن ليسوا بمنزلة أولئك»[٣] ويقول شارح الطحاوية الإمام ابن أبي العز: «والقدرية نفاة القدر جعلوا العباد خالقين مع الله تعالى ولهذا كانوا مجوس هذه الأمة، بل أردأ من المجوس من حيث أن المجوس أثبتوا خالِقَين وهم أثبتوا خالقين»[٤].

ولا زال مذهب الاعتزال باقياً ومؤثراً في هذا العصر متمثلاً في أصول بعض الفرق «كالزيدية أو فرق دخلها الاعتزال في مرحلة من مراحل تطورها كالرافضة والخوارج والأباضية.. وظهور مذهب المعتزلة من خلال أحزاب وجماعات جديدة اعتنقت مذهب الاعتزال..

وظهور اتجاهات عقلانية وعصرانية حديثة، وتوجد هذه الاتجاهات لدى كثير من المفكرين والأدباء والمثقفين والدعاة والحزبيين وغيرهم.. وقد تعارف كثير من الباحثين في العصر الحديث على تسمية الأحزاب والجماعات والاتجاهات الاعتزالية بالمدرسة العقلانية الحديثة أو العصرانية، وقد يصفون أنفسهم ويصفهم غيرهم بأصحاب التجديد»[٥].

بل يسمون أنفسهم أهل التنوير أو الحداثيين أو التقدميين، وهذه وتلك قد

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية، ج٨، ص ٢٢٨، وانظر ج ٧، ص ٣٨٥.
(٢) نفس المصدر، ج ٨، ص ٢٨٨، ٢٨٩.
(٣) نفس المصدر، ج٧، ص ٤٩٣.
(٤) شرح العقيدة الطحاوية، ص ٤٩٣.
(٥) الجهمية والمعتزلة، نشأتها وأصولها ومناهجها وموقف السلف منها. د. ناصر العقل، الرياض، دار الوطن سنة ١٤٢١هـ، ص ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢.

اعتمدت العقل وحده لفهم الإسلام والتمسك به فكانت عاملاً قوياً في ضعف الكيان الإسلامي والبعد عن منهج التلقي الإلهي والنهج النبوي.

وإن إعراض فرق أهل الكلام عن نصوص الوحي قرآن وسنة قد أدى بهم إلى مخالفة الحق في باب القدر وغيره من أبواب العقيدة فأدى بهم إلى القول بالكسب والقول بخلق أفعال العباد وإنكار القدر عند الغلاة السابقين وإنكار مسائل متعلقة بالقدر كالقول بتكليف ما لا يطاق وتجويز كل شيء وإن خالف العقل والقول بالأصلح والوجوب على الله ما لم يوجب على نفسه سبحانه.




الفصل الرابع

استدلال السلف بأحاديث الآحاد في باب النبوات ومو قف المخالفين منها والرد عليهم

وفيه:

- تمهيد.
- تعريف النبي.
- الفرق بين النبي والرسول.
- الوحي.
- الرد على المخالفين في باب النبوات.
- النبوة عند الجهمية والأشاعرة.
- النبوة عند السلف.
- صفات الرسل صلوات الله وسلامه عليهم.
- الرد على المخالفين في صفات الرسل.
- خطأ من قال بنبوة النساء.
- عصمة الأنبياء.
- دلائل النبوة.






- المعجزات: القرآن - الانشقاق - الإسراء والمعراج.
- إجابة دعوة الرسل.
- أحوال الأنبياء وأصحابهم.
- بشارات الأنبياء.

* * * * * *

تمهيد

حين أهبط الله تعالى آدمعليه السلام من الجنة وقد تاب عليه، أخبر سبحانه إنه سيتولاه وذريته بهداه وذلك عن طريق إرسال أنبيائه، فقال تعالى: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾[1].

فكانت نعمة الله الكبرى على عباده وحيٌ من الله فقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[2].

فأساس علم الأنبياء والمرسلين إنما كان وحياً من رب العالمين «فكانت نعمة الله تعالى أنه أنزل الصحف والكتب هداية للعقل وإرشاداً للفكر وسلامة للجسم وموافقة للفطرة ووقوفاً بالإنسان عند حدود الإنسانية وإيثاراً لصبغ الحياة بما يأمر به من الإيمان به وطاعته.

وقد جعل الله تعالى حملة تلك الكتب أفضل الناس في أقوالهم، وأشرفهم في أهليهم، وهم رسل الله تعالى وأنبياؤه من البشر إلى البشر»[3].

---

(١) آية ٣٨، ٣٩ سورة البقرة.

(٢) آية ١٦٣، ١٦٤ سورة النساء.

(٣) أركان الإيمان، وهبي سليمان غاوجي الألباني، مؤسسة الرسالة، ط الثالثة ١٤٠٤هـ، ص ١٣٨.

تعريف النبي:

ويأتي في اللغة مشتقا:

أ - إما مشتق من «النبأ وهو الخبر والجمع أنباء، وإن لفلان نبأ أي خبراً. وقوله عز وجل: ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝﴾[1] قيل عن البعث. وقيل عن أمر النبي صلى الله عليه وسلم. «فإنه إذا أنبأه الله فهو نبي الله سواء أنبأ بذلك غيره أو لم ينبئه»[2].

ب - وإن أُخذ من النبوة والنباوة، وهي الارتفاع عن الأرض، أي أنه الأشرف على سائر الخلق. فمن أنبأه الله وجعله منبئاً عنه فلا يكون إلا رفيع القدر علياً.

جـ - وإن أُخذ من النبيئ: فهو الطريق الواضح الجلي[3]. ولا شك أن الأنبياء يدلون ويرشدون إلى طريق الهدى الموصل إلى جنة المأوى.

قال شيخ الإسلام «ونبي الله من كان الله هو الذي ينبئه، ووحيه من الله.. والنبي يأتيه ملك كريم من عند الله ينبئه الله»[4].

أما الرسول فقد ورد في اللغة قولهم:

والإرسال: التوجيه، وقد أرسل إليه فهو مُرسلٌ ورسول.

وقال أبو بكر الأنباري في قول المؤذن: « أشهد أن محمداً رسول الله، أعلم وأبين أن محمداً رسول الله متابع للإخبار عن الله عز وجل. والرسول معناه في اللغة الذي يتابع أخبار الذي بعثه أخذاً من قولهم جاءت الإبل رَسَلاً أي متتابعة»[5].

---

(١) سورة النبأ آية ٢.

(٢) النبوات لابن تيمية، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥هـ، ص ٢٤٥.

(٣) لسان العرب لابن منظور، ج١، ص ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤.

(٤) النبوات لابن تيمية، ص ٢٥١.

(٥) لسان العرب لابن منظور، ج ١١، ص ٢٨٣، ٢٨٤.

وقال ابن الجرجاني في التعريفات: «الرسول في اللغة: هو الذي أمره المُرسِلُ بأداء الرسالة بالتسليم والقبض»[١].

الفرق بين النبي والرسول:

وهنا مسألة تحتاج إلى بيان وهي الفرق بين النبي والرسول، فالفرق بين النبي والرسول على المشهور:

«إن الرسول: إنسان ذكر أو حي إليه بشرع وأمر بتبليغه.

والنبي: إنسان ذكر أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه.

وكل من النبي والرسول يوحى إليه، لكن النبي قد يبعث في قوم مؤمنين بشرائع سابقة كأنبياء بني إسرائيل يأمرون بشريعة التوراة، وقد يوحى إلى أحدهم وحي خاص في قضية معينة، وأما الرسل فإنهم يبعثون في قوم كفار يدعونهم إلى توحيد الله وعبادته، فهم يرسلون إلى مخالفين فيكذبهم بعضهم، والرسول أفضل من النبي، والرسل يتفاضلون، قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾[٢].

وأفضل الرسل أولو العزم وهم خمسة: نوح وإبراهيم وموسى، وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام. وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾﴾[٣] وأفضل أول العزم الخليلان: إبراهيم ومحمد عليهما وعليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام، وأفضل الخليلين محمد صلى الله عليه وسلم»[٤].

---

(١) التعريفات للجرجاني، ص ١١٠.

(٢) سورة البقرة: ٢٥٣.

(٣) سورة الأحزاب: ٧.

(٤) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك، د. صالح بن فوزان الفوزان، البحوث العلمية - الرياض ١٤١٠هـ، ص ١٥٤، ١٥٥ وانظر شرح العقيدة الطحاوية ص ١٥٨.

قال شيخ الإسلام: «والمقصود هنا: الكلام على النبوة فالنبي هو الذي ينبئه الله، وهو ينبئ بما أنبأه الله به، فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه، فهو رسول، وأما إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله، ولم يرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالة، فهو نبي وليس برسول»[١].

الإيمان بجميع الرسل:

لقد فرض الله على المسلمين الإيمان بجميع رسل الله، دون تفريق بينهم فقال سبحانه: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٍ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾[٣].

«وإذا آمن الإنسان ببعض الرسل، ولم يؤمن بالبعض الآخر، وفرق بينهم في الإيمان فهو كافر»[٤] قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾[٥].

فكيف بأهل الكتاب وهم اليهود والنصارى الذين أنزلت عليهم كتب سماوية وأرسل إليهم رسل تترى، ثم هم اليوم يكفرون بنبي الهدى محمدﷺ، وخاتم الأنبياء والمرسلين، بل ويكفرون بالكتاب المبين والقرآن العظيم؛ نعم إنهم كفار ومن شك في كفرهم بعد هذا البيان من الله فليراجع عقيدته ويتوب إلى الله.

---

(١) النبوات لابن تيمية، ص ٢٥٥.

(٢) سورة البقرة أية: ١٣٦.

(٣) سورة البقرة آية: ٢٨٥.

(٤) العقائد الإسلامية، السيد سابق، ص ١٧٣.

(٥) سورة النساء آية: ١٥٠، ١٥١.

عدد الرسل الذين ذكرهم الله في القرآن:

ورد في كتاب الله تعالى ذكر خمسة وعشرين رسولاً «ولم يرسل رسولاً للبشرية كلها إلا محمدﷺ، واقتضى عدله ألا يعذب أحداً من الخلق إلا بعد أن تقوم عليه الحجة»[1] ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[2].

وقد ذكر الله ثمانية عشر منهم في موضع واحد وسورة واحدة فقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[3].

وقد ورد ذكر سبعة منهم في عدة آيات من القرآن وهم آدم، وهود، وصالح، وشعيب، وإدريس، وذو الكفل ومحمد عليهم الصلاة والسلام قال تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[4] وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ﴾[5] وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ﴾[6] وقال تعالى ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ﴾[7] وقال تعالى: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾[8] وقوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ﴾[9].

---

(١) الرسل والرسالات، د. عمر الأشقر، دار النفائس، الأردن الطبعة العاشرة ١٤٢١هـ، ص ١٧.

(٢) سورة الإسراء: ١٥.

(٣) سورة الأنعام آية: ٨٣ - ٨٦.

(٤) سورة آل عمران آية: ٣٣.

(٥) سورة الأعراف: ٦٥.

(٦) سورة هود: ٦١.

(٧) سورة هود: ٨٤.

(٨) سورة الأنبياء آية: ٨٥.

(٩) سورة الأحزاب آية ٤٠.

ثم ذكر الله تعالى في كتابه العزيز أن من الرسل من لم يرد ذكره في القرآن الكريم، فقال تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾(١).

وقد أخبرنا رسول الله ﷺ كما في مسند الإمام أحمد رحمه الله أن عدد المرسلين ٣١٥ رسولاً وعدد الأنبياء ١٢٤٠٠٠ نبياً، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: «أتيت رسول الله ﷺ وهو في المسجد فجلست. قال: يا أبا ذر هل صليت؟ قلت: لا، قال: قم فصل.. قلت يا رسول الله: أي الأنبياء كان أول؟ قال: آدم. قلت: يا رسول أونبي كان؟ قال: نعم نبي مكلم. قال قلت يا رسول كم كان المرسلون؟ قال ثلاثمائة وبضعة عشر جماً غفيراً وقال مرة خمسة عشر»(٢).

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: كان رسول الله في المسجد جالساً وكانوا يظنون أنه أنزل عليه فاقصروا عنه حتى جاء أبو ذر فاقتحم فأتى فجلس إليه فأقبل عليه النبي ﷺ فقال: «يا أبا ذر هل صليت؟... قال قلت يا نبي الله فأي الأنبياء كان أول؟ قال: آدم عليه السلام. قال قلت يا نبي الله أو نبي كان آدم؟ قال: نعم مُكَلّم خلقه الله ثم نفخ فيه روحه.. قال: قلت يا رسول الله كم وفى عدة الأنبياء؟ قال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جماً غفيراً»(٣).

إن هذا الكم العظيم في عدده وقدره وعلو منزلته عند الله سبحانه من الأنبياء والرسل لهو دلالة عظمى على حاجة العباد بل واضطرارهم إلى معرفة ما يربطهم بمولاهم وخالقهم وهذا أمر عجز عنه الحكماء والفلاسفة والمنظرون، فلا يكون ذلك إلا عن طريق من اختارهم الله وأرسلهم وأوحى إليهم، فلم يترك عباده جهالاً بموجدهم وبارئهم، «ومن هاهنا نعلم اضطرار العباد فوق كل ضرورة إلى معرفة الرسول وما جاء به، وتصديقه فيما أخبر به، وطاعته فيما أمر، فإنه لا

---

(١) سورة النساء آية: ١٦٤.

(٢) مسند الإمام أحمد، ج ٥، ص ١٧٨.

(٣) نفس المصدر، ج٥، ص ٢٦٦. وانظر مشكاة المصابيح للتبريزي تحقيق ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي، ج٣، ص ١٢٢. وقال: إسناده صحيح.

سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم، ولا ينال رضا الله البتة إلا على أيديهم، فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلا هديهم وما جاءوا به، فهم الميزان الراجح الذي على أقوالهم وأخلاقهم توزن الأخلاق والأعمال، وبمتابعتهم يتميز أهل الضلال، فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه، والعين إلى نورها، والروح إلى حياتها.. وما ظنك بمن إذا غاب عنك هديه وما جاء به طرفة عين فسد قلبك، وصار كالحوت إذا فارق الماء، ووضع في المقلاة، فحال العبد عند مفارقة قلبه لما جاءه به الرسول كهذه الحال، بل أعظم، ولكن لا يحس بهذا إلا قلب حيّ، وما لجرح بميت إيلام، وإذا كانت سعادة العبد في الدارين معلقة بهدي النبيﷺ، فيجب على كل من نصح نفسه وأحب نجاتها، وسعادتها أن يعرف منهجه وسيرته وشأنه وما يخرج به عن الجاهلين به، ويدخل به في أعداد أتباعه وشيعته وحزبه، والناس في هذا بين مستقلٍ ومستكثر، ومحروم، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو فضل عظيم»[1].

وإذا كانت الأبدان تحتاج إلى علم الطب فإن الأرواح والأبدان بحاجة إلى علم الرسل، بل إن «حاجة الناس إلى الشريعة ضرورية، فوق حاجتهم إلى كل شيء، ولا نسبة لحاجتهم إلى علم الطب إليها، ألا ترى أن أكثر العالم يعيشون بغير طبيب، وهم أصح أبداناً، وأقوى طبيعة ممن هو متقيد بالطبيب.. وأما الشريعة فمبناها في تعريف مواقع رضى الله وسخطه في حركات العباد الاختيارية، على الوحي المحض، بل أشد من الحاجة إلى التنفس فضلاً عن الطعام، والشراب، لأن غاية ما يقدّر في عدم التنفس والطعام والشراب موت البدن، وتعطيل الروح عنه، وأما ما يقدّر عند عدم الشريعة ففساد الروح والقلب جملة، وهلاك الأبد، وشتان بين هذا وهلاك البدن بالموت، فليس الناس قطّ إلى شيء أحوج منهم إلى معرفة ما جاء به الرسولﷺ والقيام به، والدعوة إليه، والصبر

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق شعيب وعبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط ١٥، ١٤٠٧هـ، ج١، ص ٦٩.

عليه، وجهاد من خرج عنه حتى يرجع إليه، وليس للعالم صلاح بدون ذلك البتة، ولا سبيل إلى الوصول إلى السعادة والفوز الأكبر إلا بالعبور على هذا الجسر»[١].

و«الأنبياء جاءوا بما تعجز العقول عن معرفته، ولم يجيئوا بما تعلم العقول بطلانه، فهم يخبرون بمحارات العقول لا بمحالات العقول»[٢].

دين الرسل جميعهم واحد:

أرسل الله رسله وبعث أنبيائه بتوحيده «ويجب الإيمان بأن الله تعالى أمر بعبادته وحده لا شريك له، كما خلق الجن والإنس لعبادته وبذلك أرسل رسله، وأنزل كتبه، وعبادته تتطلب كمال الذل له والحب له، وذلك يتضمن كمال طاعته، ومن يطع الرسول فقد أطاع الله.

فأمر الرسل بإقامة الدين، وأن لا يتفرقوا فيه، ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح «إنا معشر الأنبياء ديننا واحد، والأنبياء أخوة لعلات، وأنا أولى الناس بابن مريم، لأنه ليس بيني وبينه نبي»[٣]. قال ابن حجر: ومعنى الحديث أن أصل دينهم واحد وهو التوحيد وإن اختلفت فروع الشرائع. وهذا الدين هو دين الإسلام، والذي لا يقبل الله ديناً غيره، لا من الأولين ولا من الآخرين، فإن جميع الأنبياء على دين الإسلام، قال تعالى عن نوح: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾﴾[٤] وقال عن إبراهيم: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[٥]، وقال عن موسى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن

---

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ٢، ص ٢.
(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية، ج ٢، ص ٣١٢.
(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب (واذكر في الكتاب مريم)، ج ٦، ص ٤٧٧، ٤٨٩؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام، ج١٥، ص ١١٩.
(٤) سورة يونس آية: ٧٢.
(٥) سورة البقرة آية: ١٣٢.

﴿كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾[1]، وقال في خبر المسيح: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾[2] فالإسلام يتضمن الاستسلام لله وحده، فمن استسلم له ولغيره كان مشركاً، ومن لم يستسلم له كان مستكبراً عن عبادته، والمشرك به والمستكبر عن عبادته كافر، والاستسلام له وحده يتضمن عبادته وحده وطاعته وحده[3]«وهؤلاء الرسل أرسلهم الله إلى الأمم في جميع العصور المتطاولة فلم تخل أمة من رسول يدعوها إلى الله ويرشدها إلى الحق. يقول سبحانه ﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾[4]والرسول بشر من نفس الأمة المبعوث فيها، وإن كان من معدن كريم خصه الله بمواهب عقلية وروحية ليستعد لتلقي الوحي عن الله.

و إنما خص الله الرسول بمزايا وفضائل ليقوى على الاضطلاع بأعباء الرسالة، وليكون مثالاً يقتدى به في أمور الدين والدنيا،ولو لم يتميز رسل الله بهذه الخصائص العقلية والروحية لما كانوا أهلاً لحمل هداية الله إلى الناس ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[5][6].

أهل الكتاب يكفرون برسالة محمد ﷺ:

وأهل الكتاب هم: «الخارجون عن الملة الحنيفية، والشريعة الإسلامية ممن يقول بشريعة وأحكام، وحدود وأعلام. وهم قد انقسموا: إلى من له كتاب محقق مثل التوراة والإنجيل، وعلى هذا يخاطبهم التنزيل بأهل الكتاب. وإلى من له شبهة كتاب مثل المجوس والمانوية[7]. فإن الصحف التي أنزلت على إبراهيم عليه السلام

---

(١) سورة يونس آية: ٨٤.

(٢) سورة الأنعام آية: ١١١.

(٣) الرسالة التدمرية، لشيخ الإسلام بن تيمية، تحقيق محمد السعوي، ١٤٠٥هـ، ص ١٦٦ - ١٦٩.

(٤) سورة النحل: ٦٣.

(٥) سورة الأنعام: ١٢٤.

(٦) العقائد الإسلامية، السيد سابق، ص ١٧٥، ١٧٦.

(٧) المجوس هم عبدة النيران القائلون إن العالم صادر عن أصلين أحدهما قديم والآخر =

قد رفعت إلى السماء لأحداث أحدثها المجوس، ولهذا يجوز عقد العهد والذمام معهم، وينحى بهم نحو اليهود والنصارى، إذ هم من أهل الكتاب، ولكن لا يجوز مناكحتهم، ولا أكل ذبائحهم، فإن الكتاب قد رفع عنهم..

أما اليهود والنصارى فهاتان الأمتان من كبار أمم أهل الكتاب، والأمة اليهودية أكبر لأن الشريعة كانت لموسى ﷺ، وجميع بني إسرائيل كانوا متعبدين بذلك، مكلفين بالتزام أحكام التوراة. والإنجيل النازل على المسيح ﷺ لا يتضمن أحكاماً، ولا يستبطن حلالاً ولا حراماً، ولكنه رموز وأمثال.. والمسلمون قد بينوا إن الأمتين قد بدلوا وحرفوا»[1].

«فهم قتلة الأنبياء: قتلوا زكريا وابنه يحيى وخلقاً كثيراً من الأنبياء.. واجتمعوا على قتل المسيح وصلبه فصانه الله من ذلك وأكرمه أن يهينه على أيديهم، وألقى شبهه على غيره فقتلوه وصلبوه، وراموا قتل خاتم النبيين مراراً عديدة والله يعصمه منهم، ومن هذا شأنهم لا يكبر عليه اختيار الكفر على الإيمان.. ولا غرابة في جحد النصارى رسالة محمد ﷺ وقد سبّوا رب العالمين، وقد ذكرنا اتفاق أمة الضلال وعباد الصليب على مسبة رب العالمين، أقبح مسبة، على ما يُعلم بطلانه بصريح العقل، فإن من خفي عليه أن هذا مسبة لله وأن العقل يحكم ببطلانه وبفساده من أول وهلة لم يكثر على تلك العقول السخيفة أن تسب بشراً أرسله الله، وتجحد نبوته، وتكابر ما دل عليه صريح العقول من صدقه وصحة رسالته..

وكيف ينكر لأمة أطبقت على صلب معبودها وإلهها ثم عمدت إلى الصليب فعبدته وعظمته ـ وكان ينبغي لها أن تحرق كل صليب تقدر على إحراقه، وأن تهينه غاية الإهانة إذ صلب عليه إلهها الذي يقولون تارة: إنه الله، وتارة يقولون

محدث هما الظلمة والنور، وهم أقدم الطوائف وأصلهم من بلاد فارس، وقد نبغوا في علوم النجوم ومن جملتهم المانوية التي تؤمن بالتناسخ وهم أتباع ماني بن فاتق كان مجوسياً فأحدث ديناً ودعا إليه وزعم أن صانع العالم اثنان. أحدهما فاعل الخير وهو نور وثانيهما فاعل الشر وهو ظلمة. معجم ألفاظ العقيدة، عامر الفالح، ص ٣٧٣، ٣٧٩.

(١) الملل والنحل للشهرستاني ج١، ص ٢٠٨، ٢٠٩.

إنه ابنه، وتارة يقولون ثالث ثلاثة، فجحدت حق خالقها وكفرت به أعظم كفر وسبته أقبح مسبة ـ أن تجحد حق عبده ورسوله محمدﷺ وتكفر به»[1].

«والعجيب في أمر النصارى، أنهم يذهبون إلى القول بصلب السيد المسيح، مع أنهم يعتقدون بألوهيته، أو بأنه ابن الإله.

وإذا صلب الإله فكيف يكون شأن الخلق؟! ولمن يا ترى ترك تدبير العالم بعد أن صلب؟! ومن هم الذين صلبوه.. أليسوا هم أشر خلق الله عليهم لعنة الله؟ فكيف لم يستطع الرب أن يخلص نفسه من بين أيديهم أو ينقذ ولده من تنكيلهم وإجرامهم؟! ولقد أحسن من قال:

أعباد المسيح لنا سؤال ... نروم جوابه ممن وعاه

إذا صلب الإله بفعل عبد ... يهودي فما هذا الإله؟!

ويقولون: إن المسيح صلب ليخلص بني آدم من ذنوبهم وخطاياهم!!.

هل هذا صحيح؟! وهل يتفق مع العدالة الإلهية والمنطق السليم؟! ما هو ذنب عيسى حتى يصلب ليكون كفارة عن ذنوب الخلائق؟ هل من العدل أن نؤاخذ الإنسان بجريرة غيره؟ والمنطق السليم يحكم بأن العقوبة تحل بالفاعل المجرم فقط، ولكنه التعصب الأعمى، والتفكير السقيم، الذي يفكر به رجال الكنسية، ويحشون به أذهان المغفلين..!»[2].

«ولقد تلمسوا لتلك العقيدة أصلاً في العهد القديم وأسسوا عليه صلب المسيح فقالوا: إن آدم وهو أول كل البشر قد عصى الله تعالى بالأكل من الشجرة، التي نهاه الله عنها فصار خاطئاً، وصار جميع ذريته خطاة مستحقين للعقاب في الآخرة بالهلاك الأبدي.. ولما كان الله من صفاته العدل والرحمة،

---

(١) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم تحقيق مصطفى الشلبي، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ، مكتبة السوادي جدة، ص ٤٧، ٤٨.

(٢) النبوة والأنبياء، محمد علي الصابوني، دار النصر - حلب، الطبعة الثانية _ ١٣٩٥هـ، ص ٢١٢.

فمن عدله أن لا يترك الجريمة دون عقاب، وإلا لم يكن عادلاً، ولهذا شاء الله أن يحل ابنه، الذي هو بنفسه «الله» في رحم امرأة من ذرية آدم وتتجسد جنيناً في رحمها يولد منها فيكون ولدها إنساناً كاملاً من حيث أنه ابن لتلك المرأة، وإلهاً كاملاً من حيث أنه ابن الله، ويكون معصوم من جميع المعاصي، ثم بعد أن يعيش كما يعيش الناس، ويأكل كما يأكلون.. يأتي أعداء الله، وأعداء شريعته ويقتلونه شر قتله وأفظعها، وهي أن يصلبوه ويسمروا يديه ورجليه في الخشب، ثم يقتلوه: كل ذلك ليفدي البشر من جريمة لم يقترفها هو ولاهم..»[1].

وبهذا يتبين عقيدة القوم في نبيهم عيسى عليه الصلاة والسلام، وقد كذبوا وافتروا على الله بغير علم، وقد رد الله على اليهود والنصارى كذبهم وزورهم في كتابه العزيز فقال تعالى: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[2].

أما اليهود فقد افترقت في إنكار نبوة محمدﷺ في «الأصل إلى فرقتين: فزعمت فرقة منهم أن نسخ الشرائع وإرسال نبي بعد موسى عليه السلام، لنسخ شريعته جائز من طريق العقل، وأنهم إنما منعوا نسخ شريعتهم على يد نبي بعد نبيهم من جهة توقيف الله، جل اسمه في التوراة وعلى لسان موسى عليه السلام، إنه لا ينسخها ولا يبعث نبي بتبديلها. وزعمت فرقة أخرى أن نسخ الشرائع محال من جهة العقل وأن السمع أيضاً قد ورد بتأكيد ما في العقل من ذلك. وأجمعوا على أن نسخ الشيء قبل امتثاله ووقت فعله بداء وهو حالة من العلم يسبقها الجهل.

فيقال لهم جميعاً: ما الدليل على إثبات نبوة موسى عليه السلام؟ فإن قالوا ما ظهر على يده من المعجزات كفلق البحر وإخراج اليد بيضاء وغير ذلك، قيل لهم: ما الدليل على صحة هذه الأعلام وثبوتها مع علمكم بخلاف من يخالف فيها

---

(١) تفسير المنار، رشيد رضا، دار المعرفة بيروت، ج ٦، ص ٢٥.

(٢) النساء آية: ١٥٦ - ١٥٨

كالبراهمة[1] والمجوس والملحدين وغيرهم من الجاحدين؟ فإن قالوا: الدليل على ذلك نقل اليهود خلفاً عن سلف، وهم قوم بهم تقوم الحجة بما هم عليه من كثرة العدد وتفرق الدواعي والهمم وتباين الأوطان وتباعد الديار واختلاف المذاهب. والكذب ممتنع على مثلهم، أن موسى عليه السلام أتى بهذه الأعلام التي ذكرناها فوجب العلم بصحتها.. فإن قالوا: إذا استوى أول الخبر وطرفاه من آخره ووسطه ثبتت صحته.. فيقال لهم: ما أنكرتم أن يكون محمد ﷺ نبياً وأن يكون ما أثبته المسلمون من أعلامه صحيحاً.. فهو كالذي أثبتم لموسى فوجب القضاء بنبوة محمد ﷺ»[2].

وحيث إن دين اليهود ودين النصارى وهم أهل الكتاب وقد بدلوا وحرفوا دينهم وأنهم مشركون لقولهم بالتثليث والتثنية في آلهتهم، وأن الله لا يقبل ديناً غير الإسلام الذي ختم الله به الدين وتشرف رسول الله ﷺ بأنه خاتم النبيين وأشرف المرسلين فلا نبي حق مطاع غير محمد ﷺ ولا دين عند الله إلا الإسلام الحق.

الوحي:

إن الرسل والرسالات تكليف من الله وهدياً من لدنه «والرسالة ضرورية للعباد لابد لهم منها، وحاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى كل شيء والرسالة روح العالم ونوره وحياته، فأي صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور؟ والدنيا مظلمة.. إلا ما طلعت عليه شمس الرسالة وكذلك العبد ما لم تشرق في قلبه شمس الرسالة ويناله من حياتها وروحها فهو في ظلمة؛ وهو من الأموات.. وسمى الله تعالى رسالته روحاً، والروح إذا عدم فقد فقدت الحياة، قال الله

---

(١) البراهمة: هم الذي يزعمون أن العقل يغني عن الوحي وهم عبدة البقر، ومن أبرز زعمائهم المعاصرين الزعيم الهندي غاندي يقول مفاخراً «عندما أرى البقرة لا أجدني أرى حيواناً لأنني أعبد البقر وسأدافع عن عبادتهم أمام العالم أجمع. ولقد قاده عقله إلى تفضيل أمه البقرة على أمه التي ولدته»: معجم ألفاظ العقيدة عامر فالح ص ٦٩ والرسل والرسالات عمر الأشقر ص ٣٧.

(٢) التمهيد للباقلاني، دار الفكر العربي، حققه محمود الخضيري ومحمد أبو ريدة، ص ١٣١، ١٣٢.

تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1]، فذكر هنا الأصلين وهما: الروح، والنور.. وحاجة العبد إلى الرسالة أعظم بكثير من حاجة المريض إلى الطب؛ فإن آخر ما يقدر بعدم الطبيب موت الأبدان، وأما إذا لم يحصل للعبد نور الرسالة وحياتها مات قلبه موتاً، لا ترجى الحياة معه أبداً، شقي شقاوة لا سعادة معها أبداً، فلا فلاح إلا باتباع الرسول ﷺ فإن الله خص بالفلاح أتباعه المؤمنين وأنصاره.

وهذا مما اتفقت عليه جميع الكتب المنزلة من السماء وبعث به جميع الرسل، ولهذا قص الله علينا أخبار الأمم المكذبة للرسل وما صارت إليه عاقبتهم...»[2].

والوحي من أوحى «والوحي: الإشارة والكتابة والرسالة والإلهام، والكلام الخفي وكل ما ألقيته إلى غيرك.. وأوحى إليه بعثه، والوحي: ما يوحيه الله إلى أنبيائه»[3].

قال ابن حجر: «الوحي لغة الإعلام في خفاء، والوحي أيضاً الكتابة والمكتوب والبعث والإلهام والأمر والإيماء والإشارة والتصويب وقيل أصله التفهيم وشرعاً: الإعلام بالشرع وقد يطلق الوحي ويراد به اسم المفعول منه أي الموحى به، وهو كلام الله المنزل على النبي ﷺ»[4].

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: «أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلوا بغار حراء فيتحنث فيه ـ وهو التعبد ـ الليالي

---

(١) سورة الشورى آية: ٥٢.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية، ج٩، ص ٩٣، ٩٤، ٩٦، ٩٧.

(٣) لسان العرب لابن منظور، ج ١٥، ص ٣٧٩، ٣٨٠.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر، ج١، ص ٩.

ذوات العدد، قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال اقرأ: قال ما أنا بقارئ قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ. قلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ. فقلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني فقال، اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم. فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، فقال: زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي. فقالت خديجة كلا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق. فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة ابن نوفل بن أسد بن عبدالعزي، ابن عم خديجة، وكان إمرءاً تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك. فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى. فقال له ورقه: هذا الناموس الذي نزّل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: أومخرجي هم؟ قال نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي وأن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً ثم لم ينشب ورقه أن توفي»[1].

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ وهو يحدث عن فترة الوحي، قال في حديثه: «فبينا أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالساً على كرسي بين السماء والأرض قال رسول الله ﷺ فرعبت منه، فرجعت فقلت زملوني زملوني فأنزل الله تبارك وتعالى:

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، ج ٢، ص ٢٢.

؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ج٢،ص ١٩٧.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ وهي الأوثان، قال: ثم تتابع الوحي[1].

وقد بين الله تعالى تلك الصورة التي يخاطب بها أنبياءه عليهم الصلاة والسلام فقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝٥١﴾[2].

قال ابن كثير رحمه الله: «هذه مقامات الوحي بالنسبة إلى جناب الله عز وجل وهو أنه تبارك وتعالى، تارة يقذف في روع النبي ﷺ شيئاً لا يتمارى فيه أنه من الله عز وجل: كما جاء في صحيح ابن حبان عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب»[3]. وقوله تعالى: ﴿أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ كما كلم موسى عليه الصلاة والسلام فإنه سأل الرؤية بعد تلك فحجب عنها. وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال لجابر بن عبد الله رضي الله عنهما: «ما كلم الله أحداً إلا من وراء حجاب وإنه كلم أباك كفاحاً»[4] كذا جاء في الحديث وكان قد قتل يوم أحد، ولكن هذا في عالم البرزخ والآية إنما هي في الدار الدنيا، وقوله عز وجل ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ كما ينزل جبريل عليه الصلاة

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان باب بدء الوحي إلى الرسول ﷺ، ج ٢، ص ٢٠٥؛ فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، ج١، ص ٢٧.

(٢) الشورى آية: ٥١.

(٣) شرح السنة للبغوي، تحقيق شيعب الأرناؤوط وزهير الشاويش ١٤٠٠هـ، المكتب الإسلامي بيروت، كتاب الرقاق، باب التوكل على الله ج ١٤، ص ٣٠٣، ٣٠٤ عن عبد الله بن مسعود؛ شعب الإيمان للبيهقي، باب الزهد وقصر الأمل، ج ٧، ص٢٩٩؛ مشكاة المصابيح لأبي عبد الله التبريزي تحقيق محمد وهيثم تميم، دار الأرقم، بيروت، ج٢، ص ٣٢٧.
؛ فتح الباري لابن حجر وقال: صححه الحاكم من طريق ابن مسعود، ج١، ص ٢٠.
؛ المستدرك للحاكم وصححه ووافقه الذهبي ج٢، ص ٥.

(٤) سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، ج ٥، ص ٢٣٠، ٢٣١. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

والسلام وغيره من الملائكة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام»[1].

قال الآجرّي في الشريعة: باب كيف ينزل الوحي على الأنبياء وعلى نبينا محمد ﷺ وعليهم أجمعين.

ثم روى بسنده.. قال: سمعت الزهري سئل عن قول الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ قال: نزلت هذه الآية تعم من أوحي إليه من النبيين، والكلام كلام الله عز وجل الذي كلم به موسى من وراء حجاب. والوحي: ما يوحي الله عز وجل إلى النبي ﷺ من أنبيائه، فيثبت الله عز وجل ما أراد من وحيه في قلب النبي ﷺ يتكلم به النبي ﷺ ويبينه، وهو كلام الله عز وجل ووحيه، ومنه ما يكون بين الله ورسوله، لا يكلم به أحد من الأنبياء أحداً من الناس، ولكنه سرغيب بين الله عز وجل وبين رسله، ومنه ما يتكلم به الأنبياء ولا يكتبونه لأحد، ولا يأمرون بكتابته، ولكنهم يحدثون به الناس حديثاً، ويبينون لهم أن الله عز وجل أمرهم أن يبينوه للناس، ويبلغوه ومن الوحي ما يرسل الله عز وجل من يشاء ممن اصطفاه من ملائكته، فيكلمون أنبياءه من الناس. ومن الوحي ما يرسل به من يشاء، فيوحون به وحياً في قلوب من شاء من رسله، وقد بين الله عز وجل أنه يرسل جبريل عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم. قال الله عز وجل في كتابه: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾﴾[2] وذكر أنه الروح الأمين، قال الله عز وجل: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ﴾[3]»[4].

---

(١) تفسير ابن كثير، ج٤، ص ١٠٩.

(٢) سورة البقرة آية: ٩٧.

(٣) سورة الشعراء آية: ١٩٢ - ١٩٥.

(٤) الشريعة، للإمام أبي بكر محمد بن الحسين الآجرّي، تحقيق محمد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٣هـ، ص ٤٥٢، ٤٥٣.

مقامات الوحي أو صور الوحي:

ذكر الله سبحانه مقامات الوحي في كتابه العزيز «وكلمة الوحي وما تصرّف منها قد وردت في القرآن العظيم في تسعة وسبعين موضعاً، وكانت معانيها تدور حول ما يبعث الله به أنبياءه إلى عباده، يدلهم إلى العلم به، وتوحيده وطاعته وعبادته ويرشدهم إلى أحكام الشريعة ومناهج الدين.

وتكرار هذه الكلمة «الوحي» يدل على أهمية تقريره للموحى به، وأنه سبحانه وتعالى قد أنزل على خلقه النعم، وجعل صلته بعباده عن طريق هذا الوحي، ويدخل في مفهوم الكلمة جميع أنواع ودرجات التكليم، ويقع الوحي المطهر من الله إلى الرسول البشري بعد إعداد ذلك الرسول إعداداً خاصاً يليق بمقام النبوة وشرف الرسالة، وتطهير نفسه وتصفيتها من أو ضار البشر، وبث النبوة في أرجاء نفسه، وإلهامها إلهاماً ربانياً تحف به العناية الإلهية»[1].

وهذه المقامات أو الصور تتجلى في درجات الوحي.

درجات الوحي:

أولاً: الوحي العام: وهو الإعلام السريع في خفاء وهذا النوع من الوحي له عدة أوجه:

أ - يكون في اليقظة، فعن أنس وابن عمر، أن عمرﷺ، قال: وافقت ربي في ثلاث. قلت يا رسولا الله، لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى فنزلت ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾[2] وقلت يا رسول الله يدخل على نسائك البر والفاجر، فلو أمرتهن يحتجبن؛ فنزلت آية الحجاب، واجتمع نساء النبيﷺ في الغيرة، فقلت عسى ربه أن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن فنزلت كذلك»[3][4]، وعن ابن عمرﷺ قال: قال عمرﷺ: «وافقت ربي

(١) تفسير ابن كثير، دار الفكر، ج٤، ص ١٢١.

(٢) سورة البقرة ١٢٥.

(٣) سورة التحريم ٥. وآية الحجاب: سورة الأحزاب آية ٥٩.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب ما جاء في القبلة، ، ص ٥٠٤.

في ثلاث: في مقام إبراهيم وفي الحجاب، وفي أسارى بدر»[١].

ب ـ ويكون في المنام، فإن رؤيا الأنبياء حق، عن أبي موسى رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل فذهب وهلي[٢] إلى أنها اليمامة أو هجر، فإذا هي المدينة يثرب. ورأيت في رؤياي هذه: أني هززت سيفاً فانقطع صدره، فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد، ثم هززته أخرى فعاد أحسن ما كان فإذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين»[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا اقترب الزمان لم تكد تكذب رؤيا المؤمن، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، وما كان من النبوة فإنه لا يكذّب» قال محمد بن سيرين: وأنا أقول: الرؤيا ثلاث: حديث النفس، وتخويف الشيطان، وبشرى من الله، فمن رأى شيئاً يكره فلا يقصه على أحد، وليقم فليصل. قال: وكان يكره الغل في النوم ويعجبهم القيد. ويقال القيد: ثبات في الدين»[٤].

جـ ـ التصريح بالوحي إلى غير الأنبياء ومنه:

١ ـ إلى الصالحين والأولياء، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ

(١) نفس المصدر، كتاب التفسير، باب واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى، ج٨، ص ١٦٨؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عمر، ج ١٥،ص ١٦٦.

(٢) الوهل هو الحدس والتوقع ومنه الحديث فذهب وهلي إذا ذهب وهمه إليه. لسان العرب، ج١١، ص ٧٣٧.

(٣) فتنح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام،ج ٦، ص ٦٢٧.
؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الرؤيا، باب رؤيا النبي ﷺ، ج١٥، ص٣١،.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب التعبير، باب القيد في المنام، ج١٢، ص ٤٠٤؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الرؤيا، باب قول النبي ﷺ من رآني في المنام فقد رآني، ج١٥، ص٢٠.

أَرْضِعِيهِ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي﴾[2].

٢ ـ الوحي إلى غير البشر كالحيوان: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾[3]

٣ ـ الوحي إلى الجمادات: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥﴾[4].

ثانياً: التكليم المباشرة: وهو أن يكلم الله رسوله مباشرة بصوت نفسه بدون واسطة فلا يجعل بينه وبين من يكلمه رسولاً من خلقه فيسمع المكلم كلام الله مباشرة. وكان هذا لثلاثة من الأنبياء أولهم آدم عليه السلام، قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾[5] منهم موسى عليه السلام ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[6].

وكما جرى لمحمد ﷺ ليلة أسري به إلى الملكوت الأعلى عند سدرة المنتهى وكلمه ربه وفرض عليه الصلوات الخمس، وهذا تكليم الله لرسله من وراء حجاب.

ثالثا: الوحي أو التكليم بواسطة الرسول الملك: وقد جاء جبريل عليه السلام إلى محمد ﷺ على صورة الصحابي دحية بن خليفة الكلبي، وجاء مرة بصورة إعرابي شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، كما جاء على هيئته التي خلقه الله عليها مرتين، وكل القرآن تلقاه صلى الله عليه وسلم تلقيناً من الملك الرسول، وقد جاءت الملائكة إلى إبراهيم الخليل بصورة رجال، وإلى لوط بصورة فتيان، وجاء الملك إلى مريم بصورة رجل»[7].

وكان الملك يجئ إلى الرسول ﷺ كصلصلة الجرس، قال ﷺ: «وهو

---

(١) سورة القصص آية: ٧.

(٢) سورة المائدة آية: ١١١.

(٣) سورة النحل: ٦٨.

(٤) سورة الزلزلة آية: ٥.

(٥) سورة البقرة ٣٧.

(٦) سورة النساء آية ١٦٤.

(٧) المنهاج إلى أصول الدين، عقيدة الفرقة الناجية، د. عثمان الصوينع ١٤١٤هـ مطابع الفرزدق الرياض، ص ٢٠٤ - ٢٠٧.

أشدها» فهو يسمعه من الرسول الملك ولا يراه. عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: «أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشد علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما أقول قالت عائشة رضي الله عنها: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فينفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً»(١).

قال ابن حجر رحمه الله: «للمصنف من وجه آخر عن هشام في بدء الخلق قال: كل ذلك يأتي الملك، أي كل ذلك حالتان فذكرهما. وروى ابن سعد عن طريق أبي سلمة الماجشون أنه بلغه أن النبي ﷺ كان يقول «كان الوحي يأتيني على نحوين: يأتيني به جبريل فيلقيه علي كما يلقي الرجل على الرجل، فذاك ينفلت مني. ويأتيني في بيتي مثل صوت الجرس حتى يخالط قلبي، فذاك الذي لا ينفلت مني». وهذا مرسل مع ثقة رجاله، فإن صح فهو محمول على ما كان قبل نزول قوله تعالى ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾(٢) فإن الملك قد تمثل رجلاً في صور كثيرة ولم ينفلت منه ما أتاه به، كما في قصة مجيئه في صورة دحية وفي صورة إعرابي وغير ذلك وكلها في الصحيح - ثم ذكر ابن حجر حالات أخرى في صفة مجيء الوحي فقال: إما صفة الوحي كمجيئه كدوي النحل، والنفث في الروع، والإلهام، والرؤيا الصالحة، والتكليم ليلة الإسراء بلا واسطة. وإما صفة حامل الوحي كمجيئه في صورته التي خلق عليها له ستمائة جناح، ورؤيته على كرسي بين السماء والأرض وقد سد الأفق»(٣).

«والتصديق بمبدأ الوحي ليس مما يتعاظم على العقول إدراكه، وشبه الماديين حوله تتساقط من تلقاء نفسها، ما دمنا قد اعترفنا بأن الله حق وأن وجوده فوق الريب، وأن له جل شأنه أن يصطفي من عباده من يبلغ عنه مراده، يتعهد به

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي ج ١، ص ١٨.

(٢) سورة القيامة: ١٦.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب بدء الوحي، ج١، ص ١٩.

الأمم الشاردة ويخرجها من الظلمات إلى النور.. وحاجة العالم إلى الرسل ماسة. فلو تركت أزمة الفكر الإنساني للاجتهاد المحض، لضل الناس رشدهم، ولما اتفقوا على حقيقة واحدة تصلح حالهم ومآلهم. ونحن ننظر في تاريخ الأرض القريب والبعيد فلا نجد مثابة تفزع إليها الشعوب، وتلتمس في ضلالها الخير والبركة إلا تعاليم الأنبياء.. ومن ثم فإن بعثة الرسل كانت ضرورة إنسانية لتجنيب العالم متاعب الضرب في بيداء طامسة.. والنبوة في هذا المضمار لا يسبقها شيء. ومهما عظمت نتائج الفلسفة فلن تخطو في هذا السبيل أشباراً بعد أشبار حتى يدركها العثار!»[1].

قال الباحث: وهذه خلاصة من جرب دراسة فلسفة العقيدة والمنطق وعلم الكلام، ثم اهتدى بفضل الله إلى مصادر العقيدة الصحيحة وهي وحي الله إلى رسولهﷺ كتاباً وسنة، وهو ما يقوم عليه المنهج في هذه البلاد المباركة وقد عاش فيها الشيخ رحمه الله فترة من عطائه.

الرد على المخالفين في باب النبوات:

إن غلاة الصوفية والفلاسفة وملاحدتهم ممن ينتسبون إلى الإسلام قد ضلوا في باب النبوة وقالوا: إن محمداً بعث بعلم الظاهر دون علم الباطن، والقائل بهذا «آمن ببعض ما جاء به، وكفر ببعض فهو كافر أكفر من أولئك، لأن علم الباطن الذي هو: علم إيمان القلوب ومعارفها وأحوالها هو علم بحقائق الإيمان الباطنة، وهذا أشرف من العلم بمجرد أعمال الإسلام الظاهرة..

وهؤلاء الملاحدة يقولون كما يقول صاحب الفصوص ابن عربي: إنهم يأخذون من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحى به إلى الرسول، وذلك أنهم اعتقدوا عقيدة ملاحدة المتفلسفة، ثم أخرجوها في قالب المكاشفة»[2].

---

(١) عقيدة المسلم، محمد الغزالي، دار الريان للتراث، القاهرة، ١٤٠٣هـ، ص ٢٠٣ - ٢٠٤.

(٢) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية، تحقيق عبد الرحمن اليحيى، دار طويق للنشر ١٤١٤هـ، ص ١٩٦ - ١٩٨.

«وتلك المعرفة عندهم هي كون الوجود واحداً، لا يتميز فيه وجود الخالق عن وجود المخلوق، وادعوا أن خاتم الأولياء يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحى به إلى الرسول.. وهؤلاء أخذوا كلام الفلاسفة: أخرجوه في قالب المكاشفة والمشاهدة. والملك عند هؤلاء ما يتخيل في نفس النبي من الصورة الخيالية، وهم يقولون إن للنبي ثلاث خصائص: أحداها: أن يكون له قوة قدسية ينال بها العلم بلا تعلم. الثانية: أن تكون له قوة نفسانية يؤثر بها في هيولي العالم. والثالثة: أن يرى ويسمع في نفسه بطريق التخيل ما يتمثل له من الحقائق، فيجعلون ما يراه الأنبياء من الملائكة ويسمعون منهم إنما وجوده في أنفسهم لا في الخارج.

ومن كان هذا قوله قال: إنه يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحى إلى خاتم الأنبياء، فإن الملك عنده هو الخيال الذي في نفس النبي، وهو يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه الخيال. فهذا وأمثاله هو المكاشفة التي يرجع إليها من استغنى عن تلقي الأمور من جهة السمع»[(١)]

«ولفرق الضلال في الوحي طريقتان: طريقة التبديل وطريقة التجهيل. أما أهل التبديل فهم نوعان: أهل الوهم والتخييل، وأهل التحريف والتأويل. فأهل الوهم والتخييل. هم الذين يقولون: إن الأنبياء أخبروا عن الله واليوم الآخر والجنة والنار بأمور غير مطابقة للأمر في نفسه! لكنهم خاطبوهم بما يتخيلون به ويتوهمون به أن الله شيء عظيم كبير، وأن الأبدان تعاد، وأن لهم نعيماً محسوساً وعقاباً محسوساً، وأن كان الأمر ليس كذلك، لأن مصلحة الجمهور في ذلك، وأن كان كذباً فهو كذب لمصلحة الجمهور.

وأما أهل التحريف والتأويل، فهم الذين يقولون: إن الأنبياء لم يقصدوا بهذه الأقوال ما هو الحق في نفس الأمر، وأن الحق في نفس الأمر هو ما علمناه بعقولنا! ثم يجتهدون في تأويل هذه الأقوال إلى ما يوافق رأيهم بأنواع

---

(١) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم ١٤٠١هـ، جامعة الأمام محمد بن سعود الإسلامية، ج٥، ص ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧.

التأويلات.. وأما أهل التجهيل والتضليل، الذين حقيقة قولهم: إن الأنبياء وأتباع الأنبياء جاهلون ضالون، لا يعرفون ما أراد الله بما وصف به نفسه من الآيات وأقوال الأنبياء! ويقولون: يجوز أن يكون للنص تأويل لا يعلمه إلا الله، لا يعلمه جبرائيل ولا محمد ولا غيره من الأنبياء، فضلاً عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان»[1].

«وهذا الكلام أصله من مادة المتفلسفة والقرامطة الباطنية، الذين يجعلون النبوة فيضاً يفيض من العقل الفعال على نفس النبي، ويجعلون ما يقع في نفسه من الصور هي ملائكة الله، وما يسمعه في نفسه من الأصوات هو كلام الله، ولهذا يجعلون النبوة مكتسبة، فإذا استعد الإنسان بالرياضة والتصفية فاض عليه ما فاض على نفوس الأنبياء، وهذا الكلام عندهم باطل باتفاق المسلمين واليهود والنصارى»[2].

قال شيخ الإسلام: «إنا نعلم بالاضطرار من دين النبي ﷺ، ودين أمته المؤمنين به، بطلان لوازم هذا القول، وبطلان اللازم يدل على بطلان الملزوم، بل نعلم بالاضطرار من الدين أن لوازم هذا القول من أعظم الكفر والإلحاد، وذلك لأن لازم هذه المقالة وحقيقتها ومضمونها: أن رسول الله ﷺ لا يكون فيما أخبر به عن الله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر: لا علم ولا هدى، ولا كتاب منير، فلا يستفاد منه علم بذلك، ولا هدي يعرف به الحق من الباطل.. ومعلوم أن كثيراً من خطاب القرآن، بل أكثره، متعلق بهذا الباب، فإن الخطاب العلمي في القرآن أشرف من الخطاب العملي قدراً وصفة.

فإذا كان هذا الخطاب لا يستفيدون منه معرفة، ولم يبين لهم الرسول مراده ومقصوده بهذا الخطاب، بل إنما يرجع أحدهم في معرفة الأمور التي ذكرها ووصفها وأخبرهم عنها، إلى مجرد رأيه وذوقه، فإن وافق خبر الرسول ما عنده صدق بمفهوم ذلك ومقتضاه، وإلا أعرض عنه كما يعرض المسلم عن الإسرائيليات المنقولة عن أهل الكتاب.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، خرج أحاديثها الشيخ الألباني، ص ٥٢٧.
(٢) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية، ج٥، ص ٣٥٣.

وكان هذا ما يعلم فساده بالإضطرار من دين الرسول.. أن هؤلاء مناقضون لدعوة الرسول، وأن هذا يعرفه كل من عرف حال الرسول من مؤمن وكافر، ولوازم هذا القول أنواع كثيرة من الكفر والإلحاد»[1].

ويوضح مذهب الفلاسفة في النبوة شيخ الإسلام فيقول: «هم القائلون بقدم العالم وصدوره عن علة واحدة موجبه مع إنكارهم أن الله تعالى يفعل بقدرته ومشيئته، وأنه يعلم الجزئيات، فالنبوة عندهم فيض يفيض على الإنسان بحسب استعداده وهي مكتسبة عندهم، ومن كان متميزاً ـ في قوته العلمية بحيث يستغني عن التعليم، وشُكل في نفسه خطاب يسمعه كما يسمع النائم، وشخص يخاطبه كما يخاطب النائم؛ وفي العملية بحيث يؤثر في العنصريات تأثيراً غريباً ـ كان نبياً عندهم.

وهم لا يثبتون ملكاً منفصلاً يأتي بالوحي من الله تعالى، ولا ملائكة بل ولا جناً يخرق الله بهم العادات للأنبياء، إلا قوى النفس.

وقول هؤلاء، وإن كان شراً من أقوال كفار اليهود والنصارى وهو أبعد الأقوال عما جاءت به الرسل، فقد وقع فيه كثير من المتأخرين الذين لم يشرق عليهم نور النبوة من المدعين للنظر العقلي والكشف الخيالي الصوفي، وإن كان غاية هؤلاء الأقيسة الفاسدة والشك، وغاية هؤلاء الخيالات الفاسدة والشطح.

ـ ثم يبين شيخ الإسلام حال النبوة عند الجهمية والأشاعرة وهم من يسمون بالجبرية فيقول: إن الناس تكلموا في ذلك بحسب أصولهم في أفعال الله تعالى، وإذا كان جعل الشخص نبياً رسولاً من أفعال الله تعالى، فمن نفى الحكم والأسباب في أفعاله وجعلها معلقة بمحض المشيئة وجوّز عليه فعل كل ممكن ولم ينزهه عن فعل من الأفعال ـ كما هو قول الجهم بن صفوان وكثير من الناس، كالأشعري ومن وافقه من أهل الكلام ـ فهؤلاء يجوزون بعثة كل مكلف، والنبوة عندهم مجرد إعلامه بما أوحاه إليه، والرسالة مجرد أمره بتبليغ ما أوحاه

---

(١) نفس المصدر السابق، ج٥، ص ٣٥٧، ٣٥٨.

إليه، وليست النبوة عندهم صفة ثبوتية ولا مستلزمة يختص بها، بل هي من الصفات الإضافية.

ثم قال شيخ الإسلام واصفاً حال المعتزلة والشيعة القدرية مع النبوة: وكثير من القدرية المعتزلة والشيعة وغيرهم ممن يقول بأصله في التعديل والتجوير وأن الله لا يفضل شخصاً على شخص إلا بعمله، فيقول: إن النبوة والرسالة جزاء على عمل متقدم، فالنبي فعل من الأعمال الصالحة ما استحق به أن يجزيه الله بالنبوة.

وهؤلاء القدرية في شق وأولئك الجهمية الجبرية في شق ـ وإذا كانت هذه أقوال المخالفين للحق في شرف النبوة وعلو الرسالة فإنه وبضدها تتميز الأشياء، وعند ذلك يظهر الحق ويسطع النور كما ابتغاه الله سبحانه ورضيه رسول الله ﷺ وبينه لأمته فكان ذلك قول سلف الأمة وأهل السنة والجماعة، والطائفة المنصورة، الفرقة الناجية.

وهو الذي عليه جمهور سلف الأمة وأئمتها ـ أن الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس، والله أعلم حيث يجعل رسالته، فالنبي يختص بصفات ميزه الله بها على غيره، في عقله ودينه، واستعد بها لأن يخصه الله بفضله ورحمته كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَـٰتٍ. . .﴾[1]»[2].

أما الصوفية وهم الذين ادعوا الفيض والكشف والذوق والوجد والتجلي وأعرضوا عن كلام النبوة وهي بدعة في الإسلام جلبت الفساد والعناد، بل هي «بدعة تشابه الرهبانية المنهي عنها، وكل ما جاوز حده جانس ضده، ثم صار ذلك مسلكاً متميزاً، حتى قيل: صوفية، وصار اسم مدح قد تقصده بعض النفوس، ثم أثارت لهم تلك الخلوات مواعظ وكلمات أسرع في جذب القلوب

---

(١) سورة الزخرف: ٣١ ـ ٣٢.

(٢) منهاج السنة النبوية، لابن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام، ج٢، ص٤١٤ - ٤١٥ - ٤١٦.

من خطاطيف الحديد، ثم اخترعت طرائق السلوك، واصطلحت اصطلاحات، وابتدعت رموزاً وإشارات، ثم قالوا: ها هنا شريعة وطريقة، ورسوم وحقيقة، وتفسير وتأويل وظاهر وباطن، ثم ترأس قوم في هذا المعنى وابتلوا بحظ في الوعظ شهرهم. ثم ظهر منهم كلمات ودعاوى فقال قائلهم: خضت بحراً وقف الأنبياء بساحله، أسرجت وألجمت، وطفت في أقطار البسيطة ثم ناديت: هل من مبارز؟! فلم يخرج إلي أحد، رجلي على رقبة كل ولي، لو تحركت نملة سوداء فوق صخرة صماء في ليلة ظلماء في أقصى الصين، ولم أسمعها لقلت: إني مخدوع. ما الجنة؟!... ـ كلام يُخشى من الله عند كتابته ونقله..

نعم إنه مخدوع وواهم بل إنه الجهل بالرسالة والمرسل والرسول صلى الله عليه وسلم ولا حول ولا قوة إلا بالله ـ.

ويزداد الهول في كل قرن إلى أن انتهى الشأن إلى ابن الفارض، وابن سبعين وابن عربي وأضرابهم الذين لم يقنعوا بتلك الدعاوى الشنيعة، ولا ساغ لهم احترام الشريعة وهذه كتبهم «الفتوحات» و«الإنسان الكامل» و«الفصوص» وأشعار ابن الفارض التائية والخمريات وغير ذلك..

دع عنك ما هو عندهم بمنزلة الظاهرية عند أهل الشريعة، كالغزالي مع أنه قد فعل ما فعل، وقال في بعض كتبه: من ظن أن النبوة مجيء الملك إلى البشر فهو كذا.. يعني إنما هو الفيض والكشف، وقال: هو من جملة ما استفاده من الخلوة تحت الصخرة في بيت المقدس احدى عشرة سنة، ذكر هذا في «المنقذ من الضلال». وهب أنك رجل حسن الظن بهم أو تظن أنك متورع، زن حال هؤلاء بميزان الصحابة ﷺ فما وجدته من أخلاق الصحابة فأبقه عليهم، وما لم يكن من أخلاقهم فاعلم أنه ضلالة إن كنت قد استيقنت إصابة الصحابة، وإلا فقد زللت بأول قدم، وجف في شقاوتك القلم، ومن بلايا هذا البدعة دخولها في كل فرقة، وأبعدها ضلالاً قوم مذهبهم عين مذهب الفلاسفة والمعطلة والباطنية»[1].

وإذا كان هذا فساد حالهم وجب هجر أقوالهم المخالفة لما جاء به الوحي، وبيان

---

(١) العلم الشامخ للعلامة صالح المقبلي، دار البيان، بشير عون، دمشق، ص٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨.

الحق لهم الذي جاء عن لله تعالى وسنه نبينا محمدﷺ فيما صح عنهﷺ.

صفات الرسل صلوات الله وسلامه عليهم:

والرسل اختارهم الله من البشر «وإن كانوا من معدن كريم خصهم الله بمواهب عقلية وروحية ليستعدوا لتلقي الوحي عن الله ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[1] وإنما خص الرسول بمزايا وفضائل ليقوى على الاضطلاع بأعباء الرسالة، وليكون مثالاً يقتدى به في أمور الدين والدنيا، ولو لم يتميز رسل الله بهذه الخصائص العقلية والروحية بأن انحطت فطرهم أو ضعفت عقولهم لما كانوا أهلاً لحمل هداية الله للناس. قال تعالى: ﴿۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا﴾[2]. وإقامة الدين وعبادة الله تنتظم الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، كما تنتظم الأعمال الصالحة التي تزكي النفس الإنسانية وتطهرها، وتغرس فيها الخير، لتبلغ الكمال المادي والأدبي في هذه الحياة ولتسعد لكمال أرقى وأبقى. وهذه التعاليم العالية لا يمكن للبشر أن يصلوا إليها بعقولهم، وإنما يتعلمونها بوحي الله. والله سبحانه لا يعذب أحداً حتى يقيم الحجة ويقطع عذره[3]. قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾[4] ومن هذه الصفات أنهم من البشر وأنهم يتعرضون للابتلاء ويباشرون حياتهم بأنفسهم في طلب الرزق ويكون الرسول رجلاً حراً سالماً من العيوب وأنهم أهل حياء وكرم وشجاعة وأهل عفوٍ في مقدرة وصبر وحسن خلق.

---

(١) سورة الأنعام: ١٢١.

(٢) سورة النساء آية ١٦٣ - ١٦٥.

(٣) العقائد الإسلامية، السيد سابق، انظر: ص ١٧٦ - ١٨٠.

(٤) سورة الإسراء، آية ١٥.

الرسول بشر:

قال تعالى حكاية عن رسله عليهم الصلاة والسلام: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾[1]. وقال تعالى حكاية عن نبينا محمد ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[2].

عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يا أم سليم: أما تعلمين: أني اشترطت على ربي فقلت: إنما أنا بشر: أرضى كما يرضى البشر، وأغضب كما يغضب البشر، فأيما أحد دعوت عليه من أمتي بدعوة ليس لها بأهل أن يجعلها له طهوراً وزكاة وقربة يقرِّبه بها منه يوم القيامة»[3].

وعن سعد بن أبي وقاص أنه قال: قلت: يا رسول الله! أي الناس أشد بلاءً؟ قال: «الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، فيبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلباً أشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة»[4].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «كان زكريا نجاراً»[5].

الرسول يكون رجلاً حراً سليماً من العيوب:

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ﴾[6] وقال تعالى:

---

(١) سورة إبراهيم ١١.

(٢) سورة الكهف آية ١١٠.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب البر والصلة والآداب.باب من لعنه النبي ﷺ أو سبه، ج١٦، ص ١٥٥.

(٤) سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. ج٤، ٦٠١.

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الفضائل، ج١٦، ١٣٥.

(٦) الأنبياء ٧.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾[1].

والرسالة تقتضي الاشتهار بالدعوة، ومخاطبة الرجال، ومقابلة الناس في السر والعلانية، وإعداد الجيوش وقيادتها، وهذا لا يناسب المرأة البتة، بل هذا عمل الرجال، ثم إن المرأة يطرأ عليها ما يحول بينها وبين كثير من المهمات، كالحيض والحمل والولادة والنفاس، ثم ما يتطلبه الوليد بعد من العناية. فلأجل ذا ولغيره لا تصلح المرأة للقيام بأعباء الرسالة وتكاليفها، وجاءت النصوص بخطاب الأنبياء.

«فأُثبتت الرسالة للرجال الموحى إليهم، وأُشعر بنفي ذلك عن غيرهم، فلا تكون أنثى نبية؛ لئن النفوس مائلة في ذواتهن بحسب الطبع فيغفلون عن مقالهن»[2].

وكذلك فإن الرق لا يليق بالأنبياء «ذلك لأن الرق وصف نقص لا يليق بمقام النبوة، والنبي يكون داعياً للناس آناء الليل وأطراف النهار، والرقيق لا يتيسر له ذلك؛ وأيضاً الرقّيةُ وصف نقص يأنف الناس ويستنكفون من اتباع من اتصف بها وأن يكون إماماً لهم وقدوة، وهي أثر الكفر؛ والأنبياء منزهون عن ذلك.. كما إنهم مبرءون من لؤم النسب، قال: ولهذا لم يبعث الله نبياً إلا في أشرف منسب أمته، فلم يبعث نبياً من ذي نسب مبذول»[3].

ثم إن جميع أنبياء الله تبارك وتعالى ورسله قد صانهم الله تعالى من العيوب المنفرة للطباع. كالجذام، والبرص، والخرس، والطرش ونحو ذلك فإن هذه العيوب تنفر الناس من الاجتماع بهم ومن اتباعهم والسماع لدعوتهم؛ فلذا حماهم الله جل وعلا من هذه العيوب، وسلمهم من تلك الأمراض[4]. عن

---

(١) سورة الأحزاب آية ٦٩.

(٢) لوامع الأنوار البهية للإسفراييني، ج٢، ص ٢٦٥ - ٢٦٧.

(٣) نفس المصدر، ج٢، ٢٦٧.

(٤) دلائل النبوة لإبي القاسم الاصبهاني، تحقيق مساعد الحميد، دار العاصمة، الرياض ١٤١٢هـ، انظر ص ٣٣ - ٣٩.

أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن موسى كان رجلاً حيياً ستيراً لا يرى من جلده شيء استحياء، فآذاه من آذاه من بني إسرائيل، فقالوا ما تستر هذا التستر إلا من عيب بجلده، أما برص أو أدرة، وإن الله أراد أن يبرئه، فخلا يوماً وحده ليغتسل، فوضع ثوبه على حجر، ففر الحجر بثوبه، فخرج موسى في أثره يقول: ثوبي يا حجر! ثوبي يا حجر! حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل، فرأوه عرياناً أحسن ما خلق الله وقالوا والله ما بموسى من بأس، وأخذ ثوبه، وطفق بالحجر ضرباً، فوالله أن بالحجر لندباً من أثر ضربه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً»[1].

وكان كرم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ـ تتحدث به الركبان، ويتناقله الثقلان، فعن أنس رضي الله عنه قال: «إن رجلاً سأل النبي ﷺ غنماً بين جبلين، فأعطاه إياه، فأتى قومه، فقال: أي قوم أسلموا، فوالله إن محمداً ليعطي عطاءً ما يخاف الفقر»[2].

وعنه رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ أحسن الناس، وأجود الناس وأشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق الناس قبل الصوت، فاستقبلهم النبي صلى الله عليه وسلم قد سبق الناس إلى الصوت وهو يقول: «لم تراعوا لم تراعوا» وهو على فرس لأبي طلحة عُري ما عليه سرج، وفي عنقه سيف، فقال: لقد وجدته بحراً»[3].

وعنه رضي الله عنه، قال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي، فجبذه بردائه جبذة شديدة، ورجع نبي الله ﷺ في نحر

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الغسل، باب من اغتسل عريانا وحده في الخلوة، ج١، ص ٣٨٥ والأدرة هي انتفاخ في الخصية. نفس المصدر، ج١، ص ٣٨٦.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب ما سئل الرسول صلى الله عليه وسلم شيئاً قط فقال لا، ج١٥، ص ٧٢.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب حسن الخلق، ج ١٠، ص٤٥٥. ؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الفضائل، باب شجاعة النبي صلى الله عليه وسلم وتقدمه للحرب، ج ١٥، ص ٦٧ وبحراً: أي واسع الجري وفيه بيان عظيم معجزته ﷺ في انقلاب الفرس سريعاً، ج١٥، ص ٦٨.

الإعرابي حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله ﷺ وقد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد! مُرْ لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله ﷺ ثم ضحك ثم أمر له بعطاء»[1] قال ابن حجر: «وجبذ بمعنى جذب».

وقال النووي: «وفيه احتمال الجاهلين والإعراض عن مقابلتهم ودفع السيئة بالحسنة وإعطاء من يتألف قلبه والعفو عن مرتكب كبيرة لا حدَّ فيها بجهله، وإباحة الضحك عند الأمور التي يتعجب منها في العادة، وفيه كمال خلق الرسول ﷺ وحلمه وصفحه الجميل»[2].

فلا عجب أن يختار الله واحداً من هذا الجنس، صاحب استعداد للتلقي، فيوحي إليه ما يهدي به إخوانه إلى الطريق كلما غام عليهم الطريق، وما يقدم به إليهم العون كلما كانوا بحاجة إلى العون.. وهم من جانبهم يجدون فيه القدوة الممكنة، لأنه بشر مثلهم، يتسامى بهم رويداً رويداً، ويعيش فيهم بالأخلاق والأعمال والتكاليف التي يبلغهم أن الله قد فرضها عليهم، وتكون حياته وحركاته صفحة معروضة لهم، فتهفوا نفوسهم إلى محاكاتها لأنها ممثلة في إنسان[3]. صادق شجاع جواد صبور حر سالم من العيوب، يتحلى بكامل صفات الرجولة والبشرية وهذا الصفات التي تقوم عليها النبوة والرسالة كما اتضحت جلية في خاتمهم وسيد الخلق أجمعين محمد صلى الله عليه وسلم.

الرد على المخالفين في صفات الرسل:

وأنبياء الله ورسله ممن اصطفاهم الله من خيرة البشر فليسوا من الملائكة

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب حسن الخلق، ج ١٠، ص ٥٠٣.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ج٧، ص ١٤٧.

؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة ومن يخاف على إيمانه، ج٧، ١٤٦.

(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، الطبعة التاسعة، ١٤٠٠هـ، ج ٥، انظر ص ٢٥٥٢، ٢٥٥٣.

ولا من الجن وليسوا آلهة كما ادعى كذباً اليهود والنصارى، ولذلك فإن الرسل أنفسهم كانوا يتبرأون من الحول والطول ويعتصمون بالله الواحد الأحد ولا يدّعون شيئاً من صفات الله تعالى، قال تعالى مبيناً براءة عيسى مما نسب إليه ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾[2] إنهم اليهود والنصارى وقد وصفهم الله بالكفر، وقضى سبحانه بلعنهم لضلالهم وقتلهم الأنبياء فهم بين قاتل للأنبياء وبين مؤله لهم وهذان يقتضيان الكفر واللعنة من الله. قال تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾[3].

وبهذا يتبين انكار الله سبحانه في كتابه العزيز دعوى من ادعى أن الأنبياء فيهم من انتسب إلى الله، بل إنما هم بشر من ذرية آدم عليه السلام.

وإذا لم يكن لهم نسب إلى الله فإنهم لا ينتسبون إلى الملائكة قطعاً، فقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾[4].

قال ابن كثير: «أي لو نزلت الملائكة على ما هم عليه لجاءهم من الله العذاب، ولو أنزلنا مع الرسول البشري ملكاً أي لو بعثنا إلى البشر رسولاً ملكياً

---

(١) سورة المائدة آية ١١٦ ـ ١١٧.

(٢) سورة التوبة آية ٣٠.

(٣) سورة المائدة آية ٧٨.

(٤) سورة الأنعام آية: ٨، ٩.

لكان على هيئة الرجل ليمكنهم مخاطبته والانتفاع بالأخذ عنه ولو كان كذلك لالتبس عليهم الأمر كما هم يلبسون على أنفسهم في قبول رسالة البشري، فمن رحمته تعالى بخلقه أنه يرسل إلى كل صنف من الخلائق رسلاً منهم ليدعوا بعضهم بعضاً وليمكن بعضهم أن ينتفع ببعض في المخاطبة والسؤال»[1] وحيث إن الأنبياء لم يكونوا ملائكة وليس فيهم خاصية الألوهية؛ فهم كذلك ليس فيهم رسل من الجن على الراجح من القول.

الجنّ والرسالة:

قال شيخ الإسلام متسائلاً: «وهل فيهم رسل أم ليس فيهم إلا نذر؟ على قولين: فقيل: فيهم رسل لقوله تعالى: ﴿يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾[2]وقيل: الرسل من الإنس، والجن فيهم النذر، وهذا أشهر؛ فإنه أخبر عنهم باتباع دين محمد ﷺ، وأنهم ﴿وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَـٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَـٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾[3]. والأكثرون على أنه لا رسل فيهم، وعن الحسن البصري قال: لم يبعث الله نبياً من الجن.. وأما التكليف بالأمر والنهي والتحليل والتحريم: فدلائله كثيرة، مثل ما في مسلم عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺقال: «أتاني داعي الجن، فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن، فانطلقوا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم، وسألوه الزاد فقال: لكم كل عظم ذُكر اسم الله عليه يقع في أيديكم، أو فر ما يكون، وكل بعرة علف لدوابكم»[4] قال النبي ﷺ: «لا تستنجوا بالعظم والروث»[5] وذلك لئلا يفسد عليهم طعامهم وعلفهم، وهذا يبين إن ما أباح لهم من ذلك ما ذكر اسم الله عليه دون ما لم يذكر اسم الله عليه.

---

(١) تفسير ابن كثير، ج١، ص ١٠٩.

(٢) سور الأنعام ١٣٠.

(٣) سورة الأحقاف ٢٩، ٣٠.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الصلاة باب القراءة على الجن والجهر بالقراءة في الصبح، ج٤، ص ١٦٨.

(٥) سنن الترمذي، كتاب الطهارة، باب كراهية ما يستنجى منه، ج١، ص ٢٩. قال أبو عيسى: والعمل على هذا الحديث عند أهل العلم.

وقد قال تعالى عن الجن: ﴿قَالُوا يَقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَـٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ إلى قوله ﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ الآية. فأمروا بإجابة داعي الله الذي هو الرسول.

والإجابة والاستجابة هي طاعة الأمر والنهي، وهي العبادة التي خلق لها الثقلان»[1] قال ابن حجر: «وأما كونهم مكلفين فقال ابن عبد البر: الجن عند الجماعة مكلفون، لا نعلم خلافاً بين أهل النظر في ذلك، ودليل الجماعة ما في القرآن من ذم الشياطين والتحرز من شرهم وما أعد لهم من العذاب، وهذه الخصال لا تكون إلا لمن خالف الأمر وارتكب النهي مع تمكنه من أن لا يفعل، والآيات والأخبار الدالة على ذلك كثيرة جداً، وإذا تقرر كونهم مكلفين فقد اختلفوا هل كان فيهم نبي منهم أم لا؟.

فروى الطبري عن الضحاك بن مزاحم إثبات ذلك. واحتج بأن الله تعالى أخبر أن من الجن والإنس رسلاً أرسلوا إليهم، فلو جاز أن المراد برسل الجن رسل الإنس لجاز عكسه وهو فاسد. وقال ابن حزم: بأنه ﷺ قال: «وكان النبي يبعث إلى قومه»[2] قال وليس الجن من قوم الإنس فثبت أنه كان منهم أنبياء إليهم. قال: ولم يبعث إلى الجن من الإنس نبي إلا نبينا ﷺ لعموم بعثته إلى الجن والإنس باتفاق. وقال ابن عبد البر: لا يختلفون أنه ﷺ بعث إلى الإنس والجن، وهذا مما فضل به على الأنبياء. وقال الجمهور: بأن معنى الآية أن رسل الإنس رسل من قبل الله إليهم، ورسل الجن بثهم الله في الأرض فسمعوا كلام الرسل من الإنس وبلغوا قومهم.

وذهب الجمهور إلى أنهم يثابون على الطاعة، وهو قول الأئمة الثلاثة، ثم اختلفوا هل يدخلون مدخل الإنس؟ على أربعة أقوال: أحدها نعم، وهو قول الأكثر، وثانيها يكونون في ربض الجنة وهو منقول عن مالك وطائفة. وثالثها أنهم أصحاب الأعراف، ورابعها التوقف عن الجواب في هذا»[3].

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية، ج٤، ص ٢٣٤، ٢٣٥ وانظر النبوات لابن تيمية ص ٣٩١.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب التيمم، ج ١، ص ٤٣٦.

(٣) فتح الباري ج ٦، ص ٣٤٤، ٣٤٥.

خطأ من قال بنبوة النساء:

وَهِم بعض العلماء فقالوا بنبوة مريم ابنت عمران وأم موسى وآسية امرأة فرعون وهاجر أم إسماعيل لقوله تعالى ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾[2] وقد أورد ابن حجر في الفتح قول الإمام القرطبي: «الصحيح أن مريم نبية لأن الله تعالى أوحى إليها بواسطة الملك، وقول الأشعري: إن من النساء من نبيء وهن ست: حواء وسارة وأم موسى وهاجر وآسية ومريم، والضابط عنده أن من جاءه الملك عن الله بحكم من أمر أو نهي أو بإعلام مما سيأتي فهو نبي، وقد ثبت مجيء الملك لهؤلاء بأمور شتى من ذلك من عند الله عز وجل، ووقع التصريح بالإيحاء لبعضهن في القرآن»[3]. وقال ابن حزم: «هذا فصل لا نعلمه حدث التنازع العظيم فيه إلا عندنا بقرطبة وفي زماننا فإن طائفة ذهبت إلى إبطال كون النبوة في النساء جملة وبدعت من قال ذلك، وذهبت طائفة إلى القول بأنه قد كانت في النساء نبوة، وذهبت طائفة إلى التوقف في ذلك. ولم يدّع أحد أن الله تعالى أرسل امرأة وإنما الكلام في النبوة دون الرسالة.. والوحي الذي هو النبوة قصد من الله تعالى إلى إعلام من يوحى إليه بما يعلمه به ويكون عند الوحي به إليه حقيقة، فهذا خطاب الملائكة لأم اسحق عن الله عز وجل بالبشارة لها بإسحق ثم يعقوب ثم بقولهم أتعجبين من أمر الله، ووجدناه تعالى قد أرسل جبريل إلى مريم.. فهذه نبوه صحيحة بوحي صحيح. ووجدنا أم موسى قد أوحي إليها بإلقاء ولدها في الّيم وأعلمها أنه سيرده إليها ويجعله نبياً مرسلاً فهذه نبوة لا شك فيها.. فصح يقينا أن الوحي الذي ورد لها في إلقاء ولدها في الّيم كالوحي الوارد على إبراهيم في الرؤيا في ذبح ولده. فصحت نبوتهن بيقين»[4].

ثم استدل القائلون بالنبوة لهن بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) سورة القصص ٧.

(٢) سورة مريم ١٧.

(٣) فتح الباري ج ٦، ص ٤٤٧.

(٤) الفصل في الملل والنحل لابن حزم، ج٥، ص ١٢، ١٣.

﴿ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾﴾[1] واستدلوا بحديث المصطفى ﷺ؛ فعن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»[2].

وهذا الاستدلال على نبوة مريم بالآية والحديث قول مردود، كما بينه علماء التفسير والحديث عند ذكر الآية وحديث الكمال؛ فقال ابن كثير: «إن الله قد اصطفاها أي اختارها لكثرة عبادتها وزهادتها وشرفها وطهارتها من الأكدار والوساوس، واصطفاها ثانياً مرة بعد مرة لجلالتها على نساء العالمين فتكون أفضل نساء العالمين ممن كان قبلها ووجد بعدها؛ لأنه إن كانت نبية على قول من يقول بنبوتها محتجاً بكلام الملائكة والوحي إلى أم موسى كما يزعم ذلك ابن حزم وغيره، فلا يمتنع على هذا أن تكون مريم أفضل من سارة وأم موسى.

وأما قول جمهور أهل السنة والجماعة إن النبوة مختصة بالرجال وليس في النساء نبية فيكون أعلى مقامات مريم كما قال تعالى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾[3]. فعلى هذا لا يمتنع أن تكون أفضل الصديقات المشهورات ممن كان قبلها ومن بعدها والله أعلم، وقد جاء ذكرها مقروناً مع آسية بنت مزاحم وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد رضي الله عنهن وأرضاهن»[4].

وقال النووي: «قال القاضي: هذا الحديث يستدل به من يقول بنبوة النساء

---

(١) سورة آل عمران آية ٤٢.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب وضرب الله مثلاً للذين أمنوا امرأة فرعون، ج ٦، ص ٤٤٦.
؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها ج١٥، ص ١٩٨.

(٣) سورة المائدة ٧٥.

(٤) تفسير ابن كثير ج ١، ص ٣١٢. وانظر البداية والنهاية لابن كثير حققه د. أحمد أبو ملحم وآخرون، دار الريان، القاهرة ١٤٠٨ هـ، ج٢، ص ٥٤، ٥٥.

ونبوة آسية ومريم، والجمهور على أنهما ليستا نبيتين بل هما صديقتان ووليتان من أولياء الله تعالى، ولفظة الكمال تطلق على تمام الشيء وتناهية في بابه، والمراد هنا التناهي في جميع الفضائل وخصال البر.. وهذا الذي نقل من القول بنبوتهما غريب ضعيف، وقد نقل جماعة القول على عدمها والله أعلم»(١).

وقال ابن حجر: «واستدل بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ﴾ على أنها كانت نبية وليس بصريح في ذلك، وأُيد بذكرها مع الأنبياء في سورة مريم، ولا يمنع وصفها بأنها صديقة فقد وصف يوسف بذلك، وقد نقل عن الأشعري أن في النساء عدة نبيات.. وحصرهن ابن حزم في ست.. وقال القرطبي: الصحيح أن مريم نبية.

قال القاضي عياض: الجمهور على خلافه، ونقل النووي في كتاب الأذكار قول الجمهور على أن مريم ليست نبيه. وعن الحسن: ليس في النساء نبية ولا في الجن. ونقله السهيلي في آخر الروض عن أكثر الفقهاء. وقال الكرماني: لا يلزم من لفظ الكمال ثبوتها لأنه يطلق لتمام الشيء وتناهيه في بابه فالمراد بلوغها النهاية في جميع الفضائل التي للنساء»(٢) وبهذا تكون «النبوة خاصة بالرجال، ولا تكون للنساء أبداً والحكمة من تخصيص الرجال بالنبوة دون النساء أن النبوة عبء ثقيل، وتكليف شاق لا تتحمله طبيعة المرأة الضعيفة، لأنه يحتاج إلى مجاهدة وصبر ومصابرة..

وما كانت نبياً قط أنثى ولا عبداً قبيحاً في الفعال

وما يقوله بعضهم أن النبوة قد تكون في النساء لقوله تعالى ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ﴾ فإنه استدلال خاطئ، لأن الوحي ليس بإنزال ملك وإنما هو بطريق الإلهام فقد أخبر تعالى بأنه أوحى إلى النحل.. فهل يصح أن نقول إن النحل قد نبأه الله تعالى»(٣).

---

(١) شرح النووي، ج١٥، ص ١٩٨، ١٩٩.
(٢) فتح الباري ج ٦، ص ٤٤٧، ٤٧١
(٣) النبوة والأنبياء، محمد علي الصابوني، ص ١٢.

«وهذا الذي ذكره القائلون في نبوتهن لا ينهض لإثبات نبوة النساء، والرد عليهم من وجوه:

الأول: أننا لا نسلّم لهم، أن النبي غير مأمور بالتبليغ والتوجيه ومخالطة الناس، والذي اخترناه أنه لا فرق بين النبي والرسول في هذا، وأن الفرق واقع في كون النبي مرسل بتشريع رسول سابق.

وإذا كان الأمر كذلك فالمحذورات التي قيلت في إرسال رسول من النساء قائمة في بعث نبي من النساء، وهي محذورات كثيرة تجعل المرأة لا تستطيع القيام بحق النبوة.

الثاني: قد يكون وحي الله إلى هؤلاء النسوة إنما وقع مناماً، فقد علمنا أن من الوحي ما يكون مناماً، وهذا يقع لغير الأنبياء، ولا نسلم لهم قولهم إن كل من خاطبته الملائكة فهو نبي، ففي الحديث أن الله أرسل ملكاً لرجل يزور أخاً له في الله في قرية أخرى، فسأله عن سبب زيارته له، فلما أخبره أنه يحبه في الله، أعلمه أن الله قد بعثه إليه ليخبره أنه يحبه، وقصة الأقرع والأبرص والأعمى معروفة، وقد جاء جبريل يعلم الصحابة أمر دينهم بسؤال الرسول ﷺ والصحابة يشاهدونه ويسمعونه.

الثالث: ورد في الحديث النص على أن خديجة من الكاملات وهذا يبين أن الكمال هنا ليس كمال النبوة.

الرابع: وصف مريم بأنها صديقة في مقام الثناء عليها والأخبار بفضلها.. فلو كان هناك وصفاً أعلى من ذلك لوصفها به، ولم يأت في نص قرآني ولا في حديث نبوي صحيح إخبار بنبوة واحدة من النساء»[1].

الخامس: إنه لم يثبت أن أحداً منهن قد ادعت النبوة أو شتهر أمرها بدعوى

---

(١) الرسل والرسالات، د. عمر الأشقر، ص ٨٧، ٨٨، ٨٩؛ انظر صحيح مسلم كتاب البر والصلة، باب فضل الحب في الله ج١٦، ص ١٢٢؛ وانظر فتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب أحاديث الأنبياء باب حديث الأبرص والأعمى والأقرع ج٦، ص ٥٠٠؛ وانظر صحيح مسلم كتاب الزهد ج١٨، ص ٧٩.

النبوة، مع كمالهن في العقل والاصطفاء والتدين وورود الثناء عليهن في الكتاب والسنة، وحيث إنه لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة، علم بطلان تلك الدعوى وقد علم بالضرورة حب النساء للثناء والإطراء فكيف إذا كان في جانب النبوة!.

السادس: قال ابن تيمية: «وبالجملة فهذا قول شاذ لم يسبق إليه أحد من السلف، وأبو محمد مع كثرة علمه وتبحره، وما يأتي به من الفوائد العظيمة، له من الأقوال المنكرة الشاذة ما يعجب منه كما يعجب مما يأتي به من الأقوال الحسنة الفائقة، وهذا كقوله: إن مريم نبية، وإن آسية نبيه، وإن أم موسى نبية»[1].

قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾»[2].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾»[3].

وقال ﷺ: «إنا معشر الأنبياء ديننا واحد والأنبياء أخوة لعلات»[4].

فهذا بيان حق لمن اتبع الهدى في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

فضائل الأنبياء وتفاضلهم:

حين خلق الله الخلق لم يتركهم هملاً، بل أرسل إليهم رسلاً وأنبياء يدعون إلى عبادة الله وحده ونبذ الشرك وأهله، وقد اختارهم فهم صفوة الخلق أجمعين، فكانوا رسلاً هادين مهديين، أولياء لله رضي عنهم ورضوا عنه «وأفضل أولياء الله هم أنبياؤه، وأفضل أنبيائه هم المرسلون منهم، وأفضل المرسلين أولو العزم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صوات الله عليهم وسلامه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية، ج ٤، ص ٣٩٦.

(٢) سورة البقرة ٢٥٣.

(٣) سورة النساء ١٦٣.

(٤) سبق تخريجه ص ٣٥٤، وانظر البحث ص ٣٧٥، ٣٧٦.

مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ۝٧ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[1].

وأفضل أولي العزم: محمد ﷺ خاتم النبيين وإمام المتقين، وسيد ولد آدم، وإمام الأنبياء إذا اجتمعوا، وخطيبهم إذا وفدوا، صاحب المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون، وصاحب لواء الحمد، وصاحب الحوض المورود، وشفيع الخلائق يوم القيامة، وصاحب الوسيلة والفضيلة، بعثه الله بأفضل الكتب وشرع له أفضل شرائع دينه، وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس، وجمع له ولأمته من الفضائل والمحاسن ما فرقه فيمن قبلهم، وهم آخر الأمم خلقاً، وأول الأمم بعثاً، كما قال ﷺ: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم، ثم هذا يومهم الذي فرض عليهم ـ يعني يوم الجمعة ـ فاختلفوا، فهدانا الله له، والناس لنافيه تبع، اليهود غداً، والنصارى بعد غدٍ»[2].

«والأنبياء كل منهم يأتيه الوحي من الله لاسيما محمد ﷺ لم يكن في نبوته محتاجاً إلى غيره، فلم تحتج شريعته إلى نبي سابق، ولا إلى لاحق، بخلاف غيره، فإن المسيح أحالهم في أكثر الشريعة إلى التوراة، وشريعة التوراة جاء المسيح يكملها، ولهذا كان النصارى محتاجين إلى النبوات المتقدمة على المسيح، كالتوراة والزبور، وكانت الأمم قبلنا محتاجين إلى محدثين، بخلاف أمة محمد ﷺ فإن الله أغناهم به، فلم يحتاجوا معه إلى نبي ولا إلى محدث، بل جمع له من الفضائل والمعارف والأعمال الصالحة ما فرقه في غيره من الأنبياء»[3].

وقد رفع الله قدرهم وأعلى منزلتهم وأنزل فيهم قرآناً يتلى حتى يبعث الله الخلق ويرث الأرض، بعد أن يُسرى على كتاب الله فلا يبقى في الأرض منه آية

---

(١) سورة الأحزاب آيه ٧ -٨.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب فرض الجمعة، ج٢، ص٣٥٤؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الجمعة، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة، ج ٦، ص ١٤٤.

(٣) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، لابن تيمية، دار طويق للنشر، ص ٥٦،٥٥، ١٥٨، ١٨٦، ١٩٤.

واحدة، وذلك قبل قيام الساعة. فعن حذيفة بن اليمان أن النبي ﷺ قال: «يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب، حتى لا يدرى ما صيام ولا نسك ولا صدقة، ويسرى على كتاب الله في ليلة فلا يبقى في الأرض آية، ويبقى طوائف من الناس فيهم الشيخ يقولون أدركنا آباءنا يقولون لا إله إلا الله فنقولها، فقال صلة بن زفر فما تغني عنهم لا إله إلا الله وهم لا يدرون ما صيام ولا نسك ولا صدقة فأعرض عنه حذيفة فأعاد صلة ثلاثاً ثم قال حذيفة: تنجيهم من النار ـ قالها ثلاثاً ـ»[1].

وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن كل واحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ وهذا من الفروق بين الأنبياء وغيرهم، فإن الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه يجب الإيمان بجميع ما يخبرون به عن الله عز وجل وتجب طاعتهم فيما يأمرون به.

وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أولياء الله تعالى على أن الأنبياء أفضل من الأولياء الذين ليسوا بأنبياء، وقد رتب الله عباده السعداء المنعم عليهم أربع مراتب فقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ۝٦٩﴾[2].

أما رسالة محمد ﷺ فقد اختصت بأمرين هامين وهما:

أولاً: إنها عامة لجميع الإنس والجن ولم يحصل هذا إلا لنبينا صلى الله عليه وسلم قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾[3] وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة: يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار»[4].

---

(١) المستدرك للحاكم ج٤، ص ٥٢٠، على شرط مسلم، وصححه؛ فتح الباري، كتاب الفتن، ج١٣، ص ١٦، وقال الحافظ بن حجر سنده قوي؛ سلسلة الأحاديث الصحيحة لناصر الدين الألباني، ج١، القسم الأول، حديث رقم ٨٧، ص ١٧١.

(٢) سورة النساء آية ٦٩.

(٣) سورة سبأ ٢٨.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس ج ٢، ص ١٨٦.

فأهل الكتاب إذا لم يومنوا بمحمد ﷺ فهم كفار، وقد كفّرهم الله لقولهم بالتثنية والتثليث وأن المسيح وعزير أبناء الله. فعن جابر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة»[1].

ثانياً: إنها رسالة خاتمة.

قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثلي ومثل الأنبياء كمثل قصر أحسن بنيانه ترك منه موضع لبنة، فطاف له النظار، يتعجبون من حسن بنيانه إلا موضع تلك اللبنة، فكنت أنا سددت موضع اللبنة، ختم بي البنيان وختم بي الرسل» وفي رواية: «فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين»[3].

إن فضائل وشمائل المصطفى ﷺ قد كثر رواتها واشتهرت أخبارها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال. قال رسول الله ﷺ «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر، وأنا أول شافع وأول مشفع»[4].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «آتي باب الجنة يوم القيامة،

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب التيمم، ج١، ص ٤٣٥. صحيح مسلم كتاب المساجد، ج ٥، ص ٥.

(٢) سورة الأحزاب آية ٤٠.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب خاتم النبيين صلى الله عليهم وسلم، ج٦، ص ٥٥٨

؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الفضائل، باب ذكر كونه خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم، ج١٥، ص ٥١.

(٤) نفس المصدر، كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق، ج١٥، ص٣٧.

فاستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول محمد، فيقول: بك أُمرت أن لا أفتح لأحد قبلك»[1].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «لو كنت متخذا خليلاً لاتخذت أبا بكر ولكنه أخي وصاحبي وقد اتخذ الله عز وجل صاحبكم خليلا»[2].

وإذا كان الله سبحانه قد أعطى أنبياءه من الفضائل والمكرمات ما يعجز البحث عن استقصائه؛ فمنهم من وصفهم الله بأنهم أولو العزم من الرسل، ثم إن داود عليه الصلاة والسلام قد فضله الله بإعطائه الزبور، وآدم اختصه الله بأنه أبو البشر، ونوح بأنه أول الرسل، وإبراهيم خليل الله وإماماً للناس، وموسى فضّله الله بالتوراة وبكلامه، وعيسى بن مريم كلمة الله وروح منه، وقد يكون النبي نبياً ملكاً كسليمان، وقد يكون عبداً رسولاً كمحمد ﷺ، وقد يكون نبياً لا غير كأنبياء بني إسرائيل، وقد ورد عدد الأنبياء والرسل وأن غالبهم أرسلوا إلى بني إسرائيل.

أما محمد ﷺ فقد نال الفضائل كلها، فكان كما قال ﷺ «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر»[3].

وعندما يبعث الله الأولين والآخرين يوم القيامة يكون رسولنا المصطفى ﷺ سيد ولد آدم، بيده لواء الحمد، والأنبياء والمرسلون في ذلك اليوم تحت لوائه.

وعندما يشتد الكرب بالناس في ذلك اليوم يستشفع الناس بالرسل العظام ليشفعوا إلى الله ليقضي بين عباده فيتدافعها الرسل، كل واحد يقول اذهبوا إلى غيري حتى إذا أتوا عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام قال: «اذهبوا

---

(١) نفس المصدر، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ. أنا أول الناس يشفع في الجنة ج٤، ص٧٣.

(٢) نفس المصدر كتاب الفضائل، باب فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ج١٥، ص ١٥٣.

(٣) سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة بني إسرائيل، ج ٥، ص ٣٠٨. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

إلى محمد عبد غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر»[1] وقد فضله الله في نفسه ودعوته وأمته بفضائل، فمن ذلك أنه اتخذه خليلاً كما اتخذ الله إبراهيم خليلا وخصه الله دون غيره بست لم يعطها أحد من الأنبياء قبله، ففي الحديث عن أبي هريرةﷺ، أن النبي ﷺ قال: «فضلت على الأنبياء بست: أُعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهوراً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون»[2].

ومعنى كونه خاتم الأنبياء والمرسلين أنه لا يبعث رسول من بعده بغير شرعه، ويبطل شيئاً من دينه، أما نزول عيسى آخر الزمان فهو حق وصدق كما أخبر المصطفى ﷺ ولكنه لا ينزل ليحكم بشريعة التوراة والإنجيل، بل يحكم بالقرآن ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويؤذن للصلاة[3].

وقد تميز الأنبياء بعدلهم وأمانتهم فكان يوسف أمين على خزائن عزيز مصر، وكان إبراهيم أمة، وسُمي محمد قبل بعثته بالأمين، وسمى نفسه أمين من في السماء، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسماً إذ أتاه ذو الخويصرة[4] وهو رجل من تميم فقال: يا رسول الله اعدل. فقال: ويلك، ومن يعدل إذا لم أعدل، قد خبتَ وخسرتَ إن لم أكن أعدل.. ـ وفي رواية عند مسلم ـ ألا تأمنوني وأنا أمين من في المساء يأتيني خبر السماء صباحاً ومساء..»[5].

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، ج ١٣، ص ٤٢٢.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ج ٥، ص ٥.

(٣) الرسل والرسالات، د. عمر الأشقر، ص ٢٢٠ - ٢٢٢.

(٤) عبد الله بن ذي الخويصرة التميمي رأس الخوارج وقائدهم، قال عمر رضي الله عنه إيذن لي فيه يا رسول الله أضرب عنقه قال: دعه، فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم.. يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية..، قتل في موقعة النهروان، وحمد الله علي رضي الله عنه أنه منهم أي الخوارج. فتح الباري، كتاب استتابة المرتدين، باب قتال الخوارج، ج١٢، ص ٢٩٠.

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة،ج٦،ص ٦١٧؛.

«وكذلك لما ادعى النبوة من ادعاها من الكذابين، مثل مسيلمة الكذاب والعنسي وغيرهما، مع ما كان يشتبه من أمرهم، لما كان ينزل عليهم من الشياطين ويوحون إليهم، حتى يظن الجاهل أن هذا من جنس ما ينزل على الأنبياء ويوحى إليهم، فكان ما يبلغ العقلاء وما يرونه من سيرتهم والكذب الفاحش والظلم ونحو ذلك يبين لهم أنه ليس بنبي، إذ قد علموا أن النبي لا يكون كاذباً ولا فاجراً»(١).

وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته وأخرت دعوتي شفاعة لأمتي، فهي نائلة إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئاً»(٢).

وقد كان من علو منزلة نبينا محمد ﷺ أن الله سبحانه وتعالى قد ختم برسالته الدين وتبليغ رسالته إلى الناس أجمعين، بل وإلى الثقلين فكانت خاتمة الدين والرسالات حتى يرث الله الأرض ومن عليها، بل إن الله لا يقبل ديناً بعد رسالة محمد ﷺ إلا الإسلام، فقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾(٣).

عن جبير بن مطعم رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يُمحى بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يُحشر الناس على عقبي وأنا العاقب، والعاقب الذي ليس بعده نبي»(٤).

«والأنبياء أفضل الخلق باتفاق المسلمين، وبعدهم الصديقون والشهداء والصالحون.. وهم أصحاب الدرجات العلى في الآخرة، فيمتنع أن يكون النبي

صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم ومن يخاف على إيمانه، ج٧، ص ١٦٣.

(١) منهاج السنة، لابن تيمية، ج٢، ص ٤٢٠.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب اختباء النبي ﷺ دعوته الشفاعة لأمته، ج٣، ص ٧٤.

(٣) سورة آل عمران آية ٨٥.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الفضائل باب، أسمائه ﷺ، ج١٥، ص ١٠٤.

من الفجار، بل لا يكون من عموم أصحاب اليمين، بل من أفضل السابقين المقربين، فإنهم أفضل من عموم الصديقين والشهداء والصالحين، وإن كان النبي يوصف بأنه صديق وصالح وقد يكون شهيداً، لكن ذاك أمر يختص بهم لا يشركهم فيه من ليس بنبي.. فهذا ما يوجب تنزيه الأنبياء أن يكونوا من الفجار والفساق، وعلى هذا إجماع سلف الأمة وجماهيرها»[1].

«ومما استدل به أهل السنة على أن آدم وغيره من الأنبياء أفضل من جميع الملائكة؛ أن الله أمر الملائكة بالسجود له إكراماً له؛ في قوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾[2] فهذه ثلاث صيغ مقررة للعموم وللاستغراق؛ فإن قوله الملائكة، يقتضي جميع الملائكة، الثاني كلهم، وهذا من أبلغ العموم، الثالث قوله: أجمعون وهذا توكيد للعموم.

أما المفاضلة بين عموم البشر والملائكة فإن صالحي البشر أفضل باعتبار كمال النهاية، والملائكة أفضل باعتبار البداية، فإن الملائكة الآن في الرفيق الأعلى منزهين عما يلابسه بنو آدم، مستغرقون في عبادة الرب، ولا ريب، أن هذه الأحوال الآن أكمل من أحوال البشر وأما يوم القيامة بعد دخول الجنة فيصير صالحوا البشر أكمل من حال الملائكة»[3].

«وأما دعوة محمد ﷺ إلى التوحيد والتنزيه، فقد وصلت إلى أكثر بلاد المعمورة، والناس قبل مجيئه كانوا على الأديان الباطلة، فعبدة الأصنام كانوا مشتغلين بعبادة الحجر والخشب. واليهود كانوا على دين التشبيه وصنعة التزوير، وترويج الأكاذيب. والمجوس كانوا في عبادة الإلهين ونكاح الأمهات والبنات. والنصارى كانوا في التثليث، تثليث الأب والابن وروح القدس. والصابئة كانوا في عبادة الكواكب، فكان أهل العالم معرضين عن الدين الحق والمذهب الصدق، فلما أرسله الله تعالى إلى هذا العالم، بطلت الأديان الباطلة، وزالت

---

(١) منهاج السنة، لابن تيمية، ج٢، ص ٣٤٣، ٣٤٦.
(٢) سورة الحجر آية ٣٠.
(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٤، ص ٣٤٣، ٣٤٦.

المقالات الفاسدة، وطلعت شموس التوحيد، وأقمار التنزيه من قلب كل أحد، وانتشرت تلك الأنوار في بلاد العالم، فثبت أن تأثير دعوة محمد عليه الصلاة والسلام في علاج القلوب المريضة والنفوس الظامئة إلى الحق، كان أتم وأكمل من تأثير دعوة سائر الأنبياء فوجب القطع بأنه أفضل من جميع الأنبياء والرسل في كل ما يتعلق بالنبوة والرسالة»[1].

وفضائله ﷺ وفضائل أمته كثيرة، ومن حين بعثه الله جعله الفارق بين أوليائه وبين أعدائه فلا يكون ولياً لله إلا من آمن به وبما جاء به واتبعه باطناً وظاهراً، ومن ادعى محبة الله وولايته وهو لم يتبعه فليس من أولياء الله، بل من خالفه كان من أعداء الله وأولياء الشيطان، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[2].

قال الحسن البصري[3] - رحمه الله - : «ادّعى قوم أنهم يحبون الله فأنزل الله هذه الآية محنة لهم. وقد بين الله فيها أن من اتبع الرسول فإن الله يحبه ومن ادعى محبة الله ولم يتبع الرسول ﷺ فليس من أولياء الله»[4].

الرد على المخالفين في فضل الأنبياء

بعد أن أتم الله دينه منزلاً على نبيه محمد ﷺ، فما لبث أن توفاه الله، ثم كانت خلافة راشدة ما قدر الله، وبعد وفاة علي رضي الله عنه، ظهر مذهب التشيع فمنهم من غلا ورفعه إلى مرتبة الألوهية وقالوا: «إن الإله حل فيه وفي الأئمة من بعده،

---

(١) النبوات وما يتعلق بها، فخر الدين محمد الرازي، تحقيق د. أحمد السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، ص ١٨٢.

(٢) سورة آل عمران ٣١.

(٣) الحسن بن أبي الحسن - يسار - البصري أبو سعيد من التابعين، قال ابن حجر ثقة فقيه فاضل مشهور، ولد بالمدينة لسنتين بقيتا من خلافة عمر، وتوفي بالبصرة سنة ١١٠هـ رحمه الله. تقريب التهذيب، ج١، ص ١٦٥.

(٤) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية، حققه د. عبد الرحمن اليحيى، ص٥٧.

وهو قول يوافق بعض الديانات القديمة التي كانت تقول بحلول الإله في بعض البشر، وأن روح الإله تتناوب الأئمة إماما بعد إمام. فأما السبئية وهم أتباع عبد الله بن سبأ اليهودي والذي أسلم منافقاً ثم أخذ في إقناع أتباعه بأفكاره حقداً وتحريضاً ونفاقاً حتى قالوا: إن الإله قد تجسد في علي؛ وقالوا له: «هو أنت الله» وقد همّ بإحراق هؤلاء ـ وكان هذا في حياته رضي الله عنه.

أما فرقة الغرابية: وهي فرقة من الغلاة، وهذه الفرقة لم تؤله علياً؛ كالسبئية ولكنها كادت تفضله على النبي ﷺ، فزعموا أن الرسالة كانت لعلي رضي الله عنه ولكن جبريل أخطأ فنزل على محمد بدل أن ينزل على علي رضي الله عنه، وسُمّوا بالغرابية لأنهم قالوا أنه يشبه النبي ﷺ كما يشبه الغراب الغراب!.

وقالت السبئية إن المختار[1] حجة الزمان، وحملوه على دعوى النبوة، فادعاها عند خواصه، وزعم أن الوحي ينزل عليه»[2].

قال أبو محمد: «فهل سمع بأضعف عقولا وأتم رقاعة من قوم يقولون أن محمداً ﷺ كان يشبه علي بن أبي طالب فأين يقع شبه بين ابن اربعين سنة من صبي ابن إحدى عشرة سنة حتى يغلط به جبريل عليه السلام..

والقسم الثاني من فرق الغالية الذين يقولون بالألهية لغير الله الذين قالوا لعلي بن أبي طالب مشافهة أنت هو فقال: ومن هو؟ قالوا أنت الله فاستعظم الأمر وأمر بنار فأججت وأحرقهم بالنار فجعلوا يقولون وهم يرمون في النار الآن صح عندنا أنه الله لأنه لا يعذب بالنار إلا الله وفي ذلك يقول رضي الله عنه:

---

(١) المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي الكذاب، قال ﷺ: «يكون في أمتي كذاب ومبير» فكان الكذاب هذا، خرج يطلب بثأر الحسين بن علي، جهز جيشاً لحرب عبيد الله بن زياد فقتله في عهد عبد الملك بن مروان. سار مصعب بن الزبير فنزل حروراء والتقى بالمختار فقتله بعد موقعة عظيمة في الكوفة سنة ٦٧ هـ؛ سير أعلام النبلاء للذهبي، ج٣، ص ٥٣٨. الأعلام للزركلي ج٧، ص ١٩٢؛ وانظر سنن الترمذي كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يخرج كذابون. حديث حسن صحيح، ج٤، ص ٤٩٨.

(٢) الفرق بين الفرق للبغدادي، ص ٢١، ٤٧ وانظر: تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة، ص٣٩، ٤٠.

لما رأيت الأمر أمراً منكراً   أججت ناراً ودعوت قنبرا

يريد قنبراً مولاه وهو الذي تولى طرحهم في النار.. فإن محنة أبي الحسن رضي الله عنه بين أصحابه كمحنة عيسى صلى الله عليه وسلم بين أصحابه وهذه الفرقة باقية إلى اليوم فاشية عظيمة العدد»[1].

ثم كان مذهب الإمامية الإثني عشرية الرافضي هو المذهب المسيطر والمعتبر بالنسبة للتشيع وله علماؤه ورواته، بل أصبح في هذا العصر ممثلاً بدولة تحكم من خلال هذا المذهب «والشيعة الإمامية تميزت عمن سواها من الفرق، إلى جانب تميزها ببعض الأسماء، وهي الشيعة الإمامية، والشيعة الإثنا عشرية، والشيعة الجعفرية والشيعة الرافضة، وقد عرفت بالإمامية لأنها جعلت الإمامة ركنا خامساً من أركان الإيمان، وعدت الإمامة صنو النبوة، وعرفت بالإثني عشرية لأنها جعلت الإمامة متسلسلة في اثني عشر إماماً من ولد علي رضي الله عنه، ينص السابق على اللاحق الذي يليه.

وأصول الشيعة الإمامية خمسة وهي: التوحيد، النبوة، والإمامة، والعدل، والمعاد»[2] والشيعة في غالب اعتقادهم موافقون للمعتزلة في التوحيد والعدل والمعاد، وتعتقد الشيعة الإمامية أن لائمتهم صلة بالوحي وإن اختلف علماؤهم في التعبير عن طبيعة هذه الصلة، وقد روى الكليني في كتابه الكافي قال: «كتب الحسن بن عباس إلى الرضا عليه السلام: جعلت فداك أخبرني عن الفرق بين الرسول والنبي والإمام، قال فكتب وقال: الفرق بين الرسول والنبي والإمام أن الرسول الذي ينزل عليه جبريل فيراه ويسمع كلامه، وينزل عليه الوحي، وربما رأى في منامه نحو رؤيا إبراهيم عليه السلام، والنبي ربما يسمع الكلام وربما رأى الشخص ولم يسمع، والإمام هو الذي يسمع الكلام ولا يرى الشخص ثم يقول الكليني على لسان أحد أئمتهم: إن منا لمن ينكت في قلبه، وإن منا لمن يؤتى في منامه، وإن

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم، ج ٤، ص ١٤٠، ١٤٢.

(٢) أصل الشيعة وأصولها، محمد كاشف الغطاء، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت، ص ٥٧ - ٦٢.

منا لمن يسمع الصوت مثل صوت السلسلة في الطشت وإن منا لمن يأتيه صورة أعظم من جبريل وميكائيل»[١].

ويقول آيتهم[٢]! : «إن من ضرورات مذهبنا أن لائمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل.. وإن تعاليم الأئمة كتعاليم القرآن يجب تنفيذها واتباعها»[٣]. وها هم يرفعون مقام أئمتهم بقولهم: «إن قول الإمام نبياً كان أو وصياً هو قول الله، وهداه هدى الله، وحكمه حكم الله، الذي لا يحتمل العكس»[٤].

وها هم الشيعة يدّعون أن محمداً ﷺ لم يبلّغ جميع ما أوحي إليه وإنما ترك لهؤلاء الأئمة الإثني عشر تبليغ وبيان بعض الوحي الذي أنزل على محمد ﷺ وقد أوضح هذا المعتقد محمد كاشف الغطاء فقال: «وبقيت أحكام كثيرة لم تحصل الدواعي والبواعث لبيانها، أو لعدم اقتضاء المصلحة لنشرها، أو لعدم الابتلاء بها في عصر النبوة، والحاصل أن حكمة التشريع اقتضت بيان جملة من الأحكام، وكتمان جملة، ولكنه سلام الله عليه أودعها عند أوصيائه، كل وصي يعهد بها إلى الآخر، لينشره في الوقت المناسب»[٥].

أما صاحب الكافي فقد أورد حديثاً صريحاً عندهم يتضمن مساواة الأئمة بالنبي ﷺ فقد نسب إلى أبي عبد الله ـ جعفر بن محمد الصادق بن علي بن

---

(١) الكافي في الأصول، لمحمد بن يعقوب الكليني ت ٣٢٨هـ، ج١، ص ١٧٦، حديث رقم ٢.

(٢) هو عند أصحابه الشيعة آية الله! وروح الله! مصطفى أحمد الخميني، هاجم الشاه وسجنه فصار عظيماً عند الشيعة ثم أطلقه ونفاه، عاش في النجف في العراق بعد ذلك ثم غادرها في ١٣٩٨هـ ثم ثار على الشاه وأقام حكومة الشيعة الإسلامية ١٣٩٩هـ. له كتاب الحكومة الإسلامية، وكشف الأسرار، وتحرير الوسيلة، قال بولاية الفقيه وقيام الجمعة والجماعة والجهاد حتى يخرج الإمام فهو أعظم مفكر في تاريخهم. انظر كتاب الخميني الوجه الآخر في ضوء الكتاب والسنة، د. زيد العيص، دار اليقين ١٤١٣هـ، المنصورة، مصر، ص ٣٦ - ٤٢.

(٣) الحكومة الإسلامية للخميني، ص ١٣، ٥٢.

(٤) التفسير الكاشف / محمد جواد مغنية، ج١، ص ١٩٧؛ وانظر الخميني والوجه الآخر، زيد العيص، ص ٢٣.

(٥) أصل الشيعة وأصولها، محمد كاشف الغطا، ص ٧٦، ٧٧.

الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ - قوله إن الأئمة بمنزلة النبي في كل شيء إلا في الاسم والنكاح، قال: سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول: « الأئمة بمنزلة النبي ﷺ، إلا أنهم ليسو بأنبياء، ولا يحل لهم من النساء ما يحل للنبي صلى الله عليه وسلم فأما ما خلا ذلك فهم فيه بمنزلة الرسول ﷺ»[1]. بل إن هؤلاء الشيعة يعتقدون برجعة أئمتهم وهذا أصل من أصول معتقدهم وهو المعاد «وتعني الرجعة في المذهب الشيعي أن الأئمة مبتدئاً بالإمام علي، ومنتهياً بالحسن العسكري الذي هو الإمام الحادي عشر عند الشيعة الإمامية سيرجعون إلى هذه الدنيا ليحكموا المجتمع الذي أرسى قواعده بالعدل والقسط الإمام المهدي الذي يظهر قبل رجعة الأئمة، ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً، ويمهد الطريق لرجعة أجداده وتسلمهم الحكم وأن كل واحد من الأئمة حسب التسلسل الموجود في إمامتهم سيحكم الأرض ردحاً من الزمن، ثم يتوفى مرة أخرى ليخلفه ابنه في الحكم حتى ينتهي إلى الحسن العسكري، وسيكون بعد ذلك يوم القيامة. كل هذا تعويضاً لهم عن حقهم الشرعي في الخلافة، والحكومة، التي لم يستطيعوا ممارستها في حياتهم قبل الرجعة[2]»[3].

وإذا كان هذا تخبطاً في أئمتهم والقول بلا علم في رجعتهم؛ فإن هذا لا يمنعهم من التورع في كتاب ربهم المنزل على خير البرية محمد ﷺ حيث يقول النوري الطبرسي صاحب كتاب فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب: إن الأخبار المتواترة المطبق على صحتها الدالة بصحتها الدالة بصريحها على وقوع التحريف في القرآن الكريم تزيد إلى ألفي حديث»[4].

---

(١) الأصول من الكافي للكليني، ج١، ص ٢٧٠، لأبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني، ط طهران، ١٣٨١هـ.

(٢) الشيعة والتصحيح. د. موسى الموسوي، ص ١٤٢.

(٣) قال شيخنا في تعليقه على مسوّدة البحث: والغريب أن هذا القول بتمامه يعتقده اليهود في تفسيرهم لليوم الآخر، وأن من مات منهم قبل قيام دولتهم العالمية سيرجعون ويعوضهم الله بالعيش في ظلال دولتهم الموعودة!.

(٤) فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب، حسين محمد النوري الطيرسي، ت ١٣٢٠هـ، ص ٢٢٧.

قال شيخ الإسلام: «وأما من جوّز أن يكون غير النبي أفضل منه فهو من أقوال بعض ملاحدة المتأخرين من غلاة الشيعة والصوفية.. وفي الجملة: فمن جرب الرافضة في كتابهم وخطابهم علم أنهم من أكذب خلق الله، فكيف يثق القلب بنقل من كثر الكذب منهم قبل أن يعرف صدق الناقل»[١].

ويمكن القول بأن هؤلاء الشيعة؛ منهم من ألّه علياً في أول الأمر وفي أثناء حياته رضي الله عنه، ومنهم من اعتقد أنه أحق بالنبوة، ومنهم من فضل الأئمة على مقام النبوة ثم ادعى أن الأئمة مكملين لعصر النبوة في التشريع وبيان الأحكام، كما هو الحال في عصرنا هذا وليس هذا بغريب على من ادعى نقص كتاب الله، ورفض أحاديث رسول الله ﷺ التي رواها الثقات من أصحابه رضي الله عنهم، فهم في ظلمات بعضها فوق بعض وقد أدى هذا المنهج إلى الشرك والضلال وعبادة القبور والمشاهد واستغاثتهم بأئمتهم وسؤالهم والذبح لهم وهذا شرك بالله. «والصحيح أن أقوالهم التي يعلم أنها مخالفة لما جاء به الرسول ﷺ كفر وكذلك أفعالهم التي هي من جنس أفعال الكفار»[٢]. أما البابية البهائية والقاديانية وقبلهم الدروز والنصيرية؛ فهي مذاهب تمخضت من رحم الشيعة وهم المؤسسون لما طرح القوم من اعتقادات فاسدة في الوحي والنبوة والرسالة جمعاء، وقد كفرهم جميعاً علماء الإسلام، فهذا علي البهائي يدّعي «أنه أفضل من محمد ﷺ صاحب الدعوة الإسلامية العظمى، وأن تعاليمه التي جمعها في بيانه أفضل من تعاليم نبي المسلمين في قرآنه، وأن محمداً إذا كان قد تحدى الناس بالإتيان بسورة من سور الفرقان المبين، فإن الباب يتحدى الجميع بالإتيان بباب من أبواب بيانه العظيم.. أما المسلمون فليسوا في حاجة إلى هذه الديانة. ويكفي أن نعلم أن الإسلام قد كمل منذ أربعة عشر قرناً.. ثم جاءت القاديانية يتزعمها غلام أحمد القادياني الذي ادعى أنه المسيح الموعود؛ بمعنى أنه جاء بقوة وروح المسيح عيسى عليه السلام، وادعى أيضاً أنه هو النبي الذي تنبأت بظهوره في آخر الزمان أغلب الديانات العظيمة.

---

(١) منهاج السنة لابن تيمية، ج٢، ص ٤١٨، ٤٦٧.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية، ج ٢٨، ص ٥٠٠.

وقد ادعى أنه نبي، وأن مهمته إقامة العلاقة بين الإنسان وخالقه، كما أنه جاء ليفسر القرآن وتعاليم الإسلام في ضوء الوحي الإلهي بما يطابق العصر الحاضر»[١]

وهنا يقول صاحب كتاب حقيقة البابية والبهائية الدكتور محسن عبد الحميد: «إن الاستعمار الإنجليزي كان يقف وراء الحركتين البهائية والقاديانية، وكان يغذي الحركة البهائية ويقفون وراء رجالها وزعمائها، وكانوا أيضاً وراء الحركة القاديانية في الهند، ويقول غلام أحمد نفسه: «لقد قضيت معظم عمري في تأييد الحكومة الإنجليزية ونصرتها، وقد ألفت في منع الجهاد، ووجوب طاعة أولي الأمر الإنجليز.. وكان هدفي دائما أن يصبح المسلمون مخلصين لهذه الحكومة ـ أي الإنجليز ـ إن كلتا الحركتين نتيجة لعمالتهما الصريحة للإنجليز ألغتا الجهاد إلغاء كاملاً»[٢]. وما أشبه الليلة بالبارحة!!؟ وبهذا تبين موقف هؤلاء المخالفين من النبوة وتعطيل فروض الإسلام.

أما النصيرية وهم المنتسبون إلى محمد بن نصير الطوسي النميري ت ٢٧٠هـ الذي أدعى النبوة والرسالة وقد ألّهوا علياً وجعلوا الشريعة ظاهراً وباطنا، وخلع أولئك ربقة الإسلام واطرحوا معانيه ولم يبقوا لأنفسهم منه إلا الأسم واتخذوا لهم مقراً يسمى جبل النصيرية وعند الهجوم الصليبي مالئوا الصليبيين ضد المسلمين»[٣].

وأما الدروز وهم أتباع حمزة الدرزي ويكثرون بالشام وقد ألّهوا الحاكم بأمر الله الفاطمي وينكرون الأنبياء والرسل جميعاً، ويقولون بتناسخ الأرواح وينكرون الجنة والنار»[٤].

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني - ذيل الملل والنحل - محمد سيد الكيلاني، ج٢، ص ٤٦، ٦٢.

(٢) حقيقة البابية والبهائية، د. محسن عبد الحميد، المكتب الإسلامي، بيروت، ط الثانية ١٣٩٥هـ، ص ٢٤٧.

(٣) المذاهب الإسلامية، محمد أبو زهرة، ص ٥٨، وانظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ص ٥١١.

(٤) المذاهب الإسلامية، محمد أبو زهرة، ص ٥٧، وانظر والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ٢٢٣، ٢٢٤.

والإسماعيلية فرقة باطنية، انتسبت إلى إسماعيل بن جعفر الصادق، ظاهرها التشيع لآل البيت، وحقيقتها هدم عقائد الإسلام، تشيعت فرقها وامتدت عبر الزمان حتى وقتنا الحاضر.. يقولون بالتناسخ والإمام وارث الأنبياء جميعاً ويرفعون الإمام إلى ما يشبه الإله»[1].

قال شيخ الإسلام: «هؤلاء القوم المسّمون بالنصيرية هم وسائر أصناف القرامطة الباطنية أكفر من اليهود والنصارى، بل وأكفر من كثير من المشركين، وضررهم أعظم من ضرر الكفار المحاربين مثل التتار والفرنج وغيرهم.. وهم دائماً مع كل عدو للمسلمين، فهم مع النصارى على المسلمين، ومن أعظم المصائب عندهم انتصار المسلمين على التتار، ثم إن التتار ما دخلوا بلاد الإسلام وقتلوا خليفة بغداد وغيرهم من ملوك المسلمين إلا بمعاونتهم ومؤازرتهم»[2] «والإسماعيلية ملاحدة أكفر من النصيرية. ومن شيعة النصيرية من يقول:

أشهد ألا إله إلا حيدرة الأنزع البطين!!

ولا حجاب عليه إلامحمد الصادق الأمين!!

ولا طريق إليه إلاسلمان ذو القوة المتين!!

ويقولون: إن شهر رمضان أسماء ثلاثين رجلاً، وأن الصلوات الخمس عبارة عن خمسة أسماء وهي علي وحسن وحسين ومحسن وفاطمة إلى أنواع من الكفر الشنيع الذي يطول وصفه»[3].

«وليس في الطوائف المنتسبة إلى القبلة أعظم افتراء للكذب على الله وتكذيباً بالحق من المنتسبين إلى التشيع، ولهذا لا يوجد الغلو في طائفة أكثر مما يوجد فيهم. ومنهم من ادعى إلهية البشر، وادعى النبوة في غير النبي ﷺ وادعى

---

(١) نفس المصدر ص ٥٤، ٥٥، ٥٦، نفس المصدر ص ٤٥، ٤٩، ٥٠.
(٢) منهاج السنة لابن تيمية، ج ١، ص ٢٠.
(٣) نفس المصدر، ج ٢، ص ٥١٢.

العصمة في الأئمة ونحو ذلك، واتفق أهل العلم على أن الكذب ليس في طائفة من الطوائف المنتسبين إلى القبلة أكثر منه فيهم»[1].

والصوفية قوم ادعوا حب النبي ﷺ، ولكنهم أضل الناس وكذا الشيعة في العمل بهدي المصطفى ﷺ.

لا تدّع حب محمد ﷺ وتخالف أمره   إن المحب حقاً للحبيب مطيع

ثم اخترعوا عبارات الوجد والذوق والكشف والعارف والمريد والقطب وكلها ألفاظ مبتدعة ما زادت أصحابها إلا ضلالاً وخذلاناً والعياذ بالله! قال أبو محمد: «ادعت طائفة الصوفية أن في أولياء الله تعالى من هو أفضل من جميع الأنبياء والرسل وقالوا من بلغ الغاية القصوى من الولاية سقطت عنه الشرائع كلها من الصلاة والصيام والزكاة وغير ذلك.. وقالوا إنا نرى الله ونكلمه وكلما قُذف في أنفسنا فهو حق.. واعلموا رحمكم الله أن جميع فرق الضلالة لم يجر الله على أيديهم خيراً، ولا فتح بهم من بلاد الكفر قرية ولا رفعوا للإسلام راية، وما زالوا يسعون في قلب نظام المسلمين ويفرقون كلمة المؤمنين، ويسلّون السيف على أهل الدين ويسعون في الأرض مفسدين»[2].

وهذا كبيرهم وصاحب الراية عندهم ومن قبره مزاراً لهم وقضاء لحوائجهم ورغباتهم إنه ابن عربي الذي «يصرح في فصوصه: أن الولاية أعظم من النبوة؛ بل أكمل من الرسالة! ومن كلامه:

مقام النبوة في برزخ   فويق الرسول ودون الولي

وبعض أصحابه يتأول ذلك بأن ولاية النبي أفضل من نبوته، وكذلك ولاية الرسول أفضل من رسالته، أو يجعلون ولايته حاله مع الله، ورسالته حاله مع الخلق وهذا من بالغ الجهل.. ويزعم أن لبنة محمد ﷺ هي العلم الظاهر، ولبنتاه - أي ابن عربي - الذهب علم الباطن، والفضة علم الظاهر، وأنه يتلقى ذلك بلا واسطة؛ ويصرح في فصوصه: أن رتبة الولاية أعظم من رتبة النبوة، لأن الولي

---

(١) نفس المصدر، ج٢، ص ٣٤.

(٢) الفصل في الملل والنحل والأهواء، لابن حزم، ج٤، ص ١٧٠، ١٧١.

يأخذ بلا واسطة، والنبي بواسطة فهو لم يتبع النبي ﷺ في شيء، فإنه أخذ بزعمه عن الله.. وبالجملة: فهو لم يتبع النبي ﷺ في شيء فإنه أخذ بزعمه عن الله ما هو متابعة فيه في الظاهر، كما يوافق المجتهد المجتهد والرسول الرسول، فليس عنده من اتباع الرسول والتلقي عنه شيء أصلاً، لا في الحقائق الخبرية، ولا في الحقائق الشرعية.. فهذا كما ترى في حال هذا الرجل، وتعظيم المتأخرين له»[(1)].

«ولهذا يقول: إن الأولياء أفضل من الأنبياء، وإن الأنبياء وسائر الأولياء يأخذون عن خاتم الأنبياء علم التوحيد، وأنه هو يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك، الذي يوحى به إلى الرسول، فإن الملك عنده هو الخيال التابع للعقل، فالنبي عندهم يأخذ عن هذا الخيال الذي في النفس، وهو جبريل عندهم، وذلك الخيال ما يسمعه من الصوت في نفسه، ولهذا يقولون إن موسى كلم سماء عقله، والصوت الذي سمعه كان في نفسه لا في الخارج، ويدّعي أحدهم أنه أفضل من موسى - ﷺ - كما ادعى ابن عربي أنه أفضل من محمد - ﷺ»[(2)].

ولهذا قال شيخ الإسلام: «من اعتقد أن في أولياء الله من لا يجب عليه اتباع المرسلين وطاعتهم فهو كافر، يستتاب فإن تاب وإلا قتل، مثل من يعتقد أن في أمة محمد ﷺ من يستغني عن متابعته.. فإنه مبعوث إلى كل أحد، فيجب على كل أحد متابعة أمره، وإذا كان من اعتقد سقوط طاعته عنه كافراً؛ فكيف من اعتقد أنه أفضل منه؟ أو أنه يصير مثله»[(3)].

دفع وَهْم التعارض بين النصوص في تفضيل الأنبياء بعضهم على بعض:

لقد وردت أحاديث تنهى المسلمين عن تفضيل بعض الأنبياء على بعض، بل أن المصطفى ﷺ هو من نهاهم عن تفضيله على بعض الأنبياء، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن الرسول ﷺ قال: «لا تخيروا بين الأنبياء»[(4)]. وعن أبي

---

(1) مجموع الفتاوى لابن تيمية، ج٤، ص ١٧١، ١٧٢، ١٧٣.

(2) النبوات لابن تيمية، ص ٢٥٤، ٢٥٥.

(3) مجموع الفتاوى لابن تيمية، ج٤، ص ٣١٨.

(4) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الديات، باب إذا لطم المسلم يهودي عند

هريرةﷺ قال: «قال رسول اللهﷺ: لا تفضلوا بين الأنبياء»[1].

وعن أبي هريرةﷺ قال: «استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود فقال المسلم: والذي اصطفى محمدﷺ على العالمين، في قسم يقسم به، فقال اليهودي: والذي اصطفى موسى على العالمين، فرفع المسلم عند ذلك يده، فلطم اليهودي، فذهب اليهودي عند ذلك إلى النبيﷺ، فأخبره الذي كان من أمره وأمر المسلم فقال: لا تخيروني على موسى، فإن الناس يصعقون، فأكون أول من يفيق، فإذا أنا بموسى باطش بجانب العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي، أو كان ممن استثنى الله»[2].

قال شارح الطحاوية: « فكيف يجمع بينه وبين قوله: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»[3] فالجواب: أن هذا كان له سبب، فإنه كان قد قال يهودي: لا والذي اصطفى موسى على البشر، فلطمه مسلم، وقال: أتقول هذا ورسول اللهﷺ بين أظهرنا؟ فجاء اليهودي فاشتكى من المسلم الذي لطمه، فقال النبيﷺ هذا، لأن التفضيل إذ كان على وجه الحمية والعصبية وهوى النفس كان مذموماً، بل نفس الجهاد إذا قاتل الرجل حمية وعصبيه كان مذموماً، فإن الله حرم الفخر. وعلى هذا يحمل قولهﷺ: لا تفضلوا بين الأنبياء»[4]. وقال ابن حجر: «إنما نهى عن ذلك من يقوله برأيه لا من يقوله بدليل أو يقوله من بحيث يؤدي إلى تنقيص المفضول أو يؤدي إلى الخصومة والتنازع، أو المراد لا تفضلوا بجميع أنواع

غضبه، ج ١٢، ص٢٦٣. صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الفضائل، باب فضائل موسىﷺ، ج١٥، ص ١٣١.

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى وإن يونس لمن المرسلين، ج٦، ص ٤٥٠. صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الفضائل، باب فضائل موسىﷺ، ج١٥، ص ١٣٠.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب وفاة موسى وذكره، ج ٦، ص ٤٤١.

(٣) سنن الترمذي، كتاب التفسير، باب ومن سورة بني إسرائيل، ج٥، ص ٣٠٨، ٣٠٩. قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية، ص ١٦٠، ١٦١.

الفضائل بحيث لا يترك للمفضول فضيلة، وقيل النهي عن التفضيل إنما هو في حق النبوة نفسها، ولم ينه عن تفضيل بعض الذوات على بعض.

أو أن الأخبار الواردة في النهي عن التخيير إنما هي في مجادلة أهل دينين لا يؤمن أن يخرج أحدهما إلى الازدراء بالآخر فيفضي إلى الكفر، فأما إذا كان التخيير مستنداً إلى مقابلة الفضائل لتحصيل الرجحان فلا يدخل في النهي»[1] وأما قوله ﷺ فيما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ينبغي لعبد أن يقول: إني خير من يونس بن متي»[2] وفي رواية للبخاري قال: «من قال: أنا خير من يونس بن متي فقد كذب».

قال شارح الطحاوية: «ليس فيه نهي المسلمين أن يفضلوا محمداً على يونس، وذلك لأن الله تعالى قد أخبر عنه أنه التقمه الحوت وهو مليم أي فاعل ما يلام عليه وقال تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾[3] فقد يقع في نفس بعض الناس أنه أكمل من يونس، فلا يحتاج إلى هذا المقام، إذ لا يفعل ما يلام عليه. ومن ظن هذا فقد كذب بل كل عبد من عباد الله يقول ما قال يونس ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. وإنما أخبر أنه سيد ولد آدم لأنا لا يمكننا أن نعلم ذلك إلا بخبره، إذ لا نبي بعده يخبرنا بعظيم قدره عند الله، كما أخبرنا هو بفضائل الأنبياء قبله ﷺ وعليهم أجمعين. ولهذا أتبعه بقوله «ولا فخر». وهل يقول من يؤمن بالله واليوم الآخر: أن مقام الذي أسري به إلى ربه وهو مقرب معظم مكرم - كمقام الذي ألقي في بطن الحوت وهو مليم؟!. وأين المعظم المقرب من الممتحن المؤدب؟! فهذا في غاية التقريب، وهذا في غاية التأديب»[4].

---

(١) فتح الباري، كتاب أحاديث الأنبياء، ج٦، ص ٤٤٦.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى وإن يونس لمن المرسلين، ج٦، ص ٤٥١.

(٣) سورة الأنبياء آية ٨٧.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤.

كيف وقد ثبت له ﷺ أنه حبيب رب العالمين، بل إنها «أعلى مراتب المحبة وهي الخلة، كما صح عنه ﷺ قوله: «إن الله اتخذني خليلا» وقوله: «إن صاحبكم خليل الرحمن» والحديثان في الصحيح وهما يبطلان قول من قال: الخلة لإبراهيم، والمحبة لمحمد،.. بل الخلة خاصة بهما والمحبة عامة»[1].

ومن فضائله ﷺ شفاعته يوم القيامة التي اختص بها دون غيره من الأنبياء، للخلق أجمعين، ورضاه سبحانه عن نبينا محمد ﷺ وشفاعته في أهل الكبائر من أمته، والدين الذي أرسله الله به خاتماً للأديان وكاملاً وشاملاً للثقلين، وخطاب الله سبحانه في كتابه بأن محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين حتى يأتي يوم الدين وينزل الله سبحانه للقضاء بين العالمين، فلله الحمد والمنة على فضله وإنعامه على أمة محمد ﷺ حين أعلى منزلة نبيهم على سائر أنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ثم جعلهم خير أمة أخرجت للناس، وختم برسالتهم الدين.

المخالفون في ختم النبوة:

قال الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[2] وقال ﷺ: «أنا خاتم النبيين»[3]، و«ختم بي النبيون»[4]، و«العاقب الذي ليس بعدي نبي»[5].

وردت النصوص الصحيحة الصريحة من كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ، بختم النبوة، غير أن من أضلهم الله من الوضّاعين في الحديث قد فتحوا

---

(١) نفس المصدر ص ١٦٤؛ وانظر: صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الفضائل باب فضائل أبي بكرج١٥، ص ١٥٣.
؛ سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب أبي بكر ج٥، ص ٦٠٦. وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) سورة الأحزاب ٤٠.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ٦، ص ٥٥٨.
؛ صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٥، ص ٥١.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي، ج٥، ص ٥.

(٥) نفس المصدر، ج١٥، ص ١٠٤.

دهليزاً لمن في نفسه مرض من أولئك الذين ذُكروا في هذا المبحث وغيرهم، ليفتروا على الله تعالى وعلى رسولهﷺ. وقد ألفت كتب في بيان خطر أولئك والتنفير من بدعتهم ودرء فسادهم على الأمة، فهذا ابن عراق صاحب كتاب تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الموضوعة، قد ذكر محمد بن سعيد المصلوب الذي أورد حديث «وأنا خاتم النبيين إلا أن يشاء الله» ورواية «لا نبي بعدي إلا أن يشاء الله»[(١)].

قال ابن حجر: «قال عبد الله بن أحمد عن أبيه: قتله أبو جعفر في الزندقة حديثه حديث موضوع.. وقال أبو أحمد الحاكم: كان يضع الحديث، صلب على الزندقة، لا يحل ذكره إلا على وجه القدح»[(٢)].

وهنا يضع الاستثناء في حديث الرسولﷺ بأنه خاتم النبيين، فهنا يرد الاحتمال، والدليل إذ تطرق إليه الاحتمال أصبح عرضة للمقال ولهذا وجب التحذير والبيان للأمة من أولئك الزنادقة كيف وقد سُمّي بالمصلوب تشهيراً لمقالته وزندقته وهلاكه بالقتل، ورحم الله أبا جعفر المنصور حين حمى جناب التوحيد، وقد فعل الولاة صنيع ما عمل، مثل خالد القسري حين قتل الجعد بن درهم، وسلم بن أحوز حين قتل الجهم بن صفوان لبدعتهما في التجهم ونفي القدر[(٣)]. فحفظا للأمة منهج التوحيد الخالص، مذهب أهل السنة والجماعة.

---

(١) المغني في الضعفاء، لشمس الدين محمد الذهبي، تحقيق نور الدين عتر، ج٢، ص٥٨٥،. عن حميد عن أنس: قال صلى الله عليه وسلم «لا نبي بعدي إلا أن يشاء الله»؛ التعديل والتجريح، سليمان بن خلف الباجي، دار اللواء للنشر، الرياض، تحقيق أبو لبابه حسين، ١٤٠٦ هـ، ج١، ص ٢٩٥ وفيه قال ابن حنبل: المشهورون بالكذب على رسول الله ﷺ أربعة: مقاتل ابن سليمان، وإبراهيم ابن يحيى، واحمد الجوباري، ومحمد بن سعيد المصلوب؛ وانظر كتاب تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الموضوعة لابن عراق، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة القاهرة، مصر.

(٢) كتاب تهذيب التهذيب، للإمام الحافظ احمد بن حجر العسقلاني، دار الفكر، ١٤٠٤هـ، ج،٩، ص ١٦٣، ١٦٤ .

(٣) نظر سير أعلام النبلاء ج٥، ص ٤٣٣، ج٦، ص ٢٦، ٢٧.

عصمة الأنبياء

خلق الله الإنس وأمتّن عليهم بحسن الخلق، وكان ذلك إعداداً لأمر جلل لم يبرح الخلق منذ هبوط أب البشرية إلى الأرض قال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾[1]. فكان أن اختار الله من عباده أنبياء حفظهم وعصمهم وهيأهم لتبليغ رسالته إلى الجن والإنس، فبلغوا الرسالة وأدوا الأمانة، وأثنى الله عليهم في كتبه وبين ملائكته وحفظ الله ذكرهم وأعلا قدرهم بين أممهم حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

وكان من حفظ الله سبحانه أن عصمهم من الخطأ في تبليغ رسالته وبهذا كان اتفاق الأمة «وهو أن الأنبياء صلوات الله عليهم معصومون فيما يخبرون به عن الله سبحانه، في تبليغ رسالته باتفاق الأمة، ولهذا وجب الإيمان بكل ما أوتوه كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾[2]. بخلاف غير الأنبياء فإنهم ليسوا معصومين كما عصم الأنبياء، ولو كانوا أولياء الله، ولهذا من سب نبياً من الأنبياء قتل باتفاق الفقهاء، ومن سب غيرهم لم يقتل. وهذه العصمة الثابتة للأنبياء هي التي يحصل بها مقصود النبوة والرسالة فإن النبي هو المنبأ عن الله، والرسول هو الذي أرسله الله تعالى، وكل رسول نبي وليس كل نبي رسول، والعصمة فيما يبلغونه عن الله ثابتة فلا يستقر في ذلك خطأ باتفاق المسلمين»[3].

والعصمة لغة: المنعة والعاصم المانع الحامي والاعتصام: الإمساك بالشيء. والمراد بالعصمة هنا حفظ الله لأنبيائه من الذنوب والمعاصي[4].

و«الأمة متفقون على أنهم لا يُقرّون على خطأ في الدين أصلاً ولا على فسوق ولا كذب، ففي الجملة كل ما يقدح في نبوتهم وتبليغهم عن الله فهم

---

(١) سورة طه: ١٢٣.

(٢) سورة البقرة آية ١٣٦ - ١٣٧.

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية، ج١٠، ص ٢٨٩، ٢٩٠.

(٤) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد د. صالح الفوزان، ص ١٦٤.

متفقون على تنزيههم عنه. وعامة الجمهور الذين يجوّزون عليهم الصغائر يقولون: إنهم معصومون من الإقرار عليها، فلا يصدر عنهم ما يضرهم كما جاء في الأثر كان داود بعد التوبة خيراً منه قبل الخطيئة، والله ﴿يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾(١) وإن العبد ليفعل السيئة فيدخل بها الجنة»(٢).

قال ابن القيم: «وهذا معنى قول بعض السلف: إن العبد ليعمل الذنب يدخل به الجنة ويعمل الحسنة يدخل بها النار، قالوا: كيف؟.

قال: يعمل الذنب فلا يزال نصب عينيه خائفاً منه مشفقاً وجلاً باكياً نادماً مستحياً من ربه تعالى، ناكساً الرأس بين يديه، منكسر القلب له فيكون ذلك الذنب انفع له من طاعات كثيرة؛ بما يترتب عليه من هذه الأمور، التي بها سعادة العبد وفلاحه، حتى يكون ذلك الذنب سبب دخوله الجنة»(٣).

«وما أنبأ به النبي عن الله لا يكون كذباً لا خطأ ولا عمداً، فلابد أن يكون صادقاً فيما يخبر به عن الله يطابق خبره مخبره، لا تكون فيه مخالفة لا عمداً ولا خطأ، وهذا معنى قول من قال هم معصومون فيما يبلغونه عن الله، لكن لفظ الصادق وأن النبي صادق مصدوق نطق به القرآن وهو مدلول الآيات والبراهين. ولفظ العصمة في القرآن جاء في قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾(٤) أي من أذاهم، فمعنى هذا اللفظ في القرآن هو الذي يحفظه الله عن الكذب خطأ وعمداً، والتعبير عن حقائق الإيمان بعبارات القرآن أولى من التعبير عنها بغيره، فإن ألفاظ القرآن يجب الإيمان بها، وهي تنزيل من حيكم حميد، والأمة متفقة عليها ويجب الإقرار بمضمونها قبل أن تفهم..

وقد يكون معصوماً على لغة القرآن بمعنى أن الله عصمه من الشياطين،

---

(١) سورة البقرة ٢٢٢.

(٢) منهاج السنة النبوية، ج ١، ص ٤٧٢.

(٣) صحيح الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم، تحقيق وتعليق سليم الهلالي، دار ابن الجوزي، الدمام، ط٢، ١٤١٠هـ، ص١٥.

(٤) سورة المائدة ٧٠.

شياطين الإنس والجن، وأن يغيروا ما بعث به، أو يمنعوه عن تبليغه، فلا يكتم ولا يكذب.. فهو يسلك الوحي من بين يدي الرسول ومن خلفه، وهذا في معنى عصمته من الناس، فهو المؤيد المعصوم بما يحفظه الله من الإنس أو الجن حتى يبلغ رسالات ربه كما أمر، فلا يكون فيها كذب ولا كتمان، ولفظ الإنباء يتضمن معنى الإعلام والإخبار، فهو يستعمل في الإخبار بالأمور الغائبة المختصة دون المشاهدة»[١]. وحيث إن الصدق مؤيداً بعصمة النبي في تبليغه عن ربه جل وعلا ما يصلح حال البشر في دينهم ودنياهم وآخرتهم «فدلالة الصدق لا تنفك عن حاله وفعاله طرفة عين وذلك هو المعنى بالعصمة الواجبة للأنبياء عليهم السلام، لأن العصمة لو ارتفعت بطلت الدلالة وتناقضت الدعوى خصوصاً فيما أرسلوا به إليهم وكلف الناس تصديقه في أقواله ومتابعته في أفعاله»[٢]. «فهذا محتاج أولاً إلى أن يعلم أن محمداً رسول الله الصادق المصدوق، الذي لا يقول على الله إلا الحق، وأنه بلغ البلاغ المبين، وأنه معصوم عن أن يقره الله على خطأ فيما بلغه وأخبر به عنه، ومن ثبت هذا الإيمان في قلبه امتنع مع هذا أن يجعل ما يناقض خبر الرسول مقدماً عليه»[٣].

وبهذا يتبين اتفاق المسلمين قاطبة على عصمة الأنبياء وأن الله تكفل بحفظهم وعصمتهم من الجن والإنس، وأنهم معصومون فيما يخبرون عن الله تعالى فلا يستقر في الشريعة خطأ، بل ولا يقر الأنبياء على خطأ عارض؛ لأن ذلك يناقض مقصود الرسالة؛ فقال تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾[٤] قال ابن كثير رحمه الله: وهذا إخبار من الله تعالى ووعد منه له بأنه سيقرئه قراءة لا ينساها، وجعل معنى الاستثناء على هذا ما يقع من النسخ أي لا تنسى ما نقرئك إلا ما يشاء الله رفعه فلا عليك أن تتركه»[٥].

---

(١) النبوات،لابن تيمية، ص ٣٣٢.

(٢) نهاية الإقدام في علم الكلام للشهرستاني، ص ٤٤٤، ٤٤٥.

(٣) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية، ج ٥، ص ٣٤٢، ٣٤٣.

(٤) سورة الأعلى الآية ٦، ٧.

(٥) تفسير ابن كثير، ج ٤، ص ٤٣٧.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾[1] وهذا تعليم من الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم في كيفية تلقيه الوحي من الملك فإنه كان يبادر إلى أخذه بسرعة ويسابق الملك في قراءته فأمره الله عز وجل إذا جاءه الملك بالوحي أن يستمع له وتكفل الله له أن يجمعه في صدره وأن ييسره لأدائه على الوجه الذي ألقاه، وأن يبينه له ويفسره ويوضحه: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾[2] أي بعد حفظه وتلاوته نوضحه ونلهمك معناه على ما أردنا وشرعنا[3].

إنها رعاية الله وحفظه لرسالته الخالدة الخاتمة، وهنا يتضح عصمة الله في تحمل رسوله صلى الله عليه وسلم لما أمر بتبليغه وكلف بأدائه للجن والإنس كافة.

أما عصمة التبليغ فقد أخبر سبحانه فيما أمر رسوله ﷺ حيث قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾[4].

يقول تعالى مخاطباً عبده ورسوله ﷺ باسم الرسالة وآمراً له بإبلاغ جميع ما أرسله الله به وقد امتثل عليه أفضل الصلاة والسلام ذلك وقام به أتم القيام. قال البخاري عند تفسير هذه الآية: .. عن عائشة رضي الله عنها قالت «من حدثك أن محمداً كتم شيئاً مما أنزل الله عليه فقد كذب، إن الله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ﴾.. الآية»[5].

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «لو كان محمد ﷺ كاتماً شيئاً من القرآن لكتم هذه الآية ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ﴾[6]»[7].

---

(١) سورة القيامة آية ١٧،١٦

(٢) سورة القيامة آية ١٩.

(٣) تفسير ابن كثير، ج١، ص ٣٩٢.

(٤) سورة المائدة آية ٦٧.

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ج١٣، ص ٥٠٣.

(٦) سورة الأحزاب ٣٧.

(٧) سنن الترمذي، كتاب التفسير، ج٥، ص ٣٥٣، قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح.

وقال البخاري: قال الزهري: من الله عز وجل الرسالة، وعلى رسول الله ﷺ البلاغ وعلينا التسليم، وقال: ليعلمَ أن قد أبلغوا رسالات ربهم، وقال تعالى: حكاية عن النبي ﷺ: أبلغكم رسالات ربي، وقال كعب بن مالك حين تخلف عن النبي ﷺ: وسيرى الله عملكم ورسوله، وقالت عائشة: إذا أعجبك حسن عمل امرئ فقل اعملوا فسيرى الله عملك ورسوله والمؤمنون ولا يستخفنك أحد»[1].

وقد كان رسول الله ﷺ من المتوكلين على الله المعتصمين به سبحانه، وقد حماه الله وعصمه من الناس، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة قبل نجد فأدركنا رسول الله ﷺ في وادٍ كثير العضاة فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة فعلق سيفه بغصن من أغصانها، قال: وتفرق الناس في الوادي يستظلون بالشجر، قال: فقال رسول الله ﷺ: إن رجلاً أتاني وأنا نائم فأخذ السيف فاستيقظت وهو قائم على رأسي فلم أشعر إلا والسيف صلتاً في يده فقال لي من يمنعك مني؟ قال قلت: الله ثم قال في الثانية من يمنعك مني؟ قال قلت: الله، قال: فشام السيف فهاهو ذا جالس ثم لم يعرض له رسول الله ﷺ»[2].

قال النووي رحمه الله: قوله ﷺ: «والسيف صلتاً إلى قوله فشام السيف» أما صلتاً بفتح الصاد وضمها أي مسلولاً وأما شام فبالشين المعجمة ومعناه غمده ورده في غمده يقال شام السيف إذا سله وإذا غمده فهو من الأضداد والمراد هنا أغمده.

وقال: كان رسول الله ﷺ قبل هذا يُحرس حتى أنزل الله تعالى قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾.

قال ابن كثير: «أي بلغ أنت رسالتي وأنا حافظك وناصرك ومؤيدك على

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعلى: يا أيها الرسول بلغ، ج١٣، ص ٥٠٣.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الفضائل، باب توكل الرسول ﷺ وعصم الله تعالى له من الناس، ج١٥، ص ٤٤، ٤٥.

أعدائك ومظفرك بهم فلا تخف ولا تحزن فلن يصل أحد منهم إليك بسوء يؤذيك وقد كان النبي ﷺ قبل نزول هذه الآية يُحرس»[1].

كما قال الإمام أحمد: حدثنا.. أن عائشة رضي الله عنها كانت تحدث أن رسول الله ﷺ سهر ذات ليلة وهي إلى جنبه قالت: فقلت ما شأنك يا رسول الله قال: «ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسني الليلة. قالت فبينا أنا على ذلك إذ سمعت صوت السلاح فقال: من هذا؟ قال: أنا سعد بن مالك، فقال: ما جاء بك؟ قال: جئت لأحرسك يا رسول الله، قالت فسمعت غطيط رسول الله ﷺ في نومه»[2].

قال النووي: فيه جواز الاحتراس من العدو والأخذ بالحزم وترك الإهمال في موضع الحاجة إلى الاحتياط قال العلماء وكان هذا الحديث قبل نزول قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ لأنه ﷺ ترك الاحتراس حين نزلت هذه الآية وأمر أصحابه بالانصراف عن حراسته.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي ﷺ يُحرس حتى نزلت هذه الآية: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ فأخرج رسول الله ﷺ رأسه من القبة فقال لهم: يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله»[3].

قال القاضي عياض: «وكذلك اتفق العلماء من أهل الفقه والأصول على أن كل ما كان طريقه الإبلاغ في القول فهم معصومون فيه على كل حال وأما ما كان

---

(١) تفسير ابن كثير، ج٢، ص ٧٠.

(٢) مسند الأمام أحمد ج١، ص ٣٩١، ٤٥٠، ج٤، ص ١٣٤.
؛ فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب الحراسة في سبيل الله ج ١٦، ص ٨١.
؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الفضائل، باب فضل سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه ج١٥، ص ١٨٢.

(٣) مسند الإمام أحمد، ج١، ص ٢٩١.
؛ سنن الإمام الترمذي، كتاب التفسير، ج٥، ص ٢٥١. وقال: حديث غريب.
؛ المستدرك للحاكم وصححه ووافقه الذهبي، ج٢، ص ٣٤٢.

طريقه الإبلاغ في الفعل فذهب بعضهم إلى العصمة فيه رأساً وأن السهو والنسيان لا يجوز فيه وتأولوا أحاديث السهو في الصلاة.. وهذا مذهب الأستاذ أبي المظفر الاسفراييني من أئمتنا الخراسيين المتكلمين وغيره.. وذهب معظم المحققين وجماهير العلماء إلى جواز ذلك ووقوعه منهم وهذا هو الحق، ثم لابد من تنبيههم عليه وذكرهم إياه أما في الحين على قول جمهور المتكلمين وأما قبل وفاتهم على قول بعضهم ليسنوا حكم ذلك ويبينوه قبل انخرام مدتهم وليصح تبليغهم ما أنزل إليهم»[1].

الخطأ والنسيان طارئان على الأنبياء وقد يخطئون في إصابة الحق في القضاء فإن الأعراض البشرية الجبليّة لا تنافي العصمة مثل الخوف والغضب وعدم الصبر والنسيان، والخطأ في إصابة الحق في الحكم وذلك لاعتمادهم على قول الشهود والخصوم، «وهذه الخطايا التي ذُكِرت للأنبياء من أكل آدم عليه الصلاة والسلام من الشجرة ناسياً، ومن دعوة نوح عليه السلام على قوم كفار، وقتل موسى ﷺ لكافر لم يؤمر بقتله، ومدافعة إبراهيم ﷺ الكفار بقول عرّض به هو فيه من وجه صادق، وهذه كلها في حق غيرهم ليست بذنوب لكنهم أشفقوا منها إذ لم تكن عن أمر الله تعالى وعتب على بعضهم فيها لقدر منزلتهم من معرفة الله تعالى»[2]. ومثل هذا ما تعرض له نبي من الأنبياء، فقد غضب حين قرصته نملة فأحرق قرية النمل، فعاتبه الله على ذلك.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «نزل نبي من الأنبياء تحت شجرة، فلدغته نملة، فأمر بجهازه فأخرج من تحتها، ثم أمر ببيتها فأحرق بالنار فأوحى الله إليه: فهلّا نملة واحدة»[3].

---

(١) شرح النووي ج٣، ص ٥٣، ٥٤ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ج٣، ص٥٥،،٥٤

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب خمس فواسق يقتلن في الحرم، ج٦، ص ٣٥٦.
؛ صحيح مسلم كتاب السلام باب النهي عن قتل النمل، ج ١٤، ص ٢٣٩.

وعنه رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «كانت أمراتان معهما ابناهما، جاء الذئب فذهب بابن احداهما، فقالت لصاحبتها: إنما ذهب بابنك، وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك، فتحاكمتا إلى داود، فقضى به للكبرى، فخرجتا به على سليمان بن داود، فأخبرتاه، فقال: ائتوني بالسكين أشقه بينكما، فقالت الصغرى لا تفعل يرحمك الله، هو ابنها، فقضى به للصغرى»[1].

وأما محمد ﷺ رسول الله فقد أخبر أمته في عصره ومن بعده أن المتخاصمين قد يغلب أحدهما الآخر حجة وقولاً فيأخذ حق أخيه عند التخاصم إلى القاضي، بل إنه أخبر عن نفسه ﷺ في القضاء بين المتخاصمين،

فعن أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: إن النبي ﷺ سمع خصومة بباب حجرته، فخرج إليهم، فقال: «إنما أنا بشر، وأنه يأتيني الخصم، فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأحسب أنه صادق، فأقضي له بذلك، فمن قضيت له بحق مسلم، فإنما قطعة من النار، فليأخذها أو ليتركها»[2].

بل إن النبي ﷺ قد نسي في صلاته فذكره أصحابه رضي الله عنهم، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «صلى بنا رسول الله ﷺ خمساً فقلنا يا رسول الله أزيد في الصلاة؟ قال وما ذاك قالوا: صليت خمساً، قال إنما أنا بشر مثلكم أذكر كما تذكرون وأنسى كما تنسون، ثم سجد سجدتي السهو. - وفي رواية للبخاري - فثنى رجليه واستقبل القبلة وسجد سجدتين ثم سلَّم، فلما أقبل علينا بوجهه قال: إنه لو حدث في الصلاة شيء لنبأتكم به، ولكن إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون، فإذا نسيت فذكروني، وإذا شك أحدكم في صلاته فليتحرى الصواب، فليتم عليه ثم ليسلم، ثم يسجد سجدتين»[3].

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ووهبنا لداود سليمان، ج٦، ص ٤٥٨.

(٢) نفس المصدر، كتاب المظالم، باب إثم من خاصم بالباطل، ج٥، ص ١٠٧.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الصلاة، باب السهو في الصلاة والسجود له، ج٥، ص ٦٦.

؛ فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب التوجه نحو القبلة، ج١، ص ٥٠٣.

وإذا كانت الأمة قد أجمعت على عصمة الأنبياء في التبليغ؛ فإن قوماً قد غلوا في قولهم بالعصمة حتى عن الخطأ والنسيان وما كان جبلّة للإنسان. أما اليهود والنصارى فقد نسبوا إلى أنبيائهم القبائح ووصفوهم بما هم منه براء، وهم الذين قالوا إنهم أبناء لله سبحانه ثم عبدوهم من دون الله، فلا يعلم لهم قرار.

موقف اليهود والنصارى من عصمة الأنبياء:

إن تخبط اليهود والنصارى في دينهم قد أدى بهم إلى رفع أنبيائهم إلى مستوى الألوهية. ثم تراهم يقدحون في عصمتهم ويلمزونهم بأقبح الأوصاف كوصفهم لبعضهم بعبدة العجل وعمل الزني فكيف يكون هذا وقد وصفوهم بابن الله وروحه و«ينسب اليهود إلى الأنبياء والمرسلين أعمالاً قبيحة، فمن ذلك: أن نبي الله هارون صنع عجلاً وعبده مع بني إسرائيل[١]».

وقد تبين ضلالهم هذا في القرآن عندما حدثنا أن الذي صنع لهم عجلاً جسداً له خوار هو السامري، وإن هارون قد أنكر عليهم إنكاراً شديداً.

وإن إبراهيم خليل الرحمن عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام قدم امرأته سارة إلى فرعون حتى ينال الخير بسببها»[٢]. وهكذا في سائر أنبيائهم. وهذه بعض المخازي والقبائح والكبائر التي نسبتها هذه الأمة الغضبية إلى أنبياء الله الأطهار، وحاشاهم مما وصفوهم به.

والنصارى ليسوا بأفضل من اليهود في هذا.. فقالوا: «إن يسوع شهد بأن جميع الأنبياء الذين قاموا في بني إسرائيل هم سراق ولصوص»[٣] وهذا غيض من فيض مما تطفح به تلك الأناجيل المحرفة من وصف للأنبياء والرسل مما هم بريئون منه.

إن موقف الأمة الإسلامية مما ألحق هؤلاء المنحرفون عن الهدى، برسل

---

(١) انظر إصحاح ٣٢ عدد ١ من سفر الخروج.

(٢) انظر إصحاح ١٢ عدد ١٤ من سفر التكوين.

(٣) انظر إصحاح ١٠ عدد ٨ من انجيل يوحنا.

الله وأنبيائه واضح وجلي وهو أن الأنبياء والرسل أزكى الناس وأطهرهم وأفضلهم، وأن هؤلاء لضالون فيما وصفوا به أنبياء الله الأبرار الأطهار.

والأمة الإسلامية مجمعة على أن مثل هذه الذنوب التي نسبها اليهود والنصارى إلى أنبياء الله كالزنى والسرقة والمخادعة وصناعة الأصنام وعبادتها.. لا يمكن أن تقع من أحد من الأنبياء والرسل بحال من الأحوال وأنهم معصومون من ذلك[1]. بل إن اليهود ينسبون إلى الله أعمالاً وهيئات تعالى الله وتقدس عما يقول السفهاء فقد اجتمعت اليهود عن آخرهم على أن الله تعالى لما فرغ من خلق السموات والأرض استوى على عرشه مستلقياً على قفاه، واضعاً إحدى رجليه على الأخرى.. أما النصارى فقد اجتمع أربعة من الحواريين وجمع كل واحد منهم جمعاً سماه الإنجيل، وهم: متى ولوقا ومرقس ويوحنا. وخاتمة أنجيل متى أنه قال: إني أرسلكم إلى الأمم كما أرسلني أبي إليكم. فاذهبوا وادعوا الأمم باسم الأب، والإبن، وروح القدس.. ومن العجب أنه نقل في الأناجيل أن الرب تعالى قال: إنك أنت الإبن الوحيد، ومن كان وحيداً فكيف يمثل بواحد من البشر[2].وليس بغريب قول وفعل هؤلاء، وقد وصفهم الله بالكفر والضلال ولعنهم في كتابه الكريم وغضب عليهم، ذلك أنهم حرفوا كلام الله واشتروا به ثمناً قليلاً.

الذين غلو في عصمة الأنبياء من المسلمين

أما غلاة مدعي عصمة الرسول من الخطأ أو النسيان من المسلمين وهم الشيعة الرافضة الإمامية، فقد ادعوا أن النبي لا يسهو ولا ينسى ومقصدهم رفع منزلته ليتسنى لهم رفع منزلة أئمتهم من بعده «وهم قصدوا تعظيم الأنبياء بجهل كما قصدت النصارى تعظيم المسيح وأحبارهم ورهبانهم بجهل. فأشركوا بهم واتخذوهم أرباباً من دون الله وأعرضوا عن اتباعهم فيما أمروهم به ونهوهم عنه.

وكذلك الغلاة في العصمة يعرضون عما أمروا به من طاعة أمرهم والإقتداء

(١) الرسالات والرسل، د. عمر سليمان الأشقر، انظر ص ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦.
(٢) الملل والنحل للشهرستاني، ج١، انظر ص ٢١٩، ٢٢١.

بهم وبأفعالهم إلى ما نهو عنه من الغلو والإشراك بهم فيتخذونهم أرباباً من دون الله، يستغيثون بهم في مغيبهم وبعد مماتهم وعند قبورهم، ويدخلون فيما حرم الله ورسوله من العبادات الشركية التي ضاهوا بها النصارى.

وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال عند موته: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد؛ يحذر ما فعلوه. قالت عائشة ﵂: ولولا ذلك لابرز قبره ولكن كره أن يتخذ مسجداً»[(١)] وقال ﷺ: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[(٢)]..

أما الصوفية فقد غلوا في الرسول ﷺ وقد اعتمد المتصوفة الجهال طريق التأويل ومصطلحات الشيعة مما يثبت الصلة الوثيقة بين المتصوفة والباطنية والشيعة حتى قال شاعرهم:

فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

بل إن معاصرهم قد غلى في رسول الله ﷺ فرفعه إلى منزلة الخالق الباريء؟!

فقال في كتابه «الذخائر المحمدية» إن لرسول الله مقاليد السموات والأرض، وإن له أن يقطع أرض الجنة، ويعلم الغيب والروح والأمور الخمسة التي اختص الله بعلمها وأن الخلق خلقوا لأجله وأن ليلة مولده أفضل من ليلة القدر..[(٣)].

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الصلاة، ج١، ص ٥٣٢.
؛ نفس المصدر، كتاب الجنائز، باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور ج٣، ص ٢٠٠.
؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور. ج٥، ص ١٢.

(٢) الموطأ للإمام مالك كتاب قصر الصلاة، باب جامع الصلاة عن عطاء بن يسار ص ١١٩.
؛ مسند الإمام أحمد، عن أبي هريرة ج ٢، ص ٢٤٦ وفيه لعن الله بدل من اشتد غضب الله وصححه الشيخ أحمد شاكر ﵀: طبعة المعارف، ج١٣، ص ٨٧، ٨٨.

(٣) انظر إمام وأمير ودعوة لكل العصور، أحمد بن عبد العزيز الحصين، دار الطرفين، الطائف ١٤١٤هـ، ص ٢١٤، ٢١٧، ٢٢٥.

«فالمشاهد المبنية على قبور الأولياء والصالحين من العامة ومن أهل البيت كلها من البدع المحدثة المحرمة في دين الإسلام، وإنما أمر الله أن يقصد لعبادته وحده لا شريك له في المساجد لا المشاهد»[1].

«وكذلك الرافضة غلوا في الرسول، بل في الأئمة حتى اتخذوهم أرباباً من دون الله، فتركوا عبادة الله وحده لا شريك له التي أمرهم بها الرسول، وكذبوا الرسول فيما أخبر به من توبة الأنبياء واستغفارهم، فتجدهم يعطلون المساجد التي أمر الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، فلا يصلون فيها جمعة ولا جماعة، وليس عندهم كبير حرمة، وإن صلوا فيها صلوا فيها وحداناً، ويعظّمون المشاهد المبنية على القبور، فيعكفون عليها مشابهة للمشركين ويحجون إليها كما يحج الحاج إلى البيت العتيق، ومنهم من يجعل الحج إليها أعظم من الحج إلى الكعبة بل يسبُّون من لا يستغني بالحج إليها عن الحج الذي فرضه الله على عباده، ولا يستغني بها عن الجمعة والجماعة.

وهذا من جنس دين النصارى والمشركين الذين يفضلون عبادة الأوثان على عبادة الرحمن»[2].

وأول من نقل عنهم من طوائف الأمة القول بالعصمة مطلقاً وأعظمهم قولاً لذلك: الرافضة؛ فإنهم يقولون بالعصمة مطلقاً وأعظمهم قولاً لذلك وينقلون ذلك إلى من يعتقدون إمامته فقالوا بعصمة علي، والإثني عشر، ثم الإسماعيلية الذين كانوا ملوك القاهرة وكانوا يزعمون أنهم خلفاء علويون فاطميون وهم عند أهل العلم من ذرية عبد الله القداح اليهودي، كانوا هم واتباعهم يقولون بمثل هذه العصمة لأئمتهم ونحوهم، مع كونهم كما قال فيهم أبو حامد الغزالي ـ في كتابه المصنف في الرد عليهم ـ قال ظاهر مذهبهم الرفض وباطنه الكفر المحض»[3].

بل إن الباحث قد شاهد هذا بأم عينه في بيت الله الحرام بمكة ومسجد

---

(١) منهاج السنة لابن تيمية، ج٢، ص ٤٢٥، ٤٣٦، ٤٣٧.

(٢) منهاج السنة، ج ١، ص ٤٧٤.

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية، ج٤، ص ٣٢٠.

رسول الله ﷺ بالمدينة النبوية، وهم يخرجون زرافات ووحدانا عند سماعهم الآذان يعلو منائر البيتين، وخاصة صلاة العشاء والتراويح وغيرها من الصلوات ثم يتجهون إلى مقابر المعلاة بمكة ومقابر البقيع بالمدينة، وقد اطلع الباحث على صورٍ لمقابر البقيع في القرن الثالث عشر الهجري تعلوها القباب والمزارات وقد هدمت بحمد لله في أوائل القرن الماضي. بل إن هذا حالهم ومآلهم على أمد العصر، هجراً للمساجد وإعماراً للمقابر، وهذا دليل غلوهم في الرسول والأئمة وبعدهم عن الإتباع، وإن تعظيمهم وتوسلهم بالأشخاص والرسوم دليل غلوهم في عصمتهم وقدسيتهم وأنهم ينفعونهم في آخرتهم ودنياهم..

أما «غلوهم في عصمة النبي فلم يوافقهم عليه أحد حيث ادعوا أن النبي ﷺ لا يسهو، إن هذا لا يوافقهم عليه أحد فيما علمت، اللهم إلا أن يكون من غلاة جهال النساك - الصوفية - ، فإن بينهم وبين الرافضه قدراً مشتركاً في الغلو وفي الجهل والانقياد لما لا يعلم صحته، والطائفتان تشبهان النصارى في ذلك»[١].

وإذا كان الشيعة قد غلوا في النبوة فقد أدى بهم هذا إلى القول بعصمة الأئمة بل إنهم أحدثوا أصلين من أصولهم في الدين في النبوة والإمامة حين قالوا: أصول الشيعة الإمامية خمسة هي: التوحيد، والنبوة، والإمامة، والعدل، والمعاد.

الشيعة وغلوهم في عصمة الأئمة:

وتعتقد الشيعة الإمامية أن الله تعالى قد اختار أئمتهم الإثني عشر بالاسم، ونص عليهم واحداً تلو الآخر، وعلى لسان نبيه ليكونوا الأوصياء بعده ﷺ فهم يرون أن «الإمامة منصب إلهي كالنبوة فكما أن الله سبحانه يختار من يشاء من عباده للنبوة والرسالة ويؤيده بالمعجزة التي هي كنص من الله ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُۚ﴾ فكذلك يختار للإمامة من يشاء، ويأمر نبيه،

(١) منهاج السنة ج ٢، ص ٤٥٣.

بالنص عليه، وأن ينصبه إماماً للناس من بعده، للقيام بالوظائف التي كان على النبي أن يقوم بها»[1].

ويقول كاشف الغطا وهو يتحدث عن أركان الإيمان: «الشيعة الإمامية زادت ركناً خامساً وهو الاعتقاد بالإمامة.. فمن اعتقد بالإمامة بالمعنى الذي ذكرنا فهو عندهم مؤمن بالمعنى الأخص وإذا اقتصر على الأركان الأربعة فهو مسلم»[2].

وقد أورد صاحب الكافي قوله: «بني الإسلام على خمسة أشياء: على الصلاة والزكاة والحج والصوم والولاية، فإن قيل: أي شيء أعظم وأفضل؟ قيل: الولاية»[3].

وإذا كان هذا حال الولاية والإمامة عند القوم فإن الإمام معصوم من الفواحش والخطأ والنسيان ويقولون: «نعتقد أن الإمام كالنبي يجب أن يكون معصوم من جميع الرذائل والفواحش ما ظهر منها وما بطن منها من سن الطفولة إلى الموت عمداً وسهوا، كما يجب أن يكون معصوماً من السهو والخطأ والنسيان»[4].

ثم قالوا إن أئمتهم أفضل الخلق عند الله، وقد بوب الحر العاملي ت سنة ١٠٣٢هـ باباً مستقلاً بعنوان: الأئمة الإثني عشر أفضل من سائر المخلوقات ومن الأنبياء والأوصياء السابقين والملائكة وغيرهم.

ثم قال: عن جعفر أنه قال: إن الله خلق أولي العزم من الرسل، وفضلهم بالعلم وأورثنا علمهم وفضلنا عليهم في علمهم، وعلّم رسول الله ﷺ ما لم يعلمهم وعلّمنا علم الرسول وعلمهم»[5].

---

(١) سورة القصص ٦٨. وانظر عقائد الإمامية، لمحمد رضا المظفر، ص ١٠٣.
(٢) أصل الشيعة وأصولها لكاشف الغطا، ص ٥٩.
(٣) الأصول من الكافي للكليني، باب دعائم الإسلام، ج٢، ص ١٨؛ وانظر الشيعة والتشيع إحسان إلهي ص ٣٤٢.
(٤) عقائد الإمامية لمحمد رضا المظفر، ص ٧٠.
(٥) الفصول المهمة للحر العاملي ص ١٥٢.

«وخلاصة القول أن الشيعة هم قوم يدّعون موالاة أحد عشر شخصاً من أولاد علي، وعلياً رضي الله عنه، ويعدونهم معصومين كالأنبياء ورسل الله، وأفضل منهم ومن الملائكة المقربين، ويدعون أن مذهبهم مؤسس على آرائهم وأفكارهم»[1].

فهذا هو كلينيهم ـ وهو كالبخاري عند أهل السنة ـ يكذب على علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: لقد أعطيت خصالاً لم يعطهن أحداً قبلي ـ وحتى الأنبياء ـ علمت المنايا والبلايا والأنساب وفصل الخطاب، فلم يفتني ما سبقني ولم يعزب عني ما غاب عني»[2] ويقول: «إن الأئمة عليهم السلام يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم الشيء»[3].

ثم قالوا «اتفقت الإمامية على أن من ينكر إمامة إمام وجحد ما أوجبه الله تعالى له من فروض طاعته فهو كافر ضال مستحق الخلود في النار... وقالوا: لا يجوز لأحد من أهل الإيمان أن يغسّل مخالفاً للحق في الولاء، ولا يصلى عليه»[4].

وقد تابعت الزيدية في هذا الشيعة عموماً القول بعصمة غير الرسول صلى الله عليه وسلم فقال ابن الوزير اليمني الصنعاني: «إنما الشيعة هم الذين قالوا بعصمة غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن بعده، فمنهم من اقتصر على عصمة علي وفاطمة والحسنين رضي الله عنهم، ومنهم من زاد على ذلك، فالإمامية قالت بعصمة اثني عشر إماماً، وفي الزيدية من زاد على ذلك وقال بعصمة كل إمام من أئمة الزيدية.. وقالت الزيدية: إن عصمة علي وفاطمة والحسنين رضي الله عنهم أعظم من عصمة الأنبياء عليهم السلام؛ لأن الصغائر عندهم تجوز على المذكورين من أهل البيت رضي الله عنهم لأنها لو وقعت منهم لم يعلم بها مع أن أقوالهم وأفعالهم تحج في الشريعة، والأنبياء عليهم السلام إن وقعت منهم الصغائر بينها الله

---

(١) الشيعة وأهل البيت، إحسان إلهي ظهير، ص ٢٨.

(٢) الأصول من الكافي للكليني، ج٩، ص ١٩٧.

(٣) نفس المصدر ج١، ص ٢٦١.

(٤) تفسير البرهان للبحراني، ط. قم إيران، مقدمة، ص ٢٠؛ انظر الشيعة والتشيع، إحسان إلهي ظهير ص٣٤٣،.

تعالى. فهذه أقوال الشيعة مصرحة بعصمة غير الأنبياء منصوصة في مصنفاتهم»[1].

ويقول ابن المطهر صاحب منهاج الكرامة: «قد بينا أنه يجب في كل زمان إمام معصوم، ولا معصوم غير هؤلاء إجماعاً. الجواب: منع المقدمة الأولى، ثم لا إجماع في غيرهم. ثم نقول بالموجب: فهذا المعصوم الذي تدعونه في وقتنا هذا وله أربعمائة وستين سنة وما ظهر له أثر، بل آحاد الولاة وقضاة البر أكثر تأثيراً منه، فأي منفعة للوجود بمثل هذا لو كان موجوداً، كيف وهو معدوم؟! فأي لطف حصل لكم به، وأي مصلحة نالت الأمم قديماً وحديثاً به؟ فما زال مفقوداً عندكم ومعدوماً عندنا ولا حصل به نفع أصلاً»[2].

«وأما البغض والحقد لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والطعن فيهم والعيب عليهم وشتمهم فصار من لوازم مذهب الشيعة، وقلما يوجد كتاب من كتبهم إلا وهو مليء بالطعن والتعريض بهم، بل لقد خصصت أبواباً مستقلة لتكفير وتفسيق أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يذكرهم أحد من القوم إلا ويسبق ذكرهم بالشتيمة ويلحق بالسباب.. ونقتصر على ما كتبه إمام شيعة اليوم الخمينى في كتابه ـ كشف الأسرار ـ وهو مع كونه رجلاً سياسياً والسياسة تتطلب بعض الملاينة والمهادنة والمراعاة للآخرين يذكر بكل صراحة ووضوح»[3]،

«إن أبا بكر وعمر وعثمان لم يكونوا خلفاء رسول الله ﷺ، بل وأكثر من ذلك أنهم غيروا أحكام الله وحللوا حرام الله، وظلموا أولاد الرسول، وجهلوا قوانين الرب وأحكام الدين»[4] ـ سبحانك هذا بهتان مبين ـ .

«ومما يدل على بطلان مدعاهم في الأئمة أن المعصوم يجب اتباعه من غير دليل، ومخالفة غير المعصوم جائزة، بل تكون واجبة إذا علمنا أنه خالف النص، وقد أمرنا الله بطاعته وطاعة رسوله، وغير رسوله يطاع إن أمر بطاعة رسوله، فإن

---

(١) الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم لمحمد بن إبراهيم، ابن الوزير الصنعاني تحقيق محمد المصري، دار الكتب العلمية ١٤٢٩هـ ص ١٨٦.
(٢) منهاج الاعتدال للذهبي، ص ٥٣٤.
(٣) الشيعة والتشيع، إحسان إلهي ظهير، ص ٣٤٣.
(٤) كشف الأسرار للخمينى ط فارسي، ص ١١٠؛ وانظر الشيعة والتشيع ص ٣٤٣.

تنازعنا رددنا الأمر إلى كتاب الله وسنة رسوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ۝٥٩﴾[١] فلو كان الأئمة معصومين لكان أوجب الرد إلى الله وإلى الرسول والأئمة، فدل عدم إيجاب الرد إليهم حال التنازع على عدم عصمتهم. وقد كان علي وأبناءه وغيرهم يخالف بعضهم بعضاً في العلم والفتيا، كما يخالف سائر أهل العلم بعضهم بعضاً، ولو كانوا معصومين لكان مخالفة المعصوم للمعصوم ممتنعة، ولقد كان الحسن في أمر القتال يخالف أباه، ويكره كثيراً مما يفعله، ويرجع علي في آخر الأمر إلى رأيه، وتبين له في آخر الأمر أنه لو فعل غير الذي فعله لكان الصواب، وله فتاوى رجع ببعضها عن بعض، والمعصوم لا يكون له قولان متناقضان، إلا أن يكون أحدهما ناسخاً للآخر، وقد وصى الحسن أخاه الحسين بأن لا يطيع أهل العراق، ولا يطلب هذا الأمر، ولو كان معصوماً لما جاز للحسين مخالفته»[٢].

هذه عقيدة الشيعة في النبوة والإمامة والأئمة وادعاء عصمتهم بل غلوا في تلك العصمة وأشركوا الأئمة الاثني عشر مع الرسول ﷺ في العصمة أما عقيدتهم في أصحاب الرسول ﷺ، فإنها مقروءة منشورة في كتبهم وليس يوم حليمة بسر، وحسابهم على مولاهم، فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يعاملهم بعدله.

خروج القائم عندهم

حينما تميز الشيعة بالكذب وقولهم إن التقية أصل في الدين؛ فقد كثر الكذب على الله ورسوله ﷺ منهم «ومن أكاذيبهم على أهل البيت أنهم نسبوا إليهم الأقوال والروايات التي تنبئ بخروج القائم من أولاد الحسن العسكري ـ الذي لم يلد له ولد مطلقاً ـ في آخر الزمان، وإحيائه أعداء أهل البيت وقتله إياهم حسب زعمهم»[٣].

---

(١) النساء آية ٥٩.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية، ج٣٥، ص ١٢٠، ١٢٥، ١٢٦.

(٣) الشيعة وأهل البيت، إحسان إلهي ظهير، ص ٢٤٤.

كما أورد الكليني ـ محدث القوم وبخاريّهم! ـ عن سلام بن المستنير قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يحدث: «إذا قام القائم، عرض الإيمان على كل ناصب، فإن دخل فيه بحقيقة وإلا ضرب عنقه، ويؤدي الجزية كما يؤديها اليوم أهل الذمة، ويشد على وسطه الهميان ويخرجهم من الأمصار إلى السواد»[1]. ولم يقتنع القوم بهذه الأكاذيب، ولم يشف غليلهم حتى بلغوا إلى أقصاه، فافتروا على محمد الباقر أنه قال: «أما لو قام قائمنا ردت الحميراء ـ أي أم المؤمنين عائشة الصديقة رضي الله عنها ـ حتى يجلدها الحد، وحتى ينتقم لابنة محمد ﷺ وآله فاطمة عليها السلام منها»[2]!.

وهذا خلاف ما يعتقده أهل السنة والجماعة في المهدي المنتظر إحدى علامات الساعة.

وأهل السنة والجماعة لا يقرون بعصمة أحدٍ غير رسول الله ﷺ، ونفع محمد ﷺ واصل إلى أمته وحتى تقوم الساعة، أما غيره مما ادعاه هؤلاء الشيعة وقولهم بعصمة اثني عشر إماماً فلم يثبت على طول الزمن نفعهم ولا احتاجت إليهم الأمة في شيء، فدين الله محفوظ بكتاب الله وسنة رسوله الأمين ﷺ «فالرسول هو المعصوم، وطاعته هي الواجبة في كل وقت على الخلق، وعِلمُ الأمة بأوامره أتمُّ من علم البعض بأوامر المنتظر. فهذا رسول الله ﷺ هو الإمام المعصوم، وأوامره معلومة فاستغنت الأمة به وبأوامره وبعلمه عن كل أحد، وأولوا الأمر منفذون لدينه ليس إلا. ومعلوم قطعاً أنه كان نوابه في اليمن وغيرها يتصرفون في الرعية باجتهادهم وليسوا بمعصومين.

ثم الإمام المعصوم لا يوجد في زماننا، بل هو مفقود غائب عندكم، ومعدوم لا حقيقة له عند سواكم، ومثله لا يحصل به شيء من مقاصد الإمامة، بل الإمام الذي يقوم وفيه جهل وظلم أنفع لمصالح الأمة ممن لا ينفعهم بوجه،

---

(١) الروضة من الكافي للكليني ج ٨، ص ٢٢٧ وانظر الشيعة والتشيع إحسان إلهي ظهير ص ٢٤٥.

(٢) تفسير الصافي، ج٢، ص ١٠٨ للفيض الكاشاني؛ وانظر الشيعة والتشيع ص ٢٤٦.

والإمام يحتاج إليه للعلم ليبلغه، وللعمل ليطاع في سلطانه.

وقولكم: لابد من نصب إمام معصوم، أتريدون أنه لابد أن يخلق الله ويقيم معصوماً، يجب على الناس أن يبايعوه؟ وغاية ما عندكم أن تدّعوا عصمة علي، لكن الله ما مكنه في زمن الثلاثة بل ولا في خلافته، فيكون الله عندكم قد أيّد الثلاثة الظلمة - بزعمكم - وحينئذ فما خلق الله هذا المعصوم المؤيد الذي اقترحتموه على الله»[١].

وقد فطن كبير شيعة هذا العصر وآيتهم العظمى! فساد اعتقادهم وباطل قولهم في الإمامة، فكان من أعظم مفكريهم على مر العصور؛ وذلك أنه قد رأى فداحة تعطيل الجمعة والجماعة والجهاد والزكاة حتى يخرج الإمام المعصوم المزعوم ليقيم العدل ويوجب الجهاد والجمعة وأمور شرائع الإسلام؛ فاخترع ما أسموه بولاية الفقيه حتى يخرج المعصوم، وبهذا ينظر العالم إلى معتقدهم بمنظار آخر يحمل الواقعية وحسن التصرف في الأمور، وقد طبقها من خلال حكومة شيعية طال غيابها وسئم الشيعة انتظارها، فكان زعيماً روحياً ملهماً عندهم! حيث قال.. «ثبت بضرورة الشرع والعقل أن ما كان ضرورياً أيام الرسول ﷺ وفي عهد أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب - من وجود الحكومة، لا يزال ضرورياً إلى يومنا هذا.. هل ينبغي أن يخسر الإسلام بعد الغيبة الكبرى كل شيء؟.. فلا يستطيع أحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقول: أنه لا يجب الدفاع عن ثغور الوطن، أو أنه يجوز الامتناع عن دفع الخمس.. وقد بحثنا أصل الموضوع وهو ولاية الفقيه أو الحكومة الإسلامية وتبين لنا أن ما ثبت للرسول - ﷺ - والأئمة فهو ثابت للفقيه، ولا شك يعتري هذا الموضوع»[٢].

وخلاصة معتقد الخميني في ولاية الفقيه أن للفقيه العادل السلطة المطلقة على البلاد والعباد، بأمر من الإمام باعتباره نائباً له، وهذه السلطة تخول الفقيه

---

(١) المنتقى من منهاج الاعتدال - مختصر منهاج السنة لابن تيمية - تأليف أبو عبد الله محمد بن عثمان الذهبي، حققه وعلق حواشيه محب الدين الخطيب، ص ٤٠٦.

(٢) الحكومة الإسلامية للخميني، ص ٢٦، ٩٥.

أن يعامل الناس كأنهم أطفال قصّر، حيث يقول: «ولاية الفقيه أمر اعتباري جعله الشرع كما يعتبر الشرع واحداً منا قيّماً على الصغار، فالقيم على الشعب بأسره لا تختلف مهمته عن القيّم على الصغار إلا من ناحية الكمية»[١].

قال مؤلف كتاب الخميني والوجه الآخر في ضوء الكتاب والسنة: «إن الدارس لنظرية ولاية الفقيه لا يراها بعيدة عن فكرة الولي المتأله، فكلتاهما تقوم على جعل السلطة في يد رجل ولي متأله، ويسميه الخميني نائب الإمام أو الفقيه المجتهد، والتسمية لا تغير في الحقيقة لأن العبرة بالمضمون والآثار..

إن نظرية ولاية الفقيه مرفوضة جملة وتفصيلاً، ونرى فيها خروجاً عن الدين والمنهج القويم، وتطاولاً على الله تعالى، ونيلاً من مكانة النبي ﷺ ولا تحتاج على استدلال على بطلانها، لأنها تحمل في ثناياها ما يكفي لهدمها»[٢].

وبهذا يتبين ضلال الشيعة قديماً وحديثاً؛ ذلك أنهم خالفوا منهج الحق وما جاء به رسول الله ﷺوقد تركنا على المحجة البيضاء لا يزول عنها إلا هالكاً مضيعاً لأوامر الله وما جاء به رسول الله ﷺ، أما عقيدة أهل السنة والجماعة في من اعتبره الشيعة قائماً ومهدياً منتظراً، فإنهم يؤمنون بما جاء عن رسول الله ﷺ ويعدونه من أشراط الساعة وعلاماتها الكبرى، وهذا عكس ما يعتقدونه في أسمه ووقت خروجه وهدايته للناس بشرع محمد ﷺ.

وقد احتج الرافضة بما رواه ابن الجوزي بإسناده إلى ابن عمر؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج في آخر الزمان رجل من ولدي اسمه كأسمي وكنيته كنيتي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، فذلك هو المهدي».

قال شيخ الإسلام: «إنكم لا تحتجون بأحاديث أهل السنة، فمثل هذا الحديث لا يفيدكم؛ فإن الحديث الذي ذكرتم «اسمه كأسمي وكنيته كنيتي» ولم يقل «يواطيء اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي» فلم يروه أحد من أهل العلم في كتب الحديث المعروفة بهذا اللفظ. مثل مسند أحمد وسنن أبي داود والترمذي.

---

(١) نفس المصدر ص ٥٠.

(٢) الخميني والوجه الآخر في ضوء الكتاب والسنة د. زيد العيص، ص ١٥١.

وغير ذلك من الكتب، وإنما ذكر بلفظ مكذوب لم يروه أحد منهم.

وقوله: ابن الجوزي رواه بإسناده: إن أراد العالم المشهور صاحب المصنفات الكثيرة أبو الفرج فهو كذب عليه. وإن أراد سبطه صاحب التاريخ المسمى بمرآة الزمان.. فهذا الرجل يذكر في مصنفاته الغث والسمين، ويحتج في أغراضه بأحاديث كثيرة ضعيفة وموضوعة وكان يصنف بحسب مقاصد الناس!..

وإن لفظ الحديث الصحيح حجة عليكم لا لكم ـ فإن لفظه «يواطيء اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي» فالمهدي الذي أخبر به النبي ﷺ: اسمه محمد بن عبد الله لا محمد بن الحسن..

وأحاديث المهدي معروفة رواها الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم»[1].

وقال شارح كتاب الفقه الأكبر لأبي حنيفة النعمان رحمهما الله: «إن المهدي عليه السلام يظهر أولاً في الحرمين الشريفين ثم يأتي بيت المقدس فيأتي الدجال ويحضره في ذلك الحال فينزل عيسى عليه السلام من المنارة الشرقية في دمشق الشام ويجيء إلى قتال الدجال فيقتله بضربة في الحال فإنه يذوب كالملح في الماء عند نزول عيسى عليه السلام من السماء فيجتمع عيسى عليه السلام بالمهدي رضي الله عنه، وقد أقيمت الصلاة فيشير المهدي لعيسى بالتقدم فيمتنع معللاً بأن هذه الصلاة أقيمت لك فأنت أولى بأن تكون الإمام في هذا المقام ويقتدي به ليظهر متابعته لنبينا ﷺ»[2].

وقد انقسم الناس في أمر المهدي إلى طرفين ووسط:

فالطرف الأول: من ينكر خروج المهدي مثل الكتّاب العصريين الذين ليس لهم خبرة بالنصوص وأقوال أهل العلم وإنما يعتمدون على مجرد آرائهم وعقولهم.

والطرف الثاني: من يغالي في أمر المهدي من الطوائف الضالة حتى ادعت

---

(١) منهاج السنة النبوية لابن تيمية، ص ٩٤ إلى ٩٨.

(٢) شرح كتاب الفقه الأكبر لأبي حنيفة النعمان بن ثابت رحمه الله، شرح الملا علي القاري ت ١٠١٤هـ، حققه علي محمد دندل، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٦هـ، ص ١٩١.

كل طائفة لزعيمهم أنه المهدي المنتظر، فالرافضة تدعي أن المهدي هو إمامهم المنتظر الذي ينتظرون خروجه من السرداب في سامراء محمد بن الحسن العسكري..

وأما الوسط في أمر المهدي:

فهم أهل السنة والجماعة الذين يثبتون خروج المهدي على ما تقضي به النصوص الصحيحة في اسمه واسم أبيه ونسبه وصفاته ووقت خروجه، لا يتجاوزون ما جاء في الحديث، وقد كثرت بخروجه الروايات حتى بلغت حد التواتر المعنوي، وشاع ذلك بين علماء السنة حتى عد من معتقداتهم.. فالإيمان بخروج المهدي واجب كما هو مقرر عند أهل العلم ومدون في عقائد أهل السنة والجماعة»[1].

«واسم المهدي محمد بن عبد الله من ولد الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، يخرج في آخر الزمان وقد امتلأت الأرض جوراً وظلماً فيملؤها عدلاً وقسطاً، وفي كونه من ولد الحسن سر لطيف، وهو أن الحسن رضي الله عنه ترك الخلافة لله فجعل الله من ولده من يقوم بالخلافة بالحق المتضمن للعدل الذي يملأ الأرض، وهذه سنة الله في عباده، أن من ترك لأجله شيئاً أعطاه الله أو أعطى ذريته أفضل منه»[2].

قال الترمذي رحمه الله: «باب ما جاء في المهدي.. عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطيء اسمه أسمي.

قال أبو عيسى: وفي الباب عن علي وأبي سعيد وأم سلمة وأبي هريرة. وهذا حديث حسن صحيح.

---

(١) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، د. صالح الفوزان، ص ٢٠١.

(٢) نفس المصدر، ص ٢٠٠.

وفي رواية عنه، عن أبي هريرة قال: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يلي». قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

وفي رواية عنه، عن أبي سعيد الخدري قال «إن في أمتي المهدي يخرج يعيش خمساً أو سبعاً أو تسعاً ـ زيد الشاك ـ قال: قلنا وما ذاك؟ قال سنين. قال فيجئ إليه رجل فيقول يا مهدي: اعطني أعطني، قال: فيحثي له في ثوبه ما استطاع أن يحمله»[1].

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن.

وقال أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني رحمه الله: كتاب المهدي.. عن أم سلمة رضي الله عنها، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المهدي من عترتي من ولد فاطمة» وفي رواية عنه، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «المهدي مني أجلى الجبهة، أقنى الأنف، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً ويملك سبع سنين».

وفي رواية عن أم سلمة قالت قال النبي ﷺ:.. ثم ينشأ رجل من قريش أخواله كلب فيبعث إليهم بعثاً فيظهرون عليهم، وذلك بعث كلب، والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب، فيقسم المال، يعمل في الناس بسنة نبيهم ﷺ ويلقي الإسلام بجرانه[2] في الأرض، فيلبث سبع سنين، ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون»[3].

وقال ابن ماجة القزويني: باب خروج المهدي.. عن علي رضي الله عنه قال: قال

---

(١) سنن الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في المهدي ج٤، ص ٥٠٥، ٥٠٦.
؛ المستدرك على الصحيحين للحاكم وقال حديث صحيح ووافقه الذهبي، ج٤، ص ٤٨٩.

(٢) ويلقي الإسلام بجرانه: قال الشيخ الخطابي شارح سنن أبي داود: الجران مقدم العنق وأصله في البعير إذا مد عنقه على وجه الأرض فيقال: ألقى البعير جرانه، وإنما يفعل ذلك إذا طال مقامه في مناخه، فضرب الجران مثلاً للإسلام إذ استقر قراره فلم يكن فتنة ولا هرج وهو القتل، وجرت أحكامه على العدل والاستقامة. سنن أبي داود ج ٤، ص ٤٧٦.

(٣) سنن أبي داود، كتاب المهدي ج ٤، ص ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦.

رسول الله ﷺ: «المهدي منا أهل البيت يصلحه الله في ليلة»[1].

وروي عن أبي سعيد الخدري وثوبان وعبد الله بن مسعود وأم سلمة رضي الله عنهم. وروى الإمام أحمد في مسنده.. عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «أبشركم بالمهدي يبعث في أمتي على اختلاف من الناس وزلازل فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض، يقسم المال صحاحاً فقال له رجل: ما صحاحاً قال بالسوية بين الناس، قال: ويملأ الله قلوب أمة محمد ﷺ غنى ويسعهم عدله، حتى يأمر منادياً فينادي فيقول من له في مال حاجة؟ فما يقوم من الناس إلا رجل، فيقول أئت السدان، يعني الخازن، فقل له إن المهدي يأمرك أن تعطيني مالاً فيقول له احث حتى إذا جعله في حجره وأبرزه ندم، فيقول كنت أجشع أمة محمد نفساً أَوَ عجز عني ما وسعهم، قال فيرده فلا يقبل منه، فيقال له إنا لا نأخذ شيئاً أعطيناه فيكون كذلك سبع سنين أو ثمان سنين أو تسع سنين، ثم لا خير في العيش بعده أو قال: ثم لا خير في الحياة بعده»[2].

«وخلاصة القول في الإمام المهدي: أنه سيظهر في آخر الزمان، وأن اسمه محمد بن عبد الله، وأنه من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولد فاطمة، وأنه يشبه الرسول ﷺ، وأنه يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً، وأنه يقيم شريعة الإسلام، ويحيي ما اندثر من سنة رسول الله ﷺ، وأن الإسلام تعلو كلمته في عهده، يلقي بجرانه إلى الأرض، ويمكّن له، ويكثر الرخاء في أيامه من وفرة العدل، وكثرة ما يعطي من المال، فهو يحثوا المال حثواً، لا يعده عداً، وأنه يمكث سبع سنين ويأتي بعده الدجال، ثم ينزل عيسى، فيتعاون عيسى مع المهدي على قتله، ثم يُتوفى المهدي ويصلي عليه المسلون ويصلي عليه روح الله عيسى ﷺ ويدفنه في بيت المقدس»[3].

---

(١) شرح سنن أبن ماجه القزويني للإمام أبي الحسن السندي، دار الجيل، بيروت، ج٢، ص ٥١٩.

(٢) مسند الإمام أحمد ج٣، ص ٣٧؛ وانظر تصحيح الحديث ص ٧٧٦ من البحث.

(٣) العقائد الإسلامية للسيد سابق، ص ٢٥٠.

وهنا يتضح الفرق بين خروج قائمهم المستور، المزعوم المعصوم والذي عُطّل بعدم خروجه كثير من أصول الدين عندهم حتى يخرج، وهم في انتظاره صباح مساء، يسألون ربهم أن يعجل بفرجه!! وهنا هزيء منهم كل ذي لبّ، ولا غرابة فضلال القوم جليّ لكل ناظر، وحقدهم على أهل السنة بيّن واضح لكل ذي معرفة بمنهج الرافضة وخابر لأحوالهم في يوم عاشوراء وليلتها وغيرها.

أما خروج المهدي الذي أخبرنا ظهوره المصطفى ﷺ بالأحاديث الصحيحة الثابتة، والذي هو علامة من علامات الساعة الكبرى، ثم لا يمكث في الأرض إلا زمناً يسيراً بالنسبة لزمن الرسالة، ويملأها عدلاً.. فهذا المهدي قطعاً لا يكون هو الذي تقصده الرافضة الخاسرة، فمهديهم كما يزعمون حيٌ يرزق منذ ألف وثلاثمائة عام وتسرّج له الخيل ليمتطيها فيقيم دينه ودولته!!؟.

عصمة الأنبياء من الصغائر

إن الله سبحانه قد عصم أنبياءه فيما يبلغون عنه من التشريع، واصطفاهم من بين خلقه لأمر أراده منذ خلقهم فكانوا خيرة البشر، ومع هذا فقد تعرض لهم أمور ذكرها الله في كتابه، فكان الناس فيها طرفان ووسط هم أهل السنة والجماعة الذين يستدلون بالقرآن ويعملون به وبأدلته من السنة.

فالذين قالوا إن الأنبياء معصومون من الصغائر مطلقاً وهم الشيعة وذلك ليتسنى لهم القول بعصمة الأئمة الذين يتلقون عنهم التشريع فقالوا «إن جبرائيل كان يأتي بعد وفاة النبي ﷺ لفاطمة بأنباء من الغيب فيقوم أمير المؤمنين بتدوينها وهذا هو مصحف فاطمة»[1]. ثم قالوا: «إن الفقهاء أوصياء الرسول ﷺ من بعد الأئمة وفي حال غيابهم، وقد كلفوا بالقيام بجميع ما كلف الأئمة القيام به»[2] بل إن العصمة عندهم قد نالها الفقيه المجتهد، حيث يقول المظفر: «وعقيدتنا في

(١) كشف الأسرار، للخميني ص ١٤٣، نقلاً عن الكافي للكليني انظر الخميني والوجه الآخر، زيد العيص، ص ٥٣.

(٢) الحكومة الإسلامية للخميني، ص ٧٥ انظر الخميني والوجه الآخر، زيد العيص، ص ٥٨.

المجتهد أنه نائب الإمام عليه السلام في حال غيبته له ما للإمام، والرد عليه راد على الإمام، والراد على الإمام راد على الله تعالى، وهو على حد الشرك بالله تعالى»[1].

ويقابل هؤلاء من ادعى عدم عصمة الأنبياء؛ وهم اليهود والنصارى وأصحاب الحركات الهدامة في العالم الإسلامي كالبهائية والقاديانية والإسماعيلية، فهذا غلام أحمد المسيح الموعود «بمعنى أنه جاء بقوة وروح المسيح عيسى عليه السلام، وادعى أيضاً أنه هو النبي الذي تنبأت بظهوره في آخر الزمان أغلب الديانات العظيمة، كما أنه جاء ليفسر القرآن وتعاليم الإسلام في ضوء الوحي الإلهي بما يطابق العصر الحاضر. ثم لحق بهم المتنورون العصريون الذين تناولوا القرآن الكريم والسيرة النبوية تناولاً أدى بهم إلى الكفر الصريح على أن منهم من رجع عن آرائه وتبرأ منهم ومنها وعاد إلى حظيرة الإسلام والله أعلم بالسرائر.. فمنهم من قال: محمد يشرع لجميع الناس ويستثني نفسه. ومن قال: لقد حدّ النبي من نظام تعدد الزوجات، إلا أنه تعدى بالنسبة إلى نفسه ما وضعه من حدود للآخرين»[2]. وهذا طعن في عصمة المصطفى ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى. وكذلك المعتزلة البصريين فإن «مذهبهم تجويز تعمد الصغائر على الأنبياء»[3].

قال ابن حزم: «اختلف الناس في هل تعصى الأنبياء عليهم السلام أم لا فذهبت طائفة إلى أن رسل الله ﷺ يعصون الله في جميع الكبائر والصغائر عمداً حاشى الكذب في التبليغ فقط وهو قول الكرامية من المرجئة وقول ابن الطيب الباقلاني من الأشعرية ومن اتبعه وهو قول اليهود والنصارى»[4] وقال ابن تيمية: «ومن جوّز منهم تكليف ما لا يطاق مطلقاً يلزمه جواز أن يأمره الله بتبليغ رسالة لا يعلم ما هي، وجوّزوا من جهة العقل ما ذكره القاضي أبو بكر أن يكون الرسول ﷺ

---

(١) عقائد الأمامية، رضا المظفر، دار الغدير، بيروت، ص ٥٧.انظر الخميني والوجه الآخر، زيد العيص، ص ٥٨.

(٢) ذيل الملل والنحل للكيلاني، ج٢، ص ٦٢، ٨١، ٨٢.

(٣) الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم، لابن الوزير الصنعاني، ص ١٨٠.

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج٤، ص ٢.

فاعلاً للكبائر»[1]. فهؤلاء كانوا على طرفي نقيض في عصمة الأنبياء، وهم كما قال ابن تيمية فيهم: «واعلم أن المنحرفين في مسألة العصمة على طرفي نقيض، كلاهما مخالف لكتاب الله من بعض الوجوه: قوم أفرطوا في دعوى امتناع الذنوب، حتى حرفوا النصوص في القرآن المخبرة بما وقع منهم من التوبة من الذنوب ومغفرة الله لهم، ورفع درجاتهم بذلك. وقوم أفرطوا في أن ذكروا عنهم ما دل القرآن على براءتهم منه، وأضافوا إليهم ذنوباً وعيوباً نزههم الله عنها، وهؤلاء مخالفون للقرآن.

ومن اتبع القرآن على ما هو عليه من غير تحريف كان من الأمة الوسط، مهتدياً إلى الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين»[2].

والذين اتبعوا القرآن هم أهل السنة والجماعة وقد وقع بينهم الخلاف أيضاً، غير أنهم متفقون في تنزيه الأنبياء فالذين قالوا بعدم العصمة من الصغائر قالوا إنهم لا يقرون عليها وأنهم تابوا وقبل الله توبتهم وأن ذلك كان خطأ ونسياناً.

قال ابن حزم: «وذهبت طائفة إلى أن الرسل عليهم الصلاة والسلام لا يجوز عليهم كبيرة من الكبائر أصلاً، وجوزوا عليهم الصغائر بالعمد وهو قول ابن فورك الأشعري وذهبت جميع طوائف أهل الإسلام من أهل السنة والمعتزلة والخوارج والشيعة إلى أنه لا يجوز البتة أن يقع من نبي أصلاً معصية بعمد لا صغيرة ولا كبيرة وهو قول ابن مجاهد الأشعري.

قال أبو محمد: وهذا القول الذي ندين الله به ونقول إنه يقع من الأنبياء السهو عن غير قصد ويقع منهم قصد الشيء يريدون به وجه الله فيوافق خلاف مراد الله إلا أنه تعالى لا يقرهم على شيء من هذين الوجهين أصلاً، بل ينبههم على ذلك ولا بد أثر وقوعه منهم ويظهر عز وجل ذلك لعباده ويبينه لهم»[3].

---

(١) النبوات لابن تيمية ص ١٤٦.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية، ج١٥، ص ١٥٠.

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم، ج٤، ص ٢.

وقال القاضي عياض: «وكذلك لا خلاف أنهم معصومون من الصغائر التي تزري بفاعلها وتحط منزلته وتسقط مروأته، واختلفوا في وقوع غيرها من الصغائر منهم فذهب معظم الفقهاء والمحدثين والمتكلمين من السلف والخلف إلى جواز وقوعها منهم وحجتهم ظواهر القرآن والأخبار.

وذهب جماعة من أهل التحقيق والنظر من الفقهاء والمتكلمين من أئمتنا إلى عصمتهم من الصغائر كعصمتهم من الكبائر وأن منصب النبوة يجل عن مواقعتها وعن مخالفة الله تعالى عمداً، وتكلموا على الآيات والأحاديث الواردة في ذلك وتأولوها وأن ما ذكر عنهم من ذلك إنما هو فيما كان منهم على تأويل أو سهو أو أذن من الله تعالى في أشياء أشفقوا من المؤاخذة بها وهذا هو المذهب الحق لما قدمناه ولأنه لو صح ذلك منهم لم يلزمنا الاقتداء بأفعالهم وإقرارهم وكثير من أقوالهم»[١].

وقال الشهرستاني: «والأصح أنهم معصومون عن الصغائر عصمتهم عن الكبائر فإن الصغائر إذا توالت صارت بالإتفاق كبائر، وما أسكر كثيرة فقليله حرام، لكن المجوز عليهم عقلاً وشرعاً مثل ترك الأولى من الأمرين المتقابلين جوازاً وجوازاً وحظراً وحظراً ولكن التشديد عليهم في ذلك القدر يوازي التشديد على غيرهم في كبائر الأمور، وحسنات الأبرار سيئات المقربين، وتحت كل زلة يجري عليه سر عظيم فلا تلتفت إلى ظواهر الأحوال وانظر إلى سرائر المآل»[٢].

قال شيخ الإسلام: «والقول الذي عليه جمهور الناس، وهو الموافق للآثار المنقولة عن السلف، إثبات العصمة من الإقرار على الذنوب مطلقاً، والرد على من يقول إنه يجوز إقرارهم عليها، وحجج القائلين بالعصمة إذا حررت إنما تدل على هذا القول..

وحجج النفاة لا تدل على وقوع ذنب أُقر عليه الأنبياء، فإن القائلين

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ج٣، ص ٥٤.

(٢) نهاية الإقدام للشهرستاني، ص ٤٤٥.

بالعصمة احتجوا بأن التأسي بهم مشروع، وذلك لا يجوز مع تجويز كون الأفعال ذنوباً، ومعلوم أن التأسي بهم إنما هو مشروع فيما أقروا عليه دون ما نهوا عنه ورجعوا عنه..

وكذلك ما احتجوا به من أن الذنوب تنافي الكمال، أو أنها ممن عظمت عليه النعمة أقبح، أو أنها توجب التنفير، أو نحو ذلك من الحجج العقلية؛ فهذا إنما يكون مع البقاء على ذلك وعدم الرجوع، وإلا فالتوبة النصوح التي قبلها الله يرفع بها صاحبها إلى أعظم مما كان عليه، كما قال بعض السلف: كان داود عليه السلام بعد التوبة خيراً منه قبل الخطيئة. وقال آخر: لو لم تكن التوبة أحب الأشياء إليه، لما ابتلي بالذنب أكرم الخلق عليه وقد ثبت في الصحاح حديث التوبة «لله افرح بتوبة عبده من رجل نزل منزلا...»[1]

ثم إن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم كانوا لا يؤخرون التوبة؛ بل يسارعون إليها، ويسابقون إليها؛ لا يؤخرون ولا يصرون على الذنب بل هم معصومون من ذلك، ومن أخر ذلك زمناً قليلاً كفر الله ذلك بما يبتليه به كما فعل بذي النون ﷺ هذا على المشهور إن إلقاءه كان بعد النبوة.. والتائب من الكفر والذنوب قد يكون أفضل ممن لم يقع في الكفر والذنوب، فالأفضل أحق بالنبوة..

وخلاصة القول إن الذين ادعوا العصمة للأنبياء وغلو في ذلك، لم يستفيدوا من قولهم هذا؛ ذلك أنهم لم يطيعوا الله ورسوله بحق وهو المقصود من الرسالة والرسل..

إن العصمة المعلومة بدليل الشرع والعقل والإجماع، وهي العصمة في التبليغ لم ينتفعوا بها إذ كانوا لا يقرون بموجب ما بلغته الأنبياء، وإنما يقرون بلفظ حرفوا معناه أو كانوا فيه كالأميين الذين لا يعلمون الكتاب إلا أماني،

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب التوبة، باب في الحض على التوبة، ج٧١٧، ص ٦٠.

؛ فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب التوبة ج ١١، ص ١٠٢.

والعصمة التي كانوا ادعوها لو كانت ثابتة لم ينتفعوا بها ولا حاجة بهم إليها عندهم، فإنها متعلقة بغيرهم لا بما أمروا بالإيمان به، فيتكلم أحدهم فيها على الأنبياء بغير سلطان، ويدع ما يجب عليه من تصديق الأنبياء وطاعتهم، وهو الذي تحصل به السعادة وبضده تحصل الشقاوة، والله تعالى لم يذكر في القرآن شيئاً من ذلك عن نبي من الأنبياء إلا مقروناً بالتوبة والاستغفار، كقول آدم وزوجته: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[1] وكذا الأنبياء نوح وإبراهيم وموسى وداود»[2].

ويمكن تلخيص هذا المبحث فيما يلي:

عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام منها ما هو مجمع عليه بداية ونهاية، ومنها ما هو مختلف فيه بداية لا نهاية وبيان ذلك:

أولاً: أجمعوا على عصمتهم فيما يخبرون عن الله تعالى وفي تبليغ رسالاته؛ لأن هذه العصمة هي التي يحصل بها مقصود الرسالة والنبوة.

ثانياً: واختلفوا في عصمتهم من المعاصي، فقال بعضهم بعصمتهم منها مطلقاً كبائرها وصغائرها، لأن منصب النبوة يجل عن مواقعتها ومخالفة الله تعالى عمداً، ولأننا أمرنا بالتأسي بهم وذلك لا يجوز مع وقوع المعصية في أفعالهم؛ لأن الأمر بالاقتداء بهم يلزم منه أن تكون أفعالهم كلها طاعة، وتأولوا الآيات والأحاديث الواردة بإثبات شيء من ذلك. وبعضهم جوّز وقوع المعصية كبيرها وصغيرها.

ثالثاً: وقال الجمهور: بجواز وقوع الصغائر منهم، بدليل ما ورد في القرآن والأخبار، لكنهم لا يصرون عليها فيتوبون منها ويرجعون عنها، كما مر تفصيله فيكونون معصومين من الإصرار عليها، ويكون الإقتداء بهم في التوبة منها[3].

---

(١) سورة الأعراف آية ٢٣.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية، ج١٠، ص ٢٩٣، ٣٠٩، ٢٩٥، ٢٩٦.

(٣) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد د. صالح الفوزان، ص ١٦٩.

بعث الله النبيين والمرسلين لدعوة الناس إلى طاعة الله ابتغاء مرضاته وعفوه، فتصلح أحوالهم في دنياهم وآخرتهم، فهذا نوح عليه السلام يعرض دعوة ربه على قومه مبلغاً إياهم بأنه رسول مولاهم وخالقهم و﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾[1] وهكذا دأب رسل الله وأنبيائه، ثم ختم الله رسالاته برسالة محمد ﷺ ثم أمره بالبراءة مما ألفه الناس وأحبوه من الغنى والملك وعلم الغيب إلا ما أخبره الله به وأطلعه عليه بوحي منه فقال تعالى: «﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ﴾[2].

ودلائل النبوة هي الأدلة التي تعرف بها نبوة النبي الصادق، ويعرف بها كذب المدعي للنبوة من المتنبئين الكذبة؛ لأن هذا موضوع مهم خطير.

والدلالة «هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال، والثاني هو المدلول»[3].

«وعلى هذا فآيات الأنبياء هي أدلة صدقهم وبراهين دعوتهم النبوة، وهي ما يستلزم صدقهم، ويمتنع وجوده بدون صدقهم، فلا يمكن أن يكون ما يدل على النبوة موجوداً بدون النبوة، ثم كونه مستلزماً للنبوة، ودليلا عليها يعلم بالضرورة، أو بما ينتهي إلى الضرورة.. فمجرد العلم بهذه الآيات يوجب علماً يعلم بالضرورة، بأن الله جعلها آية لصدق هذا الذي استدل بها، وذلك يستلزم أنها خارقة للعادة، وأنه لا يمكن معارضتها، فهذا من جملة صفاتها لا أن هذا وحده كاف فيها..

والله سبحانه دل عباده بالدلالات العيانية المشهودة، والدلالات المسموعة وهي كلامه، لكن عامتهم تعذر عليهم أن يسمعوا كلامه منه، فأرسل إليهم بكلامه رسلاً وأنزل إليهم كتباً، ثم إنه سبحانه جعل مع الرسل آيات هي علامات

(١) سورة نوح آية ٢، ٣.
(٢) سورة الأنعام ٥٠.
(٣) التعريفات للجرجاني، ص ٦١، ٦٢.

وبراهين، هي أفعال يفعلها مع الرسل يخصهم بها لا يوجد لغيرهم، فيعلم العباد اختصاصهم بها وأن ذلك إعلام منه للعباد وإخبار لهم أن هؤلاء رسلي.. ولهذا قد يعلم برسالة رسول بإخبار رسول أخبر عنه، وقد يخبر عن إرساله بكلامه لمن سمع كلامه منه، كما أخبر موسى وغيره بالوحي الذي يوحيه إليهم، فآيات الأنبياء هي علامات وبراهين من الله يتضمن إعلام الله لعباده وإخباره، .. فإن الإعلام والإخبار بأن هذا رسول وتصديقه في قوله: إن الله أرسلني، لا يتصور أن يوجد لغير رسول، والآيات التي جعلها الله علامات هي أعلام بالفعل الذي قد يكون أقوى من القول، فلا يتصور أن تكون آيات الرسل إلا دالة على صدقهم، ومدلولها أنهم صادقون لا يجوز أن توجد بدون صدق الرسل البتة»[1].

«فإذا كان الأمر كذلك فلا بد أن يقيم الله الدلائل والحجج والبراهين المبينة صدق الرسل في دعواهم أنهم رسل الله، كي تقوم الحجة على الناس، ولا يبقى لأحد عذر في عدم تصديقهم وطاعتهم ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾[2] أي بالدلائل والآيات البينات التي تدل على صدقهم»[3].

«والآيات والبراهين الدالة على نبوة محمد ﷺ كثيرة متنوعة، وهي أكثر وأعظم من آيات غيره من الأنبياء ويسميها النظار معجزات. غير أنها تسمى دلائل النبوة، وأعلام النبوة، وبراهين ونحو ذلك.

وهذه الألفاظ إذا سميت بها آيات الأنبياء، كانت أدل على المقصود من لفظ المعجزات، ولهذا لم يكن لفظ المعجزات موجوداً في الكتاب والسنة، وإنما فيه لفظ الآية والبينة والبرهان كما قال تعالى في قصة موسى ﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ﴾[4] في العصا واليد، وقال الله تعالى في حق محمد ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾[5] أما لفظ المعجزة فإنما

---

(١) النبوات لابن تيمية، ص ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥.

(٢) سورة الحديد ٢٥.

(٣) الرسل والرسالات د عمر الأشقر، ص ١١٩.

(٤) سورة القصص ٣٢.

(٥) سورة النساء آية ١٧٤.

يدل على أنه أعجز غيره كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[1].

وهذا اللفظ لا يدل على كون ذلك آية ودليلاً إذا فسر المراد به، وذكر شرائطه، ولهذا كان كثير من أهل الكلام لا يسمي معجزاً إلا ما كان للأنبياء فقط، وما كان للأولياء إن أثبت لهم خرق عادة سماها كرامة.

والسلف ـ كأحمد وغيره ـ كانوا يسمون هذا وهذا معجزاً، ويقولون لخوارق الأولياء: إنها معجزات، إذا لم يكن في اللفظ ما يقتضي اختصاص الأنبياء بذلك. بخلاف ما كان آية وبرهان على نبوة النبي، فإن هذا يجب اختصاصه وقد يسمون الكرامات آيات لكونها تدل على نبوة من اتبعه الولي، فإن الدليل مستلزم للمدلول، يمتنع ثبوته بدون ثبوت المدلول فكذلك ما كان آية وبرهاناً وهو الدليل والعلم على نبوة النبي يمتنع أن يكون لغير النبي»[2]. ولا تلتبس معجزات الرسل وآيات الأنبياء بما يحدث على يد غيرهم من خوارق العادات، فإن المعجزات تأتي مصحوبة بالتحدي، وتصدر عن رجال عرفوا بالتقوى والصلاح، وأنهم بلغوا منهما الذروة التي لا يتطاول إليها أي إنسان.

وتأتي المعجزات بدون كسب لأحد من البشر، فالله هو الذي يمدهم بها مباشرة لأنها كما قلنا ليست في مقدورهم ولا مقدور غيرهم من الناس، وإنما هي آية من الله وحده، ومعجزة لنبيه يتحدى بها معارضيه.

وأما ما يظهر على يد غير الرسل من خوارق العادات فهو منقول عن جميع الأمم في جميع العصور، نقلاً متواتراً في جنسه دون أنواعه وليست كلها حقيقة. فإن منها ما له أسباب مجهولة للجمهور، ومنها ما يستفاد بالتعليم، وخصائص قوى النفس، والمكاشفة، والتنويم المغناطيسي، وانخداع البصر، وما فعله سحرة فرعون مصر. فأين هذا من معجزات الأنبياء وآيات الرسل!؟.

---

(١) سورة العنكبوت ٢٣.

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج٤، ٦٩، ٧٠.

أين هذا من انشقاق البحر لموسى، وإحياء الموتى لعيسى، وإخراج الناقة من الصخرة لصالح، ونبع الماء من بين أصابع محمدﷺ!؟.

والكرامة هي ما يكرم الله به أولياءه بما يظهره على أيديهم، وليس من شرطها أن تكون خارقة للعادة ولا خارجة عن المألوف، ومن الكرامة الاستقامة، والتوفيق إلى طاعة الله، والزيادة في العلم وهداية الخلق إلى الحق.

وقد تحدث بعض الخوارق للعادات على أيدي بعض الصالحين في بعض الأحوال، فيعد ذلك من الكرامات التي تلازم بعض المخلصين لله والمتفرغين لعبادته، والذين سلمت فطرهم وزكت نفوسهم كما وقع للسيدة مريم.. ولكن مع ذلك لا يتحدى بها، بل الأصل فيها الإخفاء والكتمان(١).

وبهذا يتبين أن دلائل النبوة إنما هي تأييد للأنبياء من الله إن كانت هي المعجزات، أو بشارات الأنبياء السابقين بالأنبياء اللاحقين، أو النظر في أحوال الأنبياء، أو النظر في دعوة الرسل ونصر الله وتأييده لهم، والنظر في أحوال الصحابة رضي الله عنهم، فالدلائل لا تنحصر في المعجزات بل وفي غيرها.

أولاً المعجزات أو الآيات:

والآية في لغة العرب العلامة الدالة على الشيء والمراد بها هنا: ما يجريه الله على أيدي رسله وأنبيائه من أمور خارقة «فالآيات التي تكون آيات للأنبياء، هي دليل وبرهان، والله تعالى سماها برهاناً في قوله لموسى: ﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ﴾(٢) وهي العصا واليد، وسماها برهانا وآيات في مواضع كثيرة من القرآن، فحدها حد الدليل والبرهان، وهي أن تكون مستلزمة لصدق النبي فلا يتصور أن توجد مع انتفاء صدق من أخبر أن الله أرسله»(٣).

والمعجزة: واحدة معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وتكون أيضاً

---

(١) العقائد الإسلامية، السيد سابق، انظر ص ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥.

(٢) سورة القصص ٣٢.

(٣) النبوات لابن تيمية، ص ٢٨٧.

من العجز. ويقال: عجز يعجز عن الأمر إذا قصر عنه. ويقال: أعجزني فلان إذا عجزت عن طلبه وإدراكه، وقوله تعالى في سورة سبأ ﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ﴾[1] قال الزجاج: معناه ظانّين أنهم يعجزوننا لأنهم ظنوا أنهم لا يبعثون وأنه لا جنة ولا نار، وقرئت معجّزين، وتأويلها أنهم يعجّزون من اتبع النبي ﷺ، ويثبطونهم عنه وعن الإيمان بالآيات وقد أعجزهم»[2].

وقال الجرجاني هي أمر خارق للعادة داعية إلى الخير والسعادة مقرونة بدعوى النبوة قصد بها إظهار صدق من ادعى أنه رسول من الله»[3].

ويقول شيخ الإسلام: «فإن قيل فما آيات الأنبياء؟ قيل: هي آيات الأنبياء التي تعلم أنها مختصة بالأنبياء، وأنها مستنلزمة لصدقهم، ولا تكون إلا مع صدقهم، وهي لابد أن تكون خارقة للعادة، خارجة عن قدرة الإنس والجن، ولا يمكن أحداً أن يعارضها، لكن كونها خارقة للعادة ولا تمكن معارضتها هو من لوازمها ليس هو حداً مطابقاً لها، والعلم بأنها مستلزمة لصدقهم قد يكون ضرورياً كانشقاق القمر، وجعل العصا حية، وخروج الناقة.

فآيات الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه لا تحد بحدود يدخل فيها غير آياتهم كحد بعضهم، كالمعتزلة وغيرهم بأنها خارق للعادة، وظن أن خوارق السحرة والكهان والصالحين، خرق للعادة، فكذبها، وحد بعضهم بأنها الخارق للعادة، إذا لم يعارضه أحد، وجعل هذا فصلاً احترز به عن تلك الأمور، فقال: المعجزة هي الخارق المقرون بالتحدي بالمثل مع عدم المعارضة، وجوّز أن يأتي غير الأنبياء بمثل ما أتوا به سواء مع المعارضة، وحقيقة المعجز هذا ما لم يعارض، ولا حاجة إلى كونه خارقاً للعادة، بل الأمور المعتادة إذا لم تعارض كانت آية، وهذا باطل قطعاً، ثم مسيلمة والأسود العنسي وغيرهما، لم يعارضوا.. فجميع ما يختص بالسحرة والكهان هو مناقض للنبوة، فوجود ذلك

---

(١) سورة سبأ ٣٨.

(٢) لسان العرب لابن منظور، ج٥، ص ٣٦٩.

(٣) التعريفات للجرجاني، ص ١٢١.

يدل على أن صاحبه ليس بنبي، ويمتنع أن يكون شيء من ذلك دليلاً على النبوة.. كذلك ما يأتي به أهل الطلاسم وعبادة الكواكب ومخاطبتها، كل ذلك مناقض للنبوة، فإن النبي لا يكون إلا مؤمناً، وهؤلاء كفار.

والمقصود هنا أن ما يأتي به السحرة والكهان ونحوهم، هو مما يصنعه الإنس والجن، ولا يخرج ذلك عنهم، والإنس والجن قد أرسلت إليهم الرسل، فآيات الأنبياء خارجة عن قدرة الإنس والجن، لا يقدر عليها لا الإنس ولا الجن ولله الحمد والمنة»(١).

وهنا يبين شيخ الإسلام آراء أهل السنة والأشاعرة والمعتزلة في الاستدلال بالمعجزة على النبوة:

حيث قال: أما أهل السنة: «فهم يعلمون أن المعجزة مختصة بالأنبياء حقيقة لأنها خارجة عن قدرة الجن والإنس، وكونها خارقة للعادة هو من لوازمها وليس حداً مطابقاً لها، ثم العلم بصدقها قد يكون ضرورياً كانشقاق القمر، وخروج الناقة، وكذلك ما يأتي به السحرة والكهان وأهل الطلاسم لا يعتد به فلا يدل شيء منه على أن صاحبه نبي؛ ذلك أن النبي لا يكون إلا مؤمناً وهؤلاء كفار.

فأما المعتزلة فقد ألزمهم مذهبهم بالتكذيب لما يأتي به السحرة والكهان وأهل الكرامات من الأولياء؛ ذلك أنهم ادعوا أن الأمر الخارق لا يكون إلا للأنبياء(٢).

أما الأشاعرة: فإنهم احترزوا بعدم المعارضة، وقد رُدَّ عليهم بأن مسيلمة الكذاب والأسود العنسي لم يعارضهما أحد، وكذا الرسول ﷺ لم يتحد بغير القرآن. ثم إنهم جوزوا أن يأتي الساحر والكاهن بمثل ما يأتي به الأنبياء من المعجزات «وهذا القول هو حقيقة قول القاضي وأمثاله من المتكلمين الأشعرية ومن وافقهم.. الذين قالوا: لو ادعى الساحر والكاهن النبوة، لكان الله ينسية

---

(١) النبوات لابن تيمية، ص ٢٨٢، ٢٨٣، ٣٩١، ٣٩٢.

(٢) نفس المصدر ص ١٥٠، ١٥٧.

الكهانة والسحر، ولكان له من يعارضه لأن السحر والكهانة هي معجزة عندهم. وفي هذه الأقوال من الفساد عقلاً وشرعاً ومن المناقضة لدين الإسلام وللحق ما يطول وصفه، ولا ريب أن قول من أنكر وجود هذه الخوارق أقل فساداً من هذا، ولهذا يشنع عليهم ابن حزم وغيره بالشناعات العظيمة. ولهذا يقيم أكابر فضلائهم مدة يطلبون الفرق بين المعجزات والسحر، فلا يجدون فرقاً إذ لا فرق عندهم في نفس الأمر، والتحقيق أن آيات الأنبياء مستلزمة للنبوة ولصدق الخبر بالنبوة»[1].

ولأنهم جوّزوا على الله إرسال الرسل، فقال القاضي: «ويجب أن يُعلم أنه يجوز لله تعالى إرسال الرسل وبعث الأنبياء خلافاً لما تدعيه البراهمة[2]»[3] وقد سبقهم في هذا المعتزلة الذين يوجبون على الله فعل الأصلح، وكلا الأمرين مخالف لما نهج عليه أهل السنة والجماعة؛ ذلك إنهم يعتقدون حكمة الله في جميع أفعاله وأقواله وقد أرسل الرسل لحكمة يعلمها هو سبحانه وهي عبادة الله وحده «وهو سبحانه غني عن العالمين فالحكمة تتضمّن شيئين: أحدهما: حكمة تعود إليه يحبها ويرضاها. والثاني: إلى عباده وهي نعمة عليهم يفرحون بها ويلتذون بها وهذا في المأمورات وفي المخلوقات»[4].

«والرب سبحانه وتعالى لم يزل ولا يزال يفعل ما يشاء ويتكلم إذا شاء قال تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ﴾[5] فإنه سبحانه لم يزل حياً، والفعل من لوازم الحياة، فلم يزل فاعل لما يريد. كما وصف بذلك نفسه حيث يقول ﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ۝١٥ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ﴾[6] والآية تدل على أمور:

---

(١) النبوات لابن تيمية، ص ٢٩١، ٢٩٥.

(٢) هم الذين يقولون ويزعمون أن العقل يغني عن الوحي. معجم الفاظ العقيدة، عامر فالح، مكتبة العبيكان، ص ٦٩.

(٣) الإنصاف للباقلاني أبي بكر محمد بن الطيب تحقيق محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، ص٥٣.

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية، ج٨، ص ٦٥، ٣٦.

(٥) سورة آل عمران ٤٠.

(٦) سورة البروج آية ١٥، ١٦.

أحدهما: أنه تعالى يفعل بإرادته ومشيئته.

الثاني: أنه لم يزل كذلك، لأنه ساق ذلك في معرض المدح والثناء على نفسه، وأن ذلك من كماله سبحانه ولا يجوز أن يكون عادماً لهذا الكمال في وقت من الأوقات»[1].

ثم يقول القاضي الباقلاني: «ويجب أن يعلم أن صدق مدعي النبوة لم يثبت بمجرد دعواه وإنما يثبت بالمعجزات وهي أفعال الله الخارقة للعادة المطابقة لدعوى الأنبياء، وتحديهم للأمم للإتيان بمثلها. يبين ذلك أن موسى عليه السلام جاء في زمان سحرة وسحر فتحداهم بقلب العصا حية.. وكذلك عيسى عليه السلام جاء في زمان قوم طب ومداواة فأحيا الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص.. وكذلك نبينا ﷺ جاء في وقت فصاحة وشعر وخطب ونظم ونثر فأتاهم بما هو خارج عن عاداتهم في النظم والنثر وتحداهم بالإتيان بمثله..»[2]

فهم ينفون ثبوت النبوة بغير المعجزة، وقد علم أن قولهم هذا خلاف تأصيلهم. أما قولهم إنه لا يعلم صدق مدعي النبوة بمجرد دعواه وإنما يثبت بالمعجزات «فهذا الكلام الذي قالوه من أن العلم بالرسول يتضمن العلم بالمرسل كلام صحيح. فإن العلم بالإضافة يستلزم العلم بالمضاف إليه، لكن المعترض يقول له: المعجزة لا تدل على الرسالة إلا بعد العلم بإثبات الصانع، ثم يعلم بعد ذلك صدق الرسول، إما لكون المعجز يجري مجرى التصديق، والعلم بذلك ضروري في العادة. وأما لكون المعجز لو لم يدل على الصدق للزم عجز الرب عن طريق يُصدق به الرسول، وإما لكون تصديق الكذاب قبيحاً، وهو منزه عن فعل القبيح، ونحو ذلك من الطرق التي سلكها من سلكها من أهل النظر القائلين بأن صدق الرسول لا يعرف إلا بالمعجزة. والطريقان الأولان هما طريقا الأشعري وأصحابه ومن وافقهم. والثاني: هو طريق المعتزلة ومن وافقهم.

وأما القائلون بأن صدق الرسول يعرف بطرق أخرى غير المعجزة، فلا

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق شعيب الأرناؤوط، ص ٧٩، ٨٠.

(٢) الإنصاف للباقلاني، ص ٥٤.

يحتاجون إلى هذا.. والمقصود هنا أن قول القائل: إن مثبتي النبوات تحصل لهم معرفة بالله بثبوت النبوة من غير نظر ولا استدلال في دلائل العقول، وأنا لا نمنع صحة النظر، ولا نمنع حصول المعرفة به، وإنما خلافنا: هل يحصل بغيره؟ والجواب: نعم[1]. ويُردّ على أولئك وغيرهم بما يلي:

أ: إن الذين أوجبوا على الله تأييد رسله بالمعجزات وعدّوا سلامتها عن المعارضة أهم من سلامة الشرع عن التخليط والنقص كما قال البغدادي: «وقال أصحابنا إن سلامة معجزته عن المعارضة دليل على صحته وأما سلامة شرعه عن التخليط والنقص فيه فلا يدل على صحته»[2].

فقولهم «لا بد له من المعجزة، هذا متضمن أنهم يوجبون على الله تعالى إظهار تلك المعجزة. فقيل لهم: لم أوجبتم على الله هذا في هذا الموضع دون غيره وأنتم لا توجبون على الله شيئاً؟ فقالوا لأن المعجزة علم الصدق فيمتنع أن يكون لغير صادق: فالمجموع هو الممتنع وهو خارق العادة ودعوى النبوة، أو هذان مع السلامة عن المعارض.. وهذا ممتنع فإنكم تقولون يجوز أن يخلق على يد مدعي النبوة والساحر والصالح لكن إن ادعى النبوة دلت على صدقه وإن لم يدع النبوة لم يدل على شيء مع أنه لا فرق عند الله بين أن يخلقها على يد مدعي النبوة، وغير مدعي النبوة، بل كلاهما جائز فيه، فإذا كان هذا مثل هذا فلم كان أحدهما دليلاً دون الآخر»[3].

ب: إن المعجزات لهي دليل واحد من الأدلة الدالة على النبوة: «ولا ريب أن المعجزات دليل صحيح لكن الدليل غير محصور في المعجزات، فإن النبوة إنما يدعيها أصدق الصادقين أو أكذب الكاذبين، ولا يلتبس هذا بهذا على أجهل الجاهلين بل قرائن أحوالهما تعرب عنهما، وتعرف بهما والتمييز بين

(١) درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية، ج٩، ص ٤٠.
(٢) أصول الدين للبغدادي، ص ١٧٦.
(٣) النبوات لابن تيمية ص ٦، ٧.

الصادق والكاذب له طرق كثيرة فيما دون دعوى النبوة، فكيف بدعوى النبوة، وما أحسن ما قال حسان بن ثابت رضي الله عنه: حيث قال:

لو لم يكن فيه آيات مبينةكانت بديهته تنبئك بالخبر»[1].

جـ: قد تبين أن النبوة تعلم بالمعجزات وبغيرها على أصح الأقوال؛ وأما نبوة نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأكمل السلام فإنها تعرف بطرق كثيرة. منها: «المعجزات ومعجزاته منها القرآن، ومنها غير القرآن، والقرآن معجز بلفظه ونظمه ومعناه.. وقد علم أيضاً بالتواتر أنه دعا قريشاً خاصة والعرب عامة، وأن جمهورهم في أول الأمر كذبوه وآذوه وآذوا أصحابه وقالوا فيه أنواع القول مثل قولهم هو ساحر وشاعر وكاهن ومعلم ومجنون، وأمثال ذلك وعلم أنهم كانوا يعارضونه ولم يأتوا بسورة من مثله وذلك يدل على عجزهم عن معارضته لأن الإرادة الجازمة لا يتخلف عنها الفعل مع القدرة، ومعلوم أن إرادتهم كانت من أشد الإرادات على تكذيبه وإبطال حجته، وأنهم كانوا أحرص الناس على ذلك.. وأما الطرق فكثيرة جداً متنوعة من وجوه وليس كما يظنه بعض الناس»[2].

د: «وأخبار أهل التواتر بما جاءت به الأنبياء من الآيات، هو من أدلة ثبوتها، فكل من آمن بالرسول عن بصيرة، فلابد أن يكون في قلبه علم بأنه نبي حق، أما علم ضروري، أو علم نظري بدليل من الأدلة، والعلوم النظرية مع أدلتها تبقى ضرورية»[3].

هـ: إن الذين آمنوا بمحمد ﷺ في بداية بعثته لم يشهدوا معجزة، بل إنهم لم يسألوا عنها ولم يطلبوها «فإن النبي ﷺ، بل وغيره من الأنبياء كان في نفس أقوالهم وأفعالهم وصفاتهم وأخلاقهم وسيرهم أمور كثيرة تدل على

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ج٤، ص٣١٦.

(٢) العقيدة الاصفهانية لابن تيمية، قدم له المفتي السابق حسنين مخلوف، دار الكتب الإسلامية - القاهرة، ص١٦٥، ١٦٧،، ١٦٦

(٣) النبوات لابن تيمية، ص ٣٨٦، ٣٨٧.

نبوتهم»[1] ولهذا قال شيخ الإسلام: «وإيمان خديجة وأبي بكر وغيرهما من السابقين الأولين كان قبل انشقاق القمر، وقبل إخباره بالغيوب، وقبل تحديه بالقرآن، لكن كان بعد سماعهم القرآن الذي هو نفسه آية مستلزمة لصدقه، ونفس كلامه، واخباره بأني رسول الله، مع ما يعرف من أحواله مستلزم لصدقه، إلى غير ذلك من آيات الصدق وبراهينه. بل خديجة قالت له ـ بعد أن أخبرها بالوحي وقال لها: «لقد خشيت على نفسي ـ : كلا والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق»[2]. فكانت عارفة بأحواله التي تستلزم نفي كذبه وفجوره، وتلاعب الشيطان به، وأبو بكر كان من أعقل الناس وأخيرهم، وكان معظماً في قريش، لعلمه، وإحسانه وعقله، فلما تبين له حاله علم علماً ضرورياً أنه نبي صادق، وكان أكمل أهل الأرض يقيناً وعلماً وحالاً»[3].

و: إن هناك من علماء المتكلمين من أثبت طرقاً أخرى للدلالة على النبوة غير المعجزة، فقال: «المقصد الرابع في إثبات نبوة محمد ﷺ وفيه مسالك: المسلك الأول وهو العمدة أنه ادعى النبوة وظهرت المعجزة على يده، والاستدلال بأحواله قبل النبوة وحال الدعوة وبعد تمامها، وأخلاقه العظيمة، وأحكامه الحكيمة، وإقدامه حيث يحجم الأبطال، وأخبار الأنبياء المتقدمين عليه عن نبوته، وأنه عليه الصلاة والسلام ادعى بين قوم لا كتاب لهم ولا حكمة فيهم، أني بعثت بالكتاب والحكمة لأتمم مكارم الأخلاق»[4] وهذا حال المتأخرين من علماء الأشاعرة الذين عاد بعضهم عن أقواله وأقوال متقدميهم وقناعتهم بهذا القول الموافق للحق.

---

(١) نفس المصدر ص ٣٨٨.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي ج١، ص ٢٢.
؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان ج٢، ص ١٩٧.

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية، ج٤، ص ٣١٦.

(٤) المواقف لعضد الدين الإيجي، ص ٣٤٩، ٣٥٦، ٣٥٧.

ز: إنه من الثابت عند الأمة أن الرسول ﷺ لم يدع الناس إلا إلى الإيمان بالله مستعيناً بكتاب الله العزيز «وأنت تتبين من حال الشارع ﷺ أنه لم يدع أحداً من الناس، ولا أمة من الأمم إلى الإيمان برسالته، وبما جاء به بأن قدم بين يدي دعواه خارقاً من خوارق الأفعال مثل قلب عين من الأعيان إلى عين أخرى، وما ظهر على يديه ﷺ من الكرامات والخوارق فإنما ظهرت في أثناء أحواله، من غير أن يتحدى بها، وقد يدلك على هذا قوله تعالى: ﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾﴾[1] . وإنما الذي دعا به الناس وتحداهم به هو الكتاب العزيز، فقال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾[2]»[3].

حـ: ودلائل النبوة ليست محصورة في المعجزة كما يقوله المتكلمون، بل هي كثيرة متنوعة. منها: «إخبارهم الأمم بما سيكون من انتصارهم وخذلان أعدائهم وبقاء العاقبة لهم، فوقع كما أخبروا ولم يتخلف منه شيء، كما حصل لنوح وهود وصالح وشعيب وإبراهيم ولوط وموسى ونبينا محمد ﷺ وعليهم جميعاً تسليماً كثيراً.

وقد جاءوا بالشرائع والأخبار في غاية الإحكام والإتقان وكشف الحقائق وهدي الخلق مما يعلم بالضرورة أن مثله لا يصدر إلا عن أعلم الناس وأبرهم. وأن الله يؤيدهم تأييداً مستمراً، وقد علم من سنته سبحانه أنه لا يؤيد الكذاب. وأن طريقتهم واحدة فيما يأمرون به من عبادة الله والعمل بطاعته والتصديق باليوم الآخر والإيمان بجميع الكتب والرسل فلا يمكن خروج واحد منهم عما اتفقوا عليه، فهم يصدق متقدمهم بمتأخرهم، كما بشر المسيح ومن قبله بمحمد ﷺ وعليهم أجمعين، وكما صدّق ﷺ جميع النبيين قبله»[4].

---

(١) سورة الإسراء آية ٩٠ - ٩٣.
(٢) الإسراء آية ٨٨.
(٣) منهاج الأدلة في عقائد الملة لابن رشد تحقيق وتقديم محمد قاسم، ص ٢١٤، ٢١٥.
(٤) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، د. صالح الفوزان، ص ١٥٧، ١٥٨.

ط: تيسير الله لعباده علم ما احتاجوا إليه، ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية متعجباً؛ ذلك إنه «كلما كان الناس إلى الشيء أحوج كان الرب به أجود، وكذلك كلما كانوا إلى بعض العلم أحوج كان به أجود، فإنه سبحانه الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم، وهو الذي خلق فسوى، والذي قدر فهدى، وهو الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى؛ فكيف لا يقدر أن يهدي عباده إلى أن يعلموا أن هذا رسوله، وإن ما جاء به من الآيات آية من الله، وهي شهادة من الله بصدقه، وكيف تقتضي حكمته أن يسوي بين الصادق والكاذب فيؤيد الكاذب من آيات الصدق بمثل ما يؤيد به الصادق حتى لا يعرف هذا من هذا، وأن يرسل رسولاً يأمر الخلق بالإيمان به وطاعته ولا يجعل لهم طريقاً إلى معرفة صدقه، وهذا كتكليفهم بما لا يقدرون عليه وما لا يقدرون على أن يعلموه؛ وهذا ممتنع في صفة الرب وهو منزه عنه سبحانه، فإنه لا يكلف نفساً إلا وسعها؛ وقد علم في سنته وعادته أنه لا يؤيد الكذاب بمثل ما يؤيد به الصادق قط، بل لابد أن يفضحه ولا ينصره، بل لابد أن يهلكه»[1].

ي: إن بشارات الأنبياء وتوافق الدعوة بين جميع الأنبياء وسلامتها مع الآيات والبراهين التي صاحبت دعوتهم جميعاً لهو دليل ساطع على صحة نبوتهم جميعاً وإن التشكيك في أحدها يصبح تشكيكاً في كافة رسل الدعوة إلى الله وأنبيائها.

قال ابن القيم: «إنه لا يمكن الإيمان بنبي من الأنبياء أصلاً مع جحود نبوة محمد ﷺ وأنه من جحد نبوته فهو لنبوة غيره من الأنبياء أشد جحداً وهذا يتبين بوجوه: أحدها: إن الأنبياء المتقدمين بشروا بنبوته وأمروا أممهم بالإيمان به، فمن جحد نبوته فقد كذب الأنبياء قبله فيما أخبروا به وخالفهم فيما أمروا وأوصوا به من الإيمان به، والتصديق به لازم من لوازم التصديق بهم.

الوجه الثاني: إن دعوة محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه هي

---

(١) النبوات لابن تيمية، ص ١٧٦، ١٧٧.

دعوة جميع المرسلين قبله من أولهم إلى آخرهم، فالمكذب بدعوته مكذب بدعوة إخوانه كلهم.

الوجه الثالث: إن الآيات والبراهين التي دلت على صحة نبوته وصدقه أضعاف آيات من قبله من الرسل، فليس لنبي من الأنبياء آية توجب الإيمان به إلا ولمحمدﷺ مثلها.. فإن جاز القدح في ذلك كله، فالقدح في وجود عيسى وموسى وآيات نبوتهما أجوز وأجوز، وإن امتنع القدح فيهما وفي آيات نبوتهما فامتناعه في محمدﷺ وآيات نبوته أشد. فالرسولﷺ إنما جاء بتعريف الرب تعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله والتعريف بحقوقه على عباده فمن أنكر رسالته فقد أنكر الرب الذي دعا إليه وحقوقه التي أمر بها، بل نقول لا يمكن الاعتراف بالحقائق على ما هي عليه مع تكذيب رسوله، وهذا ظاهر جداً لمن تأمل مقالات أهل الأرض وأديانهم»[1].

مشاهد من آيات ومعجزات الرسل:

أيد الله أنبياءه بمعجزات حسّية مشاهدة، وذلك بطلب من أقوامهم أو بدعاء أنبيائهم على أتباعهم فكانت «آيات الأنبياء مما يعلم العقلاء أنها مختصة بهم وليست مما تكون لغيرهم فيعلمون أن الله لم يخلق مثلها لغير الأنبياء، وسواء في آياتهم التي كانت في حياة قومهم وآياتهم التي فرق الله بها بين أتباعهم وبين مكذبيهم بنجاة هؤلاء وهلاك هؤلاء، وذلك مثل تغريق الله لجميع أهل الأرض إلا نوحاً، ومن ركب معه في السفينة، فهذا لم يكن قط في العالم نظيره.

وكذلك إهلاك قوم عاد وإرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد مع كثرتهم وقوتهم وعظم عمارتهم التي لم يخلق مثلها في البلاد، ثم أهلكوا بريح صرصر عاتية مسخرة سبع ليال وثمانية أيام حسوماً حتى صاروا كلهم كأنهم أعجاز نخل خاوية، ونجا هود ومن اتبعه، فهذا لم يوجد نظيره في العالم.

وكذلك قوم لوط أصحاب مدائن متعددة رفعت إلى السماء، ثم قلبت بهم

---

(١) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، لابن القيم، ص ٣٤٨، ٣٥٤.

وأُتبعوا بحجارة من السماء تتبع شاذهم ونجا لوط وأهله، إلا امرأته أصابها ما أصابهم، فهذا لم يوجد نظيره في العالم وكذلك قوم صالح أصحاب مدائن ومساكن في السهل والجبل وبساتين أهلكوا بصيحة واحدة، فهذا لم يوجد نظيره في العالم..

وكذلك قوم فرعون وموسى، جمعان عظيمان ينفرق لهم البحر كل فرق كالطود العظيم، فيسلك هؤلاء ويخرجون سالمين، فإذا سلك الآخرون انطبق عليهم البحر، فهذا لم يوجد نظيره في العالم.

وكذلك الكعبة فإنها بيت من حجارة بواد غير ذي زرع، ليس عندها أحد يحفظها من عدو، ولا عندها بساتين وأمور يرغب فيها الناس، ومع هذا حفظها بالهيبة والعظمة، وهي على هذا الحال من آلاف السنين، وهذا مما لا يعرف في العالم لبنية غيرها.. فآيات الأنبياء هي أدلة وبراهين على صدقهم، والدليل يجب أن يكون مختصاً بالمدلول عليه لا يوجد مع عدمه، لا يتحقق الدليل إلا مع تحقق المدلول»[1].

وقد ذكر الله سبحانه معجزات بعض أنبيائه في كتابه القرآن المنزل على محمد ﷺ فهذا نبي الله صالح وقد أرسله إلى ثمود الذين اعترضوا رسالته فقالوا: ﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾﴾[2]. وقد حكى الله مقالتهم وحجتهم فقال إبن كثير: «ثم إنهم اقترحوا عليه آية يأتيهم بها ليعلموا صدقه بما جاءهم به من ربهم، وقد اجتمع ملأهم وطلبوا منه أن يخرج لهم الآن من هذه الصخرة ناقة عشراء وأشاروا على صخرة عندهم، فعند ذلك أخذ عليهم نبي الله صالح العهود والمواثيق لئن أجابهم إلى ما سألوه ليؤمنن به وليتبعنه فأعطوه ذلك فقام نبي الله صالح ﷺ فصلى ثم دعا الله عز وجل أن يجيبهم إلى سؤالهم فانفطرت تلك الصخرة التي أشاروا إليها إلى ناقة عشراء على الصفة التي وصفوها فآمن بعضهم وكفر أكثرهم»[3].

---

(١) النبوات لابن تيمية، ص ١٦٠، ١٦١.

(٢) سورة الشعراء آية ١٥٤.

(٣) تفسير ابن كثير ج ٣، ص ٣٩٦؛ وانظر تعريف «عشراء» ص ٥٢٧ من البحث هـ ٤.

وأما إبراهيم عليه الصلاة والسلام فقد أمر الله النار المحرقة أن تكون برداً وسلاماً عندما أشعل قومه النار ورموه فيها، فقال تعالى: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾[(١)].

أما موسى عليه الصلاة والسلام فقد جعل الله بين يديه معجزات بينات ذلك؛ أنه أرسل إلى بني إسرائيل المكذبين بالنبوات وقاتلي الأنبياء والصالحين؛ فكان ما أرسل إليهم من الأنبياء يفوق ما أرسل إلى غيرهم من الأمم، ثم أمدهم بالمعجزة لعل بني إسرائيل يرجعون عن غيهم وكفرهم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾[(٢)]

«وهي الدلائل القاطعة على صحة نبوته وصدقه فيما أخبر به عمن أرسله إلى فرعون وهي العصا واليد والسنين والبحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم أيات مفصلات، ومع هذه الآيات ومشاهدتهم لها كفروا بها وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً وما نجعت فيهم، فكذلك لو أجبنا هؤلاء الذين سألوا منك ما سألوا وقالوا لن نؤمن حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً إلى آخرها لما استجابوا ولا آمنوا إلا أن يشاء الله.. فهذه التسع آيات التي ذكرها هؤلاء الأئمة هي المرادة هاهنا وهي المعنية.. وقد أوتي موسى عليه السلام آيات أخر كثيرة منها ضربه الحجر بالعصا وخروج الماء منه ومنها تظليلهم بالغمام وإنزال المنّ والسلوى وغير ذلك مما أوتوه بنو إسرائيل بعد مفارقتهم بلاد مصر ولكن ذكر هاهنا التسع آيات التي شاهدها فرعون وقومه من أهل مصر فكانت حجة عليهم فخالفوها وعاندوها كفراً وجحوداً»[(٣)].

وقد أجرى الله علي يد نبيه عيسى عليه الصلاة والسلام من المعجزات ما يفوق القدر لإيمان أهل الأرض جميعاً إن كانوا يعقلون، فأخبر الله عنه أنه كان يصنع من الطين ما يشبه الطير ثم ينفخ فيها فتصبح طيوراً بإذن الله، ويمسح

---

(١) سورة الأنبياء آية ٦٨، ٦٩.

(٢) سورة الإسراء ١٠١.

(٣) تفسير ابن كثير، ج٣، ص ٦٠.

الأكمه وهو الذي يولد أعمى «قال كثير من العلماء: بعث الله كل نبي من الأنبياء بما يناسب أهل زمانه، فكان الغالب على زمان موسى عليه السلام السحر وتعظيم السحرة، فبعثه الله بمعجزات بهرت الأبصار وحيرت كل سحار، فلما استيقنوا أنها من عند العظيم الجبار انقادوا للإسلام وصاروا من عباد الله الأبرار.

وأما عيسى عليه السلام فبعث في زمن الأطباء، وأصحاب علم الطبيعة فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحد إليه إلا أن يكون مؤيداً من الذي شرع الشريعة، فمن أين للطبيب قدرة على إحياء الجماد، أو على مداواة الأكمة والأبرص وبعث من هو في قبره رهين إلى يوم التناد، وكذلك محمد ﷺ بعث في زمان الفصحاء والبلغاء وتجاريد الشعراء فأتاهم بكتاب من الله عز وجل فلو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور من مثله، أو بسورة من مثله لم يستطيعوا أبدا ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، وما ذاك إلا أن كلام الرب عز وجل لا يشبه كلام الخلق أبداً»[1].

آيات خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ وأعظمها القرآن العظيم:

ما بعث الله نبياً ولا رسولاً إلا وقد أيده الله بالآيات والمعجزات المخالفة للسنن المعروفة والخارجة عن مقدور الناس، وحيث إنه بشر مثلهم ثم لا يستطيعون أن يأتوا بمثل ما جاء به، فهذا هو المقصود من تلك المعجزات وقد كانت حسية مشاهدة ثم تنتهي بانتهاء وقت وقوعها وزمن صاحب الرسالة أو النبوة.

أما خاتم الأنبياء والمرسلين فقد كانت معجزته العظمى وآيته الكبرى باقية بحفظ الله، ولأن البشر أشد حاجة لما تضمنته معجزة محمد ﷺ، إنه القرآن الكريم، معجزة علمية وحجة عقلية، وهو العلم الذي اقترن بدعوته ولم يزل يتزايد أيام حياته، ودام في أمته بعد وفاته وهو القرآن العظيم، المعجز المبين، وحبل الله المتين، الذي هو كما وصفه من أنزله فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡ

(١) تفسير ابن كثير، ج١، ص ٣١٤.

وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾﴾[1]. وقـال: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴿٨٨﴾﴾[2].

فهذا الإمام البيهقي في دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، الذي أثنى عليه الحافظ بن كثير رحمهما الله تعالى ـ فقال: دلائل النبوة لأبي بكر البيهقي من عيون ما صُنِّف في السيرة والشمائل: يقول فيه: «فأما النبي المصطفى، والرسول المجتبى، والمبعوث بالحق إلى كافة الخلق من الجن والإنس، أبو القاسم، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، خاتم النبيين، ورسول رب العالمين، صلوات الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين فإنه أكثر الرسل آيات وبينات وذكر بعض أهل العلم أن أعلام نبوته تبلغ ألفا...

ثم إن لنبينا ﷺ وراء القرآن من الآيات الباهرة والمعجزات الظاهرة ما لا يخفى، وأكثر من أن يحصى. فمن دلائل نبوته هي استدلال أهل الكتاب على صحة نبوته.. ومن دلائل نبوته: ما حدث بين أيام مولده ومبعثه ﷺ من الأمور الغريبة.. ثم إن له من وراء هذه الآيات المعجزات: انشقاق القمر، وحنين الجذع، وخروج الماء بين أصبعيه، وتسبيح الطعام، وإجابة الشجرة إياه، وتكليم الذراع المسمومة إياه، وشهادة الذئب والضب والرضيع والميت له بالرسالة.. وغير ذلك مما قد ذكر ودوّن في الكتب. غير أن الله تعالى لما جمع له بين أمرين: أحدهما بعثه إلى الجن والإنس عامة، والآخر: ختمه النبوة به، ظاهر له من الحجج حتى إن شذت واحدة عن فريق بلغتهم الأخرى، وإن لم تنجع واحدة، نجعت أخرى، وإن درست على الأيام واحدة بقيت أخرى، وفيه في كل حال؛ الحجة البالغة»[3] «وهي معنوية وحسية: فمن المعنوية إنزال القرآن عليه، وهو أعظم المعجزات، وأبهر الآيات، وأبين الحجج الواضحات لما اشتمل عليه من التركيب المعجز الذي تحدى به الإنس والجن أن يأتوا بمثله فعجزوا عن

---

(١) سورة فصلت، آية ٤٢.

(٢) سورة الإسراء آية ٨٨.

(٣) دلائل النبوة للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي تعليق د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الثانية، ١٤٢٣هـ ج ١، ص ١٠، ١٨، ١٩.

ذلك، مع توافر دواعي أعدائه على معارضته، وفصاحتهم وبلاغتهم، ثم تحداهم بعشر سور منه فعجزوا، ثم تنازل إلى التحدي بسورة من مثله، فعجزوا عنه وهم يعلمون عجزهم وتقصيرهم عن ذلك، وأن هذا ما لا سبيل لأحد إليه أبداً.. ومن الدلائل المعنوية أخلاقه عليه الصلاة والسلام الظاهرة، وخلقه الكامل، وشجاعته وحلمه وزهده وقناعته وإيثاره وجميل صحبته. وسيرة الرسول ﷺ وأخلاقه وأقواله وأفعاله من آياته، أي من دلائل نبوته، وكرامات صالحي أمته من آياته..

ومن أعظم دلائل نبوته الحسية انشقاق القمر فرقتين..»[(١)].

كلام الله مصدره وحقيقته:

وهو حجة الله وبرهانه على الأولين والآخرين من الخلق أجمعين «ومذهب سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وسائر أئمة المسلمين كالأئمة الأربعة وغيرهم ما دل عليه الكتاب والسنة، وهو الذي يوافق الأدلة العقلية الصريحة أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، فهو المتكلم بالقرآن والتوراة والإنجيل وغير ذلك من كلامه، ليس ذلك مخلوقاً منفصلاً عنه، وهو سبحانه يتكلم بمشيئته وقدرته، لم يقل أحد من سلف الأمة إن كلام الله مخلوق بائن عنه، بل قالوا لم يزل الله متكلماً إذا شاء.. وكلمات الله لا نهاية لها ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾[(٢)]. وقال السلف: لم يزل الله متكلماً إذا شاء، وإن الكلام صفة كمال، ومن يتكلم أكمل ممن لا يتكلم، كما أن من يعلم ويقدر أكمل ممن لا يعلم ولا يقدر.. فتبين أن الرب لم يزل ولا يزال موصوفاً بصفات الكمال، منعوتاً بنعوت الجلال؛ ومن أجلها الكلام. فلم يزل متكلماً إذا شاء ولا يزال كذلك... ولم يقل أحد من السلف: إن هذا القرآن عبارة عن كلام الله، ولا حكاية له، ولا قال أحد منهم إن لفظي بالقرآن قديم أو غير مخلوق؛ بل كانوا يقولون بما دل عليه الكتاب والسنة، من أن هذا القرآن كلام الله، والناس يقرءونه بأصواتهم

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج٦، ص ٦٧، ٧٢، ٧٦

(٢) سورة الكهف آية ١٠٩.

ويكتبونه بمدادهم وما بين اللوحين كلام الله»[١].

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: نهى رسول الله ﷺ أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو. وفي رواية لمسلم: «لا تسافروا بالقرآن فإني لا آمن أن يناله العدو»[٢] وقد أخبر رسول الله ﷺ أن حجته الساطعة وآيته الباقية على مدى الدهر إلى يوم القيامة، إنما هو الوحي من الله وهو كلام الله وقرآنه، وقد سأل ربه أن يكون أكثر الأنبياء تابعاً يوم القيامة. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحى الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة»[٣].

بل إن رسول الله ﷺ قد جزم في حديث أنس رضي الله عنه أنه أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة وأنه أول من يقرع باب الجنة.

فعن أنس رضي الله عنه قال. قال رسول الله ﷺ: «أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة»[٤].

ثم أمر أمته بتبليغ هذا القرآن لما فيه من البيان لأمور الإسلام وأحكامه فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»[٥] وقوله

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية، ج١٢، انظر ص ٣٧، ٣٨، ٥٢، ٣٠٢.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب كراهية السفر إلى أرض العدو، ج٦، ص١٣٣.
؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإمارة، باب النهي أن يسافر بالمصاحف إلى أرض الكفار ج ١٣، ص ١٣.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي وأول ما نزل، ج٩، ص ٣؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس ج ٢، ص ١٨٦،

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب في قول النبي صلى الله عليه ومسلم أنا أول الناس يشفع في الجنةج٣، ص٧٣.

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ج٦، ص٤٩٦.

ولا حرج: أي لا حرج في التحديث عنهم إن لم يكن تعارض مع الشريعة المحمدية.

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «زينوا القرآن بأصواتكم؛ فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً»(١).

قال محمد بن الحسين الآجرّي: «إن قول المسلمين الذين لم تزغ قلوبهم عن الحق، ووفقوا للرشاد قديماً وحديثاً: إن القرآن كلام الله عز وجل لا يكون مخلوقاً، تعالى الله عز وجل عن ذلك. دلّ على ذلك القرآن والسنة، وقول الصحابة رضي الله عنهم، وقول أئمة المسلمين رحمة الله عليهم لا ينكر هذا إلا جهمي»(٢).

«والنبي ﷺ سمعه من جبريل، وهو الذي نزل عليه به، وجبريل سمعه من الله تعالى. كما نص على ذلك أحمد وغيره من الأئمة، قال تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾(٣): وقال تعالى ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾(٤) فأخبر سبحانه أنه نزله روح القدس وهو الروح الأمين، وهو جبريل من الله بالحق، ولم يقل أحد من السلف: إن النبي ﷺ سمعه من الله»(٥).

وقد كان الوحي ينزل على رسول الله ﷺ على ثلاثة أنواع:

فيكون وحياً أي إلقاء المعنى في القلب المعبر عنه بالنفث في الروع، وفي

---

(١) مسند الإمام أحمد، ج٤، ص ٢٨٥، ٢٩٦، ٣٠٤.
؛ سنن أبي داود، كتاب الوتر، باب استحباب الترتيل في القراءة ج٢، ص١٥٥،.
؛ سنن ابن ماجة، كتاب إقامة الصلاة، باب في حسن الصوت بالقرآن ج ١، ص ٤٠٤.
؛ سنن الدرامي، كتاب فضائل القرآن، باب التغني بالقرآن. ج ٢، ص ٤٧٤.
؛ سلسة الأحاديث الصحيحة لمحمد ناصر الدين الألباني، ج٢، ص ٤٠١.

(٢) الشريعة للإمام محمد بن الحسين الآجرّي، تحقيق محمد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ، ص ٧٥.

(٣) سورة البقرة ٩٧.

(٤) سورة الشعراء آية ١٩٣ - ١٩٥.

(٥) مجموع فتاوى ابن تيمية ج ١٢، ص ٢٩٨.

الحديث «إن روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب»[1].

ويكون كلاماً من وراء حجاب، وهو أن يسمع الموحى إليه كلام الله من حيث لا يراه، كما سمع موسى عليه الصلاة والسلام النداء من وراء الشجرة، وسماع محمدﷺ من ربه حين عُرج به إلى سدرة المنتهى، ثم عرج بهﷺ حتى ظهر إلى مستوى يسمع فيه صريف الأقلام، وفرض عليه خمسين صلاة[2].

ويكون ما يلقيه الوحي المرسل من الله إلى رسوله، فيراه متمثلاً بصورة رجل أو غير متمثل. روى البخاري عن عائشةرضي الله عنها، أن الحارث بن هشام، سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال: «أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشد علي، فينفصم عني، وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً، فيكلمني فأعي ما يقول، قالت عائشةرضي الله عنها: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه وأن جبينه ليتفصد عرقاً»[3].

وأكمل هذه الأنواع الثلاثة هو إرسال الرسول بالوحي، وهذه الصورة هي التي نزل بها القرآن الكريم. فقد نزل بواسطة جبريلعليه السلام.

هذه المعجزة التي أيد الله بها نبيه الأمي، والتي غيرّ بها نفوساً، وأحيا قلوباً وأنار بصائراً، وربى أمة، وكون دولة، في سنيٍّ تعد على الأصابع. وإذا كان قلب العصا حية معجزة، فإن تغيير العقول والقلوب أبلغ في الإعجاز. وإذا كان إحياء الميت من الخوارق التي أيد الله بها بعض أنبيائه فإن إحياء أمة أمّية من الجهل والرذيلة، وجعلها مصدر إشعاع وهداية، هو الخارق الذي تتضاءل في جوانبه المعجزات[4].

---

(١) تقدم تخريجه ص ٣٦٢.

(٢) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب ذكر إدريسعليه السلام، ج ٦، ص٣٧٤. ؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الأنبياء، باب الإسراء برسول الله ﷺ وفرض الصلوات، ج٢، ص ٢٠٩.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، ج١، ص ١٨.

(٤) العقائد الإسلامية، السيد سابق، انظر ص ٢١٧، ٢١٨، ٢٢٠.

الرد على المخالفين في كلام الله مصدره وحقيقته:

افترق الناس في مسألة كلام الله تعالى الذي أنزله معجزة لنبيه محمد ﷺ وهو القرآن العظيم، فقد كان للفرق آراء في فهم مصدرية القرآن الذي بين أيدي المسلمين، وكيف وصل إلى الأمة.

«فقالت الفلاسفة والصابئة: إن كلام الله هو ما يفيض على النفوس من معاني، أما من العقل الفعال عند بعضهم، أو من غيره.

وقالت: المعتزلة والجهمية: إنه مخلوق خلقه الله منفصلاً عنه، وليس الكلام صفة قائمة به.

وقالت: الأشاعرة والماتريدية: إنه معنى واحد قائم بذات الله، وهو الأمر والنهي والخبر والإستخبار، وإن عبر عنه بالعربية كان قرآناً، وإن عبر عنه بالعبرانية كان توراة وإن عبر عنه بالسريانية كان إنجيلا وإنه يتضمن معنى قائماً بذاته هو ما خلقه في غيره وهذا قول أبي منصور الماتريدي»[1].

قال الباقلاني: «فصح أن الكلام الحقيقي هو المعنى القائم بالنفس دون غيره، وإنما الغير دليل عليه بحكم التواضع والاصطلاح، ويجوز أن يسمى كلاماً إذ هو دليل على الكلام، لا أنه نفس الكلام الحقيقي»[2].

فأما الفلاسفة وأصحاب الاتحاد ووحدة الوجود وملاحدة الصوفية كابن عربي والحلاج «فيجب أن يكون على قولهم كل كلام في الوجود كلامه، وقد أفصح بذلك الاتحادية الذين يقولون الوجود واحد كابن عربي صاحب الفصوص ونحوه فقالوا:

وكل كلام في الوجود كلامه　　سواء علينا نثره أو نظامه

ومذهبهم في الحقيقة منتهى مذهب الجهمية وهو تعطيل الخالق والقول بأن هذا الوجود هو الوجود الواجب كما ذكر ذلك أبو حامد عن دهرية الفلاسفة..

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز، ص ١٦٨، ١٦٩.

(٢) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به للباقلاني، ص ٩٥.

والمعتزلة خير من المتفلسفة حين يثبتون لله تعالى كلاماً منفصلاً ويقولون إن الرسالة والنبوة تتضمن نزول كلام الله تعالى منفصلا عن النبيﷺ ينزل عليه كما يقول ذلك سائر المسلمين»[1].

قال القاضي عبد الجبار المعتزلي: «وأما مذهبنا في ذلك فهو أن القرآن كلام الله تعالى، ووحيه، وهو مخلوق محدث»[2]. «بمعنى أن الله تعالى لم يكن متكلماً، وحينما أراد الكلام خلقه في محل، وأسمعه من أراد كما قالوا عن موسىعليه السلام أن سماعه لكلام الله تعالى إنما كان من الشجرة التي خلق الله كلامه فيها، وهذا هو رأي الجهمية أيضاً»[3].

وقال النظام المعتزلي: «إن نظم القرآن وحسن تأليف كلماته ليس معجزة النبيﷺ ولا دلالة فيه على صدقه في دعواه النبوة؛ ذلك أن القرآن كتاب كسائر الكتب المنزلة لبيان الأحكام من الحلال والحرام، ووجه الدلالة في هذا الكتاب على صدق الرسولﷺ إنما هو ما فيه من الأخبار عن الغيوب.

فأما نظم القرآن وحسن تأليف آياته فإن العباد قادرون على مثله وعلى ما هو أحسن منه في النظم والتأليف ولم يعارضه العرب لأن الله تعالى صرفهم عن ذلك وسلب علومهم به وهو ما عرف عندهم بالصرفة»[4].

وقال الآمدي وهو من أساطين علماء الأشاعرة: «وأما ما قيل من أن القرآن معجزة الرسول فيمتنع أن يكون قديماً فتهويل لا حاصل له، فإنا مجمعون على أن القرآن الحقيقي ليس بمعجزة الرسول، وإنما الاختلاف في أمر وراءه وهو أن ذلك القرآن الحقيقي ماذا هو؟ فنحن نقول إنه المعنى القائم بالنفس والخصم

(١) شرح العقيدة الاصفهانية لابن تيمية، ص ١٢٦، ١٢٧.

(٢) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار بن أحمد تحقيق د. عبد الكريم عثمان، مطبعة الاستقلال الكبرى، مصر ١٣٨٤هـ، ص ٥٢٨.

(٣) التنبيه والرد علي أهل الأهواء والبدع لأبي الحسين محمد بن أحمد الملطي . ٣٧٧هـ تحقيق محمد زاهد الكوثري، مكتبة المثنى، بغداد، ١٣٨٨هـ، ص ١٢٥.

(٤) فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، القاضي عبد الجبار، الدار التونسية ١٣٩٣هـ ص ٧٠، وانظر، الفرق بن الفرق للبغدادي، ص ١٤٣.

يقول: إنه حروف وأصوات أوجدها الله تعالى، وعند وجودها انعدمت وانقضت، وأن ما يأتي به الرسول، وما نتلوه نحن ليس هو ذلك وإنما هو مثال له، على نحو قراءتنا لشعر المتنبي، وامرئ القيس، فإنه ليس ما يجري على ألسنتنا هو كلام امرئ القيس، وإنما هو مثله»[١].

وقد غلط هؤلاء وغيرهم الذين جانبوا الصواب في أقوالهم «ولا شك أن القرآن العظيم هو المعجزة الكبرى لسيدنا محمد ﷺ فهو كلام الله المعجز المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بواسطة جبريل عليه السلام والمنقول إلينا بين دفتي المصحف عن طريق التواتر المتعبد بتلاوته ويشمل العقيدة والشريعة، وأحكام وقصص وترغيب وترهيب»[٢].

فعن الحارث الأعور: قال: مررت في المسجد فإذا الناس يخوضون في الأحاديث، فدخلت على علي رضي الله عنه، فأخبرته فقال: أوقد فعلوها؟ قلت: نعم. قال: أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا إنها ستكون فتنة،قلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته، حتى قالوا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ...﴾[٣] من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم»[٤]. «وما أفسد استدلالهم بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا

---

(١) غاية المرام في علم الكلام للآمدي، سيف الدين، تحقيق حسن محمد عبد اللطيف، مطابع الأهرام ١٣٩١هـ، القاهرة، ص ١٠٧؛ وانظر الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي، تقديم د. عادل العوا، دار الأمانة، بيروت ١٣٨٨هـ، ص ١٤٩.

(٢) الإسلام في مواجهة أعدائه، توفيق علي وهبة، دار اللواء، الرياض، ص ١٦٣.

(٣) سورة الجن آية ١ ـ ٢.

(٤) سنن الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل القرآن، ج٥، ص ١٧٢، قال أبو عيسى: هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

﴿نُودِيَ مِن شَٰطِيِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾﴾[1] على أن الكلام خلقه الله تعالى في الشجرة فسمعه موسى منها! وعموا عما قبل هذه الكلمة وما بعدها فإن الله تعالى قال: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ والنداء هو الكلام من بعد، فسمع موسى عليه السلام النداء من حافة الوادي ثم قال تعالى: ﴿فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ أي أن النداء كان في البقعة المباركة من عند الشجرة، كما يقول سمعت كلام زيد من البيت، يكون من البيت لابتداء الغاية، لا أن البيت هو المتكلم، ولو كان الكلام مخلوقاً في الشجرة، لكانت الشجرة هي القائلة «إني أنا الله رب العالمين» وهل القائل «إني أنا الله رب العالمين» غيرُ رب العالمين؟ ولو كان هذا الكلام بدا من غير الله لكان قول فرعون ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾[2] صدقاً، إذ كل من الكلامين عندهم مخلوق قد قاله غير الله؟ وقد فرقوا بين الكلامين على أصولهم الفاسدة: أن ذاك كلام خلقه الله في الشجرة، وهذا كلام خلقه فرعون!! فحرفوا وبدلوا واعتقدوا خالقاً غير الله!»[3].

وهذا أصدق الخلق يخبر عن ربه تعالى أنه يتكلم بوحي أوحاه إلى نبيه ﷺ، فعن زيد بن خالد الجهني قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على أثر سماء كانت من الليل [أي عقب مطر]، فلما انصرف أقبل على الناس، فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب»[4].

؛ سنن الدرامي، كتاب فضائل القرآن، باب فضل من قرأ القرآن، ج٢، ص ٤٣٥.
؛ مسند الإمام أحمد، ج١، ٩١.

(١) سورة القصص آية ٣٠.
(٢) سورة النازعات آية ٢٤.
(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص ١٧٤، ١٧٥.
(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الآذان، باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم، ج٢، ص ٣٣٣.
؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء، ج ٢، ص ٥٩.

وقال الطحاوي رحمه الله راداً على من ادعى أن كلام الله هو القائم بذات الله وأسموه الكلام النفسي فقال: «وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة ليس بمخلوق ككلام البرية» قال الشارح رحمه الله: هذا رد على المعتزلة وغيرهم بهذا القول الظاهر. وفي قوله بالحقيقة رد على من قال: إنه معنى واحد قام بذات الله لم يسمع منه وإنما هو الكلام النفساني، لإنه لا يقال لمن قام به الكلام النفساني ولم يتكلم به: إن هذا كلام حقيقة، وإلا لزم أن يكون الأخرس متكلماً، ولزم أن لا يكون الذي في المصحف عند الإطلاق هو القرآن ولا كلام الله، ولكن عبارة عنه ليست هي كلام الله.. لكن عندهم أن الملك فهم منه معنى قائماً بنفسه، لم يسمع منه حرفاً ولا صوتاً، بل فهم معنى مجرداً، ثم عبر عنه، فهو الذي أحدث نظم القرآن وتأليفه العربي.. وهنا معنى عجيب، وهو: أن هذا القول له شبه قوي بقول النصارى القائلين باللاهوت والناسوت؟ فإنهم يقولون: كلام الله هو المعنى القائم بذات الله الذي يمكن سماعه، وأما النظم المسموع فمخلوق، فإفهام المعنى القديم بالنظم المخلوق يشبه امتزاج اللاهوت بالناسوت الذي قالته النصارى في عيسى عليه السلام، فانظر إلى هذا الشبه ما أعجبه!.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه: قال: قال رسول الله ﷺ «إن الله تجاوز عن أمتي ما وسوست به صدورها ما لم تعمل به أو تتكلم»[1] فقد أخبر أن الله عفا عن حديث النفس إلا أن تتكلم، ففرّق بين حديث النفس وبين الكلام، وأخبر أنه لا يؤاخذ به حتى يتكلم به، والمراد: حتى ينطق به اللسان، باتفاق العلماء. فعلم أن هذا هو الكلام في اللغة، لأن الشارع إنما خاطبنا بلغة العرب»[2].

قال صاحب التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل، العلامة عبدالرحمن المعلمي:

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب العتق، باب الخطأ والنسيان في العتاقة والطلاق ونحوه، ج٥، ص ١٦٠؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لم تستقر، ج٢، ص ١٤٦.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، ص ١٨٤، ١٨٥.

«القرآن كلام الله غير مخلوق، هذه القضية كانت بغاية الوضوح في عهد السلف، ثم جحدها الزائغون، ثم التبس الأمر فيها على بعض الناس، وقد كفى فيها وشفى ما بينه إمام السنة أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، ثم ما حرره الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ثم ما حققه ونقحه شيخ الإسلام أبو العباس تقي الدين ابن تيمية. والعقول الفطرية قاضية بأن لله تعالى الكمال المطلق والقدرة التامة، وأنه متى شاء أن يتكلم الكلام الحقيقي المعروف بعبارة وحرف وصوت تكلم كيف شاء، ثم جاءت كتب الله تعالى ورسله بإثبات أنه سبحانه تكلم ويتكلم، وكلم ويكلم، وقال ويقول، ونادى وينادي، وأن القرآن هذا المعروف كلام الله على الحقيقة الحقة.

ثم جحد الزائغون كلام الله عز وجل، وحاولوا تحريف معاني النصوص التي لا تحصى تحريفاً ليس بخير من التكذيب الصريح، بل لعله شر منه، ثم حاول بعض الناس التلبيس فحمل النصوص على كلام نفسي ليس بعبارة ولا حرف ولا صوت، بل زاد أنه معنى واحد لا تنوع فيه ولا تعدد، فلا أمر فيه ولا نهي، ولا خبر، ثم لا يزالون في تخبيط وتخليط.

وإذ قد اعترف المتعمقون بأن الله تبارك وتعالى يتكلم بلا واسطة بعبارة وحرف وصوت ويسمع كلامه من يشاء من خلقه، فهذا هو الذي قامت عليه الحجة، وعليه سلف الأمة وأتباعهم، ولم يبق إلا التنطع في البحث عن الكيفية، وهي من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله، ولا يبتغيه إلا أهل الزيغ ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾[1]»[2] «الذين يرون أن هذا القرآن الذي بين أيدينا هو كلام الله حقيقة حروفه ومعانية، وهو صفة من صفاته لأنه كلام الله تعالى وكلامه سبحانه قديم النوع حادث الآحاد، فالله تعالى تكلم به، وأسمعه الملك فنزل به على نبينا محمدﷺ، والكلام لمن قاله مبتدئاً، لا لمن قاله مبلغاً،

---

(١) سورة آل عمران ٧.

(٢) التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل، العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، حققه محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض: ط الثانية ١٤٠٦هـ، ج٢، ص ٣٦١، ٣٦٢.

وهو عند السلف صفة ذات ملازمة لذات الله تعالى لم تخل منها في وقت من الأوقات، وهي صفة فعل أيضاً، لأنه متكلم متى شاء كيف شاء بحرف وصوت كما ورد ذلك في النصوص الصريحة.. والخلاف بين الأشاعرة والسلف ينحصر في حقيقة الكلام ما هو؟ وإلا فالكل يقول إن القرآن الحقيقي غير مخلوق، وإنما قال الأشاعرة بخلق القرآن المنزل على محمدﷺ، لأنهم يقولون إنه ليس هو القرآن الحقيقي، وإنما هو عبارة عنه ودلالات عليه، أما القرآن الحقيقي فهو نفسي قديم وهو غير مخلوق وهذا رأي واضح البطلان»[1].

بل إن المعتزلة مع جهلهم بما يليق بجلال الله وإعراضهم عن النصوص وقولهم بنفي صفة الكمال وهي الكلام وقولهم بأنه يخلقه في غيره أكثر تعظيماً لله من قول هؤلاء الأشاعرة والماتريدية الذين قالوا بالكلام النفسي ووصفوا الله بحالة العجز عن الكلام فإنهم قد عارضوا ما قاله هو عن نفسه تعالى في كتابه بإثبات كلامه سبحانه وأنه يكلم عباده وأنبيائه وملائكته وما أثبته رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنته في الأحاديث الصحيحة في كلام الله.

إن ذلك الخلل في العقيدة عندهم نتيجة إعراضهم عن السنة وقولهم إنها أخبار آحاد لا يحتج بها.

انشقاق القمر

أيد الله سبحانه وتعالى صدق نبيه محمدﷺ بالآيات البينات مما يؤيد رسالته، كالإسراء والمعراج، والتحدي بكلام الله القرآن، وإجابة دعوتهﷺ، وإخباره بالأمور الغيبية، وإبراء المرضى، وحنين الجذع، وتسليم الحجر وشكوى البعير... وقد وردت بأحاديث صحيحة عنهﷺ وكذا غيرها من المعجزات أما انشقاق القمر فقد ذكر الله ذلك في كتابه العزيز فقال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾[2].

---

(١) البيهقي وموقفه من الإلهيات، د. احمد بن عطيه الغامدي، مكتبة العلوم والحكمة، المدينة المنورة، ط الثالث، ١٤١٢هـ، ص ٢٢١.

(٢) سورة القمر آية ١، ٢.

وذلك إن أهل مكة سألوا رسول الله آية فانشق القمر شقين حتى رأوا حراء بينهما فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: «إن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما»[1].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين: فرقة فوق الجبل، وفرقة دونه، فقال رسول الله ﷺ «اشهدوا»[2].

قال ابن كثير: «ومع أن قريشاً سألوا رسول الله ﷺ الآية وحصل ما طلبوا، معجزة من الله وتأييداً لنبيه ﷺ؛ غير إنهم أنكروا ما رأوا وقالوا إن هذا إلا سحر سحرنا أبي كبشة وقالوا: انظروا ما يأتيكم به السفّار؟ فإن محمد لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم. فجاء السفار فقالوا ذلك، وقد شوهد ذلك في كثير من بقاع الأرض ويقال: إنه أُرخ ذلك في بعض بلاد الهند، وبني بناء تلك الليلة وأرخ بليلة انشقاق القمر.

وقد أجمع المسلمون على وقوع ذلك في زمنه عليه الصلاة والسلام، وجاءت بذلك الأحاديث المتواترة من طرق متعددة تفيد القطع عن من أحاط بها ونظر فيها ونحن نذكر من ذلك ما تيسر.. ثم قال: فهذه طرق متعددة قوية الأسانيد تفيد القطع لمن تأملها وعرف عدالة رجالها.. والقمر حين انشق لم يزايل السماء غير إنه حين أشار إليه النبي ﷺ انشق عن إشارته فصار فرقتين، فسارت واحدة حتى صارت من وراء حراء، ونظروا إلى الجبل بين هذه وهذه»[3].

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب انشقاق القمر، ج٧، ص ١٨٢؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب صفة الجنة والنار، باب انشقاق القمر ج١٧، ص ١٤٥.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا، ج ١، ص ٦١٧؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب انشقاق القمر، ج ١٧، ص ١٤٤.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ج ٣، ص ١١٨، ١١٩، ١٢٠؛ وانظر تفسير بن كثير ج ٤، ص ٢٢٩، ٢٣٠.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «بينما نحن مع رسول الله ﷺ بمنى فانشق القمر فلقتين: فلقة من وراء الجبل، وفلقه دونه، فقال لنا رسول الله ﷺ: اشهدوا، يعنى اقتربت الساعة وانشق القمر».

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح[1].

قال شيخ الإسلام: «آياته ﷺ أنواع: منها: ما هو في العالم العلوي، كانشقاق القمر، وحراسة السماء بالشهب، الحراسة التامة لما بعث، وكمعراجة إلى السماء فقد ذكر الله انشقاق القمر، وبين أن الله فعله، وأخبر به لحكمتين عظيمتين: أحدهما: كونه من آيات النبوة لما سأله المشركون آية، فأراهم انشقاق القمر.

والثانية: أنه دلالة على جواز انشقاق الفلك، وأن ذلك دليل على ما أخبرت به الأنبياء من انشقاق السموات، ولهذا قال تعالى ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾ فذكر اقتراب الساعة وانشقاق القمر، وجعل الآية في انشقاق القمر دون الشمس وسائر الكواكب، لأنه أقرب إلى الأرض من الشمس والنجوم، وكان الانشقاق فيه دون سائر أجزاء الفلك إذ هو الجسم المستنير الذي يظهر الانشقاق فيه، لكل من يراه، ظهوراً لا يتمارى فيه، وأنه ـ نفسه ـ إذا قبل الإنشقاق فقبول محله أولى بذلك، وقد عاينه الناس وشاهدوه.

وكان النبي ﷺ يقرأ بهذه السورة في المجامع الكبار، مثل صلاة الجمعة والعيدين، يسمع الناس ما فيها من آيات النبوة، ودلائلها، والاعتبار بما فيها، وكل الناس يقر بذلك ولا ينكره، فعلم أن انشقاق القمر كان معلوماً عند الناس عامة وفي صحيح مسلم: أن عمر بن الخطاب سأل أبا واقد الليثي: «ما كان يقرأ به رسول الله ﷺ في الأضحى والفطر؟ فقال: كان يقرأ فيها بـ «ق» والقرآن المجيد، و﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾»[2].

---

(١) سنن الترمذي، كتاب التفسير، باب ومن سورة القمر، ج٥، ص ٣٩٧.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب صلاة العيدين، باب ما يقرأ به في صلاة العيدين، ج٦، ص ١٨١.

الرد على المخالفين في معجزة انشقاق القمر

إن حادثة انشقاق القمر من أمهات معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم وقد رواها عدة من الصحابة رضي الله عنهم مع ظاهر الآية الكريمة وسياقها: «وقد أنكرها بعض المبتدعة وذلك لمن أعمى الله قلبه، ولا إنكار للعقل فيها لأن القمر مخلوق لله تعالى يفعل فيه ما يشاء كما يفنية ويكوره في آخر أمره. وأما قول بعض الملاحدة لو وقع هذا لنقل متواتراً واشترك أهل الأرض كلهم في معرفته، ولم يختص بها أهل مكة،فأجاب العلماء بأن هذا الانشقاق حصل في الليل ومعظم الناس نيام غافلون والأبواب مغلقة وهم متغطون بثيابهم، فقلّ ما يتفكر في السماء أو ينظر إليها إلا الشاذ النادر، وما هو مشاهد معتاد أن كسوف القمر وغيره من العجائب والأنوار الطوالع والشهب العظام وغير ذلك مما يحدث في السماء في الليل ولا يتحدث بها إلا الآحاد ولا علم عند غيرهم لما ذكرناه.

وكان هذا الانشقاق آية حصلت في الليل لقوم سألوها واقترحوا رؤيتها فلم يتنبه غيرهم لها، وقد يكون القمر كان حينئذ في بعض المجاري والمنازل التي تظهر لبعض الآفاق دون بعض، كما يكون ظاهراً لقوم غائباً عن قوم كما يجد الكسوف أهل بلد دون بلد والله أعلم»[(١)]

إن الذين سألوا رسول الله ﷺ وهم أهل مكة أن يريهم آية حتى يؤمنوا به ويصدقوا رسالته، لم يهدهم الله بها، بل قالوا إنه لسحر قد سحرنا محمد وهذا دليل على أنهم رأوا تلك المعجزة في حينها وهو قول جمع كثير منهم وقد سألوه ذلك، فلو لم يحدث لما قالوا سحراً، ولقالوا قد أعجزناه ولم يجبنا، هذا بالنسبة للمشركين من أهل مكة.

أما من جاء بعدهم في القرن الثاني والثالث وهم العقلانيون فقد أنكروا معجزات الرسول ﷺ وقالوا إنما جاءت بآحاديث آحاد، «واعتبروا الحجة قائمة على الناس بالعقل لا بالنبوة فحتى من لم يبلغه خبر الرسول فهو محجوج لتقصيره إعمال عقله للوصول إلى الحقيقة»[(٢)].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، ج١٧، ص ١٤٣.

(٢) ميزان الاعتدال للإمام الذهبي، تحقيق عيسى الحلبي، سنة ١٣٨٩هـ، ج١، ص ٢٩٦.

ومنهم من أنكر ما روي من معجزات الرسول ﷺ من انشقاق القمر، وتسبيح الحصا في يده، ونبوع الماء من بين أصابعه.. وقالوا: إن الأعراض لا يدل شيء منها على الله تعالى وزعموا أن تلك المعجزات لا يدل شيء منها على صدق الرسول في دعواه الرسالة»[1]. وهكذا أمر العقلانيين المعرضين عن الوحي وخاصة أحاديث النبي صلاة الله وسلامه عليه والتي تلقتها الأمة بالقبول.

فعن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: «انشق القمر على عهد النبي صلى الله عليه وسلم. فصار فرقتين: على هذا الجبل، وعلى هذا الجبل، فقالوا: سحرنا محمد، فقال بعضهم لئن كان سحرنا ما يستطيع أن يسحر الناس كلهم»[2].

قال أبو عيسى: وقد رواه ابن مسعود وانس وابن عمر ثم قال في كل الروايات: هذا حديث حسن صحيح.

وقد رواه الإمام أحمد في مسنده بنفس اللفظ[3].

«ومعلوم بالضرورة في مطرد العادة أنه لو لم يكن انشق لأسرع المؤمنون به إلى تكذيب ذلك، فضلاً عن أعدائه الكفار والمنافقين.

ومعلوم أنه كان من أحرص الناس على تصديق الخلق له واتباعهم إياه. فلو لم يكن انشق، لما كان يخبر به ويقرأه على جميع الناس، ويستدل به، ويجعله آية له»[4].

وقد سأل إمبراطور بيزنطة، الإمام الباقلاني في سفرته إلى بيزنطة فقال: «هذا الذي تدعونه من معجزات نبيكم: من انشقاق القمر كيف هو عندكم؟ فقال الباقلاني: هو صحيح عندنا انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ حتى رأى الناس ذلك، إنما رآه الحضور من اتفق نظره في تلك الحال، ويقول الملك: وكيف لم يره جميع الناس؟ فيجيب الباقلاني: لأن الناس لم يكونوا على أهبة ووعد

(١) الفرق بين الفرق للبغدادي، ص ١٣٢، ١٦٢.
(٢) سنن الترمذي، كتاب التفسير، باب ومن سورة القمر، ج٥، ص ٣٩٨.
(٣) مسند الإمام أحمد، ج٤، ص ٨١.
(٤) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ج٤، ص ١٦٢.

لانشقاقه، وإنما يراه من كان في محاذاته ويختم بقوله: فما أنكرت من انشقاق القمر إذا كان في ناحية أن لا يراه إلا أهل تلك الناحية، ومن تأهب للنظر له، فأما من أعرض عنه، أو كان في الأمكنة التي لا يرى القمر فيها فلا يراه»[1].

وقد يقال: «إن انشقاق القمر ليس شيئاً مستحيلاً، فالعالم قد شاهد انشقاق مذنب «بروكس» شقين وكذلك انقسام مذنب «بيلا» إلى جزئين كلاهما في القرن التاسع عشر، كما ذكر الفلكي سبنسر جونز في فصل المذنبات والشهب كتاب «عوالم بلا نهاية»[2].

وفي الإجابة يقال: «الفرق بين انشقاق القمر وانشقاق هذين المذنبين أنهما لم يلتئما بعد الانشقاق، والقمر التأم، وهو الفرق المنتظر بين الظاهرة الفلكية في الفطرة والمعجزة الفلكية على يد رسول، لأن المعجزة مؤقته تزول بزوال وقتها وتحقق الغرض منها، ولو استمرت لكانت ظاهرة طبيعية صرفة، ولخرجت من دائرة المعجزات»[3].

«وكذلك سائر آيات الأنبياء؛ فإخراج ناقة عظيمة من صخرة تمخضت بها ثم انصدعت عنها، والناس حولها ينظرون، وكذلك تصوير طائر من طين، ثم ينفخ فيه النبي فينقلب طائراً ذا لحم ودم وريش وأجنحة يطير بمشهد من الناس، وكذلك إيماء الرسول ﷺ إلى القمر فينشق نصفين بحيث يراه الحاضر والغائب فيخبر به كما رآه الحاضرون.. فكل طريق من هذه الطرق أصح وأقرب وأسهل وأوصل من طرق المتكلمين التي لو صحت لكان فيها من التطويل والتعقيد والتعسير ما يمنع الحكمة الألهية والرحمة الربانية أن يدل بها عباده عليه وعلى صدق رسله.. هذا وإن للقرآن وحده لمن جعل الله له نوراً أعظم آية ودليل وبرهان على هذه المطالب، وليس في الأدلة أقوى ولا أظهر ولا أصح دلالة منه

---

(١) إعجاز القرآن للباقلاني، تقديم سيد صقر، دار المعارف بمصر ١٣٩٢ هـ، ص.
(٢) البداية والنهاية لابن كثير، ، ج٣، ص ١٣٠، وانظر الرسل والرسالات، د. عمر الأشقر، ص ١٣٦.
(٣) نفس المصدر، ج٣، ص ١٣١، نفس المصدر ص ١٣٦.

من وجوه متعددة جداً، كيف وقد أرشد ذوي العقول والألباب فيه على أدلة هي للعقل مثل ضوء الشمس للبصر لا يلحقها إشكال ولا يغير في وجه دلالتها إجمال ولا يعارضها تجويز واحتمال.. وهذا الأمر إنما هو لمن نور الله بصيرته وفتح عين قلبه لأدلة القرآن وأتاه فهماً في كتابه فلا يعجب من منكر ولا معترض أو معارض.

وقل للعيون العمي للشمس أعين سواك تراها في مغيب ومطلع
وسامح نفوساً أطفأ الله نورها بأهوائها لا تستفيق ولا تعي»[1].

بل إن عودة نفر منهم إلى الجادة واعترافهم في آخر مراحل عمرهم بالتقصير في طلب الحق ومعرفته والعودة إلى الكتاب والسنة لهو دليل آخر على فساد تلك الطرق الكلامية.

الإسراء والمعراج

عرض رسول الله ﷺ دعوته على قومه في مكة فآمن به نفر قليل منهم ثبّت الله قلوبهم بالإيمان ورجّحت عقولهم الهدى والنور على الظلام والخسران حين وقفت قريش بأجمعها حجر عثرة في طريق انتشار هذه الدعوة المباركة وأوصدت السبل للصدّ من ظهورها للناس وأرسلت الرسل للتنفير منها والتقليل من شأنها وأذاقت أتباعها ألواناً من العذاب والكيد والبطش. بل تعدى ذلك إلى محاولة قتل الرسول ﷺ وضربه وإهانته ومنعه من تبليغ رسالة رب العالمين للناس أجمعين.

لكن المصطفى ﷺ الذي هداه ربه تحمل جميع تلك المشاق وصبر عليها ليكون قدوة للدعاة إلى يوم التلاق، ولا شك إن تلك حكمة ربانية عظيمة للبشر ولتبقى دروساً وعبراً على مر العصور وسائر الدهور.

قام ﷺ على الصفا يدعو وفود القبائل من العرب لحماية الدعوة ونشرها بين أفراد قبائلهم وأهليهم لكن صلف قريش وكبريائها وجبروتها تلاحق دعوته تلك بالتكذيب تارة، وبالاستهزاء تارة أخرى، فلم تنجح أو تلقى أذن صاغية عندهم.

---

(١) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم، تحقيق د. علي محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ، ج٣، ص ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠.

وهنا كان لا بد من أن يتحرك لينقل دعوته إلى مكان آخر وقوم آخرين. فيذهب إلى الطائف ويقابله أهلها بالإهانة والإزدراء فيعود وقد احتمل هموماً وأثقالاً لا يقدر على حملها إلا العظماء. وعند ذلك يلجأ إلى ربه فيصلي ركعتين ثم يدعو ربه فيقول «اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وهواني على الناس أنت ارحم الراحمين إلى من تكلني إلى بعيد يتجهمني، أم إلى قريب ملكته أمري، إن لم تكن غضبان علي فلا أبالي، غير أن عافيتك أوسع لي، أعوذ بوجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل بي غضبك، أو يحل بي سخطك، لك العتبى حتى ترضى ولا قوة إلا بك»(١) وهكذا يعلمنا رسولنا العظيمﷺ أن نلجأ في المصائب وحال الضعف إلى الله فيجيب الدعاء ويفرج كرب المكروبين ويلبي دعاء السائلين ويغيث المستغيثين.

عالمية الدعوة:

حين أعرض هؤلاء عن الاستجابة لهذه الدعوة والسير في ركب الإيمان والخير وحين يظلمون أنفسهم فيحيدون عن طريق الهدى والنور ويرضون بالعبودية في الدنيا للذاتهم وأهوائهم وأسيادهم ويرفضون عبادة خالقهم وربهم ورازقهم ومولاهم.

وحين تعجز الأرض عن استقبال هذا النور وهذا الإشعاع عندها يأتي المدد من السماء استجابة من الرب لدعاء نبيهﷺ وتعزيةً له وتكريماً سيبقى ما بقيت الدنيا كيف وقد سجل في كتاب الله العزيز الحميد قال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾(٢) إنه عالم آخر ذاك هو عالم الجن المخلوق العجيب الذي أمرنا أن نؤمن بوجوده مع عدم إحساسنا به ولا برؤيته قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾(٣).

---

(١) مجمع الزوائد للهيثمي ج ٦، ص ٣٦ وقال رواه الطبراني وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ثقة وبقية رجالة ثقات.

(٢) سورة الجن آية ١، ٢.

(٣) سورة الذاريات آية ٥٦ .

فكان منهم الاستجابة والإصغاء والمبادرة إلى الإيمان والتصديق والتوحيد لله المجيد في حين استكبر ذوي العقول والنهى الذين فضلهم الله على الخلق أجمعين.

كان هذا تكريماً للرسول ﷺ ولرسالته الخاتمة فقد كانت الرسالات السابقة خاصة بأقوام دون آخرين وكان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، فجاءت هذه الرسالة الخاتمة. وتوضح لنا الآيات السابقة تكليف الله للجن بالعبادة والتوحيد وأنهم ملزمون برسالة التوحيد وإنذار أقوامهم وأممهم. فهذه مرتبة من مراتب علو الدعوة من عالم الإنس إلى عالم الجن ومن عالم الوضوح والمشاهدة إلى عالم الغيب والإيمان به فهو عالم متميز ولا يعلم حقيقته إلا القادر على إيجاده الله سبحانه وتعالى.

عاد الرسول ﷺ إلى مكة في جوار المطعم بن عدي وقد فقد عمه أبو طالب الذي كان ينصره ويعينه على تحمل أذى قريش وقبل ذلك فقد زوجته خديجه التي كانت تساعده وتشد من أزره. ويزداد ضغط قريش وتكذيبهم وعداوتهم وغطرستهم في الباطل. مع كل هذه الشدائد والضيق يأذن الله بفتح من عنده ونصر وتسلية لنبيه ﷺ فيسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي بارك حوله وهذه إرهاصة ثانية في عالمية الدعوة وختم الرسالة فقد انتقل من أم القرى إلى مجمع الرسل والأنبياء فقد بعثوا في الشام وفي القدس خاصة وتروي الأحاديث إنه صلى بالأنبياء جماعة في بيت المقدس وهذا دليل على إمامته ﷺ لهم جميعاً وقد رضوا بذلك ثم عروجه إلى سدرة المنتهى ومباركة كل سماء وساكنيها للقادم من الأرض مروراً بآدم وإبراهيم وموسى وعيسى وهم يحيونه ويدعون له ولأمته ولا شك أن هذا لم يحدث لنبي من قبل ولا رسول.

فكان استماع الجن والإسراء والمعراج إرهاصات لعالمية دعوته ﷺ وعلى أن رسالته العظيمة هي خاتمة الرسالات وذلك لما لها من البعد المكاني والبعد الرأسي إلى السماء فهي ثلاثية الأبعاد وهذا منتهى التمكن والتمكين لها بإذن الله سبحانه. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[(١)].

---

(١) سورة آل عمران آية ١٩ .

كانت معجزة الإسراء والمعراج تأييداً من الله تعالى ورضاً وتكريماً لم يبلغه بشر من قبل ولا نبي مرسل ولا ملك مقرب. وقد كانت عظمة تلك المعجزة مواكبة لأهمية الأمر المبلغ إلى النبيﷺ كيف لا وقد فرض الله على محمدﷺ وعلى أمته ركناً مهماً من أركان هذا الدين الحنيف وهو الصلاة عمود الدين والتي تلقاها المصطفىﷺ مباشرة من الله تعالى إشارة إلى أنها مفتاح أعمال العبد فبها تقبل الأعمال ولأجلها ترد.

إن وقوف محمدﷺ في ذلك المكان وفي الحضرة المقدسة بين يدي الله هو منتهى التكريم من الله تعالى، والعزة والرفعة منه والتشريف لسيد وخاتم النبيين وشريف الأولين والآخرين. فليهنك يا أبا القاسم هذا السمو وهذه الرفعة وهذه المكانة والتي لم ينلها أحد قبلك ولا بعدك وأنت سيد ولد آدم.

تعريف الإسراء والمعراج:

الإسراء من سراء و«السُرى هو سير الليل عامته وقيل السرى سير الليل كله تذكّره العرب وتؤنثه. وسريت وسرى ومسرى وأسريت بمعنى إذا سريت ليلاً وجاء القرآن بهما جميعاً. وفي حديث جابر قال له: ما السُّرى يا جابر؟ السير بالليل، أراد ما أوجب مجيئك في هذا الوقت؟».

وفي التنزيل العزيز قال تعالى:﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾[1] وفيه أيضاً ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤﴾[2] فنزل القرآن باللغتين.

«وإنما قال سبحانه: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ إن كان السرى لا يكون إلا بالليل للتأكيد وقد عظم الله هذا الإسراء فصدّر به إحدى سور القرآن العظيم وسبحان مصدر سبح يقال سبح يسبح تسبيحاً وسبحاناً ومعناه التنزيه والبراءة لله من كل نقص والعامل فيه فعل ليس من لفظه والتقدير أنزه الله تنزيهاً»[3]

---

(١) سورة الإسراء آية ١ .
(٢) سورة الفجر آية ٤ .
(٣) لسان العرب ج ٤، ص ٣٨١، ٣٨٢ .

ويقول الشهيد سيد قطب في ظلال القرآن في مناسبة الآية للحدث العظيم، أولاً: تقرير عبودية الرسول صلى الله عليه وسلم لله تعالى مع ارتباطها بالغيب، ثانياً: الإسراء من السير ليلاً، ثالثاً: الربط بين عقائد التوحيد منذ إبراهيم عليه السلام وحتى محمد ﷺ، رابعاً: الربط بين الأماكن المقدسة، خامساً: إعلان وراثة الرسول ﷺ لمقدسات الرسل قبله في رسالة ترمز إلى أبعد من حدود الزمان والمكان[1].

حكمة استفتاح السورة بالتسبيح:

الإسراء معجزة من الله سبحانه تأييداً لرسوله ﷺ وتكريماً له ثم زاد هذا التكريم تكريماً خالداً حتى يرث الله الأرض ومن عليها فقد سجله في أقدس كتاب واشرف تنزيل من رب العالمين ولتبدأ به سورة من سور القرآن العظيم وسميت السورة بسورة الإسراء وقد استنتج علماؤنا حكماً لهذا وهي:

١ - «إن العرب تسبح عند الأمر العجيب ورحلة الرسول ﷺ يقظة كانت مدعاة للتعجب والدهشة.

٢ - عندما حدثهم بما وقع له ليلة أسري به كذبوه فهذا رد عليهم ويعني تنزيه الله أن يتخذ رسولاً غير الحق.

٣ - هو ذكر يُعظّم الله به لا يصلح إلا له.

وقد وصفه بعبده دون نبيه أو حبيبه لئلا تضل أمته أو لأن وصفه بالعبودية المضافة إلى الله تعالى أشرف المقامات وهذا الوصف دليل على أنه قد أسري به ﷺ وسلم جسداً وروحاً يقظة لدلالة اللفظ على ذلك»[2].

المعراج:

خص الله نبيه سليمان عليه السلام بمعجزات أرضية في سرعة الانتقال في لحظة من

---

(١) في ظلال القرآن،ج ٤، ص ٢٢٨ وما بعدها.

(٢) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد للإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي، ت ٩٤٢هـ تحقيق مصطفى عبد الواحد، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ١٣٩٢، ص ١٥.

الزمن، غير أن محمداً ﷺ قد حصل له من المعجزات ما هو أعظم وأبقى و«المعراج هو المصعد وهو الطريق الذي تصعد فيه الملائكة والمعراج شبه سلم أو درجة تعرج عليه الأرواح إذا قبضت والمعراج هو السلم ومنه ليلة المعراج.

والمعراج ثابت بالأحاديث الصحيحة التي رواها الثقات العدول وتلقتها الأمة بالقبول وأخرجها الشيخان وغيرهما فيما روي من أحاديث الرسول ﷺ. بل ويرى بعض العلماء أن القرآن الكريم قد أشار إلى المعراج في سورة النجم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾[١] يقول ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية «والمقصود أنه ﷺ لما فرغ من أمر بيت المقدس نصب له المعراج وهو السلم فصعد فيه إلى السماء ولم يكن الصعود على البراق كما قد يتوهمه بعض الناس بل كان البراق مربوطاً على باب مسجد بيت المقدس ليرجع عليه إلى مكة»[٢].

وقال ابن أبي العز في شرح الطحاوية «المعراج: مفعال من العروج أي: الآلة التي يعرج فيها أي يصعد وهو بمنزلة السلم لكن لا يعلم كيف هو وحكمه كحكم غيره من المغيبات نؤمن بها ولا نشتغل بكيفيتها»[٣].

«أما البراق الذي ركبه المصطفى ﷺ في سراه من مكة إلى بيت المقدس فقد قال: ابن الأثير في النهاية «سمي بذلك لنصوع لونه وشدة بريقه وقيل لسرعة حركته شبهه فيها بالبرق»[٤].

معجزة الإسراء والمعراج

حينما تكون رسالة محمد ﷺ خاتمة الرسالات وصاحبها خاتم الأنبياء والرسل فإن هذا يلزم منه شيئاً غير عادي ذلك لتثمر هذه الرسالة وتؤتي أكلها كل

---

(١) سورة النجم آية ١٣ - ١٨.

(٢) البداية والنهاية ج ٣، ص ٧٤ .

(٣) الطحاوية، ص ١٨٦ .

(٤) سبل الهدى، ص ١٦٣.

حين بأمر ربها ولا يتم ذلك إلا بتثبيت جذورها وأساسها في قلوب المؤمنين بها ولا يكون هذا حتى يتعرض معتقديها للاختبار الصعب الذي يتراجع عنه أصحاب الشكوك والأوهام ونحن نعلم أن الرسالات السابقة قد أصابها الذبول والتحريف والانحراف عن الجادة وقل اتباعها وانحرفوا عن الطريق السوي ولأن الله قد سبق قدره وحكمته في أمره جميعاً وهو العالم بما يصلح الناس فقد هيأ لهذه الرسالة الخاتمة أسباب نجاحها واستمرارها فكان الرسول ﷺ الذي رباه الله ورعاه وحفظه منذ كان جنيناً فصغيراً فشاباً حتى بعثه الله نبياً، وكانت الأرض التي بعث فيها أرضاً بكراً من الرسالات والرسل والوحي ثم أيده الله بهذا القرآن العظيم الذي تكفل الله بحفظه إلى أن تقوم الساعة.

كان القرآن العظيم هو معجزة محمد ﷺ الذي تحدى به العرب وهو مركب مثل كلامهم وألفاظهم وهو كلام الله تعالى وسيبقى معجزة حتى تقوم الساعة وقد تكفل الله بحفظه بخلاف الكتب السابقة التي حرفت وغيرت وبدلت وضيعت وأدخل فيها كلام البشر، وقد أيد الله رسوله ﷺ بمعجزات حسية كثيرة والإسراء والمعراج من هذه المعجزات والتي يجب علينا الإيمان بها لورود الأدلة الصريحة الصحيحة عليها من غير تأويل كما يفعل البعض فإن الله سبحانه قادر على فعل ما يشاء وهو الذي أوجد هذا الكون فمن السهل أن يغير من نواميس وطبائع الكون وبهذا تكون المعجزات.

ويقول الشيخ أبو شهبة رحمه الله «وقد أراد الله سبحانه أن يجمع الفضل من أطرافه لخاتم رسله وحامل لواء الشريعة الباقية الخالدة فأعطاه معجزات حسية فضلاً عن معجزته الكبرى المعنوية والناس ليسوا سواء في الإدراك والتفكير وسمو الفطرة فمنهم من يقف عند المحسوس ولا يسمو نظره إلى المعقول ومنهم من لا يقتنع بالمحسوس فاقتضت حكمة الله عز شأنه أن تكون معجزات خاتم أنبيائه بعضها حسي وبعضها معنوي.

الإسراء هو تمام الهيئة والحفظ من الله تعالى لرسوله ﷺ للذهاب به من مكة إلى بيت المقدس في جزء يسير من الليل ورجوعه في نفس ليلته.

وهكذا المعراج فإنه تمام الهيئة والحفظ من الله تعالى لرسوله ﷺ حين صعد

به إلى السموات السبع وما فوقها ثم رجوعه إلى بيت المقدس الذي صعد منه في جزء يسير من الليل وكان ذلك في نفس تلك الليلة التي أسري به من مكة»[1].

الإسراء ثابت في القرآن الكريم والسنة الشريفة:

أما في القرآن الكريم فقال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[2].

وأما في الأحاديث «فقد روى أحاديث الإسراء والمعراج كثير من الصحابة رضوان الله عليهم وتلقاها عنهم الرواة العدول الضابطون وخرّجها أئمة الحديث في كتبهم: البخاري ومسلم وأحمد والترمذي والنسائي والبيهقي وإبن جرير الطبري وغيرهم، وذكرها الإمامان محمد بن إسحاق وابن هشام في سيرهما»[3].

وقال العلامة الإمام ابن كثير في تفسيره «قال الحافظ أبو الخطاب بن دحية في كتابه [التنوير في مولد السراج المنير] بعد أن ذكر حديث الإسراء والمعراج من طريق أنس وتكلم عليه وأفاد وأجاد: وقد تواترت الروايات في حديث الإسراء عن عمر بن الخطاب وعلي وابن مسعود وأبي ذر ومالك بن صعصعة وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري وابن عباس وشداد بن أوس وأبي بن كعب وعبد الرحمن بن قرظ وأبي حبة «وذكره الواقدي بالنون»[4] وأبي ليلى الأنصاري وعبد الله بن عمرو وجابر وحذيفة وبريده وأبي أيوب الأنصاري وأبي أمامة وسمرة بن جندب وأبي الحمراء وصهيب الرومي وأم هانيء وعائشة وأسماء عنهم جميعاً منهم من ساقه بطوله ومنهم من اختصره على ما وقع من المسانيد وإن لم تكن رواية بعضهم على شرط الصحيح فحديث الإسراء أجمع عليه المسلمون وأعرض

---

(١) الإسراء والمعراج، للدكتور أبو شهبة، ص ١٥ .
(٢) سورة الإسراء آية ١.
(٣) الإسراء والمعراج، للدكتور أبو شهبة، ص ٣٩.
(٤) الإسراء والمعراج، للدكتور أبو شهبة، ص ٣٩

عنه الزنادقة والملحدون ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾[1]»[2].

وقد أورد الإمام الحافظ ابن كثير أغلب تلك الروايات في تفسيره للقرآن العظيم ثم قال: «إذا حصل الوقوف على مجموعة هذه الأحاديث صحيحها وحسنها وضعيفها يحصل مضمون ما اتفقت عليه من مسرى رسول الله ﷺ من مكة إلى بيت المقدس»[3] وفي هذا المبحث سُيكتفى بذكر أصح تلك الروايات والتي اتفق عليها الشيخان أو أحدهما.

رواية الإمام البخاري:

قال البخاري حدثنا هدبة بن خالد قال: حدثنا همام بن يحيى قال: حدثنا قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة رضي الله عنهما «أن رسول الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسري به قال: بينما أنا في الحطيم وربما قال في الحجر[4] مضطجعاً إذ أتاني آتٍ فقدَّ[5] قال وسمعته يقول: فشق ما بين هذه إلى هذه فقلت للجارود[6] ما يعني به؟ قال: من ثغرة نحره إلى أسفل بطنه. فأستخرج قلبي ثم أُتيت بطشت من ذهب مملوءة إيماناً فغسل قلبي ثم حُشي ثم أعيد ثم أُتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض فقال له الجارود هو البراق[7] يا أبا حمزة؟ قال أنس: نعم يضع خطوه عند أقصى طرفه[8] فحملت عليه فأنطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا فأستفتح فقيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد قيل: وقد

---

(١) سورة التوبة آية ٣٢ .

(٢) تفسير ابن كثير، ج ٣، ص ٢٤ .

(٣) تفسير ابن كثير، ج٣، ص ٢٢ .

(٤) الحطيم هو الحجر. وانظر معاني الكلمات في هذا البحث في شرح حديث الإسراء والمعراج في صحيحي البخاري ومسلم لابن حجر والنووي .

(٥) القدّ: هو القطع .

(٦) الجارود بن أبي سبرة البصري تابعي ثقة توفي سنة ١٢٠هـ تهذيب التهذيب لابن حجر، ج٢،ص ٤٦ .

(٧) البُراق بضم الباء مشتق من البرق إذ سرعته في سيره مثل سرعة البرق في لمعانه .

(٨) طرفه يعني منتهى بصره .

أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به، نعم المجيء جاء، ففتح فلما خلصت فإذا فيها آدم فقال: هذا أبوك آدم فسلم عليه، فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحباً بالأبن الصالح والنبي الصالح. ثم صعد بي حتى أتى السماء الثانية فأستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء. ففتح فلما خلصت إذا يحيى وعيسى وهما ابنا خالة قال: هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت فردا ثم قالا: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح. ثم صعد بي إلى السماء الثالثة فاستفتح قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل ومن معك؟ قال: محمد قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء. ففتح فلما خلصت إذا يوسف قال: هذا يوسف فسلم عليه، فسلمت عليه فرد ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح. ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: أوقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء. ففتح فلما خلصت فإذا إدريس قال: هذا إدريس فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح. ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحبا به فنعم المجيء جاء. فلما خلصت فإذا هارون. قال: هذا هارون فسلم عليه. فسلمت عليه، فردّ ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح. ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: من معك؟ قال: محمد. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم قال: مرحباً به فنعم المجيء جاء. فلما خلصت فإذا موسى قال: هذا موسى فسلم عليه، فسلمت عليه فرد ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح. فلما تجاوزت بكى قيل: له: ما يبكيك؟ قال: أبكي لأن غلاماً[1] بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي، ثم صعد بي إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل: من هذا؟ قال: جبريل،

---

(١) لم يرد موسى عليه السلام التقليل من شأن النبي ﷺ وإنما أراد صغر السن بالنسبة لمن كان أكبر منه سناً من الأنبياء ومع هذا فقد أعطاه الله ما لم يعط أحداً ممن هو أسنّ منه وأطول عمراً وزمناً.

قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قال: مرحباً به ونعم المجيء جاء، فلما خلصت فإذا إبراهيم قال: هذا أبوك فسلم عليه، قال فسلمت عليه فرد السلام ثم قال: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح، ثم رفعت لي سدرة المنتهى[1] فإذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها مثل آذان الفيلة، قال: هذه سدرة المنتهى وإذا أربعة أنهار: نهران باطنان ونهران ظاهران، فقلت: ما هذان يا جبريل؟ قال: أما الباطنان فنهران في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات ثم رفع لي البيت المعمور ثم أُتيت بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل فأخذت اللبن فقال: هي الفطرة[2] التي أنت عليها وأمتك، ثم فرضت علي الصلاة خمسين صلاة كل يوم فرجعت فمررت على موسى فقال: بما أمرت؟ قال: أمرت بخمسين صلاة كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم وإني والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فرجعت فوضع عني عشراً، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فوضع عني عشراً، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فرفع عني عشراً، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم، فرجعت فقال مثله، فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم، فرجعت إلى موسى، فقال: بما أمرت؟ قلت أمرت بخمس صلوات كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم وإني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، قلت: سألت ربي حتى استحيت ولكن أرضى وأسلم، فلما جاوزت نادى منادٍ[3] أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي.»[4].

---

(١) سميت بذلك لأنها ينتهي إليها علم كل نبي مرسل وكل ملك مقرب ولم يجاوزها أحد إلا نبينا صلى الله عليه وسلم.

(٢) عبر عن اللبن بالفطرة لأنه أول ما يدخل بطن المولود ويشق أمعاءه وهو الغذاء الذي لم يصنعه صانع غير الله والغذاء المستوفي للعناصر التي يحتاج إليها الجسم في بنائه ونموه مع كونه طيباً سائغاً للشاربين.

(٣) المنادي هو الله سبحانه إذ هذا الكلام لا يصدر إلا منه سبحانه وهذا من أقوى الأدلة على أن الله سبحانه وتعالى كلم نبيه ليلة المعراج بغير واسطة.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ح ٦، ص ٣٠٢.

وقد قال البخاري حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا عمرو عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: «﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾[1] قال: هي رؤيا عين أُريها رسول الله ﷺ ليلة أسري به إلى بيت المقدس، قال: والشجرة الملعونة في القرآن هي شجرة الزقوم»[2].

رواية الإمام مسلم:

قال الإمام مسلم: حدثنا محمد بن المثنى حدثنا ابن أبي عدي عن سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك لعله قال عن مالك بن صعصعة رجل من قومه قال، قال رسول الله ﷺ بينما أنا عند البيت بين النائم واليقظان إذ سمعت قائلاً يقول أحد الثلاثة بين الرجلين فأُتيت فانطلق بي فأُتيت بطشت من ذهب فيها من ماء زمزم فشرح صدري إلى كذا وكذا قال قتادة فقلت للذي معي ما يعني، قال أسفل بطنه فاستخرج قلبي فغسل بماء زمزم ثم أعيد مكانه ثم حشي إيماناً وحكمة ثم أُتيت بدابة أبيض يقال له البراق فوق الحمار ودون البغل يقع خطوه عند أقصى طرفه فحملت عليه ثم انطلقنا حتى أتينا السماء الدنيا... والحديث متفق عليه»[3]. والحديث تقدم بطوله عند البخاري.

وفي رواية أخرى للإمام مسلم قال: حدثنا شيبان بن فروخ حدثنا حماد بن سلمه حدثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: أُتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى أُتيت بيت المقدس قال: فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء، ثم دخلت المسجد فصليت ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة ثم عرج بنا إلى السماء... الحديث»[4].

---

(١) سورة الإسراء آية ٦٠.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب مناقب الأنصار باب المعراج، ج، ص ٢٠٣ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات، ج٢، ص ٢٢٣.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات.ج٢، ص ٢٢٥

ثم ساق مسلم الحديث كما تقدم عند البخاري في روايته وفي آخره فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسىعليه السلام حتى قال: «يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم و ليلة لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة ومن همّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشراً ومن همّ بسيئة ولم يعملها لم تكتب شيئاً فإن عملها كتبت سيئة واحدة»[1].

قال الشيخ أبو شهبة بعد أن أورد ما رواه مسلم في هذه الرواية «وقد تكفلت رواية مسلم هذه بذكر ما أوجز في الرواية الأولى من إتيانهﷺ بيت المقدس والصلاة فيه ركعتين وعرض جبريل على النبيﷺ الخمر قبل العروج وهكذا نرى أن الروايات يكمل بعضها بعضاً وما تركته إحداها ذكرته الأخرى»[2].

وهكذا نرى أن المعراج ثابت بالسنة المطهرة الصحيحة.

زمان الإسراء والمعراج ومكان وقوعه:

أما زمان الإسراء فقد ذكر العلماء أقوالاً عدة ذكرها السيوطي فقال: «قيل قبل الهجرة بسنة قاله ابن مسعود وجزم به النووي وقيل قبل الهجرة بثمانية أشهر وقيل كان قبل الهجرة بثلاث سنين وقد حكاه ابن الأثير وقال الزهري بخمس وحكاه عنه القاضي عياضرحمه الله بالاتفاق على أن خديجة صلت معه بعد فرض الصلاة وأنها ماتت قبل الهجرة بثلاث أو بخمس ولا خلاف أن فرض الصلاة كان ليلة الإسراء وأجيب بان الصلاة التي صلتها معه هي التي كانت أول البعثة ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي، أما عن الشهر الذي كان فيه فالذي رجحه إبن المنير على قوله في السنة ربيع الآخر وقيل في ربيع الأول وقيل في رجب وهو المشهور»[3].

لكن القول بأنه قد وقع الإسراء في شهر ربيع الأول أرجح فقد ذكر ابن

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول اللهﷺ إلى السموات وفرض الصلوات، ج٢، ص ٢١٤.

(٢) الإسراء والمعراج للدكتور أبو شهبة، ص ٤٦.

(٣) شرح قصة الإسراء والمعراج للإمام السيوطي، ص ٣١.

كثير أثراً في البداية والنهاية حيث قال: «وقال أبو بكر أبي شيبة حدثنا عثمان عن سعد بن مينا عن جابر وابن عباس قالا: ولد رسول الله ﷺ عام الفيل يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول وفيه بعث وفيه عرج به إلى السماء وفيه هاجر وفيه مات. ـ ثم قال ـ وفيه انقطاع وقد اختاره الحافظ عبد الغني بن سرور المقدسي في سيرته»[1].

هل كان الإسراء والمعراج في ليلة واحدة؟

قال السيوطي «ذهب الجمهور من المفسرين والمحدثين والفقهاء والمتكلمين إلى أنهما وقعا في ليلة واحدة في اليقظة وتواردت عليه الأخبار الصحيحة»[2].

وقال ابن حجر في الفتح «قال ابن دحية: جنح البخاري إلى أن ليلة الإسراء كانت غير ليلة المعراج لأنه أفرد لكل منهما ترجمة قلت: ولا دلالة على ذلك على التغاير عنده بل كلامه في أول الصلاة ظاهر في اتحادهما وذلك أنه ترجم «باب كيف فرضت الصلاة ليلة الإسراء» والصلاة إنما فرضت في المعراج فدل على اتحادهما عنده»[3].

مكان وقوع الإسراء:

جاء في الأحاديث أقوالاً مختلفة فقيل في المسجد وقيل بين المقام وزمزم وقيل في الحجر وقيل في بيته وقيل في بيت أم هاني وقيل في بيت خديجة وقيل في شعب أبي طالب قال ابن الأثير في الكامل «وقائل هذا يقول: الحرم كله مسجد»[4].

قال ابن حجر في الفتح «والجمع بين هذه الأقوال أنه نام في بيت أم هاني وبيتها عند شعب أبي طالب ففرج سقف بيته فنزل منه الملك فأخرجه إلى المسجد

---

(١) البداية والنهاية ح ٣، ص ١٠٧.
(٢) شرح فقه الإسراء والمعراج للإمام السيوطي ص ٢٥.
(٣) فتح الباري ح ٧ باب حديث الإسراء ص ١٩٦.
(٤) الكامل في التاريخ، لابن الأثير، دار صادر بيروت ١٤٠٢هـ، ح ٢، ص ٥١.

فكان به مضطجعاً وبه آثر النعاس ثم أخرجه الملك إلى باب المسجد فأركبه البراق وقد وقع في مرسل الحسن عند أبي إسحاق إن جبريل أتاه فأخرجه إلى المسجد فأركبه البراق وهو يؤيد الجمع»[١].

هل كان الإسراء بالجسد والروح أم بأحدهما، يقظة أم مناماً؟:

الإسراء والمعراج آيتان عظيمتان من آيات الله سبحانه وتعالى التي أيد بهما رسوله ﷺ وقد اختلف في كيفيتهما وهل كانا بالجسد والروح أم بأحدهما وهل كانا يقظة أم مناماً وذلك في عدة أقوال:

القول الأول: جمهور العلماء من السلف والخلف على أنهما كانا ليلة واحدة وأنهما كانا بجسده وروحه ﷺ ويؤيد هذا القول ما اشتملت عليه آية الإسراء في قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ﴾ والتسبيح إنما يكون في الأمر العجيب والعظيم ولا عجب من الرؤيا فإنها تقع لكل أحد وقريش إنما كذبت الإسراء الحقيقي وليس الرؤيا، وفي قوله تعالى: ﴿بِعَبْدِهِۦ﴾ والعبد يطلق على الجسد والروح معاً.

وفي قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ فهذا يقتضي سفراً وقد وردت الأحاديث بالنص على البراق في حمل المصطفى ﷺ والروح لا تحمل لوحدها.

ثم إن الصلاة قد فرضت في هذه الليلة المباركة على أشرف الخلق ﷺ ليبلغ أمته بفرضها ولا يصح أن يكون هذا المقام إلا في حالة اليقظة والوعي التام.

وفي قوله تعالى ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ أي ما عدل عن رؤية ما أمر به وبرؤيته من عجائب الملكوت وهي صراحة ظاهرة في كونه بجسده يقظة لأنه أضاف الأمر إلى البصر وهو لا يكون إلا يقظة بجسده[٢].

والإمام البيهقي ترجم باباً في عروج النبي ﷺ فقال الدليل على أن النبي ﷺ عرج به إلى السماء فرأى جبريل عليه السلام في صورته عند سدرة المنتهى وقبل ذلك كان

---

(١) فتح الباري ح ٧، ص ٢٠٤.

(٢) سبل الهدى، ص ٩٨.

قد رأى جبريل عليه السلام في صورته وهو بالأفق الأعلى»[1].

القول الثاني: الذين قالوا إن الإسراء بالروح دون الجسد «نقله ابن إسحاق عن عائشة ومعاوية رضي الله عنهما ونقل عن الحسن البصري نحوه لكن ينبغي أن يعرف الفرق بين أن يقال: كان الإسراء مناماً وبين أن يقال كان بروحه دون جسده وبينهما فرق عظيم. فعائشة ومعاوية رضي الله عنهما لم يقولا كان مناماً وإنما قالا: أُسري بروحه ولم يفقد جسده وفرق ما بين الأمرين: وإنما أرادوا أن الروح ذاتها أُسري بها ففارقت الجسد ثم عادت إليه ويجعلان هذا من خصائصه فإن غيره لا تنال ذات روحه الصعود الكامل إلى السماء إلا بعد الموت»[2].

والذين قالوا بهذا القول أعتمدوا على حديث عائشة الذي قالوا: إنها روته وهو «ما فقدتُ جسد رسول الله ﷺ ولكن أسرى بروحه».

قال صاحب سبل الهدى في هذا الحديث «وأما ما يعزى لعائشة رضي الله عنها فلم يرد بسند صحيح للحجة بل في سنده انقطاع. وقال أبو الخطاب بن دحية في التنوير في مولد السراج المنير أنه حديث موضوع عليها»[3].

وقال الشيخ أبو شهبة «ومما يضعف هذا الأثر ويرده أن السيده عائشة رضي الله عنها لم تكن حينئذ قد دخل بها رسول الله ﷺ وكذلك لو كانت ترى هذا الرأي الذي نسبوه إليها زوراً لكان أقرب شيء في ردها على من يقول بالرؤية أن تحتج عليهم بأن المعراج لم يكن بجسده ولكن لم ينقل عنها أنها احتجت بذلك»[4].

أما معاوية فإنه أسلم بعد الفتح. وكذلك فإن ظواهر النصوص ترد هذا القول.

القول الثالث: الذين قالوا إنهما كانا في المنام وهم يستدلون بقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾[5]. والرؤيا إنما تطلق على المنامية

---

(١) دلائل النبوة، ج ٢، ص ٣٦٦.

(٢) العقيدة الطحاوية، ص ١٨٦.

(٣) سبل الهدى، ص ١٠٣.

(٤) الإسراء والمعراج للدكتور أبو شبهة، ص ٢٨.

(٥) سورة الإسراء آية ٦٠.

وللرد على هذا القول أولاً: قال ابن عباس في تفسير هذه الآية «هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسري به والشجرة الملعونة شجرة الزقوم»[1].

ثانياً: «لو كان كذلك لما كان فيها شيء يستعظم ولما بادر كفار قريش إلى تكذيب ذلك»[2].

القول الرابع: الذين قالوا إن الإسراء كان يقظة والمعراج كان مناماً وإستدلوا بأن قريش اعترضت على الإسراء وكذبوه حين أخبرهم ﷺ وكذلك فإن الإسراء ذكر في القرآن وللرد على هذا قال صاحب سبل الهدى «وأجاب الأئمة عن ذلك بأنما استدرجهم إلى الإيمان بذكر الإسراء أولاً فلما ظهرت أمارات صدقه وصحت لهم براهين رسالته.. أخبرهم بالمعراج.. وأنزله الله في سورة النجم ويؤيد وقوع المعراج عقب الإسراء في ليلة واحدة رواية ثابت عن أنس رضي الله عنه عند مسلم[3][4].

القول الخامس: الذين قالوا إنه وقع مرتين أحدهما مناماً والأخرى يقظة وذلك لكي يجمعوا بين الأحاديث.

القول السادس: الذين قالوا إن الإسراء والمعراج وقع مراراً في مكة وفي المدينة لما اعتقدوه من اختلاف الروايات كما ظهر لهم.

والراجح: أن المقصود من الإسراء والمعراج هو تأييد الرسول ﷺ بمعجزة من الله تعالى وهي الأمر الخارق للعادة ويجريها الله على يد نبي من أنبيائه عليهم الصلوات والتسليم ولا يكون الإسراء والمعراج معجزة للرسول ﷺ إلا إذا كان بروحه وجسده يقظة مرة واحدة بدليل أن الصلاة قد فرضت ويستحيل تكرار فرضها مرات أخرى.

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ح ٧، ص ٢٠٢.
(٢) الإسراء والمعراج للدكتور أبو شهبة، ص ٢٨.
(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، ح ٢، ص ٢٠٩.
(٤) سبل الهدى، ص ١٠٠.

قال ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد: «ويا عجباً لهؤلاء الذين زعموا أنه مراراً كيف ساغ لهم أن يظنوا أنه في كل مرة تفرض عليه الصلاة خمسين ثم يتردد بين ربه وبين موسى حتى تصير خمساً. ثم يقول الله تعالى «أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي» ثم يعيدها في المرة الثانية إلى خمسين ثم يحطها عشراً وقد غلّط الحفاظ شريكاً في ألفاظ من حديث الإسراء؛ ومسلم أورد المسند منه فقدم وأخر وزاد ونقص ولم يسرد الحديث فأجاد رحمه الله»[1].

الرد على من أنكر وقوع الإسراء والمعراج:

إن أهل الباطل لا يهدأون وإذا قريء عليهم الحق لا يسمعون وهم في الغي والضلال سائرون وهؤلاء الفلاسفة والملاحدة والزنادقة يوردون شبهاً ظنّوها حقائقاً فكانت زيغاً وبهتاناً وكان من ضلالاتهم «هو قولهم باستبعاد الذهاب من مكة إلى بيت المقدس ثم الصعود إلى السماء ثم الهبوط منها ثم العودة إلى مكة في جزء من الليل وقولهم إن الطبقة الهوائية حول الكرة الأرضية محدودة وقولهم إن الحركة البالغة في السرعة إلى هذا الحد غير معقولة ثم لوصعد إلى السموات لوجب خرق الأفلاك ثم إن الجرم الثقيل يستحيل صعوده إلى أعلى ثم عادوا ليقولون إنه كان يجب أن يظهر ذلك عند اجتماع الناس حتى يستدلوا به على صدق من ادعى النبوة»[2].

قال الشيخ أبو شهبة «هذه شبه لا تثبت أمام البحث العلمي الصحيح»[3].

فالإسراء والمعراج أمران ممكنان عقلاً وأخبر بهما الصادق المصدوق ﷺ في القرآن الكريم المتواتر وفي الأحاديث الصحيحة المشهورة.

وأجيب عن الحركة البالغة في السرعة أنها ممكنة في نفسها والله قادر على ذلك ويدل على صحته أن الفلك الأعظم يتحرك من أول الليل إلى آخره ما يقرب

---

(١) زاد المعاد، ح ٣، ص ٤٢.

(٢) سبل الهدى، ص ١٠٧.

(٣) الإسراء والمعراج للدكتور أبو شهبة، ص ٣٧.

من نصف الدور وأيضاً كانت الرياح تسير لسليمان بن داود ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾[1].

أما خرق الأفلاك فليس بمحال لأن الأجسام العلوية والسفلية متماثلة ومركبة من الجواهر فإذا أمكن خرق الأجسام السفلية أمكن خرق الأجسام العلوية.

وإذا استبعد صعود الجسم الكثيف فإنه يستبعد نزول الجسم اللطيف الروحاني من العرش إلى مركز العالم فإذا استحال عروج النبيﷺ استبعد نزول جبريل أما كونه ليلاً فله فوائد منها: ليزداد الذين آمنوا إيماناً بالغيب ويفتتن الذين كفروا زيادة على فتنهم ومنها أن الليل وقت الخلوة والاختصاص[2].

ثم إن الرسولﷺ قد أخبر قريشاً بأوصاف بيت المقدس كما يعرفونها ولم يزرها من قبل.

الإسراء والمعراج وشبهة وحدة الوجود عندهم:

إن الدين الإسلامي هو الدين الباقي إلى يوم القيامة لأنه قد استكمل كل المقومات الثابتة فهو الدين المُرتضى عند الله «إن الدين عند الله الإسلام» وهو دين الفطرة السليمة الخالصة من الهوى والشبهات وهو الدين الوحيد الذي حفظ الله كتابه العظيم وسيبقى محفوظاً حتى يبعث الله الأرض ومن عليها ومدعماً بسنة صحيحة شارحة مبينة لما أجمل، محفوظة مصانة ثابتة بالإسناد السالم من الجرح، ثم هيأ الله علماء أجلاء خدموا السنة فبقيت صافية خالصة من عبث العابثين.وفي هذا العصر يأتي من يحاول خلط الصحيح بالسقيم والداء بالدواء وهيهات أن يتم ذلك لهم.

قال الشيخ أبو شهبة «ولا يفوتني وقد عرضت للآراء في الإسراء والمعراج وبينت الصحيح منها من الزائف أن أُعرِّج على رأي ساقه الدكتور محمد حسين

---

(١) سورة سبأ آية ١٢ .

(٢) سبل الهدى، ص ١٠٨ - ١٠٩.

هيكل في كتابه «حياة محمد» عليه أفضل الصلاة والسلام وهو تصوير الإسراء والمعراج تصويراً روحياً مبنياً على فكرة وحدة الوجود. وهاك ما ذكره في كتابه بعد ما ذكر خلاف العلماء في الإسراء والمعراج قال: «ففي الإسراء والمعراج في حياة محمد الروحية معنى سام غاية السمو معنى أكبر من هذا الذي يصوروه والذي قد يشوب بعضه من خيال المتكلمين حظ غير قليل. فهذا الروح القوي قد اجتمعت فيه في ساعة الإسراء والمعراج وحدة هذا الوجود بالغة غاية كمالها لم يقف أمام ذهن محمد وروحه في تلك الساعة حجاب من الزمان أو المكان أو غيرهما من الحجب التي تجعل حكمنا نحن في الحياة نسبياً محدوداً بحدود قوانا المحسة والمدبرة والعاقلة..»(١).

الرد على فكرة وحدة الوجود:

إن فكرة وحدة الوجود هي من الأفكار التي وفدت مع الفلاسفة ودراسة التراث اليوناني وتأثر بها بعض علماء المسلمين ثم تشيع لها بعض الصوفية المنتسبين للإسلام وقد تصدى لها علماء الإسلام الحق وذادوا عنه وفندوا مغالطاتهم وكذبهم وقولهم بقدم العالم وإنكار الألوهية وهدم الشرائع السماوية التي قامت على أساس التفرقة بين الخالق والمخلوق وبين وجود الرب ووجود العبد «ومقتضى هذا المذهب أن الوجود واحد فليس هناك خالق ومخلوق ولا عابد ولا معبود ولا قديم ولا حديث وعابدوا الأصنام والكواكب والحيوانات حين عبدوها إنما عبدوا الحق لأن وجودها هو وجود الحق»(٢).

وفي كتاب الرد على المنطقيين لشيخ الإسلام قال: «ولهذا لما سلك ابن عربي وابن سبعين وغيرهما هذا الطريق الفاسدة أورثهم ذلك الفناء عن وجود السوى فجعلوا الموجود واحداً ووجود كل مخلوق هو عين وجود الحق وحقيقة الفناء عندهم أنه لا يرى إلا الحق وهو الرائي والمرئي العابد والمعبود والذاكر والمذكور والآمر الخالق هو الآمر المخلوق وهو المتصف بكل ما يوصف به

---

(١) الإسراء والمعراج للدكتور أبو شهبة، ص ٣١.

(٢) الإسراء والمعراج، للدكتور أبو شهبة، ص ٣٢.

الوجود من مدح وذم وعباد الأصنام ما عبدوا غيره وما ثم موجود مغاير له البته عندهم وهذا منتهى سلوك هؤلاء الملحدين ـ وأكثر هؤلاء الملاحدة القائلين بوحدة الوجود يقولون إن فرعون أكمل من موسى وإن فرعون صادق في قوله: أنا ربكم الأعلى لأن الوجود فاضل ومفضول والفاضل يستحق أن يكون رب المفضول ومنهم من يقول مات مؤمناً وأن تغريقه كان ليغتسل غسل الإسلام»[١].

وفي هذا العصر أبتلي الإسلام وأهله بطائفة من علماء الغرب سُمُّوا بالمستشرقين وهم يكفرون بالمعجزات وخوارق العادات وذلك لكفرهم في الأصل برب المعجزات وخالقها وكان هدفهم هو تحطيم التشريع الذي نزل به الوحي.

قال الدكتور البوطي «ثم تلقف هذه النظرية منهم أناس من المسلمين كان من سوء حظ العالم الإسلامي أن جندوا كل مساعيهم وعلومهم للتبشير بأفكار أولئك الأجانب دون أي مؤيد سوى الأتيان بزخرف خداعهم وإنخطاف أبصارهم بمظهر النهضة العلمية التي هبت في أنحاء أوربا وكان من هؤلاء المسلمين الشيخ محمد عبده ومحمد فريد وجدي وحسين هيكل.. فراحوا يروجون صفات معينة لرسول الله ﷺ.. وقد تكون صورة محمد العبقري أو تكون صورة محمد القائد أو محمد البطل ـ أو حياة محمد ـ ولكنها لا ينبغي ـ عندهم ـ أن تكون على أي حال من الأحوال صورة محمد النبي والرسول. ذلك لأن ظاهرة الوحي والنبوة تعتبران في رأس المعجزات»[٢].

أما المعتزلة فقد أثبتوا الإسراء إلى بيت المقدس لورود ذلك في القرآن الكريم فقال القاضي عبد الجبار: «إنه ﷺ أُسري به في ليلة واحدة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عاد من ليلته إلى مكة، ومدة السفر في ذلك مقدار شهرين ذهاباً وإياباً، وهذا لا يفعله الله إلا للأنبياء في زمن الأنبياء»[٣] وهذا واقع للجسد والروح وهذا خاص بالإسراء أما المعراج فإنهم لا يثبتونه ولا

(١) كتاب الرد علي المنطقيين لشيخ الإسلام، ص ٥٢١.
(٢) فقه السيرة للدكتور البوطي، ص ١٤٨ .
(٣) تثبيت دلائل النبوة للقاضي، عبد الجبار، ج١، ص ٤٦ .

يصرحون بعدم وقوعه، فقال القاضي عبد الجبار في كتابه المغني «ومن ذلك ما أخبر بهﷺ، وشهد القرآن بصحته، ووقع التصديق من الكافة، من أنه أسري به إلى بيت المقدس حتى أخبرهم بالأمور التي شاهدها، فإن ثبت مع ذلك ما يرون في حديث المعراج أو بعض ذلك فهو أوكد في الدلالة، وإن كان القدر الذي شهد القرآن بصحته فهو ما قدمناه»(١).

«والذي يظهر أن إغفالهم للمعراج ليس سببه عدم ثبوت نصوصه، فقد أثبتوا المعجزات للنبيﷺ ما هو أقل شهرة وأضعف إسناداً من قصة المعراج، فإن قصة المعراج ثابتة متواترة، وإنما السبب لإغفالهم المعراج أن فيه إثباتاً لأمور ينكرونها وهي إثبات العلو لله عز وجل والنسخ قبل التمكن من الامتثال، والدال على هذا كلام أبي الحسين البصري في إنكاره للنسخ قبل الفعل»(٢).

حيث قال: «ومن أدلة المثبتين قولهم إن النبيﷺ لما عرج به إلى السماء فرض الله عز وجل عليه وعلى أمته خمسين صلاة، فأشار إليه موسىعليه السلام بالرجوع وأن يشفع في النقصان وأنه قبل ما أشار عليه، فُردّت الصلاة إلى خمس بعد رجعات وذلك نسخ قبل الوقت، والجواب: أن ذلك خبر واحد لا يجب قبوله فيما يجب أن نعلم، أيضاً فالخبر يتضمن من أنواع التشبيه ما يدل على أن أكثره موضوع»(٣)! فهذا يدل على انكارهم له لما تضمن من إثبات الصفات لله عز وجل. وقد عزا الاسفراييني إلى المعتزلة إنكار المعراج، وأن هذا من الأمور التي أجمعوا عليها(٤).

---

(١) المغني في أبواب التوحيد والعدل، للقاضي عبد الجبار، تحقيق مصطفى السقا، المؤسسة المصرية للتأليف والنشر سنة ١٣٨٥هـ، ج١٦، ص ٤١٩ .

(٢) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية، يحيى بن أبي الخير العمراني، تحقيق د. سعود الخلف، أضواء السلف، الرياض سنة ١٤١٩هـ، ج٢، ص ٦٥٢ .

(٣) المعتمد في أصول الفقه لأبي الحسين البصري، تحقيق محمد حميد الله، نشر المعهد العلمي الفرنسي، دمشق، سنة ١٣٧٤هـ، ج ١، ص ٤١٢.

(٤) التبصير في الدين، أبي المظفر الأسفراييني، تحقيق كمال الحوت، عالم الكتب سنة ١٤٠٣هـ،انظر ص ٦٦.

وقد «اعترض المبتدعة وغيرهم، وقالوا: لم يأت ذكر العروج في القرآن، وإنما أتى فيه ذكر الإسراء إلى المسجد الأقصى.

فيقال: إن ابتداء أمره ﷺ كان بالإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى والعروج إنما كان بعد ذلك، فلو أخبر النبي ﷺ بالعروج ابتداء لم يصدقوه، فأسراه الله ابتداءً إلى بيت المقدس حتى شاهده ورآه ثم عرج به منه إلى السماء وأري ما رأى من العجائب، فكما نزل وأخبر قومه من الغد بالإسراء قالوا له: كيف رأيت بيت المقدس؟ فطفق يخبرهم بذلك فلم يمكن أحداً منهم رأى بيت المقدس أن ينكره، وسألوه عن خبر العير؟ فأخبرهم فكان ذلك كالحجة اللازمة لهم في قبول خبره وتصديق مقالته، هذا هو الحكمة في تقديم الإسراء على المعراج.

ويدل على حجة المعراج قوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾[2] ثم الأخبار المتواترة بالأسانيد المتصلة أنه عرج به إلى السماء»[3].

المسجد الحرام والمسجد الأقصى تاريخ ورسالة:

لقد عظّم الله سبحانه مكانة هذين المسجدين في تاريخهما ورسالتهما.

فأما التاريخ فقد ارتبط بأبي الأنبياء سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام الذي قدم إلى مكة ومعه سيدنا إسماعيل رضيعاً فيتركه حيث أمره الله قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ۝١٢٥ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ

---

(١) سورة النجم آية ٧.

(٢) سورة التكوير آية ٢٣.

(٣) الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، للإمام إسماعيل بن محمد الأصفهاني تحقيق د. محمد ربيع المدخلي، دار الراية، الرياض ١٤١١هـ حـ١ ص ٤٧٩ - ٤٩٩ - ٥٠٠.

هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[2] وقال تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾[3].

وفي الصحيحين عن أبي ذر رضي الله عنه قال سألت رسول الله ﷺ عن أول مسجد وضع على الأرض فقال: «المسجد الحرام. قلت: ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى قلت: وكم بينهما. قال: أربعون عاماً ثم الأرض لك مسجد فحيثما أدركتك الصلاة فصل»[4].

والبيت الحرام هو أول بيت وضع للناس وأول من بناه إبراهيم عليه السلام كما نص القرآن فقال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[5].

أما بيت المقدس فقد تأخر بناءه أربعين سنة وقد بناه إسحاق بن إبراهيم عليه السلام»[6].

---

(١) سورة البقرة آية ١٢٥ - ١٢٧.

(٢) سورة الإسراء آية ١.

(٣) سورة البقرة آية ١٤٤ .

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، ج٦، ص ٤٥٨.
؛ صحيح مسلم بشرح النووي كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ج٥، ص ٢ .

(٥) سورة آل عمران آية ٩٦ - ٩٧.

(٦) شرح قصة الإسراء والمعراج للسيوطي، ص ١٥.

وأما الرسالة فقد ارتبط برسالتي إبراهيم ومحمد صلى الله عليه وسلم الحنيفية السمحة، وبعث محمدﷺ في مكة وأسري به منها وعرج به من بيت المقدس القبلة الأولى ومهبط الرسالات والوحي.

قصة الإسراء والمعراج عند ابن كثير:

قال الحافظ بن كثير: «إذا حصل الوقوف على مجموعة هذه الأحاديث صحيحها وحسنها وضعيفها يحصل مضمون ما اتفقت عليه من مسرى رسول اللهﷺ من مكة إلى بيت المقدس وأنه مرة واحدة وإن اختلفت عبارات الرواة في أدائه أو زاد بعضهم فيه أو نقص منه فإن الخطأ جائز على من عدا الأنبياءعليهم السلام.

قال موسى بن عقبة عن الزهري: كان الإسراء قبل الهجرة بسنة وكذا قال عروة وقال السدى: بستة عشر شهراً والحق أنهعليه السلام أسرى به يقظة لا مناماً من مكة إلى بيت المقدس راكباً البراق فلما انتهى إلى باب المسجد ربط الدابة عند الباب ودخله فصلى في قبلته تحية المسجد ركعتين ثم أُتى بالمعراج وهو كالسلم ذو درج يرقى فيها فصعد فيه إلى السماء الدنيا ثم إلى بقية السموات السبع فتلقاه من كل سماء مقربوها وسلم على الأنبياء في السموات بحسب منازلهم ودرجاتهم حتى مر بموسى الكليم في السادسة وإبراهيم الخليل في السابعة ثم جاوز منزلتيهما صلى الله عليه وسلم وعليهما وعلى سائر الأنبياء حتى انتهى إلى مستوى يسمع فيه صريف الأقلام أي أقلام القدر بما هو كائن، ورأى سدرة المنتهى وغشيها من أمر الله تعالى فراش من ذهب وألوان متعددة وغشيتها الملائكة ورأى البيت المعمور وإبراهيم الخليل باني الكعبة الأرضية مسند ظهره إليه ورأى هناك جبريل على صورته وله ستمائة جناح ورأى زخرفاً أخضر قد سد الأفق ورأى الجنة والنار وفرض الله عليه هناك الصلوات خمسين ثم خففها إلى خمس رحمة منه ولطفاً بعباده وفي هذا اعتناء عظيم بشرف الصلاة وعظمتها.

ثم هبط إلى بيت المقدس وهبط معه الأنبياء فصلى بهم فيه لما حانت الصلاة ويحتمل أنها الصبح من يومئذ ومن الناس من يزعم أنه أمهم في السماء والذي تظاهرت به الروايات أنه بيت المقدس ولكن في بعضها أنه كان أول

دخوله إليه والظاهر أنه بعد رجوعه إليه لأنه لما مر بهم في منازلهم جعل يسأل عنهم جبريل واحداً واحداً وهو يخبره بهم وهذا هو اللائق لأنه كان أولاً مطلوباً إلى الجناب العلوي ليفرض عليه وعلى أمته ما يشاء الله تعالى ثم لما فرغ من الذي أريد به اجتمع به هو وإخوانه من النبيين ثم أظهر شرفه وفضله عليهم بتقديمه في الإمامة وذلك عن إشارة جبريل عليه السلام له في ذلك.

ثم خرج من بيت المقدس فركب البراق وعاد إلى مكة بغلس والله سبحانه وتعالى أعلم»[1].

هداية الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الفطرة:

حفظ الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ من ما وقع فيه قومه من الزلل والأخطاء وكان ذلك قبل البعثة وبعدها قال ابن هشام في السيرة النبوية «فشب رسول الله ﷺ والله تعالى يكلؤه ويحفظه ويحوطه من أقدار الجاهلية لما يريد به من كرامته ورسالته حتى بلغ إن كان رجلاً وأفضل قومه مروءة وأحسنهم خلقاً وأكرمهم حسباً وأحسنهم جواراً وأعظمهم حلماً وأصدقهم حديثاً وأعظمهم أمانة وأبعدهم من الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال تنزهاً وتكرماً حتى ما أسمه في قومه إلا الأمين لما جمع الله فيه الأمور الصالحة»[2].

ويكفي من كانت هذه أوصافه أن يكون أشرف الخلق وسيد ولد آدم عليه السلام وحين يصطفيه الله برسالته الخاتمة ثم يرفعه إليه في رحلة مباركة لم يشهدها التاريخ من قبل ولا من بعد بل وصل إلى مكان لم يصل إليه بشر ويتشرف بأمر الله له مباشرة بدون وسيط وفي هذا الوسط النوراني يتعرض المصطفى لاختبار له ولأمته من بعده ولا غرو فمن كانت تلك أوصافه فإنه سينجح في الاختبار بإذن الله تعالى.

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قال النبي ﷺ حين أسري

(١) تفسير ابن كثير، حـ٣، ص ٢٢.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام، ح ١، ص ١٨٣.

بي لقيت موسى عليه السلام.. قال فأُتيت بإناءين في أحدهما لبن وفي الآخر خمر قيل لي خذ أيهما شئت فأخذت اللبن فشربته فقال هديت الفطرة أو أصبت الفطرة أما أنك لو أخذت الخمر غوت أمتك»[1].

وقال النووي في تفسير الفطرة «فسروا الفطرة هنا بالإسلام والاستقامة ومعناه والله أعلم اخترت علامة الإسلام والاستقامة وجعل اللبن علامة لكونه سهلاً طيباً طاهراً سائغاً للشاربين سليم العاقبة وأما الخمر فإنها أم الخبائث وجالبة لأنواع من الشر في الحال والمآل»[2].

وقال ابن حجر «الفطرة أي دين الإسلام، قال القرطبي: يحتمل أن يكون سبب تسمية اللبن فطرة لأنه أول شيء يدخل بطن المولود ويشق أمعاءه والسر في ميل النبي ﷺ إليه دون غيره لكونه مألوفاً ولأنه لا ينشأ عن حبه مفسدة»[3].

قال ابن كثير «وأما عرض الآنية عليه من اللبن والعسل أو اللبن والخمر أو الجميع فقد ورد أنه في بيت المقدس وجاء أنه في السماء ويحتمل أنه ههنا وههنا لأنه كالضيافة للقادم»[4].

معجزة شق الصدر:

كان لمحمد ﷺ موعد مع المعجزات صغيراً وهذا من حفظ الله له ورعايته وحمايته بل وهذا من إرهاصات نبوته ﷺ في زمن اتخذ الناس معبوداً من دون الله فهم يرون خالقهم صنماً من حجر أو خشب أو عجوةٍ من تمر ومثل هؤلاء يرفضون كل ما لا يستطيعون أن يلمسونه أو يحسونه وتتكرر صور هؤلاء عبر القرون والأزمان فتظهر في عهدنا هذا وقد اتشحت بلباس المادية أو العصرية العلمانية وهم الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم.

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، ح ٢، ص ٢٣٨.
(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، ح ٢، ص ٢١٢.
(٣) فتح الباري، ح ٧، ص ٢١٥.
(٤) تفسير ابن كثير، ح ٣، ص ٢٣.

روى الإمام أحمدﷺ عن عتبة بن عبد السلمي: «أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ فقال كيف كان أول شأنك يا رسول الله؟ قال كانت حاضنتي من بني سعد بن كعب فانطلقت أنا وابن لها في بهم[1] لنا ولم نأخذ معنا زاداً فقلت يا أخي اذهب فاتنا بزاد من عند أمنا فانطلق أخي ومكثت عند البهم فأقبل طائران أبيضان كأنهما نسران[2] فقال أحدهما لصاحبه: أهو هو؟ قال: فأقبلا يبتدراني فأخذاني وبطحاني إلى القفا فشقا بطني ثم استخرجا قلبي فشقاه فأخرجا منه علقتين سوداوين فقال أحدهما لصاحبه أئتني بماء ثلج فغسلا به جوفي ثم قال أئتني بماء برد فغسلا به قلبي ثم قال أئتني بالسكينة فذراها في قلبي ثم قال أحدهما لصاحبه حصه[3] فحاصه وختم عليه بخاتم النبوة»[4].

وقد تكرر هذا الأمر في حياتهﷺ مرة عند بعثته ومرة عند إسرائه ومعراجه.

قال ابن حجر في الفتح «وقد استنكر بعضهم وقوع شق الصدر ليلة الإسراء وقال إنما كان ذلك وهو صغير في بني سعد ولا إنكار في ذلك فقد تواردت الروايات به وثبت شق صدره أيضاً عند البعثة كما أخرجه أبو نعيم في الدلائل ولكل منها حكمة فالأول وقع فيه من الزيادة كما عند مسلم من حديث أنس: فأخرج علقة فقال: هذا حظ الشيطان منك وكان هذا في زمن الطفولة فنشأ على أكمل الأحوال من العصمة من الشيطان ثم وقع شق الصدر عند البعث زيادة في إكرامه ليتلقى ما يوحى إليه بقلب قوي في أكمل الأحوال من التطهير ثم وقع شق الصدر عند إرادة العروج إلى السماء ليتأهب للمناجاة ويحتمل أن تكون الحكمة في هذا الغسل لتقع المبالغة في الاسباغ بحصول المرة الثالثة كما يقرر في شرعه صلى الله عليه وسلم ويحتمل أن تكون الحكمة في انفراج سقف بيته الإشارة إلى ما سيقع من شق صدره وأنه سيلتئم بغير معالجة يتضرر بها. وجميع ما ورد من

---

(١) جمع بهمة وهي ولد الضأن والمراد أنهﷺ كان يرعى الغنم مع أخيه من الرضاع.

(٢) هما ملكان من الملائكة.

(٣) أي خطه.

(٤) الفتح الرباني ترتيب مسند الإمام أحمد ج ٢٠ ص ١٩٠.
؛ المستدرك للحاكم وصححه ووافقه الذهبي، ج٢، ص ٦٧٣.

شق الصدر واستخراج القلب وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة مما يجب التسليم له دون التعرض لصرفه عن حقيقته لصلاحية القدرة فلا يستحيل شيء من ذلك»[1].

البــــــراق:

اعتاد الناس في أسفارهم أن يمتطوا صهوات جيادهم أو ظهور ركابهم أو دوابهم وعندما أسري برسول الله ﷺ هيأ الله له دابة هي معجزة في ذاتها وتكريم للرسول صلى الله عليه وسلم وزيادة إيمان لمن آمن بها.

«والبراق بضم الموحدة وتخفيف الراء مشتق من البرق فقد جاء لونه أنه أبيض أو من البرق لأنه وصفه بسرعة السير أو من قولهم شاة برقاء إذا كان خلالها صوف أبيض وأسود والقدرة كانت صالحة لأن يصعد بنفسه من غير براق ولكن ركوب البراق كان زيادة له في تشريفه لأنه لو صعد بنفسه لكان في صورة ماشي والراكب أعز من الماشي. وقيل إن الحكمة في الإسراء به راكباً مع القدرة على طيء الأرض له إشارة إلى أن ذلك وقع تأنياً له بالعادة في مقام خرق العادة لأن العادة جرت بأن الملك إذا استدعى من يختص به يبعث إليه بما يركبه»[2].

تعــقــيــب:

قال الشيخ أبو شهبة رحمه الله تعالى في نهاية رسالته الإسراء والمعراج بعنوان أمل ورجاء «وبعد: فهذه قصه الإسراء والمعراج ذكرتها كما استقيتها من أصح الأخبار وأوثقها وأجدرها بالقبول وأملي ورجائي أن يتخذ منها الوعاظ والمرشدون والأئمة والكاتبون والخطباء والمحاضرون مادة خصبة في وعظ الناس وإرشادهم وفي خطبهم ومحاضراتهم وأن يكفوا عن ذكر القصص الذي لا سند له يصح عند التحقيق. وأن يتخذ منها المنشدون وقارئوا الموالد والمتغنون بالخصائص المحمدية مادة صحيحه لإنشادهم فإن كثيراً من هؤلاء يأتون بغرائب

---

(١) فتح الباري، ح ٧، ص ٢٠٤.

(٢) تفسير ابن كثير، ح ٣، ص ٢٢.

كثيرة قد تشوق الناس وتستولي على وجدانهم. وإن لنا في الثابت الصحيح ما يغني عن التزيد والاختلاق..»[1].

لقد تردد الباحث كثيراً في إثبات هذا التعقيب وأنّى يكون له بضاعة أمام تاجر في الحديث وعلوم القرآن بل هو خادم القرآن والسنة، وهو الذي أفنى عمره رحمه الله في التدريس والتأليف والدعوة إلى الله؛ لكن العزاء في هذا قوله السابق: وإن لنا في الثابت الصحيح ما يغني عن التزيد..

أما رسالة الإسراء والمعراج فحقاً ثناءه عليها وقد رُجع إليها كثيراً في البحث.

وأما قوله «وإن يتخذ منها المنشدون وقارئوا الموالد والمتغنون بالخصائص المحمدية..» فمن المعلوم أن هؤلاء المنشدون والمتغنون هم دعامة الاحتفال بالمولد النبوي وبدونهم لا يتم لأولئك الحاضرين المولد الفرح والسرور والاغتباط!؟ على طريقتهم وكذا الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج عندهم.

والمولد النبوي ـ كما يسمونه ـ لا أصل له في التشريع الإسلامي بل هو تقليد ومحاكاة للنصارى واليهود في أعيادهم واحتفالاتهم بمولد أنبيائهم.

وهذا المولد النبوي قد سخّره من كان يعادي الرسول ﷺ وسنته للظهور بمظهر المحب للرسول ﷺ مثل الدولة الفاطمية ـ العبيدية.

وجاءت طوائف أخرى يبتدعون في الدين حسب الهوى والبعد عن الأدلة وما جاء به الوحي.

وهناك من يستفيد من هذه الاحتفالات ممن يسمون أنفسهم شيوخ الطريقة وأقطابها فهم يحصلون على أموالاً ومراكز قيادية بين الناس وتعظيماً وتبجيلاً عندهم!!.

فكفى الله الأمة ما أحدثه المبتدعون من البدع والضلال وذلك بتمسكهم

---

(١) الإسراء والمعراج لأبي شهبة، ص ٧٦.

بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ. هذا وفي رسالة الشيخ ابن باز رحمه الله وغيرها في التحذير من البدع بياناً شافياً لمن أراد الحق واتبع سبيل الهدى.

حكم الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج:

يحتفل كثير من المسلمين في شتى أقطار العالم الإسلامي بما يسمونه ليلة الإسراء والمعراج من شهر رجب في كل عام وقد نسي هؤلاء أنهم يقيمون ويحيون بدعة ويهدمون سنناً أُمروا بها قد سنّها المصطفى ﷺ وهم لا يجدون دليلاً واحداً يؤيد ما ذهبوا إليه بل إنه يتم في إحياء هذه الليلة من مخالفات الشرع ما لا يرضى به من يخاف الله ويتقه وينصر سنة نبيه ﷺ. وذلك مثل الاجتماع بين النساء والرجال والاختلاط وقيام المنشدون بالتغني بما لا يمكن قبوله في شخص المصطفى ﷺ. وعلى هذا فالاحتفال بدعة لم يسبق إليه الصحابة رضوان الله عليهم ولا القرون المفضلة وإنما هو تقليد لما رأوه عند النصارى واليهود من كثرة أعيادهم واحتفالاتهم.

«وهذه الليلة التي حصل فيها الإسراء والمعراج لم يأت في الأحاديث الصحيحة تعيينها لا في رجب ولا في غيره وكل ما ورد في تعيينها فهو غير ثابت عن النبي ﷺ عند أهل العلم بالحديث، ولله الحكمة البالغة في إنساء الناس لها ولو ثبت تعييناً لم يجز للمسلمين أن يخصوها بشيء من العبادات ولم يجز لهم أن يحتفلوا بها؛ لأن النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم ـ والقرون المفضلة ـ لم يحتفلوا بها ولم يخصوها بشيء، ولو كان الاحتفال بها أمراً مشروعاً لبينه ﷺ للأمة إما بالقول وإما بالعمل والفعل، ولو وقع شيء من ذلك لعرف واشتهر ولنقله الصحابة رضي الله عنهم إلينا فقد نقلوا عن نبيهم ﷺ كل شيء تحتاجه الأمة، ولم يفرطوا في شيء من الدين بل هم السابقون إلى كل خير فلو كان الاحتفال بهذه الليلة مشروعاً لكانوا أسبق الناس إليه والنبي ﷺ هو أنصح الناس للناس وقد بلغ الرسالة غاية البلاغ وأدى الأمانة فلو كان تعظيم هذه الليلة والاحتفال بها من دين الله لم يغفله النبي ﷺ ولم يكتمه فلما لم يقع شيء من ذلك علم أن الاحتفال بها وتعظيمها ليسا من الإسلام في شيء، وقد أكمل الله لهذه الأمة دينها وأتم عليها النعمة

وأنكر على من شرع في الدين ما لم يأذن به الله...»[1].

وقال ابن القيم رحمه الله «سئل الشيخ ابن تيميه رحمه الله عن رجل قال: ليلة الإسراء أفضل من ليلة القدر، وقال آخر: بل ليلة القدر أفضل فأيهما المصيب؟ فأجاب: الحمد لله، أما القائل بأن ليلة الإسراء أفضل من ليلة القدر، فإن أراد به أن تكون الليلة التي أسري فيها بالنبي ﷺ ونظائرها من كل عام أفضل لأمة محمد ﷺ من ليلة القدر بحيث يكون قيامها والدعاء فيها أفضل منه في ليلة القدر، فهذا باطل، لم يقله أحد من المسلمين، وهو معلوم الفساد بالاطراد من دين الإسلام، هذا إذا كانت ليلة الإسراء تعرف عينها، فكيف ولم يقم دليل معلوم لا على شهرها ولا على عشرها ولا على عينها، بل النقول في ذلك منقطعة مختلفة ليس فيها ما يقطع به، ولا شرع للمسلمين تخصيص الليلة ليظن أنها ليلة الإسراء بقيام ولا غيره، بخلاف ليلة القدر... وإن أراد أن الليلة المعينة التي أسري فيها بالنبي ﷺ، وحصل له فيها ما لم يحصل له في غيرها من غير أن يشرع تخصيصها بقيام ولا غيره فهذا صحيح.. والكلام في مثل هذا يحتاج إلى علم بحقائق الأمور ومقادير النعم التي لا تعرف إلا بوحي، ولا يجوز لأحد أن يتكلم فيها بلا علم، ولا يعرف عن أحد من المسلمين أنه جعل لليلة الإسراء فضيلة على غيرها، لا سيما على ليلة القدر، ولا كان الصحابة والتابعون لهم بإحسان يقصدون تخصيص ليلة الإسراء بأمر من الأمور ولا يذكرونها، ولهذا لا يعرف أي ليلة كانت، وإن كان الإسراء من أعظم فضائله ﷺ. ومع هذا فلم يشرع تخصيص ذلك الزمان، ولا ذلك المكان بعبادة شرعيه، بل غار حراء الذي ابتدئ فيه بنزول الوحي وكان يتحراه قبل النبوة، لم يقصده هو ولا أحد من أصحابه بعد النبوة مدة مقامه بمكة، ولا خص اليوم الذي أنزل فيه الوحي بعبادة ولا غيرها، وقد قال بعض الناس: إن ليلة الإسراء في حق النبي ﷺ أفضل من ليلة القدر، وليلة القدر بالنسبة إلى الأمة أفضل من ليلة الإسراء، فهذه الليلة في حق الأمة أفضل لهم، وليلة الإسراء في حق رسول الله ﷺ أفضل له»[2].

---

(١) مجموع فتاوى الشيخ عبد العزيز بن باز، ح ١، ص ١٨٨.

(٢) زاد المعاد، ح ١، ص ٥٧ - ٥٨ - ٥٩.

حكم الاحتفال بالمولد النبوي كما يسميه المبتدعة:

لقد نهى رسول الله ﷺ عن الابتداع في الدين فلا «يجوز الاحتفال بمولد الرسول ﷺ ولا غيره لأن ذلك من البدع المحدثة في الدين لأن الرسول ﷺ لم يفعله ولا خلفاؤه الراشدون ولا غيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم ولا التابعون لهم بإحسان في القرون المفضلة وهم أعلم الناس بالسنة، وأكمل حباً لرسول الله ﷺ ومتابعة لشرعه من بعدهم، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ» وقال في حديث آخر «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة» ففي هذين الحديثين تحذير شديد من إحداث البدع والعمل بها وقد قال سبحانه وتعالى في كتابه المبين ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾(1) وقال عز وجل ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(2). وقال سبحانه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾(3) وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾(4). وقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾(5).

ثم إن غالب هذه الاحتفالات بالموالد ـ مع كونها بدعة ـ لا تخلو من اشتمالها على منكرات أخرى كاختلاط النساء بالرجال واستعمال الأغاني والمعازف وشرب المسكرات والمخدرات وغير ذلك من الشرور وقد يقع فيها ما هو أعظم من ذلك وهو الشرك الأكبر وذلك بالغلو في رسول الله ﷺ أو غيره من

---

(١) سورة الحشر أية ٧.

(٢) سورة النور آية ٦٣.

(٣) سورة الأحزاب آية ٢١.

(٤) سورة التوبة آية ١٠٠.

(٥) سورة المائدة آية ٣.

الأولياء ودعائه والاستغاثة به وطلبه المدد واعتقاد أنه يعلم الغيب.. قال رسول الله ﷺ «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله..»[1].

ثمرات الإسراء والمعراج

إن كل أمرٍ اختص به رسول الله ﷺ من ربه قد كان له من الدلالات والفوائد والنعم بما يعود على المسلمين وأمة محمد ﷺ بالخير والبركة والنفع في الدنيا والآخرة.

والإسراء والمعراج معجزة من الله وتأييد وتسلية لرسول الله ﷺ تجاه المصاعب والعقبات التي واجهته في سبيل دعوته تعدى ذلك الفضل من الله إلى أمة محمد ﷺ.

فقد كان للإسراء والمعراج دروساً مستفادة بل وإيحاءات إيمانية وتشريف للمصطفى ﷺ الذي فرضت عليه الصلاة ركناً أساسياً لهذا الدين مبلغاً بها أمته وموجباً لهم القيام بها فرضاً أساسياً عليهم. وقد تلقاها مباشرة من الله سبحانه لعظمتها وأهميتها ولأنها تصل مباشرة من العبد فلا واسطة بينه وبين الله وهي خطاب من العبد إلى خالقه ليبقى على اتصال دائم في كل يوم وليلة وضاعف الله أجرها كرماً منه سبحانه على عبده وقد كانت صلاته ﷺ بجميع الأنبياء في بيت المقدس وقبلة المسلمين الأولى لدليل أنه خاتم لهم فلم يحصل لأحد من قبله من الأنبياء مثل ما حصل لنبينا ﷺ. وإن اجتماع الأنبياء وصلاتهم خلف رسول الله ﷺ في بيت المقدس وفي أثناء إسرائه ومعراجه لتعطي الدليل أن رسالاتهم قد أدت غرضها وإن الرسالة الباقية الخالدة هي رسالة محمد ﷺ.

فأما الكتب السابقة التي أنزلت على الرسل السابقين فقد حرّفت وبّدلت وحُذف منها ما لا يناسب شهواتهم ورغباتهم بل وألفت كتباً على يد البشر ثم نسبوها إلى الله تعالى.

---

(١) مجموع فتاوى الشيخ عبد العزيز بن باز، ح ١، ص ١٨٣ - ١٨٧؛ وانظر البحث ص ٦٣٣، ٦٣٧، ٦٨٩، حيث تمَّ تخريج الأحاديث الثلاثة.

أما المنتسبين إلى هذه الأديان فقد اشتط بهم المسار بعيداً عن أصل ومنهج رسالاتهم بل اتخذوا شركاء لله من دونه فعبدوهم واتخذوهم آلهة فانزووا بها في معابدهم وأديرتهم وكنائسهم، وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[1].

الإيمان بالإسراء والمعراج:

إن حياة المسلم الحق لا تقوم إلا بالإيمان الحق القائم على ما أنزل في أصدق كتاب وأشرف تنزيل وبما جاء في سنة نبيهﷺ ويكون ذلك بالتصديق بالقول والقلب والعمل وهذا الإيمان ينجي صاحبه في الدنيا والآخرة.

والإسراء والمعراج معجزة أيد الله بها رسولهﷺ وهي احدى معجزاتهﷺ والإيمان بها كالإيمان بالغيب الذي أمرنا الله بالإيمان به والتسليم لعالم الغيب والشهادة. ولا شك أنه في بداية الدعوة يتطلب الأمر إلى رجال عظماء من نوعية خاصة ورباطة جأش وصبر على الأذى وتحمل المشاق ليقفوا صفاً قوياً وراء صاحب الدعوة يؤيدوه ويؤازروه ليصمد أمام هذا الكم الهائل من الجحود والظلم والاستبداد.

ومن لها غيره؟! نعم إنه أبا بكر الصديقرضي الله عنه إيمان أمة وقوة في الحق لا تضاهى وقدرة فذة في عقد الأمور وحلها كان صادقاً فأصبح صديقاً وكان قوياً فأصبح مؤمناً وكان واثقاً فغدى مطمئناً فهنيئاً له الصحبة والخلة والتصديق ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾[2].

وعندما علمت قريش خبر محمدﷺ وإسرائه إلى بيت المقدس كانت تلك فرصتهم للتشكيك والتكذيب وبث روح الانهزام في قلوب الثلة المؤمنة بين جحافل قريش وغطرستها وتمردها. كان همهم تغيير مسار الدعوة والداعي وزرع الشكوك والإرجاف لكنه خاب مسعاهم.

---

(١) سورة آل عمران آية ١٩.

(٢) سورة المدثر آية ٣١.

كان أبو بكر في صف الإيمان والتصديق برسالة محمدﷺ فيقول «إن كان قالها فقد صدق فوالله إنه ليخبرني الخبر يأتيه من الله من السماء إلى الأرض في ساعة من ليل أو نهار فأصدقه فهذا أبعد مما تعجبون منه»[(١)].

ومثل هذا الإيمان القوي سيعطي الانطلاقة الكبرى في مسار الدعوة لمرحلة جديدة تحتاج إلى التضحية بالنفس والمال والأهل والأرض فكانت مرحلة الهجرة والدعوة القوية وهي مرحلة تحتاج إلى طراز أبي بكر وعمر. فأبو بكر كان مصدقاً لأن الله أعطاه نور الحق واليقين أما عمر فقد تريث واسترشد وتأكد لأن الله أعطاه معيار الحق واليَقين وكلاهما وأمثالهما تحتاجهما الدعوة في ذلك العصر الأول فكان الكثيرون على نفس هذا المنهج من صحابة رسول اللهﷺ فقامت دولة الإسلام الأولى على التصديق والإيمان الحق.

هل رأى محمدﷺ ربه؟:

قال ابن حجر رحمه الله في الفتح «وقد اختلف السلف في رؤية النبيﷺ ربه فذهبت عائشة وابن مسعود إلى إنكارها واُختلف عن أبي ذر وذهب جماعة إلى إثباتها. وحكى عبد الرزاق عن معمر عن الحسن أنه حلف أن محمداً رأى ربه. وأخرج ابن خزيمة عن عروة بن الزبير إثباتها وكان يشتد عليه إذا ذكر له إنكار عائشة وبه قال سائر أصحاب ابن عباس وجزم به كعب الأحبار والزهري وصاحبه معمر وآخرون وهو قول الأشعري وغالب أتباعه ثم اختلفوا: هل رآه بعينه أو بقلبه؟ وعن أحمد كلا القولين..»[(٢)].

النافون للرؤية وأدلتهم:

ذهبت عائشة رضي الله عنها وابن مسعود رضي الله عنه وإليه ذهب جماعة من المحدثين والمتكلمين وكانت عائشة رضي الله عنها تنكر على من يقول بالرؤية وتشتد في الإنكار.

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام، ح ٢، ص ٣٩٩. البداية والنهاية لابن كثير، ج٣، ص ١٠٨ وقال: وبادر الصدّيق إلى التصديق.

(٢) فتح الباري، ح ٨، ص ٦٠٤.

روى الإمام مسلم في صحيحه عن مسروق قال: «كنت عند عائشة فقالت: يا أبا عائشة ثلاث من تكلم بواحدة منها فقد أعظم على الله الفرية قلت: ما هي؟ قالت من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية قال: وكنت متكئاً فجلست فقلت: يا أم المؤمنين أنظريني ولا تعجليني ألم يقل الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾[1] ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾[2] فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: «إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين» رآه منهبطاً من السماء ساداً عظم خلقه ما بين السماء والأرض قالت: أو لم تسمع الله يقول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[3] وأن الله يقول: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾[4] قالت ومن زعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتم شيئاً من كتاب الله..»[5].

قال أبو شهبة: «أما ما ذهبت إليه من أن آية التكوير والنجم في رؤية النبي ﷺ لجبريل فهذا مالا ننازعها فيه لأن عائشة رضي الله عنها اعتمدت في ذلك على ما سمعته من رسول الله ﷺ وما دامت الرؤية صحت عن المعصوم ﷺ فلا كلام لأحد مع كلامه. وأما استدلالها بآية الأنعام ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ وآية الشورى﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ السابقتين فالظاهر أن هذا اجتهاد منها على حسب ما فهمته.

أما الإدراك الوارد في الآية السابقة فإنه يعني الإحاطة التامة بالرؤية وإلا فإن الغير المرئي لا يمدح، وأما تكليم الله فليس الكلام شرطاً للرؤية فقد يراه ولا يكلمه»[6]..

---

(١) سورة التكوير آية ٢٣.

(٢) سورة النجم آية ١٣.

(٣) سورة الأنعام آية ١٠٣.

(٤) سورة الشورى آية ٥١.

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي،ح ٣، ص ٨.

(٦) الإسراء والمعراج للدكتور أبي شهبة، ص ٦٦.

المثبتون للرؤية:

ذهب جماعة من السلف إلى إثبات رؤية النبي ﷺ لربه ليلة المعراج منهم ابن عباس وعروة بن الزبير وعبد الرزاق والحسن البصري.

قال ابن حجر في الفتح «قلت: جاءت عن ابن عباس أخبار مطلقة وأخرى مقيدة فيجب حمل مطلقها على مقيدها. فمن ذلك ما أخرجه النسائي بإسناد صحيح وصححه الحاكم أيضاً من طريق عكرمة عن ابن عباس «هل رأى محمد ربه؟ فأرسل إليه: أن نعم»[1]. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم، والكلام لموسى، والرؤية لمحمد ﷺ»[2].

ومنها ما أخرجه مسلم من طريق أبي العالية عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ١٤﴾ قال رآه بفؤاده مرتين.

وله من طريق عطاء عن ابن عباس قال: رآه بقلبه.

وأصرح من ذلك ما أخرجه ابن مردوية من طريق عطاء أيضاً عن ابن عباس قال: لم يره رسول الله ﷺ بعينه إنما رآه بقلبه.

الجمع بين النفي والإثبات:

وعلى هذا فيمكن الجمع بين إثبات ابن عباس ونفي عائشة رضي الله عنهما بأن يحمل نفيها على رؤية البصر وإثباته رؤية القلب ثم المراد برؤية الفؤاد رؤية القلب لا مجرد حصول العلم لأنه ﷺ كان عالماً بالله على الدوام. بل مراد من أثبت له أنه رآه بقلبه أن الرؤية التي حصلت له خلقت في قلبه كما يخلق الرؤية بالعين لغيره. والرؤية لا يشترط لها شيء مخصوص عقلاً ولو جرت العادة بخلقها في العين»[3].

---

(١) فتح الباري، ح ٨، ص ٦٠٨.

(٢) المستدرك للحاكم وصححه ووافقه الذهبي، ج١، ص ١٣٤.

(٣) فتح الباري، ح ٨، ص ٦٠٨؛ وانظر صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الإيمان باب إثبات رؤية الله، ج٣، ص ٧.

قال ابن كثير رحمه الله بعد ما ساق رواية الإمام مسلم عن ابن عباس «وفي رواية عنه أنه أطلق الرؤية وهي محمولة على المقيدة بالفؤاد ومن روى عنه بالبصر فقد أغرب فإنه لا يصح في ذلك شيء عن الصحابة رضي الله عنهم. وقول البغوي في تفسيره: وذهبت جماعة إلى أنه رآه بعينه وهو قول أنس والحسن وعكرمة فيه نظر»[1].

وقال ابن تيميه رحمه الله «وقد حكى عثمان بن سعيد الدارمي في كتاب الرد إجماع الصحابة رضي الله عنهم، على أنه ﷺ لم ير ربه ليلة المعراج، وبعضهم استثنى ابن عباس من ذلك، وشيخنا يقول: ليس ذلك بخلاف في الحقيقة فإن ابن عباس لم يقل رآه بعيني رأسه وعليه اعتمد أحمد ـ بن حنبل ـ في إحدى الروايتين حيث قال: أنه رآه ولم يقل بعيني رأسه»[2].

وعن أبي ذر قال: سألت رسول الله ﷺ «هل رأيت ربك قال: نورٌ أنّى أراه» وفي رواية «قال قد سألت فقال رأيت نوراً»[3].

قال النووي «أما قوله ﷺ نورٌ أنَّى أراه فهو بتنوين نور وبفتح الهمزة في أنى وتشديد النون وفتحها وأراه بفتح الهمزة هكذا رواه جميع الرواة في جميع الأصول والروايات ومعناه حجابه نور فكيف أراه.. أما قوله ﷺ «رأيت نوراً» معناه رأيت النور فحسب ولم أر غيره»[4].

وقال ابن تيمية رحمه الله «قوله ﷺ «نورٌ أنَّى أراه»: معناه كان ثمَّ نور وحال دون رؤيته نور فأنى أراه؟ قال ويدل عليه: إن في بعض ألفاظ الصحيح هل رأيت ربك؟ فقال: «رأيت نوراً». وقد أعظل أمر هذا الحديث على كثير من الناس حتى صحفه بعضهم فقال نوراً إنّي أراه على أنها ياء النسب والكلمة كلمة واحدة وهذا لفظاً ومعنى. ورده بعضهم باضطراب لفظه وكل هذا عدول عن موجب الدليل»[5].

---

(١) تفسير ابن كثير،ح ٤، ص ٢٠٥.

(٢) الفتاوى، ح ٦، ص ٥٠٧.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، ح ٣،ص ١٢.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي، ح٣، ص ١٢.

(٥) الفتاوى، ح ٦، ص ٥٠٧.

الذين رجحوا الإثبات:

وهناك جماعة قالوا بإثبات الرؤية لمحمدﷺ ليلة أسري وعرج به وقد قال بهذا إمام الأئمة ابن خزيمة وتبعه السيوطي.

قال ابن حجر وروى ابن خزيمة بإسناد قوي عن أنس قال: «رأى محمد ربه».

وجنح ابن خزيمة في «كتاب التوحيد» إلى ترجيح الإثبات وأطنب في الاستدلال له بما يطول ذكره، وحمل ما ورد عن ابن عباس على أن الرؤيا وقعت مرتين مرة بعينه ومرة بقلبه. وممن أثبت الرؤية لنبيناﷺ الإمام أحمد فروى الخلال في «كتاب السنة» عن المروزي: قلت لأحمد أنهم يقولون إن عائشة قالت: من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية. فبأي شيء يدفع قولها؟ قال: يقول النبيﷺ «رأيت ربي» قول النبي صلى الله عليه وسلم أكبر من قولها»[1].

وقد ذهب إلى هذا السيوطي فقال: «والصحيح ثبوت الرؤية.. فقد روى أحمد من حديث ابن عباس قال: قال رسول اللهﷺ: «رأيت ربي تبارك وتعالى»[2].

قال عكرمة فقلت لابن عباس: نظر محمد إلى ربه؟ قال: نعم جعل الكلام لموسى والخلة لإبراهيم والنظر لمحمدﷺ «وأخرجهما الحاكم في المستدرك[3][4].

ويرجح هذا القول ما ذهب إليه ابن حجر في الفتح «وقال عياض: رؤية الله سبحانه وتعالى جائزة عقلاً وثبتت الأخبار الصحيحة المشهورة بوقوعها للمؤمنين في الآخرة وأما في الدنيا فقال مالك: إنما لم ير سبحانه في الدنيا لأنه باق والباقي لا يرى بالفاني.

---

(١) فتح الباري، ح ٨، ص ٦٠٨.
(٢) المسند، ح ٤، ص ٢٠١.
(٣) المستدرك على الصحيحين للإمام الحاكم وصححه ووافقه الذهبي، ج١، ص ١٣٤.
(٤) شرح قصة الإسراء والمعراج للسيوطي، ص ٦٧.

فإذا كانوا في الآخرة ورزقوا أبصاراً باقية رأوا الباقي. قال عياض: وليس في هذا الكلام استحالة الرؤية إلا من حيث القدرة فإذا قدر الله من شاء من عباده عليها لم يمتنع.

قلت «ابن حجر» ووقع في «صحيح مسلم» ما يؤيد هذه التفرقة في حديث مرفوع فيه: «وأعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا» وأخرجه بن خزيمة أيضاً من حديث أبي أمامة ومن حديث عبادة بن الصامت. فإن جازت الرؤية في الدنيا عقلاً فقد امتنعت سمعاً لكن من أثبتها للنبي صلى الله عليه وسلم له أن يقول: إن المتكلم لا يدخل في عموم كلامه.»[1].

وقد أشار إلى هذا القول ابن تيمية وذلك عندما قرر مذهب السلف في رؤية الله تعالى فقال: «وقد ثبت بالنصوص الصحيحة واتفاق سلف الأمة أنه لا يرى الله أحد في الدنيا بعينه، إلا ما نازع فيه بعضهم من رؤية نبينا محمدﷺ خاصة، واتفقوا على أن المؤمنين يرون الله يوم القيامة عياناً كما يرون الشمس والقمر»[2].

مخالفة شريك للحفاظ:

قال ابن حجر في الفتح «ومجموع ما خالفت فيه رواية شريك غيره من المشهورين عشرة أشياء بل تزيد على ذلك: الأول أمكنة الأنبياء.. الثاني كون المعراج قبل البعثة.. الثالث: كونه مناماً. الرابع: مخالفته في محل السدرة.. الخامس: مخالفته في النهرين.. السادس: شق الصدر.. السابع: ذكر نهر الكوثر.. الثامن: نسبة الدنو والتدلي.. التاسع: إمتناعه من الرجوع بعد الخامسة.. العاشر: قوله: فعلا به الجبار.. الحادي عشر: زاده زيادة ذكر «التور» الطشت. وقد سبق إلى التنبيه على ما في رواية شريك من المخالفة مسلم في «صحيحه» فإنه قال: بعد أن ساق سنده وبعض المتن ثم قال: فقدم وأخر وزاد ونقص.»[3].

---

(١) فتح الباري، ح ٨، ص ٦٠٧ - ٦٠٨؛ وانظر صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الفتن باب ذكر ابن صياد ج ١٨، ص٥٦,.

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية، ح ٦، ص ٥١٠.

(٣) الإسراء والمعراج لإبن حجر جرده ورتبه عبد الله حجاج، ص ٧٣.

وقال النووي «وقد ذكر البخاري رحمه الله رواية شريك هذه عن أنس في كتاب التوحيد من صحيحه وأتى بالحديث مطولاً قال الحافظ عبد الحق رحمه الله في كتابه الجمع بين الصحيحن بعد ذكر هذه الرواية هذا الحديث بهذا اللفظ من رواية شريك بن أبي نمر عن أنس وقد زاد فيه زيادة مجهولة وأتى فيه بألفاظ غير معروفة وقد روى حديث الإسراء جماعة من الحفاظ المتقنين والأئمة المشهورين كابن شهاب وثابت البناني وقتادة عن أنس فلم يأت أحد منهم بما أتى به شريك وشريك ليس بالحافظ عند أهل الحديث، قال والأحاديث التي تقدمت قبل هذا هي المعول عليها»[1].

إثبات صفة العلو لله تعالى في حديث المعراج وأن بعض الأنبياء في السماء:

لقد دلت النصوص من القرآن والسنة وكذلك دل العقل والفطرة على علو الله سبحانه وتعالى فهو سبحانه بائن من خلقه مستوٍ على عرشه فوق سماواته.

وفي حديث المعراج دلالة عظمى على ثبوت هذه الصفة لله تعالى أيضاً. والعروج هو الصعود إلى أعلى وقد صعد المصطفى ﷺ متجاوزاً السموات السبع ليخاطبه الله تعالى من وراء حجاب فدل ذلك على علوه سبحانه فوق مخلوقاته.

وعندما عُرج بالمصطفى ﷺ رأى بعض الأنبياء في منازلهم في السموات السبع وسلّم عليهم فردوا عليه ودعوا له.

قال ابن حجر «واختلف في حال الأنبياء عندما لقي النبي ﷺ إياهم ليلة الإسراء هل أسري بأجسادهم لملاقاة النبي ﷺ تلك الليلة أو أن أرواحهم مستقرة في الأماكن التي لقيهم النبي ﷺ بها، وأرواحهم مشكلة بشكل أجسادهم كما جزم به أبو الوفاء بن عقيل.»[2].

أما عن أماكنهم في السموات فإن السيوطي يقول: «الأضبط في الروايات

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي حـ ٢ ص ٢١٠.

(٢) الإسراء والمعراج لإبن حجر، ص ٤.

في محل الأنبياء أن آدم في السماء الأولى، وعيسى في الثانية، ويوسف في الثالثة، وإدريس في الرابعة، وهارون في الخامسة، وموسى في السادسة، وإبراهيم في السابعة.واختلف في الحكمة في إختصاص كل منهم بالسماء التي التقاه فيها فقيل:

١ ـ للإشارة إلى تفاضل درجاتهم عند الله.

٢ ـ وقيل الحكمة في الاقتصار على المذكورين الإشارة إلى ما سيقع له ﷺ مع قومه من نظير ما وقع لكل منهم»[١].

سدرة المنتهى:

«قال ابن عباس والمفسرون وغيرهم: سميت سدرة المنتهى لأن علم الملائكة ينتهي إليها ولم يجاوزها أحد إلا رسول الله ﷺ. وحكي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنها سميت بذلك لكونها ينتهي إليها ما يهبط من فوقها وما يصعد من تحتها من أمر الله تعالى»[٢].

وقال ابن حجر في الفتح «قال ابن دحية: اختيرت السدرة دون غيرها لأن فيها ثلاثة أوصاف: ظل ممدود، وطعام لذيذ ورائحة زكية فكانت بمنزلة الإيمان الذي يجمع القول والعمل والنية والظل بمنزلة العمل والطعم بمنزلة النية والرائحة بمنزلة القول»[٣].

الصلاة:

كانت الصلاة ثمرة وخاتمة لرحلة المصطفى ﷺ المباركة بصحبة جبريل عليه السلام إلى السماء السابعة. ثم يخلو النبي ﷺ في الحضرة الإلهية ويتلقى من الله مباشرة هذا الأمر العظيم في حياته وحياة أمته من بعده.

---

(١) شرح قصة الإسراء والمعراج للسيوطي،ص ٦٢.
(٢) شرح النووي، ح ٢، ص ٢١٤.
(٣) فتح الباري، ح ٧، ص ٢١٣.

والصلاة فريضة الله على كل مسلم ومسلمة وأمر الله بها عباده في القرآن الكريم فقال تعالى: ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ إِنَّ الصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا﴾[1].

وقال تعالى: ﴿حَـٰفِظُوا عَلَى الصَّلَوَٰتِ وَالصَّلَوٰةِ الْوُسْطَىٰ﴾[2] وقال ﷺ «رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد»[3] و«بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة»[4].

ومن الحكمة في شرعية الصلاة أنها تطهر النفس وتزكيها وتؤهل العبد لمناجاة الله تعالى في الدنيا ومجاورته في الدار الآخرة كما أنها تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر.

وقال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ إِنَّ الصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَآءِ وَالْمُنكَرِ﴾[5].

ولهذا كان شرف فرضها في ذلك المكان والزمان والإنفراد مناسباً لأهميتها وعظمها ودورها في تزكية النفوس وتطهيرها وتأهيلها لصاحبها لمناجاة الله تعالى بدون وسيط.

وقد تم للمصطفى ﷺ ذلك حين ارتقى في درجات التشريف والتكريم إلى ربه عز وجل لينعم عليه بما لم يسبق إليه مخلوق هنا بهذا السمو والرفعة والمكانة يُتوجه ربه سبحانه بشرف عظيم وهو فرض الصلاة عليه وعلى أمته فيعود بهذا الركن المتين والفتح المبين.

وفرض الصلاة في الإسلام بهيئتها وضوابطها وشروطها وسننها لا توجد في

---

(١) سورة النساء ١٠٣.

(٢) سورة البقرة ٢٨٣.

(٣) الجامع الصحيح للترمذي ح ٥ ص ١٢ كتاب الإيمان. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. المسند للإمام أحمد ح ٥ ص ٢٣١.

(٤) الجامع للترمذي ح ٥ ص ١٣ كتاب الإيمان وقال حسن صحيح.

(٥) سورة العنكبوت ٤٥.

أي دين أو رسالة أخرى، بل إن صلواتهم تلك هي مزيج من بقايا رسالاتهم واجتهاداتهم البشرية بحسب أهوائهم وضلالهم.

أما في الإسلام فقد نقلت إلينا بالتواتر عن نبينا ﷺ عن ربه تعالى.

صلاة جبريل بالنبي ﷺ:

حين فرض الله الصلاة على نبيه ﷺ خمسين صلاة في اليوم والليلة كان ذلك اختباراً والله أعلم بما سيكون، وما هو كائن فقد تحمل الأمانة عائداً مبلغاً ولكن الله قد قدر أن يكون في طريقه ﷺ وفي النزول كان موسى عليه السلام الذي طلب منه مراجعة الله فيما فرض طلباً للتخفيف ثم يقرر الله سبحانه خمس صلوات في اليوم والليلة وبأجر خمسين صلاة وذلك من فضل الله تعالى.

«ولأن أمرها عظيم فإن الآثار والأحاديث الصحيحة قد أخبرتنا أنه في غداة اليوم التالي لليلة الإسراء والمعراج جاء جبريل إلى النبي ﷺ يعلمه كيفية الصلاة ويبين له أوقاتها فما إن زالت الشمس حتى أمر رسول الله ﷺ فنودي بأصحابه فاجتمعوا وصلى به جبريل عند البيت. النبي يقتدي بجبريل والمسلمون يقتدون بالنبي من ظهر هذا اليوم إلى فجر اليوم الثاني»[١].

وفي صحيح مسلم عن أبي مسعود البدري قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نزل جبريل فأمني فصليت معه ثم صليت ثم صليت معه ثم صليت معه ثم صليت معه يحسب بأصابعه خمس صلوات»[٢].

«وقيل إن جبريل صلى بالنبي ﷺ يومين متتاليين ليبين له الوقتين الأول والآخر لكل صلاة روى ابن عباس وجابر أن النبي ﷺ قال: «أمَّني جبريل عند البيت مرتين»[٣] من هذه الليلة صارت الصلاة فرضاً موقوتاً على كل مسلم

---

(١) الإسراء والمعراج لأبي شهبة، ص ٥٧.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب أوقات الصلوات الخمس، ج٥ ص ١٠٧.

(٣) سنن الترمذي، كتاب أبواب الصلاة، باب ما جاء في مواقيت الصلاة، وقال أبو عيسى حديث ابن عباس حديث حسن صحيح ج١، ص ٢٨٢.

ومسلمة وركناً من أركان الإسلام تشهد لمؤديها بالإخلاص والمواظبة عليها في أوقاتها بطهارة القلب واستقامة السلوك وصلاح الأحوال»[1].

مشاهدات الرسول صلى الله عليه وسلم في ليلة الإسراء دروس للأمة:

إن الأمة الإسلامية اليوم بحاجة ماسة إلى العودة إلى منبع النور وأصل الرسالة ذلك الذي استرشدت به القرون المفضلة فنعمت واطمأنت ودخل الناس في دين الله أفواجاً. وإن الإسلام الحق يرفض الخارجين والفاسدين والمنحرفين عن المنهج الصحيح والطريق المبين.

والمصطفى ﷺ لم يدع أمر خير إلا وأرشدنا إليه وأمرنا به ولا أمر شرٍ إلا وحذرنا ونصحنا أن نسلك طريقه.

وفي إسرائه ﷺ كانت له مشاهدات وذلك لينقل لأمته ما رأى وسمع ويحذرهم مما وقع فيه أولئك المعذبون من الانحراف والفساد والضلال والابتعاد عن منهج الله فاستحقوا تلك العاقبة.

وجدير بالأمة الإسلامية العمل بطاعة الله ورسوله ﷺ والاعتبار بأخبار من قد سبق من الأمم وكيف أصبحت نهايتهم ومآلهم «وقد شاء الله أن تضرب الأمثال للنبي ﷺ في هذه الليلة الميمونة المباركة ووراء هذه الأمثال ما وراءها من العبر والعظات والإشارات والبشارات وللأمثال عند بني الإنسان ـ ولا سيما العرب ـ شأن وأي شأن فهي تريك المعقول في صورة المحسوس والغائب في صورة المشاهد والمأمول المرتقب في صورة الواقع المحقق وهي بما فيها من دقة التصوير وسمو التعبير عن الغرض المقصود تستولى على النفوس وتهز أوتار القلوب فلا عجب أن ضربت الأمثال للنبي في مسراه وصورته تصويراً دقيقاً معبراً يرى المشهد العجيب فيستفسر عنه من جبريل فيجيب إجابة الحكيم المخبر عن رب العالمين ليكون من وراء ذلك العظة لقوم يعقلون[2].

---

(١) الإسراء والمعراج لأبي شهبة، ص ٥٧.

(٢) انظر الإسراء والمعراج لأبي شهبة، ص ٥١ - ٥٢.

وقد أورد ابن حجر في الفتح بعض تلك المشاهد في حديث أبي هريرة وتتمثل فيما يلي:

«١ ـ إنه رأى إمرأة حاسرة عن ذراعيها وعليها من كل زينة خلقها الله تعالى فقالت يا محمد انظرني أسألك فلم يلتفت إليها فقال النبيﷺ من هذه يا جبريل؟ قال: تلك الدنيا أما إنك لو أجبتها لاختارت أمتك الدنيا على الآخرة.

٢ ـ إنه رأى قوماً يزرعون ويحصدون وكلما حصدوا عاد الزرع كما كان فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هؤلاء المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنات بسبعمائة ضعف ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾[1].

٣ ـ وإنه ﷺ أتى على قوم ترضخ[2] رؤوسهم بالحجارة كلما رضخت عادت كما كانت ولا يفتر[3] عنهم من ذلك شيء فقال: ما هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة.

٤ ـ وإنه أتى على قوم على أقبالهم[4] وعلى أدبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الإبل والغنم ويأكلون الضريع والزقوم ورضف[5] جهنم فقال ما هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين لا يؤدون زكاة أموالهم المفروضة وما ظلمهم الله شيئاً.

٥ ـ وأتى على قوم بين أيديهم لحم طيب نضيج ولحم آخر نيىء قذر خبيث فجعلوا يأكلون من اللحم النيىء الخبيث ويدعون النضيج الطيب فقال: ما هؤلاء يا جبريل؟ فقال: هذا الرجل من أمتك تكون عنده المرأة الحلال الطيبة فيأتي إمرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح والمرأة تقوم من عند زوجها حلالاً طيباً فتأتي رجلاً خبيثاً فتبيت عنده حتى تصبح.

---

(١) سورة سبأ ٣٩.
(٢) تدق وتهشم.
(٣) يزول.
(٤) عوراتهم.
(٥) حجارة ملتهبة حارة.

٦ ـ وأتى على رجل قد جمع حزمة عظيمة لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها فقال ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الرجل من أمتك تكون عليه أمانات الناس لا يقدر على أدائها وهو يريد أن يحمل عليها.

٧ ـ وأتى على خشبة منصوبة على الطريق لا يمر بها ثوب إلا شقته ولا شيء إلا حزقته فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا مثل أقوام يقعدون على الطريق فيقطعونها ثم تلا قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾[1].

٨ ـ وأتى على قوم تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد كلما قرضت عادت كما كانت لا يفتر عنهم من ذلك شيء فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هؤلاء خطباء الفتنة.

٩ ـ وأتى على منظر عجيب ثقب صغير يخرج منه ثور يريد أن يدخل من حيث خرج فلا يستطيع فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة ثم يندم عليها فلا يستطيع أن يردها.

١٠ ـ ومر على قوم بطونها أمثال البيوت لفخامتها كلما نهض أحدهم خر فقال النبي ﷺ: من هؤلاء يا جبريل؟ فقال: هم آكلون الربا ومصداق ذلك من كتاب الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾[2]،[3].

١١ ـ ومر على قوم مشافرهم[4] كالإبل يلتقمون حجراً فيخرج من أسافلهم فقال: النبي ﷺ من هؤلاء يا جبريل؟ فقال: هؤلاء أكلة أموال اليتامى ظلماً ومصداق ذلك من كتاب الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾[5].

---

(١) سورة الأعراف آية ٨٦.

(٢) سورة البقرة آية ٢٧٥.

(٣) فتح الباري، ج٧، ص ٢٠٠

(٤) شفاههم.

(٥) سورة النساء آية ١٠.

تنبيه:

كان الذين يسعون تضليلاً وإفساداً لمعتقدات الأمة وشريعتها قديماً مثل ما يحدث في هذا العصر، وهذا يدعوا أبناء الأمة إلى الحذر والحيطة من أولئك الذين يسعون خراباً وابتداعاً.

فيقول الدكتور البوطي «احذر وأنت تبحث عن قصة الإسراء والمعراج أن تركن إلى ما يسمى بـ«معراج ابن عباس» فهو كتاب ملفق من مجموعة أحاديث باطلة لا أصل لها ولا سند، وقد شاء ذاك الذي فعل فعلته الشنيعة هذه أن يلصق هذه الأكاذيب بابن عباس رضي الله عنهما، وقد علم كل مثقف بل كل إنسان عاقل أن ابن عباس بريء منه، وأنه لم يؤلف أي كتاب في معراج الرسول صلى الله عليه وسلم بل وما ظهرت حركة التأليف إلا في أواخر عهد الأمويين ولما وقف دعاة السوء على هذا الكتاب ووجدوا فيه من الأكاذيب المنسوبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يكفل زعزعة إيمان الكثير من الناس راحوا يروجون له ويدعون إليه مع أنهم يعلمون قبل سائر الناس أنه كتاب مكذوب على ابن عباس وأن أحاديثه كلها باطلة ولكن الكذب سرعان ما ينقلب عندهم صحيحاً إذا كان فيه ما يشوش أفكار المسلمين ويلبس عليهم دينهم»[(١)].

الصبر والقدرة في الدعوة:

عاد المصطفى ﷺ من رحلته العظيمة عبر السموات وهو مغتبط بما أنعم الله عليه من التكريم والمنزلة والرفعة وقد ازداد إيماناً وحكمة وقرباً إلى الله وثقة بأن الله سينصره ويؤازره ثم إنه عاد يحمل ركناً قوياً من أركان هذا الدين العظيم وهي الصلاة عمود الدين والتي لا يُقبل عمل ابن آدم إلا بها.

كان يعلم رسول الله ﷺ حينما عاد من إسرائه أنهم سيكذبونه عندما يخبرهم خبره وقد كانوا يكذبونه عندما يبلغهم خبر الوحي فكيف به وقد انتقل روحاً وجسداً عبر هذه المسافات والزمن ثم يخبرهم بذلك!.

لكنه ﷺ وقد عودنا الصدق دائماً فهو الصادق الأمين عند قومه قبل الرسالة

---

(١) فقه السيرة للدكتور البوطي، ص ١٥٤.

وهو بعدها كذلك، غير إنه في سبيل نشر الرسالة والتحدث بنعمة الله عليه وفي سبيل أن يجلي الحقائق للناس جميعاً ولأن هذه الرسالة واضحة كالشمس عند ذلك لم يتردد في إبلاغهم والصبر على ردود أفعالهم ونتائج نزوات عواطفهم وتكذيبهم.

وقد أنكروا عليه ذلك الخبر لأن عقولهم لم تتجاوز حدود ما يحسونه ويلمَسونه ويرونه وتلك هي النظرة المادية التي تنادي بها جاهلية القرن العشرين - الذين أعرضوا عن هدي محمدﷺ - وجاهلية العصر، والجاهليات ليس لها عصر معين بل هي مستمرة ما استمر الضلال والزيغ والبعد عن منهج الله، وهي مستمرة وإن تغيرت صورها وأشكالها.

والله سبحانه قد علم ذلك منهم ولكن سنة الله ماضية وذلك كي تأتي الأمور ناضجة راسخة فيما بعد.

وفي هذه المرحلة من الدعوة يعوضه الله عن إعراضهم وتكذيبهم وصلفهم أرضاً وقوماً يحبون من هاجر إليهم ويؤثرونهم على أنفسهم ولا يجدون في أنفسهم حاجة مما أُوتوا ويؤمنون بما أنزل على نبيهم.

تلك كانت الهجرة إلى طيبة الطيبة ولتبدأ من هناك الدعوة قوية وتبدأ بشائر النصر والفتح من الله سبحانه ثم قيام دولة الإسلام، والرسالة الخالدة.

من وحي الإسراء والمعراج:

القدس مدينة ارتبطت بالوحي والرسالات والرسل وفيها ثاني المسجدين في هذه الأرض الذي كان يتجه إليه المؤمنون، فهو القبلة الأولى ومهبط الوحي والرسالات وإليها أُسري بالنبيﷺ فيصلي بالأنبياء إماماً لهم ثم يعرج به إلى السموات العلا متلقياً التكريم والتكليف مباشرة من الله سبحانه، ثم يفتحها الخليفة الراشد الثاني عمر بن الخطابرضي الله عنه، ويعهد إليه بطريركها بمفتاحها لما علمه من عدل عمر وعظمة الإسلام.

فتنتظم القدس مع مكة ودمشق وبغداد والفسطاط وتتبعها القيروان فغرناطة وبخاري جيداً مرصعاً للدولة الإسلامية ومراكز إشعاع للنور الجديد والعهد الزاهر، فما تكاد أن تهنأ هذه الأرض بهذا العهد الجديد لبضعة قرون حتى

ترتكس مرة أخرى في ظلام التجزئة والطائفية والجهل بالحق، ويفقد المسلمون القدس مكبلة بقيود الصليبية الحاقدة على الإسلام والمسلمين لترسخ في ذلك العهد قرناً من الزمان ليخلصها القائد المسلم المجاهد صلاح الدين الأيوبي[1] من تلك القيود والأرساف، ثم يفرط فيها أبناء الإسلام مرة أخرى على موعد مع قيودها في منتصف هذا القرن، وهاهي الآن تنادي أبناء الأمة الإسلامية خلاصها وحريتها فهي أمانة في أعناقهم فكيف بنا وقد ضيعنا الأمانة وقبلنا الإهانة ورضينا بالاستكانة.

وإن هذا الواقع الذي تعيشه الأمة اليوم غير مستغرب لعدة أسباب منها:

-البعد عن المنهج الصحيح الذي يجب أن تسلكه الأمة في مجموعها وأفرادها بل قد غُلفت قلوب أبناء الأمة بالشبهات والأهواء فصاروا شيعاً وأحزاباً إلا من شاء الله قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[2].

-إن المنهج الذي اتخذه علماء المسلمين سيقود الأمة إلى الخلاص وإلى العلاج النافع الشاف وإن دعوة الإمام العز بن عبد السلام[3] إلى نشر العلم

---

(١) صلاح الدين الأيوبي أبو المظفر يوسف بن نجم الدين أيوب بن شاذي الملقب بالملك الناصر من أشهر ملوك الإسلام، أصله من قرية دوين من الأكراد، دخل مع أبيه وعمه في خدمة نور الدين زنكي ثم دخل مع عمه مصر فحكمها وأقام الجهاد، وقهر بني عبيد ومحا دولتهم، وقاد موقعة حطين مع الفرنج وهزمهم ثم حاصر القدس فأخذها بالأمان من يد الصليبيين. توفي بدمشق ٥٨٩هـ.
قال عنه الذهبي: كان محبوباً صالحاً عادلاً رجل سياسة وحرب. ومحاسن صلاح الدين جمّة لا سيما الجهاد فله فيه اليد البيضاء وله عقل جيد وفهم وحزم وعزم.
؛ سير أعلام النبلاء للذهبي، ج٢١، ص ٢٧٨ - ٢٨٧.
؛ الأعلام للزركلي، ج٦، ص٢٢٠،.

(٢) سورة الرعد آية ١١.

(٣) العز بن عبد السلام: الإمام العلامة سلطان العلماء، برع في الفقه والتفسير والحديث رحل إلى بغداد وصنف التصانيف ولي الخطابة في دمشق وحارب البدع ثم توجه إلى مصر في عهد الصالح أيوب وتمكن من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، توفي سنة ٦٦٠هـ.
شذرات الذهب، أبي الفلاح ابن العماد الحنبلي، دار الفكر ج ٥، ص ٣٠١.

الإيماني وإلى تربية الأمة تربية إسلامية قد نجحت في تزكية النفوس وعلوها وعلو مطالبها حتى ارتقت إلى الذروة وليس هناك إلا الجهاد الحق وهو إعلاء كلمة الله ورفع راية لا إله إلا الله. والجهاد هو ذروة سنام الإسلام.

إنه لا يصلح حال هذه الأمة إلا بما صلح به ماضيها، وهذه سنة الله لهذا الدين الحنيف ومن حاد عن هذا وتخلف عنه ابتلاه الله بالضعف والهوان على الناس والانسياق وراء كل ناعق من دعاة ومهرجي الباطل.

-إن قوى الشر والظلم في هذا العالم تقف وتجتمع في صف متراص ضد الإسلام بل إنهم يتناسون خلافاتهم ويعدونها هامشية إذا قيست بعدائهم للإسلام وأهله وإن حال المسلمين وشتات أمرهم قد مكنهم من ذلك.

-إن تفريط المسلمين في خلافتهم الإسلامية قد مهد الطريق للاستعمار والتبعية وتقسيم العالم الإسلامي إلى دويلات وطوائف.

-إن الإعراض عن هذه الأخبار الصحيحة في معجزة الإسراء والمعراج قد أدى بكثير من الأمة إلى إجتزاء النصوص وتهميش الدروس والعبر منها، وانتهى بهم المطاف إلى احتفالات بالإسراء والمعراج والمولد ما أنزل الله بها من سلطان.

ثانياً: إجابة دعوة الرسولﷺ من ربه تعالى

مرّ على رسول الله ﷺ مواقف يدعو ربه ويناجيه فيستجيب له ويتحقق ما سأل الله فيه وقد كانت آيات بينات وتأييد من رب الأرض والسموات فعن أنس بن مالكؓ، قال: «أصابت الناس سنة على عهد رسول الله ﷺ فبينما النبيﷺ يخطب في يوم الجمعة قام إعرابي فقال يا رسول الله: هلك المال، وجاع العيال فادعُ الله لنا. فرفع يديه وما نرى في السماء قزعة[1] فوالذي نفسي بيده ما وضعها حتى ثار السحاب أمثال الجبال، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر

(١) قزعة: قطعة من السحاب،مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ملّا علي قاري، دار إحياء التراث العربي بيروت حـ٥ ص٤٦٠.

على لحيته فمطرنا يومنا ذلك، ومن الغد، ومن بعد الغد حتى الجمعة الأخرى، وقام ذلك الأعرابي أو غيره فقال: يا رسول الله تهدم البناء وغرق المال فادعُ الله لنا. فرفع يديه فقال:

اللهم حوا لينا ولا علينا. فما يشير إلى ناحية من السحاب إلا انجابت وصارت المدينة مثل الجوبة[1]وسال وادي قناة شهراً ولم يجيء أحد من ناحيته إلا حدّث بالجود. وفي رواية قال: اللهم حوالينا ولا علينا. اللهم على الآكام[2]والضراب[3] وبطون الأودية. ومنابت الشجر». قال:

فأقلعت وخرجنا نمشي في الشمس»[4].

وها هو رسول الله ﷺ يستجيب لصاحبه أبي هريرة ﷺ فيدعو لأمه أن يهديها الله للإسلام فيجيب الله دعاءه وتسلم في لحظة الدعاء، فعن أبي هريرة ﷺ قال: «كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة، فدعوتها يوماً، فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره، فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي، قلت: يا رسول الله ادع الله أن يهدِ أم أبي هريرة، فقال: «اللهم اهدِ أم أبي هريرة» فخرجت مستبشرا بدعوة النبي ﷺ فلما صرت على الباب فإذا هو مجاف[5] فسمعت أمي خشف[6] قدمي، فقالت: مكانك يا أبا هريرة، وسمعت خضخضة الماء، فاغتسلت، فلبست درعها، وعجلت عن خمارها، ففتحت الباب، ثم قالت: يا أبا هريرة: اشهد أنّ لا إله إلا الله، واشهد أن محمدا عبده ورسوله، فرجعت إلى رسول

---

(١) الجوبة: الفرجة في السماء. نفس المصدر، ج٥، ٤٦١.

(٢) الأكمة، الرابية. النهاية في غريب الحديث والأثر لأبن الأثير الجزري، تحقيق طاهر الزاوي محمد الطناحي دار إحياء التراث حـ ١ ص ٥٩.

(٣) الضراب، الجبال الصغيرة نفس المصدر حـ ٣، ص ١٥٦.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب الاستسقاء في خطبة الجمعة حـ ٢، ص٤١٣.؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب صلاة الإستسقاء، باب الدعاء في الإستسقاء، ج ٦، ص ١٩٣.

(٥) مجاف، أي مردود، مرقاة ح ٥، ص ٤٥٨.

(٦) خشف: أي صوتهما وقيل حركتهما، مرقاة ح ٥، ص ٤٥٨.

الله ﷺ وأنا أبكي من الفرح، فحمد الله وقال خيرا»[1]. وهذا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يروي خبر تكثير الطعام القليل حتى أنه ليكفي أهل الخندق جميعهم ببركة دعاء المصطفى ﷺ وقد عدّه جابر لرسول الله ﷺ ونفر قليل معه، فكان كثيرا يكفي جيش الخندق.

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: انكفأت إلى امرأتي في يوم الخندق «فقلت: هل عندك شيء! فإني رأيت بالنبي ﷺ خمصاً «جوعاً» شديداً، فأخرجت جراباً فيه صاع من شعير، ولنا بهمة داجن «سمينة» فذبحتها، وطحنت الشعير، حتى جعلنا اللحم في البرمة «القدر» ثم جئت النبي ﷺ فساررته، فقلت: يا رسول الله ذبحنا بهيمة لنا، وطحنت صاعا من شعير، فتعال أنت ونفر معك، فصاح النبي ﷺ «يا أهل الخندق، إن جابر صنع سورا» طعاما «فحي هلا».

فقال رسول الله ﷺ: «لا تنزلنّ برمتكم، ولا تخبزن عجينكم حتى أجيء، وجاء، فأخرجت له عجينا، فبصق فيه، وبارك «دعا بالبركة فيه» ثم عمد إلي برمتنا، فبصق، وبارك، ثم قال: ادعُ خابزة، فلتخبز معك، واقدحي «اغرفي» من برمتكم، ولا تنزلوها، وهم ألف، فأقسم بالله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا، وأن برمتنا لتغط «تفور وتغلي» كما هي، وإن عجيننا ليخبز كما هو»[2].

وقد دعا ﷺ ربه لحاجة أصحابه للماء فكثّره الله، ونبع من بين أصابعه، فعن البراء بن عازب رضي الله عنه، قال كنا مع رسول الله ﷺ أربع عشرة مائة يوم الحديبية، والحديبية بئر، فنزحناها، فلم نترك فيها قطرة، فبلغ النبي ﷺ، فأتاها. فجلس على شفيرها[3] ثم دعا بإناء من ماء، فتوضأ، ثم مضمض، ودعا، ثم صبه

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي هريرة الدوسي رضي الله عنه، ج ١٦، ص ٥١.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق ح ٧، ص ٣٩٥ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الأشربة باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه ح ١٣ ص ٢١٥.

(٣) شفيرها أي طرفها. مرقاة ح ٥ ص ٤٤٩.

فيها، ثم قال دعوها ساعة، فأرووا أنفسهم وركابهم، حتى ارتحلوا»[1].

وعن عبد الله بن مسعود قال: «كنا نعد الآيات[2] بركة، وأنتم تعدونها تخويفاً. كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فقلّ الماء قال: اطلبوا فضلة من ماء فجاءوا بإناء فيه ماء قليل، فأدخل يده في الإناء ثم قال: حيى على الطهور المبارك، والبركة من الله. ولقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل»[3].

بل إن رسول الله ﷺ يخبر بأخبار الغيب التي لا يعلمها إلا نبي يخبره الوحي من الله تعالى، ثم يثمر هذا في إسلام يهودي هو عبدا الله بن سلام رضي الله عنه وقد كان حجة عند يهود، فعن انس رضي الله عنه، قال: سمع عبد الله بن سلام بمقدم رسول الله ﷺ وهو في أرض يخترف[4] فأتى النبي ﷺ فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: فما أول أشراط الساعة، وما أول طعام أهل الجنة، وما ينزع[5] الولد إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال: «أخبرني بهن جبريل آنفا؛ أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب. وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت، وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة نزعت قال: اشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله. يا رسول الله إن اليهود قوم بهت[6] وأنهم أن يعلموا بإسلامي من قبل أن تسألهم يبهتونني، فجاءت اليهود فقال: أي رجل عبد الله فيكم؟ قالوا خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، فقال: ـ أرايتم إن أسلم عبد الله بن سلام؟ قالوا أعاذه الله من ذلك.

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، ح ٧، ص ٤٤١.

(٢) الآيات - المعجزات والكرامات مرقاة ج ٥، ص ٤٥٦.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام ح٦ص٥٨٧.

(٤) يخترف: أي يجتبي من الفواكه. مرقاة ج ٥، ص ٤٤٠.

(٥) ينزع: أي نزع الولد إلى أبيه إذا أشبهه، المعنى وما يشبهه.؟. مرقاة٤٤٢,،٥

(٦) بهت، جمع بهوت من بناء المبالغة، في البهتان وهو الظلم الجائر. مرقاة ٥/ ٤٤٢.

فخرج عبد الله فقال: اشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فقالوا: شرنا وابن شرنا، فانتقصوه. قال هذا الذي كنت أخاف يا رسول الله!.»[1] وأخبر رسول الله بأخبار ما هو كائن إلى يوم القيامة في خطبة من صلاة الفجر حتى غربت الشمس، فعن عمرو بن أخطب الأنصاري، قال: «صلى بنا رسول الله ﷺ يوماً الفجر وصعد المنبر فخطبنا، حتى حضرت الظهر، فنزل فصلى ثم صعد المنبر، فخطبنا، حتى حضرت العصر ثم نزل فصلى، ثم صعد المنبر حتى غربت الشمس، فأخبرنا بما هو كائن إلى يوم القيامة، فأعلمنا أحفظنا»[2]،

وقد شهد الشجر والحجر بنبوة محمد ﷺ، فعن جابر رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا خطب يقوم إلى جذع من جذوع النخل، فلما صنع المنبر وقام عليه سمعوا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار[3]، حتى جاء النبي ﷺ فوضع يده عليه فسكت»[4].

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه عن ﷺ قال: «إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن»[5] وقد أعطي رسول الله ﷺ قوة إبصار وقدرة فيرى الجنّي الذي تفلّت عليه ﷺ وهو قائم يصلى ليفسد عليه صلاته، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ «إن عفريتاً من الجنّ تفلت البارحة ليقطع عليّ صلاتي، فأمكنني الله منه، فأخذته، فأردت أن أربطه على سارية من سواري المسجد حتى تنظروا إليه كلكم، فذكرت دعوة أخي سليمان: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري: كتاب التفسير سورة البقرة، باب قوله من كان عدوا لجبريل ح ٨، ص ١٦٥.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الفتن، باب أخبار النبي ﷺ بما يكون إلى يوم القيامة ج١٨، ص ١٦.

(٣) العشار: وهي الناقة التي أتى عليها من وقت الحمل عشرة أشهر. مرقاة ج٥ ص ٤٤٢.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب الخطبة على المنبر ح ٢، ص ٣٩٧.

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب ا لفضائل، باب فضل نسب النبي ﷺ، ج١٥، ص٣٦.

يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ﴾[1] فرددته خاسئا»[2].

قال شيخ الإسلام: «والنبي ﷺ لما تفلّت عليه العفريت ليقطع عليه صلاته قال فأخذته فذعتّه[3] حتى سال لعابه على يدي وأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد ثم ذكرت دعوة أخي سليمان ـ من أن تسخير الجن خاص بسيدنا سليمان في قوله تعالى: ﴿وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ﴾ فأرسلته أي أطلقته. فلم يستخدم الجن أصلاً، لكن دعاهم إلى الإيمان بالله وقرأ عليهم القرآن وبلغهم الرسالة وبايعهم كما فعل بالإنس»[4].

«وفيه دليل على أن الجنّ موجودون وأنهم قد يراهم بعض الآدميين وأما قول الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ﴾[5] فمحمول على الغالب فلو كانت رؤيتهم محالاً لما قال النبي ﷺ ما قال من رؤيته إياه ومن أنه كان يربطه لينظروا كلهم إليه ويلعب به ولدان أهل المدينة»[6].

وإذا كان الله سبحانه قد سخر الجنّ بل والطير والدواب لنبيه سليمان عليه الصلاة والسلام، فإن نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم قد آثر دعوة الجنّ وهدايتهم وعلم أن غير ذلك قد خصّ الله به أخيه سليمان عليهما الصلاة والسلام.

وهنا يتبين الفرق بين رسالة النبيين محمد وسليمان عليهما الصلاة والسلام وتعاملهما مع الجن، والذي أوتيه نبينا محمد ﷺ أعظم مما أوتيه سليمان ﷺ، فإنه

---

(١) سورة ص ٣٥.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى «ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب». حـ ٦، ص ٤٥٧؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب المساجد باب جواز لعن الشيطان حـ ٨، ص ٢٨.

(٣) فذعته أي خنقته. ودعتّه: أي دفعته دفعاً شديداً، شرح النووي ح ٥، ص ٢٩.

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية، ج١٣، ص ٨٩.

(٥) سورة الأعراف ٢٧.

(٦) شرح النووي على صحيح مسلم، ج ٥، ص ٢٩.

استعمل الجن والإنس في عبادة الله وحده وسعادتهم في الدنيا والآخرة، لا لغرض يرجع إليه إلا ابتغاء وجه الله وطلب مرضاته، و اختار أن يكون عبداً رسولاً على أن يكون نبياً ملكاً. فداود وسليمان ويوسف أنبياء ملوك، وإبراهيم و موسى وعيسى ومحمد رسل عبيد، فهو أفضل كفضل السابقين المقربين على الأبرار أصحاب اليمين»[1].

وهذا عمر رضي الله عنه في زمن خلافته، وهو يسيّر الجيوش شرقاً وغرباً وشمالا، وهو يخطب الجمعة في مدينة الرسول ﷺ تنزل عليه مكرمة، ومكرمات أولياء الرحمن تصديقا لنبوة نبيهم المصطفى رسول الله ﷺ، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما «أن عمر بن الخطاب بعث جيشا أمَّر عليهم رجلا يدعى سارية، قال فبينما عمر يخطب بالناس يوما قال: فجعل يصيح وهو على المنبر يا ساري الجبل يا ساري الجبل، قال: فقدم رسول الجيش فسأله، فقال: يا أمير المؤمنين لقينا عدونا فإذا بصائح يصيح يا ساري الجبل يا ساري الجبل فأسندنا ظهورنا بالجبل فهزمهم الله، فقيل لعمر بن الخطاب إنك كنت تصيح بذلك».

وفي رواية، قال: فأثبتوا ذلك اليوم من هذا الشهر ثم انظروا، وكان بعث سارية في بعث فظفروا بالعدو فحيز إلى الجبل، وقال سارية لما انصرف: بينما نحن نقاتل العدو سمعنا صوتا لا ندري ما هو يا ساري الجبل ثلاثاً فدفع الله عز وجل عنا به فنظروا إلى ذلك اليوم فإذا هو اليوم الذي قال عمر ما قال»[2].

قال شيخ الإسلام: «وعمر رضي الله عنه لما نادى يا سارية الجبل قال إن لله جنوداً يبلغون صوتي. وجنود الله همّ من الملائكة ومن صالحي الجن. فجنود الله بلّغوا

---

(١) الفرقان بين الحق والباطل لابن تيمية ص ١١٣، ١١٤.

(٢) أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للآلكائي، تحقيق د. أحمد سعد حمدان ج٧، ص١٣٣١،، ١٣٣٠

؛ البداية والنهاية لا بن كثير ح ٧، ص ١٣٥. وقال ابن كثير: وهذا إسناد جيد حسن ثم قال بعد جمع طرق الحديث: فهذه طرق يشد بعضها بعضا.

؛ تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء ا لراشدين، للحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق د. عمر عبدالسلام. دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠٧ هـ ص ٢٤٩.

صوت عمر إلى سارية وهو أنهم نادوا بمثل صوت عمر، وإلا نفس صوت عمر لا يصل لنفسه في هذه المسافة البعيدة»[1].

«وهذه الأخبار: منها ما هو في القرآن. ومنها، ما هو متواتر يعلمه العامة والخاصة، كنبع الماء من بين أصابعه، وتكثير الطعام، وحنين الجذع.. ونحن نعلم بموجب العادة الفطرية التي جبل الله عليها عباده، وبموجب ما كان عليه سلف الأمة عن اعتياد الصدق وتحريه، واعتقادهم أن ذلك واجب، ومن شدة توقيهم الكذب على نبيهم وتعظيمهم ذلك.. فنحن نعلم أنهم لم يكونوا يقرّون من يعلمون أنه كذب عليه ﷺ، ومن أخبر عنه بما كانوا مشاهدين له، وكذب عليه، فقد علموا أنه كذب عليه، فلما اتفقوا على الإقرار على ذلك وعلى تناقله بينهم من غير إنكار أحد منهم لذلك. علم قطعا أن القوم كانوا متفقين على نقل ذلك، كما هم متفقون على نقل القرآن والشريعة.. أما ما ينقله كثير من أهل الجهل مثل ما يجعلونه من معجزات الرسول أو غيره، ولا يوجد منقولا عند أهل العلم بأحواله، بل يكذبون ناقله، مثل قول كثير من العامة أن الغمام كان يظله دائماً فهذا لا يوجد في شيء من كتب المسلمين المعروفة عند علمائهم، ولا نقله عالم من علمائهم، بل هو كذب عندهم..

وكذلك ما نقله طائفة من أهل العلم، من أن الشمس ردت لما فاتت علياً صلاة العصر، لكون النبي ﷺ نام في حجره، وجعل بعضهم هذا من المعجزات، وليس هذا الحديث في شيء من كتب المسلمين التي يعتمدون على ما فيها من المنقولات، لا الصحاح ولا المسانيد، ولا التفسير ولا المغازي، ولا السيّر ولا غير ذلك بل بيّن أهل العلم بالحديث أن هذا كذب، و ليس له إسناد واحد صحيح متصل، بل غايته أن يروى عمن لا يعرف صدقه ولم يروه إلا هو مع توفر الهمم والدواعي على نقله، فعلموا أنه كذب، وهذا باب واسع يبين أن علماء المسلمين يميزون في المنقولات بين الصدق والكذب.. وكان عبد الرحمن بن مهدي يقول: أهل العلم يكتبون ما لهم وما عليهم وأهل الأهواء لا يكتبون إلا

---

(١) الفرقان لابن تيمية ص ١١٢.

مالهم»[1]. وهذا دأب الشيعة والصوفية وولعهم بالمكذوب المروي زوراً وبهتاناً، وإعراضهم عن الحق وأهله رفضاً وضلالاً، ويدّعون حباً خلياً عن الطاعة والامتثال!.

ثالثاً ـ أحوال الأنبياء

إن علم الله سبحانه قد أحاط بما كان وما هو كائن، وإن أنبياءه عليهم الصلاة والسلام كانوا محاطين بعلمه وتهيئته لهم؛ فكانوا قدوة بين أقوامهم في تعاملهم وتصرفاتهم قبل النبوة وبعدها، كيف وقد قص الله أخبار بعض أنبيائه في كتابه العزيز فما خفي على المتتبع لأمرهم في القرآن أنهم أهل للرسالة والتحمل في الدعوة والصبر على الإيذاء من أقوامهم. فهذا نوح عليه السلام يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين عاما، ثم لم يؤمن معه إلا قليل ويخاطبه ربه ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾[2] ويأمره ربه بأن يصنع السفينة ويهيئ له حسن إتقان صنعها حتى إذا جاء أمر الله وطغى الماء على اليابسة، كانت تلك السفينة وسيلة نجاة للذين آمنو معه، وحين يسأل الله أن يلحق به ابنه الذي عصاه، ولم يجبه إلى ركوب السفينة، فيخبره الله أنه ليس من أهل الصلاح فلا يستحق أن ينجيه الله مع الذين آمنوا: ثم يعوضه الله هبوطا آمناً وحياة بسلام، ثم يكون أباً للأنبياء من بعده ويكون جداً للبشرية والأمم اللاحقة، وتكون دعوته وجهاده وصبره مع قومه نبراساً لمن جاء بعده من الأنبياء، وهكذا قصص الأنبياء صورة حية لحياتهم ودعوتهم.. أما نبينا محمد ﷺ فإن سيرته وحياته قبل الدعوة و بعدها لا يشك في دلالتها على أنه صاحب رسالة، بل إنه قد جمع له أخلاق الأنبياء وصبرهم وحلمهم مع أقوامهم، بل إن رسالته الكاملة وحفظ الله لوحيه قرآنا وسنة وتبليغ رسوله أنه خاتم الأنبياء والمرسلين، ثم إن صلاح دعوته ورسالته لكل عصر ومصر، وجهاده لإعلاء كلمة الله، ونقل جميع ذلك عبر الأزمان وحفظه، فيطّلع عليه اللاحق وكأنه يعيش مع السلف السابق مراقباً

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ص ٢٢٧، ٢٣٣، ٢٣٥.

(٢) سورة هود آية ٣٥.

لأحوال محمدﷺ في الصدق والوفاء والكرم والشجاعة والورع والخوف من الله، والزهد في الدنيا وحبه لأصحابه، وإيثاره غيره، والعزيمة في الأمر، وإقدامه في المدلهمات، وحبه للشهادة في سبيل الله، فهذه الأمور وغيرها سبراً لأحوالهﷺ في نفسه ومع أصحابه مؤشر ودليل على نبوته وأنه رسول الله وخاتم النبيين لا يعتري ذلك شك ولا توهم إلا عند من زاغت قلوبهم وأفئدتهم وأبصارهم.

وكان محمدﷺ يوصف بالأمين في قومه قبل البعثة، فقد روى أصحاب السيّر في الحديث عن بناء الكعبة وكان عمره خمساً وثلاثين سنة، فبعد هدمها، ثم بنائها «فلما بلغ البنيان موضع الركن، يعني الحجر الأسود، اختصموا فيمن يضعه وحرصت كل قبيلة على ذلك حتى تحاربوا ومكثوا أربع ليال. ثم أنهم اجتمعوا في المسجد ثم اجتمع أمرهم على أن يجعلوا أول داخل للمسجد حكماً فيما بينهم، وبمشيئة الله كان أول من دخل عليهم رسول اللهﷺ، فلما رأوه، قالوا هذا الأمين رضينا به، فلما انتهى إليهم أخبروه الخبر فقال: هاتوا لي ثوباً فأتوا به، فأخذ الركن بيده فوضعه في الثوب، ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم ارفعوا جميعاً ففعلوا، حتى إذا بلغوا به موضعه، وضعه هوﷺ بيده وبنى عليه»[1]

وكانت قريش تدعوه الصادق الأمين وبعد بعثتهﷺ ونزول قوله تعالى ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾[2] أمتثلﷺ أمر ربه وصعد الصفا مبلغا، فعن ابن

---

(١) تاريخ الإسلام - السيرة النبوية - للذهبي، دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠٧ هـ، ص ٦٧، ٦٨، وقد أحال إلى السيّر الآتية.

؛ سيرة ابن هشام ج ١، ص ٢٢١، ٢٢٨.

؛ السيرة والمغازي لابن اسحق ص ١٠٣- ١٠٨.

؛ طبقات ابن سعد ج ١، ص ص ١٤٥، ١٤٦.

؛ تاريخ الطبري ج ٢، ص ٢٨٦ - ٢٩٠.

؛ السيرة لأبن كثير ج ١، ص ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٦ - ٢٨١، وانظر مسند الإمام أحمد ج٣، ص٤٢٥.

(٢) سورة الشعراء آية ٢١٤.

عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي: يا بني فهر يا بني عدي ـ لبطون قريش ـ حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: أرأيتكم لو أخبرتكم إن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟ فقالوا نعم ما جر بنا عليك إلا صدقاً، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟ فنزلت ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾[1]»[2].

لقد خاطبهم رسول الله ﷺ خطاب المنطقيين بعرض المقدمة وقولهم بالتسليم وهو قبولهم صدقه فيما يقول، غير أنهم عادوا في قبولهم عندما عرض عليهم الإسلام وكانوا يهجونه ﷺ ويدعونه بغير اسمه، وقد تعجب منهم ﷺ وكيف يصرف الله عنه شتمهم.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم؟ يشتمون مذمماً ويلعنون مذمماً وأنا محمد»[3] فكان هذا حفظ الله لنبيه ﷺ حتى لا يسوؤه ما يسمعه أصحابه من هجاء النبي بذكر اسمه ﷺ وهم يصفونه بالسحر والكهانة والجنون.

رابعاً: دعوته ﷺ وأحوال أصحابه:

وقد ختم الله بختم النبوة على كتفه فكانت من علامات نبوته حتى إن سلمان الفارسي رضي الله عنه قد استدل بها في إسلامه عندما جاء يبحث عن النبي الذي يظهر في ذلك الزمان.

فعن السائب بن يزيد رضي الله عنه قال: «ذهبت بي خالتي إلى رسول الله ﷺ قالت:

---

(١) سورة المسد آية ١، ٢.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب وأنذر عشيرتك الأقربين ج ٨، ص ٥٠١

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ ج٦، ص ٥٤.

يا رسول الله إن ابن اختي وقع، فمسح رأسي ودعا لي بالبركة وتوضأ فشربت من وضوئه ثم قمت خلف ظهره فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه»[1].

وإذا كان سلمان رضي الله عنه قد آمن برسول الله ﷺ لأنه جاء طالباً للحق والهداية فاراً من عبادة النار التي يؤلهها قومه المجوس[2] فإن ضماد بن ثعلبة الأزدي والذي قدم إلى مكة ليرقي النبي ﷺ وحين سمع كلامه ورأءه آمن وعدل عن تطبيبة ورقيته.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «قدم ضمادُ مكة وهو من أزد شنوءة وكان يرقي من هذه الرياح فسمع سفهاء الناس يقولون إن محمداً مجنون فقال آتي هذا الرجل لعل الله يشفيه على يدي، قال: فلقيت محمداً، فقلت: إني أرقي من هذه الرياح، وإن الله يشفي على يدي من يشاء فهلم. فقال محمد: إن الحمد لله نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله أما بعد: فقال ضماد[3] والله لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء فما سمعت مثل هؤلاء الكلمات فهلم يدك أبايعك على الإسلام، فبايعه رسول الله ﷺ فقال له: «وعلى قومك» قال: وعلى قومي. فبعث النبي ﷺ سرية. فمروا بقوم ضماد. فقال صاحب الجيش للسرية: هل أصبتم من هؤلاء شيئاً؟ فقال رجل منهم: أصبت منهم مطهرة، فقال ردوها عليهم فإنهم قوم ضماد. وفي رواية فقال ضماد: أعد علي كلماتك هؤلاء فقد بلغن قاموس البحر»[4][5].

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري لكتاب المناقب باب ختم النبوة ج٦ص٥٦١.

(٢) مسند الإمام أحمد ج٥، ص ٤٤١، ٤٤٤؛ انظر تاريخ الإسلام للذهبي - السيرة - وقال المحقق رجاله ثقات وإسناده قوي، ص ٩٥ - ١٠٢.

(٣) هو ضماد بن ثعلبة الأزدي. من أزد شنوءة، وكان رجلاً يتطبب ويرقي ويطلب العلم. الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ج٢، ص ٢١٠؛ وانظر تاريخ الإسلام للذهبي - السيرة - ص ١٩٦.

(٤) قاموس البحر: قال النووي: هو المشهور في روايات الحديث في غير صحيح مسلم، وقال أبو عبيدة: قاموس البحر وسطه. وقال بن دريد: لجته وقال صاحب كتاب العين قعره الأقصى، وقاموس البحر لجته التي تضطرب أمواجها ولا تستقر مياهها وهي لفظة عربية صحيحة. شرح النووي ج٦ ص١٥٧.

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الجمعة، باب صلاة الجمعة وخطبتها، ج٦، ص ١٥٦ .

بل إن رسول الله ﷺ قد أخبر عن رجل من التابعين وكان عابدا لله باراً بأمه، وهذا الذي جاء لينادي به محمد ﷺ إخلاصاً لله وإتباعاً لرسول الله ﷺ.

فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، إن رسول الله ﷺ قال: «إن رجلاً يأتيكم من اليمن يقال له أويس، لا يدع باليمن غير أم له وقد كان به بياض، فدعا الله فأذهبه إلا موضع الدينار أو الدرهم، فمن لقيه منكم فليستغفر لكم.

وفي رواية قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن خير التابعين رجل يقال له: أويس وله والدة، وكان به بياض، فمروه فليستغفر لكم»[1] فكان من حرصه على زيادة أجور وحسنات أصحابه من بعده أن دلهم على خير التابعين وهم الذين لقوا أصحابه رضي الله عنهم ولم يروه ﷺ، ثم أمرهم بأن يسألوه الاستغفار لهم، وهنا يتضح أمران:

١ ـ حرصه ﷺ على ما يصلح أحوال أمته مثل الاستغفار والدعاء بظهر الغيب.

٢ ـ إن إخباره ﷺ بأويس رحمه الله معجزة لا تكون إلا لنبي يخبره الوحي من الله.

وإن جوده وسخاءه ﷺ قد اشتهر وظهر مما جعل أقواماً يسلمون ولم يروه ولم يدعهم بنفسه، وقد كان المرء يسلم لأجل المال والعطاء فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها، وهذا من الحكمة في شريعة الإسلام فإن المؤلفة قلوبهم أحد الأصناف الثمانية التي تصرف لهم الزكاة فعن أنس رضي الله عنه قال: «إن رجلاً سأل النبي ﷺ غنماً بين جبلين فأعطاه إياها فأتى قومه قال أي قوم أسلموا فوالله أن محمداً ليعطي عطاء ما يخاف الفقر، فقال أنس: إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها»[2].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أويس، ج ١٦، ص ٩٤، ٩٥.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الفضائل، باب سخائه ﷺ ج ١٥، ص ٧٢.

وعن ابن شهاب قال: «غزا رسول الله ﷺ غزوة الفتح فتح مكة ثم خرج رسول الله ﷺ بمن معه من المسلمين فاقتتلوا بحنين فنصر الله دينه والمسلمين وأعطى رسول الله ﷺ يومئذ صفوان بن أمية مائة من النعم ثم مائة ثم مائة، قال بن شهاب حدثني سعيد بن المسيب أن صفوان قال: والله لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني وإنه لأبغض الناس إليّ فما برح يعطيني حتى إنه أحب الناس إليّ»[1].

وإذا كان هذا حال المصطفى ﷺ في جوده وكرمه فإنه ﷺ كان زاهداً في هذه الدنيا وعرضها الزائل، وقد كان هذا حال الأنبياء والرسل من قبل يبذلون الخير للناس ويصبرون على الأذى ولا يريدون جزاءاً ولا شكورا، ويخرجون الناس من عبادة الأصنام والعباد إلى عبادة رب العباد، ومن الظلمات إلى النور، فهذا أول الرسل نوح عليه الصلاة والسلام. يقول لقومه: ﴿ويٰقوم لا اسئلكم عليه مالا إن اجرى إلا على الله[2].

وكان هذا حال هود وصالح ولوط وشعيب ﷺ وكل منهم يقول لقومه: ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾[3].

وهذا آخر الرسل وخاتمهم محمد ﷺ يأمره الله بقوله تعالى: ﴿مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾[4] أي إن هذا البلاغ وهذا الإنذار بلا أجرة أطلبها من أموالكم وإنما أفعل ذلك ابتغاء وجه الله وطريقاً ومسلكاً ومنهجاً يقتدى فيها بما جئت به»[5].

وإن لنا في أسلام أبي ذر الغفاري رضي الله عنه لعبرة بقوة هذا الدين وبيان لحال النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، وكيف تحملوا المشاق لبلوغ رؤية النبي ﷺ، وكيف يعلن بعضهم إسلامه مع علمه بما سيترتب على ذلك، وما ذاك إلا إيماناً عميقاً وتوكلاً

---

(١) نفس المصدر ج ١٥، ص ٧٣.

(٢) سورة هود أية ٢٩.

(٣) سورة الشعراء أية ١٢٧، ١٤٥، ١٦٤.

(٤) سورة الفرقان آية ٥٧.

(٥) تفسير ابن كثير ج ٣، ص ٢٧٨.

على الله وحباً في الشهادة، و هذا دلالة من دلائل النبوة ويدل على هذا أيضا عودة أولئك النفر إلى أقوامهم فيدعونهم إلى الإسلام فيسلمون ولم يروا النبيﷺ، فعن بن عباسرضي الله عنهما قال: «لما بلغ أبا ذر مبعث النبيﷺ قال لأخيه: اركب إلى هذا الوادي فاعلم لنا علم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي يأتيه الخبر من السماء، واسمع من قوله ثم ائتني. فانطلق الأخ حتى قدمه وسمع من قوله، ثم رجع إلى أبي ذر فقال له: رأيته يأمر بكرم الأخلاق، وكلام ما هو بالشعر، فقال: ما شفيتني مما أردت. فتزود وحمل شنة له فيها ماء حتى قدم مكة، فأتى المسجد فالتمس النبيﷺ ولا يعرفه، وكره أن يسأل عنه، حتى أدركه بعد الليل. فرآه عليّ فعرف أنه غريب، فلما رآه تبعه، فلم يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء حتى أصبح، ثم احتمل قربته وزاده إلى المسجد، وظل ذلك اليوم ولا يراه النبيﷺ فعاد إلى مضجعه، فمر به علي فقال: أما نال الرجل أن يعلم منزله، فأقامه، فذهب به معه، لا يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء، حتى إذا كان اليوم الثالث فعاد علي على مثل ذلك، فأقام معه ثم قال: ألا تحدثني ما الذي أقدمك؟ قال: إن أعطيتني عهداً وميثاقاً لترشدني فعلت، ففعل، فأخبره، قال: فإنه حق، وهو رسول اللهﷺ، فإذا أصبحت فاتبعني، فإني إن رأيت شيئاً أخاف عليك قمت كأني أريق الماء، فإن مضيت فاتبعني حتى تدخل مدخلي ففعل، فانطلق يقفوه، حتى دخل على النبيﷺ، ودخل معه فسمع من قوله وأسلم مكانه. فقال له النبيﷺ ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري. قال: والذي نفسي بيده لأصرخنّ بها بين ظهرانيهم. فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته: اشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله ثم قام القوم فضربوه حتى أوجعوه. وأتى العباس فأكب عليه قال: ويلكم ألستم تعلمون أنه من غفار، وأن طريق تجاركم إلى الشام عليهم؟ فأنقذه منهم ثم عاد من الغد لمثلها فضربوه وثاروا إليه فأكب العباس عليه»[1].

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار باب إسلام أبي ذر الغفاريرضي الله عنه ج ٧، ص ١٧٣؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب فضائل الصحابة باب فضائل أبي ذر الغفاريرضي الله عنه ج ١٦، ص ٣٢.

وفي رواية لمسلم عن عبد الله بن الصامت رضي الله عنه عن أبي ذر رضي الله عنه قال: «ثم أتيت رسول الله ﷺ فقال: إنه قد وجهت لي أرض ذات نخلٍ لا أراها إلا يثرب فهل أنت مبلغ عني قومك عسى الله أن ينفعهم بك ويأجرك فيهم، فأتيت أنيساً فقال: ما صنعت؟ قلت: صنعت إني قد أسلمت وصدّقت. قال: ما بي رغبة عن دينك فإني قد أسلمت وصدّقت فأتينا أمّنا. فقالت: ما بي رغبة عن دينكما فإني قد أسلمت وصدقت فاحتملنا حتى أتينا قومنا غفارا فأسلم نصفهم وكان يؤمهم إيماء بن رحضة الغفاري وكان سيدهم، وقال نصفهم إذا قدم رسول الله ﷺ المدينة أسلمنا، فقدم رسول الله ﷺ المدينة فأسلم نصفهم الباقي وجاءت أسلمُ فقالوا يا رسول الله أخوتنا نسلم على الذي أسلموا عليه فأسلموا. فقال رسول الله ﷺ غفار غفر الله لها وأسلم سالمها الله»[1].

وهذا دليل ناصع ساطع على حجية خبر الواحد الثقة، كيف وقد بلّغهم أبو ذر فصدقوه وآمنوا واعتنقوا الإسلام ولم يروا النبي ﷺ ولم يرحلوا عن ديارهم وإن إسلام تلك الجزر في شرق قارة أسيا مثل جزر أند ونسيا وماليزيا والمالديف وغيرها ولم يبلغهم الإسلام إلا عن طريق تجار أفراد حاملين معهم خُلق الإسلام وعدالة الإسلام، فأسلموا لأنه دين الفطرة الذي يخاطب القلوب والعقول فلا تعارض فيه بين النقل الصحيح والعقل الصريح بعكس غيره من الأديان المحرفة، وإن إسلام النجاشي ملك الحبشة عندما هاجر إلى بلاده المستضعفون من أتباع محمد ﷺ وهو في مكة هرباً من إيذاء قريش للدعوة والدعاة والمستضعفين، فعندما تبين له حقيقة الإسلام وأنه حق من عند الله أسلم وحمى أولئك الذين هاجروا بدينهم وقد صلى عليه رسول الله ﷺ صلاة الغائب عندما بلغه خبر موته ودعى له. وقد وقع ما أُخبر به أبو سفيان من أنه ﷺ سيملك موضع قدمي هرقل وهذا ما حدث فكانت دولة الخلافة العثمانية في بلاد الأناضول، فقد «أعمل هرقل ملك الروم عقله وفكره وعلمه بأحوال الرسل وصفاتهم فاهتدى إلى أن محمداً مرسل من ربه، ولكنه لم يؤمن ضناً بملكه، وكان رسول الله ﷺ قد أرسل

---

(١) صحيح مسلم شرح النووي كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي ذر الغفاري رضى الله عنه ج ١٦، ص ٣٠ عن عبد الله بن الصامت رضي الله عنه.

إلى ملوك الأرض في عصره يدعوهم إلى الإسلام. وكان هرقل ملك الروم من هؤلاء الذين أُرسل إليهم، فلما جاءه كتاب رسول الله ﷺ طلب من كان هناك من العرب، وكان أبو سفيان قد قدم في طائفة من قريش في تجارة إلى الشام»[1].

فعن عبيد بن عبد الله بن عتبه بن مسعود أن عبد الله بن عباس اخبره أن أبا سفيان بن حرب أخبره «أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش وكانوا تجاراً بالشام في المدة التي كان رسول الله ﷺ مادّ فيها أبا سفيان وكفار قريش، فأتوه وهم بإيلياء[2] فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم، ثم دعاهم ودعى بترجمانه، فقال أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان: فقلت أنا أقربهم نسباً. فقال: أدنوه مني وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره. ثم قال لترجمانه: قل لهم إني سائل هذا الرجل، فإن كذبني فكذبوه. فوالله لو لا الحياء من أن يأثروا علي الكذب لكذبت عنه. ثم كان أول ما سألني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب. قال فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ قلت لا. قال: فهل كان من آبائه من ملك؟ قلت: لا. قال: فأشراف الناس يتبعونه أم الضعفاء فيهم؟ فقلت بل ضعفاؤهم. قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت بل يزيدون. قال: فهل يرتد أحد منهم سخطه لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا. قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال: قلت لا. قال: فهل يغدر؟ قلت: لا. ونحن منه في مدّة لا ندري ما هو فاعل فيها. قال ولم تمكنني كلمه أُدخل فيها شيئا غير هذه الكلمة. قال: فهل قاتلتموه؟ قلت نعم. قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قلت: الحرب بيننا وبينهم سجال ينال منا وننال منه. قال: ماذا يأمركم؟ قلت: يقول أعبدوا الله و حده ولا تشركوا به شيئا، واتركوا ما يقول آباءكم ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة. فقال للترجمان: قل له سألتك عن نسبه، فذكرت أنه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها. وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول؟ فذكرت لا. فقلت لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يأتسي بقول قيل قبله.

---

(١) الرسل والرسالات، د. عمر الأشقر، ص ١٩٨.

(٢) إيلياء: قال ابن حجر: أي بيت الله، قرية من قرى الشام. فتح الباري، ج١، ص ٣٤.

وسألتك هل كان من آبائه من ملك؟ فذكرت أن لا ، فقلت فلو كان من آبائه من ملك قلت رجل يطلب ملك أبيه، وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فذكرت أن لا ، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله، وسألتك أشراف الناس يتبعوه أم ضعفاؤهم؟ فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه وهم أتباع الرسل. وسألتك أيزيدون أم ينقصون؟ فذكرت أنهم يزيدون، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم وسألتك أيرتد أحد سخطه لدينه بعد أن يدخل فيه، فذكرت أن لا ، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب. وسألتك هل يغدر؟ فذكرت أن لا ، وكذلك الرسل لا تغدر. وسألتك بما يأمركم؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وينهاكم عن عبادة الأوثان ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف، فإن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين. وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت قدمه.

ثم دعا بكتاب الرسول ﷺ الذي بعث به دحية إلى عظيم بصرى، فدفعه إلى هرقل، فقرأه، فإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم. سلام على من اتبع الهدى.

أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتيك الله أجرك مرتين. فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين و﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾[1].

قال أبو سفيان: فلما قال ما قال، وفرغ من قراءة الكتاب، كثر عنده الصخب، وارتفعت الأصوات، وأخرجنا. فقلت لأصحابي حين أخرجنا: لقد أَمِرَ

---

(١) سورة آل عمران آية ٦٤.

ـ علا شأنه ـ أمرُ ابن أبي كبشة، إنه يخافه ملك بني الأصفر. فما زلت موقناً أنه سيظهر حتى أدخل اللهُ عليّ الإسلام.. وسار هرقل إلى حمص، فلم يرم حمص حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأي هرقل على خروج النبيﷺ وأنه نبي، فأذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة له بحمص، ثم أمر بأبوابها فغلقت، ثم أطّلع فقال: يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد وإن يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي؟ فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد أغلقت، فلما رأى نفرتهم وأيس من الإيمان، قال: ردوهم عليّ. وقال: إني قلت مقالتي آنفاً أختبر بها شدتكم على دينكم فقد رأيت. فسجدوا له ورضوا عنه فكان ذلك آخر شأن هرقل»[1].

والفضل ما نطقت به الأعداء، وإن هذا درس لأبناء المسلمين الذين يفضلون قيم ومبادئ الغرب أو الشرق على شريعة محمدﷺ ولكن العزاء في قوة وصمود هذا الدين ونصرة رب العالمين لدينه وكتابه وسنة نبيهﷺ فها هو هرقل كان يتمنى لو أعلن إسلامه بل طلب من قومه ذلك لعلمه بحقيقة وعظمة الإسلام.

حال الخضر عليه السلام:

وهو الذي جاء ذكره في سورة الكهف، معلماً لموسى عليه السلام، وأخبر الله أنه عبد صالح عنده علم لدنّي من الله، وهذا لا يكون إلا لنبي لأن ذلك يقتضي وحياً، وعلم الله لا يكون إلا على أيدي أنبيائه ورسله، ولأنه يقتضي تشريعاً وبيان حلال وحرام. وهذا ما كان حين قتل الغلام وخرق السفينة وبنى جداراً منقضاً من غير أجر، وقد استدل من قال بنبوته من العلماء على نبوته بما يلي:

أولاً ـ إنه صاحب علم لدنيّ، ورحمة من الله.

ثانياً ـ إن موسى اتبعه وهو نبي معصوم، فكيف يتبع المعصوم من كان غير معصوم ويتعلم منه؟ إلا أن يكون نبياً مثله.

ثالثاً ـ إن الخضر قتل الغلام وأفسد السفينة على قوم مساكين، وهذا

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب بدء الوحي، ج١، ص ٣١.

مخالف لما جاءت به الشرائع السماوية إلا أن يكون أمراً من الله سبحانه. وهو ما ذكره الخضر بعد أن أخبر موسى تفسير ما أقـدم عليه فقال ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِيۚ﴾[1] وفي الصحيح عن كعب «إن الغلام الذي قتله الخضر طبع كافراً ولو عاش لأرهق أبويه طغياناً وكفراً»[2].

رابعاً: ـ قال أبن كثير في تفسير الآية: «أي هذا الذي فعلته في هذه الأحوال الثلاثة إنما هو من رحمة الله بمن ذكرنا من أصحاب السفينة ووالدي الغلام وولدي الرجل الصالح وما فعلته عن أمري أي لكنني أمرت به ووقفت عليه، وفيه دلاله لمن قال بنبوة الخضر عليه السلام، وقال آخرون كان رسولا.. وذهب كثيرون إلى انه لم يكن نبيا بل كان ولياً فالله أعلم»[3].

خامساً: ورد أن عدد الأنبياء مائة ألف ونيفا ولم يذكر منهم ويعلم اسمه إلا القليل، كيف وقد ذكر الله الخضر في عدد من آيات القرآن.

«ومن قال إنه نبي، قال هو كإلياس نبي لكنه لم يوح إليه في كل الأوقات، وترك الوحي إليه في مدة معينة ليس نفياً لحقيقة النبوة.

وأكثر العلماء على انه لم يكن نبياً، مع إن نبوة من قبلنا يقرب كثيرا منها من الكرامة والكمال في الأمة. وإن كان كل واحد من النبيين أفضل من كل واحد من الصديقين كما رتبه القرآن»[4].

ومن أظهر الأدلة في أن الرحمة والعلم اللدنّي[5] الذين أمتن الله بهما على عبده الخضر عن طريق النبوة والوحي قوله تعالى ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِيۚ﴾ أي وإنما

---

(١) سورة الكهف ٨٢.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب القدر، باب كل مولد يولد على الفطرة ج١٦، ص ٢١١.

(٣) تفسير أبن كثير ج ٣، ص ٨٨.

(٤) مجموع فتاوي ابن تيمية ج ٤، ص ٣٣٨.

(٥) العلم اللدنّي: هو ما علمّه الله عبده الخضر من علم الغيب والذي ستأثره به. فتح القدير للشوكاني، ج٣، ص ٢٩٩.

فعلته عن أمر الله جل وعلا. وأمر الله إنما يتحقق عن طريق الوحي، إذ لا طريق تعرف بها أوامر الله ونواهيه إلا الوحي من الله جل وعلا. ولا سيما قتل الأنفس البريئة في ظاهر الأمر، وتعييب سفن الناس بخرقها، لأن العدوان على أنفس الناس وأموالهم لا يصح إلا عن طريق الوحي من الله تعالى. فإن قيل قد يكون ذلك عن طريق الإلهام؟ فالجواب ـ إن المقرر في الأصول أن الإلهام من الأولياء لا يجوز الاستدلال به على شيء؛ لعدم العصمة وعدم الدليل على جواز الاستدلال به بل ولوجود الدليل على عدم جواز الاستدلال به، وما يزعمه بعض المتصوفة من جواز العمل بالإلهام في حق الملهم دون غيره، وما يزعمه بعض الجبرية أيضا من الاحتجاج بالإلهام في حق الملهم وغيره جاعلين الإلهام كالوحي المسموع،.. كله باطل لا يعول عليه؛ لعدم اعتضاده بالدليل، وغير المعصوم لا ثقة بخواطره؛ لأنه لا يأمن دسيسة الشيطان. وقد ضمنت الهداية في اتباع الشرع، ولم تضمن في اتباع الخواطر والإلهامات.

والإلهام: هو إيقاع شيء في القلب يثلج له الصدر من غير استدلال بوحي ولا نظر في حجة عقلية، يختص الله به من يشاء من خلقه. أما ما يلهمه الأنبياء مما يلقيه الله في قلوبهم فليس كإلهام غيرهم؛ لأنهم معصومون بخلاف غيرهم»(١).

وقد ذهب بعض العلماء إلى القول بأن الخضر حي لم يمت، قال النووي: «جمهور العلماء على أنه حي موجود بين أظهرنا وذلك متفق عليه عند الصوفية وأهل الصلاح والمعرفة وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به والأخذ عنه وسؤاله وجوابه ووجوده في المواضع الشريفة، ومواطن الخير أكثر من أن يحصر وأشهر من أن يستر، وقال الشيخ عمرو بن الصلاح؛ هو حي عند جماهير العلماء والصالحين والعامة معهم في ذلك. قال: وإنما شذ بإنكاره بعض المحدثين»(٢).

وخالفهم ابن كثير ورد عليهم في تفسيره فقال: «ذكر النووي وغيره في كونه

---

(١) أضواء البيان للشيخ الشنقيطي، ج ٤، ص ١٧٥، ١٧٦.

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي، ج ١٥، ص ١٣٥، ١٣٦.

باقياً إلى الآن ثم إلى يوم القيامة قولين ومال هو وابن الصلاح إلى بقائه وذكروا في ذلك حكايات وأثاراً عن السلف وغيرهم وجاء ذكره في بعض الأحاديث، ولا يصح شيء من ذلك، وأشهرها حديث التعزية وإسناده ضعيف. ورجح آخرون من المحدثين وغيرهم خلاف ذلك، واحتجوا بقوله تعالى ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾[1] وقد استدل بهذه الآية الكريمة من ذهب من العلماء إلى أن الخضر عليه السلام مات وليس بحي إلى الآن لأنه بشر سواء كان ولياً أو نبياً أو رسولاً.

وقال النبي ﷺ يوم بدر: «اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض»[2]. ولأنه لم ينقل أنه جاء إلى رسول الله ﷺ ولا حضر عنده ولا قاتل معه. ولو كان حياً لكان من أتباع النبي ﷺ وأصحابه لأنه عليه الصلاة والسلام كان مبعوثاً إلى جميع الثقلين الجن والإنس وقد قال ﷺ: «لو كان موسى وعيسى حيين لما وسعهما إلا اتباعي»[3].

ثم إنه ﷺ أخبر قبل موته بقليل أنه لا يبقي ممن هو على وجه الأرض إلى مائة سنة من ليلته تلك عين تطرف إلى غير ذلك من الدلائل»[4].

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: صلى رسول الله ﷺ ذات ليلة العشاء في آخر حياته فلما سلم قام فقال «أرأيتم ليلتكم هذه فإن على رأس مئة سنة لا يبقى مما على ظهر الأرض أحد»[5].

وقال أبن كثير في البداية والنهاية: «وتلك العصابة كان تحت لوائها سادة المسلمين يومئذ وسادة الملائكة حتى جبريل عليه السلام كما قال حسان بن ثابت في قصيدة له في بيت يقال إنه أفخر بيت قالته العرب:

---

(١) سورة الأنبياء ٣٤.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب ما قيل في درع النبي صلى الله عليه وسلم والقميص في الحرب، ج ٦، ص ٩٩ صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الجهاد، باب الإمداد بالملائكة في بدر، ح ١٢، ص ٨٤.

(٣) مسند الإمام أحمد، ح ٣، ص ٣٨٧ وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح جـ ١ ص ١٨٠.

(٤) تفسير بن كثير، ح ٣،ص ٨٨.

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب العلم باب السمر في العلم، ح١، ص ٢١١.

وثـبـيـر بـدر إذا يـرد وجـوهـهـم   جـبـريـل تـحـت لـوائـنـا ومـحـمـد

ولو كان الخضر حياً لكان وقوفه تحت هذه الراية أشرف مقاماته وأعظم غزواته: قال ابن الجوزي: فهذه الأحاديث الصحاح تقطع دابر دعوى حياة الخضر»[1].

وعندما سئل شيخ الإسلام «عن الخضر وإلياس: هل هما معمران؟ قال.. إنهما ليسا في الأحياء؛ ولا معمران؛ وقد سأل إبراهيم الحربي أحمد بن حنبل عن تعمير الخضر وإلياس، وأنهما باقيان يريان ويروى عنهما، فقال الإمام احمد: من أحال على غائب لم ينصف منه؛ وما ألقى هذا إلا الشيطان وسئل البخاري عن الخضر وإلياس: هل هما في الأحياء؟ فقال: كيف يكون هذا وقد قال النبي ﷺ: لا يبقى على رأس مائة سنة من هو على وجه الأرض أحد.

وقال أبو الفرج بن الجوزي قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾، ليس هما في الأحياء»[2].

ويؤيد ما تقدم القول في إثبات عدم حياة الخضر، قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾[3] فإن الله أخذ العهد على الأنبياء الإيمان بمحمد ﷺ واتباعه وغير الأنبياء أولى وحيث أن الخضر لم يكن حياً فإنه لم يُذكر إيمانه ومجيئه إلى محمد ﷺ

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال «ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه الميثاق لأن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه»[4].

(١) البداية و النهاية، ج ١، ص ٣١٢، ٣١٣.
(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية، ح ٤، ص ٣٣٧.
(٣) سورة آل عمران ٨١.
(٤) السيرة النبوية لابن هشام، دار الجيل بيروت، تحقيق طه عبدالرؤف سعد ١٤١١ هـ، ح٢، ص٦٤، ٦٥.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ وسلم قال: «والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني»[1].

قال ابن كثير: «وهذا الذي يقطع به ويعلم من الدين علم الضرورة، وقد دلت عليه هذه الآية الكريمة فدل على أنه ﷺ الإمام الأعظم والرسول الخاتم المبجل المقدم صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين. فإذا علم هذا وهو معلوم عند كل مؤمن علم أنه لو كان الخضر حياً لكان من جملة أمة محمد ﷺ وممن يقتدي بشرعه لا يسعه إلا ذلك»[2].

«وقد فتح القول بحياته باباً للخرافة والدجل.. ويروون في ذلك حكايات غريبة يأباها العقل السليم!»[3].

خامساً: بشارات الأنبياء

أنزل الله تعالى كتابه معجزة لنبيه وخاتم رسله محمد ﷺ، ثم اخبر سبحانه بتمام الدين وختم الرسالات، وفي كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل يبين سبحانه بشارة نبيه محمد ﷺ في الكتب المنزلة من قبل، بل ويلزم الأنبياء وأتباعهم الإيمان بما جاء به محمد ﷺ، وإن هذا موجود في كتبهم المنزلة فيما جاءهم من الوحي، بل إن الله أخبر عن التحريف الذي نال تلك الكتب بما فيها التوراة والإنجيل التي أنزلتا على بني إسرائيل يهوداً ونصارى. قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾[4] ثم يخبر سبحانه وتعالى تكذيب اليهود والنصارى بما جاء به

؛ الإصابة لأحمد بن حجر العسقلاني، دار الجيل بيروت تحقيق على محمد البيجاوي ١٤١٢ هـ، ح ٢، ص ٣٠٠.

(١) حم ح ٣، ص ٣٨٧ وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح حـ ١ ص ١٨٠.

(٢) البداية والنهاية حـ١، ص ٣١٢.

(٣) الرسل والرسالات د - عمر الأشقر، ص ٢٤.

(٤) سورة آل عمران آية ٨١.

أنبياؤهم وما كان يجب أن يؤمنوا به من التصديق والإيمان بمحمدﷺ وبرسالته. فقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾[1].

ثم قال سبحانه و تعالى عن المنصفين من النصارى ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾[2] ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا﴾[3] وهم الذين يؤتيهم الله أجرهم مرتين.

قال شيخ الإسلام: «ثم العلم بأن الأنبياء قبله بشروا به يعلم بوجوه: أحدها: ما في الكتب الموجودة اليوم بأيدي أهل الكتاب من ذكره. الثاني: إخبار من وقف على تلك الكتب وغيرها، من كتب أهل الكتاب ممن أسلم، ومن لم يسلم، بما وجدوه من ذكره بها.

وهذا مثل ما تواتر عن الأنصار أن جيرانهم من أهل الكتاب، كانوا يخبرون بمبعثهﷺ، وأنه رسول اللهﷺ وأنه موجود عندهم وكانوا ينتظرونه، وكان هذا من أعظم ما دعا الأنصار إلى الإيمان به لما دعاهم إلى الإسلام حتى آمن الأنصار وبايعوه من غير رهبة ولا رغبة. ولهذا قيل إن المدينة فتحت بالقرآن لم تفتح بالسيف كما فتح غيرها، وذلك لإطلاعهم على كتب أهل الكتاب وشهادة من اطلع عليها وهذا هو الوجه الأول والثاني.

الوجه الثالث: -

نفس إخباره في القرآن بذلك مرة بعد مرة واستشهاده بأهل الكتاب وإخباره بأنه مذكور في كتبهم مما يدل العاقل أنه كان موجوداً في كتبهم.

---

(١) سورة البقرة آيات ٨٩ - ٩٠.

(٢) سورة المائدة آية ٨٣.

(٣) سورة القصص آية ٥٢، ٥٣.

فلو لم يعلم أنه مكتوب عندهم بل علم ذلك، لامتنع أن يخبر بذلك مرة بعد مرة ويستشهد به ويظهر ذلك لموافقيه ومخالفيه..

الوجه الرابع: ـ

لما قامت الأعلام على صدقه، فقد أخبر أنه مكتوب في الكتب المتقدمة وأن الأنبياء بشروا به، عُلم أن الأمر كذلك وقد أستخرج غير واحد من العلماء من الكتب الموجودة الآن في أيدي أهل الكتاب من البشارات بنبوته مواضع متعددة، وصنفوا في ذلك مصنفات.

الوجه الخامس: ـ

أن يقال معلوم أن ظهور دين محمدﷺ في مشارق الأرض ومغاربها، أعظم حادث في الأرض، فلم يعرف قط دين انتشر ودام كانتشاره ودوامه»[1].

بشارات الأنبياء بمحمد صلى الله عليه وسلم في القرآن: ـ

حكى الله أقوال أنبيائه في كتابه العزيز مبشرين وداعين الله بإرسال رسول من أم القرى. كما قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام حين رفع القواعد من البيت الحرام ومعه ابنه إسماعيل عليه السلام وهما يدعوان الله في تقبل إسلامهما وأن يرسل رسولاً من ذريتهما يعلمهم القرآن والحكمة النبوية.

قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[2].

بل إن الله سبحانه قد ربط بين منابع آخر الرسالات الثلاث وأقسم بها والله يقسم بما شاء وقوله الحق سبحانه إذ يقول تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾[3].

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لأبن تيمية ح ٣،ص ٢٨٣، ٢٩٢، ٢٩٣.

(٢) سورة البقرة آية ١٢٨، ١٢٩.

(٣) سورة التين آية ١، ٢، ٣.

فأقسم بالتين والزيتون، وهي الأرض المقدسة «وهي فلسطين» التي ينبت فيها التين والزيتون، ومنها بعث المسيح وأنزل عليه الإنجيل وأقسم بطور سيناء، وهو الجبل الذي كلم الله فيه موسى، وناداه من واديه الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة، وأقسم بالبلد الأمين وهي مكة، البلد الذي أسكن إبراهيم ابنه إسماعيل وأمه فيه، وهو الذي جعله الله حرماً آمناً، ويتخطف الناس من حوله، وجعله آمناً، خلقا وأمراً، قدراً وشرعاً فإن إبراهيم حرمه ودعا لأهله؛ فقال: ﴿رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾[1].

أما موسى عليه السلام فقد ذكر الله سبحانه في كتابه الكريم ما أخبر به عن نبيه محمد ﷺ في كتبهم المنزلة، التوراة والزبور والإنجيل وبشر بدينه الإسلام. فقال تعالى: ﴿۞ وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ۝١٥٦﴾[2].

وقال الله تعالى مبينا في كتابه الزبور بالبشارة بدين الإسلام مذكراً بصالح من اتبعه فقال ﴿وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ۝١٠٥﴾[3].

أما عيسى عليه الصلاة والسلام فقد أعزه الله بالقرآن ونبي الهدى والفرقان محمد ﷺ فإن عيسى عليه السلام قد ظلم حياً وميتاً ولم تشوه صورة نبي مثل ما حصل لعيسى من اليهود والنصارى، فبرأه الله مما قالوا وأظهر حياته وبين منزلته عند ربه ليرفعه مقاماً عليا، أما النصارى فقد عدوه ثالث ثلاثة بل إنهم قالوا: إن الله هو المسيح ابن مريم غير إن القرآن بين أنه عبد الله ورسوله وأن اليهود لم يقتلوه أو يصلبوه وكونه شبه لهم فهذه تبرئة وإعلاء لنبيه مما ألحقوا به من صفات الألوهية

(١) سورة إبراهيم آية ٣٧.
(٢) سورة الأعراف آية ١٥٦، ١٥٧.
(٣) سورة الأنبياء آية ١٠٥.

التي تشارك الله في صفاته، وبعد موته في ظنّهم السيئ عدُّوه مصلوباً فعبدوا الصليب!.

وقد بشّر عيسى عليه السلام بمحمد ﷺ فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾[1] وقد أخبرنا المصطفى ﷺ أن اسمه أحمد ومحمد، فعن جبير بن مطعم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن لي أسماء، أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب»[2].

ثم بين الله وصفاً للمؤمنين وقد ذكرهم في كتابي التوراة والإنجيل فيجمع الله في آية من كتاب الله وصف محمد ﷺ وأمته، في ثلاثة من كتب الوحي وهي القرآن والتوراة والإنجيل ويضرب الله الأمثال.

قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾[3].

شهادات الأنبياء في الكتب السابقة.

تتعدد دلائل نبوة المصطفى ﷺ، حتى إنها لتكون بين أيدي منكري نبوته من أهل الكتاب وإن أصابها التحريف والتأويل، وعقلها المنصفون على ندرتهم، «فمن دلائل نبوته التي استدل بها أهل الكتاب على صحة نبوته ما وجدوا في التوراة والإنجيل وسائر كتب الله المنزلة، من ذكره ونعته وخروجه بأرض العرب،

---

(١) سورة الصف ٦.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الفضائل، باب اسمائه ﷺ ح١٥، ص ١٠٤.

(٣) سورة الفتح آية ٢٩.

وإن كان كثير منهم قد حرّفوها عن مواضعها»[1]

وإن يطال التحريف تلك الكتب السماوية، فإن قدرة الله أحكم الحاكمين والعدل العظيم في بيان الحق وأصحابه لقوي مبين.

وهنا يحكي شمعون البشارة بمحمدﷺ، فقال: «جاء الله بالبينات من جبال فاران وامتلأت السماوات والأرض من تسبيحه وتسبيح أمته». فهذا تصريح بنبوة محمدﷺ الذي جاء بالنبوة من جبال فاران وامتلأت السماوات والأرض من تسبيحه وتسبيح أمته.

ولم يخرج أحد قط، وامتلأت السماوات والأرض من تسبيحه وتسبيح أمته، مما يسمى «فاران» سوى محمدﷺ، فإن المسيح لم يكن بأرض فاران البتة، وموسى إنما كلم من الطور، والطور ليس من أرض فاران ومن ذلك ما في التوراة التي بأيديهم في السفر الأول منها، وهي خمسة أسفار فيها الفصل التاسع في قصة هاجر، لما فارقت سارة وخاطبها الملك فقال: «يا هاجر من أين اقبلتِ وإلى أين تريدين».

فلما شرحت له الحال قال: ارجعي فإني سأكثر ذريتك وزرعك حتى لا يحصون، وها أنت تحبلين وتلدين أبناً تسمينه إسماعيل لأن الله قد سمع تذللك وخضوعك وولدك يكون وحي الناس، وتكون يده فوق الجميع ويد الكل به ويكون مسكنه على تخوم جميع أخوته» قال المستخرجون لهذه البشارة: معلوم أن يد بني إسماعيل قبل بعث محمدﷺ لم تكن فوق أيدي بني إسحق، بل كان في بنى إسحق النبوة والكتاب وقد دخلوا مصر زمن يوسف مع يعقوب فلم يكن لبني إسماعيل فوقهم يد.. حتى بعث الله محمداًﷺ الذي دعا به إبراهيم وإسماعيل: فلما بعث صارت يد ولد إسماعيل فوق الجميع، فلم يكن في الأرض سلطان أعز من سلطانهم وقهروا فارس والروم وغيرهم من الأمم،وقهروا اليهود والنصارى والمجوس والمشركين والصابئين، فظهر بذلك قوله في التوراة «وتكون يده فوق

---

(١) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد للإمام البيهقي، صححه كمال يوسف الحوت عالم الكتب ١٤٠٣ هـ، ص ١٦٩.

الجميع، ويد الكل به وهذا أمر مستمر إلى آخر الدهر»[1].

وفي مزامير داود وهي الزبور يقول داود: «من أجل هذا بارك الله عليك إلى الأبد فتقلد أيها الجبار بالسيف لأن البهاء لوجهك والحمد الغالب عليك كلمة الحق وسمة التأله، فإن ناموسك وشرائعك مقرونة لهيبة يمينك وسهامك مسنونة والأمم يخرون تحتك» قالوا: فليس متقلد السيف من الأنبياء بعد داود، سوى محمدﷺ، وهو الذي خرت الأمم تحته، وقرنت شرائعه بالهيبة كما قالﷺ «ونصرت بالرعب مسيرة شهر»[2].

وقد أخبر داود أن له ناموساً وشرائع، وخاطبه بلفظ الجبار، إشارة إلى قوته وقهره لأعداء الله، بخلاف المستضعف المقهور، وهوﷺ نبي الرحمة ونبي الملحمة وأمته أشداء على الكفار رحماء بينهم، أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين..

وقال داوود في مزموره: «لترتاح البوادي وقراها، ولتصر أرض قيدار مروجاً، وليسبح سكان الكهوف ويهتفوا من قلل الجبال بحمد الرب ويذيعوا تسابيحه في الجزائر».

قالوا: فلمن البوادي من الأمم سوى امة محمد، ومن «قيدار» سوى ابن إسماعيل جد رسول اللهﷺ، ومن سكان الكهوف، وتلك الجبال سوى العرب؟.

وقال داود في مزموره: «ويحوز من البحر إلى البحر ومن لدنّ الأنهار إلى منقطع الأرض وبحر أهل الجزائر بين يديه ويلحس أعداؤه التراب، ويسجد له ملوك الفرس، وتدين له الأمم بالطاعة والانقياد، ويخلص البائس المضطهد ممن هو أقوى منه، وينقذ الضعيف الذي لا ناصر له، ويرأف بالمساكين والضعفاء، ويصلى عليه ويبارك في كل حين.

---

(١) الجواب الصحيح لأبن تيمية، ح ٣، ص ٣١٣، ٣١٤.

(٢) من حديث جابر وقد تقدم، فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب التيمم، ح ١، ص ٤٣٥.

؛ صحيح مسلم كتاب المساجد، ح ٥، ص ٣.

وهذه الصفات منطبقة على محمد وأمته، فإن محمد حاز من البحر الرومي إلى بحر العرب ومن لدنّ الأنهار، كسيحون وجيحون إلى منقطع الأرض بالمغرب، كما قال ﷺ: زويت لي الأرض، مشارقها ومغاربها، وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها)[1].

وهو يصلى عليه ويبارك في كل حين. وفي كل صلاة من الصلوات الخمس وغيرها، فتقول كل أمته: اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، فيصلى عليه ويبارك. وقد خرت أهل الجزائر بين يديه، أهل جزيرة العرب، و أهل الجزيرة التي بين الفرات والنيل، وأهل جزيرة قبرص وأهل جزائر الأندلس.

وخضعت له ملوك الفرس فلم يبق منهم إلا من أسلم، أو أدى الجزية، فعامة الأمم التي تعرفه وتعرف أمته، أما مؤمنة به، أو مسلمة له منافقة، أو مهادنة مصالحة، أو خائفة منهم، وأنقذ الضعفاء من الجبارين»[2].

ويقول دانيال وهو يهدد اليهود، ويصف أمة محمد ﷺ: «وإن الله يظهرهم عليكم، وباعث فيهم نبيا، ومنزل عليهم كتاباً، ومملكهم رقابكم، يقهرونكم ويذلونكم بالحق، و يخرج رجال قيدار في جماعات الشعوب، معهم ملائكة على خيل بيض متسلحين، فيحيطون بكم، وتكون عاقبتكم إلى النار نعوذ بالله من النار».

ثم قال: تنزل الملائكة على خيل بيض، وهذا ما تواترت به الآثار أن الملائكة كانت تنزل على الخيل البيض، فإنها نزلت يوم بدر لنصر النبي ﷺ وأمته، ونزلت يوم الأحزاب، وأحاطت ببني قريظة»[3].

وقال دانيال النبي: «سألت الله وتضرعت إليه أن يبين لي ما يكون من بني

---

(١) سنن الترمذي. كتاب المناقب، باب ما جاء في بدء النبوة ح ٥ ص ٥٩٠ وقال أبو عيسى: حديث حسن غريب.

(٢) الجواب الصحيح لابن تيمية ح ٣ ص ٣٢٣.

(٣) نفس المصدر ح٣ ص ٣٢٣.

إسرائيل، وهل يتوب عليهم ويرد إليهم ملكهم، و يبعث فيهم الأنبياء، أو يجعل ذلك في غيرهم؟ فظهر لي الملك في صورة شاب حسن الوجه، فقال: السلام عليكم يا دانيال، إن الله يقول: إن بني إسرائيل أغضبوني وتمردوا عليّ، وعبدوا من دوني آلهة أخرى،.. فلا يزالون في سخطي حتى أبعث مسيحي ابن العذراء البتول، وأختم ذلك عليهم باللعن والسخط، فلا يزالون ملعونين، عليهم الذلة والمسكنة حتى أبعث نبي بني إسماعيل الذي بشرت به هاجر، وأوحي إلى ذلك النبي، وأعلمه الأسماء، وأزينه بالتقوى وأجعل البر شعاره. أخصه بكتاب مصدق لما بين يديه من الكتب، وناسخ لبعض ما فيها، أسري به إليّ، وأرقيه من سماء إلى سماء، حتى يعلو فأدنيه، وأسلم عليه وأوحي إليه، ثم أرده إلى عبادي بالسرور والغبطة، حافظا لما استودع صادقا فيما أمر، يدعو إلى توحيدي باللّين من القول. والموعظة الحسنه لا فظ ولا غليظ ولا صخاب بالأسواق، رءوف بمن والاه، رحيم بمن آمن به، خشن على من عاداه، فيدعو قومه إلى توحيدي وعبادتي، ويخبرهم بما رأى من آياتي، فيكذبونه ويؤذونه».

وهذه البشارة الآن عند اليهود والنصارى يقرأونها ويقولون لم يظهر صاحبها بعد»[١].

أما الإنجيل فقد بشر المسيح فيه برسول الله ﷺ.

قال يوحنا الإنجيلي: قال يسوع المسيح في الفصل الخامس عشر من إنجيله «إن الفار قليط روح الحق الذي يرسله أبي، هو يعلمكم كل شيء» وقال يوحنا التلميذ عن المسيح إنه قال لتلاميذه: «إن كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي وأنا أطلب من الأب أن يعطيكم فارقليطاً آخر، يثبت معكم إلى الأبد روح الحق الذي لم يطق العالم أن يقتلوه، لأنهم لم يعرفوه، ولست أدعكم أيتاماً لأني سآتيكم عن قريب» وقال يوحنا الحواري: قال المسيح: «إن أركون العالم سيأتي، وليس لي شيء».

وقال متّي: قال المسيح «ألم تروا أن الحجر الذي رفضه البناءون، صار

---

(١) الجواب الصحيح لأبن تيمية ح ٤، ص ٤، ٥.

رأساً للزاوية من عند الله كان هذا، هو عجيب في أعيننا، ومن أجل ذلك أقول لكم إن ملكوت الله سيؤخذ منكم ويدفع إلى أمة أخرى، تأكل ثمرها، ومن سقط على هذا الحجر ينشرح، وكل من سقط عليه يمحقه».

قال شيخ الإسلام: «وهذه الصفات لا تنطبق إلا على محمد ﷺ، وذلك أن الإخبار عن الله بما هو متصف به من الصفات، وعن ملائكته وعن ملكوته، وعن ما أعده الله في الجنة لأوليائه، وفي النار لأعدائه، أمر لا يحتمل عقول كثير من الناس معرفته على التفصيل، ولهذا قال علي رضي الله عنه «حدثوا الناس بما يعرفون، ودعوا ما ينكرون أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟»[1].

فكذلك كان محمد ﷺ «قد أرشد الناس إلى جميع الحق، حتى أكمل الله له الدين، وأتم به النعمة، ولهذا كان خاتم الأنبياء فإنه لم يبق شيء ليأتي به غيره»[2].

إنجيل برنابا[3] إن هذا الإنجيل من الأناجيل التي كانت معروفة قديماً وقد ورد ذكره في كتب القرن الثاني والثالث الميلادي، ثم عثر على نسخة منه في أوائل القرن الثامن عشر الميلادي، ولا تزال هذه النسخة في مكتبة بلاط (فينا).

وعند نشر هذا الكتاب أحدث ضجة كبرى في ذلك الوقت في أوربا في نوادي العلم والدين، وقد طبعت ترجمة هذا الكتاب باللغة العربية. وهذا الإنجيل مليء بالبشارات الصريحة بالرسول المصطفى ﷺ، ومما ورد فيه، قال الله: أصبر يا محمد.. وقال الله: إن اسمه المبارك محمد، وقال المسيح: يا الله أرسل لنا

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب العلم باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا ح١، ص ٢٢٥.

(٢) الجواب الصحيح لأبن تيمية، ح ٤،ص ٦، ٧، ١٠، ١٦.

(٣) إن المطالع في الطبعات الحديثة للكتاب المقدس لا يجد فيه مثل هذه النصوص الصريحة القاطعة في دلالتها على النبي الذي سيبعث، فقد حذفت كل النصوص التي سبق أن أشار إليها أعلام أئمتنا المحققون سابقاً، وذلك من خلال اللجان الدائمة المشرفة على طبع الكتب المقدسة لدى اليهود أو النصارى، بخلاف انجيل برنابا.

رسولك يا محمد تعال سريعاً لخلاص العالم»[1].

«والمسلمون قد بينوا أن الأمتين قد بدلوا وحرفوا، وإلا فعيسى عليه السلام كان مقرراً لما جاء به موسى عليه السلام وكلاهما مبشران بمقدم نبينا محمد نبي الرحمة صلوات الله عليهم أجمعين. وقد أمرهم أئمتهم وأنبياؤهم وكتابهم بذلك، وإنما بنى أسلافهم الحصون والقلاع بقرب المدينة لنصرة رسول الله ﷺ نبي آخر الزمان. فأمروهم بمهاجرة أوطانهم بالشام إلى تلك القلاع والبقاع، حتى إذا ظهر وأعلن الحق بفاران وهاجر إلى دار هجرته يثرب هجروه وتركوا نصره؛ ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾[2]»[3].

البشارة بمحمد ﷺ في كتب الأسفار العالمية:

قال مؤلف كتاب «محمد في الأسفار العالمية» إن اسم أحمد مكتوب بلفظه العربي في السامافيدا من كتب البراهمة وقد ورد في الجزء الثاني فقرة ٦؛ ٨ «إن أحمد تلقى الشريعة من ربه وهي مملوءة بالحكمة وقد قبست منه النور كما يقبس من الشمس».

ثم ذكر المؤلف أنه ﷺ قد ذُكر في كتاب اثارفيدا، وكتب زرادشت المجوسي ككتاب «زندافستا»[4]. وهكذا فإن الله تعالى ينصر أنبياءه ورسله، ويعلي كلمته، ويحق الحق ولو كره الكافرون قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[5] ثم يتبين الحق على لسان أعدائه من أهل الكتاب وغيرهم ويظهر ذلك في سنة المصطفى ﷺ الصحيحة وما فيها من بشارات لنبوته ﷺ.

---

(١) الرسل والرسالات د. عمر الأشقر، ص ١٨٤.

(٢) سورة البقرة آية ٨٩.

(٣) الملل والنحل للشهرستاني، ح ١، ص ٢٠٩.

(٤) نبوة محمد ﷺ من الشك إلى اليقين، د. فاضل السامرائي مكتبة القدس بغداد، ص ٢٠٤؛ وانظر الرسل والرسالات د / عمر الأشقر، ص ١٨٧.

(٥) سورة غافر أية ٥١.

بشارات نبوته ﷺ في سنته:

فعن العرباض بن سارية رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إني عند الله مكتوب خاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته، وسأخبركم بأول أمري، دعوة إبراهيم وبشارة عيسى، ورؤيا أمي التي رأت حين وضعتني، وقد خرج لها نور أضاء لها منه قصور الشام»(١).

وعن ثوبان قال: ﷺ: «زويت لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وسيبلغ ملك أمتي مازوي لي منها»(٢).

وعن عطاء بن يسار رضي الله عنه، قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص، قلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة، قال: «أجل والله أنه لموصوف ببعض صفته في القرآن، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾﴾(٣) وحرزاً للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله، ويفتح به أعيناً عميا وآذاناً صماً، وقلوباً غلفاً»(٤).

وعن أنس بن مالك أن غلاماً يهودياً كان يخدم الرسول ﷺ، فمرض فأتاه رسول الله ﷺ يعوده، فوجد أباه عند رأسه يقرأ التوراة فقال له رسول الله ﷺ «يا يهودي أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى، هل تجد في التوراة صفتي ومخرجي؟ قال: لا. فقال الفتى: بلا والله يا رسول الله، إنا لنجد في التوراة نعتك ومخرجك، وأني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله.

---

(١) مشكاة المصابيح للتبريزي، وقال الشيخ الألباني: حديث صحيح، كتاب الفضائل، باب شمائل سيد المرسلين، ح ٣، ص ١٦٠٤.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الفتن وأشراط الساعة، ح ١٧، ص ١٣.

(٣) سورة الأحزاب ٤٥.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب كراهية الصخب في الأسواق، ج٤، ص٣٤٣.

فقال النبي ﷺ: أقيموا هذا من عند رأسه وَلُو أخاكم»[1]. إنه الإسلام والولاء والبراء فيه، وبه أصبح الابن أخاً للمسلمين، حياً وميتاً ويصلون عليه، أما أبوه اليهودي فلا يحق له ذلك.

فراسة راهب

عندما كان رسول الله ﷺ في تجارة مع عمه أبي طالب بالشام، تعرف على الرسول ﷺ أحد الرهبان، وكان الرسول ﷺ صغيراً في ذلك الوقت وقد «خرج مع عمه وأشياخ من قريش، فلما أشرفوا على الراهب هبطوا فحلوا رحالهم، فخرج إليهم الراهب، وكان قبل ذلك يمرون به فلا يخرج إليهم، قال: فهم يحلون رحالهم، فجعل يتخللهم الراهب، حتى جاء فأخذ بيد رسول الله ﷺ، قال: هذا سيد العالمين، هذا رسول ر ب العالمين.

فقال له أشياخ قريش: ما علمك؟ فقال: إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خر ساجداً، ولا يسجدان إلا لنبي، وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة، ثم رجع فصنع لهم طعاماً، فلما أتاهم به، فكان هو في رعية الأبل، فقال أرسلوا إليه، فأقبل وعليه غمامة تظله، فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فيء الشجرة، فلما جلس مال فيء الشجرة عليه، فقال أنظروا إلى فيء الشجرة مال عليه»[2] وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب.

وروى أبو زرعة بإسناد صحيح عن أسامة بن زيد عن أبيه زيد بن حارثة قال: «خرجت مع رسول الله ﷺ وهو مردفي. ثم أقبل رسول الله ﷺ في يوم حار

---

(١) شعب الإيمان للإمام البيهقي، باب ما جاء في اليهودي الذي اعترف بصفة النبي ﷺ في التوراة وأسلم عند موته ح٦، ص٢٧٢؛ وقال ابن تيمية في الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: رواه البيهقي بإسناد صحيح، ج٣، ص٢٨٦.

(٢) سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب ما جاء في بدء نبوة النبي ﷺ، ح ٥، ص٥٩٠.
وقال الشيخ الألباني: قلت. رجاله ثقات، والحديث صحيح، مشكاة المصابيح ح ٣ صفحة ١٦٦٣.

من أيام مكة، حتى إذا كنا بأعلى الوادي، لقيه زيد بن عمرو بن نفيل فقال له رسول الله ﷺ: «يا ابن عمرو: مالي أرى قومك قد شنئوك؟ - أي هجروك -

قال: أما والله، إن ذلك لغير مأثرة كانت مني فيهم، ولكن أراهم على ضلال. فخرجت ابتغي هذا الدين، فأتيت إلى أحبار يثرب، فوجدتهم يعبدون الله ويشركون به، فقلت: ما هذا بالدين الذي ابتغي فخرجت حتى آتي أحبار خيبر، فوجدتهم يعبدون الله ويشركون به، فقلت: ما هذا بالدين الذي ابتغي. فقال لي حبر من أحبار الشام إنك لتسأل عن دين ما نعلم أحد يعبد الله به إلا شيخ بالجزيرة.

فخرجت فقدمت عليه فأخبرته بالذي خرجت له، فقال: «إن كل من رأيت في ضلاله، ممن أنت؟.

قال: قلت: أنا من أهل بيت الله. قال: من أهل الشوك والقرظ؟. فقال: إنه قد خرج في بلدك نبي، أو خارج قد خرج نجمه، فارجع فصدقه وأتبعه وآمن به، فرجعت فلم أحس شيئاً بعد، قال: فأناخ رسول الله ﷺ بعيره، فقدمنا إليه السفرة. قال زيد: ما أكل شيئاً ذبح لغير الله، فتفرقا، فجاء رسول الله ﷺ فطاف بالبيت. قال زيد: وأنا معه، وكان صنمان من نحاس يقال لهما «أساف» و «نائلة» مستقبلا الكعبة، يتمسح بهما الناس إذا طافوا، فقال رسول الله ﷺ: لا تمسهما ولا تمسح بهما، قال زيد: فقلت في نفسي، وقد طفنا، لأمسهما حتى أنظر ما يقول، فمسستها فقال رسول الله ﷺ: ألم تنهه؟ فلا والذي أكرمه، ما مسستها حتى أنزل الله عليه الكتاب. ومات زيد بن عمرو بن نفيل قبل الإسلام.

فقال رسول الله ﷺ: أنه يبعث أمة وحده»[1].

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي، ذكر حديث زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وما في حديثهما من آثار رسول ﷺ، ح ٢، ص ١٢٥.

؛ واخرجه الحاكم في المستدرك ح ٣، ص ٤٤٠ وصححه.

؛ وأخرجه البخاري شاهداً عن سالم بن عبد الله عن أبيه، كتاب مناقب الأنصار باب حديث زيد بن عمرو ح ٧، ص ١٤٢.

إن هذه البشارات وغيرها ثابتة صحيحة في رسالة نبينا محمدﷺ كما جاء في كتاب الله العزيز الإخبار فيه أن الله قد أخذ على أنبيائه العهد والميثاق في الإيمان بمحمد ورسالتهﷺ. أو الأخبار عن أنبياء الله وأنهم يبشرون بنبوة محمدﷺ، وبيان غضب الله على أولئك الذين يخبرون عنه ثم يكفرون به وبرسالته، ثم الأخبار في كتبهم الدالة على اسمهﷺ وأخباره، ثم كان بيان ذلك في سنتهﷺ الصحيحة.

وقد ذكر العلماء حال من حرمه الله الإيمان بنعمة رسالة نبينا محمدﷺ وحذروا من حال أولئك وبيان ذلك في:

«**أولاً**: استحالة الإيمان بنبي من الأنبياء مع جحد نبوة محمدﷺ، وأنه من جحد نبوته فهو لنبوة غيره من الأنبياء أشد جحداً وتبين هذا بوجوه.

الوجه الأول: إن الأنبياء المتقدمين بشروا وأمروا أممهم بالإيمان به، فمن جحد نبوته فقد كذب الأنبياء قبله فيما أخبروا به وخالفهم فيما أمروا وتواصوا به من الإيمان به والتصديق به لازم من لوازم التصديق بهم.

الوجه الثاني: إن دعوة محمد بن عبد اللهﷺ هي دعوة جميع المرسلين قبله من أولهم إلى آخرهم، فالمكذب بدعوته مكذب بدعوة إخوانه كلهم، فإن جميع الرسل جاءوا بما جاء به، فإذا كذبه المكذب فقد زعم أن ما جاء به باطل، وفي ذلك تكذيب كل رسول أرسله الله، وكل كتاب أنزله الله، ولا يمكن أن يعتقد أن ما جاء به صدق وأنه كاذب مفتر على الله.

الوجه الثالث: إن البراهين التي دلت على صحة نبوته وصدقه أضعاف أضعاف آيات من قبله من الرسل، فليس لنبي من الأنبياء آية توجب الإيمان به إلا ولمحمدﷺ مثلها، فآيات نبوته أعظم وأكبر وأدل، والعلم بنقلها قطعي، لقرب العهد، وكثرة النقلة، واختلاف أمصارهم وأعصارهم واستحالة تواطئهم على

؛ وأخرجه البخاري شاهداً عن أسماء بنت أبي بكر، كتاب المناقب، باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل ح ٧، ص ١٤٣ وقال الذهبي: هذا حديث صحيح. تاريخ الإسلام- . السيرة. للذهبي ص ٨٨.

الكذب، فالعلم بآيات نبوته كالعلم بنفس وجوده وظهوره وبلده. فإن جاز القدح في ذلك كله، فالقدح في وجود عيسى وموسى وآيات نبوتهما أولى»[1].

ثانياً: توبيخ الله سبحانه وتعالى لأهل الكتاب على التحريف وكتمان الحق على لسان رسوله ﷺ.

فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٧١﴾﴾[2]:

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾[3].

وأما التحريف فقد أخبر سبحانه عنهم في مواضع متعدده، وكذلك لي اللسان بالكتاب ليحسبه السامع منه وما هو منه فهذه خمسة أمور:

؛ لبس الحق بالباطل وهو خلطه به بحيث لا يتميز الحق من الباطل.

؛ كتمان الحق.

؛ أخفاؤه وهو قريب من كتمانه.

؛ تحريف الكلم عن مواضعه و هو نوعان: تحريف لفظه، وتحريف معناه

؛ ليّ اللسان به ليلبس على السامع اللفظ المنزل بغيره.

وهذه الأمور إنما ارتكبوها لأغراض لهم دعتهم إلى ذلك. فإذا عادوا الرسول وجحدوا نبوته وكذبوه وقاتلوه فهم إلى أن يجحدوا نعته وصفته ويكتموا ذلك ويزيلوه عن مواضعه ويتأولوه على غير تأويله أقرب بكثير. وهكذا فعلوا ولكن لكثرة البشارات وتنوعها غابوا عن كتمانها وإخفائها فصاروا إلى تحريف التأويل»[4].

---

(١) هداية الحيارى لابن القيم، ص ٣٤٨، ٣٤٩.

(٢) سورة آل عمران آية ٧١.

(٣) سورة البقرة آية ١٥٩.

(٤) هداية الحياري لأبن القيم، ص ١٠١، ١٠٢.

ثالثا: إن الرسول ﷺ في إخباره عن قصص الأنبياء وقصة أهل الكهف وذي القرنين وغيرهم لم يتعلم ذلك من بشر، بل إنما كان خبر وحي من الله تعالى.

قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ۝٩﴾[1].

«أي وما قدروا من قدري، وفيما صنعت من أمر الخلائق، وما وضعت على العباد من حجتي ما هو أعظم من ذلك وقال ابن عباس: الذي آتيتك من العلم والسنة والكتاب أفضل من شأن أصحاب الكهف.

قلت ـ شيخ الإسلام ـ والأمر على ما ذكره السلف، فإن قصة أصحاب الكهف هي من آيات الله، فإن مكثهم نياماً لا يموتون ثلاثمائة سنة آية دالة على قدرة الله ومشيئته، وأنه يخلق ما يشاء، وليس كما يقوله أهل الإلحاد، وهي آية على معاد الأبدان. وكان الناس قد تنازعوا في زمانهم: هل تعاد الأرواح دون الأبدان، أم الأرواح والأبدان؟ فجعل الله أمرهم آية لمعاد الأبدان. وإخبار النبي ﷺ بقصتهم من غير أن يعلمه بشر، آية على نبوته، فكانت قصتهم آية على أصول الإيمان الثلاثة، الإيمان بالله، واليوم الآخر والإيمان برسله، ومع هذا فليسوا من آيات الله بعجب، بل من آيات الله ما هو أعجب من ذلك. وقد ذكر الله تعالى سؤالهم له عن الآيات التي كانوا يسألونه عنها، ليعلموا: هل هو نبي صادق أم كاذب؟.

فقال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾[2] والقرآن مملوء من أخباره عن الغيب الماضي الذي لا يعلمه أحد من البشر إلا من جهة الأنبياء الذين أخبرهم الله بذلك. فإذا كان محمد ﷺ قد أخبر من ذلك بما أخبر به موسى وغيره من الأنبياء، واخبر بما يعلمونه، مما لا يعلمه أحد إلا بالتعلم منهم، وقد عرف أن محمداً لم يتعلم هذا من بشر، كان هذا آية بينة وبرهاناً قاطعا على نبوته»[3].

---

(١) سورة الكهف آية ٩.

(٢) سورة الكهف آية ٨٣.

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ح٣، ص ٥٢، ٥٣.

رابعاً: المسيح المنتظر عند المسلمين واليهود والنصارى:

فالمسلمون واليهود والنصارى تنتظر مسيحاً يجيئ في آخر الزمان، «فمسيح اليهود هو الدجال، ومسيح النصارى لا حقيقة له، فإنه عندهم إله وابن إله وخالق، ومميت ومحي، فمسيحهم الذي ينتظرونه هو المصلوب المسمر المكلل بالشوك، والمصفوع الذي هو مصفعة اليهود، وهو عندهم رب العالمين وخالق السموات والأرضين، ومسيح المسلمين الذي ينتظرونه هو عبد الله ورسوله وروحه، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول، عيسى بن مريم، أخو عبد الله ورسوله محمد بن عبد الله، فيظهر دين الله و توحيده، ويقتل أعداءه عباد الصليب الذين اتخذوه وأمه إلهين من دون الله، وأعداءه اليهود الذين رموه وأمه بالعظائم، فهذا هو الذي ينتظره المسلمون.

عن أبي هريرةﷺ قال: قال رسول اللهﷺ: «والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها ـ ثم يقول أبو هريرة: واقرءوا إن شئتم ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾[(١)]»[(٢)].

فهذا منتظر المسلمين لا منتظر المغضوب عليهم والضالين، ولا منتظر إخوانهم من الروافض. ويعلم الضالون أنه ابن البشر، وأنه عبد الله و رسوله ليس بإله ولا ابن إله، وأنه بشر بنبوة محمد أخيه أولاً ويحكم بشريعته ودينه آخراً، وأنه عدواً للمغضوب عليهم والضالين، وولي رسول الله وأتباعه المؤمنين، وما كان أولياؤه الأرجاس الأنجاس عبدة الصلبان والصور المدهونة في الحيطان، إن أولياؤه إلا الموحدون عباد الرحمن أهل الإسلام والإيمان»[(٣)].

---

(١) سورة النساء آية ١٥٩.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب نزول عيسىﷺ ح ٦، ص ٤٩٠.

(٣) هداية الحيارى لأبن القيم ص ٢٠٩، ٢١٠.

خامساً: لو عرض دين النصارى على قوم لم يعرفوا لهم إلها.

وقد لعنهم الله سبحانه على لسان رسوله ﷺ في قوله ﷺ: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما فعلوه»[1].

«هذا والكتاب واحد، والرب واحد، والنبي واحد، والدعوى واحدة، وكلهم يتمسك بالمسيح وإنجيله وتلاميذه، ثم يختلفون فيه هذا الاختلاف المتباين. فمنهم من يقول إنه إله، ومنهم من يقول ابن الله، ومنهم من يقول ثالث ثلاثة، ومنهم من يقول إنه عبد، ومنهم من يقول إنه أقنوم وطبيعة، ومنهم من يقول اقنومان وطبيعتان، إلى غير ذلك من المقالات التي حكوها عن أسلافهم، وكل منهم يكفر صاحبه، فلو أن قوماً لم يعرفوا لهم إلهاً ثم عرض عليهم دين النصرانية هكذا لتوقفوا عنه وامتنعوا من قبوله. فوازن بين هذا وبين ما جاء به خاتم الأنبياء والرسل صلوات الله عليه وسلامه تعلم علماً يضارع المحسوسات أو يزيد عليها ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾[2][3].

سادساً: إن محمداً ﷺ برأ المسيح وأمه من افتراء اليهود، ونزه رب العالمين من افتراء النصارى:

«فأنزل المسيح بالمنزلة التي انزله الله بها وهي أشرف منازله، فآمن به وصدقه، وشهد له بأنه عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول الطاهرة الصديقة سيدة نساء العالمين في زمانها، وقرر معجزات المسيح وآياته، وأخبر عن ربه تعالى بتخليد من كفر بالمسيح في النار، وأن ربه تعالى أكرم عبده ورسوله ونزهة وصانه أن ينال إخوان القردة منه ما زعمته النصارى أنهم

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الجنائز باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور ح ٣، ص ٢٠٠.
؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب ا لمساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور ح٥،ص ١٢.

(٢) سورة آل عمران ١٩.

(٣) هداية الحيارى لأبن القيم، ص ٣٤٦، ٣٤٧.

نالوا منه، بل رفعه إليه مؤيداً منصوراً. لم يشكه أعداؤه بشوكة ولا نالته أيديهم بأذى، فرفعه إليه وأسكنه سماءه، وسيعيده إلى الأرض ينتقم من مسيح الضلالة وأتباعه، ثم يكسر الصليب. ويقتل الخنزير، ويعلي به الإسلام، وينصر به ملة أخيه وأولى الناس به محمد عليهما أفضل الصلاة والسلام.

فإذا وضع هذا القول في المسيح في كفة، وقول عباد الصليب المثلثة في كفة تبين لكل من له أدنى مسكة من عقل ما بينهما من التفاوت، وأن تفاوتهما كتفاوت مابينه وبين قول المغضوب عليهم فيه.

فلولا محمد ﷺ لما عرفنا أن المسيح بن مريم الذي هو رسول الله وعبده، وكلمته وروحه موجود أصلا، فإن هذا المسيح الذي أثبته اليهود من شرار خلق الله ليس بمسيح الهدى، والمسيح الذي أثبته النصارى من أبطل الباطل لا يمكن وجوده في عقل ولا فطرة، ويستحيل أن يدخل في الوجود أعظم استحالة، ولو صح وجوده لبطلت أدلة العقول، ولم يبق لأحد ثقة بمعقول أصلا»[1].

سابعاً: وإنما الخلاف بين اليهود والنصارى ما كان يرتفع إلا بحكمه ﷺ: إذ كانت اليهود تقول ﴿لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾[2] وكانت النصارى تقول: ﴿لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾[3] وكان النبي ﷺ يقول لهم:

﴿لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾[4] وما كان يمكنهم إقامتها إلا بإقامة القرآن الحكيم، وبحكم نبي الرحمة رسول آخر الزمان. فلما أبوا ذلك كفروا بآيات الله ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ﴾[5].

ثامناً: كل أهل الأرض في ضلال وجهل إلا من أشرقت عليه نور النبوة:

---

(١) هداية الحيارى لابن القيم، ص ٣٠٨.

(٢) سورة البقرة ١١٣.

(٣) سورة البقرة ١١٣.

(٤) سورة المائدة ٦٨.

(٥) سورة البقرة ٦١.

فأهل الأرض كلهم في ظلمات الجهل والغي إلا من أشرق عليه نور النبوة، كما في المسند وغيره من حديث عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله خلق خلقه في ظلمة وألقى عليهم من نوره، فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل، فلذلك أقول جف القلم على علم الله»(١).

تاسعاً: بشارة الأمة من نبيها ﷺ.

تقدم فيما سبق عرض للبشارات بنبي الهدى والرحمة، وها هو يبشر أمته ممن كان على سيرته وسنته من الثقلين الإنس والجن وقد أرسله الله للناس كافة وتبلغت واهتدت برسالته الجن.

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ تلا قول الله عز وجل في إبراهيم ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾(٢).

وقال عيسى عليه السلام - تلا قول الله عز وجل - ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾(٣) فرفع يديه وقال: اللهم أمتي أمتي وبكى فقال الله عز و جل يا جبريل أذهب إلى محمد - وربك أعلم - فسأله ما يبكيك؟ فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فسأله، فأخبره رسول الله ﷺ بما قال وهو أعلم، فقال الله: يا جبريل أذهب إلى محمد فقل إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك»(٤).

قال الإمام النووي رحمه الله: «هذا الحديث مشتمل على أنواع من الفائدة، منها

---

(١) مسند الإمام أحمد، ح ٢، ص ١٧٦.
؛ المستدرك للحاكم، ح ١، ص ٣٠ وقال هذا حديث صحيح قد تداوله الأئمة وقد احتجا بجميع رواته ثم لم يخرجاه ولا أعلم له علة.
؛ الشريعة للأجرّي، ص ١٧٥.
؛ سلسلة الأحاديث الصحيحة، ح ٣،ص ٦٤ وقال الألباني: إسناده صحيح ورجاله ثقات.
(٢) سورة إبراهيم ٣٦.
(٣) سورة المائدة ١١٨.
(٤) صحيح مسلم بشرح النووى، كتاب الإيمان، باب بشارة الأمة ح ٣، ص ٧٨.

بيان كمال شفقة النبي ﷺ على أمته واعتنائه بمصالحهم واهتمامه بأمرهم، ومنها: استحباب رفع اليدين في الدعاء، ومنها: البشارة العظيمة لهذه الأمة زادها الله تعالى شرفاً بما وعدها الله تعالى بقوله: سنرضيك في أمتك ولا نسوءك. وهذا من أرجى الأحاديث لهذه الأمة أو أرجاها. ومنها: بيان عظمة منزلة النبي ﷺ عند الله تعالى، وعظيم لطفه سبحانه به ﷺ، والحكمة في إرسال جبريل لسؤاله ﷺ، إظهار شرف النبي ﷺ، وأنه بالمحل الأعلى فيسترضى ويكرم بما يرضيه وهذا الحديث موافق لقول الله عز وجل: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾»[١][٢].

---

(١) سورة الضحى آية ٥.

(٢) شرح النووي لصحيح مسلم، ج ٣، ص ٧٨، ٧٩.


6281140000462

حديث الآحاد وحجيته

في

تأصيل الاعتقاد

دراسة تطبيقية ونقدية على ضوء أهل السنة والجماعة

تأليف

الدكتور عبد الله بن ناصر سعد السرحاني

الجزء الثاني



ح مكتبة الرشد، ١٤٢٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

السرحاني، عبد الله ناصر سعد

حديث الآحاد وحجيته في تأصيل الاعتقاد./ عبد الله ناصر سعد السرحاني. ــ الرياض، ١٤٢٧هـ

٢٨٥ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٨-٥٩٩-٠١-٩٩٦٠ - ج ٢

١- العقيدة الإسلامية - دفع مطاعن أ- العنوان

ديوي ٢٤٠ ١٤٢٧/٢٧٠٦

ردمك: ٨-٥٩٩-٠١-٩٩٦٠ - ج ٢ رقم الإيداع: ١٤٢٧/٢٧٠٦

 الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م

مكتبة الرشد ـ ناشرون

المملكة العربية السعودية ــ الرياض

شارع الأمير عبد الله بن عبد الرحمن (طريق الحجاز)

ص.ب.: ١٧٥٢٢ الرياض ١١٤٩٤ ـ هاتف: ٤٥٩٣٤٥١ ـ فاكس: ٤٥٧٣٣٨١

E-mail: alrushd@alrushdryh.com

Website: www.rushd.com



الفصل الخامس

استدلال السلف بأحاديث الآحاد في باب الإيمان باليوم الآخر وموقف المخالفين منها والرد عليهم

وفيه:

- تمهيد
- الرد على منكري معاد الأبدان والأرواح.
- أشراط الساعة.
- علامات الساعة الصغرى
- علامات الساعة الكبرى.

الدخان ـ المسيح الدجال ـ خروج المهدي ـ نزول عيسى عليه الصلاة والسلام ـ خروج يأجوج ومأجوج ـ الدابة ـ طلوع الشمس من مغربها ـ النار التي تحشر الناس والخسوفات الثلاثة.

* * * * * *



- القيامة الصغرى.
- الرد على المخالفين في عذاب القبر ونعيمه.
- النفخ في الصور ـ الحوض ـ السراط ـ الميزان ـ الحساب ـ والكتاب ـ والرد على المخالفين.
- الشفاعة والرد على المخالفين.
- الجنة والنار والرد على المخالفين في دوامهما.

* * * * * *

تمهيد

إن الله سبحانه وتعالى حين خلق الخلق، وبعث الأنبياء والرسل لهداية الناس إلى عبادة الله وحده، كان ذلك مؤشراً ليوم المعاد والحساب والجزاء، بل إن الله تعالى قد ربط بين الإيمان به وباليوم الآخر.

فالإيمان بالله يلزم صاحبه الانقياد لأوامر الله وطاعة رسله وذلك يقوده إلى الفوز بنعيم مقيم، حين يعلم أن مصير الخلائق بين يدي الله الواحد القهار، ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾[1] نظراً لعظمة هذا اليوم فقد أخبر عنه في كتبه وعلى ألسنة رسله بما هو جدير به من الاهتمام وأطلق الله عليه أوصافاً تشعر بالرهبة والفزع والاعتبار فهو يوم البعث، ويوم القيامة، والساعة، وزلزلة الساعة، والآخرة ويوم الدين، ويوم الحساب، ويوم الفتح، ويوم التلاق، ويوم الجمع، والتغابن، ويوم الخلود، ويوم الخروج، ويوم الحسرة، ويوم التناد، ويوم الآزفة، والطامة الكبرى، والصاخة، والحاقة، والغاشية، والواقعة، واهتم القرآن باليوم الآخر لعدة أسباب:

أولاً: «إن المشركين من العرب كانوا ينكرونه أشد إنكار.

﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾[2].

وهؤلاء هم الدهريون الذين ينكرون البعث ومن تبعهم من الفلاسفة والزنادقة.

ثانياً: إن أهل الكتاب وإن كانوا يؤمنون باليوم الآخر إلا أن تصورهم له قد بلغ غاية الفساد.

---

(١) سورة إبراهيم آية ٤٨.

(٢) سورة الجاثية آية ٢٤.

فالنصارى: يعتمدون فيه على وجود يسوع الفادي المخلِّص الذي يفدي الناس بنفسه، ويخلصهم من عقوبة الخطايا.

وهذا يطابق ما يقوله الهنود في كرشنة، والصينيون وغيرهم في بوذا، سواء بسواء.

وعقيدة اليهود في الله وفي اليوم الآخر لا تقل في فسادها وضلالها عن عقيدة النصارى والهنود.

ثالثاً: إن الإيمان باليوم الآخر يجعل لحياتنا غاية سامية، وهدفاً أعلى، وهذه الغاية هي فعل الخيرات وترك المنكرات، والتخلي عن الرذائل الضارة بالأبدان والأديان، والأعراض والعقل والأموال. أي تحقيق معنى الخلافة. ولابد من تقوية الوازع النفسي الذي يرغّب في الخير ويصد عن الشر، فيحدد كل إنسان هدفه الأعلى لا يضل الطريق أو تتعثر به الخطا[1].

«والإيمان بالمعاد مما دل عليه الكتاب والسنة، والعقل والفطرة السليمة، فأخبر الله سبحانه عنه في كتابه العزيز وأقام الدليل عليه، وردّ على منكريه في غالب سور القرآن؛ وذلك أن الأنبياء عليهم السلام كلهم متفقون على الإيمان بالله فإن الإقرار بالرب عام في بني آدم، وهو فطري، كلهم يقرّ بالرب، إلا من عاند كفرعون.

بخلاف الإيمان باليوم الآخر، فان منكريه كثيرون، ومحمد ﷺ لما كان خاتم الأنبياء، وكان قد بعث هو والساعة كهاتين، وكان هو الحاشر المقفّي، بُيّن تفصيل الآخرة بياناً لا يوجد في شيء من كتب الأنبياء، ولهذا ظنّ طائفة من المتفلسفة ونحوهم أنه لم يفصح بمعاد الأبدان إلا محمد ﷺ، وجعلوا هذه حجة لهم في أنه من باب التخييل والخطاب الجمهوري.

والقرآن بيّن معاد النفس عند الموت، ومعاد البدن عند القيامة الكبرى في غير موضع. وهؤلاء ينكرون القيامة الكبرى، وينكرون معاد الأبدان، ويقول من

---

(١) العقائد الإسلامية السيد سابق، أنظر ص ٢٦٤.

يقول منهم: إنه لم يخبر به إلا محمدﷺ على طريق التخييل! وهذا كذب؛ فإن القيامة الكبرى معروفة عند الأنبياء من آدم إلى نوح، إلى إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم عليهم السلام، وقد أخبر الله بها حين أهبط آدم إلى الأرض، فقال تعالى: ﴿قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾[1]. بل إن مؤمن آل فرعون كان يعلم المعاد، وأنه آمن بموسى، قال تعالى حكاية عنه: ﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾[2] وأخبر عن أهل النار أنهم إذا قال لهم خزنتها: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[3] وهذا اعتراف من أصناف الكفار الداخلين جهنم أن الرسل أنذرتهم لقاء يومهم هذا»[4].

«وسمي باليوم الآخر لأنه آخر أيام الدنيا، فهو متصل بآخر الدنيا وليس منها، ويسمى يوم القيامة لقيام الناس فيه لرب العالمين من قبورهم، ومثولهم بين يدي خالقهم ليجزيهم أجر ما عملوا، ولقيام الحجة على الخلق، أو لأنه يبدأ بقيام الساعة، والمراد به فناء هذه العوالم كلها دقيقها وجليلها، وانتهاء هذه الحياة بأكملها، وقد أخفاه الله عن خلقه لمصلحتهم، كما أخفى عنهم أقدارهم ومنها الموت لنفس الغرض، ولكنه قد جعل لقيام الساعة علامات، تسمى بأشراط الساعة، وهي دالة على قرب قيامها، كما جعل لكل عظيم إرهاصات، وأمارات الساعة على نوعين صغرى وكبرى تبدأ الصغرى حتى إذا شارفت على النهاية تبعتها الكبرى، ثم انفرطت كالخرز انفرط من عقدة»[5].

«وإذا كان الإيمان باليوم الآخر أحد أركان الإيمان الستة التي يقوم عليها

---

(١) سورة الأعراف ٢٤.
(٢) سورة غافر آية ٣٢، ٣٣.
(٣) سورة الزمر آية ٧١
(٤) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز، ص ٤٠٤، ٤٠٥.
(٥) المنهج إلى أصول الدين، عقيدة الفرقة الناجية، د. عثمان الصوينع، مطابع الفرزدق الرياض ١٤١٤هـ أنظر ص ٤١٩.

الإيمان؛ فإن الإيمان به إيماناً تاماً كاملاً لا يتحقق إلا إذا آمن العبد بكل ما أخبر النبي ﷺ من أمور الغيب التي تكون بعد الموت والضابط في ذلك أنها أمور ممكنة أخبر الصادق المصدوق صلوات الله عليه وسلامه وآله، وكل ممكن أخبر به الصادق يجب الإيمان بوقوعه كما أخبر، فإن هذه الأمور لا تستفاد إلا من خبر الرسول، فأهل السنة والجماعة يؤمنون بذلك كله»[1].

و«اعلم أن الأمم نوعان: نوع لهم كتاب منزل من عند الله كاليهود والنصارى. ونوع لا كتاب لهم، كالهند واليونان والترك، وكالعرب قبل مبعث محمد ﷺ، وما من أمة إلا ولابد لها من علم وعمل، بحسبهم يقوم به ما يقوم من مصالح دنياهم، وهذا من الهداية العامة التي جعلها الله لكل إنسان بل لكل إنسان وحيوان، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣﴾[2] وقال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾[3].

ثم الأمم متفاضلون في معرفة الخالق تعالى وفي الإقرار بمعاد بعد الموت، أما للأرواح فقط، وإما للأبدان فقط، وإما لمجموعهما كما هو قول سلف المسلمين وأئمتهم وعامتهم أهل السنة والجماعة، ومتفاضلون فيما يجدونه ويستحسنونه من الأفعال والصفات وما يذمونه ويستقبحونه من ذلك. لكن عامة بني آدم على أن العدل خير من الظلم، والصدق خير من الكذب، والعلم خير من الجهل، فإن المحسن إلى الناس خير من الذي لا يحسن إليهم»[4].

وإذا كانت الأمم قد اختلفت في المعاد فإن الفرق الإسلامية والفلاسفة قد اختلفوا أيضاً، بناءً على أنه هل يعلم بالسمع أم بالعقل.

قال ابن تيمية: «أما مسائل ما بعد الموت ونحو ذلك، فالأشعري وأتباعه ومن وافقهم يسمونها السمعيات بخلاف باب الصفات والقدر وذلك بناءً على أصلين:

---

(١) شرح العقيدة الواسطية، العلامة محمد الهراس، ص ٢٠٣.

(٢) سورة الأعلى آية ١، ٢، ٣.

(٣) سورة البلد، آية ١٠.

(٤) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيميه، ح ٣، ص ٩٧.

أحدهما: إن هذه لا تعلم إلا بالسمع.

الثاني: إن ما قبلها يعلم بالعقل وكثير منهم أو أكثرهم يضم إلى ذلك أصلاً آخر وهو أن السمع لا يعلم صحته إلا بتلك الأصول التي يسمونها بالعقليات مثل إثبات حدوث العالم ونحو ذلك. وأما محققوهم فيقولون إن العلم بحدوث العالم ليس من الأصول التي تتوقف صحة السمع عليها، بل يمكن العلم بصحة السمع ثم يعلم بالسمع خلق السموات والأرض ونحو ذلك.

وأما المعاد فنازعهم فيه طوائف مثل المعتزلة فقد ذهبوا إلى أنه يعلم بالعقل. والفلاسفة الإلهيون يثبتون معاد النفوس بالعقل، وإما إنكارهم لمعاد الأبدان فهذا مما اتفق أهل الملل على إبطاله»[1].

الرد على منكري معاد الأبدان والأرواح أو أحدهما:

ونظراً لما يعتقده المتكلمون من تقسيم لفهم أمور العقيدة عن طريق العقل أو السمع والذين يقدمون العقل على السمع منهم؛ كان لابد من بيان طرق العلم وأقسام العلوم، فقال شيخ الإسلام: «طرق العلم ثلاثة عقلية وسمعية ومشتركة، والعلوم ثلاثة أقسام: منها ما لا يعلم إلا بالأدلة العقلية، وأحسن الأدلة العقلية التي بينها القرآن، وأرشد إليها الرسول، فينبغي أن يعرف أن أجلّ الأدلة العقلية أكملها وأفضلها مأخوذ عن الرسول، فإن من الناس من يذهل عن هذا، فمنهم من يقدح في الدلائل العقلية مطلقاً لأنه قد صار في ذهنه أنها هي الكلام المبتدع الذي أحدثه المتكلمون أي علماء الكلام الذين يبحثون في الجانب الإلهي عن ذات الله وصفاته وأفعاله.

ومنهم من يعرض عن تدبر القرآن وطلب الدلائل اليقينية العقلية منه، لأنه قد صار في ذهنه أن القرآن إنما يدل بطريق الخبر فقط، فلابد أن يعلم بالعقل قبل ذلك ثبوت النبوة وصدق الخبر حتى يستدل بعد ذلك بخبر من ثبت بالعقل صدقه.

ومنها ما لا يعلمه غير الأنبياء إلا بخبر الأنبياء، وخبرهم المجرد هو دليل

---

(١) العقيدة الأصفهانية لابن تيمية، ص ١٦٨.

سمعي مثل تفاصيل ما أخبروا به من الأمور الإلهية والملائكة والعرش والجنة والنار، وتفاصيل ما يؤمر به وينهى عنه، فأما نفس إثبات الصانع ووحدانيته وعلمه وقدرته ومشيئته وحكمته ورحمته ونحو ذلك، فهذا لا يعلم بالأدلة العقلية وحدها بل مقترنة بخبر الأنبياء وإن كانت الأدلة والآيات التي يأتي بها الأنبياء هي أكمل الأدلة العقلية، وإن كان أخبار الأنبياء المجردة تفيد العلم اليقيني أيضاً فيعلم بالأدلة العقلية التي أرشدوا إليها، ويعلم بمجرد خبرهم لما علم صدقهم بالأدلة والآيات والبراهين التي دلت على صدقهم»[1].

فأهل السنة والجماعة؛ يستدلون بالكتاب والسنة المتضمنتان الأدلة العقلية.

وأما الأشاعرة فإنهم؛ يستدلون بالكتاب والسنة في أمر المعاد، ولكنهم مقيدون بقولهم بالجوهر والجزء الذي لا يتجزأ في أمر معاد الأبدان.

وأما المعتزلة فإنهم؛ لا يستدلون بالكتاب والسنة وإنما بمجرد العقل ثم يضطرون إلى إنكار الصراط والشفاعة في أهل الكبائر والحوض والميزان.

وأما الفلاسفة فقولهم بعودة الأرواح ويتناقضون في إثبات ذلك وعدمه، ويقولون إن أقوال الأنبياء في المعاد إنما هو أمر تخييلي لتقريب ما دعوا إليه.

قال شيخ الإسلام: «وأما المعاد فهو إما للأرواح أو للأبدان، وإن الناس بعد الموت يكونون سعداء أو أشقياء، فيقرّ به كثير من الأمم غير أهل الكتاب، وإن كان على وجه قاصر، كحكماء الهند واليونان والمجوس وغيرهم؛ وذلك أن أهل الأرض في المعاد على أربعة أقوال:

أحدهما: وهو مذهب سلف المسلمين من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين المهتدين وغيرهم من أهل السنة والحديث والفقهاء، وهو إثبات معاد الروح والبدن جميعاً، وأن الإنسان إذا مات كانت روحه منعمة أو معذبة ثم تعاد روحه إلى بدنه عند القيامة الكبرى ولهذا يذكر الله في كثير من السور أمر القيامتين، القيامة الصغرى بالموت، والقيامة الكبرى حين يقوم الناس من قبورهم وتعاد أرواحهم إلى أبدانهم. فقال تعالى في سورة القيامة ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ

---

(١) الفرقان بين الحق والباطل لابن تيمية، ص ١٦١، ١٦٢.

﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ فذكر القيامة الكبرى، ثم قال في آخر السورة: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾ فإن ذكر ما تناله الروح عند فراق البدن من النعيم والعذاب كثير في النصوص النبوية.

وأما وصف القيامة الكبرى في الكتاب والسنة، فكثير جداً لأن محمدﷺ خاتم الأنبياء، وقد بعث بين يدي الساعة، فلذلك وصف القيامة بما لم يصفها به غيره. كما ذكر المسيح في صفته فقال: إنه يخبركم بكل ما يأتي، ويعرفكم جميع ما للرب.

القول الثاني: قول من يثبت معاد الأبدان فقط، كما يقول ذلك كثير من المتكلمين الجهمية، والمعتزلة المبتدعين من هذه الأمة.

القول الثالث: المعاد للنفس الناطقة ـ الروح ـ وأن الأبدان لا تعاد. وهذا لم يقله أحد من أهل الملل، ولا المسلمين، ولا اليهود، ولا النصارى. بل هؤلاء متفقون على إعادة الأبدان، وعلى القيامة الكبرى.

ولكن من تفلسف من هؤلاء فوافق سلفه من الصابئة والفلاسفة المشركين على أن المعاد للروح وحده، فإنه يزعم أن الأنبياء خاطبوا الجمهور بمعاد الأبدان، وإن لم يكن له حقيقة، وحقيقة قولهم إن الأنبياء كذبوا للمصلحة، وهؤلاء ملاحدة كفار عند المتبعين للأنبياء..

والمتفلسفة اتباع أرسطو(١) كالفارابي(٢) وأتباعه، لهم في معاد الأرواح ثلاثة أقوال:

---

(١) أرسطو أو أرسطوطاليس، فيلسوف يوناني له مؤلفات كثيرة منها: المقولات، الجدل، العبارة، أو التفسير، السماء والعالم وغيرها. عاش ما بين ٣٨٤ - ٣٢٢ ق.م.

انظر قصة الحضارة - ول ديورانت ترجمة محمد بدران ٧/ ٤٩٢؛ فقه الفلسفة ترجمة د. فتح الله محمد ص ٦٧؛ تاريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم، ص ١٧٩؛ بغية المرتاد لابن تيمية تحقيق د. موسى الدويش، ص ١٨.

(٢) الفارابي: أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان، فيلسوف رياضي، طبيب عارف باللغات،

أولاً وثانيا: قيل بالمعاد للأنفس العالمة، وقيل بالمعاد للأنفس الجاهلة.

ثالثاً: قيل بإنكار الاثنين، والفارابي نفسه قد قال الأقوال الثلاثة.

القول الرابع: إنكار المعادين جميعاً، كما هو قول أهل الكفر من العرب قبل البعثة، واليونان، والهند والترك وغيرهم. وعند المسلمين ما ليس عند غيرهم؛ ذلك جميع المطالب التي تنال بها السعادة والنجاة»[(١)].

أما الذين ينفون وينكرون معاد الأبدان فإن ما جاء به السمع حجة عليهم من طريقين: «أحدهما: بيان الكلام الصريح في إثبات معاد الأبدان وتفاصيل ذلك.

والثاني: إن العلم بأن الرسل جاءت بذلك علم ضروري فإن كل من سمع القرآن والأحاديث النبوية المتواترة وتفسير الصحابة والتابعين لذلك علم بالاضطرار أن الرسول ﷺ أخبر بمعاد الأبدان وأن القدح في ذلك كالقدح في أنه جاء بالصلوات الخمس وصوم شهر رمضان وحج البيت العتيق، والقرامطة الباطنية وهم من الفلاسفة أنكروا هذا وهذا.

وزعموا أن هذه كلها رموز وإشارات إلى علوم باطنة كما يقولون إن الصلاة معرفة أسرارنا، والصيام كتمان أسرارنا والحج زيارة شيوخنا المقدسين ونحو ذلك مما هو مذكور في الكتب المؤلفة في كشف أسرارهم وهتك أستارهم، ولهؤلاء القرامطة صنفت رسائل أخوان الصفا»[(٢)].

وأما من أنكر المعاد فإن الله سبحانه قد ذكر في كتابه الأدلة العقلية

أخذ عن متي بن مونس وسافر إلى حوران فلزم بها يوحنا بن جيلان توفي في دمشق سنة ٣٣٩هـ من تآليفه، آراء أهل المدينة الفاضلة، إحصاء العلوم والتعريف بأغراضها، المدخل إلى علم المنطق.

انظر: البداية والنهاية ١١/ ٢٢٤، شذرات الذهب ٢/ ٣٥، معجم المؤلفين ١١/ ١٩٤، بغية المرتاد ٦٥.

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية، ج٤، ص ٩٧ - ١٠٠.

(٢) شرح العقيدة الأصفهانية لابن تيمية، ص ١٦٩ - ١٧٠.

والحجج النقلية، ومنها: قدرة الله تعالى أن ينشيء من العظام الهامدة خلقاً جديداً، فقال تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوۡ خَلۡقًا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا ﴿٥١﴾ يَوۡمَ يَدۡعُوكُمۡ فَتَسۡتَجِيبُونَ بِحَمۡدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا﴾[1].

قال شارح الطحاوية: «فتأمل ما أجيبوا به عن كل سؤال على التفصيل: فإنهم قالوا أولاً: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقًا جَدِيدًا﴾ فقيل لهم في جواب هذا السؤال: إن كنتم تزعمون أنه لا خالق لكم ولا رب لكم، فهلا كنتم خلقاً لا يفنيه الموت، كالحجارة والحديد وما هو أكبر في صدوركم من ذلك؟!.

فإن قلتم: كنا خلقاً على هذه الصفة التي لا تقبل الفناء، فما الذي يحول بين خالقكم ومنشئكم وبين إعادتكم خلقاً جديداً؟! وللحجة تقدير آخر، وهو: لو كنتم من حجارة أو حديد أو خلق أكبر منها، فإنه قادر على أن يفنيكم ويحيل ذواتكم، وينقلها من حال إلى حال. ومن يقدر على التصرف في هذه الأجسام مع شدتها وصلابتها بالإفناء والإحالة فما الذي يعجزه فيما دونها؟.

ثم أخبر أنهم يسألون آخراً بقولهم: من يعيدنا إذا استحالت جسومنا وفنيت؟ فأجابهم بقوله: ﴿قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ﴾ فلما أخذتهم الحجة ولزمهم حكمها، انتقلوا إلى سؤال آخر يتعللون به بعلل المنقطع، وهو قولهم: متى هو؟ فأجيبوا بقوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا﴾.

ومن هذا قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ﴿٧٨﴾﴾..؟ إلى آخر السورة[2] فلو رام أعلم البشر وأفصحهم وأقدرهم على البيان، أن يأتي بأحسن من هذه الحجة، أو بمثلها بألفاظ تشابه هذه الألفاظ في الإيجاز ووضوح الأدلة وصحة البرهان لما قدر، فإنه سبحانه افتتح هذه الحجة

---

(١) سورة الإسراء آية ٤٩ - ٥٢.

(٢) سورة يونس آية ٧٨ - ٧٩ - ٨٠.

بسؤال أورده ملحد، اقتضى جواباً، فكان في قوله: ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ﴾ ما وفّى بالجواب. وأقام الحجة وأزال الشبهة لما أراد سبحانه من تأكيد الحجة وزيادة تقريرها، فقال: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ فاحتج بالإبداء على الإعادة. وبالنشأة الأولى على النشأة الأخرى. إذ كل عاقل يعلم أن من قدر على هذه قادر على هذه.

ثم أكد الأمر بحجة قاهرة، وبرهان ظاهر، يتضمن جواباً عن سؤال ملحد آخر يقول: العظام إذا صارت رميماً عادت طبيعتها باردة يابسة، والحياة لابد أن تكون مادتها وحاملها طبيعة حارة رطبة بما يدل على أمر البعث، ففيه الدليل والجواب معاً فقال: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾[1] فأخبر سبحانه بإخراج هذا العنصر الذي هو في غاية الحرارة واليبوسة، من الشجر الأخضر الممتليء بالرطوبة والبرودة، فالذي يخرج الشيء من ضده وتنقاد له المخلوقات وعناصرها لا تستعصي عليه، هو الذي يفعل ما أنكره الملحد ودفعه من إحياء العظام وهي رميم.

ثم أكد هذا بأخذ الدلالة من الشيء الأجل الأعظم على الأيسر الأصغر»[2] وهنالك من الأدلة القرآنية العقلية وما فيها من إقامة الحجة والبرهان ما يفوق المقال وتعدد الأحوال ومنها الاستدلال بخلق الإنسان من نطفة ثم يتدرج في خلق الله له فإذا هو خصيم مبين.

الرد على من يثبت المعاد ويقولون بالأجسام المركبة والجوهر الفرد من المتكلمين:

وهم الذين قالوا: «اجمع أهل الملل عن آخرهم على جوازه ووقوعه، وأنكرها الفلاسفة. أي الحشر وإعادة المعدوم.

أما الجواز: فلأن جمع الأجزاء على ما كانت عليه وإعادة التأليف المخصوص فيها أمر ممكن؛ والله عالم بتلك الأجزاء، قادر على جمعها

(١) سورة يس آية ٨٠.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٠٦ - ٤٠٧ - ٤٠٨.

وتأليفها»[1] ولأنهم يعتقدون أن إثبات الجوهر الفرد والأجزاء المركبة دليل على إثبات وجود الله وأن الجوهر الفرد لا يفنى وأن الأعراض تزول بزوال وقتها، فكان هذا وغيره ملزماً لهم من قبل مناظريهم الفلاسفة والمتكلمين، ذلك أنهم أعرضوا عن أخبار الرسول ﷺ «فالقائلون بإن الأجسام مركبة من الجواهر المفردة لهم في المعاد خبط واضطراب، وهم فيه على قولين: منهم من يقول: تعدم الجواهر ثم تعاد. ومنهم من يقول: تفرق الأجزاء ثم تجمع. فأُورد عليهم: الإنسان الذي يأكله حيوان وذلك الحيوان أكله إنسان، فإن أعيدت تلك الأجزاء من هذا، لم تُعد من هذا؟ وأُورد عليهم: أن الإنسان يتحلل دائماً، فماذا الذي يعاد؟ أهو الذي كان وقت الموت؟ فإن قيل بذلك، لزم أن يعاد على صورة ضعيفة، وهو خلاف ما جاءت به النصوص، وإن كان غير ذلك، فليس بعض الأبدان بأولى من بعض!.

فادعى بعضهم أن في الإنسان أجزاء أصلية لا تتحلل ولا يكون فيها شيء من ذلك الحيوان الذي أكله الثاني! والعقلاء يعلمون أن بدن الإنسان نفسه كله يتحلل، ليس فيه شيء باق، فصار ما ذكروه في المعاد قوّى شبهة المتفلسفة في إنكار معاد الأبدان»[2].

الذين قالوا: «لو حشرت الأجساد فأما لا لغرض وهو عبث، وأما لغرض. إما عائد إلى الله وهو منزه عنه، أو إلى العبد، وهو أما الإيلام وهو منتف إجماعاً لقبحه وعدم ملاءمته للحكمة والعناية، وإما الإلذاذ وهو أيضاً باطل لأن اللذة إنما هي دفع الألم بالاستقراء..

فكان جوابهم: نختار أنه لا لغرض ولا نسلّم أن الغرض إما الإيلام، أو الإلذاذ، ولعل فيه غرضاً آخر لا نعلمه. سلّمنا، لكن لا نسّلم أن اللذة دفع الألم، ولم لا يجوز أن تكون أمراً آخر؟ وحقيقة لا مجال للوجدان والاستقراء فيه؟!!»[3].

---

(١) المواقف في علم الكلام للإيجي، ص ٣٧٢.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، ص ٤٠٩ - ٤١٠.

(٣) المواقف في علم الكلام للإيجي، ص ٣٧٣.

إن هذا وغيره من سفسطات القول، وهذا حالهم في عجزهم عن الدفاع عن مقدماتهم وإنكارهم ما هو معلوم من الضرورة في شرع الله، وذلك مثل الغاية من حشر الأبدان وهو أما نعيم مقيم وأما عذاب أليم. وهذا معلوم لدى العامة خلاف أهل العلم؛ بل إن هذا وعد الله سبحانه لعباده المؤمنين ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[1].

«وقد توعد الله الكافرين بأن يذوقوا عذاب النار، فهل بعد هذا شك في إحساسهم بالعذاب وإنه الغرض من حشرهم بخلاف من صدّقت قلوبهم بآيات الله وعملوا بمقتضاها وهي الصالحات «فلهم جنات المأوى» أي التي فيها المساكن والدور والغرف العالية «نزلاً» أي ضيافة وكرامة.

ثم قال تعالى متوعداً من أعرض عن طاعته: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾﴾[2].

قال الفضيل بن عياض: والله إن الأيدي لموثقة وإن الأرجل لمقيدة وإن اللهب ليرفعهم والملائكة تقمعهم، ويقال لهم ﴿ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ يقال لهم ذلك تقريعاً وتوبيخاً[3]. إن هذا وصف لحال من عصى الله فكفر به في حال معادهم إلى الله.

وإذا كانت تلك نظرة المتكلمين القاصرة في حال المعاد؛ ذلك إنهم أعرضوا عما جاء به المصطفى ﷺ من ربه تعالى، فما كان من مناهجهم وطرقهم إلا أن أصابت عقولهم الحيرة والشك وتكافؤ الأدلة عندهم إن كان عندهم من دليل؟!.

أما القول الذي عليه «السلف وجمهور العقلاء: فإن الأجسام تنقلب من

---

(١) سورة السجدة آية ١٧ - ١٨ - ١٩.

(٢) سورة السجدة آية ٢٠.

(٣) تفسير ابن كثير، ج٣، ص ٣٩٥.

حال إلى حال، فتستحيل تراباً، ثم ينشئها الله نشأة أخرى، كما استحال في النشأة الأولى، فإنه كان نطفة، ثم صار علقة، ثم صار مضغة، ثم صار عظاماً ولحماً، ثم أنشأه خلقاً سوياً.

كذلك الإعادة: يعيده الله بعد أن يبلى كله إلا عجب الذنب. كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ، أنه قال: «كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب، منه خلق ابن آدم ومنه يركب»[(1)] فالنشأتان نوعان يتفقان ويتماثلان من وجه، ويفترقان ويتنوعان من وجه، والمعاد هو الأول بعينه.. وليست صفة تلك النشأة الثانية مماثلة لصفة هذه النشأة، حتى قيل إن الصفات هي المغيرة، لا سيما أهل الجنة إذا دخلوها فإنهم يدخلونها على صورة آدم»[(2)].

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «خلق الله آدم وطوله ستون ذراعاً، ثم قال: اذهب فسلم على أولئك من الملائكة فاستمع ما يحيونك، تحيتك وتحية ذريتك، فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله. فزادوه، ورحمة الله فكل من يدخل الجنة على صورة آدم، فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن»[(3)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «قال رسول الله ﷺ: يقول الله عز وجل: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذخراً بله ما أطلعكم الله عليه ثم قرأ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾»[(4)].

---

(1) فتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب التفسير، باب ونفخ في الصور،ح٨، ص ٥٥١.
صحيح مسلم شرح النووي، كتاب الفتن، باب النفختين، ج ١٨،ص ٣٠٣.

(2) شرح العقيدة الطحاوية، ص ٤١٠.

(3) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته ح ٦، ص ٣٦٢.
؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ح١٧، ص ١٧٦.

(4) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين،ح ٨، ص ٥١٥؛ آية ١٧ السجدة.
صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ح ١٧، ص ١٦٦.

قال النووي: «بله: بفتح الباء الموحدة وإسكان اللام ومعناها دع عنك ما أطلعكم عليه فالذي لم يطلعكم عليه أعظم وكأنه أضرب عنه استقلالا له في جنب ما لم يطلع عليه، وقيل معناها غير وقيل كيف»[1].

أما الذين يثبتون إعادة الأبدان دون الأرواح، وهم كما قال ابن تيمية كثير من المتكلمين الجهميه والمعتزلة، وهو كما قال لأنهم ينكرون بقاء الأعراض بعد زوال الأجسام المصاحبة لها، قال البغدادي: «قال شيخنا أبو الحسن الأشعري، ما عدم بعد وجوده صحت إعادته جسماً كان أو عرضا.

وقال القلانسي من أصحابنا يصح إعادة الأجسام ولا يصح إعادة الأعراض وأنكر الكعبي من المعتزلة وأتباعه من القدرية إعادة الأعراض.

وقال الجبائي منهم، الأعراض نوعان: باق وغير باق.

وما صح بقاؤه منها صحت إعادته بعد الفناء وما لا يصح بقاؤه فلا تصح إعادته.

وقال الكرامية: ما عدم بعد وجوده فلن يجوز أن يعاد جسماً كان أو عرضا، وإنما يجوز أن يخلق مثله»[2].

ولا شك إن هذا تخبط! كيف وقد قالوا: إننا نأخذ بالسمعيات في أمر المعاد وقد أعرضوا عنها في الإلهيات والقدر[3].

وحيث إن الروح من لوازم الجسد، فلا جسد بلا روح بل إنها المنعّمة أو المعذبة.

وقد جاء وصف حالها وتعلقها بالبدن في سنة المصطفى ﷺ ونقله علماء أهل السنة والجماعة «السلف».

---

(١) شرح النووي، ج١٧، ص ١٦٦.

(٢) أصول الدين لعبد القاهر البغدادي، ص٢٣٤.

(٣) انظر نهاية الإقدام في علم الكلام للشهرستاني ص ٤٤٦.
؛ انظر المواقف في علم الكلام للإيجي، ص ٣٣٧.
؛ العقيدة الأصفهانية لابن تيمية، ص ١٦٨.

وسر ذلك أن الروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق متغايرة الأحكام.

أحدها: تعلقها به في بطن الأم جنيناً.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إن أحدكم ليجمع في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقه مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: يكتب رزقه، وأجله وعمله وشقي أو سعيد، فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها»[(١)].

الثاني: تعلقها به بعد خروجه إلى وجه الأرض.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله ثم قرأ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾[(٢)].

وعن جندب بن سفيان قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أراد الله قبض روح عبد بأرض جعل له فيها ـ أو قال بها حاجة»[(٣)] فهي مصاحبة للعبد حتى قبضها يوم وفاته.

الثالث: تعلقها به في حال النوم فلها به تعلق من وجه ومفارقة من وجه قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب في الملائكة٦، ، ص ٣٠٣. ؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته ج١٦، ١٨٩.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين، ح ٨، ص ٥١٣؛ سورة لقمان آية ٣٤.

(٣) المستدرك علي الصحيحين للحاكم وصححه ووافقه الذهبي، ج١، ص ٥٢١.

ﭐلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾[1].

قال ابن كثير: «وفي هذه الآية ذكر الوفاتين القيامة الكبرى ثم الصغرى، وفيه دلالة على أنها تجتمع في الملأ الأعلى.. وقال بعض السلف: يقبض أرواح الأموات إذا ماتوا وأرواح الأحياء إذا ناموا فتتعارف ما شاء الله تعالى أن تتعارف فيمسك التي قضى عليها الموت ﴿وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ﴾»[2].

وعن أبي هريرةﷺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا آوى أحدكم إلى فراشه فلينفضه بداخلة إزاره فإنه لا يدري ما خلفه عليه ثم ليقل باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه إن أمسكت نفسي فأرحمها وإن أرسلتها فأحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين»[3].

الرابع: تعلقها به في البرزخ فإنها وإن فارقته وتجردت عنه فإنها لم تفارقه فراقاً كلياً بحيث لا يبقى لها التفات إليه البته.

عن أنسﷺ قال: قال رسول اللهﷺ: «إن العبد إذا وضع في قبره وتولى وذهب أصحابه ـ حتى إنه ليسمع قرع نعالهم ـ أتاه ملكان فأقعداه، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمدﷺ؟ فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله. فيقال انظر إلى مقعدك من النار، أبدلك الله به مقعداً في الجنة. قال النبيﷺ، فيراهما جميعاً. وأما الكافر ـ أو المنافق ـ فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس. فيقال: لا دريت ولا تليت. ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه، فيصيح صيحة يسمعها من يليه من الثقلين. ـ زاد مسلم ـ قال قتادة: وذُكر لنا أنه يفسح له

---

(١) سورة الزمر آية ٤٢.

(٢) تفسير ابن كثير، ح٤، ص ٥١.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب السؤال بأسماء الله الحسنى، ح ص٣٧٨.

؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والإستغفار، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، ح١٧، ص ٣٦.

في قبره سبعون ذراعاً ويُملأ عليه خضراً إلى يوم يبعثون»[١].

الخامس: تعلقها به يوم يبعث الأجساد وهو أكمل أنواع تعلقها بالبدن ولا نسبة لما قبله من أنواع التعلق، لا يقبل البدن معه موتاً ولا نوماً ولا فساداً...

فإن الله سبحانه وتعالى جعل الدور ثلاثاً، دار الدنيا ودار البرزخ، ودار القرار، وجعل لكل دار أحكاماً تختص بها وركب هذا الإنسان من بدن ونفس وجعل أحكام دار الدنيا على الأبدان والأرواح تبعاً لها، ولهذا جعل أحكامه الشرعية مرتبة على ما يظهر من حركات اللسان والجوارح وإن أضمرت النفوس خلافه وجعل أحكام البرزخ على الأرواح والأبدان تبعاً لها، فكما تبعت الأرواح الأبدان في أحكام الدنيا فتألمت بألمها والتذّت براحتها وكانت هي التي باشرت أسباب النعيم والعذاب تبعت الأبدان الأرواح في نعيمها وعذابها والأرواح حينئذ هي التي تباشر العذاب والنعيم.

فالأبدان هنا ظاهرة والأرواح خفية، ثم قال ابن القيم رحمه الله في ميميته واصفاً ثمانية من الخلق يعمها حكم البقاء، فقال:

«ثمانية حكم البقاء يعمها من الخلق والباقون في حيز العدم
هي العرش والكرسي نار وجنة وعجب وأرواح كذا اللوح والقلم»[٢].

وبهذا فإن الروح ينالها ما قدر الله من النعيم أو العذاب في البرزخ وفي دار القرار أما «قول من يقول إن البرزخ ليس فيه نعيم ولا عذاب، بل لا يكون ذلك حتى تقوم القيامة الكبرى، كما يقول ذلك من يقوله من المعتزلة، ونحوهم، الذين ينكرون عذاب القبر ونعيمه، بناء على أن الروح لا تبقى بعد فراق البدن، وأن البدن لا ينعم ولا يعذب.

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب الميت يسمع خفق النعال، ح ٣، ص٣٠٥.
؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت عليه،ح١٧، ص ٢٠٣.

(٢) الروح لإبن القيم، دار القلم بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ، ص ٤٠ - ٥٨.

فجميع هؤلاء الطائفتين: ضلّال في أمر البرزخ، لكنهم خير من الفلاسفة؛ لأنهم يقرون بالقيامة الكبرى.

وقول من يقول: إن الروح بمفردها لا تنعم ولا تعذب وإنما الروح هي الحياة، وهذا يقوله طوائف من أهل الكلام، من المعتزلة وأصحاب أبي الحسن الأشعري كالقاضي أبي بكر وغيرهم، وينكرون أن الروح تبقى بعد فراق البدن، وهذا قول باطل؛ خالفه الأستاذ أبو المعالي الجويني وغيره؛ بل قد ثبت في الكتاب والسنة، واتفاق سلف الأمة أن الروح تبقى بعد فراق البدن، وأنها منعمة أو معذبة.

فإذا عرفت هذه الأقوال الثلاثة الباطلة، فليعلم أن مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب، وأن ذلك يحصل لروحه ولبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة، وأنها تتصل بالبدن أحياناً، فيحصل له معها النعيم والعذاب، ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى أجسادها وقاموا من قبورهم لرب العالمين»[(١)] وإيمان أهل السنة والجماعة باليوم الآخر إيمان متكامل بعيد عن اللبس والشكوك التي تعتري إيمان تلك الفرق الأخرى، ذلك أن أهل السنة لا يحيدون عن الكتاب والسنة ففيها الدليل والحجة والبرهان نقلاً وعقلاً، فالإيمان باليوم الآخر يقتضي عندهم «التصديق الجازم بإتيانه لا محالة، والعمل بموجب ذلك. ويدخل في ذلك الإيمان بأشراط الساعة، وأماراتها التي تكون قبلها لا محالة، وبالموت وما بعده من فتنة القبر وعذابه ونعيمه، وبالنفخ في الصور، وخروج الخلائق من القبور، وما في موقف القيامة من الأهوال والأفزاع، وتفاصيل المحشر، ونشر الصحف، ووضع الموازين، وبالصراط والحوض، والشفاعة، وغيرها وبالجنة ونعيمها الذي أعلاه النظر إلى وجه الله عز وجل، وبالنار وعذابها الذي أشده حجبهم عن رؤية ربهم عز وجل»[(٢)].

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية، ج٤، ص ٢٨٣ - ٢٨٤.

(٢) أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، الشيخ حافظ أحمد الحكمي، تحقيق أحمد مدخلي، مكتبة الرشد، الرياض ١٤١٨هـ، ص ١١٠.

وحيث كانت أشراط الساعة متقدمة على قيام الناس لرب العالمين؛ فكان المناسب أن يكون المبحث القادم متعلقاً بأشراط الساعة.

أشراط الساعة

والشَّرَط: «بالتحريك العلامة، والجمع أشراط، وأشراط الساعة: أعلامها»[(١)].

قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾[(٢)] وقيل الأشراط هي الآيات وهي «الأمارات الدالة على الشيء، كالأمارات التي تنصب في الصحراء دالة على الطريق، والعلامات التي ترفع على شواطيء البحر تهدي السفن التي تمخض عباب الماء، أو تلك التي توضع قريباً من المدن لتدل المسافر على قرب وصوله إلى الديار التي وضعت بقربها»[(٣)] «والمراد بالأشراط: العلامات التي يعقبها قيام الساعة»[(٤)].

ويقول الطيبي: «الآيات: أمارات للساعة، إما على قربها، وإما على حصولها. فمن الأول: الدجال، ونزول عيسى، ويأجوج ومأجوج، والخسف، ومن الثاني: الدخان، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة، والنار التي تحشر الناس»[(٥)].

قال ابن حجر رحمه الله: «يترجح من مجموع الأخبار أن خروج الدجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغير الأحوال العامة في معظم الأرض وينتهي ذلك بموت عيسى بن مريم، وأن طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوي وينتهى ذلك بقيام الساعة، ولعل خروج الدابة يقع في

---

(١) لسان العرب لابن منظور، ح٧، ص ٣٢٩.

(٢) سورة محمد آية ١٨.

(٣) القيامة الصغرى د. عمر الأشقر، دار النفائس الأردن، الطبعة ١١ سنة ١٤٢١هـ، ص ١٢٧.

(٤) فتح الباري صحيح البخاري، ح ١٣، ص ٧٩.

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري ح ١١ ص ٣٥٢.

ذلك اليوم الذي تطلع فيه الشمس من المغرب»[1].

والساعة: جزء من أجزاء الليل والنهار والجمع ساعات، والليل والنهار معاً أربع وعشرون ساعة، والساعة: الوقت الحاضر، وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾[2] يعني بالساعة الوقت الذي تقوم فيه القيامة.

وقال الزجاج: الساعة اسم للوقت الذي تصعق فيه العباد والوقت الذي يبعثون فيه وتقوم فيه القيامة، سميت ساعة لأنها تفجأ الناس في ساعة فيموت الخلق كلهم عند الصيحة الأولى التي ذكرها الله عز وجل فقال: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾[3].

ولقد ذكر الله في كتابه جملة من أشراط الساعة، كنزول عيسى، وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج الدابة، وغيرها.

وأما من السنة، فكما في حديث جبريل في الصحيحين وقد تقدم في باب الإيمان بالله تعالى وفيه.. قال فأخبرني عن الساعة قال ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، قال: فأخبرني عن أمارتها قال أن تلد الأمة ربتها[4] وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاة الشاة يتطاولون في البنيان[5].

ثم ذكر ﷺ من أشراط الساعة مما جاء في الصحيحين؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما

---

(١) فتح الباري ج ١١، ص ٣٥٣.
(٢) سورة الروم آية ٥٥.
(٣) سورة يسن آية ٢٩.
(٤) قال الخطابي: «معناه اتساع الإسلام واستيلاء أهله على بلاد الشرك وسبي ذراريهم، فإذا ملك الرجل الجارية واستولدها كان الولد منها بمنزلة ربها لأنه ولد سيدها، قال النووي وغيره: إنه قول الأكثرين. فتح الباري، ح ١، ص ١٢٢.
(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان، ح ١، ص١٤٤.
؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب تعريف الإسلام والإيمان، ح ١، ص ١٥٧.

مقتلة عظيمة، دعوتهما واحدة، وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من الثلاثين، كلهم يزعم أنه رسول الله، وحتى يُقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج وهو القتل، وحتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يُهَّم ربُّ المال من يقبل صدقته، وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه: لا أربَ لي به، وحتى يتطاول الناس في البنيان، وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني مكانه، وحتى تطلع الشمس من مغربها. فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعين، فذلك حين ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾[1] «ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه، ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها»[2] وعن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبة من أدم فقال: «اعدد ستاً بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس ثم موتان[3] أخذ فيكم كقعاص الغنم[4] ثم استفاضة المال حتى يعطي الرجل مئة دينار فيظل ساخطاً، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر[5] فيغدرون، فيأتونكم تحت ثمانين غاية[6] تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً»[7].

---

(١) سورة الأنعام آية ١٥٨.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الفتن، ج١٣ ص ٨١ - ٨٢.
؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي يقبل فيه الإيمان، ج٢، ص ١٩٤.

(٣) موّتان: أي وباء، مرقاة ٥/١٥٨.

(٤) قعاص الغنم: هو داء يأخذ الغنم فلا تلبث أن تموت مرقاة ٥/١٥٨.

(٥) بني الأصفر: هم الروم ٥ / ١٥٨.

(٦) غاية: أي راية ٥/١٥٨.

(٧) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الجزية، باب ما يحذر من الغدر، ج٦، ص٢٧٧.

اقتراب موعد الساعة وزوال الدنيا:

وإن كانت تلك بعض أشراطها؛ فقد أخبرنا رسول الله ﷺ بدنو أجلها وساعة اقترابها، محذراً الأمة إعراضهم عن عبادة الله، والإشفاق من أهوالها، فعن عتبة بن غزوان رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ قال: فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد فإن الدنيا قد آذنت بصرم وولت حذاء ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء يتصابها صاحبها وإنكم منتقلون منها إلى دار لا زوال لها فانتقلوا بخير ما بحضرتكم فإنه قد ذكر لنا أن الحجر يلقى من شفير جهنم فيهوي فيها سبعين عاماً ما يدرك لها قعر والله لتملؤنه أفعجبتم والله لقد ذكر لنا أن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين عاماً وليأتين عليه يوم كظيظ الزحام ولقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله ﷺ ما لنا طعام إلا ورق الشجر.. فما أصبح منا أحد اليوم إلا أصبح أمير مصر من الأمصار، وأني أعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيماً وعند الله صغيراً»[1] قال النووي في شرحه «آذنت: أي أعلمت. والصرم بالضم أي الانقطاع والذهاب وقوله حذاء أي مسرعة الانقطاع، والصبابة البقية اليسيرة من الشراب تبقى في أسفل الإناء وقوله يتصابَّها أي يشربها وقعر الشيء أسفله، والكظيظ الممتليء»[2].

وإذا كان رسول الله ﷺ قد أخبر أمته باقتراب الساعة فإنه لم يحدد زمناً معيناً، وإن الذين ظنوا في حديث أنس بن مالك وغيره تحديداً قد أخطأوا في ذلك؛ وإنما كان رسول الله ﷺ يؤكد ساعة القيامة الصغرى للسائل والسامع.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «إن رجلاً سأل رسول الله ﷺ متى تقوم الساعة؟ وعنده غلام من الأنصار، فقال رسول الله ﷺ: إن يعش هذا الغلام فعسى أن لا يدركه الهرم حتى تقوم الساعة»[3].

---

(١) مسند الإمام أحمد، ح٤، ص ١٧٤، ح ٥، ص ٦١.
؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الزهد، ج ١٨، ص ١٠٢.
(٢) شرح النووي، ح ١٧، ص ١٠٢.
(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الفتن، باب قرب الساعة، ح ١٧، ص ٩٠.

وفي رواية: قال فسكت رسول الله ﷺ هُنيهة ثم نظر إلى غلام من أزد شنوءة فقال: إن عُمِّر هذا لم يدركه الهرم حتى تقوم الساعة قال أنس: ذاك الغلام من أترابي يومئذ.

قال النووي: «قال القاضي عياض: هذه الروايات كلها محمولة على معنى الأولى والمراد بساعتهم موتهم ومعناه يموت ذلك القرن، أو أولئك المخاطبون، قال النووي: قلت: ويحتمل أنه علم أن ذلك الغلام لا يبلغ الهرم ولا يعمر ولا يؤخر»(1). قال الأشقر: وهذا الجواب من الرسول ﷺ يعرف بجواب الحكيم، فإنه أرشدهم إلى الاستعداد للموت والتأهب له، والموت قريب(2).

قال شيخ الإسلام: «فإذا كان النبي ﷺ قد قال عن نفسه: إنه ليس بأعلم بالساعة من إعرابي فكيف يجوز لغيره أن يدعي علم ميقاتها؟! وإنما أخبر الكتاب والسنة بأشراطها، وهي علاماتها وهي كثيرة.. ومن تكلم في وقتها المعين.. فإنهم وإن كان لهم صورة عظيمة عند أتباعهم فغالبهم كاذبون مفترون، وقد تبين لهم من وجوه كثيرة أنهم يتكلمون بغير علم؛ وان ادّعوا في ذلك الكشف ومعرفة الأسرار»(3) وأشراط الساعة منها ما مضى ومنها ما يزال، ومنها ما هو في علم الغيب عند الله تعالى.

علامات الساعة الصغرى

أخبر المصطفى ﷺ بعلامات الساعة لتكون الأمة من بعده على نور من هديه ﷺ حيال ما يستجد من سنن الله في كونه الواسع وفي خلقه ومخلوقاته.

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: «كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فنزلنا منزلا، فمنا من يصلح خباءه، ومنا من ينتضل، ومنا من هو في جشره، إذ نادى منادي رسول الله ﷺ فاجتمعنا إلى رسول الله ﷺ فقال: إنه لم يكن نبي قبلي

---

(1) شرح النووي، ح ١٧، ص ٩٠.
(2) القيامة الصغرى، د. عمر الأشقر ص ١٢٦.
(3) مجموع فتاوى ابن تيمية ح٤، ص ٣٤١ / ٣٤٢.

إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم، وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها، وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها، وتجيء فتن، فيرقق بعضها بعضا، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه مهلكتي، ثم تنكشف، وتجيء الفتنة، فيقول المؤمن هذه هذه، فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة، فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت الناس الذي يحب أن يؤتى إليه، ومن بايع إماما، فأعطاه صفقة يده، وثمرة قلبه، فليطعه ما استطاع»[1].

قال النووي: قوله: «ومنا من ينتضل، من المناضله وهي المراماة بالنشاب، وقوله: ومنا من هو في جشره هي الدواب التي ترعى وتبيت مكانها. وتجيء فتن يرقق بعضها بعضا أي يصير بعضها رقيقاً أي خفيفاً لعظم ما بعده، فالثاني: يجعل الأول رقيقاً. وقوله ﷺ: وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه، هذا من جوامع الكلم الذي أوتيه ﷺ، وبديع حكمته، وهذه قاعدة مهمة فينبغي الاعتناء بها وأن الإنسان يلزم أن لا يفعل مع الناس إلا ما يحب أن يفعلوه معه»[2].

وحيث إن إيمان المسلم هو حصنه الحصين، ودرعه المكين حتى يلقى الله فإن المصطفى ﷺ يبين لأمته ما ستظهره الليالي والأيام والسنون، ذلك ليبقى المؤمن على نور من ربه وهدي نبيه ﷺ فلا يضل ولا ينحرف عن الطريق السوي وان تجددت النوازل والوقائع فإن السعيد من التزم سنة نبيه ﷺ؛ كيف وقد تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها حتى تقوم الساعة، وليكن على رضاً بأقدار الله، وعلى علم بأحكام ما يستجد كالصلاة، حين خروج الدجال وقد أخبر المصطفى ﷺ أن يوماً كسنة ويوماً كشهر ثم قال: اقدروا له قدره، كأيام الدنيا، وكذلك بعد نزول عيسى لا يقبل من ذمي جزية فلا يحكم إلا بشريعة محمد ﷺ، وأخبر ﷺ أن أمور الغيب لا يعلمها إلا الله تعالى.

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الأمارة، باب وجوب الوفاء في البيعة، ح ١٢، ص ٢٣٢.

(٢) شرح النووي، ح١٢، ص ٢٣٣.

هذا ومن المعلوم انقسام علامات الساعة إلى صغرى وكبرى، أما الصغرى فمنها ما انقضى ومضى ومنها ما لم يأت بعد ويتبين ذلك فيما يلي:

علامات الساعة الصغرى التي انقضت:ـ

مبعثه ﷺ:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين»[1].

هلاك كسرى وقيصر:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «هلك كسرى فلا يكون كسرى بعده، وقيصر ليهلكن ثم لا يكون قيصر بعده، ولتقسمن كنوزهما في سبيل الله»[2].

قال النووي: «قال الشافعي وسائر العلماء معناه لا يكون كسرى بالعراق ولا قيصر بالشام، كما كان في زمنه ﷺ فعلمنا ﷺ بانقطاع ملكهما في هذين الإقليمين، فكان كما قال ﷺ. فأما كسرى فانقطع ملكه بالكلية من جميع الأرض وتمزق كل ممزق واضمحل بدعوة الرسول ﷺ وأما قيصر فانهزم من الشام ودخل أقاصي بلاده فافتتح المسلمون بلادهما واستقرت للمسلمين ولله الحمد وأنفق المسلمون كنوزهما في سبيل الله كما أخبر ﷺ وهذه معجزات ظاهرة»[3].

فتن تموج كموج البحر:

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، قال: «كنا عند عمر رضي الله عنه، قال: أيكم يحفظ

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب قوله ﷺ بعثت أنا والساعة كهاتين، ح ١١، ص ٣٤٧.
؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الفتن، باب قرب الساعة، ح ١٨، ص ٨٩.

(٢) فتح الباري شرح البخاري، كتاب الجهاد، باب الحرب خدعة، ح ٦، ص ١٥٧.
؛ صحيح مسلم شرح النووي، كتاب الفتن وأشراط الساعة، ح ١٨، ص ٤٢.

(٣) شرح النووي، ح ١٨، ص ٤٢.

حديث رسول الله ﷺ في الفتنة؟ فقلت: أنا أحفظ كما قال، قال: هات، إنك لجريء وكيف قال؟ قلت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: فتنة الرجل في أهله وماله ونفسه وولده وجاره، يكفرها الصيام والصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقال عمر: ليس هذا أريد، إنما أريد التي تموج كموج البحر. قال: قلت: مالك ولها يا أمير المؤمنين؟ إن بينك وبينها باباً مغلقاً. قال فيكسر الباب أو يفتح؟ قال: قلت: لا بل يكسر، قال: ذاك أحرى أن لا يغلق أبداً، قال: فقلنا لحذيفه: هل كان عمر يعلم من الباب؟ قال: نعم كما يعلم أن دون غد الليلة، إني حدثته حديثاً ليس بالأغاليط، قال: فهبنا نسأل حذيفه من الباب؟ فقلنا لمسروق: سله، فسأله فقال: عمر»[1].

النار التي أضاءت أعناق الإبل ببصرى وخرجت من أرض الحجاز:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى»[2].

قال ابن حجر: «قال القرطبي في التذكرة، قد خرجت نار الحجاز بالمدينة، وكان بدؤها زلزلة عظيمة في ليلة الأربعاء الثالث عشر من جمادي الآخرة سنة ٦٥٤هـ وظهرت النار بطرق الحرة وقال النووي: تواتر العلم بخروج هذه النار عند جميع أهل الشام. وقال أبو شامة في ذيل الروضتين: وردت في أول شعبان سنة ٦٥٤هـ كتب من المدينة الشريفة فيها شرح أمر عظيم حدث بها فيه تصديق لما في الصحيحين، فذكر هذا الحديث»[3].

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب الفتن التي تموج كموج البحر، ح ١٣، ص ٤٨.
؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في الفتن التي تموج كموج البحر، ج١٧، ص ١٠٦

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الفتن،ح ١٣، ص ٨٧.
؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الفتن، ح ١٨، ص ٣٠.

(٣) فتح الباري، ح ١٣، ص ٧٩.

قال النووي: «هي آية من أشراط الساعة مستقلة وقد خرجت في زماننا نار بالمدينة سنة أربع وخمسين وستمائة، وكانت نار عظيمة جداً من جنب المدينة الشرقي وراء الحرة؛ تواتر العلم بها عند جميع الشام وسائر البلدان وأخبرني من حضرها من أهل المدينة»[(١)].

دجالون كذابون يدَّعون النبوة:

عن أبي هريرةﷺ أن رسول اللهﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة، دعوتهما واحدة. وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله..»[(٢)].

قال ابن حجر: «المراد بالفئتين علي ومن معه ومعاوية ومن معه، ويؤخذ من قوله دعوتهما واحدة ومن تسميتهم مسلمين الرد على الخوارج ومن تبعهم من تكفيرهم كلا الطائفتين. أما الدجالون فقال ابن حجر: إنه جمع دجَّال: وخرج في زمن أبي بكر طليحة بن خويلد وادعى النبوة ثم تاب ورجع إلى الإسلام، وتنبأت أيضاً سجاح ثم تزوجها مسيلمة وقد اشتهر بادعائه النبوة»[(٣)]. وقد كثر أمثالهم على مرور العصر الإسلامي ممن أضلهم الله حتى «ظهر في هذا العصر مدّعون للنبوة والمهدي ثم أتوا بدين وتشريع جديد، فما وُجد لها مستمع إلا أصحاب الهوى والأغراض الدنيوية. ومنهم مؤسس الديانة البهائية الذي أعلن أنه المهدي المنتظر وكان في إيران ثم ادعى أنه أفضل من محمدﷺ صاحب الدعوة الإسلامية، وأن تعاليمه التي جمعها في بيانه أفضل من تعاليم نبي المسلمين وقرآنه، وأنه يتحدى الجميع بالإتيان بباب من أبواب بيانه العظيم، حُكم عليه بالإعدام فأعدم سنة ١٢٢٩هـ تقريباً..»[(٤)].

---

(١) شرح النووي، ح ١٨، ص ٢٨.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الفتن، ح ١٣،ص ٨١.
صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان، ج٢، ص ١٩٤.

(٣) فتح الباري، ح ١٣، ص ٨٥ - ٨٧.

(٤) ذيل الملل والنحل للشهرستاني، تأليف محمد سيد كيلاني، ح ٢، ص ٤٤، ٤٦، ٤٩.

«ثم أتى الدجّال الآخر في القارة الهندية: غلام أحمد القادياني، وقد ادعى أنه المسيح المعهود والمهدي الموعود، وادعى أن الله وهبه علماً وجعله من المكلمين الملهمين ثم ادعى أنه هو النبي الذي تنبأت بظهوره في آخر الزمان أغلب الديانات العظيمة، وأنه خاتم النبيين، صادفت دعوته القاديانية قبولاً من بعض جهات أفريقيا ويبشرون بالإسلام في أوروبا وأمريكا وآسيا»[1].

«أما طائفة اليزيدية أو عبدة الشيطان، وهم الذين ينتمي معظمهم إلى الجنس الكردي، ويقطن أتباعهم مناطق حدود كل من إيران والعراق وتركيا وسوريا وروسيا وهي بلاد الأكراد.

ومنهم من يدعي نسبة دينهم إلى يزيد بن معاوية ويعتقدون أنه إلـهم المقدس، وهم مختلفون في نسبة معتقدهم ومنهم من يعتقد نسبة معتقدهم إلى مدينة يزد الفارسية.

والحق أن اليزيدية خليط من عناصر وثنية قديمة وعناصر إيرانية وأخرى يهودية ونصرانية وإسلامية، وهم يؤمنون بوجود إله أكبر خالق لهذا الكون، وقد فوض تدبيره إلى ملك طاووس ويرفعونه إلى مرتبة الألوهية. أما نبي هذه الديانة فهو الشيخ عادي، ويرفعونه فوق درجة النبوة، ومن شخصياتهم المقدسة: منصور الحلاج الهالك ويحجون زيارةً لضريحه.

ويجب على كل يزيدي في كل يوم وقت طلوع الشمس أن يقف في موضع شروقها بشرط أن لا يراه مسلم، وإذا لم يفعل فهو كافر، ولا يسمع صلاة المسلم، واليزيدية يؤمنون بالتناسخ والحلول، ولهم كتابان مقدسان، ولهم عيد الخضر، ويحتفلون بليلة القدر ولا ينامون ساهرين إلى الصباح، وكان دينهم يحرم العلم، ثم أبيح لهم وأباح رئيسهم دخول المدارس»[2] إن هذا الضلال من هؤلاء وغيرهم ناتج عن انحرافهم في عقيدتهم واتباع أهوائهم وترك منهج الوحي من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) المصدر السابق، ح ٢، ص ٥٨، ٦٢، ٦٣.

(٢) نفس المصدر ح ٢، ص ٣٣، ٣٦، ٣٧، ٣٨.

انشقاق القمر:

إن انشقاق القمر في عهد رسول الله ﷺ معجزة له، كان من أعظم الآيات الصغرى، وقد أخبر الله تعالى بذلك في كتابه الكريم فقال تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا ءَايَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢﴾[1].

أما الأحاديث في بيان انشقاق القمر فقد سبق عرضها في مبحث معجزاته ﷺ، قال الإمام النووي: «قال القاضي عياض: انشقاق القمر من أمهات معجزات نبينا ﷺ، وقد رواها عدة من الصحابة ﷺ مع ظاهر الآية الكريمة وسياقها»[2].

قتال الترك:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر، وحتى تقاتلوا الترك صغار الأعين، حمر الوجوه، ذلف الأنوف، كأن وجوههم المجان المطرقة»[3].

قال النووي في شرحه: ذلف الأنوف أي فطس الأنوف قصارها مع انبطاح أي صغارها. والمجانّ المطرقة: تشبيه وجوه الترك في عرضها بالترسة المطرقة وهي التي ألبست العقب وأطرقت به طاقة فوق طاقة.

علامات صغرى للساعة لم تقع:

أخبر رسول الله ﷺ بعلامات لقيام الساعة أو بين يدي قيامها:

---

(١) سورة القمر آية ١ - ٢.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم حـ ١٧ ص ١٤٣

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب قتال الترك، ح ٦، ص ١٠٤.
؛صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الفتن باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل،ح ١٨،ص ٢٧.

فعن أبي هريرةﷺ أن النبيﷺ قال: «سمعتم بمدينة جانب منها في البحر وجانب منها في البر قالوا: نعم يا رسول الله، قال: لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفاً من بني اسحق فإذا جاؤوها نزلوا فلم يقاتلوا بسلاح ولم يرموا بسهم قالوا: لا إله إلا الله والله أكبر فيسقط أحد جانبيها، قال ثور[١]: لا أعلمه إلا قال الذي في البحر ثم يقولوا الثانية لا إله إلا الله والله أكبر فيفرج لهم فيدخلوها فيغنموا فبينما هم يقتسمون الغنائم إذ جاءهم الصريخ فقال: إن الدجال قد خرج فيتركون كل شي ويرجعون»[٢]قال النووي: «يغزوها سبعون ألفاً من بني إسحق». قال القاضي: كذا هو في جميع أصول مسلم من بني إسحق قال بعضهم: المعروف المحفوظ من بني إسماعيل وهو الذي يدل عليه الحديث وسياقه لأنه إنما أراد العرب وهذه المدينة هي القسطنطينية»[٣].

وهنا إشكال فإن القسطنطينية قد فتحها محمد الفاتح في القرن التاسع الهجري، وفي الحديث علامة خروج الدجال، فدل هذا أن المقصود بهذه المدينة هي مدينة روما، ويدل على ذلك ما رواه أبي قبيل عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: «كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاص، وسئل: أي المدينتين تفتح أولاً: القسطنطينية أو رومية؟ فدعا عبد الله بصندوق له حلق، قال: فأخرج منه كتاباً قال: عبد الله: بينما نحن حول رسول اللهﷺ وسلم نكتب؛ إذ سئل رسول اللهﷺ: أي المدينتين تفتح أولاً: أقسطنطينية أو رومية؟ فقال رسول اللهﷺ: مدينة هرقل تفتح أولاً، يعني قسطنطينية»[٤].

قال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني: «ورومية هي روما عاصمة ايطاليا ومقر الفاتيكان، وقد تحقق الفتح الأول على يد محمد الفاتح العثماني؛ كما هو معروف، وذلك بعد أكثر من ثمانمائة سنه من إخبار الرسولﷺ بالفتح، وسيتحقق

---

(١) هو ابن زيد الديلي، أحد الرواة. شرح النووي، ج١٨، ص ٤٣ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الفتن وأشراط الساعة، ح ١٨، ص ٤٣.

(٣) شرح النووي، ح ١٨، ص ٤٣.

(٤) مسند أحمد، ح ٢، ص ١٧٦.

؛ مستدرك الحاكم،وصححه ووافقه الذهبي، ج٤، ص ٤٦٨.

الفتح الثاني بإذن الله تعالى ولابد، ولتعلمن نبأه بعد حين. ولا شك أن تحقيق الفتح الثاني يستدعي أن تعود الخلافة الراشدة إلى الأمة المسلمة، وهذا مما يبشرنا به ﷺ»[1].

تقوم الساعة والروم أكثر الناس:

كان المستورد القرشي عند عمرو بن العاص رضي الله عنه، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تقوم الساعة والروم أكثر الناس، فقال عمرو: أبصر ما تقول: قال أقول ما سمعت من رسول الله ﷺ، قال: لئن قلت ذاك فإن فيهم لخصالاً أربعاً: إنهم لأحكم الناس عند فتنة، وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة، وأوشكهم كرة بعد فرة، وخيرهم لمسكين ويتيم وضعيف، وخامسة حسنة جميلة وأمنعهم من ظلم الملوك»[2].

قال النووي: «وهذا يدل على أن الروم يسلمون في آخر الزمان، ولعل فتح القسطنطينية يكون على يد طائفة منهم كما نطق به الحديث المتقدم أنه يغزوها سبعون ألفاً من بني إسحق بن إبراهيم الخليل.. وهؤلاء الروم قد مُدحوا في هذا الحديث فلعلهم يسلمون على يدي المسيح بن مريم والله أعلم»[3].

خلافة على منهاج النبوة:

عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاضاً، فيكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرياً،

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني،ح١، ص ٣٢.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الفتن، باب تقوم الساعة والروم أكثر الناس،ح ١٨، ص ٢٢.

(٣) النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير، باب تقوم الساعة والروم أكثر الناس. ح١، ص ٧٤.

فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت»(١).

أرض العرب مروج وأنهار:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض، حتى يخرج الرجل زكاة ماله فلا يجد أحداً يقبلها منه، وحتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً»(٢).

نهر الفرات يحسر عن جبل من ذهب:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يحسر(٣) الفرات عن جبل من ذهب يقتتل الناس عليه فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون ويقول كل رجل منهم أنا الذي أنجو»(٤).

إذا وسد الأمر إلى غير أهله:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «بينما كان النبي ﷺ يحدّث إذ جاء أعرابي فقال: متى الساعة؟ قال: إذا ضُيعت الأمانة فانتظروا الساعة قال: كيف إضاعتها؟ قال: إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظروا الساعة»(٥).

قتال المسلمين لليهود:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل

---

(١) مسند أحمد، ح ٤، ص ٢٧٣.
؛ مجمع الزوائد للهيثمي، ح ٥، ص١٨٩ وقال: رجاله ثقات.
؛ سلسلة الأحاديث الصحيحة، ناصر الدين الألباني، ح١، ص ٣٤.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الزكاة، باب الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها، ح ٧، ص ٩٧.

(٣) يحسر: أي ينكشف لذهاب مائه. شرح النووي، ح ١٨، ص ١٨، ١٩.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الفتن واشراط الساعة، ح ١٨، ص ١٨.

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من سئل علماً وهو مشتغل في حديثه، ح ١، ص ١٤١.

المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبىء اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر والشجر: يا مسلم! يا عبد الله! هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر يهود»[1] ورواه بلفظ مقارب عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

رجل من قحطان يسوق الناس:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه»[2].

قال ابن حجر: لم أقف على اسمه ولكن جوز القرطبي أن يكون جهجاه الذي وقع ذكره في مسلم من طريق أخرى عن أبي هريرة بلفظ:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تذهب الأيام والليالي حتى يملك رجل يقال له: الجهجاه وفي رواية: حتى يملك رجل من الموالي يقال له: الجهجاه»[3].

فتن كقطع الليل المظلم:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا»[4].

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي من

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، ح١٨، ص ٤٤.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري: كتاب المناقب، باب ذكر قحطان، ح ٦، ص ٥٤٥. ؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل على قبر الرجل، ح ١٨، ص ٣٦.

(٣) نفس المصدر، ح ١٨، ص ٣٦.

(٤) نفس المصدر، كتاب الإيمان باب الحث على المبادرة بالأعمال،ح ٢، ص ١٣٣.

تشرف[1] لها تستشرفه، فمن وجد ملجأ أو معاذاً[2] فليعذ به»[3].

تقارب الزمان:

عن أبي هريرةﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يتقارب الزمان، ويقبض العلم وتظهر الفتن، ويلقى الشح ويكثر الهرج قالوا: وما الهرج؟ قال: القتل»[4].

تمني الموت من البلاء:

عن أبي هريرةﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا حتى يمر الرجل على القبر فيتمرغ عليه ويقول: يا ليتني كنت مكان صاحب هذا القبر، وليس به الدِّين إلا البلاء»[5].

ذي الخلصة صنماً تعبده دوس:

عن أبي هريرةﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس حول ذي الخلصة وكان صنماً تعبده دوس في الجاهلية بتبالة»[6]. قال النووي في الشرح: «أما قوله أليات فمعناه أعجازهن يضطربن من الطواف حول ذي الخلصة، وتبالة موضع باليمن».

يبعث الله ريحاً فتوفى كل من في قلبه مثقال حبة خردل من الإيمان:

عن عائشةﷺ: قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يذهب الليل والنهار -

---

(١) تشرف: أي نظر إليها، مرقاة الصعود، ح ٥، ص ١٣٨.

(٢) معاذاً: أي موضعاً أو شخصاً ملاذاً يعوذ به من الفتن مرقاة ١٣٨/٥.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الفتن، باب نزول الفتن كمواقع القطر،ح ١٨، ص ٨. ؛ فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة،ح ٦، ص ٦١٢.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الفتن باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى مكانه،ح ١٨،ص ١٣.

(٥) نفس المصدر،ح ١٨، ص ٣٤.

(٦) نفس المصدر، ج١٨، ص ٣٢.

حتى تُعبد اللات والعزى فقلت يا رسول الله: إن كنت لأظن حين أنزل الله ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾[1] أن ذلك تاماً. قال: إنه سيكون من ذلك ما شاء الله ثم يبعث الله ريحاً طيبة فتوفى كل من في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، فيبقى من لا خير فيه فيرجعون إلى دين آبائهم»[2] وذلك بعد قتل الدجال ووفاة عيسى عليه الصلاة والسلام والمهدي..

ذو السويقتين يخرِّب الكعبة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرِّب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة»[3].

قال النووي: «هما تصغير ساقي الإنسان لرقتهما ولا يعارض هذا قوله تعالى: ﴿حَرَمًا ءَامِنًا﴾ لأن معناه آمناً إلى قرب القيامة وخراب الدنيا.

ثم بين لنا رسول الله ﷺ كيفية خلاص المسلم أمام هول هذه الأحداث ألا وهو:

لزوم جماعة المسلمين:

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أساله عن الشر مخافة أن يدركني، قال قلت يا رسول الله: إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم، وفيه دخن، قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يستنون بغير سنتي، ويهدون بغير هدي، تعرف منهم وتنكر، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها

---

(١) سورة التوبة آية ٣٣.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل على قبر الرجل،ح ١٨، ص ٣٣.

(٣) نفس المصدر، ج١٨، ص ٣٥.

قذفوه فيها، قلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، قلت فما تأمرني إن أدركني؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك»[1] قال النووي: دعاة على أبواب جهنم؛ قال العلماء: هم من كان من الأمراء يدعون إلى بدعة أو ضلال، وفي الحديث وجوب لزوم جماعة المسلمين وإمامهم ووجوب طاعته وإن فسق وعمل المعاصي، فيجب طاعته في غير معصية الله.

علامات الساعة الكبرى

إن عظمة الدين الإسلامي تتجلى للباحث عن الحق والبرهان على مر الدهور والأزمان، يظهر هذا في حرص المصطفى ﷺ على بيان الطريق الواضح الذي يسلكه المسلم فيلقى ربه عالماً بما يجب عليه لخالقه، ومن ذلك تلك العلامات التي بينها نبينا ﷺ وتكون في آخر أيام هذه الدنيا، ليثبّت الله الذين آمنوا، ويكون المؤمن على حذر من الدجال والدابة والدخان وقد أخبر المصطفى ﷺ أن المؤمن الذي يذكر الله كثيراً ويتعوذ بالله كما أخبر ﷺ فإن الله ينجيه منها.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يدعو في الصلاة يقول: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا وفتنة الممات..»[2]

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات في الإسلام،ح ٦، ص ٦١٥.

؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الأمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، ح ١٢، ص ٢٢٦.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب الدعاء قبل السلام، ج ٢، ص٣١٧.

؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يستعاذ منه في الصلاة، ج٥، ص٨٧.

ثم بيّن ﷺ العلامات الكبرى للساعة، فعن حذيفة بن أسيد الغفاري: قال: أطّلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال: ما تذكرون؟ قالوا نذكر الساعة، قال: إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات، فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم. وفي رواية: نار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر. وفي رواية في العاشرة: وريح تلقي الناس في البحر»[1].

ثم حذر أمته ﷺ تلك الآيات العظام أن تخرج وهم لاهون عنها، مبيناً لهم أن طريق الخلاص هو الأعمال الصالحة وحذر من المعوقات والاشتغال بالعامة أو الخاصة التي تلهي المسلم عن ما يجب لله سبحانه وتعالى.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «بادروا بالأعمال ستاً، الدخان، والدجال، ودابة الأرض، وطلوع الشمس من مغربها، وأمر العامة، وخويصة أحدكم»[2].

وقد أخبر ﷺ أن تلك الآيات التي أخبرنا بها ﷺ متتابعة ومتسارعة وذلك حكم تلك الأهوال التي يدبّرها الله تعالى ليحكم بين عباده، وينتهي مسار هذا الكون بأمره سبحانه وتعالى.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الأمارات خرزات منظومات في سلك، فإن انقطع السلك يتبع بعضه بعضاً»[3].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الفتن، باب الآيات التي تكون قبل الساعة،ح ١٨، ص ٢٧، ٢٨.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الفتن، باب بقية من أحاديث الدجال،ح ١٨، ص ٨٧.

(٣) المستدرك للحاكم، وقال صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. ح ٤،ص ٥٨٩. ؛ سلسلة الأحاديث الصحيحة، ناصر الدين الألباني،ح ٤، ص ٣٦١ وقال: وهو كما قالا.

وسيتم عرض تلك العلامات ترتيباً حسب ذكرها في صحيح مسلم، مع ذكر خروج المهدي مواكباً لنزول عيسى عليه السلام للأثر الوارد عن الرسول ﷺ، ولما أثير حوله من الأقوال المتعارضة بين أهل السنة والشيعة الذين خالفوا الحق. ولما يكون في زمنه من صلاح الأمة واجتماعهم واقتداء عيسى عليه السلام به في الصلاة.

الدخـــان:

آية كبرى ذكرها الله في كتابه، فقال تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝١٠ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَـٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[(١)].

وذكرها المصطفى ﷺ ضمن العشر آيات وقد سبق إيراد الحديث في هذا.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «كنا نمشي مع النبي ﷺ فمر ابن صياد[(٢)] فقال له رسول الله ﷺ: قد خبأت لك خبأ، فقال: دخٌ، فقال رسول الله ﷺ اخسأ فلن تعدو قدرك، فقال عمر يا رسول الله دعني فأضرب عنقه، فقال رسول الله ﷺ: دعه فإن يكن الذي تخاف لن تستطيع قتله»[(٣)].

قال النووي: والصحيح المشهور أنه ﷺ أضمر له آية الدخان وهي قوله تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝١٠﴾ وأصح الأقوال أنه لم يهتد من الآية التي أضمر النبي ﷺ إلا لهذا اللفظ الناقص كعادة الكهان إذا ألقى الشيطان إليهم بقدر ما يخطف قبل أن يدركه الشهاب.

---

(١) سورة الدخان آية، ١٠، ١١.

(٢) ابن صياد: قال النووي: واسمه صاف، قال العلماء وقصته مشكلة وأمره مشتبه، هل هو المسيح الدجال المشهور أم غيره؟ قال العلماء: لا شك أنه دجال من الدجاجلة. فلذلك كان النبي ﷺ لا يقطع بأنه الدجال، ولهذا قال لعمر رضي الله عنه: إن يكن هو فلن تستطع قتله. شرح النووي، ح ١٨، ص ٤٩.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد، ح ١٨، ص ٤٧.

؛ فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب كيف يعرض الإسلام على الصبي ج٦، ص ١٧١.

وقال ابن كثير: «وهذا فيه إشعار بأنه المنتظر المرتقب، وابن صياد كاشف على طريقة الكهان بلسان الجان وهم يقرضون العبارة ولهذا قال هو الدخ يعني الدخان، فعندها عرف رسول الله ﷺ مادته وأنها شيطانية فقال ﷺ: أخسأ فلن تعدو قدرك.. وقال ابن جرير ـ بسنده ـ عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال ﷺ: إن ربكم أنذركم ثلاثاً الدخان يأخذ المؤمن كالزكمة، ويأخذ الكافر فينتفخ حتى يخرج من كل مسمع منه، والثانية الدابة والثالثة الدجال.

ورواه الطبراني عن هاشم بن يزيد عن محمد بن إسماعيل عن بن عباس به وهذا إسناد جيد. ورواه ابن جرير عن ابن عباس، وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس رضي الله عنهما، حبر الأمة وترجمان القرآن، وهكذا قول من وافقه من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين، مع الأحاديث المرفوعة من الصحاح والحسان وغيرهما التي أوردوها مما فيه مقنع ودلالة ظاهرة على أن الدخان من الآيات المنتظرة مع أنه ظاهر القرآن، قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ۝١٠﴾ أي بين واضح يراه كل أحد. وعلى ما فسر به ابن مسعود رضي الله عنه، إنما هو خيال رأوه في أعينهم من شدة الجوع والجهد.

وقوله ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي يقال لهم ذلك تقريعاً وتوبيخاً، ويحتمل أنهما دخانان للجمع بين هذه الآثار»[1].

المسيح الدجال:

أعظم علامات الساعة، خلقه الله لحكمة يعلمها سبحانه، ووضع بين يديه فتناً ينجّي الله الذين آمنوا منها ويضل الله من يشاء.

وسمي دجالاً «من الدجل وهو التغطية، وسمي الكذاب دجالاً لأنه يغطي الحق بباطله، وقال ابن دريد: سمي دجالاً لأنه يغطي الحق بالكذب، وقيل لضربه نواحي الأرض، وقال القرطبي في التذكرة: اختلف في تسميته دجالاً على عشرة أقوال وهل هو ابن صياد أو غيره، وهل كان موجوداً في عهد الرسول ﷺ؟..

(١) تفسير ابن كثير، ح ٤، ص ١٢٤.

أما كونه ابن صياد: فقد أورد النووي رحمه الله أقوال العلماء؛ وأنه دجال من الدجاجلة وأن الرسول ﷺ لم يقطع بالنفي أو الإثبات.

وأما وجوده؛ فقد أورد مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ ذكر الدجال بين ظهراني الناس فقال: «إن الله تعالى ليس بأعور ألا وأن المسيح الدجال أعور العين اليمنى، كأن عينه عنبة طافئة»(١).

قال ابن حجر: ولكونه يلقب المسيح كعيسى؛ لكن الدجال مسيح الضلالة وعيسى مسيح الهدى.

وعند البزار: الدجال أجلى الجبهة عريض النحر ممسوح العين اليسرى»(٢).

وقد وردت الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ في شأن الدجال منها:

ما رواه عمران بن حصين رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة أمر أكبر من الدجال»(٣). أي ليس شيء أعظم من فتنة الدجال.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من نبي إلا قد أنذر أمته الأعور الكذاب، ألا أنه أعور، وأن ربكم ليس بأعور، مكتوب بين عينيه: ك ف ر»(٤).

وعن حذيفة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إن الدجال يخرج وإن معه ماء ونارا، فأما الذي يراه الناس ماءً فنار تحرق، وأما الذي يراه الناس ناراً فماء بارد عذب

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال، ج١٨، ص ٥٩.؛ وانظر البحث ص ٥٨٧.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ح ١٣،ص ٩١.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب بقية أحاديث الدجال،ح ١٨، ص ٨٦.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال،ح١٣، ص ٩١.
؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته،ح ١٨، ص ٥٩.

فمن أدرك ذلك منكم فليقع في الذي يراه ناراً، فإنه ماء عذب طيب»[1].

قال محققا كتاب النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير: «إن هذا الحديث - حديث حذيفة - حديث خرافة؟! وقد سبق قولهما وفي نفس الصفحة عن حديث رواه السيوطي وابن أبي شيبة في الدجال، إنه حديث مرفوض»[2].

ولا شك أن هذا قول بلا علم كيف وقد قبلت الأمة أحاديث الصحيحين، ثم إن الله أمرنا بالإيمان بالغيب، وقد أخبر المصطفى ﷺ بأن الدجال من أشراط الساعة وأنه آية لما سيحدثه الله بين يديه من الخوارق، ثم إن كونه يدعي الألوهية وهو عاجز عن إصلاح حاله تلك أيضاً معجزة من المعجزات التي أرادها الله عبرة وتذكرة، وأنه كاذب، إرهاصاً لما سيحدث من أهوال يوم القيامة وهو الغرض من تلك الآيات التي تسبق ذلك اليوم غير أن هذا الاعتراض من المحققين على صحة الحديث هو نتاج المدرسة العقلية التي أنشأتها حركة الاعتزال ومازالت سارية إلى اليوم!!.

ثم يصف رسول الله ﷺ كيفية خروجه وحاله مع أمته ثم قتله على يد عيسى ابن مريم عليه السلام، وذلك في حديث مسلم الذي رواه النّواس؛ فعن النّواس بن سمعان رضي الله عنه قال: «ذكر رسول الله ﷺ، الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا فقال ما شأنكم؟ قلنا يا رسول الله ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل، فقال غير الدجال أخوفني عليكم إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فأمرؤ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم، إنه شاب

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ح ٦، ص ٤٩٤.

؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال، ح ١٨، ص٦١.

(٢) النهاية في الفتن والملاحم، ابن كثير، تحقيق خليل شيحا، ومحمد حلبي، دار المعرفة بيروت ط، الثالثة، ١٤٢٢هـ، ج١، ص ١٤٠ .

قطط[١] عينه طافئة كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن[٢] فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف، إنه خارج خلة[٣] بين الشام والعراق فعاث يميناً وعاث شمالاً، يا عباد الله فاثبتوا قلنا يا رسول الله: وما لبثه في الأرض؟ قال أربعون يوماً، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم، قلنا يا رسول الله، فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال لا، اقدروا له قدره، قلنا يا رسول الله وما إسراعه في الأرض، فقال كالغيث استدبرته الريح فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به، ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذراً[٤] وأسبغة[٥] ضروعاً[٦] وأمده خواصر[٧] ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالخربة فيقول لها أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب[٨] النحل ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين[٩] رمية الغرض[١٠] ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه ويضحك، فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين[١١] واضعاً كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان[١٢] كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي

---

(١) قطط: أي شديد جعودة الشعر، مرقاة الصعود،ح ٥، ١٩٣.

(٢) عبد العزى بن قطن: هو رجل من خزاعة وقيل إنه يهودي، مرقاة ٥/ ١٩٣.

(٣) خلَّة: أي طريقاً واقعاً بين الشام والعراق، مرقاة ٥/ ١٩٤.

(٤) ذراً: جمع ذروه، وهي أعلى السنام، وذروة كل شيء أعلاه وهو كناية عن كثرة السمن. مرقاة ٥/ ١٩٦.

(٥) واسبغه: أي أتم ما كانت. مرقاة ٥/ ١٩٦.

(٦) جمع ضرع وهو الثدي. كناية عن كثرة اللبن ٥/ ١٩٦ مرقاة.

(٧) خواصر: جمع خاصرة، وهي ما تحت الجنب. مرقاة ٥/ ١٩٦.

(٨) كيعاسيب: أي كما يتبع النحل اليعسوب وهو ذكور النحل. مرقاة ٥/ ١٩٦.

(٩) جزلتين: أي قطعتين تتباعدان. مرقاة ٥/ ١٩٧.

(١٠) رمية الغرض: أي يجعل بين الجزلتين مقدار رمية السهم إلى الهدف. مرقاة ٥/ ١٩٧.

(١١) مهرودتين: حلتين مصبوغتين بورس أو زعفران. مرقاة ٥/ ١٩٧.

(١٢) جمان: حب يتخذ من الفضة، مرقاة ٥/ ١٩٧.

حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لد[1] فيقتله، ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه فيمسح على وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة[2].

عقيدة أهل السنة والجماعة في الدجال:

قال الإمام النووي رحمه الله: «قال القاضي عياض رحمه الله: هذه الأحاديث التي ذكرها مسلم وغيره في قصة الدجال حجة لمذهب أهل الحق في صحة وجوده وأنه شخص بعينه ابتلى الله به عباده وأقدره على أشياء من مقدورات الله تعالى من إحياء الميت الذي يقتله ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب معه وجنته وناره ونهريه واتباع كنوز الأرض له وأمره السماء أن تمطر فتمطر والأرض أن تنبت فتنبت فيقع كل ذلك بقدرة الله تعالى ومشيئته، ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره، ويبطل أمره ويقتله عيسى ﷺ، ويثبت الله الذين آمنوا، هذا مذهب أهل السنة وجميع المحدثين والفقهاء.. خلافاً لمن أنكره وابطل أمره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة.. وغيرهم في أنه صحيح الوجود ولكن الذين يدّعون مخارف وخيالات لا حقائق لها، زعموا أنه لو كان حقاً لم يوثق بمعجزات الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وهذا غلط من جميعهم لأنه لم يدّع النبوة فيكون ما معه كالتصديق له، وإنما يدعي الإلهية وهو في نفس دعواه مكذب لها بصورة حاله ووجود دلائل الحدوث فيه، ونقص صورته وعجزه عن إزالة العور الذي في عينيه وعن إزالة الشاهد بكفره المكتوب بين عينيه، ولهذه الدلائل وغيرها لا يغتر به إلا رعاع من الناس لسد الحاجة والفاقة رغبة في سد الرمق أو تقية وخوفاً من أذاه، لأن فتنته عظيمة جداً تدهش العقول وتحير الألباب، مع سرعة مروره في الأمر فلا يمكث حتى يتبين الضعفاء حاله ودلائل الحدوث فيه.. ولهذا يقول له الذي يقتله ثم يحيه ما ازددت فيك إلا بصيرة ـ انتهى»[3].

«كما أنكر الدجال أصحابُ المدرسة العقلية الحديثة كمحمد عبده ومن تابعه

---

(١) باب لد: قرية من قرى الشام، مرقاة ٥/١٩٨.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الفتنة وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال ح ١٨، ص ٦٣ - ٦٨.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ح ١٨، ص ٥٨ - ٥٩.

في هذا النهج وزعموا أن الدجال رمز للخرافات والدجل والقبائح التي تزول بتقرير الشريعة على وجهها والأخذ بأسرار حكمها. والأحاديث الصحيحة الصريحة التي سيذكرها المؤلف رحمه الله هنا ترد على هذا التأويل الباطني المنحرف»[1].

الدجال لا يدخل مكة و المدينة:

عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال، إلا مكة والمدينة وليس نقب[2]من أنقابها إلا عليه الملائكة حافين، تحرسها، فينزل بالسبخة فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، يخرج إليه منها كل كافر ومنافق»[3].

أما النجاة من الدجال فقد اخبر المصطفى ﷺ بما يلزم المسلم ليقيه الله فتنة الدجال؛ وذلك بقراءة فواتح صورة الكهف كما في صحيح مسلم في الحديث السابق.

وكذلك الالتجاء إلى مكة والمدينة فإن الدجال لا يدخلهما.

ثم الاستعاذة منه كما في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يدعو اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ومن عذاب النار ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال»[4].

---

(١) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية، تحقيق د. سعود الخلف، ج٣، ص ٨٠٦.

(٢) نقب: هو الطريق بين الجبلين. مرقاة الصعود،ح ٥،ص ٢٠٣.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب فضائل المدينة، باب لا يدخل المدينة الدجال، ح ٤، ص ٩٥.

؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب بقية أحاديث الدجال، ح ١٨، ص ٨٥.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب التعوذ من عذاب القبر ح ٣، ص ٢٤١.

؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الصلاة، باب التعوذ من عذاب القبر وعذاب جهنم، ح ٥، ص ٨٧.

يقول ابن حجر «وفي الدجال مع ذلك دلالة بينة لمن عقل، على كذبه لأنه ذو أجزاء مؤلفة وتأثير الصنعة فيه ظاهر مع ظهور الآفة به من عور عينه فإذا دعا الناس إلى أنه ربهم فأسوأ حال من يراه من ذوي العقول أن يعلم أنه لم يكن ليسوي خلق غيره ويعدله ويحسنه، ولا يدفع النقص عن نفسه، فأقل ما يجب أن يقول: يا من يزعم أنه خالق السماء والأرض صور نفسك وعدلها، وأزل عنها العاهة المكتوبة بين عينيك»[1].

نزول عيسى ﷺ إلى الأرض:

ينزل عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام في زمن ابتلاء وفتنة وقد رفعه الله إليه خلاف قول أتباعه الذين قالوا إن اليهود قتلوه، وذلك بغير علم. قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾[2] ثم يقول سبحانه راداً مزاعم اليهود والنصارى في نبيه عيسى عليه الصلاة والسلام: قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾﴾[3].

وفي حديث مسلم الذي رواه النّواس بن سمعان، أن عيسى عليه الصلاة والسلام ينزل في وقت لم تكن الأمة بحاجة إلى من ينقذها من الدجال وفتنته مثل ما كان عند نزوله ﷺ، فبقدرة الله يقتل الدجال، ثم يدعو الله أن يزيل كرب الأمة من يأجوج ومأجوج، ثم يقيم الله به العدل ويحكم بشريعة الإسلام ولا يقبل الجزية بل إما الإسلام وإما القتل، ويلقى المهدي ويفيض الخير على الناس.

فعن النّواس بن سمعان قال: قال رسول الله ﷺ: «.. فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح بن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعاً كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان

---

(١) فتح الباري لابن حجر العسقلاني، ح١٣، ص ١٠٣.

(٢) سورة آل عمران آية ٥٥.

(٣) سورة النساء آية ١٥٧ - ١٥٨.

كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله، ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة، فبينما هو كذلك، إذ أوحى الله إلى عيسى إني قد أخرجت عباداً لي لا يدان لأحد بقتالهم، فحرز[(١)] عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبريا فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماء، ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خير من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه، فيرسل الله عليهم النغف[(٢)] في رقابهم فيصبحون فرسى[(٣)] كموت نفس واحدة، ثم يهبط عيسى نبي الله وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم[(٤)] ونتنهم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله طيراً كأعناق البخت[(٥)] فتحملهم فتطرحهم حيث شاء ثم يرسل الله مطراً لا يكنّ[(٦)] منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة[(٧)] ثم يقال للأرض اثبتي ثمرتك وردي بركتك، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها[(٨)] ويبارك في الرسل[(٩)]

---

(١) فحرز: من التحريز مأخوذ من الحرز أي احفظهم وضمهم. مرقاة ٥/ ١٩٨.

(٢) النغف: دود يكون في أنوف الإبل والغنم مرقاة ٥/ ١٩٩.

(٣) فرسى: كهلكى وزناً ومعناً القتل، من فرس الذئب الشاة ومن فريسة الأسد. مرقاة ٥/ ١٩٩.

(٤) زهمهم: رائحتهم الكريهة المنتنة. مرقاة ٥/ ١٩٩.

(٥) البخت: نوع من الإبل، أي طيراً أعناقها في الطول والكبر كأعناق البخت. مرقاة ٥/ ١٩٩.

(٦) لايكن: أي لا يمنع من نزول الماء بيت. شرح النووي على صحيح مسلم،ح ١٨، ص ٦٩.

(٧) الزلفة: وهي المرآة، والمراد أن الماء يعم جميع الأرض بحيث أن الرائي يرى وجهه فيه. مرقاة ٥/ ٢٠٠.

(٨) العصابة الجماعة، والقحف المقعر هو شبه بقحف الرأس وهو الذي فوق الدماغ. شرح النووي، ح ١٨، ص ٦٩.

(٩) الرسل: أي اللبن، مرقاة ٥/ ٢٠٠.

حتى أن اللقحة من الإبل لتكفي الفآم[1] من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس، فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة»[2].

وهكذا فإن عيسى عليه الصلاة والسلام وهو مسيح الهداية يبارك الله في زمنه للمؤمنين في نعيمهم، ويقبل الله دعاءه فينجيهم من تلك المهلكات كيأجوج ومأجوج وقتله للدجال، وتطهير الأرض من رائحة القتلى ونتنهم وخطورة ذلك على حياتهم، بل ويرشدنا ﷺ إلى أمور أخرى لا تقل عن سابقتها بما يمنحه الله من المكرمات وكونه حكماً عدلاً، وكسره للصليب الذي عبده النصارى من دون الله، وقتله للخنزير الذي يستحله النصارى وقد حرمه الله، ومنعه للجزية فلا يقبل إلا الإسلام من أهل الذمة.ويفيض الخير على الناس..

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم، حكماً عدلاً، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها: فأقرؤا إن شئتم ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾[3][4].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينزل عيسى بن مريم،

---

(١) الفآم: أي الجماعة، مرقاة ٥/ ٢٠٠.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال، ح ١٨، ص ٦٨.قال النووي: «يتهارجون تهارج الحمر» أي يجامع الرجال النساء بحضرة الناس كما يفعل الحمير ولا يكترثون لذلك، نفس المصدر، ج١٨، ص ٧٠.

(٣) سورة النساء آية ١٥٩.

(٤) فتح الباري، شرح صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب قتل الخنزير، ج٤، ص ٤١٤. ؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب نزول عيسى ابن مريم حاكماً بشريعة ﷺ،ح ٢، ص١٨٩.

فيقول أميرهم تعال صل لنا، فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله لهذه الأمة»[١].

وعلى هذا فأن عيسى بن مريمﷺ على خلاف ما يدّعيه النصارى بقولهم إنه صلب وقتل من قبل يهود، ظلماً وبهتاناً وتتجلى هذه الحقيقة في شريعة خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم بما يلي:

أولاً: إنه حيٌ لم يمت وأن الله رفعه مكاناً عليا وأن اليهود عليهم غضب الله لم ينالوا منه كما يدّعيه أتباعه الضالون، وأنه نازل لا محالة في آخر الزمان.

ثانياً: إن اعتقادهم في الصليب الذي يقدسونه هو اعتقاد مسخ لأن عيسى عليه الصلاة والسلام يكسره ويهينه بل وينتقم للعقيدة الخالصة في الله سبحانه وتعالى.

ثالثاً: إنه ينزل مقرراً لشريعة محمدﷺ متبعاً لها وأنها خاتمة الشرائع ويصلي خلف إمامهم فلا يقبل الله إلا الإسلام.

رابعاً: إنه لا يقبل الجزية من أهل الكتاب فلا يقبل منهم إلا الإسلام وليس هذا نسخ لشريعة محمدﷺ بل مقرر لها فإن محمداًﷺ أخبر بهذا وأنه في آخر الزمان وقبل قيام الساعة، وهو الذي أخبرنا بنزول عيسى عليه الصلاة والسلام.

قال الإمام النووي رحمه الله: «والصواب ما قدمناه وهو أنه لا يقبل منه إلا الإسلام، فعلى هذا قد يقال هذا خلاف حكم الشرع اليوم، فإن الكتابي إذا بذل الجزية وجب قبولها ولم يجز قتله ولا إكراهه على الإسلام.

وجوابه: أن هذا الحكم ليس بمستمر إلى يوم القيامة، بل هو مقيد بما قبل عيسى عليه السلام، وقد أخبرنا النبيﷺ في هذه الأحاديث الصحيحة بنسخه، وليس عيسى عليه السلام هو الناسخ، بل نبينا محمدﷺ هو المبين للنسخ، فإن عيسى يحكم بشرعنا، فدل على أن الامتناع من قبول الجزية في ذلك الوقت هو شرع نبينا محمدﷺ»[٢].

---

(١) نفس المصدر،ح ٢، ص ١٩٣

(٢) شرح النووي لصحيح مسلم،ح ٢، ص ١٩٠.

خامساً: إن أهل الكتاب يؤمنون به وأنه عبد الله ورسوله، وليس كما يدّعون أنه الله، أو أنه ابن الله، وفي هذا تقرير للعبودية لله وأنها عقيدة عيسى عليه السلام وقد ذكر الله في كتابه أن هذا الإيمان به يكون قبل موته وفي هذا دليل على أنه لم يمت وأنه حي عند الله، أو أن الكتابي يؤمن في حال الوفاة ولات ساعة مندم!.

سادساً: إن الله قد بيّن أنهم أي أهل الكتاب على الكفر وأن الله لا يقبل منهم حتى يؤمنوا بعيسى كما يريد الله، لا كما يريدون ويعتقدون بتثليث النصارى وتثنية اليهود وغلوهم في أنبيائهم حتى عبدوهم من دون الله.

سابعاً: ما يجريه الله على يديه بدعائه من السلام ورغد العيش وقناعة الأنفس، وزوال تلك المحن والبلاءات، والبركة في النتاج والمحصولات، وذلك بفضل الله.

ثامناً: إنه عليه الصلاة والسلام إذا نزل من السماء يصلي خلف إمام المسلمين مقتدياً به وإنه يعتذر عن الصلاة بهم ويقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله لهذه الأمة. وقد ذكر ابن القيم صلاته خلف المهدي[(١)].

الرد على المخالفين في أمر نبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام:

كثر الاختلاف في أمر نبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام، لأنه كان معجزة الله سبحانه للأولين والآخرين، وقد ثبّت الله أمة محمد ﷺ حين أخبرها بحقيقة عيسى وأنه عبد الله ورسوله، فكان ضلال بني إسرائيل في نبيهم أظهر من أن يشهر فالنصارى يؤلهونه ويعبدونه، واليهود يدّعون قتله ويذمونه.

وكانت عقيدة أهل السنة الإيمان بما أخبر الله ورسوله ﷺ. قال القاضي عياض رحمه الله: «نزول عيسى عليه السلام وقتله الدجال حق وصحيح عند أهل السنة للأحاديث الصحيحة في ذلك وليس في العقل ولا في الشرع ما يبطله فوجب إثباته وأنكر ذلك بعض المعتزلة والجهمية ومن وافقهم وزعموا أن هذه الأحاديث

---

(١) المنار المنيف في الصحيح والضعيف لابن قيم الجوزية، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة مكتب المطبوعات الإسلامية / حلب الطبعة الثانية سنة ١٤٠٣هـ ص ١٤٢.

مردودة بقوله تعالى ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ وبقوله ﷺ: «لا نبي بعدي» وبإجماع المسلمين أنه لا نبي بعد نبينا محمد ﷺ وأن شريعته مؤبدة إلى يوم القيامة ولا تنسخ. وهذا استدلال فاسد؛ لأنه ليس المراد بنزول عيسى عليه السلام أنه ينزل نبياً بشرع ينسخ شرعنا، ولا في هذه الأحاديث ولا في غيرها شيء من هذا، بل صحت هذه الأحاديث هنا وما سبق في كتاب الإيمان وغيرها أنه ينزل حكماً مقسطاً بحكم شرعنا ويحيي من أمور شرعنا ما هجره الناس»[1].

قال شيخ الإسلام: «عيسى عليه السلام حي في السماء لم يمت بعد، وإذا نزل من السماء لم يحكم إلا بالكتاب والسنة لا بشي يخالف ذلك.

وقد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، وإماماً مقسطاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية» وثبت في الصحيح عنه «أنه ينزل على المنارة البيضاء شرقي دمشق، وأنه يقتل الدجال» ومن فارقت روحه جسده لم ينزل جسده من السماء، وإذا أحيي فإنه يقوم من قبره.

وأما قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ فهذا دليل على أنه لم يعن بذلك الموت، إذ لو أراد بذلك الموت لكان عيسى في ذلك كسائر المؤمنين؛ فإن الله يقبض أرواحهم ويعرج بها إلى السماء، فعلم أن ليس في ذلك خاصية، وكذلك قوله: ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ ولو كان قد فارقت روحه جسده لكان بدنه في الأرض كبدن سائر الأنبياء.

ولهذا كان في السماء الثانية مع أنه أفضل من يوسف وإدريس لأنه يريد النزول إلى الأرض قبل يوم القيامة»[2].

وقال ابن القيم: «والأمم الثلاث تنتظر منتظراً يخرج في آخر الزمان، فإنهم

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ح ١٨، ص ٧٥ - ٧٦؛ وانظر البحث ص ٤٠٧ وإن محمداً ﷺ خاتم الأنبياء فلا نبي بعده.

(٢) مجموع فتاوي ابن تيمية، ح ٤، ص ٣١٦، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٩؛ وانظر البحث ص ٦١٥، ٦١٦.

وُعدوا به في كل ملة، والمسلمون ينتظرون نزول المسيح عيسى ابن مريم من السماء، لكسر الصليب، وقتل الخنزير، وقتل أعدائه من اليهود، وعبّاده من النصارى، وينتظرون خروج المهدي من أهل بيت النبوة، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً»[١].

خروج المهـدي:

إن خروج المهدي في آخر الزمان كشرط من أشراط الساعة قد دلت عليه الأدلة من الأحاديث النبوية الصحيحة، واستدل بها علماء أهل السنة والجماعة، وإنه يخرج حكماً عدلاً، ويفيض الخير بين يديه تكرمة لهذه الأمة، وقد تم عرضها في مبحث الرد على غلو الشيعة في عصمة الأئمة. قال شيخ الإسلام: «إن الأحاديث التي يُحتج بها على خروج المهدي أحاديث صحيحة، رواها أبو داود والترمذي وأحمد وغيرهم من حديث ابن مسعود وغيره، كقوله ﷺ في الحديث الذي رواه ابن مسعود: لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم، حتى يخرج فيه رجل مني، أو من أهل بيتي، يواطيء اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، يملاء الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت جوراً وظلماً»[٢].

وهذه الأحاديث غلط فيها طوائف:

«طائفة أنكروها، واحتجوا بحديث ابن ماجة أن النبي ﷺ قال: «لا مهدي إلا عيسى ابن مريم»[٣]وهذا الحديث ضعيف، منقطع السند، وليس في مسند الشافعي.

---

(١) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، لابن القيم، دار الفكر، تحقيق محمد حامد الفقي، ج٢، ص ٣٣٨.

(٢) سنن الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في المهدي، حـ ٤ ص ٥٠٥ - ٥٠٦ قال أبو عيسى، هذا حديث حسن صحيح.
؛ سنن أبي داود، كتاب المهدي، ح، ص ٤٧٤ وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ح ٤ ص٣٨.

(٣) سنن ابن ماجة كتاب الفتن، باب شدة الزمان، ح ٢، ص ٤٩٥ وضعفه الألباني سلسلة الأحاديث الضعيفة،ح ١، ص ١٠٣.

أما طائفة الاثني عشرية: الذين قالوا برجعة المهدي المنتظر الذي اسمه: محمد بن الحسن، والمهدي المنعوت الذي وصفه النبي ﷺ اسمه محمد بن عبد الله، ولهذا حذفت طائفة الرافضة ذكر اسم الأب من لفظ اسم الرسول ﷺ حتى لا يناقض ما كذبت.

وطوائف ادعى كل منهم: أن مهديهم هو المبشّر به مثل مهدي القرامطة الباطنية، الذي أقام دعوتهم بالمغرب، وهم من ولد ميمون القداح..

وممن ادعى أنه المهدي ابن التومرت، الذي خرج أيضاً بالمغرب وسُمّي أصحابه بالموحّدين وكان يقال له في خطبهم «الإمام المعصوم والمهدي المعلوم» وبكل حال فهو وأمثاله خير من مهدي الرافضة، الذي ليس له عين ولا أثر ولا يعرف له حس ولا خبر، لم ينتفع به أحد لا في الدنيا ولا في الدين، بل حصل باعتقاد وجوده من الشر والفساد، ما لا يحصيه إلا رب العباد»(١).

وقال ابن كثير: «أما المهدي المبشر به في الأحاديث الصحيحة الواردة بذكره فيملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً، ليس هذا بالمنتظر الذي تتوهم الرافضة من وجوده ثم ظهوره من سرداب سامراء، فإن ذلك ليس له حقيقة ولا وجود بالكلية، بل هو من هوس العقول السخيفة، وتوهم الخيالات الضعيفة، وليس المراد بهؤلاء الخلفاء الأثني عشر الأئمة الأثني عشر الذين يعتقد فيهم الإثنا عشرية من الروافض لجهلهم وقلة عقلهم»(٢).

مرتبة أحاديث المهدي من الصحة:

وقد سبر غورأحاديث المهدي علماء الحديث في شتى القرون الإسلامية.

---

(١) منهاج السنة النبوية لابن تيمية،ح ٨ ص ٤٥٤ - ٣٥٩؛ انظر البحث ص ٤٢٨.

(٢) تفسير ابن كثير، ح ٢، ص ٣١ وقد أورد حديث: «لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً» وقال إنه في الصحيحين وهو كما قال رحمه الله، وانظر،
؛ فتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب الأحكام، باب ما بعد باب الاستخلاف، ج١٣، ص٢١١.
صحيح مسلم بشرح النووي. كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش، ج١٢، ص٢٠٢.

قال ابن القيم: «وقد تواترت الأخبار واستفاضت عن رسول الله ﷺ بذكر المهدي وأنه من أهل بيته وأنه يملك سبع سنين، وأنه يملأ الأرض عدلاً»(١).

وقال ابن خلدون في مقدمته: «اعلم أن المشهور بين الكافة من أهل الإسلام على ممر الأعصار، أنه لابد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت، يؤيد الدين ويظهر العدل ويتبعه المسلمون، ويستولي على الممالك الإسلامية ويسمى بالمهدي، ويكون خروج الدجال وما بعده من أشراط الساعة الثابتة في الصحيح على أثره، وأن عيسى ينزل من بعده فيقتل الدجال أو ينزل معه فيساعده على قتله، ويأتم بالمهدي في صلاته، ويحتجون في الشأن بأحاديث خرجها الأئمة.. منهم الترمذي وأبو داود والبزار وابن ماجة والحاكم والطبراني وأبو يعلى الموصلي وأسندوها إلى جماعة من الصحابة مثل علي وابن عباس وابن عمر وطلحة وابن مسعود وأبي هريرة وأنس وأبي سعيد الخدري وأم حبيبة وأم سلمة وثوبان وقرة ابن إياس وعلي الهلالي وعبد الله بن الحارث..

وما أورده أهل الحديث من أخبار المهدي قد استوفينا جميعه بمبلغ طاقتنا والحق الذي ينبغي أن يتقرر لديك أنه لا تتم دعوة من الدين والملك إلا بوجود شوكة عصبية تظهره وتدافع عنه من يدفعه حتى يتم أمر الله فيه، وقد قررنا ذلك من قبل بالبراهين القطعية..

فإن صح ظهور هذا المهدي فلا وجه لظهور دعوته إلا بأن يكون منهم - الطالبيين - ويؤلف الله بين قلوبهم في اتباعه حتى تتم له شوكة وعصبية وافية بإظهار كلمته وحمل الناس عليها»(٢).

وقد أطال ابن خلدون في تعقب تلك الروايات ثم قال: «فهذه جملة الأحاديث التي خرّجها الأئمة في شأن المهدي وخروجه آخر الزمان وهي كما رأيت لم يخلص منها النقد إلا القليل والأقل منه، وربما تمسك المنكرون لشأنه بما رواه محمد بن خالد الجندي عن أبّان بن صالح بن أبي عياش عن الحسن

---

(١) المنار المنيف في الصحيح والضعيف لابن القيم، ص ١٤٢.

(٢) مقدمة ابن خلدون دار إحياء التراث العربي بيروت سنة ١٤٠٨هـ، ص ٣١١ - ٣٢٧.

البصري عن انس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «لا مهدي إلا عيسى بن مريم» وهو رواية مجهول عن متروك عن الحسن مرسلاً وهو منقطع.

وبالجملة فالحديث ضعيف مضطرب»[1] فلا يعتد به أمام ما صح من أحاديث المهدي ثم إن ابن خلدون قد ذكر شهرة هذا الأمر، ثم قوله إنه يسلّم بهذا مع وجود الشوكة والعصبية من قريش وآل هاشم.

وقال الشيخ الألباني رحمه الله: «وخروج المهدي حقيقة عند العلماء.

وحديث خروج المهدي عن ابن مسعود رواه أصحاب السنن وكذا الطبراني في الأوسط والكبير، وصححه الترمذي والحاكم وابن حبان، ولفظه عند أبي داود «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلاً منّي، أو من أهل بيتي، يواطيء اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض...» الحديث.

وممن صححه شيخ الإسلام ابن تيمية، فقال في منهاج السنة: إن الأحاديث التي يحتج بها على خروج المهدي أحاديث صحيحة، رواها أبو داود والترمذي وأحمد وغيرهم من حديث ابن مسعود وغيره. وكذا في المنتقى من منهاج الاعتدال للإمام الذهبي.

قال الشيخ الألباني: فهؤلاء خمسة من كبار أئمة الحديث قد صححوا أحاديث خروج المهدي، ومعهم أضعافهم من المتقدمين والمتأخرين، فأذكر أسماء من تيسر لي منهم: أبو داود في «السنن» بسكوته على أحاديث المهدي، وما سكت عنه فهو صحيح عنده.

- ابن قيم الجوزية في المنار المنيف في الصحيح والضعيف.
- الحافظ بن حجر في فتح الباري.
- السيوطي في العرف الوردي.

---

(١) نفس المصدر ص ٣٢٢.

- العلامة المباركفوري في تحفة الأحوذي.

وعدّ إلى ١١ ذكرهم ممن خرّج أحاديث المهدي ثم قال: وغيرهم كثير وكثير جداً»[١].

وقال العلامة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز -رحمه الله- ما ملخصه: «أمر المهدي معلوم، والأحاديث فيه مستفيضة، بل متواترة متعاضدة، وقد حكى غير واحد من العلماء تواترها، وتواترها تواتر معنوي، لكثرة طرقها، واختلاف مخارجها وصحابتها ورواتها وألفاظها، فهي بحق تدل على أن هذا الشخص الموعود به أمره ثابت وخروجه حق، وهو محمد بن عبد الله العلوي الحسني من ذرية الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما وهذا الإمام من رحمة الله عز وجل بالأمة في آخر الزمان، يخرج فيقيم العدل والحق، ويمنع الظلم والجور، وينشر الله به لواء الخير على الأمة عدلاً وهداية وتوفيقاً وإرشاداً للناس.

وقد اطلعت على كثير من أحاديثه فرأيتها كما قال الشوكاني وغيره، وكما قال ابن القيم وغيره، فيها الصحيح، وفيها الحسن، وفيها الضعيف المنجبر، وفيها أخبار موضوعة، ويكفينا في ذلك ما استقام سنده، سواء كان صحيحاً لذاته أو لغيره، وسواء كان حسناً لذاته أو لغيره، وهكذا الأحاديث الضعيفة إذا انجبرت وشد بعضها بعضاً، فإنها حجة عند أهل العلم..، والحق أن الجمهور من أهل العلم - بل هو كالاتفاق - على ثبوت أمر المهدي، وأنه حق، وأنه سيخرج في آخر الزمان، أما من شذ عن أهل العلم في هذا الباب فلا يلتفت إلى كلامه في ذلك»[٢].

وهذا ما ذهب إليه ابن قيم الجوزية رحمه الله حيث يقول:

«وهذه الأحاديث أربعة أقسام صحاح وحسان وغرائب وموضوعة»[٣].

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة، ناصر الدين الألباني،ح ٤، انظر ص ٣٨ - ٤١.

(٢) الرد على من كذب بالأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي، عبد المحسن حمد العباد، دار الرشيد للطباعة المدينة النبوية، ص١٥٧.

(٣) المنار المنيف لابن القيم، ص ١٤٨.

أقوال الناس في المهدي:

وقد اختلف الناس في المهدي على أربعة أقوال:

«أحدهما: إن المسيح عيسى ابن مريم هو المهدي على الحقيقة.

واحتج أصحاب هذا القول بحديث محمد بن خالد الجندي المتقدم وقد بينا حاله وأنه لا يصح فهو رواية مجهول عن متروك وهو مرسل منقطع، ولو صح لم يكن فيه حجة، لأن عيسى أعظم مهدي بين يدي الرسول ﷺ وبين قيام الساعة.

وقد دلت النصوص الصحيحة عن النبي ﷺ على نزوله على المنارة البيضاء شرقي دمشق، وحكمه بكتاب الله وقتله اليهود والنصارى ووضعه الجزية وإهلاك أهل الملل في زمانه، فيقال في الحقيقة لا مهدي سواه وإن كان غير المهدي.

القول الثاني: إنه المهدي الذي ولي من بني العباس وقد انتهى زمانه.

واحتج أصحاب هذا القول بحديث في مسند أحمد عن ثوبان «إذا رأيتم الرايات السود قد أقبلت من خراسان فائتوها ولو حبواً على الثلج فإن فيها خليفة الله المهدي» وفيها علي بن زيد ضعيف وله مناكير فلا يحتج به.

القول الثالث: إنه رجل من أهل بيت النبي ﷺ من ولد الحسن بن علي يخرج في آخر الزمان وقد امتلأت الأرض جوراً وظلماً فيملأها قسطاً وعدلاً وأكثر الأحاديث على هذا تدل، وفي كونه من ولد الحسن سر لطيف وهو أن الحسن رضي الله تعالى عنه ترك الخلافة لله فجعل الله من ولده من يقوم بالخلافة الحق المتضمن للعدل الذي يملأ الأرض وهذه سنة الله في عباده أنه من ترك شيئاً أعطاه الله أو أعطى ذريته أفضل منه، وهذا بخلاف الحسين رضي الله عنه فإنه حرص عليها وقاتل عليها فلم يظفر بها والله اعلم. فهذه أقوال أهل السنة.

القول الرابع: الرافضة الإمامية: وهو أن المهدي هو محمد بن الحسن العسكري المنتظر من ولد الحسين بن علي، الحاضر في الأمصار الغائب عن الأبصار الذي يورث العصا ويختم القضاء، دخل سرداب سامراء طفلاً صغيراً من أكثر من خمسمائة سنة فلم تره بعد ذلك عين ولم يحس فيه بخبر ولا أثر، وهم

ينتظرونه كل يوم، يقفون بالخيل على باب السرداب، ولقد أحسن من قال ما آن للسرداب أن يلد الذي كلمتموه بجهلكم ما آن على عقولكم العفاء، فإنكم ثلثتم العنقاء والغيلانا، ولقد أصبح هؤلاء عار على بني آدم، وضحكة يسخر منها كل عاقل»[1].

زمن خروج المهدي:

تضافرت الأدلة من حديث رسول الله ﷺ أن خروج المهدي يكون في زمن نزول عيسى عليه الصلاة والسلام وقبله وأن الدجال يخرج في زمنهما فيتساعدان على قتله.

قال ابن القيم: «وقال الحارث بن أبي أسامة في مسنده، حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم، حدثنا إبراهيم بن عقيل عن أبيه عن وهب بن منبه عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ «ينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم المهدي تعال صل بنا، فيقول: لا إن بعضكم أمير بعض تكرمة الله لهذه الأمة - قال ابن القيم - وهذا إسناد جيد»[2].

ويؤيد قول الشيخ ابن القيم ما ورد في الصحيحين وقد ذكر في نزول عيسى عليه السلام، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم تعال صل بنا فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله لهذه الأمة»[3].

وفي الحديث الذي رواه ابن ماجة، عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: «وإمامهم رجل صالح، فبينما إمامهم قد تقدم يصلي بهم الصبح إذ نزل عليهم عيسى ابن مريم الصبح فرجع ذلك الإمام ينكص يمشي القهقرى ليتقدم عيسى

(١) المنار المنيف في الصحيح والضعيف لإبن القيم، ص ١٤٨.
(٢) نفس المصدر، ص ١٤٢.
(٣) سبق تخريجه في أدلة نزول عيسى عليه الصلاة والسلام ص ٦٢٠.

يصلي بالناس فيضع عيسى يده بين كتفيه ثم يقول له تقدم فصل فإنها لك أقيمت، فيصلي بهم إمامهم فإذا انصرف قال عيسى عليه السلام افتحوا الباب فيفتح ووراءه الدجال معه سبعون ألف يهودي كلهم ذو سيف محلى وساج فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء وينطلق هارباً ويقول عيسى عليه السلام إن لي فيك ضربة لن تسبقني بها فيدركه عند باب اللد الشرقي فيقتله»[1].

وإلى هذا ذهب ابن القيم حيث قال: «وإن عيسى ينزل فيساعده المهدي على قتل الدجال، وإنه يؤم هذه الأمة ويصلي عيسى خلفه»[2].

قال ابن كثير: «هو أحد الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين وليس بالمنتظر الذي تزعم الروافض وترتجي ظهوره من سرداب في سامراء فإن ذاك ما لا حقيقة له ولا عين ولا أثر، وأما ما سنذكره فقد نطقت به الأحاديث المروية، عن رسول الله ﷺ أنه يكون في آخر الدهر وأظن ظهوره يكون قبل نزول عيسى ابن مريم كما دلت على ذلك الأحاديث.. وقد عقد أبو داود السجستاني رحمه الله كتاب المهدي مفرداً في سننه.. وهذا يدل على أن أكبر مدته تسع وأقلها خمس أو سبع سنين ولعله هو الخليفة الذي يحثي المال حثياً والله تعالى أعلم. وفي زمانه تكون الثمار كثيره والزروع غزيرة والمال وافراً والسلطان قاهراً والدين قائماً والعدو راغماً والخير في أيامه دائماً»[3].

هل المهدي هو عائذ البيت؟ والذي يحثو المال حثواً؟.

وردت أحاديث صحيحة عن أمهات المؤمنين بذكر عائذ بالبيت في آخر الزمان يجتمع الناس حوله وأن الله يهلك ذلك الجيش القادم في طلبه في مكة:

فعن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «يعوذ عائذ بالبيت فإذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بهم فقلت يا رسول الله فكيف بمن كان كارهاً

---

(١) سنن ابن ماجة، ح ١، ص ٥١٤.
(٢) المنار المنيف في الصحيح والضعيف لابن القيم، ص ١٤٢.
(٣) النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير تحقيق خليل شيحا ومحمد حلبي،ح ١، ص ٤٠ - ٤٦.

قال: يخسف به معهم ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته»[1].

وعن حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها سمعت النبي ﷺ يقول: «ليؤمن هذا البيت جيش يغزونه حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض يخسف بأوسطهم وينادي أولهم آخرهم ثم يخسف بهم فلا يبقى إلا الشريد الذي يخبر عنهم»[2].

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: عبث رسول الله ﷺ في منامه، فقلنا: «يا رسول الله صنعت شيئاً في منامك لم تكن تفعله فقال: العجب إن ناساً من أمتي يؤمون البيت فإذا برجل من قريش قد لجأ بالبيت حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم، فقلنا يا رسول الله: إن الطريق قد يجمع الناس، قال: نعم فيهم المستبصر والمجبور وابن السبيل يهلكون مهلكاً واحداً ويصدرون مصادر شتا ليبعثهم الله على نياتهم»[3]قال النووي: عبث رسول الله ﷺ، معناه اضطراب جسمه وتحريك أطرافه كمن يأخذ أو يدفع شيئاً.

ثم هذا خليفة من أمة محمد ﷺ يحثو المال حثواً، وأصحاب أصحاب رسول الله ﷺ لا يعدّونه عمر بن عبد العزيز، فيكون هو المهدي تلميحاً لا تصريحاً فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: قال: قال رسول الله ﷺ: «يكون في آخر أمتي خليفة يحثي المال حثواً لا يعده عداً، قال: قلت لأبي نضرة وأبي العلاء: أتريان أنه عمر بن عبد العزيز؟ فقالا: لا»[4]وقد عده رسول الله ﷺ يكون في آخر الأمة.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من خلفائكم خليفة يحثو المال حثيا لا يعده عداً»[5]

وعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «يكون في آخر أمتي خليفة يقسم المال ولا يعده»[6].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الفتن وأشراط الساعة، ح ١٨، ص ٤.
(٢) نفس المصدر، ح ١٨، ص ٥.
(٣) نفس المصدر،ح ١٨، ص ٦.
(٤) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الفتن وأشراط الساعة، ح ١٨، ص ٣٩
(٥) المصدر السابق ج ١٨، ص ٣٩.
(٦) المصدر السابق ج ١٨، ص ٣٩.

وإن القول بأن المهدي هو نفسه الذي وردت به النصوص الصحيحة وأنه العائذ بالبيت وأنه الذي يلي الناس ويقيم فيهم العدل والقسط، فهذا متوافق مع النصوص ويرجحه العلماء عند ذكر المهدي، وهذا متطابق مع عقيدة أهل السنة والجماعة بعكس الفرق الضالة، ويكون ظهوره في وقت تكثر فيه الفتن التي يركب بعضها بعضا فيفقد الناس الأمن والأمانة، فيبحثون عن رجل من بينهم يكون الأمر له ليبايعوه إماماً لهم، تهدأ على يديه الفتنة، وتبرأ به الذمة، فلا يجدون ذلك بينهم، فيسمع الناس بوجود رجل في مكة تتوفر فيه هذه الشروط، فينتشر خبره، ثم يطلبونه فيحاول الاختفاء عنهم لأنه لا يحب الشهرة، فهو متواضع ورع، ثم يعثرون عليه بعد جهد جهيد فيبايعونه رغم أنفه إماماً لهم بين الركن والمقام، فلا يسمع به أحد من الناس إلا حضر لمبايعته، ويستتب الأمن ويعم الرخاء في عهده، ويملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، ويحكم بعدل ينسون فيه الظلم، ويستمر حكمه حتى نزول عيسى، فإذا نزل عيسى صلى المهدي به وقتاً واحداً وهي صلاة الفجر في بيت المقدس، ثم يخرج المسيح الدجال، فيقتله عيسى، ويساعده على قتله المهدي، ثم ينتهي أمره، ويسلم الأمر لعيسى بن مريم من بعده ثم يستمر يصلي خلف عيسى بن مريم حتى يموت، ويصلي عليه عيسى، ويدفنه في بيت المقدس، وهو ليس بنبي، ولا ملك من الملائكة، والإيمان به واجب تصديقاً للرسول فيما أخبر، فهو لا يفتن الناس، ولا يأتي بدين جديد، ولا شريعة غير شريعة محمدﷺ فهو رجل مجتهد، إلا أنه يعدل بين الناس عدلاً لم تعرفه الأمة الإسلامية بعد النبيﷺ[١].

قال الإمام الشوكاني بعد سوق الأحاديث في المهدي: «فتقرر بجميع ما سقناه، أن الأحاديث في المهدي متواتره»[٢].

---

(١) انظر عقيدة المؤمن، أبو بكر الجزائري، دار الكتب السلفية القاهرة، ص ٢٦٤.
؛ لوامع الأنوار البهيه للسفاريني، ح ٢، ص ٨١ - ٨٦.
؛ عقيدة الفرقة الناجية، أهل السنة والجماعة د. عثمان الصوينع، ص٤٢٥.

(٢) منهج الإمام الشوكاني في العقيدة، د.عبد الله نومسوك، مكتبة دار القلم والكتاب سنة ١٤١٤هـ، ص ٧٦٣.

وإن الإعراض عن الأحاديث الصحيحة في خروج المهدي؛ ذلك مما أدى إلى القول بالإفراط والتفريط فيه والصحيح ما أقره مذهب أهل السنة والجماعة.

خروج يأجوج ومأجوج:

وهم خلق من عجائب مخلوقات الله سبحانه وقد ورد وصفهم في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ وآمنت الأمة بوجود هذا الخلق، إلا من شذ منهم، وظهور هذا الخلق شرط وعلامة من أشراط الساعة، وكما ذكر العلماء فإن تلك الأشراط إذا ظهر أحدها فإنها تكون مثل العقد الذي انفرط من نظمه وتتسارع الأحداث ليقضي الله أمراً كان معلوما عنده سبحانه وهنا تتحقق معجزة أخرى وتكريم من الله تعالى لنبيه عيسى ﷺ، حيث يهلك الله يأجوج ومأجوج بدعاء عيسى عليه السلام فيصيبهم مرض النغف فيموتون وتمتلىء الأرض أوبئة وروائح، فيدعو الله عيسى عليه السلام فيرسل طيراً عجيباً في خلقه ليخلصهم من جثث ومخلفات أولئك القوم، ثم يرسل الله عليهم مطراً. قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ...﴾(1).

وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾(2).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يقول الله تعالى: يا آدم! فيقول: لبيك وسعديك، والخير كله في يديك، قال: أخرج بعث النار، قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فعنده يشيب الصغير» ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾(3) قالوا: يا رسول الله وأينا ذلك الواحد؟ قال: أبشروا فإن منكم رجلاً، ومن يأجوج ومأجوج ألف.

---

(1) آية ٩٦، وبعض آية ٩٧ سورة الأنبياء.

(2) آية ٩٣ - ٩٤ سورة الكهف.

(3) آية ٢ سورة الحج.

ثم قال: والذي نفسي بيده أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة، فكبرنا فقال: أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة، فكبرنا فقال: أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة فكبرنا، قال: ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض، أو كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود»[1].

وعن أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها أن النبي ﷺ دخل عليها فزعاً يقول: «لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه - وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها - فقالت زينب بنت جحش: قلت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم، إذا كثر الخبث»[2].

وقد أخبر المصطفى ﷺ في صحيح مسلم عن النّواس بن سمعان، ﷺ: «إن الله تعالى يوحي إلى عيسى بن مريم عليه السلام بعد قتاله الدجال إني قد أخرجت عباداً لي لا يدان لأحد بقتالهم، فحرز عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون، فيمر أولهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها من الماء، ويمر آخرهم فيقولون كان بهذه ماء، يحصرون عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور خير من مائة دينار»[3].

وخروج يأجوج ومأجوج ثابت بالكتاب والسنة والإجماع، وسموا بهذا الاسم من أجيج النار، وهو لهبها واستعارها وقيل لشدتها وكثرتها، أو من الأُجاج، وهو الماء الشديد الملوحة يقال إنهم من ولد يافث بن نوح، وأنهم

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج،ح ٦ ص ٣٨١.

؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب بيان كون هذه الأمة نصف أهل الجنة، ح ٣، ص ٩٧ - ٩٨.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، قصة يأجوج ومأجوج،ح ٦ ص ٣٨١.

؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج، ح ١٨، ص ٣.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي،ح ١٨، ص ٦٨.

معمرون لكل واحد منهم ألف من ولد صلبه أو يزيدون، ويقدر عددهم بتسعة أعشار بني آدم، ويروى أنهم عدة قبائل منعهم من الخروج إلينا سد ذي القرنين، ويحتمل أن يكون الذي بيننا وبينهم مع السد الذي يحصرهم ظلمة تسد الأفق فلا يهتدي إلى ذلك أحد من الناس، قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا﴾[1] وقد دعاهم النبيﷺ إلى الإسلام ليلة أسري به فلم يجيبوا.

وفي صحيح مسلم: «فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله - يتضرع إلى الله - فيرسل الله تعالى طيراً كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله عليهم مطراً فيغسل الأرض منهم»[2][3].

قال ابن كثير: «يأجوج ومأجوج طائفتان من الترك من ذرية آدمعليه السلام كما ثبت في الصحيح..عندما يقول الله لآدم: أخرج بعث النار فيومئذ يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها؛ فيقال أبشروا؛ فإن في يأجوج ومأجوج لكم فداء - وفي رواية - فيقال: إن فيكم أمتين ما كانتا في شيء إلا كثرتاه، يأجوج ومأجوج»[4].

«وهناك أحاديث صحيحة أخرى ذكرت يأجوج ومأجوج، ومجموع النصوص الواردة بذكرهم يفيد العلم اليقيني بظهور هذه الأمة المفسدة، في أواخر عمر هذه الدنيا فكان لابد للمؤمن من تصديق ما ورد به القرآن والخبر الصحيح من أمرهم، وأما تحديد الزمن الذي تظهر فيه هذه الأمة، والتفصيلات المتعلقة بأشكالهم وأوصافهم، ومكان وجودهم قبل ظهورهم، فكل هذا من أمور الغيب التي لا يعلمها إلا الله تعالى»[5].

---

(١) سورة الكهف آية ٩٨.

(٢) صحيح مسلم،ح ٣، ص ٩٧.

(٣) لوامع الأنوار البهية للسفاريني،ح ٢، ص ١٢٢ - ١٢٨.

(٤) النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير،ح ١، ص ١٥٥؛ وانظر البحث، ص ٦١٦.

(٥) الإيمان أركانه وحقيقته د. محمد نعيم ياسين، المطابع التعاونية عمان سنة ١٤٠٠هـ، ط الثانية ص ١٠٦.

خـروج الدابـة:

آية من آيات الله وقد وردت في الحديث وأنها من أشراط الساعة وذكر الله في كتابه العزيز فقال تعالى: ﴿۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾[(١)].

«وهي دابة لا كالدواب في الدنيا، ولها أوصاف، ومن أغرب وأعظم تلك الأوصاف أنها تسم الناس، فتختم أنف الكافر، حتى إن أهل الحي يتنادون بينهم يا مؤمن ويا كافر بعد طلوع الشمس من مغربها فتجد إبليس قد خر ساجداً نادماً يوم لا ينفع الندم بعد إغلاق باب التوبة، وقد جاءه الوقت المعلوم فتقتله الدابة وهو ساجد ولا ينفعه تضرعه وندمه بعد طلوع الشمس من مغربها وقد أغلق باب التوبة وغلب عليه الشقاء، فلا حول ولا قوة إلا بالله»[(٢)].

«وهذه الدابة تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس وتركهم أوامر الله وتبديلهم الدين الحق يخرج الله لهم دابة من الأرض قيل من مكة وقيل من غيرها»[(٣)].

وعن أبي هريرةرضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً، طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض»[(٤)].

قال القاضي عياض: «هذا الحديث على ظاهره عند أهل الحديث والفقه والمتكلمين من أهل السنة خلافاً لما تأولته الباطنية»[(٥)].

وقد بين رسول الله ﷺ، ما قدر الله لهذه الدابة المعجزة في التعرف على

---

(١) سورة النمل آية ٨٢.

(٢) لوامع الأنوار البهية للسفاريني،ح ٢ ص ١٤٣ - ١٤٨.

(٣) تفسير ابن كثير، ح ٣ ص ٣٢٢.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب الزمن الذي لا يقبل فيه التوبة، ح ٢، ص ١٩٥؛ وانظر البحث ص ٦١٨.

(٥) شرح مسلم للنووي، ح ٢، ص ١٩٥.

المؤمن والكافر فتسم الكافر وقد سمّوا بالمخطمين، فعن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «تخرج الدابة، فتسم الناس على خراطيمهم: ثم يعمرون فيكم حتى يشتري الرجل البعير، فيقول: ممن اشتريته؟ فيقول: اشتريته من أحد المخطمين»(١).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: حفظت من رسول الله ﷺ حديثاً لم أنسه بعد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وأيها ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريباً»(٢).

الرد على المخالف:

قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله: «والآية صريحة بالقول العربي أنها دابة، ومعنى الدابة في لغة العرب معروف واضح لا يحتاج إلى تأويل.. ووردت أحاديث كثيرة في الصحاح وغيرها بخروج هذه الدابة الآية، وأنها تخرج آخر الزمان، ووردت أثار أخرى في صفتها لم تنسب إلى رسول الله ﷺ المبلغ عن ربه، والمبين آيات كتابه، فلا علينا أن ندعها، ولكن بعض أهل عصرنا من المنتسبين للإسلام الذين فشا فيهم المنكر من القول والباطل من الرأي، الذين لا يريدون أن يؤمنوا بالغيب، ولا يريدون إلا أن يقفوا عند حدود المادة التي رسمها لهم معلموهم وقدوتهم؛ ملحدوا أوروبا الوثنيون الإباحيون، المتحللون من كل خلق ودين، هؤلاء لا يستطيعون أن ينكروا إنكاراً صريحاً، فيحاورون ويداورون ثم يتأولون

(١) مسند أحمد، ح ٥،ص ٢٦٨.
؛ شرح السنة للبغوي،ح ٢، ص ١٧٢؛ مجمع الزوائد للهيثمي، ح ٦، ص ٨. وقال الهيثمي: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح؛ غير عمر بن عبد الرحمن بن عطية، وهو ثقة.
؛ سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، ح ١ ص ٦٣٩.والخرطوم: الأنف. لسان العرب ج١٢، ص ١٧٣.
(٢) صحيح مسلم بشرح النووي / كتاب الفتن واشراط الساعة، باب ذكر الدجال،ح ١٨، ص ٧٧.

فيخرجون بالكلام عن معناه الوضعي الصحيح للألفاظ في لغة العرب، يجعلونه أشبه بالرموز؛ لما وقر في أنفسهم من الإنكار الذي يبطنون»[1].

أما قوله ﷺ: «إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة».

فقال ابن كثير رحمه الله: «أي أول الآيات التي ليست مألوفة، وإن كان الدجال ونزول عيسى عليه السلام من السماء قبل ذلك، وكذلك خروج يأجوج ومأجوج، فكل ذلك أمور مألوفة لأن أمر مشاهدته ومشاهدة أمثاله مألوف، فأما خروج الدابة على شكل غريب غير مألوف ومخاطبتها الناس ووسمها إياهم بالإيمان أو الكفر، فأمر خارج عن مجاري العادات، وذلك أول الآيات الأرضية، كما أن طلوع الشمس من مغربها على خلاف عادتها المألوفة أول الآيات السماوية»[2].

«والذي يجب الإيمان به هو أن الله تعالى سيخرج للناس في آخر الزمان دابة من الأرض تكلمهم، فيكون تكليمها آية لهم دالة على أنهم مستحقون للوعيد بتكذيبهم آيات الله، فإذا خرجت الدابة؛ فهم الناس وعلموا أنها الخارقة المنبئة باقتراب الساعة، وقد كانوا قبل ذلك لا يؤمنون بآيات الله ولا يصدقون باليوم الموعود. والذي يؤيد أن هذه الدابة تنطق وتخاطب الناس بكلام يفهمونه هو أنه جاء ذكرها في سورة النمل، وهذه السورة فيها مشاهد وأحاديث بين طائفة من الحشرات والطير والجن وسليمان عليه السلام، فجاء ذكر الدابة وتكليمها الناس متناسقاً مع مشاهد السورة وجوها العام»[3].

بل «إن هذه الدابة تسم الناس على وجوههم بالكفر والإيمان، فتجلو وجه المؤمن، وتخطم أنف الكافر.. وهذا القول يشهد له حديث أبي أمامه رضي الله عنه السابق أن النبي ﷺ قال: «تخرج الدابة، فتسم الناس على خراطيمهم»[4].

---

(١) شرح مسند الإمام أحمد للشيخ أحمد شاكر، أتمه د. الحسيني عبد المجيد هاشم، دار المعارف مصر سنة ١٣٣٥هـ، ج ١٥، ص ٨٢.

(٢) النهاية في الفتن والملاحم، لابن كثير، ح ١، ص ١٦٥.

(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب، ح ٥، ص ٢٦٦٧.

(٤) أشراط الساعة، يوسف بن عبد الله الوابل، دار ابن الجوزي الطبعة ١٤ سنة ١٤٢١هـ، ص ٤١١، ٤١٦.

«قال الحاكم أبو عبد الله: الذي يظهر أن طلوع الشمس يسبق خروج الدابة، ثم تخرج الدابة في ذلك اليوم أو الذي يقرب منه»[1].

طلوع الشمس من مغربها:

قال الله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس آمن منْ عليها؛ فذلك حين «لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل»[3].

قال ابن كثير: «يقول الله تعالى هذا متوعداً للكافرين به والمخالفين لرسله والمكذبين بآياته والصادين عن سبيله.. وذلك كائن قبل يوم القيامة، وكان يقول ابن مسعود: الآية التي تختم بها الأعمال طلوع الشمس من مغربها وذلك قبل يوم القيامة كائن من أمارات الساعة وأشراطها كما قال البخاري في تفسير هذه الآية.. قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا رآها الناس آمن من عليها فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل»[4] وعن حذيفة ابن أسيد أن رسول الله ﷺ قال: «إنها لن تقوم ـ الساعة ـ حتى تروا قبلها عشر آيات: فذكر منها: طلوع الشمس من مغربها»[5].

وعن زرِ بن حبيش قال: أتيت صفوان بن عسال المرادي رضي الله عنه أسأله المسح

---

(١) فتح الباري ج١١، ص ٣٥٣.
(٢) سورة الإنعام آية ١٥٨.
(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب التفسير باب ج٨، ص ٢٩٧.
؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان ح ٢ ص ١٩٤.
(٤) تفسير ابن كثير، ح ٢، ص ١٦٨.
(٥) صحيح مسلم بشرح النووي، ج ١٨، ص ٢٧ - ٢٨.

على الخفين، فقال ما جاء بك يا زر؟ فقلت ابتغاء العلم. فقال إن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يطلب.. فما زال يحدثنا حتى ذكر باباً من قبل المغرب مسيرة سبعين عاماً خلقه الله يوم خلق السموات والأرض مفتوحاً يعني للتوبة لا يغلق حتى تطلع الشمس منه»[1]قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «فهذه الأحاديث المتواترة مع الآية الكريمة دليل على أن من أحدث إيماناً أو توبة بعد طلوع الشمس من مغربها لا يقبل منه، وإنما كان كذلك والله أعلم لأن ذلك من أكبر أشراط الساعة وعلاماتها الدالة على إقترابها ودنوها، فعومل ذلك الوقت معاملة يوم القيامة»[2].

«وإذا انشأ الكافر إيماناً يومئذ لا يقبل منه، فأما من كان مؤمناً قبل ذلك؛ فإن كان مصلحاً في عمله؛ فهو بخير عظيم، وإن كان مخلطاً فأحدث توبة؛ حينئذ لم تقبل منه»[3].

قال معاوية وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُم: إن رسول الله ﷺ قال: «إن الهجرة خصلتان إحداهما أن تهجر الشر، والأخرى أن تهاجر إلى الله ورسوله، ولا تنقطع ما تقبلت التوبة، ولا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من الغرب فإذا طلعت طُبع على كل قلب بما فيه، وكُفي الناس العمل»[4].

---

(١) سنن الترمذي كتاب الدعوات، باب فضل التوبة والاستغفار، ج٥، ص ٥٤٥.

(٢) النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير، ح ١، ص، ١٧٢.

(٣) تفسير ابن كثير تحقيق محمد البنا وعبد العزيز غنيم ومحمد عاشور، دار الشعب، القاهرة ح ٣، ص ٣٧١.

(٤) مسند الإمام احمد، ح ١، ص ١٩٢، ح ٤، ص ٢٢٥، ح ٥، ص ٢٧٠، ٣٦٣.

؛ تفسير ابن كثير حـ ٢ ص ١٧٠ وقال هذا الحديث حسن الإسناد ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة.

؛ النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير ح، ١،ص ١٧١. وقال: وهذا إسناد جيد قوي.

وروى الإمام مسلم عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها»[1] فجعل رسول الله ﷺ غاية قبول التوبة هو طلوع الشمس من مغربها.

وقد ذكر ابن حجر أحاديث وآثاراً كثيرة تدل على استمرار قفل باب التوبة إلى يوم القيامة ثم قال: «فهذه آثار يشد بعضها بعضاً متفقة على أن الشمس إذا طلعت من المغرب؛ أغلق باب التوبة، ولم يفتح بعد ذلك، وأن ذلك لا يختص بيوم الطلوع، بل يمتد إلى يوم القيامة»[2]وهذا إغلاق يعم الخلق في آخر الزمان حين طلوع الشمس من مغربها، كما أنه لا يغلق باب توبة كل عبد ما لم تغرغر روحه في حلقه كما قال ﷺ: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»[3].

وقد استشكل حديث أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه «ثلاث إذا خرجن لم ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض»[4] فإن خروج عيسى عليه السلام بعد الدجال عليه اللعنة، وهو عليه السلام يدعو الناس إلى الإيمان وقبله منهم، وفي زمنه خير كثير. وأجيب عنه: إن المراد بهذا البعض الذي لا ينفع الإيمان عنده هو طلوع الشمس من مغربها؛ وإنما لم ينفع الإيمان حينئذ لظهور الآية التي تضطرهم إلى الإيمان[5].

قال ابن حجر: «الذي يترجح من مجموع الأخبار أن خروج الدجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغير الأحوال العامة في الأرض وينتهي ذلك بموت عيسى

---

(١) صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة، ح١٧، ص ٧٦.

(٢) فتح الباري، ح ١١، ص ٣٥٤ - ٣٥٥.

؛ وانظر أشراط الساعة يوسف الوابل ص ٤٠١.

(٣) مسند الإمام أحمد تحقيق الشيخ أحمد شاكر، ح ٩، ص ١٧ - ١٨. وقال: إسناده صحيح.

(٤) سبق تخريجه ص ٦٣٤.

(٥) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت ط٣، ١٤٠٤هـ، ج٣، ص ١٥٧.

ابن مريم، وأن طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوي، وينتهي ذلك بقيام الساعة»[1].

قال الباحث: لقد حذر رسول الله ﷺ أمته من الدجال لما يعرضه من الفتن ولأنه يدّعي الألوهية فقال ﷺ: «ليفرِّن الناس من الدجال في الجبال»[2] و«من سمع بالدجال فلينأ عنه، فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه، مما بعث به من الشبهات»[3] وإذا كان الخوف على من آمن فكيف بمن لم يؤمن، فقطعاً سيتبعه وحينئذ ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ ثم إن رسول الله ﷺ سنّ لأمته أذكاراً وأخبرهم بآيات من القرآن وأن مكة والمدينة لا يدخلها الدجال وهذا تحصين لأمة محمد ﷺ من فتنة الدجال. ثم إن الحديث يجيب على «سؤال اشتهر عن الحكمة في عدم التصريح بذكر الدجال في القرآن مع ما ذكر عنه من الشر وعظم الفتنة به وتحذير الأنبياء منه والأمر بالاستعاذة منه حتى في الصلاة، وأجيب بأجوبة أحدها أنه ذُكر في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾»[4]. ويكون المقصود بذلك من لم يؤمن أو يتب إلى الله قبل خروج الدجال، فإنه لا تسعه التوبة ولا يمكنه الإيمان لأنه سيتبع الدجال لما يثيره من الشبه العظمى في دعوته للإلوهية فيكفر بالله تعالى.

الخسوفات الثلاثة

إحدى أشراط الساعة التي ذكرها المصطفى ﷺ، حين خرج وصحابته رضوان الله عليهم يتذاكرون الساعة، فقال ﷺ: إن الساعة لن تقوم حتى تروا عشر آيات.. فذكر منها: ثلاث خسوفات: خسف بالمشرف وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب[5].

---

(١) فتح الباري ج ١١، ص ٣٥٣.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الفتن، باب بقية أحاديث الدجال، ج١٨، ص ٨٦.

(٣) المستدرك للحاكم وصححه، ج٤، ص ٥٧٦.

(٤) فتح الباري، ج١٣، ص ٩١.

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب الآيات التي تكون قبل الساعة، ج١٨، ص ٢٧ / ٢٩.

قال ابن حجر: «وقد وجد الخسف في مواضع، ولكن يحتمل أن يكون المراد بالخسوف الثلاثة قدراً زائداً على ما وجد كأن يكون أعظم منه مكاناً أو قدراً»[(١)].

وإن معتقد أهل السنة والجماعة هو الإيمان بما جاء عن الله سبحانه من هذه الدلائل والأشراط وما صح عن رسوله صلى ﷺ في سنته، وأن تكون سبباً في زيادة الإيمان والإقبال على الله والحذر والحيطة من تلك الأهوال.

النار التي تحشر الناس:

آخر الآيات التي ذكرها المصطفى ﷺ في حديث أشراط الساعة، ما رواه حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه، وذكر أنها عشر فقال: «وآخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم»[(٢)].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «أول أشراط الساعة نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب»[(٣)].

ولا تعارض بين قولي المصطفى ﷺ فهما حق ولا ينطق عن الهوى، ومما قال ابن حجر رحمه الله للتوفيق بينهما قوله: «قلت: وهذا في الظاهر يعارض حديث أنس المشار إليه في أول الباب، فإن فيه أن أول أشراط الساعة نار تحشرهم من المشرق إلى المغرب وفي حديث حذيفة أنها آخر الأشراط، ويجمع بينهما بأن آخريتها باعتبار ما ذكر معها من الآيات وأوليتها باعتبار أنها أول الآيات التي لا شيء بعدها من أمور الدنيا أصلاً بل يقع بانتهائها النفخ في الصور، بخلاف ما ذكر معها فإنه يبقى بعد كل آية منها أشياء من أمور الدنيا»[(٤)].

---

(١) فتح الباري لابن حجر، ج١٣، ص ٨٤.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الفتن واشراط الساعة، باب الآيات التي تكون قبل قيام الساعة، ح١٨، ص ٢٧ - ٢٨.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب خروج النار، ح ١٣، ص ٧٨.

(٤) فتح الباري، ح ١٣، ص ٨٢.

ثم بين رسول الله ﷺ كيفية حشر الناس ودرجاتهم بناء على ما قدموه في حياتهم الدنيا.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يحشر الناس على ثلاث طرائق: راغبين، وراهبين، واثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وأربعة على بعير، وعشرة على بعير، ويحشر بقيتهم النار؛ تقيل معهم حيث قالوا، وتبيت معهم حيث باتوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسي معهم حيث أمسوا»[1].

قال النووي رحمه الله: «قال العلماء وهذا الحشر في آخر الدنيا قبيل يوم القيامة وقبيل النفخ في الصور بدليل قوله ﷺ وتحشر بقيتهم النار تبيت معهم وتقيل وتصبح وتمسي وهذا آخر أشراط الساعة كما ذكر مسلم بعد هذا في آيات الساعة قال وآخر ذلك نار تخرج من قعر عدن ترحّل الناس وفي رواية تطرد الناس إلى محشرهم والمراد بثلاث طرائق ثلاث فرق ومنه قوله تعالى إخباراً عن الجن ﴿طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾[2]. أي فرقاً مختلفة الأهواء»[3].

القيامة الصغري

إن إيمان العبد بالله تعالى ثم باليوم الآخر يقتضي أن يؤمن بما أخبر به المصطفى ﷺ عن ربه تعالى من عذاب القبر ونعيمه وسؤال الملكين له، ذلك هو ما أخبر الله به في كتابه العزيز.

حيث قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾[4].

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب الحشر، ح ١١، ص ٣٧٧.
؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة،ح ١٧، ص ١٩٤ - ١٩٥.

(٢) سورة الجن آية ١١.

(٣) شرح النووي لصحيح مسلم،ح ١٧، ص ١٩٤ - ١٩٥.

(٤) سورة إبراهيم آية ٢٧.

وقال تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٥﴾﴾[(١)]. أي أشده ألماً وأعظمه نكالاً»[(٢)] وقد بوب البخاري رحمه الله باباً في كتاب الجنائز، فقال: باب ما جاء في عذاب القبر، وقوله تعالى: ﴿إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ﴾[(٣)].

وقوله جل ذكره: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾[(٤)] وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «إذا أقعد المؤمن في قبره أُتي ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ﴾»[(٥)].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن العبد إذا وضع في قبره وتولى وذهب أصحابه ـ حتى إنه ليسمع قرع نعالهم ـ أتاه ملكان فأقعداه، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد ﷺ؟ فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله. فيقال: انظر إلى مقعدك من النار، أبدلك الله به مقعداً من الجنة. قال النبي ﷺ: فيراهما جميعاً. وأما الكافر ـ أو المنافق ـ فيقول: لا أدرى، كنت أقول ما يقول الناس. فيقال: لا دريت ولا تليت. ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه، فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين»[(٦)]وهذا الحديث يتضمن سؤال الملكين وفتنة القبر التي أمرنا رسول الله ﷺ بالتعوذ بالله من فتنة وعذاب القبر حيث روى أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يدعو فيقول: «اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والبخل والهرم، وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات»[(٧)].

---

(١) سورة غافر آية ٤٥، ٤٦.
(٢) تفسير ابن كثير، ج٤، ص ٧٣.
(٣) سورة الأنعام ٩٣ .
(٤) سورة التوبة آية ١٠١.
(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر، ج٣، ص ٢٣١.
(٦) نفس المصدر، كتاب الجنائز، باب الميت الذي يسمع خفق النعال، ج٣، ص ٢٠٥ .
(٧) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب عذاب القبر، ج٣، ص ٢٣٢.

بل كان يأمر أصحابه رضي الله عنهم بالاستعاذة في الصلاة بعد التشهد من عذاب وفتنة القبر.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع: يقول اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال»[1].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن «اللهم إنا نعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات»[2].

وأما عذاب القبر فقد دلت عليه الأحاديث الصحيحة أيضاً. فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة»[3].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: مر النبي ﷺ على قبرين فقال: «إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، ثم قال: بلى، أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله»[4].

وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: «بينما النبي ﷺ في حائط في بني النجار على

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب عذاب القبر، ج٣، ص ١٨٨.
؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب المساجد، باب ما يستعاذ منه في الصلاة، ج٥، ص ٨٧.

(٢) نفس المصدر، كتاب المساجد، باب ما يستعاذ منه في الصلاة، ج٥، ص ٨٩.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب عذاب القبر، ج٣، ص ١٨٨.
؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب عرض مقعد الميت عليه، ج١٧، ص ٢٠٢.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب عذاب القبر، ج٣، ص ١٨٨.
؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الطهارة، باب نجاسة البول، ج٣، ص ٢٠٠.

بغلة له، ونحن معه، إذ حادت به فكادت تلقيه، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة، فقال ﷺ: من يعرف أصحاب هذه الأقبر؟ فقال رجل أنا: قال: فمتى مات هؤلاء قال: ماتوا في الإشراك، فقال: إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه، ثم أقبل علينا بوجهه فقال: تعوذوا بالله من عذاب القبر، قالوا نعوذ بالله من عذاب القبر: قال: تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، قالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن. قال: تعوذوا بالله من فتنة الدجال. قالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجال»(١).

وهذه أحاديث صحيحة مثبتة لعذاب القبر ونعيمه وفتنته مؤيدة بآيات من كتاب الله العظيم ذكرها المفسرون للتدليل على عذاب القبر ونعيمه، قال شارح صحيح مسلم الإمام النووي رحمه الله: «أعلم أن مذهب أهل السنة إثبات عذاب القبر وقد تظاهرت عليه دلائل الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾(٢).

وتظاهرت به الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ في رواية جماعة من الصحابة في مواطن كثيرة ولا يمتنع في العقل أن يعيد الله الحياة في جزء من الجسد ويعذبه وإذا لم يمنعه العقل، وورد به الشرع وجب قبوله واعتقاده»(٣).

وقد أورد ابن تيمية أحاديث عذاب القبر ونعيمه في فتاواه ثم قال: «وهذا الباب فيه من الأحاديث والآثار ما يضيق هذا الوقت عن استقصائه مما يبين أن الأبدان التي في القبور تنعم وتعذب كما يشاء، وأن الأرواح باقية بعد مفارقة البدن، وإن مذهب سلف الأمة وأئمتها، أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب، وأن ذلك يحصل لروحه ولبدنه، فإن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب صفة القيامة، باب إثبات عذاب القبر ونعيمه، ج١٧، ص ٢٠٢.

(٢) سورة غافر ٤٦.

(٣) شرح النووي لصحيح مسلم ج ١٧، ص ٢٠٠، ٢٠١.

ومعذبة، وأنها تتصل بالبدن أحيانا، فيحصل له معها النعيم والعذاب»[1].

وبمثل هذا ما أورده ابن القيم حيث قال: «إن مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت يكون في نعميم أو عذاب.. ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى الأجساد وقاموا من قبورهم لرب العالمين.. ونحن نثبت ما ذكرناه، فأما أحاديث عذاب القبر ومساءلة منكر ونكير فكثيرة متواترة عن النبي ﷺ»[2].

قال شارح الطحاوية رحمهما الله: «وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلا، وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به، ولا نتكلم في كيفيته، إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته، لكونه لا عهد له به في هذه الدار، والشرع لا يأتي بما تحيله العقول، ولكنه قد يأتي بما تحار فيه العقول. فإن عود الروح إلى الجسد ليس على الوجه المعهود في الدنيا، بل تعاد الروح إليه إعادة غير الإعادة المألوفة في الدنيا. فالروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق متغايرة الأحكام:

أحدهما: تعلقها به في بطن الأم جنيناً.

الثاني: تعلقها به بعد خروجه إلى وجه الأرض.

الثالث: تعقلها به في حال النوم. فلها به تعلق من وجه ومفارقة من وجه.

الرابع: تعلقها به في البرزخ، فإنها وإن فارقته وتجردت عنه فإنها لم تفارقه فراقاً كلياً بحيث لا يبقى لها إليه التفات البتة، فإنه ورد ردّها إليه وقت سلام المسلّم، وورد أنه يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه وهذا الردّ إعادة خاصة لا يوجب حياة البدن قبل القيامة.

الخامس: وهو أكمل أنواع تعلقها به يوم البعث للأجساد، وهو أكمل أنواع تعلقها بالبدن، ولا نسبة لما قبله من أنواع التعلق. إذ هو تعلق لا يقبل البدن معه

---

(١) فتاوى ابن تيمية ج ٤، ص ٢٨٤، ٢٩٦.

(٢) الروح لابن القيم تحقيق جمال الدمشقي، دار الإسراء للنشر - عمان ١٤٢٢هـ، ص ٧٦.

موتاً ولا نوماً ولا فساداً، فالنوم أخو الموت، فتأمل هذا يزح عنك إشكالات كثيرة»[1].

الرد على المخالفين:

وإذا كان عذاب القبر ونعيمه ثابتين عند أهل السنة والجماعة «السلف» بالقرآن والسنة؛ فإن هناك فرقاً قد ضلت الطريق وناءت عن الحق ومنهم من قال: إن ذلك لم يثبت بالقرآن، فإنما ذلك كان جهلاً منهم وإعراضاً عن سنة المصطفى ﷺ التي بينت ما أجمل في القرآن وفسرت ما أشكل منه.

وهذا ما ذكره ابن القيم حين رد على سؤال من قال: «ما الحكمة في كون عذاب القبر لم يذكر في القرآن مع شدة الحاجة إلى معرفته والإيمان به ليحذر ويتقى؟.

والجواب من وجهين: مجمل ومفصل.

أما المجمل فهو أن الله سبحانه وتعالى أنزل على رسوله وحيين وأوجب على عباده الإيمان بهما والعمل بما فيهما وهما الكتاب والحكمة وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾[3].

والكتاب هو القرآن والحكمة هي السنة باتفاق سلف الأمة، وما أخبر به الرسول عن الله فهو واجب تصديقه والإيمان به كما أخبر به الرب تعالى على لسان رسوله، هذا أصل متفق عليه بين أهل الإسلام لا ينكره إلا من ليس منهم.

وأما الجواب المفصل فهو أن نعيم البرزخ وعذابه مذكور في القرآن في غير موضع، فمنها قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، ص٣٩٩.

(٢) سورة النساء ١١٣.

(٣) سورة الجمعة ٢.

أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾[1].

وهذا الخطاب لهم عند الموت وقد أخبرت الملائكة وهم الصادقون أنهم حينئذ يجزون عذاب الهون، ولو تأخر عنهم ذلك إلى انقضاء الدنيا لما صح أن يقال لهم اليوم تجزون.

ومنها قوله تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾[2] فذكر عذاب الدارين ذكراً صريحاً لا يحتمل غيره.

ومنها قوله تعالى: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾[3] فذكر هاهنا أحكام الأرواح عند الموت وذكر في أول السورة أحكامها يوم المعاد الأكبر، وقدم ذلك على هذا تقديم الغاية للعناية إذ هي أهم وأولى بالذكر وجعلهم عند الموت ثلاثة أقسام كما جعلهم في الآخرة ثلاثة أقسام.. ثم قال: وإذا تأملت أحاديث عذاب القبر ونعيمه وجدتها تفصيلاً وتفسيراً لما دل عليه القرآن»[4].

وقد ردّ ابن تيمية على الفلاسفة الضالين وضلال المتكلمين إنكارهم عذاب القبر ونعيمه فقال: «إن الروح تبقى بعد مفارقة البدن؛ خلافاً لضلال المتكلمين؛ وأنها تصعد وتنزل خلافاً لضلال الفلاسفة، ؛ وأنها تعاد إلى البدن وأن الميت يسأل، فينعم أو يعذب، وفيه أن عمله الصالح أو السيئ يأتيه في صورة حسنة أو قبيحة»[5].

---

(١) سورة الأنعام آية ٩٣.

(٢) سورة غافر آية ٤٥، ٤٦.

(٣) سورة الواقعة آية ٨٨ - ٩٦.

(٤) الروح لابن القيم تحقيق جمال الدمشقي، ص ١٠٨، ١٠٩، ١٤٠.

(٥) مجموع فتاوى ابن تيمية، ج٤، ص ٢٩٢..

وقال شيخ الشافعية في اليمن، يحيى العمراني: «وعند أهل الحديث أن العذاب في القبر حق، وأن مسألة منكر ونكير في القبر حق على ما جاء في الأخبار وأنكر المعتزلة وأهل الزيغ ذلك كله، ودليلنا قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾(١) قال أهل التفسير: تثبيتهم بالقول الثابت في الحياة الدنيا هو قول لا إله إلا الله، وفي الآخرة عند المسألة في القبر»(٢).

وقد أجاب الإمام ابن القيم من سأل عن أولئك الذين أسماهم الزنادقة المنكرين لعذاب القبر، وسعته، وضيقه، وكونه حفرة من حفر النار، أو روضة من رياض الجنة، وكون الميت لا يجلس ولا يقعد في القبر.

فقال: «الأمر الأول: أن يعلم أن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم لم يخبروا بما تحيله العقول وتقطع باستحالته بل أخبارهم قسمان:

أحدهما: ما تشهد به العقول والفطر.

والثاني: ما لا تدركه العقول بمجردها كالغيوب التي أخبروا بها عن تفاصيل البرزخ واليوم الآخر. وتفاصيل الثواب والعقاب، ولا يكون خبرهم محالاً في العقول أصلاً.

الأمر الثاني: أن يفهم عن الرسول ﷺ مراده من غير غلو ولا تقصير، فلا يحمل كلامه ما لا يحتمله، ولا يقصر به عن مراده وما قصده من الهدى والبيان. وقد حصل بإهمال ذلك والعدول عنه من الضلال والعدول عن الصواب ما لا يعلمه إلا الله. بل سوء الفهم عن الله ورسوله أصل كل بدعة وضلالة نشأت في الإسلام.

الأمر الثالث: أن الله سبحانه جعل الدور ثلاثاً، دار الدنيا، ودار البرزخ،

---

(١) سورة إبراهيم٢٧.

(٢) الانتصار في الرد على المعتزل القدرية الأشرار، يحيى العمراني، تحقيق سعود الخلف، أضواء السلف ١٤١٩هـ، ج٣، ص ٧٠٨.

ودار القرار وجعل لكل دار أحكاماً تختص بها، وركب هذا الإنسان من بدن ونفس وجعل أحكام دار الدنيا في الأبدان والأرواح تبعاً لها، ولهذا جعل أحكامه الشرعية مرتبة على ما يظهر من حركات اللسان والجوارح وأن أضمرت النفوس خلافه. وجعل أحكام البرزخ على الأرواح والأبدان تبعاً لها، والأرواح حينئذ هي التي تباشر العذاب والنعيم.

ثم جعل أمر الآخرة وما كان متصلاً بها غيباً، وحجبها عن إدراك المكلفين في هذه الدار وذلك من كمال حكمته. وليتميز المؤمنون بالغيب من غيرهم. فأول ذلك أن الملائكة تنزل على المحتضر وتجلس قريباً منه ويشاهدهم عياناً ويتحدثون عنده ومعهم الأكفان والحنوط. إما من الجنة وإما من النار، ويؤمّنون على دعاء الحاضرين بالخير والشر وقد يسلمون على المحتضر.

فينبغي أن يعلم أن عذاب القبر ونعيمه اسم لعذاب البرزخ ونعيمه وهو ما بين الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[1] وسمي عذاب القبر ونعيمه، وأنه روضة أو حفرة نار، باعتبار غالب الخلق فالمصلوب والحريق والغريق وأكيل السباع والطيور له من عذاب البرزخ ونعيمه قسطه الذي تقتضيه أعماله وإن تنوعت أسباب النعيم والعذاب وكيفياتها وقد اقتضى عدله وأوجبت أسماؤه الحسنى وكماله المقدس تنعيم أبدان أوليائه وأرواحهم وتعذيب أبدان أعدائه وأرواحهم. وهذا موجب عدله وحكمته وكماله المقدس، ولما كانت هذه الدار دار تكليف وامتحان لا دار جزاء لم يظهر فيها ذلك. وأما دار البرزخ فأول دار الجزاء فظهر فيها من ذلك ما يليق بتلك الدار وتقتضي الحكمة إظهاره، فإذا كان يوم القيامة الكبرى وفّي أهل الطاعة وأهل المعصية ما يستحقونه من نعيم الأبدان والأرواح وعذابهما، فعذاب البرزخ ونعيمه أول عذاب الآخرة ونعيمها، وهو مشتق منه وواصل إلى أهل البرزخ كما دل عليه القرآن والسنة الصحيحة الصريحة»[2].

---

(١) سورة المؤمنون آية ١٠٠.

(٢) الروح لابن القيم، تحقيق جمال الدمشقي، ص ٩٠ - ٩٣، ١٠٥، ١٠٦،.

«وأما أهل المروق والإلحاد من الفلاسفة والمعتزلة، فينكرون هذه الأمور؛ من سؤال القبر، ومن نعيم القبر وعذابه، والصراط، والميزان وغير ذلك؛ بدعوى أنها لم تثبت بالعقل، والعقل عندهم هو الحاكم الأول الذي لا يجوز الإيمان بشيء إلا عن طريقه، وهم يردون الأحاديث الواردة في هذه الأمور بدعوى أنها أحاديث آحاد لا تقبل في باب الاعتقاد، وأما الآيات فيؤولونها بما يصرفها عن معانيها»[١] لأنهم قالوا: «إن الميت لما يدفن لا يسمع ولا يبصر ولا يدرك فكيف يجوز عليه المسألة والمعاقبة مع الموت.. وأنكر مشايخنا عذاب القبر في كل حال»[٢].

والحال «الضابط في ذلك أنها أمور ممكنة أخبر بها الصادق صلوات الله عليه وسلامه وآله، وكل ممكن أخبر به الصادق يجب الإيمان بوقوعه كما أخبر، فإن هذه الأمور لا تستفاد إلا من خبر الرسولﷺ، فأهل السنة والجماعة يؤمنون بذلك كله»[٣]

النفخ في الصور والحشر

قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾[٤] وقد بوّب البخاريرحمه الله باباً فقال: «باب ونفخ في الصور» ثم أورد شارح صحيح مسلم الإمام النووي أحاديث النفخ في الصور وقال: «باب ما بين النفختين».

فعن أبي هريرةرضي الله عنه عن النبيﷺ قال: «ما بين النفختين أربعون. قالوا: يا أبا هريرة، أربعون يوماً؟ قال: أبيت. قالوا: أربعون سنة؟ قال أبيت، قالوا، أربعون شهراً، قال أبيت، ويبلى كل شيء من الإنسان، إلا عجب الذنب، فيه يركب الخلق.

---

(١) شرح العقيدة الواسطية، شرح العلامة محمد الهراس، ص ٢٠١.

(٢) فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، القاضي عبد الجبار، ص ٢٠٢.

(٣) شرح العقيدة الواسطية، ص ٣٠٣.

(٤) سورة الزمر آية ٦٨. والصور قرن ينفخ فيه. انظر سنن الترمذي ج٤، ص ٦٢٠

زاد مسلم: ثم يُنزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل، قال: وليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظماً واحداً وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إني أول من يرفع رأسه بعد النفخة الآخرة، فإذا أنا بموسى متعلق بالعرش، فلا أدري، أكذلك كان، أم بعد النفخة»(٢).

قال النووي: «عجب الذنب هو العظم اللطيف الذي أسفل الصلب وهو أول ما يخلق من الآدمي وهو الذي يبقى منه ليعاد تركيب الخلق عليه وقوله ﷺ «كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب» هذا مخصوص فيخص منه الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم فإن الله حرم على الأرض أجسادهم»(٣)وقد دل على هذا وعلى النفخ في الصور:

ما رواه أوس بن أوس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إن أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة. فأكثروا علي من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة علي. قالوا يا رسول الله كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ ـ قال: يقولون: بليت ـ قال: إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»(٤).

«وذلك أن الله عز وجل إذا أذن بانقضاء هذه الدنيا؛ أمر إسرافيل عليه السلام أن

---

(١) فتح الباري، شرح صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ونفخ في الصور، ص٨، ٥٥١. ؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الفتن واشراط الساعة، باب ما بين النفختين ج١٨، ص ٩١.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج٨، ص ٥٥١.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ج١٨، ص ٩٢.

(٤) مسند الإمام أحمد ج ٤، ص ٨.

؛ سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة، ج١، ص ٦٣٥. المستدرك للحاكم، ج٤، ص٦٠٤،وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

ينفخ في الصور النفخة الأولى. فيصعق كل من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، وتصبح الأرض صعيداً جرزاً، والجبال كثيباً مهيلاً، ويحدث كل ما أخبر الله به في كتابه، لاسيما في سورتي التكوير والانفطار؛ وهذا آخر أيام الدنيا.

ثم يأمر الله السماء، فتمطر مطراً كأنه الطّل، فينبت منه الناس في قبورهم من عجب أذنابهم، وكل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب. حتى إذا تم خلقهم وتركيبهم، أمر الله اسرافيل بأن ينفخ في الصور النفخة الثانية، فيقوم الناس من الأجداث أحياء، فيقول الكفار والمنافقون حينئذ: ﴿يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَاۜ﴾ ويقول المؤمنون: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾[1] ثم تحشرهم الملائكة إلى الموقف حفاة غير منتعلين، عراة غير مكتسين، غرلاً غير مختتنين. وعندما سمعت عائشةرضي الله عنها الرسولﷺ يقول: «يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا» قالت يا رسول الله، الرجال والنساء جميعاً، ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال: يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض»[2]. وأول من يكسى يوم القيامة إبراهيم الخليل لما رواه ابن عباسرضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: «إن أول الخلائق يكسى يوم القيامة، إبراهيم الخليل»[3].

«وهناك في الموقف تدنوا الشمس من رؤوس الخلائق، ويلجمهم العرق، فمنهم من يبلغ كعبيه، ومنهم من يبلغ ركبتيه، ومنهم من يبلغ ثدييه، ومنهم من يبلغ ترقوته، كل على قدر عمله، ويكون أناس في ظل الله عز وجل، لقولهﷺ: «سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله»[4]

---

(١) سورة يس ٥٢.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب الرقاق باب الحشر، ج ١١، ص ٣٧٧.
؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الجنة باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة ج١٧، ص١٩٢.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، ج٢، ص ١٤٣.

(٤) شرح العقيدة الواسطية ص ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، وقد ورد ذكر هؤلاء السبعة فعن أبي هريرة عن النبيﷺ قال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل،

«وقال النبي المصطفى إن سبعة يظلهم الله الكريم بظله
محب عفيف ناشيء متصدق وباكٍ مصلٍ والإمام بعدله»[1]

«فإذا اشتد بهم الأمر، وعظم الكرب؛ استشفعوا إلى الله عز وجل بالرسل والأنبياء أن ينقذوهم مما هم فيه، وكل رسول يحيلهم على من بعده، حتى يأتوا نبينا ﷺ، فيقول: أنا لها، ويشفع فيهم فينصرفون إلى فصل القضاء»[2].

صفة الحوض:

وجمع الحوض حياض وهو مجمع الماء والذي يتلخص من الأحاديث الواردة في صفة الحوض «أنه حوض عظيم، ومورد كريم، يمد من شراب الجنة، من نهر الكوثر، الذي هو أشد بياضاً من اللبن وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب ريحاً من المسك، وهو في غاية الاتساع، عرضه وطوله سواء، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر، وفي بعض الأحاديث: أنه كلما شرب منه وهو في زيادة واتساع، وأنه ينبت في خلاله من المسك والرضراض من اللؤلؤ وقضبان الذهب، ويثمر ألوان الجواهر، فسبحان الخالق الذي لا يعجزه شي، وقد ورد في أحاديث: أن لكل نبي حوضاً، وأن حوض نبينا ﷺ أعظمها وأحلاها وأكثرها وارداً، جعلنا الله منهم بفضله وكرمه»[3].

ومن الأحاديث ما رواه:

عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: قال: قال النبي ﷺ: «حوضي مسيرة شهر، ماؤه

وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله، ورجل تصدق فأخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه» فتح الباري، كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، ج٢، ص ١٤٣.؛ صحيح مسلم بشرح النووي، ج٧، ص ١٢٠.

(١) فتح الباري، ج٢، ص ١٤٣.

(٢) شرح العقيدة الواسطية للهراس، ص ٢٠٧.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية، ص ٢٢٨ وانظر فتح الباري ج١١، ص ٤٦٦.

أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منه فلا يظمأ أبداً»[١].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: «أغفى رسول الله ﷺ إغفاءة فرفع رسول الله ﷺ رأسه مبتسماً إما قال هو، وإما قالوا له: لم ضحكت؟ فقال رسول الله ﷺ: إنه أنزلت علي آنفاً سورة، فقرأ حتى ختمها ثم قال: هل تدرون ما الكوثر؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: هو نهر أعطانيه ربي عز وجل في الجنة عليه خير كثير ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد الكواكب يختلج العبد منهم فأقول: يا رب! إنه من أمتي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك».

ولفظ مسلم: «هو نهر وعدنيه ربي عليه خير كثير هو حوضي ترد عليه أمتي يوم القيامة»[٢]. وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «إني فرطكم على الحوض وإن بعدما بين طرفيه كما بين صنعاء وأيلة، كأن الأباريق فيها النجوم»[٣].

الحوض المورود قبل الصراط الممدود:

قل ابن كثير: «إن قال قائل: فهل يكون الحوض قبل الجواز على الصراط أو بعده؟ قلت: إن ظاهر ما تقدم من الأحاديث يقتضي كونه قبل الصراط، لأنه يذاد عنه أقوام يقال عنهم أنهم لم يزالوا يرتدون على أعقابهم منذ فارقتهم، فإن كان هؤلاء كفاراً فالكافر لا يجاوز الصراط، بل يكب على وجهه في النار قبل أن

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب في الحوض وقول الله تعالى. ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ ج١١، ص ٤٦٣.
؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، ج ١٥، ص ٥٥.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الرقاق باب في الحوض وقول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾، ج١١، ص ٤٦٤.
؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ، ج١٥، ص ٦٤.

(٣) نفس المصدر، ج١٥، ص ٦٥.

يجاوزه، وإن كانوا عصاة فهم من المسلمين فيبعد حجبهم عن الحوض لاسيما وعليهم سيما الوضوء، وقد قال ﷺ: «أعرفكم غراً محجلين من آثار الوضوء»[1].

ثم من جاوز لا يكون إلا ناجياً مسلماً فمثل هذا لا يحجب من الحوض فالأشبه والله أعلم أن الحوض قبل الصراط»[2].

قال شارح الطحاوية: «والأحاديث الواردة في ذكر الحوض تبلغ حد التواتر، رواها من الصحابة بضع وثلاثون صحابياً.. والحوض في العرصات قبل الصراط، لأنه يختلج عنه، ويمنع منه أقوام قد ارتدوا على أعقابهم، ومثل هؤلاء لا يجاوزون الصراط.

الحوض قبل الميزان:

قال العلامة القرطبي في التذكرة: واختلف في الميزان والحوض: أيهما يكون قبل الآخر؟ فقيل الميزان، وقيل: الحوض والصحيح أن الحوض قبل.. ولا يخطر ببالك أنه في هذه الأرض، بل في الأرض المبدلة، أرض بيضاء كالفضة، لم يسفك فيها دم، ولم يظلم على ظهرها أحد قط، تظهر لنزول الجبار جل جلاله لفصل القضاء ـ انتهى ـ فقاتل الله المنكرين لوجود الحوض، وأخلق بهم أن يحال بينهم وبين وروده يوم العطش الأكبر»[3]. بل قد أخبر ﷺ أنه يحال بينه وبينهم فلا يشربون من حوضه ﷺ فعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «لأذودن عن حوضي رجالاً كما تذاد الغريبة من الإبل». قال النووي: «معناه كما يذود الساقي الناقة الغريبة عن إبله إذا أرادت الشرب مع إبله»[4].

---

(1) فتح الباري، شرح صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب فضل الوضوء والغر المحجلون من آثاره،ج ١، ص ٢٣٥.

؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، ج ٣، ص ١٣٤.

(2) النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير، ج١، ص ٣٢٥.

(3) شرح العقيدة الطحاوية، ص ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩.

(4) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الفضائل، باب حوض نبينا ﷺ وصفته، ج١٥، ص ٦٤.

الرد على المخالفين:

قال القرطبي: قال علماؤنا: كل من ارتد عن دين الله أو أحدث فيه ما لا يرضاه الله ولم يأذن به فهو من المطرودين عن الحوض، وأشدهم طرداً من خالف جماعة المسلمين، كالخوارج، والروافض والمعتزلة على اختلاف فرقهم، فهؤلاء كلهم مبدلون، وكذا الظلمة المسرفون في الجور والظلم وطمس الحق وإذلال أهله، والمعلنون بكبائر الذنوب المستخفون بالمعاصي، وجماعة أهل الزيغ والبدع، ثم الطرد قد يكون في حال، ثم يقربون بعد المغفرة إن كان التبديل في الأعمال ولم يكن في العقائد. انتهى.

ـ قال صاحب الإرشاد ـ وقد خالفت المعتزلة فلم تقل بإثبات الحوض مع ثبوته بالسنة الصحيحة الصريحة، فكل من خالف في إثباته فهو مبتدع وأحرى أن يطرد»[1]. وقال أبو محمد بن حزم: «وأما الحوض فقد صحت الآثار فيه وهو كرامة للنبي ﷺ ولمن ورد عليه من أمته ولا ندري لمن أنكره متعلقاً ولا يجوز مخالفة ما صح عن النبي ﷺ في هذا وغيره»[2].

«وعند أهل الحديث أن الحسنات والسيئات للموحدين توزن بميزان يوم القيامة، وأن الصراط حق، وأن حوض النبي ﷺ حق. وأنكرت المعتزلة القدرية وأهل الزيغ ذلك كله»[3].

«وأجمع أهل السنة السلف على ثبوته. وقد أنكر المعتزلة ثبوت الحوض، ونرد عليهم بأمرين:

١ ـ الأحاديث المتواترة عن الرسول ﷺ.

٢ ـ إجماع أهل السنة على ذلك.

وهو موجود الآن لقوله ﷺ: «والله إني لأنظر إلى حوضي الآن. واستمداده

---

(١) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، صالح الفوزان، ص٢٦٧.

(٢) الملل والنحل لابن حزم، ج٤، ص٥٥.

(٣) الانتصار في الرد على المعتزلة، يحيى العمراني، ج٣، ص ٧٢٠.

من الكوثر، ولكل نبي حوض ولكن حوض نبينا ﷺ أكبرها وأعظمها وأكثرها وارداً»[1].

٣ ـ إن رسول الله ﷺ أخبر أن من أمته من لا يشرب من حوضه ﷺ لعدم اتباعه في الحياة الدنيا ومخالفتهم ما جاء به، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «ليردنَّ علي ناس من أصيحابي، حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني فأقول: أصحابي؟ فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»[2].

قال النووي: «اختلجوا معناه اقتطعوا وأما أصيحابي فوقع في الروايات مصغراً، قال القاضي: هذا دليل أنهم أهل الردة ولهذا قال فيهم سحقاً سحقاً، ولا يقول ذلك في مذنبي الأمة بل يشفع لهم ويهتم لأمرهم، وقيل هؤلاء صنفان أحدهما عصاة مرتدون عن الاستقامة لا عن الإسلام والثاني: مرتدون إلى الكفر حقيقة»[3]

الميزان والحساب والكتاب:

الميزان وجمعه الموازين: وهو لغة ما تقدر به الأشياء خفة وثقلاً. وشرعاً: ما يضعه الله يوم القيامة لوزن أعمال العباد. وقد دل عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف.

قال تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ﴾[4] ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾[5].

---

(١) شرح لمعة الاعتقاد والهادي إلى سبيل الرشاد، لموفق الدين بن قدامة المقدسي، للشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار ابن خزيمة ١٤١٧هـ، الرياض، ص ١٤٧، ١٤٨. وانظر فتح الباري ج١١، ص٤٦٥.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب في الحوض وقول الله تعالى ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾، ج١١،ص ص ٤٦٤.

(٣) شرح النووي، ج١٥، ص ٦٤.

(٤) سورة المؤمنون آية ١٠٢، ١٠٣.

(٥) سورة الأنبياء آية ٤٧.

ومن السنة:

ما رواه أبو هريرةرضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»[1].

وعن عبد الله بن عمررضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «إن الله سيخلص رجلاً من أمتى على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا، يا رب! فيقول: أفلك عذر؟ قال: لا يارب، فيقول: بلى؟ إن لك عندنا حسنة، وإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فيقول: احضر وزنك. فيقول: يا رب! ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول: إنك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، فلا يثقل مع اسم الله شيء»[2].

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الأيمان، باب إذا قال: والله لا أتكلم، ج١١، ص ٥٦٦.
؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الذكر، باب فضل التهليل، ج١٧، ص ١٨.

(٢) سنن الترمذي كتاب الإيمان، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله ج ٥، ص ٢٣. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب، وقال في حديث الباب الذي قبله والذي رواه عبادةه بن الصامت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حرم الله عليه النار» قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه. قال أبو عيسى: ووجه هذا الحديث عند بعض أهل العلم أن أهل التوحيد سيدخلون الجنة، وإن عذبوا بالنار بذنوبهم فإنهم لا يخلدون في النار. قال الباحث: وهذا مذهب أهل السنة والجماعة، وما يدندن حوله المرجئة والصوفية وغيرهم حول حديث البطاقة وترك الأعمال والتكاليف فليس مما أُمرنا به أو أخبرنا به رسول الله ﷺ ولا في كتاب الله تعالى.
؛ مسند الإمام أحمد، ج٢، ص ٢١٣.
؛ سنن ابن ماجة، كتاب الزهد، باب ما جاء من رحمة الله يوم القيامة، ج٢، ص ٥٧٨.
؛ سلسلة الأحاديث الصحيحة، ناصر الدين الألباني، ج١، ص ٢٦٢. وقال الألباني:

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله وبحمده تملأ ما بين السموات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك. كل الناس يغدو: فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها»[1]. وأجمع السلف على ثبوت ذلك، وهو ميزان حقيقي له كفتان، واختلف العلماء هل هو ميزان واحد أو متعدد؟

فقال بعضهم: متعدد بحسب الأمم والأفراد أو الأعمال؛ لأنه لم يرد في القرآن إلا مجموعاً وأما إفراده في الحديث فباعتبار الجنس.

وقال بعضهم: هو ميزان واحد، لأنه ورد في الحديث مفرداً، وأما جمعه في القرآن فباعتبار الموزون وكلا الأمرين محتمل.

والذي يوزن العمل لظاهر الآية والحديث وقيل: صحائف العمل لحديث صاحب البطاقة. وقيل: العامل نفسه، وجمع بعض العلماء بين هذه النصوص بأن الجميع يوزن[2].

قال القرطبي: «قال العلماء: إذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال، لأن الوزن للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقرير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها، وقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[3] يحتمل أن يكون ثمَّ موازين متعددة توزن فيها الأعمال، ويحتمل أن يكون المراد الموزونات، فجمع باعتبار تنوع الأعمال الموزونة أ.هـ.

صحيح، وصححه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي وحسنه الترمذي.

؛ المستدرك للحاكم وصححه ووافقه الذهبي، ج ١، ص ٤٦.

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، ج٣، ص ٩٩.

(٢) شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد لابن قدامة شرح الشيخ محمد بن عثيمين، ص ١٤٣، ١٤٢، ١٤٤.

(٣) سورة الأنبياء ٤٧.

والذي دلت عليه السنة: أن ميزان الأعمال له كفتان حسيتان مشاهدتان»[1] وأما الحساب والكتاب فهما ثابتان بالكتاب والسنة والإجماع:

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾[2].

والحساب لغة: العدد، وشرعاً: اطلاع الله عباده على أعمالهم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾[3]. «وكان النبي ﷺ يقول في بعض صلاته: اللهم حاسبني حساباً يسيراً فقالت عائشة رضي الله عنها: ما الحساب اليسير؟ قال، أن ينظر في كتابه فيتجاوز عنه، إنه من نوقش الحساب يومئذ يا عائشة هلك»[4].

وأما الكتاب والحساب فإن الله يقرر بها عباده وذلك لكمال عدله سبحانه والله لا يظلم أحداً قال تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ۝٤٩﴾[5]. أما الكفار فإنهم يحاسبون وتوزن أعمالهم حابطة مردودة لأمور:

الأول: إقامة الحجة عليهم، وإظهار عدل الله فيهم، ولا أحد أحب إليه العذر من الله، وهو صاحب العدل المطلق.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، ص ٤١٧.

(٢) سورة الانشقاق آية ٧ - ١٢.

(٣) سورة الغاشية آية ٢٥ - ٢٦.

(٤) مسند الإمام أحمد، ج٦، ص ٤٨.
؛ مشكاة المصابيح للتبريزي، تحقيق الألباني ج، ٣، ص ١٥٥٥ وقال: وإسناده جيد وصححه الحاكم ووافقه الذهبي؛ وانظر المستدرك للحاكم ج٤، ص ٢٧٨، ٦٢٣.

(٥) سورة الكهف آية ٤٩.

قال القرطبي: «والباري سبحانه وتعالى يسأل الخلق في الدنيا والآخرة تقريراً لإقامة الحجة وإظهاراً للحكمة»[1].

الثاني: إن الله يحاسبهم لتوبيخهم وتقريعهم. قال شيخ الإسلام: «إن الحساب يراد به عرض أعمال الكفار عليهم وتوبيخهم عليها، وموازنة الحسنات بالسيئات، فإن أريد بالحساب المعنى الأول، فلا ريب أنهم محاسبون بهذا الاعتبار، وإن أريد به المعنى الثاني فإن قصد ذلك أن الكفار تبقى لهم حسنات يستحقون بها الجنة فهذا خطأ ظاهر»[2].

ثالثاً: «إن الكفار يتفاوتون في كفرهم وذنوبهم ومعاصيهم، ويحلون في النار بمقدار عقاب من قلت سيئاته، ومن كان له حسنات خففت عنه العذاب، كما أن أبا طالب أخف عذاباً من أبي لهب فكان الحساب لبيان مراتب العذاب لا لأجل دخولهم الجنة»[3].

وأما المؤمنون فقد أخبر رسول الله ﷺ برحمة الله بعباده المؤمنين عند الحساب فيخلوا سبحانه بعبده المؤمن ويقرره بذنوبه ويستر عليه، قيل لابن عمر رضي الله عنهما: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى؟ قال سمعته يقول: «يدنو أحدكم من ربه، حتى يضع كنفه عليه، فيقول: أعملت كذا وكذا، فيقول: نعم. فيقرره ثم يقول: إني سترت عليك في الدنيا، وأني أغفرها لك اليوم، ثم يعطى صحيفة حسناته. وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلائق: هؤلاء الذين كذبوا على الله ألا لعنة الله على الظالمين»[4].

---

(١) التذكرة في أحوال الدنيا والآخرة للقرطبي ص ٢٢٥.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية، ج٤، ص ٣٠٥.

(٣) نفس المصدر، ج٤، ص ٣٠٥، وانظر اليوم الآخر د. عمر الأشقر، ص ٢٧٦.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، ج١٣، ص ٤٧٣.

؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب التوبة باب سعة رحمة الله تعالى على المؤمنين، ج١٧، ص ٨٦.

«وأخذ الكتاب باليمين أو الشمال أو من وراء الظهر ثابت بالكتاب والسنة والإجماع ويجب الإيمان به، وأنه واقع لا محالة ولا جدال»[١].

وأجمع المسلمون على ثبوت الحساب يوم القيامة.. وأول ما يحاسب هذه الأمة، لقول النبي ﷺ: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، المقضي بينهم قبل الخلائق»[٢].

وأول ما يحاسب عليه العبد الصلاة، وأول ما يقضى بين الناس في الدماء؛ لقول النبي ﷺ: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة الدماء»[٣]. والحساب عام لجميع الناس إلا من استثناهم النبي ﷺ»[٤].

الرد على المخالفين في الصراط والميزان والحساب:

قال الإيجي: «واعلم أن الصراط جسر ممدود على ظهر جهنم يعبر عليه المؤمن وغير المؤمن، وأنكره أكثر المعتزلة، وتردد قول الجبائي فيه نفياً وإثباتاً..

وأما الميزان فأنكره المعتزلة عن آخرهم، لأن الأعمال أعراض وإن أمكن إعادتها فلا يمكن وزنها إذ لا توصف بالخفة والثقل، وأيضاً فالوزن للعمل بمقدارها وهي معلومة لله تعالى فلا فائدة فيه فيكون قبيحاً. والجواب: أنه ورد في الحديث أن كتب الأعمال هي التي توزن»[٥]. وهذا جواب المتكلمين فإنهم يتفقون في أن الأعراض لا تبقى زمانين وبهذا يكون الأشاعرة قد وافقوا المعتزلة

---

(١) لوامع الأنوار البهية للسفاريني، ج٢، ص ١٨٠.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب فرض الجمعة، ج٢، ص ٣٥٤. ؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الجمعة، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة، ج٦، ص ١٤٤.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الديات، باب قوله تعالى: ، ج١٢، ص ١٨٧. ؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب القسامة، باب المجازاة بالدماء، ج ١١، ١٦٦.

(٤) شرح لمعة الاعتقاد لابن قدامة شرح الشيخ محمد بن عثيمين، ص ١٤٠.

(٥) المواقف في علم الكلام للإيجي ص ٣٨٤.

في عدم القول بوزن الأعمال لأنها أعراض. قال الإمام أبو حنيفة ﷺ. «ووزن الأعمال بالميزان يوم القيامة حق» وقال الشارح: «وقد أنكر المعتزلة الميزان والحساب والكتاب بعقولهم الناقصة مع وجود الأدلة القاطعة في كل من هذه الأبواب»[1].

«وقد أنكر الصراط والمرور عليه أهل البدعة والهوى من الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة، وتأولوا الورود برؤية النار لأنه الدخول والمرور على ظهرها، وذلك لاعتقادهم أن من دخل النار لا يخرج منها ولو بالإصرار على صغيرة، فخالفوا الكتاب والسنة والجماعة وردوا الآيات والأحاديث الواردة في الورود والمقام المحمود والشفاعة»[2]«وأما أهل المروق والإلحاد من الفلاسفة والمعتزلة؛ فينكرون هذه الأمور من سؤال القبر، ومن نعيم القبر، وعذابه، والصراط والميزان وغير ذلك؛ بدعوى أنها لم تثبت بالعقل، والعقل عندهم هو الحاكم الأول الذي لا يجوز الإيمان بشيء إلا عن طريقه، وهم يردون الأحاديث الواردة في هذه الأمور بدعوى أنها أحاديث آحاد لا تقبل في باب الاعتقاد وأما الآيات فيؤولونها بما يصرفها عن معانيها»[3].

قال شارح الطحاوية، «والذي دلت عليه السنة: أن ميزان الأعمال له كفتان حسيتان مشاهدتان.. فعلينا الإيمان بالغيب، كما أخبرنا الصادق ﷺ، من غير زيادة ولا نقصان. ويا خيبة من ينفي وضع الموازين القسط ليوم القيامة كما أخبر الشارع، لخفاء الحكمة عليه، ويقدح في النصوص بقوله: لا يحتاج إلى الميزان إلا البقال والفوّال!! وما أحراه بأن يكون من الذين لا يقيم الله لهم يوم القيامة وزنا. ولو لم يكن من الحكمة في وزن الأعمال إلا ظهور عدله سبحانه لجميع عباده، فإنه لا أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين.. وقد تقدم عند ذكر الحوض كلام القرطبي ﷺ، أن الحوض قبل

---

(١) شرح كتاب الفقه الأكبر لأبي حنيفة شرح علي القاري، ص ١٦٢، ١٦٣.

(٢) معارج القبول بشرح سلم الوصول، حافظ الحكمي، ج٢، ص ٨٥٦.

(٣) شرح العقيدة الواسطية للشيخ محمد الهراس، ص ٢٠٣.

الميزان، والصراط بعد الميزان ففي الصحيحين؛ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار، فيتقاضون مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا نقوا وهذبوا أذن لهم بدخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم بمسكنه في الجنة أدل بمسكنه كان في الدنيا»[1][2].

«وعند أهل الحديث أن الحسنات والسيئات للموحدين توزن بميزان يوم القيامة، وأن الصراط حق.. وأنكرت المعتزلة والقدرية وأهل الزيغ ذلك كله.. وقال محقق الانتصار: وقد أثبت القاضي عبد الجبار المعتزلي الإيمان بالميزان في الآخرة فقال: «أما وضع الموازين فقد صرح به الله تعالى في محكم كتابه، ثم ذكر الآيات الدالة على ذلك وقال: ولم يرد الله تعالى بالميزان إلا المعقول المتعارف فيما بيننا»[3]. فهذا يدل على إثباته للميزان، إلا أن مفهوم الموازنة بين الحسنات والسيئات عند المعتزلة يختلف عما هو عليه عند أهل السنة، بل الميزان في الواقع لا فائدة منه.. لأن في أصل مذهبهم أن الحسنات تحبطها السيئات الكبيرة، فمن فعل كبيرة ولم يتب فإن حسناته كلها تحبط في مقابلها ولا أمل له بالنجاة يوم القيامة[4]. وهذا كله باطل وأقرب للظلم منه للعدل، فأين ثواب الإيمان وثواب الصلاة والطاعات.. وما ذكروه في الواقع لا معنى له في الموازنة لأن كفة السيئات راجحة وكذلك في حالة الطاعات كفتها راجحة. قال أبو الحسن الأشعري: «وحقيقة قول المعتزلة في الموازنة أن الحسنات تكون محبطة بالسيئات، وأن السيئات تكون محبطة للحسنات وتكون أعظم منها»[5].

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب قصاص المظالم، ج ٥، ص ٩٦.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، ص ٤١٩، ٤٢٠.

(٣) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار المعتزلي، ص ٧٣٥ وانظر الانتصار في الرد على المعتزلة للعمراني، ج٣، ص ٧٢٠.

(٤) انظر شرح الأصول الخمسة لعبد الجبار ص ٦٤٣، ٦٤٤.

(٥) مقالات الإسلاميين أبي الحسن الأشعري تحقيق محمد عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، ط الثانية ١٣٨٩هـ، ج٢، ص ١٦٤.

«أما الصراط، فلم يذكر الأشعري خلافاً في إثباته إنما اختلف في وصفه، وعزا الإيجي إنكاره إلى أكثر المعتزلة وأن الجبائي تردد فيه نفياً وإثباتاً.

وذكره القاضي عبد الجبار المعتزلي وقال: هو طريق بين الجنة والنار يتسع على أهل الجنة ويضيق على أهل النار إذا راموا المرور عليه، وأنكر أن يكون الصراط أدق من الشعر وأحد من السيف، كما أنكر أن يجوزه المكلفون فيكون من مرّ عليه من أهل الجنة ومن لم يتمكن فهو من أهل النار[1]. وهذا المعتزلي وإن كان أثبت الصراط في الجملة إلا أنه أنكر الصفات الواردة في الأحاديث عن صفته»[2].

قال السفاريني رحمه الله: «اتفقت الكلمة على إثبات الصراط في الجملة، لكن أهل الحق يثبتونه على ظاهره من كونه جسراً ممدوداً على متن جهنم، أحد من السيف وأدق من الشعر، وأنكر هذا الظاهر القاضي عبد الجبار المعتزلي وكثير من أتباعه زعماً منهم أنه لا يمكن عبوره، وأن أمكن ففيه تعذيب، ولا عذاب على المؤمنين والصلحاء يوم القيامة، وإنما المراد طريق الجنة المشار إليه بقوله تعالى: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥﴾[3] وطريق النار المشار إليه بقوله تعالى: ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾[4].

والحق أن الصراط وردت به الأخبار الصحيحة وهو محمول على ظاهره بغير تأويل كما ثبت في الصحيحين والمسانيد والسنن والصحاح ومما لا يحصى إلا بكلفة من أنه جسر مضروب على متن جهنم يمر عليه جميع الخلائق، وهم في جوازه متفاوتون»[5].

وقال القرطبي: «إن القادر على إمساك الطير في الهواء قادر على أن يمسك

---

(١) شرح الأصول الخمسة لعبد الجبار ٧٣٧.

(٢) الانتصار في الرد على المعتزلة الأشرار، يحيى العمراني، تحقيق د. سعود الخلف، ج٣، ص٧٢١، ٧٢٠.

(٣) سورة محمد آية ٥.

(٤) سورة الصافات آية ٢٣.

(٥) لوامع الأنوار البهية للسفاريني، ج٢، ص ١٩٢.

عليه المؤمن، فيجريه أو يمشيه، ولا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا عند الاستحالة ولا استحالة في ذلك للآثار المروية»[1].

الصراط:

والصراط لغةً: «الطريق. وشرعاً: الجسر الممدود على جهنم ليعبر الناس عليه إلى الجنة.. وهو ثابت بالكتاب والسنة وقول السلف.. والصراط حق يجوزه الأبرار ويزل عنه الفجار»[2].

قال شيخ الإسلام: «والصراط منصوب على متن جهنم، وهو الجسر الذي بين الجنة والنار، يمر عليه الناس على قدر أعمالهم فمنهم من يمر كلمح البصر، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالفرس الجواد، ومنهم من يمر كركاب الإبل، ومنهم من يعدو عدواً، ومنهم من يمشي مشياً، ومنهم من يزحف زحفاً، ومنهم من يخطف خطفاً ويلقى في جهنم، فإن الجسر عليه كلاليب تخطف الناس بأعمالهم. فمن مرّ على الصراط دخل الجنة.

فإذا عبروا عليه؛ وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض، فإذا هذبوا ونقوا، أُذن لهم في دخول الجنة»[3].

وقد دل عليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾[4].

قال ابن كثير في التفسير: «قوله ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ﴾ الصراط على جهنم مثل حد السيف فتمر الطبقة الأولى كالبرق والثانية كالريح والثالثة كأجود الخيل والرابعة كأجود البهائم، ثم يمرون والملائكة يقولون اللهم سلم سلم، ولهذا

---

(١) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ص ٣٣٣.

(٢) شرح لمعة الاعتقاد لابن قدامة للشيخ محمد العثيمين، ص ١٤٩.

(٣) شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية للشيخ محمد الهراس، ص ٢١١، ٢١٢.

(٤) سورة مريم آية ٧١، ٧٢.

شواهد في الصحيحين وغيرهما من رواية أنس وأبي سعيد وأبي هريرة وجابر وغيرهم»[1]. وقد ترجم الإمام البخاري في صحيحه، فقال: «باب الصراط جسر جهنم» قال ابن حجر في شرحه: «أي الجسر المنصوب على جهنم لعبور المسلمين عليه إلى الجنة»[2].

وقال شارح الطحاوية: «واختلف المفسرون في المراد بالورود المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ ما هو؟.

والأظهر والأقوى أنه المرور على الصراط، قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ وفي الصحيح أنه ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لا يلج النار أحد بايع تحت الشجرة قالت: حفصة فقلت: يا رسول الله، أليس الله يقول: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ فقال: ألم تسمعيه قال: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾»[3].

«أشار رسول الله ﷺ إلى أن ورود النار لا يستلزم دخولها، وأن النجاة من الشر لا تستلزم حصوله، بل تستلزم انعقاد سببه، فمن طلبه عدوُّه ليهلكوه ولم يتمكنوا منه، يقال: نجاه الله منهم..

وكذلك حال الوارد في النار، يمرون فوقها على الصراط، ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثياً»[4].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه أخبر أن ناساً قالوا لرسول الله ﷺ يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول ﷺ: «هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا يا رسول الله. قال: هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله. فيقول من كان يعبد شيئاً فليتبعه. فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد القمر القمر. ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت.

---

(١) تفسير ابن كثير، ج٣، ص ١١٦ .

(٢) فتح الباري، ج ١١، ص ٤٤٦.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الفضائل، باب فضائل أصحاب الشجرة، ج١٦، ص ٥٧.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية، ص٤١٦,٤١٥

وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها. فيأتيهم الله تبارك وتعالى في صورة غير صورته التي يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه. فياتيهم الله تعالى في صورته التي يعرفونها فيقول: أنا ربكم. فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه، ويضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أنا وأمتى أول من يجيز، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم. وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان، هل رأيتم السعدان؟ قالوا: نعم يا رسول الله. قال: فإنها مثل شوك السعدان، غير أنه لا يعلم ما قدر عظمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم فمنهم المؤمن بقي بعمله ومنهم المجازى حتى يُنجّى»[1].

قال النووي: «وفي هذا إثبات الصراط ومذهب أهل الحق إثباته وقد أجمع السلف على أثباته وهو جسر على متن جهنم يمر عليه الناس كلهم فالمؤمنون ينجون على حسب حالهم أي منازلهم، والآخرون يسقطون فيها أعاذنا الله الكريم منها.. أما الكلاليب فجمع كلُّوب وهو حديدة معقوفة الرأس يعلق فيها اللحم وترسل في التنور، وأما السعدان وهو نبت له شوكة عظيمة مثل الحسك من كل جانب»[2].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه من حديثه الطويل في ذلك مرفوعاً وفيه: «ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم. قلنا يا رسول الله وما الجسر؟ قال مدحضة مزلة، عليه خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء تكون بنجد يقال لها السعدان، يمر المؤمن عليها كالطرف وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم وناج مخدوش ومكدوس في نار جهنم حتى يمر آخرهم يسحب سحباً»[3].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب صفة الصراط، ج٣، ص ١٧.
؛ فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم، ج١١، ص ٤٤٤.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم كتاب الإيمان باب صفة الصراط، ج ٣، ص ٢٠، ٢١.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ، ج١٣، ص ٤١٩.
؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، ج٣، ص ٢٩.

وعن أنس عن ابن مسعود رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشي مرة ويكبو مرة وتلسعه النار مرة فإذا ما جاوزها التفت إليها فقال: تبارك الذي نجاني منك، لقد أعطاني الله شيئاً ما أعطاه أحداً من الأولين والآخرين»[1].

وعن حذيفة وأبي هريرة رضي الله عنهما في حديث استفتاح الجنة عن النبي ﷺ مطولاً.. وفيه «وترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط يميناً وشمالاً، فيمر أولكم كالبرق، قال: فقلت بأبي أنت وأمي أي شيء كالبرق؟. قال: ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين، ثم كمر الطير، وشد الرحال تجري بهم أعمالهم، قال ونبيكم ﷺ قائم على الصراط يقول رب سلم سلم حتى تعجز أعمال العباد حتى يجئ الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً. قال: وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به فمخدوش ناج ومكدوس في النار، والذي نفس أبي هريرة بيده إن جهنم لسبعون خريفاً»[2].

وبهذا يكون هناك ورودان للنار: ورود الكفار أهل النار فهذا ورود لا شك فيه كما قال تعالى في شأن فرعون: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾﴾[3] والورود الثاني: ورود الموحدين أي مرورهم على الصراط.

قال ابن رجب: «واعلم أن الناس منقسمون إلى مؤمن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً، ومشرك يعبد مع الله غيره، فأما المشركون فإنهم لا يمرون على الصراط، وإنما يقعون في النار قبل نصب الصراط.. تتبع كل فرقة منهم ما كانت تعبد في الدنيا. فترد النار مع معبودها أولاً.. وأما من كان يعبد المسيح والعزير من أهل الكتاب فإنهم يتخلفون مع أهل الملل المنتسبين إلى الأنبياء، ثم يردون النار بعد ذلك.

---

(١) نفس المصدر كتاب الإيمان باب آخر أهل النار خروجاً، ج٣، ص ٤٢.

(٢) نفس المصدر، كتاب الإيمان، باب أدني أهل الجنة منزلاً، ج٣، ص ٧٠.

(٣) سورة هود آية ٩٨.

ولا يبقى بعد ذلك إلا من كان يعبد الله وحده في الظاهر سواء كان صادقاً أو منافقاً من هذه الأمة وغيرها، ثم يتميز المنافقون عن المؤمنين بامتناعهم عن السجود، وكذلك يمتازون عنهم بالنور الذي يقسم للمؤمنين»[1].

ومما دل على هذا التقسيم حديث أبي سعيد الخدري في الرؤية:

فعنه رضي الله عنه قال: «.. ثم قال ﷺ: ينادي مناد ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون فيذهب أصحاب الصليب مع صليبهم، وأصحاب الأوثان مع أوثانهم، وأصحاب كل آلهة مع آلهتهم، حتى يبقى من كان يعبد الله من بر أو فاجر وغُبرات من أهل الكتاب، ثم يؤتى بجهنم تعرض كأنها سراب، فيقال لليهود ما كنتم تعبدون؟ قالوا كنا نعبد عزير ابن الله، فيقال كذبتم لم يكن لله صاحبة ولا ولد فما تريدون؟ قالوا: نريد أن تسقينا. فيقال اشربوا فيتساقطون في جهنم، ثم يقال للنصاري ما كنتم تعبدون؟ فيقولون كنا نعبد المسيح ابن الله، فيقال كذبتم لم يكن لله صاحبة ولا ولد، فما تريدون؟ فيقولون نريد أن تسقينا، فيقال اشربوا، فيتساقطون حتى يبقى من كان يعبد الله من بر أو فاجر، فيقال لهم ما يحبسكم وقد ذهب الناس فيقولون: فارقناهم ونحن أحوج منا إليه اليوم، وإنا سمعنا منادياً ينادي: ليلحق كل قوم بما كانوا يعبدون وإنما ننتظر ربنا. قال: فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة، فيقول: أنا ربكم فيقولون: أنت ربنا؟ فلا يكلمه إلا الأنبياء، فيقول هل بينكم وبينه آية تعرفونه؟ فيقولون: الساق فيكشف عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن، ويبقى من كان يسجد لله رياء وسمعة فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جنهم»[2].

قال النووي رحمه الله: «أما البر فهو المطيع،أما غُبَر وغُبَرات فبضم الغين وفتح الباء ومعناه بقاياهم جمع غابر»[3].

---

(١) التخويف من النار، للحافظ أبي الفرج ابن الجوزي، المكتبة العلمية، بيروت، ص ١٨٧، ١٨٨.؛ وانظر اليوم الآخر د. عمر الأشقر دار النفائس عمان، ط العاشرة ١٤٢١هـ ص ٢٧٦.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب التوحيد، ج١٣، ص ٤٢١.

(٣) صحيح مسلم بشرح النوي، كتاب الإيمان، باب رؤية الله سبحانه، ج٣، ص ٢٥.

الشفاعة:

و«الشفاعة هي الطلب وسؤال الخير للغير»[1]. وهي ثابتة في الكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[2] وقال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[3].

وقد اختص نبينا محمدﷺ بالشفاعة العظمى حيث قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[4] كما في الصحيح عن جابر بن عبد اللهرضي الله عنهما أن النبيﷺ قال: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة و بعثت إلى الناس عامة»[5].

وعن جابررضي الله عنه عن النبيﷺ قال: «لكل نبي دعوة قد دعا بها في أمته، وخبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة»[6].

وعن أبي هريرةرضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله تعالى من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً»[7].

---

(١) فتح القدير للشوكاني، ج١، ص ٨٢.

(٢) سورة الأنبياء ٢٨.

(٣) سورة البقرة ٢٥٥.

(٤) سورة الإسراء ٧٩.

(٥) سبق تخريجه ص ٣٨٩.

(٦) صحيح مسلم بشرح النووي، كتبا لإيمان، باب قول النبيﷺ أنا أول الناس يشفع في الجنة، ج٣، ص ٧٧.

(٧) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب لكل نبي دعوة مستجابة، ج ١١، ص ٩٦.

؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب قول النبيﷺ وأنا أول الناس يشفع في الجنة ج ٣، ص ٧٥.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علي فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشراً ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل الله لي الوسيلة حلت له الشفاعة»(١).

«وتلك الشفاعة لا تكون إلا من بعد إذن الله عز وجل، سواء في ذلك شفاعة نبينا ﷺ وشفاعة من دونه، وذلك الإذن يتعلق بالشافع والمشفوع فيه، وبوقت الشفاعة، فليس يشفع إلا من أذن الله له في الشفاعة، وليس له أن يشفع إلا بعد أن يأذن الله له، وليس له أن يشفع إلا فيمن أذن الله تعالى له أن يشفع فيه»(٢).

وقد بين النبي ﷺ أن شفاعته لا تكون إلا لمن شهد أن لا إله إلا الله خالصاً من قلبه.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قيل يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: «لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك، لما رأيت من حرصك على الحديث. أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه، أو نفسه»(٣).

والشفاعة أنواع: منها ما هو متفق عليه بين الأمة، ومنها ما خالف فيه المعتزلة ونحوهم من أهل البدع:

النوع الأول: الشفاعة العظمى.

هذه هي الشفاعة الأولى لنبينا محمد ﷺ، وهي أعظم الشفاعات، وهي

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه، ثم يصلى على النبي ﷺ ثم يسأل الله له الوسيلة، ج ٤، ص ٨٥.

(٢) معارج القبول بشرح سلم الوصول، حافظ الحكمي، ج ٢، ص ٨٨٨.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الحرص على الحديث، ج١، ص ١٩٣.

المقام المحمود الذي ذكر الله عز وجل له ووعده إياه وأمرنا رسول الله ﷺ أن نسأل الله إياه له ﷺ بعد كل أذان، وقال البخاري رحمه الله تعالى: باب قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[1].

عن آدم بن علي قال سمعت ابن عمر رضي الله عنهما يقول: «إن الناس يصيرون يوم القيامة جثاً، كل أمة تتبع نبيها، يقولون: يا فلان اشفع، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود»[2].

النوع الثاني والثالث من الشفاعة: شفاعته ﷺ في أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم يشفع فيهم ليدخلوا الجنة، وفي أقوام آخرين قد أمر بهم إلى النار أن لا يدخلوها.

النوع الرابع: شفاعته ﷺ في رفع درجات من يدخل الجنة فيها فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم، وقد وافقت المعتزلة هذه الشفاعة خاصة، وخالفوا فيما عداها من المقامات، مع تواتر الأحاديث فيها.

النوع الخامس: الشفاعة في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب، ويحسن أن يستشهد لهذا النوع بحديث عكاشة بن محصن «حين دعا له الرسول ﷺ أن يجعله من السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب»[3].

النوع السادس: الشفاعة في تخفيف العذاب عمن يستحق كشفاعته في عمه أبي طالب أن يخفف عنه عذابه.

النوع السابع: شفاعته في جميع المؤمنين أن يؤذن لهم في دخول الجنة.

---

(١) سورة الإسراء ٧٩.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب، ج٨، ص ٣٩٩.
نفس المصدر كتاب الطب، باب من لم يرق، ج١٠، ص٢١١ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب، ج١١، ص ٤٠٥.
؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب، ج٣، ص ٩٢.

النوع الثامن: شفاعته في أهل الكبائر من أمته، ممن دخل النار فيخرجون منها، وقد خفي علم ذلك على الخوارج والمعتزلة، وقد تواترت الأحاديث بهذا النوع. وهذه الشفاعة تشاركه فيها الملائكة والنبيون والمؤمنون أيضاً[١].

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»[٢].

الراد على المخالفين:

ذهب كثير من المبتدعة إلى مضاهاة أوليائهم بخالقهم في طلب الشفاعة منهم، وقد سُمُّوا بالقبوريين وذلك غالب حالهم من ترك المساجد وتعظيم المشاهد وما ينسبونه «إلى أهل القبور ويضيفونه لهم من التصرفات التي هي ملك لله عز وجل لا يقدر عليها غيره تعالى ولا شريك له فيها، ورتبوا على ذلك صرف العبادات إلى الأموات ودعاءهم إياهم والذبح والنذر لهم دون جبار الأرض والسموات، وسؤالهم منهم قضاء الحاجات ودفع الملمات، وكشف الكربات والمكروهات معتقدين فيهم أنهم يسمعون دعاءهم ويستطيعون إجابتهم»[٣].

وهذا حال الصوفية والشيعة والباطنية واعتقادهم إجابة السؤال والشفاعة من أوليائهم أحياءً وأمواتاً.

«ثم إن الناس في الشفاعة على ثلاثة أقوال: فالمشركون والنصارى

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٢٩، ٢٣٢، ٢٣٣.

(٢) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في الشفاعة، ج٥، ص ١٠٦.
؛ سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب ما جاء في الشفاعة وقال حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، ج ٤، ص ٦٢٥.
؛ مسند الإمام أحمد، ج٣، ص ٢١٣.
؛ المستدرك للحاكم وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، ج١، ص ٦٩.
؛ وصححه الألباني، شرح العقيدة الطحاوية، ص ٢٣٣.

(٣) معارج القبول بشرح سلم الوصول، حافظ الحكمي، ج٢، ص ٨٨٩.

والمبتدعون من الغلاة في المشايخ وغيرهم: يجعلون شفاعة من يعظمونه عند الله كالشفاعة المعروفة في الدنيا.

والمعتزلة والخوارج أنكروا شفاعة نبينا ﷺ وغيره في أهل الكبائر. وأما أهل السنة والجماعة فيقرون بشفاعة نبينا ﷺ في أهل الكبائر، وشفاعة غيره، لكن لا يشفع أحد حتى يأذن الله له ويحدُّ له حداً»[١]. وقال القاضي عياض: «مذهب أهل السنة والجماعة جواز الشفاعة عقلاً ووجوبها سمعاً بصريح القرآن والسنة.. والشفاعة أقسام. أولها مختصة بنبينا ﷺ وهي الإراحة من هول الموقف وتعجيل الحساب.. والخامسة في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها وهذه لا ينكرها المعتزلة ولا ينكرون أيضاً شفاعة الحشر الأول..»[٢]

المعتزلة وإنكارهم الشفاعة لأهل الكبائر:

حين أصل المعتزلة لأنفسهم أصولاً عقلية لا تعتمد على الوحي قرآناً وسنة؛ كان ذلك مؤدياً إلى مخالفة أهل السنة والجماعة وسلف الأمة وخلاف ما أمرنا الله به. ومن ذلك قولهم بأصل الوعد والوعيد وبوجوب تحقق وعيده لمن عصاه، فأنكروا شفاعة نبي الأمة ﷺ في أهل الكبائر وغيره من الأنبياء وصالحي أممهم.

فقال الجبائي وهو أحد منظريهم: «إن أهل النار إذا دخلوا النار، لم يصح خروجهم منها، لأنهم من أهل العقاب، ولا يجوز مع ذلك أن يكونوا من أهل الثواب، لأن ذلك كالمتضاد لو تخلصوا بالشفاعة لم يخل حالهم إذا أدخلهم الله الجنة، من أن يكونوا من أهل الثواب أو التفضل، والعقل قد دل على أن لا ثواب لهم، والسمع قد دل على أن المكلف في الجنة لا يجوز أن يكون بمنزلة أهل التفضل وأن يكون من خدم أهل الجنة، فهذا أيضاً يمنع مما قالوه في الشفاعة»[٣].

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، ص٢٣٥،.

(٢) شرح النووي، ج٣، ص ٣٥، ٣٦.

(٣) فضل الاعتزال، ص ٢٠٩.

ثم قال عبد الجبار: «فالشفاعة للفساق الذين ماتوا على فسوقهم ولم يتوبوا لا تجوز، بل مثالها مثال الشفاعة لمن قتل ولد الغير وظل يتربص للآخر حتى يقتله فكما أن هذا قبيح فهي قبيحة أيضاً»[1]. «فالنبي ﷺ لا يشفع لصاحب الكبيرة، ولا يجوز له ذلك لأن إثابة من لا يستحق الثواب قبيحة، والفاسق إنما يستحق العقوبة على الدوام، فكيف يخرج من النار بشفاعته ﷺ»[2].

ثم حصروا الشفاعة في رفع درجات أهل الجنة، ممن قال بها منهم فقال عبد الجبار: «لا خلاف بين الأمة في أن شفاعة النبي ﷺ ثابتة للأمة، وإنما الخلاف في أنها تثبت لمن؟.

فعندنا أن الشفاعة للتائبين من المؤمنين، وعند المرجئة أنها للفساق من أهل الصلاة»[3].

وقال الزمخشري: «الشفاعة لا تكون إلا في زيادة التفضل، وأهل التفضل وزيادته إنما هم أهل الثواب»[4].

وقد ردَّ عليهم الباقلاني في الإنصاف فقال:

«واعلم أن المعتزلة افترقت فرقتين: فقوم منهم أنكروا الشفاعة أصلاً ورأساً وردوا الأخبار الصحيحة الواردة فيها وما دل عليه القرآن من ذلك.

والفرقة الثانية قالوا: إن للأنبياء شفاعة وللملائكة لكن لثلاث فرق من المؤمنين.

فرقة منهم: أصحاب صغائر وليست لهم كبيرة من الذنوب.

والفرقة الثانية: قوم عملوا الكبائر وتابوا منها وندموا عليها.

والفرقة الثالثة: قوم من المؤمنين لم يعملوا ذنباً أصلاً.

---

(١) شرح الأصول الخمسة لعبد الجبار، ص٦٨٨.
(٢) نفس المصدر، ص ٦٨٩.
(٣) نفس المصدر ص ٦٨٨.
(٤) نفس المصدر ص ٦٨٧.

فأما صاحب الكبيرة الذي مات من غير توبة فلا شفاعة له عندهم وكلا القولين باطل:

أما الفرقة الأولى فجحدت صحة الأخبار الصحاح.

وأما الفرقة الثانية: فذهبت إلى محال من القول لأن الشفاعة عندهم فيمن لم يعمل كبيرة أو عمل وتاب، ولا معنى لها.. فلم يبق إلا أنهم عاندوا الحق وضلوا السبيل واستحوذ عليهم مردة الشياطين حتى ردوا القرآن والسنة وإجماع الأمة فنعوذ بالله منهم ومن خبث معتقدهم»(١).

قال شيخ الإسلام: «أجمع المسلمون على أن النبي ﷺ يشفع للخلق يوم القيامة بعد أن يسأل الناس ذلك، وبعد أن يأذن الله له في الشفاعة. ثم إن أهل السنة والجماعة متفقون على ما اتفق عليه الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، واستفاضت به السنن من أنه ﷺ يشفع لأهل الكبائر من أمته، ويشفع أيضاً لعموم الخلق، فله ﷺ شفاعات يختص بها لا يشركه فيها أحد، وشفاعات يشركه فيها غيره من الأنبياء، والصالحين، ولكن ما له فيها أفضل مما لغيره فإنه ﷺ أفضل الخلق وأكرمهم على ربه عز وجل وله الفضائل التي ميزه الله بها على سائر النبيين»(٢).

وقال القرطبي في تفسيره في أثبات الشفاعة والرد على من نفاها وقد تمسك عليهم في الرد بشيئين أحدهما، الأخبار الكثيرة التي تواترت في المعنى.

والثاني: الإجماع من السلف على تلقي هذه الأخبار بالقبول ولم يبد أحد منهم في عصر من الإعصار نكير، فظهور رواياتهم واطباقهم على صحتها وقبولهم لها دليل قاطع على صحة عقيدة أهل الحق وفساد دين المعتزلة.

فإن قالوا: قد وردت نصوص من الكتاب بما يوجب رد هذه الأخبار مثل

---

(١) الإنصاف للباقلاني، ص ١٤٩، ١٥٠.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية، ج١، ص ٣١٤.

قوله تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾[1]. ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾[2] قلنا ليست هذه آية عامة في كل ظالم والعموم لا صيغة له فلا تعم هذه الآيات كل من يعمل سوء أو كل نفس، وإنما المراد بها الكافرون دون المؤمنين بدليل الأخبار الواردة في ذلك. وأيضاً فإن الله تعالى أثبت شفاعة لأقوام ونفاها عن أقوام فقال في صفة الكافرين ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾[3]، وقال ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾[4] وقال: ﴿وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾[5] فعلمنا بهذه الجملة أن الشفاعة إنما تنفع المؤمنين دون الكافرين وقد أجمع المفسرون على أن المراد بقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾[6] النفس الكافرة»[7].

«وقد خفي علم ذلك على الخوارج والمعتزلة، فخالفوا في ذلك، جهلاً منهم بصحة الأحاديث، وعناداً ممن علم ذلك واستمر على بدعته»[8].

الجنة والنار:

خلق الله الخلق وأمرهم بعبادته فمن أحسن فله الجنة ومن أساء فله النار، «والجنة والنار مخلوقتان، لا تفنيان أبداً ولا تبيدان، فإن الله تعلى خلق الجنة والنار قبل الخلق، وخلق لهما أهلاً، فمن شاء منهم إلى الجنة فضلاً منه، ومن شاء منهم إلى النار عدلاً منه، وكل يعمل لما قد فرغ له، وصائر إلى ما خلق له،

---

(١) سورة غافر ١٨.

(٢) سورة البقرة٤٨.

(٣) سورة المدثر آية ٤٨.

(٤) سورة الأنبياء ٢٨.

(٥) سورة سبأ ٢٣.

(٦) سورة البقرة آية ٤٨.

(٧) تفسير القرطبي ج١، ص ٣٧٨، ٣٧٩
؛ وانظر الشرح والإبانة للعكبري، ص ٢٠٨، ٢٠٩.

(٨) النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير، ج٢، ص ١٨١.

والخير والشر مقدران على العباد»[1]

قال الشارح رحمهما الله: «إن الجنة والنار مخلوقتان، فاتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، ولم يزل أهل السنة على ذلك، حتى نبغت نابغة المعتزلة والقدرية، فأنكرت ذلك. وقالت: بل ينشئهما الله يوم القيامة!! وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد، وأنه ينبغي أن يفعل الله كذا، ولا ينبغي أن يفعل كذا، وقاسوه على خلقه في أفعالهم، فهم مشبهة في الأفعال.. وحرفوا النصوص عن مواضعها، وضللوا وبدّعوا من خالف شريعتهم»[2].

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾[3] وقال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾[4] وقال الله تعالى: ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾[5] وعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «لما خلق الله الجنة والنار أرسل جبريل إلى الجنة فقال: انظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، قال: فجاءها ونظر إليها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها، قال: فرجع إليه، قال: فوعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها، فأمر بها فحفت بالمكاره، فقال: أرجع إليها فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها، قال: فرجع إليها فإذا هي قد حفت بالمكاره، فرجع إليه، فقال: وعزتك لقد خفت أن لا يدخلها أحد، قال: اذهب إلى النار فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فإذا هي يركب بعضها بعضاً، فرجع إليه، فقال: وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها. فأمر بها فحفت بالشهوات فقال: ارجع إليها، فرجع إليها فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد إلا دخلها».

---

(١) العقيدة الطحاوية للإمام الطحاوي، ص ٤٣٠.
(٢) نفس المصدر بشرحه للإمام ابن أبي العز ص ٤٢٠.
(٣) سورة الدخان آية ٥١، ٥٢.
(٤) سورة ق آية ٣١، ٣٢.
(٥) سورة آل عمران آية ١٣٣.

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح[1].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات»[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله عز وجل أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما أطلعكم الله عليه ثم قرأ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[3]»[4]. قال الشارح: «فأما بله فبفتح الباء الموحدة وإسكان اللام ومعناها دع عنك ما أطلعكم عليه فالذي لم يطلعكم عليه أعظم، وكأنه أضرب عنه استقلالاً له في جنب ما لم يطلع عليه، وقيل معناها غير وقيل معناها كيف!»[5].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف[6] من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق، من المشرق أو المغرب، لتفاضل ما بينهم، قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم. قال: بلى والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»[7].

---

(١) سنن الترمذي، كتاب صفة الجنة، باب ما جاء حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات ج٤، ص ٦٩٣.
؛ سنن أبي داود، كتاب السنة، باب خلق الجنة والنار، ج٥، ص ١٠٨.
؛ سنن النسائي، كتاب الإيمان والنذور، باب الحلف بعزة الله، ج٧، ص ٣.
؛ مسند الإمام أحمد، ج٢، ص ٢٦٠، ٣٣٣، ج٣، ص ١٥٣، ٣٥٤.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ج١٧، ص ١٦٥.
؛ سنن الدرامي، كتاب الرقاق، باب حفت الجنة بالمكاره ج ٢، ص ٣٣٩.
؛ مسند الإمام أحمد، ج٢، ص ٣٥٤، ٣٨٠، ج٢، ص ٢٥٤.

(٣) سورة السجدة ١٧.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ، ج١٣، ص ٤٦٤.
؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ج١٧، ص ١٦٦.

(٥) شرح النووي لصحيح مسلم، ج ١٧، ص ١٦٦.

(٦) الغرف: جمع غرفة، والمراد القصور العالية في الجنة. مرقاة الصعود، ج٥، ص ٢٩٠.

(٧) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة، ج٦، ص ٣٢٠.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوهم وثيابهم فيزدادون حسناً وجمالاً فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً فيقول لهم أهلوهم والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً، فيقولون وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً»[1].

وقال الإمام البخاري في صحيحه: «باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة» ثم ذكر حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مات أحدكم فإنه يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي، فإن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار»[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ قال: «بينما أنا نائم رأيتني في الجنة، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر، فقلت لمن هذا القصر؟ فقالوا: لعمر بن الخطاب، فذكرت غيرته فوليت مدبراً، فبكى عمر، وقال عليك أغار يا رسول الله»[3].

والنار هي الدار التي أعدها الله في الآخرة للكافرين.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾[4] وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ

؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الجنة، باب ترائي أهل الجنة أهل الغرف، ج١٧، ص ١٦٩.

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب في سوق الجنة، ج١٧، ١٧٠.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ن كتاب في الجنة وصفة نعيمها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، ج ١٧، ص ٢٠٠.
؛ فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صوف الجنة، أنها مخلوقة، ج٦، ص ٣١٧.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الغيرة، ج٩، ص ٣٢٠.
؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عمر رضي الله عنه، ج١٥، ص ١٦٠.

(٤) سورة النساء آية ١٦٨، ١٦٩.

ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾[1] وقال الله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾[2] وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾[3] وقال الإمام البخاري: «باب صفة النار، وأنها مخلوقة» فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اشتكت النار إلي ربها، فقالت: رب أكل بعضي بعضاً، فأذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف، فاشد ما تجدون في الحر وأشد ما تجدون من الزمهرير»[4].

وعنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ناركم جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم، قيل يا رسول الله! إن كانت لكافية، قال: فضلت عليهن بتسعة وستين جزءاً، كلهن مثل حرها»[5].

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أهون أهل النار عذاباً من له نعلان وشراكان من نار، يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل، ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً، وأنه لأهونهم عذاباً»[6].

وقد أخبر المصطفى ﷺ أنه أُري الجنة والنار ثم أخبر أصحابه أنه لم ير من قبل كما رأى ذلك اليوم:

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ صلى لنا يوماً الصلاة، ثم

---

(١) سورة الأحزاب آية ٦٤، ٦٥.

(٢) سورة الجن آية ٢٣.

(٣) سورة الزخرف آية ٧٤، ٧٥.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة ج٦، ص ٣٣٠.

(٥) نفس المصدر كتاب بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة، ج٦، ص ٣٣٠.
؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب صفة الجنة ونعيمها وأهلها باب شدة حر جهنم، ج١٧، ص١٧٩.

(٦) فتح الباري، شرح صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، ج١١، ص ٤١٧.
؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان صفة، باب أهون أهل النار عذاباً، ج٣، ص ٨٥.

رقى المنبر، فأشار بيده قبل قبلة المسجد، فقال: «قد أُريت الآن مذ صليت لكم الصلاة الجنة والنار ممثلتين في قبل هذا الجدار، فلم أر كاليوم في الخير والشر»[(١)].

وقد أخبر الرسول ﷺ أن الموت يؤتى به في هيئة كبش ثم يذبح. فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال: «يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي منادٍ: يا أهل الجنة! فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم؛ هذا الموت. وكلهم قد رآه. ثم ينادي: يا أهل النار! هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم؛ هذا الموت وكلهم قد رآه، فيذبح. ثم يقول يا أهل الجنة! خلود فلا موت، ويا أهل النار! خلود فلا موت، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾»[(٢)(٣)].

«فثبت من الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة خلود أهل الجنة فيها خلوداً مؤبداً ولا حول عنه ولا زوال. وخلود أهل النار فيها خلوداً مؤبداً لا يفتر عنهم وهم فيه مبسلون إلا ما شاء الله إن ربك فعال لما يريد، فأهل الجنة ينعمون بنعيم لا ينفد، وأهل النار يعذبون بعذاب لا ينقطع..

فيجب الإيمان بهما داري جزاء ومجازاة، وأنهما مصير الثقلين الجن والإنس. والملائكة في الجنة، والشياطين في الجحيم، وقد أعدت النار وأضرمت للشياطين، والكفار الملحدين، وجميع من أشرك بالله غيره في العبادة وفي الربوبية، وأن الجنة والنار خالدتان باقيتان أبد الآباد»[(٤)].

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب رفع البصر إلى الأمام في الصلاة، ج٢، ص ٢٣٢.

(٢) سورة مريم آية ٣٩.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب صفة الجنة ونعيمها، باب جهنم أعاذنا الله منها، ج١٧، ص ١٨٤.

؛ فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب تفسير سورة مريم،ج٨، ص ٤٢٨.

(٤) لوامع الأنوار البهية للسفاريني، ج٢، ص ٢٣٤.

دوام الجنة لأهلها وأبديتها:

وقد أكد الله خلود أهل الجنة بالتأبيد في عدة مواضع من القرآن الكريم. وأخبر أنهم: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾[1] وقال تعالى: ﴿۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾[2].

«ويتبين أن المراد من الآيتين استثناء الوقت الذي لم يكونوا فيه في الجنة من مدة الخلود، كاستثناء الموتة الأولى من جملة الموت، فهذه تقدمت على حياتهم الأبدية، وذلك مفارقة للجنة تقدمت على خلودهم فيها. والأدلة من السنة على أبدية الجنة ودوامها كثيرة»[3].

فعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرةرضي الله عنهما عن النبيﷺ قال: «ينادي منادٍ أن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وأن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً، وأن لكم أن تشبوا فلا تهرموا ابداً، وأن لكم أن تنعموا فلا تبتئسوا أبداً، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[4]»[5] وقال ابن كثيررحمه الله في تفسير آية الخلود لأهل الجنة في سورة هود: يقول تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟﴾ «وهم أتباع الرسل» ﴿فَفِى ٱلْجَنَّةِ﴾ أي فمأواهم الجنة ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ أي ماكثين فيها أبداً ﴿مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ معنى الاستثناء ههنا أن دوامهم فيماهم فيه من النعيم ليس أمراً واجباً بذاته بل هو موكول إلى مشيئة الله تعالى فله المنة عليهم دائماً ولهذا يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس .﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ أي غير مقطوع.. لئلا يتوهم بعد ذكر المشيئة أن ثم انقطاع أو لبس أو شيء بل حتم له بالدوام وعدم الانقطاع كما بين هناك أن عذاب أهل النار في النار دائماً مردود إلى مشيئته

---

(١) سورة الدخان آية ٥٦.

(٢) سورة هود آية ١٠٨.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية، ص ٤٢٦.

(٤) سورة الأعراف ٤٣.

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الجنة ونعيمها، ج١٧، ص ١٧٥.

وأنه بعدله وحكمته عذبهم.. وهنا طيب القلوب وثبت المقصود»[1].

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «إن قوله تعالى ﴿مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ أراد بها سماء الجنة وأرض الجنة كما ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس، فإنه أعلى الجنة، وأوسط الجنة، وسقفه عرش الرحمن»[2].

وعلى هذا فلا منافاة بين انطواء هذه السماء وبقاء السماء التي هي سقف الجنة؛ إذ كل ما علا فإنه يسمى سماء في اللغة، كما يسمى السحاب سماء والسقف سماء»[3]. وقال ابن القيم رحمه الله في أبدية الجنة وأنها لا تفنى ولا تبيد: «هذا مما يعلم بالاضطرار، أن الرسول ﷺ أخبر به قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾ أي غير مقطوع. ولا تنافي بين هذا وبين قوله ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ واختلف السلف في هذا الاستثناء.. ويمكن الجمع بأن يقال: أخبر سبحانه عن خلودهم في الجنة كل وقت، إلا وقتاً يشاء أن لا يكونون فيها، وذلك يتناول وقت كونهم في الدنيا، وفي البرزخ، وفي موقف القيامة، وعلى الصراط، وكون بعضهم في النار مدة، وعلى كل تقدير فهذه الآية من المتشابه وقوله فيها: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ محكم. وقد أكد الله سبحانه خلود أهل الجنة بالتأبيد في عدة مواضع من القرآن، وقد تقدم قول النبي ﷺ»[4].

أبدية النار ودوامها:

قال شارح الطحاوية: «وأما أبدية النار ودوامها فللناس في ذلك ثمانية أقوال:

---

(١) تفسير ابن كثير، ج٢، ص ٣٩٧، ٣٩٨.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء، ج١٣، ص ٤٠٤.

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ج ١٥، ص ١٠٩.

(٤) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم حققه علي الشربجي وقاسم النوري، مؤسسة الرسالة الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ، ص ٤٢٦، ٤٢٨.

أحدها: أن من دخلها لا يخرج منها أبد الآباد، وهذا قول الخوارج والمعتزلة.

الثاني: أن أهلها يعذبون فيها، ثم تنقلب طبيعتهم وتبقى طبيعة النار يتلذذون بها لموافقتها لطبعهم! وهذا قول إمام الاتحادية ابن عربي.

الثالث: أن أهلها يعذبون فيها إلى وقت محدود ويخلفهم فيها قوم آخرون وهذا القول لليهود، وأكذبهم الله حيث قال: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[1]

الرابع: يخرجون منها وتبقى على حالها ليس فيها أحد.

الخامس: أنها تفنى بنفسها، لأنها حادثة، وما ثبت حدوثه استحال بقاؤه وهذا قول الجهم وشيعته.

السادس: تفنى حركات أهلها ويصيرون جماداً. وهذا قول أبي الهذيل العلاف.

السابع: أن الله يخرج منها من يشاء كما ورد في الحديث، ثم يبقيها شيئاً ثم يفنيها، فإنه جعل لها أمداً تنتهي إليه.

الثامن: أن الله تعالى يخرج منها من شاء كما ورد في السنة، ويبقي فيها الكفار، بقاءً لا انقضاء له، كما قال الشيخ - ابن تيمية - رحمه الله»[2].

وقد دل على القول الثامن وهو قول أهل السنة والجماعة، القرآن والسنة والإجماع، فقال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾[3].

---

(١) سورة البقرة آية ٨٠، ٨١.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، ص ٤٢٧.

(٣) سورة هود آية ١٠٦، ١٠٧.

قال ابن كثير: «وقد اختلف المفسرون في المراد من هذا الاستثناء على أقوال.. واختار ابن جرير الطبري: أن الاستثناء عائد على العصاة من أهل التوحيد ممن يخرجهم الله من النار بشفاعة الشافعين، من الملائكة والنبيين والمؤمنيين حين يشفعون في أصحاب الكبائر ثم تأتي رحمة أرحم الراحمين فتخرج من النار من لم يعمل خيراً قط، وقال يوماً من الدهر لا إله إلا الله كما وردت بذلك الأخبار الصحيحة المستفيضة عن رسول الله ﷺ»[(١)].

وقد أخبر سبحانه أن الكفار لا يدخلون الجنة فقال تعالى: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾[(٢)]. قال ابن القيم: «وهذا أبلغ ما يكون في الإخبار عن استحالة دخولهم الجنة»[(٣)]. و«أن القرآن دل على ذلك دلالة قطعية، فإنه سبحانه وتعالى أخبر أنه عذاب مقيم، وأنه لا يفتر عنهم، وأنه لن يزيدهم إلا عذاباً، وأنهم خالدين فيها أبداً، وما هم بخارجين من النار، وما هم منها بمخرجين، وأن الله حرم الجنة على الكافرين، وأنهم لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط، وأنهم لا يقضى عليهم فيموتوا، ولا يخفف عنهم من عذابها، وأن عذابها كان غراما، أي مقيماً ملازماً، وهذا يفيد القطع بدوامه واستمراره والسنة المستفيضة أخبرت بخروج من في قلبه مثقال ذرة من الإيمان دون الكفار، وأحاديث الشفاعة من أولها إلى آخرها صريحة بخروج عصاة الموحدين من النار، وأن هذا حكم مختص بهم، فلو خرج الكفار منها لكانوا بمنزلتهم، ولم يختص الخروج بأهل الإيمان.

واعتقاد الإجماع، فكثير من الناس يعتقد أن هذا مجمع عليه بين الصحابة والتابعين لا يختلفون فيه، وأن الاختلاف فيه حادث، وهو من أقوال أهل البدع»[(٤)].

«واعلم أن النار في الآخرة ناران: نار تفنى، ونار تبقى أبداً لا تفنى،

---

(١) تفسير ابن كثير، ج٢، ص ٣٩٧.
(٢) سورة الأعراف ٤٠.
(٣) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم ص ٤٣٥.
(٤) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم، ص ٤٤٢، ٤٤٣.

فالأولى هي نار العصاة المذنبين من المسلمين، والأخرى نار الكفار والمشركين، هذا خلاصة ما حرره ابن القيم في «الوابل الصيب» وهو الحق الذي لا ريب فيه وبه تجتمع الأدلة»[1].

«فالقرآن شاهد: أن أهل الجنة خالدون فيها أبداً في جوار الله عز وجل في النعيم يتقلبون.. وأن أهل النار الذين هم أهلها في العذاب الشديد أبداً ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾﴾»[2].

وقد أخبر الله سبحانه بأن الجنة في السماء في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾[3].

«وقد ثبت أن سدرة المنتهى فوق السماء وسميت بذلك لأنها ينتهي إليها ما ينزل من عند الله فيقبض منها، وما يصعد إليه فيقبض منها»[4] والأصح أن الجنة في السماء، وجهنم في الأرض[5].

الرد على المخالفين:

وقد أنكر قوم من أهل البدع أن النار والجنة مخلوقتان الآن قال البغدادي في أصول الدين: «وهما عندنا مخلوقتان. وزعمت الضرارية والجهمية وطائفة من القدرية أنهما غير مخلوقتين، وقال الكعبي من المعتزلة، يجوز أن تكونا مخلوقتين ويجوز أن تكونا غير مخلوقتين، وإن كانتا مخلوقتين جاز فناؤهما وإعادتهما في القيامة»[6].

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية وتعليق الشيخ الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت سنة ١٣٩٨هـ، ص ٥١.

(٢) الشريعة للآجري. ص ٤٠٠.

(٣) النجم آية ١٣ - ١٥.

(٤) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم ص ٩٦.

(٥) قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر، محمد صديق الغنوجي تحقيق، عاصم القريوتي ص ١٢٧.

(٦) أصول الدين للبغدادي ص ٢٣٨.

قال صاحب الانتصار في الرد على المعتزلة: «وعندنا أن الجنة والنار مخلوقتان، وأن الجنة في السماء والنار تحت الأرض، وأنكرت المعتزلة أنهما مخلوقتان»[1].

وقال ابن حزم: «ذهبت طائفة من المعتزلة والخوارج إلى أن الجنة والنار لم يخلقا بعد»[2].

وقال ابن القيم في بيان وجود الجنة الآن: «لم يزل أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون وتابعوهم وأهل السنة والحديث قاطبة، وفقهاء الإسلام.. على اعتقاد ذلك وإثباته مستندين في ذلك إلى نصوص الكتاب والسنة، وما علم بالضرورة من أخبار الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم، فإنهم دعوا الأمم إليها وأخبروا بها إلى أن نبغت نابغة من القدرية ـ الذين أنكروا القدر ونفوا علم الله بالأشياء قبل وقوعها أما المعتزلة فأنكرت أن تكون مخلوقة ألآن بل الله ينشئها يوم المعاد وأنكرت تقدير الله لأعمال العباد قبل وقوعها.

وحملهم أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة لما يفعله الله، وأنه ينبغي له أن يفعل كذا، ولا ينبغي له أن يفعل كذا، وقاسوه على خلقه في أفعالهم.. وقالوا خلق الجنة قبل الجزاء عبث، فإنها تصير معطلة مدداً متطاولة ليس فيها سكانها.

فحجروا على الرب تبارك وتعالى بعقولهم الفاسدة، وآرائهم الباطلة وشبهوا أفعاله بأفعالهم، وردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التي وضعوها للرب.

ولهذا يذكر السلف في عقائدهم: أن الجنة والنار مخلوقتان، ويذكر من صنف في المقالات أن هذه مقالة أهل السنة والحديث»[3]. «ويقرون أن الجنة والنار مخلوقتان»[4].

---

(١) الانتصار في الرد على المعتزلة يحيى العمراني، ج٣، ص ٦٥٨.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم، ج٤، ص ٦٨.

(٣) حادي الرواح لابن القيم ص ٣٥، ٣٦.

(٤) مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري، ص٢٩٦،.

«والجنة دار أوليائه، والنار عقابه لأعدائه، وأهل الجنة فيها مخلدون، والمجرمون في عذاب جهنم.. وقد خلقت الجنة وما فيها، وخلقت النار وما فيها خلقهما الله عز وجل قبل القيامة»[1].

وأنكرت طائفة من أهل البدع دوام الجنة والنار، وأنهما تفنيان قال ابن حزم: «اتفقت فرق الأمة كلها على أنه لا فناء للجنة ولا لنعيمها ولا للنار ولا لعذابها، إلا جهم بن صفوان وأبا الهذيل العلاف وقوماً من الروافض، فأما جهم فقال إن الجنة ولنار تفنيان ويفنى أهلهما، وقال أبو الهذيل: إن الجنة والنار لا تفنيان ولا يفنى أهلهما إلا إن حركاتهم تفنى ويبقون بمنزل الجماد لا يتحركون وهم في ذلك أحياء متلذذون أو معذبون، وقالت تلك الطائفة من الروافض: إن أهل الجنة يخرجون من الجنة وكذا أهل النار من النار إلى حيث شاء الله.. قال أبو محمد: والبرهان على بقاء الجنة والنار بلا نهاية قول الله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ وقوله تعالى في غير موضع من القرآن ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾.

وقال أبو محمد: وروينا عن عبد الله بن عمرو بن العاص «لو أقام أهل النار في النار ما شاء الله أن يبقوا لكان لهم على ذلك يوم يخرجون فيه منها».

وهذا إنما هو في أهل الإسلام الداخلين في النار بكبائرهم ثم يخرجون منها بالشفاعة ويبقى ذلك المكان خالياً ولا يحل لأحد أن يظن في الصالحين الفاضلين خلاف القرآن وحاشا لهما من ذلك»[2].

وقال البغدادي: «أجمع أهل السنة وكل من سلف من خيار الأمة على دوام بقاء الجنة والنار وعلى دوام نعيم أهل الجنة ودوام عذاب الكفرة في النار. وزعم قوم من الجهمية أن الجنة والنار تفنيان. وزعم أبو الهذيل العلاف أن أهل الجنة والنار ينتهون إلى حال يبقون فيها خموداً ساكنين سكوناً دائماً»[3].

---

(١) عقيدة أهل الأثر، محمد صديق حسن خان، حققه د. عاصم القريوتي، ص ١٢٧.
(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم، ج٤، ص ٦٩، ٧٠.
(٣) أصول الدين للبغدادي، ص ٢٣٨.

«فإن احتج مبتدع أو زنديق، بقوله عز وجل: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[1] أو نحو هذا من متشابه القرآن، قيل له: كل شيء مما كتب عليه الفناء والهلاك هالك، والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء والهلاك.. فمن قال خلاف هذا فهو مبتدع، ضل عن سواء السبيل»[2].

وقالت المعتزلة والخوارج بخلود أهل الكبائر في النار إذا ماتوا ولم يتوبوا وهذا أصل المعتزلة الذي «أطبقوا عليه من إخراج المرء عن الإسلام جملة بذنب واحد عمله يصرُّ عليه وإيجابهم الخلود في النار عليه بذلك الذنب وحده»[3].

«وزعمت الخوارج إن مخالفيهم كفرة مخلدون في النار، وقالوا في أصحاب الذنوب من موافقيهم أنهم قد كفروا واستحقوا الخلود في النار. وزعمت القدرية أن مخالفيهم كفرة وأن أهل الذنوب من موافقيهم يخلدون في النار»[4].

«ثم إن المعتزلة بعد أن قرروا أن الله لا يغفر لمن خرج من الدنيا على معصية بدون توبة لأن ذلك يتنافى مع عدله وبالتالي مع وعده ووعيده، بل ومع نظريتهم في الصلاح والأصلح، وضعوا صاحب الكبيرة في المنزلة بين المنزلتين في الحياة الدنيا وأنزلوه جهنم في الآخرة خالداً فيها غير أن عذابه أخف من عذاب الكافر»[5].

«ذلك أن أهل النار إذا دخلوها لم يصح خروجهم منها لأن في خروجهم ثواباً، فيصبح الواحد منهم من أهل الثواب، ومن أهل العقاب معاً وهذا كالمتضاد.. فكما ثبت خلود أهل الكفر في النار ثبت أيضاً تخليد قاتل النفس والفارّ من الزحف وآكل ما اليتيم وغير ذلك..»[6].

---

(١) سورة القصص٨٨,.

(٢) قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر، محمد صديق القنوجي تحقيق، د. عاصم القريوتي، ص ١٢٧.

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم، ج٤، ص ١٥٣.

(٤) أصول الدين للبغدادي، ص ٢٤٢.

(٥) الملل والنحل للشهرستاني، ج١، ص ٤٥.

(٦) فضل الاعتزال للقاضي عبد الجبار المعتزلي، ص ٢٠٩.

«وحين يجابهون بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[1] وهو صريح في أن الله يغفر لمن يشاء من المذنبين والعصاة يلجؤون إلى التأويل وإن كان متعسفاً»[2].

فيقول الزمخشري لتطويع هذه الآية لمذهبهم الضال: «الوجه أن يكون الفعل المنفي لا «يغفر» والمثبت «يغفر» جميعاً موجهين إلى قوله تعالى: لمن يشاء: كأنه قيل: إن الله لا يغفر لمن يشاء الشرك ويغفر لمن يشاء ما دون الشرك على أن المراد بالأول من لم يتب وبالثاني من تاب. ونظيره قولك. إن الأمير لا يبذل الدينار ويبذل القنطار لمن يشاء تريد لا يبذل الدينار لمن لا يستأهله ويبذل القنطار لمن يستأهله»[3].

«فقد سوّى بين المسلم والمشرك في وجوب التوبة مطوعاً الآية لخدمة هذه التسوية، لأن الشرك غير مغفور البتة وما دونه من الكبائر مغفور لمن يشاء الله أن يغفره له، هذا مع عدم التوبة، وأما مع التوبة فكلاهما مغفور»[4] وهذه عقيدة أهل السنة والجماعة.

---

(١) سورة النساء ٤٨.

(٢) موقف المعتزلة من السنة النبوية لأبي لبابة حسين، ص١٤٢..

(٣) الكشاف للزمخشري، ج١، ص ٥٣٢.

(٤) الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال - بهامشه - ج١، ص ٥٣٢.





الباب الثالث

مسائل العقيدة التي ثبتت عند أهل السنة والجماعة بخبر الآحاد فقط وأنكر حجيتها المخالفون والحكم عليها

وفيه خمسة فصول:

تمهيد:

الفصل الأول: المسائل التي ثبتت عند أهل السنة والجماعة في باب الإيمان بالله تعالى بخبر الآحاد وأنكر حجيتها المخالفون والحكم عليها.

الفصل الثاني: المسائل التي ثبتت عند أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات بخبر الآحاد وأنكر حجيتها المخالفون والحكم عليها.

الفصل الثالث: المسائل التي ثبتت عند أهل السنة والجماعة في باب القدر بخبر الآحاد وأنكر حجيتها المخالفون والحكم عليها.

الفصل الرابع: المسائل التي ثبتت عند أهل السنة والجماعة في باب النبوات بخبر الآحاد وأنكر حجيتها المخالفون والحكم عليها.

الفصل الخامس: المسائل التي ثبتت عند أهل السنة والجماعة في باب الإيمان باليوم الآخر بخبر الآحاد وأنكر حجيتها المخالفون والحكم عليها.

* * * * * *

التمهيد

إن كتاب الله تعالى وسنة نبيه المصطفى ﷺ هما المصدران الأساسيان عند أهل السنة والجماعة في تلقي العقيدة مبينة بفهم السلف الصالح، فلا يحيدون عنهما إلى رأي أو علم كلام أو منطق أو فلسفة تتناول ما وراء الغيب، لأنهما يصدران عن وحي الله الذي خلق الخلق وأرسل الرسل وأنزل الكتب السماوية لهداية الخلق وعبادة الخالق.

والسلف رحمهم الله لم يستعيضوا نصوص الوحي بغيرها، ولم يقدموا عليها سواها، ولم يطلقوا لعقولهم الأعنه لتنتهك حرمة النصوص، بل وقفوا بها عند الحد الذي حده الله لها، والقيد الذي قيده بها، فلا مجاوزة لحدودها ولا قصور بها عن موضعها، فأعملوها حيث جاز لها أن تعمل، وأوقفوها حيث حق لها أن تقف، فلا إفراط ولا تفريط.

قال شيخ الإسلام: «وأما السلف والأئمة فكانوا في ذلك من العدل والاستقامة، وموافقة المعقول الصريح والمنقول الصحيح بحال آخر، فالعصمة وإن كانت شاملة لجماعتهم فآحادهم من ذلك لا يجترؤون في مخالفة النصوص المشهورة والمعقولات المعروفة.. فإن الله ضرب للناس في القرآن من كل مثل، وبين الأقيسة العقلية المقبولة بالعقل الصريح من المطالب الإلهية والمقاصد الربانية مالا تصل إليه أراء هؤلاء المتكلمين في المسائل.. كما نجدهم أيضاً في النصوص النبوية كل منهم يقبل منها ما وافق قوله ويرد منها ما خالف قوله، وإن كان المردود من الأخبار المقبولة باتفاق أهل العلم بالحديث، والذي قبله من الأحاديث المكذوبة باتفاق أهل العلم والحديث. فحالهم في الأقيسة العقلية

كحالهم في النصوص السمعية لهم في ذلك من التناقض والاضطراب مالا يحصيه إلا رب الأرباب»[1].

«فإن ما تلقاه أهل الحديث وعلماؤه بالقبول والتصديق فهو محصل للعلم مفيد لليقين، ولا عبرة بمن عداهم من المتكلمين والأصوليين، فإن الاعتبار في الإجماع على كل أمر من الأمور الدينية بأهل العلم به دون غيرهم، كما لم يعتبر في الإجماع على الأحكام الشرعية إلا العلماء بها دون المتكلمين والنحاة.. وكذلك لا يعتبر في الإجماع على صدق الحديث وعدم صدقه إلا أهل العلم بالحديث وطرقه وعلله، وهم علماء أهل الحديث العالمون بأحوال نبيهم، الضابطون لأقواله وأفعاله، المعتنون بها أشد من عناية المقلدين بأقوال متبوعيهم»[2].

«وما أحسن ما وصف الله به كتابه بقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾[3] فأقوم الطرق إلى أشرف المطالب ما بعث الله به رسوله ﷺ وأما طريق هؤلاء: فهي مع ضلالهم في البعض، واعوجاج طريقهم وطولها في البعض الأخرى؛ إنما يوصلهم إلى أمر لا ينجي من عذاب الله، فضلاً عن حصول الكمال للأنفس البشرية بطريقهم»[4] «والسنة راجعة في معناها إلى الكتاب. فهي تفصيل مجملة، وبيان مشكله وبسط مختصره. وذلك لأنها بيان له، وهو الذي دل عليه قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[5] فلا تجد في السنة أمراً إلا والقرآن قد دل على معناه دلالة إجمالية أو تفصيلية، وأيضا فكل ما دل على أن القرآن هو كلية الشريعة وينبوع لها فهو دليل على ذلك، لأن الله قال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾[6] وفسرت عائشة رضي الله عنها ذلك بأن خلقه القرآن

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، لابن تيمية، ج١، ص ٣٢٦ - ٣٢٧.

(٢) مختصر الصواعق المرسلة، ص ٤٨٣، ٤٨٤.

(٣) سورة الإسراء ٩.

(٤) الرد على المنطقيين، لابن تيمية، ص ١٦٢.

(٥) سورة النحل آية ٤٤.

(٦) سورة القلم آية ٤.

واقتصرت في خلقه على ذلك، فدل على أن قوله وفعله وإقراره راجع إلى القرآن، لأن الخلق محصور في هذه الأشياء. ولأن الله جعل القرآن تبياناً لكل شيء، فيلزم من ذلك أن تكون السنة حاصلة فيه في الجملة.. فالضروريات الخمس كما تأصلت في الكتاب تفصلت في السنة، فإن حفظ الدين حاصله في ثلاثة معان: وهي الإسلام والإيمان والإحسان فأصلها في الكتاب وبيانها في السنة ومكمله ثلاثة أشياء: وهي الدعاء إليه بالترغيب والترهيب، وجهاد من عانده أو رام فساده، ومحافظة الإمام على إقامة أصول الدين بإقامة الحدود الشرعية كقتل المرتد.. وحفظ النفس.. وحفظ العقل.. وحفظ المال.. وحفظ العرض.. وإذا نظرت إلى الحاجيات اطرد النظر أيضاً.. فإن الحاجيات دائرة على الضروريات وكذلك التحسينيات. وقد كملت قواعد الشريعة في القرآن وفي السنة، فلم يتخلف عنها شيء. والاستقراء يبين ذلك، ويسهل على من هو عالم بالكتاب والسنة، ولما كان السلف الصالح كذلك قالوا به ونصوا عليه»[١].

وحيث إن هذا الباب مصنف في إدراج مسائل العقيدة التي ثبتت عند أهل السنة والجماعة بخبر الآحاد الصحيح وأنكر حجيتها المخالفون من أهل الكلام فليست ثابتة عندهم في العقيدة لما اعتقدوه في أصولهم المخالفة لحجية السنة وخبر الآحاد الصحيح وقولهم بأنه لا يفيد إلا الظن أو ردّه بعضهم مطلقاً. وقد تقدم في الباب الثاني عرض مسائل العقيدة عند أهل السنة والجماعة الثابتة بالقرآن وصحيح السنة والرد على المخالفين في حجية السنة وإثباتها للعقيدة.

وقد بين علماء السنة أن أموراً قد وردت بها السنة ولم تأت عن طريق المتواتر قرآنا أو سنة، و«حيث قلنا إن الكتاب دالٌّ على السنة، وأن السنة إنما جاءت مبينة له، فذلك بالنسبة إلى الأمر والنهي والإذن أو ما يقتضي ذلك، وبالجملة ما يتعلق بأفعال المكلفين من جهة التكليف، وأما ما خرج عن ذلك من الأخبار عما كان أو ما يكون، مما لا يتعلق به أمر ولا نهي ولا إذن فعلى ضربين: أحدهما: أن يقع في السنة موقع التفسير للقرآن، فهذا لا نظر في أنه

(١) الموافقات في أصول الشريعة للشاطبي، ج٤، ص ٩، ٢٠.

بيان له، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾[1]. قال ﷺ: «فدخلوا يزحفون على أوراكهم»[2].

الثاني: أن لا يقع موقع التفسير، ولا فيه معنى تكليف اعتقادي أو عملي فلا يلزم أن يكون له أصل في القرآن، لأنه أمر زائد على مواقع التكليف، وإنما أنزل القرآن لذلك، فالسنة إذا خرجت عن ذلك فلا حرج، وقد جاء من ذلك نمط صالح في الصحيح كحديث أبرص وأقرع وأعمى، وحديث جريج العابد، ووفاة موسى، وجمل من قصص الأنبياء عليهم السلام والأمم قبلنا، مما لا ينبني عليه عمل، ولكن في ذلك من الاعتبار نحو مما في القصص القرآني، وهو نمط ربما رجع إلى الترغيب والترهيب فهو خادم للأمر والنهي، ومعدود في المكملات لضرورة التشريع، فلم يخرج عن القسم الأول وهو ما كان مبيناً للكتاب»[3].

وبهذا فإن المعوّل عليه في هذا الباب هو خبر الآحاد الصحيح الوارد في مسائل العقيدة ولم يبلغ حد التواتر.

«وهو ما نقله الثقة عن الثقة حتى يبلغ إلى النبي ﷺ.. يخبر كل واحد منهم باسم الذي أخبره ونسبه وكلهم معروف الحال والعين والعدالة والزمان والمكان على أن أكثر ما جاء هذا المجيء فإنه منقول نقل الكواف إما إلى الرسول ﷺ من طرق جماعة من أصحابه رضي الله عنهم وإما إلى الصاحب، وإما إلى التابع وأما إلى إمام أخذ عن التابع، يعرف ذلك من كان من أهل المعرفة بهذا الشأن، والحمد لله رب العالمين.

وهذا نقل خص الله تعالى به المسلمين دون سائر أهل الملل كلها وأبقاه عندهم غضاً جديداً على قديم الدهور.. في المشرق والمغرب والجنوب والشمال يرحل في طلبه من لا يحصى عددهم إلا خالقهم إلى الآفاق البعيدة ويواظب على تقييده من كان قريباً منه قد تولى الله حفظه عليهم. والحمد لله رب العالمين. فلا

---

(١) سورة البقرة ٥٨.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، ج٦، ص ٤٣٦.
؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب التفسير، ج١٨، ص ١٥٢.

(٣) الموافقات في أصول الشريعة للشاطبي، ص ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣.

تفوتهم زلة في كلمة فما فوقها في شيء من النقل إن وقعت لأحدهم، ولا يمكن لفاسق أن يقحم فيه كلمة موضوعة ولله تعالى الشكر»[1].

وقد ذهب فريق «إلى رفض الاحتجاج بأحاديث الآحاد الصحيحة في باب العقائد، فلا يحتجون إلا بالقرآن أو المتواتر من الأحاديث ولا يثبتون العقيدة بالقرآن والحديث المتواتر إلا إذا كان النصّ قطعي الدلالة: لا يحتمل معنى آخر، أي لا يحتمل التأويل، وقد ردوا لذلك النصوص الدالة على رؤية المؤمنين لربهم في يوم القيامة.. أما الأحاديث فهي وإن كانت قطعية الدلالة فقد زعموا أنها أحاديث آحاد، أما نصوص القرآن فقالوا: غير قطعية الدلالة وأولوها تأويلاً آخر، وقالوا: إذا لم يكن النص قطعي الدلالة فإنه لا يجوز الاحتجاج به عندهم.

وشبهتهم هو زعمهم أن أدلة العقائد لابد أن تفيد اليقين، وأحاديث الآحاد والنصوص القرآنية والأحاديث المتواترة إذا كانت دلالتهما غير قطعية لا تفيد اليقين، بل هي ظنيّة، والظنّ لا يجوز أن يحتج به في هذا المجال، لقوله تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾[2].

واحتجاجهم بهذه الآية وأمثالها مردود، لأن الظنّ في الآيات ليس هو الظنّ الذي عنوه والظن الذي ذمه الله في قوله ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ هو الشك الذي هو الخرص والتخمين وهو الظن الذي نعاه الله على المشركين. ثم لا نسلّم لهم القول إن أحاديث الآحاد لا تفيد العلم، «فالخلاف في إفادة خبر الآحاد الظنّ أو العلم تقيد بما إذا لم يضم إليه ما يقويه أو كان مشهوراً أو مستفيضاً فلا يجري فيه الخلاف المذكور.

ولا نزاع في أن خبر الواحد إذا وقع الإجماع على العمل بمقتضاه فإنه يفيد العلم، لأن الإجماع عليه قد صيره من المعلوم صدقه، وهكذا خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول.. ومن هذا القسم أحاديث صحيحي البخاري ومسلم»[3]. وأن

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم، ج٢، ص ٦٨، ٦٩.
(٢) سورة النجم ٢٣.
(٣) العقيدة في الله، د. عمر الأشقر، ص ٥٢، ٥٣ ن ٥٤.

الذي عليه «الأصوليون من أصحاب أبي حنيفة والشافعي وأحمد ﷺ أجمعين ـ أن خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول تصديقاً وعملاً به يوجب العلم.. وقد ذكر ابن كثير وقوفه على كلام لشيخه ابن تيمية مضمونه أنه نقل القطع بالحديث الذي تلقته الأمة بالقبول عن جماعات، وبعد أن ذكر أسماءهم قال: وهو مذهب أهل الحديث قاطبة ومذهب السلف عامة»[١].

«وقد أمر الرسول ﷺ بتبليغ الدين للناس كافة، فلو كان خبر الواحد غير مقبول لتعذر إبلاغ الشريعة إلى الكل ضرورة، ولتعذر خطاب الجميع مشافهة، وتعذر إرسال عدد التواتر إليهم»[٢]. «والتبليغ باق إلى يوم القيامة، والحجة قائمة به..»[٣].

قال الدكتور عمر الأشقر: «وبهذه النقول الكثيرة التي أثبتناها يتبين لك ما في قول الشيخ شلتوت من التجني حيث يقول: وهكذا نجد نصوص العلماء متكلمين وأصوليين مجتمعة على أن خبر الآحاد لا يفيد اليقين، فلا تثبت به العقيدة، ونجد المحققين من العلماء يصفون ذلك بأنه ضروري لا يصح أن ينازع أحد في شيء منه..»[٤].

والصواب من القول «إن أحاديث الآحاد الصحيحة تفيد اليقين إذا احتفت بها قرائن ودلائل كما نقلنا ذلك عن جملة من أهل العلم، فالأحاديث التي وردت في كتب السنة وصححها أهل العلم ولم يطعن في صحتها واحد منهم تفيد اليقين لإجماع الأمة على صحتها، ومن ذلك ما اتفق عليه صاحبا الصحيح أو ورد في واحد من الصحيحين..

وخلاصة القول في المسألة: أن علماء أهل السنة يقبلون أحاديث الآحاد الصحيحة في العقائد والأحكام من غير تفريق في ذلك، يدلك على هذا تخريج

---

(١) لوامع الأنوار البهية للسفاريني، ص ١٧.
(٢) فتح الباري، ج١٢، ص ٢٣٥.
(٣) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم، ج١، ص ١٢٤، ١٢٥.
(٤) الإسلام عقيدة وشريعة للشيخ، محمود شلتوت، ص ٦٠ .

أئمة أهل السنة كمالك وأحمد والبخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي والدارمي وغيرهم للأحاديث المثبتة للعقائد في مدوناتهم، والمتواتر منها قليل، ولو لم يرتضوا الاستدلال بها لما أتعبوا أنفسهم في روايتها وضبطها وتدوينها، ومن قال خلاف ذلك فإنه قد افترى عليهم»[١] فدل ذلك على أنها تضمنت أموراً لا يصح الاعتقاد إلا بها.

كيف ورسول الله ﷺ قد بعث أفراداً إلى بلاد متفرقة، يعلمون الناس أمور الدين. ولا دين بلا عقيدة التوحيد، وفي الصحيحين أن أهل اليمن قدموا على رسول الله ﷺ ليعلمهم ويبعث معهم معلماً فأرسل أبا عبيدة بن الجراح، فعن حذيفة قال: جاء أهل نجران إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله أبعث إلينا رجلاً أميناً، فقال: «لأبعثن إليكم رجلاً أمينا حق أمين، قال: فاستشرف لها الناس، قال: فبعث أبا عبيدة بن الجراح»[٢].

وعن أنس أن أهل اليمن قدموا على رسول الله ﷺ، قالوا، أبعث معنا رجلاً يعلمنا السنة والإسلام، قال: «فأخذ بيد أبي عبيدة، فقال: هذا أمين هذه الأمة»[٣] قال الإمام الشافعي: «وهو لا يبعث بأمره، إلا والحجة للمبعوث إليهم وعليهم قائمة بقبول خبره عن رسول الله ﷺ»[٤].

وقد بين العلماء أن إطلاق اصطلاح المتواتر والآحاد على الأحاديث كان متأخراً عن زمن الصحابة والتابعين، وقد ذكره النووي في التقريب وقال: «هو

---

(١) العقيدة في الله. د. عمر الأشقر، ص ٥٦.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي عبيدة بن الجراح، ج١٥، ص ١٩٢.

؛ فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، ج٧، ص ٩٣.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب فضائل الصحابة باب فضائل أبي عبيدة بن الجراح، ج١٥، ص ١٩٢.

(٤) الرسالة للإمام الشافعي، ص ٤١٢.

المعروف في الفقه وأصوله ولا يذكره المحدثون، وهو قليل لا يكاد يوجد في رواياتهم»[1].

«فالتفريق بين الآحاد والمتواتر في إفادة العلم اصطلاح حادث لم يدل عليه كتاب ناطق ولا سنة ماضية ولم يعرفه الصحابة ولا التابعون، فالرسول ﷺ صدقه المؤمنون فيما أخبر به دون حاجة منهم إلى تواتر المخبرين»[2].

«وكذلك كان الرسول ﷺ يصدق أصحابه فيما يخبرونه به، وأصحابه يصدق بعضهم بعضاً، وكذا التابعون يصدقون الصحابة وأقرانهم فيما يخبرونهم به، فلم يقل واحد منهم لمن حدثه، خبرك خبر واحد، لا يفيد العلم واليقين حتى يتواتر، وتوقف من توقف منهم حتى عضده آخر لا يدل على ردّ خبر الواحد، وإنما كانوا يستثبتون أحياناً نادرة جداً، ولهذا قلنا خبر الواحد يفيد العلم بشروط، بل القول بعدم إفادة خبر الواحد العلم يعطل الدين والدنيا معاً، وهو خرق صريح لإجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أهل العلم»[3].

ثم إن «التفريق بين العقائد والأحكام في الأخذ بخبر الواحد إنما بني على أساس أن العقيدة لا يقترن بها عمل، والأحكام لا يقترن بها عقيدة، وكلا الأمرين باطل، وهو من بدع أهل الكلام، وقد جاء الإسلام بنقيض ذلك، فما من حكم عملي إلا وهو مرتبط بأصل عقدي وهو الإيمان بالله، وأنه أرسل رسوله ليبلغ عنه هذا الحكم، والإيمان بصدق الرسول، وأمانته في التبليغ، ثم الإيمان بما يترتب على هذا الحكم العملي من ثواب أو عقاب، أو نعيم أو عذاب»[4].

وعقيدة أهل السنة والجماعة قائمة على اعتماد تلك الأحاديث الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ والأخذ بها في أمور الشريعة كلها؛ عقيدة وأحكاماً

---

(١) تدريب الراوي في شرح تقريب النووي، جلال الدين السيوطي، ج٢، ص ١٧٦.

(٢) الرسالة للشافعي، ص ٤٣٦.

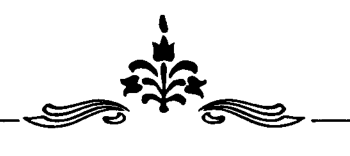
(٣) مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم / ج٢،ص ٣٦١، ٣٦٢.

(٤) مصادر الاستدلال على مسائل الاعتقاد،عثمان علي حسن، دار الوطن للنشر، الرياض ١٤١٣هـ، ص٤٨.

وسيرة، بل إن هذا من الدين وهو الإيمان بما جاء عن الله تعالى وعن رسوله ﷺ.

وعلى هذا؛ فإن هذا باب متعلق بالأحاديث الصحيحة الواردة في تلك المسائل، والتي تذكّر بنعمة من اعتقد صحتها والتزم حجيتها في العقيدة مع شرح بعضها وبيان نكتها كما ذكرها علماء السلف عند الحاجة لذلك. وقد أعرض عنها المخالفون فكانت عقيدتهم جافة كأصولهم مجافية للحق كمقدماتهم معرضة عن الهدي النبوي الشريف، والحق هو ما تركنا عليه هادي البشرية إلى نور الإسلام، ومنقذها من الضلال وهذيان أهل الكلام، فكانت رسالة نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام خاتمة باقية ما بقي الأنام.





الفصل الأول

المسائل التي ثبتت عند أهل السنة والجماعة في باب الإيمان بالله تعالى بخبر الآحاد، وأنكر حجيتها المخالفون والحكم عليها

وفيه:

- تمهيد
- ذكر المسائل بأدلتها.

* * * * * *

تمهيد

إن الإيمان بالله تعالى يعني «الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى رب كل شيء ومليكه وأنه الخالق وحده والمدبر للكون كله، وأنه هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له، وأن كل معبود سواه فهو باطل، وعبادته باطله، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ وأنه سبحانه متصف بصفات الكمال ونعوت الجلال، منزه عن كل نقص وعيب، وهذا هو التوحيد بأنواعه الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات»[(١)].

وقد كانت دعوة محمد ﷺ هي توحيد لله وإقرار شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله والعمل بها.. وبهذا ترجم الإمام البخاري في كتابه التوحيد فقال: «باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى».

فبدأ البخاري رحمه الله صحيحه ببدء الوحي ونزوله الذي يحصل به الهدى والنور، ثم أتبعه بكتاب الإيمان الذي هو الإقرار بالوحي والانقياد له، ثم أتبعه بكتاب العلم الذي هو معرفة ما جاء به الرسول ﷺ وفقهه فهذا هو الترتيب الحقيقي، والمطلع على أقوال أهل الكلام يعجب مما جعلوه أصل الدين الإسلامي، وبنوا عليه أن من لم يعرفه فليس بمسلم»[(٢)].

وحيث إن هذا الفصل بيان لتلك المسائل في الإيمان والتي ثبتت بخبر

---

(١) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، د. صالح الفوزان، ص ١٧.

(٢) شرح كتاب التوحيد للبخاري، عبد الله العنيمان، ج١، ص ٤٠.

الآحاد ولم ترد في المتواتر قرآنا أو سنة وأنكر حجيتها المخالفون، ولهذا فسيدلل على تلك المسائل بأحاديثها الصحيحة.

مسألة: أول واجب على المكلف: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ﷺ:

وهو الثابت من الأدلة: «وقد علم بالاضطرار من دين الرسول ﷺ واتفقت عليه الأمة، أن أصل الإسلام، وأول ما يؤمر به الخلق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فبذلك يصير الكافر مسلماً، والعدو ولياً، والمباح دمه وماله، معصوم الدم والمال، ثم إن كان ذلك من قلبه دخل في الإيمان، وإن قاله بلسانه دونه قلبه، فهو ظاهر الإسلام دون باطن الإيمان»[1].

فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: لما بعث النبي ﷺ معاذاً إلى أهل اليمن، قال له: «إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه. شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»[2].

قال الإمام النووي رحمه الله: «وفي هذا الحديث قبول خبر الواحد ووجوب العمل به،.. وفيه أن الكفار يدعون إلى التوحيد.. وأنه لا يحكم بالإسلام إلا بالنطق بالشهادتين، وهذا مذهب أهل السنة»[3].

وقال الإمام ابن حجر: «وقد تمسك به من قال أول واجب المعرفة..

---

(١) فتاوى ابن تيمية، ج١، ٧٦.

(٢) صحي مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإيمان، ج١، ص ١٩٥، ١٩٦.

؛ فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله، ج١٣، ٣٤٧.

(٣) شرح النووي، ج١، ص ١٩٧.

واعترض عليه بأن المعرفة لا تتأتى إلا بالنظر والاستدلال وهو مقدمة الواجب فيجب، فيكون أول واجب النظر، وذهب إلى هذا طائفة كابن فورك، وتعقب بأن النظر ذو أجزاء، فيكون أول واجب جزء من النظر وهو محكي عن القاضي ابن الطيب وعن الأستاذ أبي إسحاق الاسفراييني وأول واجب القصد إلى النظر.. وقد ذكرت في «كتاب الإيمان» من أعرض عن هذا من أصله وتمسك بقوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ وحديث «كل مولود يولد على الفطرة» فإن ظاهر الآية والحديث أن المعرفة حاصلة بأصل الفطرة، وأن الخروج عن ذلك يطرأ على الشخص لقوله ﷺ «فأبواه يهودانه أو ينصرانه» وقد وافق أبو جعفر السمناني وهو من رؤوس الأشاعرة على هذا وقال: إن هذه المسألة بقيت في مقالة الأشعري من مسائل المعتزلة»[1].

مسألة: معرفة الله تعالى فطرية في الخلق:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ـ ثم يقول أبي هريرة ـ واقرؤوا إن شئتم ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾[2][3].

قال النووي رحمه الله: «قيل معناه كل مولود يولد على معرفة الله تعالى والإقرار به فليس أحد يولد إلا وهو يقر بان له صانعاً وإن سماه بغير اسمه أو عبد معه غيره، والأصح أن معناه أن كل مولود يولد متهيئاً للإسلام فمن كان أبواه أو أحدهما مسلماً استمر على الإسلام في أحكام الآخرة والدنيا، وإن كان أبواه

(١) فتح الباري لابن حجر، ج١٣، ص ٣٤٩.

(٢) سورة الروم ٣٠.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب القدر، باب كل مولود يولد على الفطرة، ج١٦، ص ٢٠٧.

؛ فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب لا تبديل لخلق الله، ج٨، ص ٥١٢.

كافرين جرى عليه حكمهما في أحكام الدنيا وهذا معنى يهودانه وينصرانه ويمجسانه أي يحكم له بحكمهما في الدنيا فإن بلغ استمر عليه حكم الكفر ودينهما، فإن كانت سبقت له سعادة أسلم وإلا مات على كفره»[١].

وحيث إن كتاب الله قد دل على هذه المسألة في سورة الروم فهي ثابتة بالتواتر، لكن المتكلمين كعادتهم يجنحون إلى التأويل لما خالف أصولهم، فكانت أحاديث الآحاد ضابطاً ومفسراً لما أراده الله سبحانه وتعالى، فعن عياض المجاشعي أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: «ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا: كل ما نحلته عبداً حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فأجتالتهم عن دينهم، وحَرّمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا، وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب، وقال: إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء تقرؤه نائماً ويقظاناً..»[٢].

قال النووي، أما قوله تعالى: «لا يغسله الماء فمعناه محفوظ في الصدور لا يتطرق إليه الذهاب بل يبقى على مرور الأزمان، وأما قوله تعالى، تقرأه نائماً ويقظاناً، فقال العلماء، معناه يكون محفوظاً لك في حالتي النوم واليقظة وقيل تقرأه في يسر وسهولة»[٣].

مسألة: الإيمان قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان:

والإيمان يزيد وينقص، خلاف قول المتكلمين:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن وفد عبد القيس لما أتوا النبي ﷺ قال: «من

---

(١) شرح النووي لصحيح مسلم، ج١٦، ص ٢٠٨.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، ج١٧، ص ١٩٧.

؛ مسند الإمام أحمد، ج٤، ص ١٦٢.

(٣) شرح النووي، ج١٧، ص ١٩٨.

القوم - أو من الوفد؟ قالوا: ربيعة. قال: مرحباً بالقوم - أو بالوفد - غير خزايا ولا ندامى. فقالوا: يا رسول الله: إنا لا نستطيع أن نأتيك إلا في الشهر الحرام، وبيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر، فمرنا بأمر فصل نخبر به من وراءنا، وندخل به الجنة وسألوه عن الأشربة، فأمرهم بأربع ونهاهم عن أربعة: أمرهم بالإيمان بالله وحده، قال: أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس. ونهاهم عن أربع: عن الحنتم والدباء والنقير والمزفت وربما قال المقير وقال احفظوهن وأخبروا بهن من وراءكم»[(١)].

قال ابن حجر: «والحنتم: الجرار الخضر، والدباء القرع، والنقير، أصل النخلة ينقر فيتخذ منه وعاء، والمزفت ما طلي بالزفت، والمقير ما طلي بالقار وهو نبت إذا يبس يحرق فتطلى به السفن وغيرها كما تطلى بالزفت..

والأعمال التي تُدخل الجنة هي أعمال الإيمان.. كما تقدم تقريره في باب زيادة الإيمان ولم يذكر الحج لأنه لم يكن فرض.. والظاهر أن الأمور الخمس المذكورة هنا تفسيراً للإيمان.. واستنبط المصنف منه الاعتماد على أخبار الآحاد»[(٢)].

مسألة: شعب الإيمان:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «الإيمان بضع وستون شعبه، والحياء شعبة من الإيمان».

وفي رواية مسلم: عن أبي هريرة قال: «قال رسول الله ﷺ: الإيمان بضع

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب أداء الخمس من الإيمان، ج١، ص ١٢٩.

؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب مبايعة وفد عبد القيس للنبي ﷺ، ج١، ص ١٨٧.

(٢) فتح الباري، لابن حجر، ج١، ص ١٣٤، ١٣٥.

وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»[1].

قال الإمام النووي: «قال القاضي عياض رحمه الله: وقد تقدم أن أصل الإيمان في اللغة التصديق وفي الشرع تصديق القلب واللسان وظواهر الشرع تطلقه على الأعمال كما وقع هنا أفضلها لا إله إلا الله وآخرها إماطة الأذى عن الطريق، وقد قدمنا أن كمال الإيمان بالأعمال وتمامه بالطاعات وأن التزام الطاعات ضمن هذه الشعب من جملة التصديق ودلائل عليه، وأنها خلق أهل التصديق، فليست خارجة عن اسم الإيمان الشرعي ولا اللغوي وقد نبه ﷺ على أن أفضلها التوحيد المتعين على كل أحد والذي لا يصح شيء من الشعب إلا بعد صحته وأدناها ما يتوقع ضرره بالمسلمين من إماطة الأذى عن طريقهم.. ثم إنه لا يلزم معرفة أعيانها ولا يقدح جهل ذلك في الإيمان إذ أصول الإيمان وفروعه معلومة محققة والإيمان بأنها هذا العدد واجب في الجملة»[2].

وقال الإمام البيهقي في كتابه شعب الإيمان معتمداً على هذا الحديث في تعداد شعب الإيمان: «وإذا أوجبنا أن تكون الطاعات كلها إيماناً، لم نوجب أن تكون المعاصي الواقعة من المؤمنين كفراً. وذلك أن الكفر بالله وبرسوله مقابل للإيمان به، فإذا كان الإيمان بالله وبرسوله: الاعتراف به والإثبات له؛ كان الكفر جحوده والنفي له والتكذيب، وأما الأعمال فإنها إيمان لله وللرسول بعد وجود الإيمان به والمراد به إقامة الطاعة على شرط الاعتراف المتقدم، فكان الذي يقابله هو الشقاق والعصيان دون الكفر»[3].

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان، ج١، ص ٥١.
؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان ج٢، ص ٥.

(٢) شرح النووي، ج٢، ص ٤.

(٣) شعب الإيمان للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي تحقيق محمد السعيد بسيوني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ، ج١، ص ٣٧ ويرد على قول الإمام كفر تارك الصلاة لما ثبت بالدليل من السنة انظر البحث ص ٧٣١.

مسألة: وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه: قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»[١].

مسألة: حلاوة الإيمان:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار»[٢].. وعند مسلم «ذاق طعم الإيمان».

عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً ومحمد ﷺ رسولاً»[٣].

مسألة: تفاضل الإسلام «أي الإسلام خير» وأي أموره أفضل:

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ أي الإسلام خير، قال: «تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف»[٤].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب وجوب محبة الرسول ﷺ، ج٢، ص ١٥.

؛ فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب لإيمان، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان، ج١، ص ٥٨.

(٢) صحيح مسلم، كتاب لإيمان، باب خصال الإيمان، ج٢، ص ١٣.

؛ فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الإيمان باب من كره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقى في النار، ج١، ص ٧٢.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من رضي بالله رباً وبالإسلام دينا ومحمد رسول الله ﷺ رسولاً ذاق طعم الإيمان، ج٢، ص ٢.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب تفاضل الإسلام، ج٢، ص ٩.

؛ فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب إطعام الطعام من الإسلام ج١، ص ٥٥.

مسألة: درجات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»(١).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»(٢).

قال الإمام النووي: «هذا الحديث أصل في صفة التغيير، فحق المغير أن يغيره بكل وجه أمكنه زواله به قولاً وفعلاً، ويرفق في التغيير جهده بالجاهل وبذي العزة الظالم ويكون متولي ذلك من أهل الصلاح والفضل، فإن غلب ظنه أن تغييره بيده يسبب منكراً أشد منه، اقتصر على القول باللسان، فإن خاف أن يسبب قوله مثل ذلك غير بقلبه.. وليرفع ذلك إلى ولي الأمر، وهذا هو فقه المسألة وصواب العمل»(٣).

مسألة: وجوب الإيمان برسالة محمد ﷺ من الناس جميعاً فلا يقبل الله إلا الإسلام:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة: يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأنه من الإيمان، ج٢، ص ٢٥.

(٢) نفس المصدر، كتاب الإيمان، باب وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأنه من الإيمان، ص ٢١،

(٣) شرح النووي ج١، ص ٢٥.

أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار»[1].

مسألة: المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله ﷺ، ومن بدل دينه فاقتلوه:

عن أنس رضي الله عنه، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا؛ فذلك المسلم الذي له ذمه الله وذمة رسوله، فلا تخفروا[2] الله في ذمته»[3].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من بدل دينه فاقتلوه»[4].

مسألة: جامع أوصاف الإسلام:

عن سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه: قال: «قلت: يا رسول الله! قل لي في الإسلام قولاً لا أسال عنه أحداً بعدك ـ وفي رواية ـ غيرك ـ قال: قل: آمنت بالله ثم استقم»[5].

مسألة: الحدود كفارات لأهلها ومبايعة أصحاب الرسول ﷺ وأولها عدم الشرك بالله تعالى:

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه: قال: قال رسول الله ﷺ وحوله عصابة من أصحابه: «بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف. فمن وفّى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به في

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برساله محمد ﷺ إلى جميع الناس، ج٢، ص ١٨٦.

(٢) فلا تخفروا: أي فلا تنقضوا عهد الله فتتعرضوا لذلك المسلم في حقه من ماله ودمه وعرضه. مرقاة الصعود، ج١، ص ٧٢.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الصلاة باب فضل استقبال القبلة، ج١، ص ٤٩٦.

(٤) نفس المصدر، كتاب الجهاد ج ٦، ص ١٤٩.

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب جامع أوصاف الإسلام، ج٢، ص ٨.

الدنيا، فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله عليه في الدنيا، فهو إلى الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه فبايعناه على ذلك»[1].

مسألة النهي عن سبّ الدّهر:

عن أبي هريرةﷺ، قال: قال رسول اللهﷺ: «قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر، بيدي الأمر، أقلب الليل والنهار»[2].

قال الإمام النووي: «أي لا تسبوا فاعل النوازل فإنكم إذا سببتم النوازل وقع السب على الله تعالى لأنه هو فاعلها ومنزلها وأما الدهر الذي هو الزمان فلا فعل له بل هو مخلوق من جملة خلق الله تعالى، فإن الله هو الدهر أي فاعل النوازل والحوادث وخالق الكائنات»[3].

مسألة: تفاضل أهل الإيمان:

عن أبي هريرةﷺ قال: «قال رسول اللهﷺ: جاء أهل اليمن هم أرق أفئدة، الإيمان يمانٍ والفقه يمانٍ والحكمة يمانية»[4].

مسألة: بدأ الإسلام غريباً، وسيعود كما بدأ:

عن أبي هريرةﷺ قال: قال رسول اللهﷺ: «بدأ الإسلام غريباً، وسيعود كما بدأ، فطوبي للغرباء»[5].

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ج١، ص ٤٠٥ .

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب تفسير سورة الجاثية، ج٨، ص ٥٧٤. ؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الألفاظ والأدب، باب النهي عن سب الدهر، ج١٥، ص ٢.

(٣) شرح النووي، ج١، ص٣.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان، ج٢، ص ٣٠. ؛ فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب إن أكرمكم عند الله أتقاكم، ج٦، ص ٥٢٦.

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً، ج٢، ص ١٧٦.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ، قال: «إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية في جحرها»[1].

مسألة: إن الإيمان ليأرز إلى المدينة النبوية:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها»[2]. قال النووي: يأرز معناه ينضم ويجتمع.

مسألة: المدينة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال، ولا يدخل الدجال مكة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال: قال رسول الله ﷺ: «على أنقاب المدينة ملائكة، لا يدخلها الطاعون ولا الدجال»[3].

وعن أنس رضي الله عنه: قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة ليس نقب من أنقابها إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها، فينزل السبخة، فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فيخرج إليه كل كافر منافق»[4] قال ابن حجر: السبخة هي الأرض الرملية التي لا تنبت لملوحتها.

مسألة: ما بين منبر المصطفى ﷺ وبيته روضه من رياض الجنة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بين بيتي ومنبري روضة

---

(١) نفس المصدر، كتاب الإيمان، باب بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً، ج٢، ص ١٧٦.

(٢) نفس المصدر، كتاب الإيمان، باب بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريبا، ج٢، ص ١٧٦.
فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب الإيمان يأرز إلى المدينة، ج٤، ص ٩٣.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب فضائل المدينة، باب لا يدخل الدجال المدينة، ج٤، ٩٥.
؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الحج، باب صيانة المدينة عن دخول الدجال والطاعون إليها، ج٩، ص ١٥٣.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب فضائل المدينة، باب لا يدخل الدجال المدينة، ج٤، ص ٩٥.
؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الفتن، باب بقية أحاديث الدجال، ج١٨، ص ٨٥.

من رياض الجنة، ومنبري على حوضي»[1].

قال الإمام النووي: «ذكروا في معناه قولين، أحدهما أن ذلك الموضع بعينه ينقل إلى الجنة. والثاني: أن العبادة فيه تؤدي إلى الجنة.. قال القاضي عياض: قال: أكثر العلماء المراد منبره بعينه الذي كان في الدنيا.. وقيل أن هناك منبراً على حوضه، وقيل إن قصد منبره وملازمة الأعمال الصالحة عنده يورد صاحبه إلى الجنة»[2].

مسألة: مضاعفة الحسنات لمن حسن إسلامه، وكل سيئة تكتب بمثلها وإذا هم بسيئة لم تكتب إذا لم يعملها.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أحسن أحدكم إسلامه، فكل حسنة يعملها تكتب له بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وكل سيئة يعملها تكتب بمثلها حتى يلقى الله»[3].

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب فضل الصلاة في مسجد الرسول ﷺ، باب فضل مابين المنبر والبيت، ج٣، ص ٧٠.
؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الحج، باب ما بين المنبر والبيت روضة من رياض الجنة، ج٩، ص ١٦١.

(٢) شرح النووي، ج٩، ص ١٦٢.
قال الباحث: وقد عمد أهل البدع والخرافات إلى تغيير نص هذا الحديث فقالوا: «ما بين قبري ومنبري روضة..» وانظر تحقيق النهاية في الفتن الملاحم، ج١، ص٣١٨. وهذا جهل، وتطاول على صاحب الرسالة ﷺ وحاشاه بأبي هو وأمي أن يقر منكراً في الشريعة!. ثم إنه لا يعلم الغيب فيعلم أين يكون قبره إلا ما أخبره الله به.
وأيضاً فإنه قد لعن اليهود والنصارى لاتخاذهم قبور أنبيائهم مساجد. وانظر البحث ص ٧٢٧.
أما ما هو موجود الآن فالحمد لله ليس القبر من المسجد بل هو في حجرة عائشة رضي الله عنها، وليس في القبلة وهو محاط بثلاثة أركان فلا يعد من المسجد، ولا يصلى حوله ولا إليه، وإن زعم أهل الخرافة والضلال من الصوفية والشيعة وأضرابهم في قولهم بالتوسل، والزيارة البدعية.. بل إن كون قبره صلى الله عليه وسلم في جانب من مسجده ﷺ فلا يطوف حوله الجهال والضلال، خير من كونه منفرداً فيتيسر لهم ذلك.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب حسن إسلام المرء، ج١، ص ١٠٠.
؛ صحيح مسلم بشرح النووي، ج٢، ص ١٤٨.

مسألة: علامة الإيمان، ودلالة الإثم:

عن أبي أمامةﷺ، أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: ما الإيمان؟ قال: «إذا سرتك حسنتك، وساءتك سيئتك فأنت مؤمن قال: يا رسول الله، فما الإثم؟ قال: إذا حاك في نفسك شيء فدعه[1]. وعند مسلم: البر حسن الخلق والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس»[2].

ويشهد لهذا الحديث، حديث ابن عمرﷺ قال: «خطبنا عمر بالجابية، فقال: يا أيها الناس إني قمت فيكم كمقام رسول الله ﷺ فينا فقال: «أوصيكم بأصحابي ثم الذين يلونهم..، ومن أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة، ومن سرته حسنته وساءته سيئته فذلك المؤمن» قال أبو عيسى: هذه حديث حسن صحيح[3].

مسألة: علامة وآية المنافق:

عن عبد الله بن عمرﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «أربع من كنّ فيه كان منافقاً خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا أؤتمن خان، وإذا حدّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»[4].

مسألة: صريح الإيمان:

عن أبي هريرةﷺ، قال: «جاء ناس من أصحاب رسول الله ﷺ إلى النبي ﷺ فسألوه: إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به! قال: أوقد وجدتموه؟ قالوا: نعم. قال: ذاك صريح الإيمان»[5].

---

(١) مسند الإمام أحمد، ج٥، ص ٢٥١، وله شاهد من حديث النّواس بن سمعان عند مسلم والترمذي.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب البر والصلة والآداب، ج١٦، ص ١١١.

(٣) الجامع الصحيح لسنن الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة، ج٤، ص ٤٦٦.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، ج١، ص ٨٩. ؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب خصال المنافق، ج٢، ص ٤٦.

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها، ج٢، ص ١٥٣.

وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال: «هذا الله خالق كل شيء، فمن خلق الله؟ فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل: آمنت بالله ورسله»[1].

قال النووي: «صريح الإيمان ومحض الإيمان معناه استعظامكم الكلام به، هو صريح الإيمان فإن استعظام هذا وشدة الخوف منه والنطق به فضلاً عن اعتقاده إنما يكون لمن استكمل الإيمان»[2].

مسألة قرين الإنسان من الجنّ:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحدٍ إلا وقد وكل به قرينه من الجن. قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: وإياي ولكن الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير»[3].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الشيطان قد أيس من أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم»[4].

قال الإمام النووي: «هذا الحديث من معجزات النبوة ومعناه أيس أن يعبده أهل جزيرة العرب ولكن سعى في التحريش بينهم بالخصومات والشحناء والحروب والفتن ونحوها»[5].

مسألة: وجوب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين:

عن العرباض بن سارية رضي الله عنه، قال: «وعظنا رسول الله ﷺ يوماً بعد صلاة

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من كثرة السؤال، ج١٣، ص ٢٦٥.

(٢) شرح النووي، ج٢، ص ١٥٤.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب صفات المنافقين، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس، ج١٧، ص ١٥٦ .

(٤) نفس المصدر، ج١٧، ص ١٥٦.

(٥) نفس المصدر، ج١٧، ص ١٥٦.

الغداة موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال رجل: إن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا يا رسول الله؟ قال: أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن عبد حبشي، فإنه من يعش منكم يرى اختلافاً كثيراً، وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة، فمن أدرك ذلك منكم فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ»[1]. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

وزاد أبو داود، قوله: «تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة» واتباعهم ﷺ من صميم عقيدة أهل السنة والجماعة على خلاف عقيدة أهل البدعة والضلالة من الخوارج والشيعة وأضرابهم المعرضين عن الوحي النبوي الذي أوجب متابعة الخلفاء الراشدين والترضي عنهم.

قال ابن كثير رحمه الله: «.. دخل شيخ من الشام[2] على الخليفة الواثق بن المعتصم فسلّم فلم يرد عليه الواثق، بل قال: لا سلّم الله عليك. فقال: يا أمير المؤمنين بئس ما أدبك معلمك. قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا﴾[3].

فلا حييتني بأحسن منها ولا رددتها، فقال ابن أبي دؤاد يا أمير المؤمنين

---

(١) الجامع الصحيح لسنن الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدعة، ج٥، ص٤٤.
؛ سنن أبي داود، كتاب السنة، باب لزوم السنة، ج٥، ص ١٣.
؛ سنن الدارمي، المقدمة، باب اتباع السنة ج ١، ص ٤٤.
؛ شرح سنن ابن ماجة، المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، ج١، ص ١٩.
؛ مسند الإمام أحمد، ج٤، ص ١٢٦، ١٢٧.

(٢) قال ابن حجر هو عبد الله بن عبد الرحمن الأذرمي من أهل أذنة بالشام وذلك في زمن محنة القول بخلق القرآن. تهذيب التهذيب، ج٦، ص ٤.

(٣) سورة النساء، ٨٦.

الرجل متكلم. فقال: ناظره. فقال ابن أبي دؤاد: ما تقول يا شيخ في القرآن أمخلوق هو؟ فقال الشيخ: لم تنصفني! المسألة لي، فقال: قل، فقال هذا الذي تقوله علمه رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي أو ما علموه؟ فقال ابن أبي دؤاد: لم يعلموه. قال الشيخ: فأنت علمت ما لم يعلموا؟! فخجل وسكت. ثم قال: أقلني، بل علموه، قال: فلم لا دعوا الناس إليه كما دعوتهم أنت، أما وسعك ما وسعهم؟ فخجل وسكت، وأمر الواثق له بجائزة.. قال المهدي: فدخل أبي المنزل فاستلقى على ظهره وجعل يكرر قول الشيخ على نفسه ويقول: أما وسعك ما وسعهم؟ ثم أطلق الشيخ ورده، إلى بلاده، وسقط من عينه ابن أبي دؤاد ولم يمتحن بعده أحداً، ذكره الخطيب في تاريخه»[1].

قال ابن حجر: «قلت القصة مشهورة حكاها المسعودي وغيره.. قال الخطيب كان الواثق أحضر شيخاً من أهل أذنه للمحنة ناظر ابن أبي دؤاد بحضرته، يقال له الأذرمي.. وهو شيخ أبي داود والنسائي وعبد الله بن أحمد وأبي حاتم وغيرهم.. وذكره ابن حبان في الثقات وقال أبو حاتم والنسائي هو ثقة»[2].

وهذه القصة في زمن محنة القول بخلق القرآن التي قال بها المعتزلة وتبناها الخليفة العباسي المأمون ومن بعده حتى زمن المتوكل، والتي أرغموا الناس والعلماء على هذا الاعتقاد، ويتضح أن الشيخ الأذرمي، قد اتخذ من سنة الخلفاء الراشدين ميزاناً للقبول أو الرد فكان أن أصاب القوم في مقتل، فعند ذلك سُلِّم له في الحجة والبيان. وما ذاك إلا لسلامة عقيدته واتباعه لسنة الرسول ﷺ وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده.

قال الموفق بن قدامة المقدسي فيما يرويه عن الشيخ الأذرمي أنه قال: «أفوسعهم أن لا يتكلموا به ولا يدعوا الناس إليه أم لم يسعهم؟ قال: بلى

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير، ج١٠، ص ٣٣٥.
وانظر تاريخ بغداد للخطيب البغداي، دار الكتاب العربي، بيروت، ج٤، ص ١٥١.
(٢) كتاب تهذيب التهذيب لابن، حجر ج٦، ص ٤ .

وسعهم. قال فشيء وسع رسول الله ﷺ وخلفاءه لا يسعك أنت؟! فانقطع الرجل. فقال الخليفة ـ وكان حاضراً ـ لا وسّع الله على من لم يسعه ما وسعهم.

وهكذا من لم يسعه ما وسع رسول الله ﷺ، وأصحابه، والتابعين لهم بإحسان، والأئمة من بعدهم، والراسخين في العلم»[(١)].

مسألة: نهي النبي ﷺ عن الغلو في مدحه، كما أطرت النصارى ابن مريم وقالوا: إنه ابن الله!.

عن عمر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله»[(٢)].

مسألة: نهي رسول الله ﷺ عن البناء على القبور وإقامة التماثيل لأنها تؤدي إلى الشرك:

عن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي رضي الله عنه: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ: «أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته»[(٣)].

مسألة: لا يرد من سأل بالله:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «من استعاذ منكم بالله فأعيذوه، ومن سأل بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له حتى تروا أن قد كافأتموه»[(٤)].

---

(١) شرح لمعة الاعتقاد لابن قدامة شرح الشيخ محمد بن عثيمين، ص ٤٤.
(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: ج٦، ص ٤٧٨.
(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الجنائز، باب الأمر بتسوية القبور، ج٧، ص ٣٦.
(٤) سنن أبي داود، كتاب الزكاة، باب عطية من سأل بالله، ج٢، ص ٣٠.
؛ سنن النسائي، كتاب الزكاة، باب من سأل بالله عز وجل، ج٥، ص ٨٢.
؛ مسند الإمام أحمد، ج٥، ص ٢١٨، ٢٤٠.

مسألة: قوله ﷺ: لتركبن سنن من كان قبلكم والنهي عن التبرك بالأشجار والآثار:

عن أبي واقد الليثي أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى حنين مر بشجرة للمشركين يقال لها ذات أنوط يعلقون عليها أسلحتهم، فقالوا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال رسول الله ﷺ: «سبحان الله هذا كما قال قوم موسى: أجعل لنا إلها كما لهم آلهة والذي نفسي بيده لتركبن سنن من كان قبلكم». قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح[(١)].

مسألة: فضل الصلاة بمسجد مكة والمدينة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ، والمسجد الأقصى»[(٢)]. وعن أبي

والحديث رواه أبو داود عن عثمان بن أبي شيبه قال حدثنا جرير عن الأعمش عن مجاهد عن عبد الله بن عمر. وعثمان: هو ابن محمد بن إبراهيم بن أبي شيبة الكوفي، ثقة حافظ شهير وله أوهام من العاشرة، روى عن جرير بن عبد الحميد، تقريب التقريب لابن حجر، ج٢، ص١٣.

جرير: هو جرير بن عبد الحميد بن قرط الكوفي، نزيل الري وقاضيها، ثقة صحيح الكتاب كان يهم في آخر عمره - من حفظه - تقريب التقريب، ج١، ص ١٢٧.

الأعمش: هو سليمان بن مهران ثقة حافظ ورع، لكنه يدلس، من الخامسة، تقريب التقريب، ج١، ص ٣٣١.

مجاهد: هو مجاهد بن جبر المكي، ثقة، إمام في التفسير والعلم: من الثالثة مات سنة ١٠٣هـ. تقريب التقريب، ج٢، ص ٢٢٦.

فهو رواية ثقة عن ثقة عن ثقة عن الصحابي عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فالحديث صحيح الإسناد وقد رواه النسائي والإمام أحمد .

(١) الجامع الصحيح لسنن الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء «لتركبن سنن من كان قبلكم، ج٤، ص ٤٧٥.

؛ مسند الإمام أحمد ج٥، ص ٢١٨، ٢٤.

وهو حديث صحيح فقد صححه الترمذي .

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب فضل الصلاة فيهما، ج٣، ص ٦٣.

هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام»(١).

قال شيخ الإسلام: «ولهذا نهى النبي ﷺ أن يتخذ قبره مسجداً وأن يتخذ عيداً، وقال في مرض موته: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذّر ما صنعوا»(٢).. وسئل مالك عن رجل نذر أن يأتي قبر النبي ﷺ فقال مالك: إن كان أراد القبر فلا يأته، وإن أراد المسجد فليأته ثم ذكر الحديث، لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد»(٣). بل إنه أورد حديثاً في موطئه بالنهي الشديد عن ذلك فعن عطاء بن يسار: قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»(٤).

وهذا رد على من ادعى أن مالكاً يقول بالتوسل البدعي وأنه روى تلك القصة والرؤية المكذوبة في جواز التوسل بالرسول ﷺ ميتاً.

؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الحج، باب فضل المساجد الثلاثة، ج٩، ص ١٦٧.

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب فضل الصلاة فيهما، ج٣، ص ٦٣.
صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الحج، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، ج٩، ص ١٦٥.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري،كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ج٨، ص ١٤٠.
؛ صحيح مسلم شرح النووي، كتاب المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور، ج٥، ص ١٢.

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية، ج١، ص ٣٠٣، ٣٠٤.

(٤) موطأ الإمام مالك، كتاب الصلاة، باب جامع الصلاة، ص ١١٩، قال صاحب المشكاة: رواه مالك مرسلاً: وقال الشيخ الألباني محقق المشكاة: قلت وقد صح موصولاً من حديث أبي هريرة. المشكاة، ج١، ص ٢٣٤؛مسند أحمد ج٢، ص ٢٤٦، وانظر فتاوى ابن تيمية ج١، ص ٢٢٧ - ٢٣٩.

مسألة: الإسلام يهدم ما قبله:

عن عمرو بن العاص رضي الله عنه، قال: «أتيت النبي ﷺ فقلت: ابسط يمينك فلأبايعك، فبسط يمينه، فقبضت يدي، فقال: مالك يا عمرو؟ قلت: أردت أن أشترط، فقال: تشترط ماذا؟ قلت: أن يُغفر لي. قال: أما علمت يا عمرو أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله؟!»[(١)].

مسألة: المستقبل للإسلام، فيكون الدين كله لله:

عن المقداد، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله كلمة الإسلام، بعز عزيز وذل ذليل، أما يعزهم الله فيجعلهم من أهلها، أو يذلهم فيدينون لها، قلت: فيكون الدين كله لله»[(٢)].

مسألة: تحريم الصور وأن المصورين أشد عذاباً عند الله:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة، أو شعيرة»[(٣)].

وعن عبد الله بن مسعود، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أشد الناس عذاباً عند الله المصورون»[(٤)].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله، ج٢، ص ١٣٧.

(٢) مسند الإمام أحمد، ج٦، ص ٤.
قال الألباني: إسناده صحيح وقد رواه جماعة آخرون. المشكاة ج١، ص ٢٠.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب نقض الصور ج ١٠، ص ٣٨٥.
؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب اللباس، باب تحريم تصوير صورة الحيوان، ج١٤، ص ٩٤.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب عذاب المصورين يوم القيامة، ج١٠، ص٣٨٢.
؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب اللباس، باب تحريم تصوير صورة الحيوان، ج١٤، ص ٩٢.

وعن أبي طلحة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة»[1].

قال الإمام النووي، «قال العلماء: تصوير صورة الحيوان حرام شديد التحريم وهو من الكبائر لأنه متوعد عليه بهذا الوعيد الشديد.. لأن فيه مضاهاة لخلق الله تعالى.. أما سبب امتناع الملائكة من دخول بيت فيه صورة كونها معصية فاحشة وفيها مضاهاة لخلق الله تعالى وبعضها فيه صورة ما يعبد من دون الله تعالى، وسبب امتناعهم من بيت فيه كلب لكثرة أكله النجاسات ولأن بعضها يسمى شيطاناً كما جاء به الحديث والملائكة ضد الشياطين، ولقبح رائحة الكلب؛ والملائكة تكره الرائحة القبيحة.. وأما رواية أشد عذاباً فقيل هي محمولة على من فعل الصورة لتعبد وهو صانع الأصنام ونحوها فهذا كافر وهو أشد عذاباً وقيل هي فيمن قصد المعنى الذي في الحديث من مضاهاة خلق الله تعالى واعتقد ذلك فهذا كافر له من أشد العذاب ما للكفار، ويزيد عذابه بزيادة قبح كفرة»[2].

مسألة: لن يدخل أحدٌ الجنة بعمله:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لن ينجي أحداً منكم عمله: قالوا ولا أنت يا رسول الله؟! قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته، فسددوا وقاربوا، واغدوا، وروحوا، وشيء من الدلجة، والقصد القصد تبلغوا»[3].

قال الإمام النووي: «وفي ظاهر هذه الأحاديث دلالة لأهل الحق أنه لا يستحق أحد الثواب والجنة بطاعته، أما قوله تعالى ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب اللباس، باب تحريم تصوير صورة الحيوان ج١٤، ص ٨٤.

(٢) شرح النووي، ج١٤، ص ٨١، ٨٤.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة، ج١١، ص ٢٩٤.

؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب المنافقين، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله، ج١٧، ص ١٥٩.

تَعۡمَلُونَ﴾[1] ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٧٢﴾[2] ونحوها من الآيات الدالة على أن الأعمال يدخل بها الجنة فلا يعارض هذه الأحاديث بل معنى الآيات أن دخول الجنة بسبب الأعمال ثم التوفيق والهداية للإخلاص فيها وقبولها برحمة الله تعالى وفضله، فيصح أنه لم يدخل بمجرد العمل وهو مراد الأحاديث، ويصح أنه دخل بالأعمال أي بسببها وهي من الرحمة»[3].

مسألة: إنما الأعمال بالنّيات:

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه»[4].

مسألة: ردّ محدثات الأمور:

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ»[5].

---

(١) سورة النحل ٣٢.

(٢) سورة الزخرف آية ٧٢.

(٣) شرح النووي، ج ١٧، ص ١٦٠، ١٦١ .

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف بدء الوحي، ج١، ص ٩.

؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ إنما الأعمال بالنيات، ج١٣، ص ٥٣.

وقال الإمام النووي: «أجمع المسلمون على عظم موقع هذا الحديث وكثرة فوائده وصحته، قال الشافعي وآخرون هو ثلث الإسلام، وقال الشافعي يدخل فيه سبعين باباً وقال آخرون هو ربع الإسلام وقال عبدالرحمن بن مهدي وغيره ينبغي لمن صنف كتاباً أن يبدأ فيه بهذا الحديث تنبيهاً للطالب على تصحيح النية، ونقل الخطابي: هذا عن الأئمة مطلقا، وقد فعل ذلك البخاري وغيره» شرح النووي ج١٣، ص٥٣.

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، ج٥، ص٣٠١.

مسألة: فضل من استبرأ لدينه واتقى الشبهات:

عن النعمان بن بشير رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «الحلال بيّن والحرام بيّن، وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات، استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمي يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»[1].

قال ابن رجب رحمه الله: «وهذا الحديث ـ إنما الأعمال بالنيات ـ أحد الأحاديث التي يدور الدين عليها، وعن الإمام أحمد قال: أصول الإسلام على ثلاثة أحاديث: حديث عمر «إنما الأعمال بالنيات»، وحديث عائشة «من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد»، وحديث النعمان بن بشير: «الحلال بيّن والحرام بيّن»[2].

مسألة: كفر تارك الصلاة:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة»[3].

؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور، ج١٢، ص ١٥.
قال الإمام النووي: «وهذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام وهو من جوامع كلمه ﷺ فإنه صريح في رد كل البدع المحدثات» شرح النووي، ج١٢، ص ١٦ .

(١) فتح الباري، شرح صحيح البخاري، باب فضل من استبرأ لدينه، ج١، ص ١٢٦.
؛ صحيح مسلم شرح النووي، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، ج١١، ص ٢٦.
قال النووي: بيّن ﷺ أن بصلاح القلب يصلح باقي الجسد وبفساده يفسد باقيه. شرح النووي، ج١، ص ٢٧.

(٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب، تحقيق شعيب الأرناؤوط، إبراهيم باجس. مؤسسة الرسالة، ط٧، سنة ١٤١٧هـ، ص ٦١.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب لإيمان، بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة، ج٢، ص٧٠.

وعن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر».

وفي الباب عن أنس وابن عباس.

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب[1].

وبهذا قال فقهاء وعلماء أهل السنة والجماعة الذين يقولون: إن الإيمان قول وعمل واعتقاد يزيد وينقص، أما أهل الإرجاء الذين قالوا: إن الإيمان هو التصديق أو التصديق والقول: فإن الكفر عندهم هو ما يضاد التصديق. قال ابن قدامة صاحب المغني في الفقه: «إن تارك الصلاة لا يخلو إما أن يكون جاحداً لوجوبها ـ وهذا يصير مرتداً عن الإسلام وحكمه حكم سائر المرتدين في الاستتابة والقتل، ولا أعلم في هذا خلافاً.

وإن تركها تهاوناً أو كسلاً دعي إلى فعلها ويحبس ثلاثاً فإن صلى وإلا قتل. وبهذا قال مالك وحماد بن زيد ووكيع والشافعي.

وقال الزهري، يضرب ويسجن، وبه قال أبو حنيفة»[2].

وقال شيخ الإسلام: «لا يتصور في العادة أن رجلاً يكون مؤمناً بقلبه، ومقراً بأن الله أوجب عليه الصلاة، ملتزماً لشريعة النبي ﷺ وما جاء به، يأمره ولي الأمر بالصلاة فيمتنع، حتى يقتل، ويكون ذلك مؤمناً في الباطن قط! ولا يكون إلا كافراً.. ولهذا فإن الممتنعين بنوه على قولهم في مسألة الإيمان، وأن الأعمال ليست من الإيمان»[3].

وقال ابن قيم الجوزية: «ومن العجب أن يقع الشك في كفر من أصرّ على

---

(١) سنن الترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في ترك الصلاة، ج٥، ص ١٤.
؛ مسند الإمام أحمد، ج٥، ص ٣٤٦.
؛ سنن النسائي، كتاب الصلاة، باب الحكم في تارك الصلاة، ج١، ص ٢٣١.
؛ سنن ابن ماجة، كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء في ترك الصلاة، ج١، ص ٣٣٣.
(٢) المغني لابن قدامة، مكتبة الرياض الحديثة، ج٢، ص ٤٤٢.
(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية، ج ٧، ص ٦١٥.

تركها، ودعي إلى فعلها على رؤوس الملأ وهو يرى بارقة السيف على رأسه، ويشد للقتل وقيل له: تصلي وإلا قتلناك. فيقول: اقتلوني! ولا أصلي أبداً. ومن لا يكفّر تارك الصلاة، يقول: هذا مؤمن مسلم يغسل، ويصلى عليه، ويدفن في مقابر المسلمين، وبعضهم يقول إنه مؤمن كامل الإيمان.. أفلا يستحي من هذا قوله من إنكاره تكفير من شهد بكفره الكتاب والسنة واتفاق الصحابة»(١).

كيف وقد ورد في كتاب الله قوله تعالى ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝٤٢ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾(٢).

مسألة: ما جاء في السحر وما فيه من استخدام الشياطين والتعلق بهم، ودعوى علم الغيب ومشاركة الله في ذلك:

والسحر لغة «عبارة عما خفي ولطف سببه.

وشرعاً: قال أبو محمد المقدسي: السحر، عزائم ورقى وعقد يؤثر في القلوب والأبدان فيمرض، ويقتل، ويفرق بين المرء وزوجته، ويأخذ أحد الزوجين عن صاحبه. أدخله المصنف في كتاب التوحيد ليبين ذلك تحذيراً منه كما ذكر غيره من أنواع الشرك»(٣).

عن أبي هريرةﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات. قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»(٤).

---

(١) الصلاة وحكم تاركها، لابن القيم، تحقيق تيسير زعيتر، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٠هـ، ص ٦٢، ٦٣.

(٢) سورة المدثر آية ٤٢، ٤٣.

(٣) تيسير العزيز الحميد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، ص ٣٨٢.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الوصايا، باب قوله تعالى «ج٥، ص ٣٩٣. ؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب بيان أكبر الكبائر، ج٢، ص ٨٢.

وعن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «حد الساحر ضربة بالسيف»[1].
وعن بجالة بن عبده قال: «كتب عمر بن الخطاب ان اقتلوا كل ساحر وساحرة. قال: فقتلنا ثلاث سواحر»[2].

وكتاب عمر إلى عماله بقتل السحرة دليل على صحة حديث جندب، وأنه قد أمر رسول الله ﷺ بقتل الساحر لما في ذلك من دفع الأذى عن الناس وأن صاحب السحر قد أشرك بالله لأنه يستمد سحرة من الشياطين الذين يأمرونه أن يكفر بالله.

وقد قال الترمذي في حديث جندب: «قال أبو عيسى: هذا حديث لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه.. والصحيح عن جندب موقوف، والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم»[3].

وعن عائشة رضي الله عنها «أن النبي ﷺ سحر حتى كان يخيل إليه أنه صنع شيئاً ولم يصنعه»[4].

وهناك من أنكر السحر الذي سُحر به الرسول ﷺ، كالنظام من المعتزلة وأصحاب المدرسة العقلية الحديثة «فقد ذكره الإمام محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة في كتاب «تأويل مختلف الحديث» ضمن الأحاديث التي طعن فيها النظام وأمثاله من أرقاء الدين في السنن والأحاديث. وكذلك رده بعض أهل العلم في

---

(١) سنن الترمذي، كتاب الحدود، باب ما جاء في حد الساحر ج٤، ص ٦٠، وقال: والصحيح عن جندب موقوف.
؛ المستدرك للحاكم وصححه وقال: صحيح غريب ووافقه الذهبي، ج٤، ص ٤٠١.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الخراج، باب في أخذ الجزية من المجوس، ج٣، ص ٤٣١.
؛ فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الجزية والموادعة باب الجزية والموادعة، ج٦، ص ٢٥٧، ولم يذكر السحر. قال في الفتح: وفي رواية: اقتلوا كل ساحر. قال: فقتلنا في يوم ثلاث سواحر.. وقال مالك: يقتل الساحر ولا يستتاب، وبه قال أحمد وجماعة وهو عندهم كالزنديق. ج٦، ص ٢٦١، ٢٧٧.
؛ مسند الإمام أحمد، ج١، ص ١٩٠، ١٩١.

(٣) سنن الترمذي، ج٤، ص ٦٠.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الجزية والموادعة، باب هل يعفى عن الذمي إذا سحر؟ ج٦، ص ٢٧٦.

العصر الأخير، وهم الذي يحكمون العقل الجامح في كل شيء، وليس عندهم من العلم بالسنن والأحاديث ورواتها وضبط رواياتها ما يعصمهم من الوقوع في الزلل»[1].

قال الإمام النووي: «قد يكون السحر كفراً، وقد لا يكون كفراً بل معصية كبيرة، فإن كان فيه قول أو فعل يقتضي الكفر فهو كفر، وإلا فلا، وأما تعلمه وتعليمه فحرام فإن تضمن ما يقتضي الكفر كفر وإلا فلا، وإذا لم يكن فيه ما يقتضي الكفر عزر واستتيب»[2].

مسألة: النهي عن الكهانة:

عن أبي هريرةﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمدﷺ»[3]. قال الخطابي في شرحه: الكاهن هو الذي يدعي مطالعة علم الغيب ويخبر الناس عن الكوائن.. والحديث ينهى عن إتيان هؤلاء كلهم.

وعن حفصةﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة»[4].

قال النووي: «قال الخطابي: العرّاف هو الذي يتعاطى معرفة مكان المسروق ومكان الضالة ونحوها. وأما عدم قبول صلاته فمعناه لا ثواب له فيها وإن كانت مجزئة في سقوط الفرض عنه»[5].

---

(١) دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين د. محمد أبو شهبة، ص ٣٥٨.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٤، ص ١٧٦.

(٣) مسند الإمام أحمد، ج٢، ص ٤٠٨.
؛ سنن أبي داود، كتاب الطب، باب في الكاهن، ج٤، ص ٢٢٥.
؛ مشكاة المصابيح، وإسناده حسن، ج٢، ص ١٢٩٤؛ المستدرك للحاكم وصححه ووافقه الذهبي ج ١، ص ٤٩.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة، ج١٤، ص ٢٢٧.

(٥) شرح النووي، ج١٤، ص ٢٢٧.

مسألة: لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة، فقال إعرابي يا رسول الله: فما بال الإبل تكون في الرمل كأنها الظباء فيجيء البعير الأجرب فيدخل فيها فيجربها كلها؟ قال رسول الله ﷺ: فمن أعدى الأول؟!»[١].

وعنه رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر[٢] وفر من المجذوم كما تفر من الأسد»[٣].

قال ابن حجر: المراد بنفي العدوى أن شيئا لا يعدي بطبعه نفياً لما كانت الجاهلية تعتقده أن الأمراض تعدي بطبعها من غير إضافة إلى الله، فأبطل النبي ﷺ اعتقادهم ذلك، وأكل مع المجذوم ليبين لهم أن الله هو الذي يُمرض ويشفي ونهاهم عن الدنو منه ليبين لهم أن هذا من الأسباب التي أجرى الله تعالى العادة بأنها تفضي إلى مسبباتها، ففي نهيه إثبات الأسباب، وفي فعله إشارةً إلى أنها لا تستقل، بل الله هو الذي إن شاء سلبها قواها فلا تؤثر شيئاً، وإن شاء أبقاها فأثرت»[٤].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب السلام، باب لا عدوى، ج٤، ص ٢١٣.
؛ فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الطب، باب لا هامة، ج١٠، ص ٢٤١.

(٢) قال النووي: «التطير هو التشاؤم وهو الشيء المكروه من قول أو فعل أو مرئي وكانوا يتطيرون فينفرون الظباء والطير، فإن أخذت ذات اليمين تبركوا ومضوا في سفرهم وحوائجهم، وإن أخذت ذات الشمال رجعوا عن سفرهم وحاجاتهم، فنفى الشرع ذلك وإتيانه ونهى عنه». شرح النووي، ج١٤، ص ٢١٨.
قوله: ولا صفر، قيل هي دواب في البطن ربما قتلت صاحبها.
وقيل: هو تأخيرهم تحريم المحرم إلى صفر وهو النسيئ في الجاهلية.
ولاهامة: قيل هي الطائر المعروف من طير الليل، وقيل هي البومة، إذا سقطت على دار أحدهم، رآها ناعية له نفسه.
وقيل: كانت العرب في الجاهلية تعتقد أن عظام الميت وروحه تنقلب هامة تطير. شرح النووي، ج١٤، ص ٢١٥.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الجذام، ج١٠، ص ١٥٨.

(٤) فتح الباري، ج١٠، ص ١٦٠.

وقال النووي: «قال جمهور العلماء يجب الجمع بين هذين الحديثين وهما صحيحان، قالوا: وطريق الجمع أن حديث لا عدوى المراد به نفي ما كانت الجاهلية تزعمه وتعتقده أن العاهة والمرض تعدي بطبعها لا بفعل الله وأما أحاديث لا يورد ممرض على مصح فأرشد فيه إلى مجانبة ما يحصل الضرر عنده في العادة بفعل الله تعالى وقدره، فنفى في الحديث الأول العدوى بطبعها ولم ينف حصول الضرر بفعل الله، وأرشد في الثاني إلى الاحتراز مما يحصل عنده الضرر بفعل الله وإرادته وقدرته»(1).

وعن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ قال: «الطيرة من الشرك، ولكن الله عز وجل أذهبه بالتوكل»(2).

مسألة: الشرك الأصغر:

١ ـ الحلف بغير الله:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك».

قال أبو عيسى هذا حديث حسن، وفسر هذا الحديث عند بعض أهل العلم أن قوله فقد كفر أو أشرك على التغليظ..

وقال أبو عيسى: هذا مثل ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الرياء شرك»(3).

قال ابن كثير: «عن ابن عباس في قول الله عز وجل: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ قال: الأنداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل وهو أن يقول والله وحياتك يا فلان. وحياتي، ولولا البط في الدار لأتى

---

(1) شرح النووي، ج١٤، ص ٢١٣ .

(2) سنن الترمذي، كتاب السير، باب ما جاء في الطيرة. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، ج٤، ص ١٠٦.

؛ المستدرك للحاكم تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، وقال الذهبي: صحيح، ج١، ص ٦٤.

(3) سنن الترمذي، كتاب النذور، باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله، ج٤، ص ١١٠ .

اللصوص، وقول الرجل لصاحبه ما شاء الله وشئت.. هذا كله باب شرك»[1].

وعن بريدةﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من حلف بالأمانة فليس منا»[2].

٢ ـ الرياء:

«والمراد به إظهار العبادة بقصد رؤية الناس فيحمدون صاحبها، والفرق بين الرياء والسمعة: «أن الرياء لما يرى من العمل كالصلاة. والسمعة لما يسمع كالقراءة والوعظ والذكر، ويدخل في ذلك تحدث الإنسان عن أعماله وأخباره»[3].

«فالشرك الأصغر هو اليسير من الرياء والحلف بغير الله، وقولهم: ما شاء الله وشئت، وأنا بالله وبك، وأنا متوكل على الله وعليك..»[4].

عن أبي هريرةﷺ مرفوعاً، قال: قال الله تعالى: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري من المخلوقين تركته وشركه»[5].

٣ ـ من كان عبداً للدنيا:

عن أبي هريرةﷺ، قال: قال رسول ﷺ: «تعس عبد الدنيا وعبد الدرهم، وعبد الخميصة[6]، إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس[7] وإذا شيك فلا انتقش[8].. »[9].

---

(١) تفسير ابن كثير ج١، ص ٥٤.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الإيمان، باب كراهية الحلف بالأمانة، ج٣، ص ٥٧١.
؛ مشكاة المصابيح، وإسناده صحيح، ج٢، ص ١٠٢٠.

(٣) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، ص ١٠٠.

(٤) تيسير العزيز الحميد، سليمان بن عبد الوهاب، ص ٥٣٣.

(٥) صحيح مسلم، بشرح النووي، كتاب الزهد والرقائق، باب تحريم الرياء، ج١٨، ص ١١٥.

(٦) الخميصة: هي ثوب خز أو صوف معلّم، مرقاة الصعود، ج٥، ص ١٨.

(٧) انتكس: أي صار ذليلاً، مرقاة الصعود، ج٥، ص ١٩.

(٨) وإذا شيك فلا انتقش: أي إذا دخلت الشوكة في أحد أعضائه فلا يقدر على إخراجها، مرقاة ٥ / ١٩.

(٩) فتح الباري، شرح صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب الحراسة، في الغزو في سبيل الله، ج٦، ص٨١.

مسألة: أذن الله بالحرب لمن عادى أولياءه، والاستهزاء بهم معاداة لهم:[1]

عن أبي هريرةﷺ، قال: قال رسول اللهﷺ إن الله تعالى قال: «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه، وما زال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته ولابد له منه»[2].

مسألة: الأخذ بالأسباب مع التوكل:

عن أنس بن مالكﷺ، قال: قال رجل: «يا رسول الله أعقلها وأتوكل، أو أطلقها وأتوكل؟ قال: أعقلها وتوكل..».

قال أبو عيسى: وهذا حديث غريب من حديث أنس لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وقد روي عن عمرو بن أمية الضمري عن النبيﷺ نحو هذا[3].

---

(١) لسان العرب لابن منظور ج١، ص ١٨٣.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع ج ١١، ص ٣٤٠.

(٣) سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة، ج٤، ص ٦٦٨. وقد رواه الترمذي عن عمرو بن علي. حدثنا يحيى بن سعيد القطان. حدثنا المغيرة بن أبي قرة السدوسي، قال سمعت أنس ابن مالك.

رجال السند: عمرو بن علي هو ابن بحر أبو حفص الفلاس البصري، ثقة حافظ روى عن يحيى بن سعيد القطان. تقريب التهذيب، ج ٢ ص ٧٥.

ويحيى بن سعيد القطان، ثقة حافظ. روى عنه عمر بن علي الفلاس تهذيب التهذيب، ج ١١، ص ١٩٠.

والمغيرة بن قرّة السدوسي، مستور، ذكره ابن حبان في الثقات، قال القطان لا نعرف حاله. تهذيب التهذيب، ج١٠، ص ٢٤٠.

عن أنس بن مالك الصحابيﷺ. قال الترمذي: وله شاهد من حديث عمرو بن أمية الضمري، الصحابي، وهو صحابي مشهور تقريب التهذيب، ج٢، ص ٢٧٠. فالحديث صحيح الإسناد.

مسألة: قوله ﷺ: «ويعجبني الفأل»:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل قالوا: وما الفأل؟. قال: الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم»(١).

قال الإمام النووي: «قال العلماء: وإنما أحب الفأل لأن الإنسان إذا أمل فائدة الله تعالى وفضله عند سبب قوي أو ضعيف فهو على خير في الحال، .. وأما إذا قطع رجاءه وأمله من الله تعالى فإن ذلك شرٌ له. والطيرة فيها سوء الظن وتوقع البلاء»(٢).

مسألة: التنجيم:

قال الإمام البخاري: «عن قتادة، قال: خلق الله تعالى هذه النجوم لثلاث: جعلها زينة للسماء، ورجوماً للشياطين، وعلامات يهتدى بها، فمن تأول فيها بغير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا يعلم»(٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد»(٤).

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الطيرة، ج١٠، ٢١٢.
؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب السلام، باب الطيرة، ج ١٤، ص ٢١٨.

(٢) شرح النووي، ج ٤، ص ٢٢٠.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب في النجوم، ج٦، ص ٢٩٥.

(٤) سنن أبي داود كتاب الطب، باب في النجوم، ج٤، ص ٢٢٦. واللفظ له. قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبه ومسدد، قالا: حدثنا يحيى، عن عبيد الله بن الأخنس، عن الوليد بن عبد الله عن يوسف بن ماهك عن ابن عباس. فأبوبكر بن أبي شيبة هو عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن أبي شيبه، ثقة حافظ وروى عن القطان. تقريب التهذيب لابن حجر، ج٢، ص ٥٨٢.

ومسدد: هو بن مسرهد البصري الحافظ، روى عن يحيى بن سعيد القطان، ثقة حافظ تقريب التهذيب ج٢، ص ٢٤٢.

ويحيى: بن سعيد القطان، روى عنه مسدد وأبي بكر ابن أبي شيبه وروى عن عبيد الله بن الأخنس ثقة حافظ حجة، تهذيب التهذيب، ج١١، ص ١٩٠.

قال الشيخ الخطابي: «علم النجوم المنهي عنه: ما يدعيه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التي لم تقع وستقع في مستقبل الزمان فأخبارهم بأوقات هبوب الرياح ومجيء المطر وظهور البرد والحر وتغير الأسعار، يزعمون أنهم يدركون معرفتها بسير الكواكب ويدعون لها تأثيراً في السفليات، وأنها تتصرف على أحكامها وتجري على قضايا موجباتها، وهذا منهم تحكم على الغيب وتعاط لعلم استأثر الله سبحانه به، لا يعلم الغيب أحد سواه»(١).

مسألة: سبّ الصحابة ﭫ:

عن ابن عباس ﭭ، قال: قال رسول الله ﷺ: «من سبّ أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»(٢).

وعبيد الله ابن الأخنس: النخعي، روى عن الوليد بن عبد الله بن أبي مغيث، وروى عنه الستة، قال أحمد وابن معين وأبو داود والنسائي: ثقة وذكره ابن حبان في الثقات وقال يخطئ كثيراً. تهذيب التهذيب، ج٧، ص ٣.
والوليد بن عبد الله بن أبي مغيث المكي. ثقة. تقريب التهذيب ج ٢، ص ٣٣٣. ويوسف بن ماهك المكي ثقة. تقريب التهذيب ج ٢، ص ٣٨٢.
عن الصحابي ابن عباس ﭭ: فالحديث صحيح الإسناد.
؛ مسند الإمام أحمد، ج ١، ٣١١.
؛ سنن ابن ماجة، كتاب الأدب، باب تعلم النجوم، ج٢، ص ٤٠٤.

(١) شرح سنن أبي داود للخطابي، ج٤، ص ٢٢٦.
وقوله ﭬ عن أهل التنجيم ومعرفتهم بعلم الكوائن والحوادث في المستقبل بناء على سير الكواكب.. وهذا ليس من قبيل ما يسمى في هذا العصر بالرصد الجوي وأحوال المناخ، فلا شك أن هذا قائم على معلومات علمية بحتة وأجهزة لرصد أحوال الجو وتقلباته ووجود اتصالات مشاهدة ومسموعة تسهل تبادل المعلومات فليس هذا من الكهانة والتنجيم .

(٢) المعجم الكبير للطبراني ج ١٢، ص ١٤٢.
؛ السنة لابن أبي عصام، ج٢، ص ٤٨٣، وقال الألباني: وهذا إسناد مرسل صحيح.
؛ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الاصبهاني، دار الكتب العلمية بيروت، ج ٧، ص ١٠٣.
؛ سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، ج٥، ص ٤٤٦، وقال: الحديث بمجموع طرقه حسن.

قال الإمام الطحاوي: «ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بالخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان»[1].

ويقول ابن تيمية: «وأما من جاوز ذلك إلى أن زعم أنهم ارتدوا بعد رسول الله ﷺ إلا نفراً قليلاً لا يبلغون بضعة عشر نفساً، أو أنهم فسقوا عامتهم، فهذا لا ريب في كفره، لأنه مكذب لما نصه القرآن في غير موضع من الرضى والثناء عليهم، بل من يشك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين، فإن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب والسنة كفار أو فساق، وأن هذه الآية ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[2] وخيرها هو القرن الأول، كان عامتهم كفاراً أو فساقاً، ومضمونها أن هذه الأمة شر الأمم وأن سابقي هذه الأمة هم شرارها، وكفر هذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام»[3]

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»[4] قال الذهبي: «فمن طعن فيهم أو سبهم، فقد خرج من الدين ومرق من ملة المسلمين، لأن الطعن لا يكون إلا عن اعتقاد مساويهم، وإضمار الحقد فيهم، وإنكار ما ذكره الله تعالى في كتابه في الثناء عليهم.. والطعن في الوسائط طعن في الأصل، والازدراء بالناقل ازدراء بالمنقول، هذا ظاهر لمن تدبره وسلم من النفاق، ومن الزندقة والإلحاد في عقيدته»[5].

---

(١) العقيدة الطحاوية، ص ٤٦٧.

(٢) سورة آل عمران ١١٠.

(٣) الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ ص ٥٨٦، ٥٨٧.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة باب قوله ﷺ: لو كنت متخذاً خليلاً، ج ٧، ص ٢١.
؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة، ج١٦، ص ٩٢.

(٥) الكبائر للذهبي، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد، مؤسسة الريان، بيروت، الطبعة الثانية سنة ١٤١١هـ، ص ٢٣٧، ٢٣٨.

مسألة: خير أمتي قرني..

عن عمران بن حصين، قال: قال رسول الله ﷺ: «خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم أن بعدهم قوماً يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن. وفي رواية - ويحلفون ولا يستحلفون»(١).

مسألة: الإقسام على الله:

عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال رجل والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله عز وجل: من ذا الذي يتألى عليّ أن لا أغفر لفلان؟ إني قد غفرت له وأحبطت عملك»(٢).

مسألة: حماية النبي ﷺ حمى التوحيد، وسده طريق الشرك:

عن مطرف بن عبد الله بن الشخّير، قال: «قال أبي: انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ فقلنا: أنت سيدنا، فقال: السيد الله. فقلنا: وأفضلنا فضلاً، وأعظمنا طولاً، فقال: قولوا بقولكم أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم(٣) الشيطان»(٤).

مسألة: تعليق التمائم ونحوها من الشرك:

عن زينب امرأة عبد الله بن مسعود أن عبد الله رأى في عنقي خيطاً، فقال:

---

(١) فتح الباري، شرح صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل النبي ﷺ، ج٧، ص ٣.
؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل الصحابة، ج١٦، ص ٨٧.

(٢) نفس المصدر كتاب البر، باب النهي عن تقنيط الإنسان ج ١٦، ص ١٧٤.

(٣) لا يستجرينكم الشيطان: معناه لا يتخذنكم جريّا والجري: الوكيل ويقال الأجير. شرح سنن أبي داود للخطابي ج ٥، ص ١٥٥.

(٤) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في كراهية التمازح، ج ٥، ص ١٥٤.
؛ مسند الإمام أحمد ج ٤، ص ٢٥.
؛ مشكاة المصابيح، وإسناده حسن، ج٣، ص ١٣٧٣.

«ما هذا؟ فقلت خيط رقي لي فيه. قالت: فأخذه فقطعه ثم قال: أنتم آل عبد الله لأغنياء عن الشرك سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الرقى والتمائم والتولّة[1] شرك. فقلت لم تقول هكذا؟ لقد كانت عيني تقذف[2]، وكنت اختلف إلى فلان اليهودي فإذا رقاها سكنت. فقال عبد الله إنما ذلك عمل الشيطان، كان ينخسها بيده، فإذا رقى كف عنها، وإنما كان يكفيك أن تقولي كما كان رسول الله ﷺ يقول: اللهم أُذهب البأس رب الناس واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاءً لا يغادر سقماً»[3].

قال الشيخ الخطابي رحمه الله: «التولّة ضرب من السحر يحبب المرأة إلى زوجها أما الرقى فالمنهي عنه هو ما كان منها بغير لسان العرب، فلا يدري ما هو؟ ولعله قد يدخله سحر أو كفر.

وأما إذا كان مفهوم المعنى وكان فيه ذكر الله تعالى فإنه مستحب متبرك به والله أعلم»[4] والحديث فيه دليل على جواز الرقية الشرعية والرسول ﷺ رقى بالقرآن واسترقى وأخبر الناس وسنَّ لهم دعاء الرقية الوارد في الحديث السابق وغيره وهو ما يسمى بالرقية الشرعية.

مسألة: العشرة المبشرون بالجنة:

عن سعيد بن زيد بن نفيل، أن رسول الله ﷺ قال: «عشرة في الجنة: أبوبكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان، وعلي، والزبير، وطلحة، وعبدالرحمن، وأبو عبيدة، وسعد ابن أبي وقاص، قال فعد هؤلاء التسعة وسكت عن العاشر، فقال القوم ننشدك الله يا أبا الأعور من العاشر؟ قال: نشدتموني بالله أبا الأعور في الجنة.قال أبو عيسى: أبو الأعور هو سعيد بن زيد بن نفيل.

---

(١) التولّه: نوع من السحر يحبب المرأة إلى زوجها. مرقاة ج٤، ص ٥٠٧.

(٢) تقذف: ترمي بما يهيج الوجع، ج٤، ص ٥٠٨.

(٣) سنن أبي داود، كتاب الطب باب تعليق التمائم ج ٤، ص ٢١٢.
؛ مشكاة المصابيح، وإسناده صحيح، ج ٢، ص ١٢٨٤.

(٤) شرح سنن أبي داود للخطابي، ج٤، ص ٢١٢.

وسمعت محمداً يقول: هو أصح من الحديث الأول»[1].

قال ابن تيمية: «ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ؛ كما وصفهم الله به في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾[2].

وطاعة النبي ﷺ في قوله: لا تسبوا أصحابي..، وقبول ما جاء به الكتاب والسنة من فضائلهم ومراتبهم.. ويشهدون بالجنة لمن يشهد له رسول الله ﷺ؛ كالعشرة، وثابت بن قيس بن شماس وغيرهم من الصحابة»[3].

مسألة: كمال الإيمان وزيادته ونقصانه:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن من أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً وألطفهم بأهله وفي الباب عن أبي هريرة وأنس بن مالك قال أبو عيسى: هذا حديث صحيح»[4].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: خرج رسول الله ﷺ في أضحى أو فطر إلى المصلى فمرّ على النساء فقال: «يا معشر النساء تصدقن فإني رأيتكن أكثر أهل النار فقلن: وبم يا رسول الله؟ قال: تكثرن اللعن وتكفرن العشير، ما رأيت ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن قلنا: ما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال: أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟ قلن:

---

(١) سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب عبد الرحمن بن عوف، ج٥، ص ٦٤٧، ٦٤٨،

؛ سنن ابن ماجة، المقدمة باب فضائل العشرة المبشرين بالجنة ج ١، ص ٦١.

؛ مشكاة المصابيح وقال الألباني ورواه الترمذي عن عبد الرحمن بن عوف وهو حديث صحيح، ج٣، ص ١٧٢٧.

(٢) سورة الحشر آية ١٠.

(٣) العقيدة الواسطية لابن تيمية، ص ٢٣٦ - ٢٣٩.

(٤) سنن الترمذي كتاب الإيمان، باب ما جاء في استكمال الإيمان وزيادته ونقصانه، ج٥، ص ٩.

بلى، قال: فذلك من نقصان عقلها. قال: أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم؟ قلن بلى. قال فذلك من نقصان دينها»[1].

مسألة: ما جاء في افتراق هذه الأمة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «تفرقت اليهود إلى إحدى وسبعين فرقه أو اثنتين وسبعين فرقة والنصارى مثل ذلك، وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقة. وفي الباب عن سعد وعبد الله بن عمرو وعوف بن مالك. قال أبي عيسى حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح.

وزاد في رواية عن عبد الله بن عمرو: كلهم في النار إلا ملة واحدة، قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي.

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن مفسر غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه»[2].

قال الشيخ الخطابي: قوله «ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، فيه دلالة على أن هذه الفرق كلها غير خارجة عن الدين إذ قد جعلهم النبي ﷺ كلهم من أمته. وفيه: أن المتأول لا يخرج من الملة وإن أخطأ في تأويله»[3].

قال شيخ الإسلام: «الحديث صحيح مشهور في السنن والمسانيد كسنن أبي

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الحيض، باب ترك الحائض الصوم، ج١، ص ٤٠٥.

؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات، ج٢، ص٦٥.

(٢) سنن الترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق الأمة، ج٥، ص ٢٥، ٢٦.
؛ سنن أبي داود كتاب السنة، باب شرح السنة، ج ٥، ص ٤، ٥.
؛ سنن ابن ماجة، باب افتراق الأمة، ج٢، ص ٤٧٩.
؛ مسند الإمام أحمد، ج٢، ص ٣٣٢؛ المستدرك للحاكم وصححه ووافقه الذهبي ج١، ص ٢١٧.

(٣) سنن أبي داود ج ٥، ص ٥.

داود والترمذي ومسند أحمد وغيرهم.. ولهذا وصف الفرقة الناجية بأنها أهل السنة والجماعة، وهي الجمهور الأكبر والسواد الأعظم.

أهل الحديث والسنة، الذين ليس لهم متبوع يتعصبون له إلا رسول الله ﷺ وهم أعلم الناس بأقواله وأحواله وأعظمهم تمييزاً بين صحيحها وسقيمها، وأئمتهم فقهاء فيها، وأهل معرفة واتباعاً لها: تصديقاً وعملاً وحباً وموالاة لمن والاها، ومعاداة من عاداها»[1].

مسألة ما جاء في الصبر على البلاء:

عن سعد بن أبي وقاص، قال: قلت يا رسول الله: «أي الناس أشد بلاءً؟ قال: الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، فيبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان دينه صلباً اشتد بلاؤه وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة».

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح وفي الباب عن أبي هريرة أن النبي ﷺ سئل أي الناس أشد بلاء؟ قال: الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل»[2].

مسألة سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب:

عن حصين بن عبد الرحمن قال: كنت عند سعيد بن جبير فقال: «أيكم الذي رأى الكوكب الذي انقض البارحة؟ قلت: أما أني لم أكن في صلاة ولكني لدغت، قال: فماذا صنعت؟ قلت استرقيت. قال: فما حملك على ذلك؟ قلت حديث حدثناه الشعبي فقال: وما حدثكم الشعبي؟ قلت حدثنا عن بريدة بن الحصيب الأسلمي أنه قال: لا رقية إلا من عين أو حُمة. فقال: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع، ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي ﷺ قال: عرضت علي الأمم فرأيت النبي ومعه الرُهيط والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي ليس معه

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٣، ص ٣٤٥.

(٢) سنن الترمذي كتاب الزهد باب ما جاء في الصبر على البلاء ج٤، ص ٦٠١.
؛ سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء ج ٢، ص ٤٨٩.

أحد إذ رُفع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي فقيل لي هذا موسى ﷺ وقومه ولكن انظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد عظيم فقيل لي انظر إلى الأفق الآخر، فإذا سواد عظيم فقيل لي هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، فقال بعضهم: فلعلهم الذي صحبوا رسول الله ﷺ، وقال بعضهم فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام ولم يشركوا بالله، وذكروا أشياء فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال: ما الذي تخوضون فيه؟ فأخبروه فقال: هم الذي لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن فقال: ادعو الله أن يجعلني منهم: فقال أنت منهم: ثم قام رجل آخر فقال: ادعو الله أن يجعلني منهم، فقال سبقك بها عكاشة»[(١)][(٢)]

وحيث إن هذا الحديث الصحيح بيان لخبر هؤلاء السبعين ألفاً الذين يدخلهم الله الجنة بغير حساب، فإنه يتضمن أموراً أخرى في العقيدة وهي:

١ ـ الخوف من الرياء وهو الشرك الأصغر وذلك حينما نفى التابعي حصين

---

(١) فتح الباري، شرح صحيح البخاري، كتاب الطب، باب من لم يرقَ، ج١٠، ص ٢١١.
؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب، ج٣، ص٩٢.
وقال النووي: والحُمة سم العقرب، وأما العين فهي إصابة العائن غيره بعينه والعين حق، وقد رقى النبي ﷺ وأمر بها، فإذا كانت بالقرآن وبأسماء الله تعالى فهي مباحة. ج٣، ص ٩٣.

(٢) وقد ذكره الشيخ السيوطي في قطف الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة وقال:.. ورواه الترمذي عن أبي أمامة، ص ٣٠١.
فعن أبي أمامه رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب مع كل ألف سبعون ألفاً وثلاث حثيات من حثياته. قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب.
والحثيات جمع حثية وهي ملء الكف والمراد المبالغة في الكثرة. سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب الشفاعة، ج٤، ص ٦٢٦. فهذا الحديث وغيره من المتواتر الذي يدل على الشفاعة في أهل الكبائر وغيرهم، ولا تأخذ به المعتزلة ومن وافقهم في تكفير مرتكب الكبيرة، وأنه مخلد في النار. مع أنهم يدّعون قبول المتواتر في العقيدة.

بن عبد الرحمن أن يكون قد رأى الكوكب وهو في صلاة مع أنه لم يكن في صلاة كما أخبر ولكنه خشي على نفسه الرياء.

٢ ـ إن أتباع موسى ﷺ أكثر أهل الجنة من الأديان وأتباع الأنبياء قبل محمد ﷺ، ذلك أن عندهم التوراة فيها حكم الله وكان ذلك قبل تغييرها وتحريفها.

٣ ـ إن أتباع محمد ﷺ وهم المسلمون أكثر أهل الجنة على الإطلاق.

٤ ـ إن الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل وإنما الذين عدّهم رسول الله ﷺ قد آثروا الصبر ورجاء الأجر والمثوبة من الله فكان هذا خصيصة لهم وجزاء من الله.




الفصل الثاني

المسائل التي ثبتت عند أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات بخبر الآحاد وأنكر حجيتها المخالفون والحكم عليها

وفيه:

- تمهيد
- ذكر المسائل بأدلتها.

******



تمهيد

إن مقام الله سبحانه وتعالى في وجدان المؤمن أمر جليل وعظيم، وقد أمر الله سبحانه عباده بالإيمان بالغيب، فلا يطّلع عل ذلك الغيب أحد إلا بما أخبر الله سبحانه بوحيه إلى رسله، أو في كتبه، فكان هذا مذهب السلف رحمهم الله؛ ومن ذلك الإيمان بما أثبت سبحانه لنفسه من الصفات. فكانوا يفهمون معاني النصوص من الكتاب والسنة، ويثبتونها لله عز وجل وأما حقيقة ما أراد الله منها وكيفيتها فعلمه إلى الله سبحانه وتعالى. قال شيخ الإسلام: «ومن الإيمان بالله: الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه العزيز، وبما وصفه به رسوله محمدﷺ؛ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل. بل يؤمنون بأن الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1]. فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، ولا يلحدون في أسماء الله وآياته، ولا يكيفون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه. لأنه سبحانه لا سمي له ولا كفؤ له ولا ندّ له»[2].

ثم كان للفرق الأخرى مواقف مختلفة في قبول أوردّ أسماء الله الحسنى وصفاته العلا «ومن خلال الاستقراء، ومن خلال عرض شيخ الإسلام ابن تيمية يمكن تقسيم الجهمية وهم المنكرون لأسماء الله وصفاته كلياً أو جزئياً إلى ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: الجهمية الخالصة: وهي التي تنفي الأسماء والصفات لله مطلقاً ـ تعالى الله عما يزعمون ـ أو تزعم أن ذلك مجازات لا حقيقة لها.

---

(١) سورة الشورى ١١.

(٢) مجموع الرسائل الكبرى لابن تيمية، ج١، ص ٣٩٣.

الصنف الثاني: الجهمية المعتزلة: وهي التي تنفي الصفات وتقر بالأسماء.

الصنف الثالث: أهل الكلام من الصفاتية: وهم الأشاعرة والماتريدية والكلابية ومن سلك سبيلهم، الذين تأولوا أكثر صفات الله تعالى..»[1].

«ثم إن الجهمية من المعتزلة وغيرهم أدرجوا نفي الصفات في مسمى التوحيد، فصار من قال: إن لله علماً أو قدرة أو أنه يُرى في الآخرة، أو أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق؛ يقولون: إنه مشبه غير موحد..

وزاد عليهم غلاة الفلاسفة والقرامطة، فنفوا أسماءه الحسنى»[2].

قال الإمام الشافعي رحمه الله: «آمنت بالله وبما جاء عن الله، على مراد الله، وآمنت برسول الله ﷺ وبما جاء عن رسول الله ﷺ، على مراد رسول الله ﷺ»[3].

أسماء الله وصفاته:

إن أسماء الله تعالى متضمنة صفاته سبحانه، فكل اسم صفة وليس كل صفة اسم، فالأسماء أعم من الصفات، وبعض الصفات لا يشتق منها أسماء، «وأسماء الرب تعالى هي أسماء ونعوت فإنها دالة على صفات كماله، فلا تنافي فيها بين العلمية والوصفية؛ فالرحمن اسمه تعالى ووصفه، لا تنافي أسميته وصفيته، فمن حيث هو صفة جرى تابعاً على اسم الله، ومن حيث هو اسم ورد في القرآن غير تابع بل ورد الاسم العلم»[4].

وأما الفرق بين الاسم والصفة، فإنه يتضح في كون الأسماء تدل على الذات مع دلالتها على صفات الكمال، أما الصفات فأنها تدل على معنى قائم بالذات فقط[5].

---

(١) الجهمية والمعتزلة، د. ناصر العقل، دار الوطن، ١٤٢١هـ، ص ١٧.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية، ج٣، ص ٩٩، ١٠٠.

(٣) لمعة الاعتقاد، موفق الدين بن قدامة المقدسي، دار ابن خزيمة، الرياض ١٤١٧هـ، ص٣٤.

(٤) بدائع الفوائد لابن القيم، دار الفكر، ج١، ص ٢٤.

(٥) شرح أسماء الله الحسنى، عبد الله الغصن، ص ١٣٩.

الفرق بين الاسم والخبر عن ذات الله:

«إن أسماء الله توقيفية، فلا يسمى الله إلا بما سمى به نفسه في كتابه، أو سماه به رسولهﷺ ، أما الخبر فهو أوسع من الاسم، فلا يلزم أن يكون توقيفياً إذا احتيج إليه، مثل أن ينكر أحد أولية الله وأزليته، .. فإنه يجاب عنه: بأن الله قديم، وذات، وموجود»[1].

قال ابن القيم: «إن ما يطلق على الله في باب الأسماء والصفات توقيفي، وما يطلق عليه من الأخبار لا يجب أن يكون توقيفياً، كالقديم والشيء والموجود والقائم بنفسه»[2]، وكالصانع ومهندس الكون..

الاشتقاق في أسماء الله الحسنى:

والاشتقاق هو: «نزع لفظ من آخر بشرط مناسبتهما معنى وتركيباً ومغايرتهما في الصيغة»[3].

وأسماء الله مشتقة من صفاته وأفعاله، كالسميع والقدير يطلق عليه من السمع والقدرة، وفعلهما، سمعَ وقدرَ. والفعل أوسع من الاسم، ولهذا أطلق الله على نفسه أفعالاً لم يتسم منها بأسماء الفاعل: كأراد، وشاء، وأحدث ولم يتسم بالمريد والشائي والمحدث»[4]ولا يلزم من الإخبار عنه بالفعل مقيداً أن يشتق له منه اسم مطلق كالمضل والفاتن.. وفي الجملة فإن أسماء الله مشتقة، لكن لا يجوز لنا أن نشتق من الفعل، أو من الصفة أسماءً؛ لأن الأسماء توقيفية، فإذا ثبت الاسم بالنص جاز لنا أن نشتق منه صفة وفعلاً»[5].

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية، ج٩، ص ٣٠١.

(٢) مدارج السالكين لابن القيم ج٢، ص ٤١٥.

(٣) لسان العرب لابن منظور، ج ١٠، ص ١٨٤.

(٤) مدارج السالكين، لابن القيم، تحقيق محمد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، ١٣٧٥هـ، ج٣،ص ٤١٥.

(٥) بدائع الفوائد لابن القيم، ج١، ص ٢٦١.

أسماء الله الحسنى التي وردت بخبر الآحاد:

جاءت السنة المطهرة ببيان أسماء الله الحسنى مما ورد في كتاب الله تعالى، أو أسماء لم ترد من قبل، ثم بينت فضل أسماء الله ورد عددها وأن من أحصاها دخل الجنة:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله تعالى تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحدا، من أحصاها دخل الجنة» وفي رواية «وهو وتر يحب الوتر»(١).

قال البيهقي: «وليس في قول النبي ﷺ تسعة وتسعون اسماً نفي غيرها وإنما وقع التخصيص بذكرها لأنها أشهر الأسماء وأبينها معاني. وفيه ورد الخبر أن من أحصاها دخل الجنة.. وذلك يدل على أن المراد بقوله من أحصاها من عدّها. وقيل معناه من أطاقها بحسن المراعاة لها، والمحافظة على حدودها، وفي معاملة الرب بها، وقيل معناه من عرفها وعقل معانيها»(٢).

بل إن السنة وردت بأن أسماء الله الحسنى لا تحد بعدد فمنها ما استأثر الله به في علم الغيب، ومنها ما أخبر به أحداً من خلقه، أومما سمى الله بها نفسه وأنزله في كتابه.

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أصاب أحداً قط هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب إن لله مائة اسم إلا واحدا، ج١٣، ص ٣٧٧.
؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الذكر، باب في أسماء الله تعالى ج ١٧، ص ٥.
الرواية الثاني:
؛ فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب لله مائة اسم غير واحد، ج١١، ص ٢١٤.
؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الذكر، باب في أسماء الله تعالى، ج١٧، ص ٦.
(٢) كتاب الأسماء والصفات للبيهقي، ج١، ص ٣٠.

ماضٍ في حكمك عدل في قضاءك أسألك بكل اسم هو لك: سميت به نفسك أو علمته أحداً من خلقك أو أنزلته في كتابك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وذهاب همي وجلاء حزني. إلا أذهب الله همه وحزنه وأبدله مكانه فرجاً، فقيل يا رسول الله: ألا نتعلمها؟ فقال: بلى ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها»[1].

---

(١) مسند الإمام أحمد، ج١، ٣٩١، واللفظ له عن عبد الله قال حدثني أبي ثنا يزيد أنبأنا فضيل بن مرزوق ثنا أبو سلمة الجهني عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله:

دراسة السند:

عبد الله بن أحمد: ثقة، تقريب التهذيب ج١، ص ٤٠١.

حدثني أبي، أحمد بن حنبل إمام أهل السنة ثقة حافظ، تقريب التهذيب، ج١، ص ٢٤.

حدثنا يزيد. بن هارون روى عنه أحمد بن حنبل وغيره، ثقة حافظ، تهذيب التهذيب، ج١١، ص ٣٢١.

أنبأنا فضيل بن مرزوق: الرقاشي، روى عنه يزيد بن هارون. قال الثوري هو ثقة وكذا الشافعي وابن عيينه، وقال أحمد: لا أعلم إلا خيراً وقال ابن معين صالح الحديث إلا انه شديد التشيع روى عنه الستة، تهذيب التهذيب ج ٨، ص ٢٦٩.

قال الذهبي: وحديثه في عداد الحسن إن شاء الله. سير أعلام النبلاء، ج٧، ص ٣٤٢.

أبو سلمة الجهني: عيسى بن عبد الرحمن البجلي أبو سلمة الكوفي، وليس الجهني، ثقة روى عن القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود وغيره وثقة ابن معين وأبو حاتم وابن مهدي وابن حبان. تهذيب التهذيب، ج٨، ص ١٩٦.

القاسم بن عبد الرحمن: بن عبد الله بن مسعود الكوفي. روى عن أبيه وعن جده مرسلاً ثقة، تهذيب التهذيب، ج٨، ص ٢٨٨.

عن أبيه: عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود روى عن أبيه، وعنه ابنه القاسم روى عنه الستة، ثقة، تهذيب التهذيب، ج٢، ص ١٩٥.

عن عبد الله: ابن مسعود صحابي جليل.

فالحديث صحيح الإسناد.

؛ صحيح ابن حبان، دار الكتب العلمية ح٢٣٧٢، مستدرك الحاكم ج ١، ص ٦٩٠.

؛ عمل اليوم الليل لابن السني، طبع في مصر، ص ٣٤٢.

؛ صحيح الوابل الطيب من الكلم الطيب لابن القيم، تحقيق سليم الهلالي، دار ابن الجوزي، الطبعة الثانية سنة ١٤١٠هـ ص، ٢٠٤ وقال المحقق: وهو حديث صحيح.

ومن أسمائه سبحانه التي جاءت بها السنة:

اسم الله الأعظم:

عن بريدة، أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقول: اللهم إني أسألك بأنك أنت الله، لا إله إلا أنت، الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد، فقال: دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطي، وإذا دعي به أجاب»[1]. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب.

وعن أنس، قال كنت جالساً مع النبي ﷺ في المسجد ورجل يصلي، فقال: «اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت الحنان، المنان، بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم أسألك. فقال النبي ﷺ: دعا الله باسمه الأعظم الذي دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطي»[2] وفيه:

اسم الله الحنان:

واسم الله المنان: وقال أبو عيسى: هذا حديث غريب وقد روي من غير هذا الوجه عن أنس.

الجميل:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن الرسول ﷺ ، قال: «لا يدخل الجنة من

---

(١) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب جامع الدعوات، ج٥، ص ٥١٥.
؛ سنن أبي داود كتاب الوتر، باب الدعاء، ج٢، ص ١٦٧.
؛ مشكاة المصابيح، وقال الألباني: إسناده صحيح، ج١، ص ٧٠٨.

(٢) سنن الترمذي، كتاب الدعوات باب خلق الله مائه رحمة، ج٥، ص ٥٥٠.
؛ سنن أبي داود، كتاب الوتر، باب الدعاء، ج٢، ص ١٦٧.
؛ سنن النسائي، كتاب السهو، باب الدعاء والذكر، ج٣، ص ٥٢.
؛ سنن ابن ماجة، كتاب الدعاء، باب اسم الله الأعظم ج٢، ص ٤٣٦.
؛ مسند الإمام أحمد، ج٣، ص ١٢٠، ١٥٨ وذكر اسم الحنان.
؛ مستدرك الحاكم، وصححه ووافقه الذهبي، كتاب الدعاء، ج١، ص ٦٨٣.

كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، ولا يدخل النار من كان في قلبه ذرة من إيمان، فقال رجل: يا رسول الله، الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً، فقال رسول الله ﷺ : إن الله جميل يحب الجمال. الكبر مَنْ بطر الحق وغمط الناس»(١).

الرفيق:

عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال يا عائشة: «إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق مالا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه»(٢).

قال النووي رحمه الله: «وأما قوله ﷺ إن الله رفيق ففيه تصريح بتسميته سبحانه وتعالى ووصفه برفيق ـ قال المازري.. ومنهم من منعه وللأصوليين المتأخرين خلاف في تسمية الله تعالى بما ثبت عن النبي ﷺ بخبر الآحاد.. ـ قال النووي ـ والصحيح جواز تسمية الله تعالى ـ رفيقاً وغيره ثبت بخبر الواحد وقد قدمنا هذا واضحاً في كتاب الإيمان في حديث إن الله جميل يحب الجمال»(٣).

النّافع الضّار:

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال كنت رديف رسول الله ﷺ فقال لي: رسول الله ﷺ: «يا غلام أو يا بني، ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن قلت: بلى. قال: احفظ الله يحفظك، أحفظ الله تجده تجاهك، تعرف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة. إذا سألت فاسأل الله تعالى، وإذا استعنت فاستعن بالله عز وجل، قد جف القلم بما هو كائن، فلو أن الخلق كلهم جميعاً أرادوا أن ينفعوك بشيء لم يقضه الله لك، لم يقدروا عليه، وإن أرادوا أن يضروك بشيء

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر ج٢، ص ٨٩ وقال النووي: بطر الحق وغمط الناس معناه دفعه وإنكاره واحتقار الناس.
مسند الإمام أحمد، عن أبي ريحانه، ج٤، ص ١٣٤.
(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب البر والصلة، باب فضل الرفق، ج١٦، ص ١٤٦.
(٣) شرح النووي ج١٦، ص ١٤٥.

لم يقضه الله عليك لم يقدروا عليه..»(١)

الحنّان المنّان:

«وهو الواسع الرحمة، وقد يكون المبالغ في إكرام أهل طاعته إذا وافوا دار القرار، لأن من حنّ من الناس إلى غيره أكرمه عند لقائه، وكلف به عند قدومه»(٢).

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «إن رجلاً في النار ينادي ألف سنة يا حنّان يا منّان، فيقول الله عز وجل لجبريل عليه السلام: اذهب فائتني بعبدي هذا، فذهب جبريل عليه السلام فوجد أهل النار منكبين يبكون. قال: فرجع فأخبر ربه. قال: اذهب إليه فائتني به فإنه في مكان كذا وكذا. قال: فذهب فجاء به قال: يا عبدي كيف وجدت مكانك ومقيلك؟ قال: يا رب شر مكان وشر مقيل. قال: ردوا عبدي. قال: ما كانت أرجو أن تعيدني إليها بعد إذ أخرجتني منها، قال الله تعالى لملائكته دعوا عبدي»(٣).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «مر النبي ﷺ بأبي عياش زيد بن الصامت الزرّقي وهو يصلي وهو يقول: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت، يا حنّان يا منّان، يا بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، فقال رسول الله ﷺ ، لقد سألت الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى»(٤)

---

(١) مسند الإمام أحمد، ج١، ص٣٠٣.
؛ سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة، ج٤، ص ٦٦٧.
قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي، ج١، ص ٢٠٧.

(٣) مسند الإمام أحمد ج٣، ص ٢٣٠.
؛ مجمع الزوائد للهيثمي، وقال: رواه الطبراني في الأوسط، وإسناده حسن ج١٠، ص ١٦٠.

(٤) مسند الإمام أحمد، ج٣، ص ١٥٨.
؛ سنن الترمذي، كتاب الدعوات، ج٥، ص ٥٥٠،؛ الترغيب والترهيب للمنذري، وقال

المقدم والمؤخر:

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه. قال: «كان رسول الله ﷺ يدعو بهذا الدعاء: اللهم اغفر لي خطأي وجهلي وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي خطأي وعمدي وجهلي، وجدي وهزلي، وكل ذلك عندي، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر، وأنت على كل شيء قدير»(١).

قيمّ السموات والأرض:

رب السموات والأرض وما فيهن:

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كان النبي ﷺ إذا تهجد من الليل يدعو «اللهم لك الحمد أنت رب السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد، أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن، أنت الحق وقولك الحق ووعدك حق، ولقاؤك حق والجنة حق، والنار حق والساعة حق، اللهم لك أسلمت، وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت أنت إلهي لا إله إلا أنت»(٢).

السيد:

عن عبد الله بن الشخير، قال: انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ فقلنا أنت سيدنا. فقال رسول الله ﷺ : «السيد الله. قلنا: فأفضلنا فضلاً وأعظمنا

رواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح على شرط مسلم، ج٢، ص ٤٨٦؛ المستدرك للحاكم وصححه ووافقه الذهبي ج١، ص ٦٨٣.

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب قول النبي ﷺ اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، ج١١، ص ١٩٦.

؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الذكر، باب الأدعية، ج١٧، ص ٤٠.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء إذا انتبه من الليل ج ١١، ص ١١٦.

طولاً. فقال ﷺ : قولوا بقولكم أو ببعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان»[1] قال الشيخ الخطابي: قوله السيد الله: يريد أن السؤدد حقيقة لله عز وجل، وأن الخلق كلهم عبيده.

الصانع:

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل صنع كل صانع وصنعته»[2]، وهذا مما يجوز الإخبار به عن الله تعالى، وليست أسماء توقيفية.

عالم الغيب والشهادة:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: هذا ما كتب لي رسول الله ﷺ قال: فنظرت فإذا فيها «إن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال: يا رسول الله ما أقول إذا أصبحت وإذا أمسيت، فقال ﷺ: يا أبا بكر قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة، لا إله إلا أنت رب كل شيء ومليكه، أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر الشيطان وشركه، وأن أقترف على نفسي سوءاً أو أجرّة على مسلم»[3].

المعطي المانع:

عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، قال: إن رسول الله ﷺ كان يقول في دبر صلاته: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد»[4].

---

(١) مسند الإمام أحمد. ج٤، ص ٢٥.
؛ سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب كراهية التمادح، ج٥، ص ١٥٤.
؛ مشكاة المصابيح، وقال الألباني: إسناده صحيح، ج ٣، ص ١٣٧٣ .

(٢) المستدرك للحاكم وصححه ووافقه الذهبي ج١، ص ٨٥؛ خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل للإمام البخاري، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤١١هـ، بيروت، ص ٢٥، وانظر البحث ص ٧٥٥ ـ ٧٦٤.

(٣) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب منه، ج٥، ص ٤٦٧. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة ج٥، ص ٩٠.

الخافض الرافع:

عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[(1)] قال من شأنه أن يغفر ويفرج كرباً ويرفع قوماً ويخفض آخرين»[(2)].

الديّان:

عن عبد الله بن أنيس رضي الله عنه، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يحشر الله تعالى العباد ـ أو قال الناس ـ عراة بهماً قال: قلنا ما بهما؟ قال ليس معهم شيء ثم يناديهم. فذكر كلمة أراد بها نداء يسمعه من قرب: أنا الملك أنا الديّان لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وعنده مظلمة حتى أقصه منه حتى اللطمة. قال: قلنا: كيف وإنما نأتي الله تعالى غرلاً بهما؟ قال: بالحسنات والسيئات، قال وتلا رسول الله ﷺ: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ﴾[(3)]، [(4)].

وعن أبي قلابة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «البر لا يبلى، والإثم لا ينسى، والديّان لا يموت، فكن كما شئت، كما تدين تدان»[(5)]

؛ فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب الذكر بعد الصلاة ج٢، ص ٣٢٥

(١) سورة الرحمن ٢٩.

(٢) سنن ابن ماجة، المقدمة، باب فيما انكرت الجهمية، ج١، ص ٨٩.
؛ فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب التفسير، تفسير سورة الرحمن، ج٨، ص ٦٢٠.
؛ تفسير ابن كثير، ج٤، ص ٢٤٠، وقد أورده مرفوعاً عن أبي حاتم وابن عساكر ثم قال: وقد روي موقوفاً كما علقه البخاري في صحيحه بصيغة الجزم.

(٣) سورة غافر ٢٧ .

(٤) مسند الإمام أحمد، ج٣، ص ٤٩٥؛ المستدرك للحاكم وصححه ووافقه الذهبي ج٢، ص ٤٧٥.

(٥) كنز العمال، علاء الدين علي الهندي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج١٦، ص ١٣؛ وانظر الأسماء والصفات للبيهقي ج١، ص ١٤٠ وقال: هذا مرسل.

وعن عبد الله بن أنيس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك أنا الديّان»(١).

ومن أسماء الله عز وجل: المعين:

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، أن النبي ﷺ أخذ بيده وقال: «يا معاذ والله إني لأحبك، أوصيك يا معاذ لا تَدعنّ في دبر كل صلاة تقول: «اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كان النبي ﷺ يدعو يقول: «ربِّ أعني ولا تعن عليّ، وانصرني ولا تنصر علي،، وامكر لي ولا تمكر عليّ، واهدني ويسر الهدى لي، وانصرني على من بغى علي، رب اجعلني لك شكاراً، لك ذكاراً، لك رهاباً، لك طواعاً، لك مخبتاً، إليك أواهاً منيباً، رب تقبل توبتي، واغسل حوبتي، وأجب دعوتي، وثبت حجتي، وسدد لساني، واهد قلبي، واسلل سخينة صدري»(٣). وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: «كنت مع النبي ﷺ في حائط من حيطان المدينة، فجاء رجل فاستفتح، فقال النبي ﷺ: افتح له وبشره بالجنة، ففتحت له، فإذا هو

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى ج١٣، ص ٤٥٣.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب في الاستغفار، ج٢، ص ١٨١.
؛ سنن النسائي، كتاب الأذكار، باب الدعاء بعد الذكر، ج٣، ٤٥.
؛ مسند الإمام أحمد ص ٢٤٥، ٢٤٧.
؛ مستدرك الحاكم وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، ج١، ص ٤٠٧.

(٣) سنن الترمذي، كتاب الدعوت، باب دعاء النبي ﷺ، ج٥، ص ٥٥٤ وسخينة صدري: غشه وحقده وغله. المحقق.
؛ سنن ابن ماجة، كتاب الدعاء، باب دعاء النبي ﷺ، ج٢، ص ١٢٥٩.
؛ مسند الإمام أحمد، ج٧، ص ٢٢٧.
؛ كتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجل وصفاته، للحافظ محمد بن إسحق بن منده، تحقيق د. علي فقيهي مطابع الجامعة الإسلامية، ١٤٠٩، ج٢، ص ١٨٥.

أبو بكر فبشرته بما قالﷺ، فحمد الله.. ثم استفتح رجل، فقال افتح له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه، فإذا هو عثمان، فأخبرته بما قال رسول الله ﷺ، فحمد الله، ثم قال: الله المستعان»(١).

ومن أسمائه عز وجل: السبوح:

عن مطرّف بن عبد الله بن الشخير قال: إن عائشةرضي الله عنها قالت إن رسول الله ﷺ، كان يقول في ركوعه وسجوده: «سبوح قدوس رب الملائكة والروح»(٢).

ومن أسمائه عز وجل: الجواد:

عن سعد بن أبي وقاص قال: قال النبيﷺ «إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم جواد يحب الجود، فنظفوا بيوتكم، ولا تشبهوا باليهود التي تجمع الأكناف في دورها». قال أبو عيسى: هذا حديث غريب(٣).

ومن أسمائه عز وجل: الربّ:

عن ابن عباسرضي الله عنهما، قال: كشف رسول الله ﷺ الستارة والناس صفوف خلف أبي بكر، فقال أيها الناس: إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له ألا وأني نهيت أن أقرأ القرآن راكعاً أو ساجداً فأما الركوع فعظموا فيه الربَّ عز وجل وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمررضي الله عنه، ج٧، ص ٤٣.
؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب فضائل الصحابة، ج١٥، ص ١٧٠.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود ج ٤، ص ٢٠٤.

(٣) سنن الترمذي، كتاب الأدب، باب ما جاء في النظافة، ج٥، ص ١١١؛ مشكاة المصابيح وحسنه الألباني، ج٢، ص ١٢٧٢.
؛ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، مكتبة الخانجي ومطبعة السعادة ١٣٥١هـ، ج٥، ص ٢٩. وصححه الألباني في صحيح الجامع ج١، ص ٣٥٩.

أن يستجاب لكم»[1]. وقد ورد ذكر الرب في القرآن مضافاً، وورد في السنة معرفاً.

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ، قال: «السواك مطهرة للفم مرضاة للرب»[2].

اسم الله عز وجل: الستّير:

عن يعلى بن أمية، أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يغتسل بالبراز[3] بلا إزار، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال ﷺ: «إن الله عز وجل حي ستير [يحب الحياء والستر] فإذا اغتسل أحدكم فليستتر»[4].

أسم الله عز وجل: الشافي:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: «كان ﷺ إذا اشتكى إنسان مسحه بيمينه ثم قال: «اللهم رب الناس، مذهب البأس، اشف أنت الشافي، لا شافي إلا أنت، شفاء لا يغادر سقماً»[5].

وقد ورد في كتاب الله تعالى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠﴾[6] غير أن الحديث قد بين أن الشفاء من الله تعالى من جهة الرقية الشرعية، وفي هذا زيادة بيان.

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الصلاة، باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع، ج٤، ص ١٩٦.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الصيام، باب سواك الصائم، ج٤، ص ١٥.

(٣) البراز: الفضاء الواسع، مشكاة المصابيح، ج١، ص ٨٩.

(٤) سنن أبي داود، كتاب اللباس، باب النهي عن التعري، ج٤، ص ٣٠٢، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح ج١، ص ١٣٩.

؛ سنن النسائي،كتاب الغسل والتيمم، باب الاستتار عند الاغتسال، ج١، ص ٢٠٠.

؛ مسند الإمام أحمد، ج٤، ص ٢٢٤.

؛ صحيح الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي ط الثانية ١٤٠٦ ج ١ ص ٣٦١.

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الطب، باب رقية النبي ﷺ، ج١٠، ص ٢١٦. صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب السلام، باب استحباب رقية المريض عن عائشة رضي الله عنها ج١٤، ص ١٨٠.

(٦) سورة الشعراء آية ٨٠.

اسم الله عز وجل: الرازق والمسعِّر:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال الناس: يا رسول الله غلا السعر فسعِّر لنا، فقال رسول الله ﷺ: «إن الله هو المسعِّر القابض الباسط الرازق، وإني لأرجو أن ألقى الله وليس أحد منكم يطالبني بمظلمة في دم ولا مال»[1].

قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح.

حييٌ كريم:

عن سلمان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله حييٌ كريم يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفراً أو قال خائبتين»[2]. قال أبو عيسى، هذا حديث حسن غريب.

الله الطبيب:

عن أبي رمثة رضي الله عنه، قال: أتيت النبي ﷺ مع أبي فرأى التي بظهره قال: يا رسول الله ألا أعالجها فإني طبيب؟ قال ﷺ «أنت رفيق والله الطبيب..»[3].

الرفيق الأعلى:

عن عائشة رضي الله عنها، قالت: إن رسول الله ﷺ كان إذا دخل على مريض وضع

---

(١) سنن أبي داود، كتاب البيوع، باب في التسعير، ج٣، ص ٧٣١.
؛ سنن الترمذي، كتاب البيوع، باب في التسعير، ج٣، ص ٥٩٦.
؛ سنن ابن ماجة كتاب التجارات، باب من كره أن يسعر، ج٢، ص٢٠.

(٢) سنن الترمذي كتاب الدعوات، ج٥، ص ٥٥٦.
؛ سنن ابن ماجة، باب الدعاء ورفع اليدين، ج٢، ص ٤٤٠.
؛ مسند الإمام أحمد، ج٥، ص ٤٢٨، ج٦، ص ٣١٤.
؛ الترغيب والترهيب للمنذري وقال: رواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم، ج٢، ص ٤٨.
؛ المستدرك للحاكم وصححه ووافقه الذهبي ج١، ص ٦٧٥.

(٣) مسند الإمام أحمد، ج ٢، ص ٢٢٨،
؛ سنن أبي داود، كتاب الديات، باب لا يؤخذ بجريرة أخيه، ج٤، ص ٦٣٥.
؛ مشكاة المصابيح، وقال الألباني: وإسناده جيد. ج٢، ص ١٠٣٢.

يده حيث يشتكي ثم يقول: «أذهب الباس رب الناس أشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقماً. قالت رضي الله عنها: فلما مرض النبي ﷺ وضعت يدي عليه وذهبت أقول ذلك فدفعني، وقال: اللهم الرفيق الأعلى، اللهم الرفيق الأعلى»[1].

وبعد: فهذه جملة من أسماء الله سبحانه وتعالى والتي وردت على لسان نبي الهدى ﷺ، ولم ترد في كتاب الله أو مبينة لما ورد في كتاب الله تعالى، وقد أُعترض على حديث تعداد أسماء الله في سنن الترمذي وضعّفه العلماء في إسناده. غير أن ابن حجر رحمه الله قد جمع ما ورد في حديث الترمذي من أسماء الله في كتابه فكانت تسعة وتسعين أسماً.

وقد ورد في القرآن أفعال أطلقها الله عز وجل على نفسه، لكن لا يجوز أن يشتق لله تعالى منها أسماء، ومن أسماء الله ما لا يطلق إلا مقترناً بما يقابله. كالخافض الرافع..[2] وفيما يلي ذكر صفات الله تعالي التي لم ترد في كتاب الله أو السنة المتواترة والتي أنكر المخالفون حجية دلالتها من السنة.

صفات الله سبحانه الثابتة بخبر الآحاد التي أنكر حجيتها المخالفون

جاء ذكر صفات الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز، مبينة في سنة نبيه ﷺ وقد جاءت صفات أخرى في السنة لم تذكر في القرآن، وهما مصدرا التلقي عند أهل السنة والجماعة الذين آمنوا بما جاء عن الله وبما جاء عن رسوله ﷺ أما هؤلاء الجهمية جفاة الأسماء والصفات، والذين يؤصلون لأنفسهم توحيداً ينفي الصفات عن الله أو الأسماء والصفات أو الذين يؤولون الصفات إلا سبعاً وسمّوها صفات المعاني وقالوا: هي لا معدومة ولا موجودة «فأما احتجاج

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب السلام، باب استحباب رقية المريض ج ١٤، ص ١٨٠.

(٢) العقيدة في الله، د. عمر الأشقر، ٢١٠ - ٢١٥.

؛ وانظر تلخيص الحبير لابن حجر العسقلاني تحقيق عبد الله هاشم اليماني، طبعة مصر، ج٤، ص ١٧٢.

الجهمية على أهل السنة والآثار في هذا النحو بقوله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ﴾[1] فمن القائل إن لخالقنا مثلاً أو أن له شبها؟!.

وهذا من التمويه على الناس الجهال يوهمونهم أن من وصف الله بما وصف به نفسه في محكم تنزيله أو على لسان نبيه ﷺ فقد شبه الخالق بالمخلوق، وكيف يكون خلقه مثله - يا ذوي الحجا - يقول الله لم يزل والخلق محدث مربوب، والله الرزاق والخلق مرزوقون والله الدائم الباقي وخلقه هالك غير باق، والله الغني عن جميع خلقه والخلق كلهم فقراء إلى خالقهم. وليس في تسميتنا بعض الخلق ببعض الأسامي بموجب عند العقلاء الذين يعقلون عن الله خطابه أن يقال أنكم شبهتم الله بخلقه إذا أوقعتم بعض أسامي الله على بعض خلقه.

أليس قد أعلمنا منزل القرآن على نبيه ﷺ أنه الملك، وسمى بعض عبيده ملكاً؛ وأخبر أنه السلام وسمى تحية المؤمنين بينهم سلاماً في الدنيا وفي الجنة، فقال تعالى ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾[2][3].

والله سبحانه يثبت في كتابه، ويخبرنا نبيه ﷺ أن عباده يرونه وينظرون إليه ويُسرّون ويعدّون لذة النظر إلى وجهه الكريم مطلباً وفوزاً، وقال المفسرون: إن الزيادة والمزيد في القرآن هي النظر إلى وجهه الكريم، في قوله تعالى ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[4] و﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾[5]. وأن الله يكلمهم ويحييّهم بتحية الإسلام يوم يلقونه، وهؤلاء ينكرون هذا ويعدون القائلين به مشبهة، فيا سبحان الله! ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾[6].

---

(١) سورة الشورى ١١.

(٢) سورة الأحزاب ٤٤.

(٣) كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل لإمام الأئمة محمد بن اسحق بن خزيمة، تحقيق الشيخ محمد الهراس، ص ٢٨.

(٤) سورة يونس ٢٦؛ وانظر تفسير ابن كثير ج ٢، ص ٣٥٧.

(٥) سورة ق آية ٣٥؛ وانظر تفسير ابن كثير ج٤، ص ٢٠١.

(٦) سورة الحج ٤٦.

إن ذات الله سبحانه لا يجحدها إلا من طمس الله قلبه وأعمى بصيرته كالفلاسفة، فقد جاء إثباتها في السنة .

فعن أبي هريرةرضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «لم يكذب إبراهيم النبي عليه السلام قط إلا ثلاث كذبات اثنتين في ذات الله، قوله: إني سقيم، وقوله: بل فعله كبيرهم هذا، وواحدة في شأن سارة، وكانت أحسن الناس فقال لها: إن هذا الجبار إن يعلم أنك امرأتي يغلبني عليك، فإن سألك فأخبريه أنك أختي، فإنك أختي في الإسلام..»[1].

قال النووي: «قال العلماء: والواحدة التي في شأن سارة هي أيضاً في ذات الله تعالى، لأنها سبب دفع كافر ظالم عن مواقعة فاحشة عظيمة.. وإنما خص الثنتين بأنهما في ذات الله تعالى لكون الثالثة تضمنت نفعاً له وحظاً مع كونها في ذات الله تعالى، وذكروا في قوله إني سقيم أي سأسقم لأن الإنسان عرضة للأسقام، وأراد بذلك الاعتذار عن الخروج معهم إلى عيدهم وشهود باطلهم وكفرهم.

وأما قوله بل فعله كبيرهم أنه جعل النطق شرطاً لفعل كبيرهم أي فعله كبيرهم إن كانوا ينطقون»[2].

وعن أبي هريرةرضي الله عنه، قال: «بعث رسول الله ﷺ عشرة منهم خبيب الأنصاري.. فلما خرجوا من الحرم ليقتلوه قال خبيبرضي الله عنه:

ولست أبالي حين أقتل مسلماً ... على أي شق كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وأن يشأ ... يبارك على أوصال شلو ممزع

فقتله ابن الحارث، فأخبر النبي ﷺ أصحابه خبرهم يوم أصيبوا»[3].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الفضائل، باب، فضائل إبراهيم الخليل ﷺ ج١٥، ص ١٢٣.

(٢) شرح النووي، ج١٥، ص ١٢٤، ١٢٥.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب ما يذكر في الذات، والنعوت وأسامي الله عز وجل، ج١٣، ص ٣٨١.

وحيث أن ذات الله سبحانه وتعالي ثابتة لا يتمارى فيها العقلاء فإنها تقتضي صفاتٍ لائقة بجلاله فمنها:

تمدح الله سبحانه وغيرته:

عن عبد الله بن مسعودﷺ، عن النبيﷺ قال: «ما من أحد أغير من الله، من أجل ذلك حرم الله الفواحش، وما أحد أحب إليه المدح من الله»(١).

صورة الرحمن:

عن أبي هريرةﷺ، قال: إن الناس قالوا للنبيﷺ: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: فإنكم ترونه كذلك، يحشر الناس يوم القيامة فيقال: من كان يعبد شيئاً فليتبعه، فمنهم من يتبع الشمس، ومنهم من يتبع القمر، ومنهم من يتبع الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله تبارك في غير صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا.، فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، ويدعوهم، ويضرب الصراط بين ظهري جهنم، فأكون أول من يجيز بأمتي من الرسل...»(٢).

قال النووي رحمه الله: «فالمراد بالصورة هنا الصفة المعلومة للمؤمنين وهي أنه لا يشبهه شيء، ومعناه فيتجلى الله سبحانه وتعالى لهم على الصفة التي يعلمونها ويعرفونه بها.. وإنما عُبر بالصورة عن الصفة لمشابهتها إياها ولمجانسة الكلام»(٣).

---

(١) نفس المصدر، ج١٣، ص ٣٨٣.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة ج ١٣، ص ٤١٩.

؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين لربهم سبحانه وتعالى، ج٣، ص ١٧.

(٣) شرح النووي، ج٣، ص ٢٠

صفة الكبرياء:

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن»[1].

قال الشيخ أبو سليمان الخطابي: قوله «رداء الكبرياء، يريد به صفة الكبرياء فهو بكبريائه وعظمته لا يريد أن يراه أحد من خلقه بعد رؤية يوم القيامة، حتى يأذن لهم بدخول جنة عدن، فإذا دخلوها أراد أن يروه فيروه في جنة عدن»[2].

سبحات وجهه، وحجابه النور:

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: «قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات، فقال: إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور ـ وفي رواية النار ـ لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»[3].

قال النووي، معنى سبحات وجهه نوره وجلاله وبهاؤه، وأما الحجاب فأصله في اللغة المنع والستر.. والمراد هنا المانع من رؤيته وسمي ذلك المانع نوراً أو ناراً لأنهما يمنعان من الإدراك في العادة لشعاعهما»[4].

رحمة الله بعباده:

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ رأى امرأة من السبي قد أخذت صبياً لها فألصقته إلى صدرها وأرضعته، فقال النبي ﷺ: «أترون هذه تلقي ولدها

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين لربهم سبحانه وتعالى ج٣، ص ١٥ قال النووي: عبر صلى الله عليه وسلم عن زوال المانع ورفعه عن الأبصار بإزالة الرداء.

(٢) كتاب الأسماء والصفات للبيهقي، ج٢، ص ٢٧.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان،باب ما جاء في رؤية الله عز وجل، ج٣، ص ١٢.

(٤) شرح النووي، ج٣، ص ١٤.

في النار وهي تقدر على ذلك؟ قالوا: لا، قالﷺ: فوالله لله أرحم بعباده من هذه بولدها»[1].

وعن أنس بن مالكرضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ليصيبن أقواماً سفع من النار بذنوب أصابوها عقوبة ثم يدخلهم الله الجنة بفضل رحمته، يقال لهم الجهنميون».. سفعته النار أي لفحته لفحاً يسيراً.[2]

وقد ذكر الله سبحانه صفة الرحمة في كتابه في مواضع عدة وأنه الرؤوف الرحيم، لكن المتكلمين الصفاتية لا يثبتون الرحمة والغضب ويقولون: «هي إرادته الإثابة للمطيع ومنفعة العبد تسمى رضا ورحمة، وإرادته عقاب العاصي وخذلانه تسمى غضباً، وإرادته سبحانه صفة له قديمة يريد بها جميع المرادات»[3] وهكذا فهم لا يثبتون إلا سبعاً من الصفات ثم يؤولون صفات الله الواردة في الكتاب وسنة رسولهﷺ.

قال ابن كثير: «قوله تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ أي في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فإنه هداهم إلى الحق الذي جهله غيرهم، وبصرهم الطريق الذي ضل عنه وحاد عنه سواهم من الدعاة إلى الكفر أو البدعة، وأما رحمته بهم في الآخرة فأمنه من الفزع الأكبر وأمر ملائكته يتلقونهم بالبشارة بالفوز بالجنة والنجاة من النار وما ذاك إلا لمحبته لهم ورأفته بهم»[4].

إثبات صفة الفرح:

عن عبد الله بن مسعودرضي الله عنه، قال: إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه فقال به

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد، ج١٠، ص ٤٢٦. ؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب سعة رحمة الله تعالى وإنها تغلب غضبه ج١٧، ص ٧٠.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب التوحيد باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ج١٣، ص ٤٣٤.

(٣) شرح النووي، ج١٧، ص ٨٧.

(٤) تفسير ابن كثير، ج٣، ص ٤٢٣.

هكذا.. ثم قال: قال رسول الله ﷺ «لله أفرح بتوبة العبد من رجل نزل منزلاً وبه مهلكة ومعه راحلته عليها طعامه وشرابه، فوضع رأسه فنام نومة، فاستيقظ وقد ذهبت راحلته حتى اشتد عليه الحر والعطش أو ما شاء الله، قال: أرجع إلى مكاني، فرجع فنام نومة ثم رفع رأسه، فإذا راحلته عنده. وزاد مسلم عن أنس قوله: فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها، فبينا هو كذلك إذا بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح»[(١)].

قال الشيخ الهراس: «وفي هذا الحديث إثبات صفة الفرح لله عز وجل، والكلام فيه كالكلام في غيره من الصفات: أنه صفة حقيقية لله عز وجل، على ما يليق به، وهو من صفات الفعل التابعة لمشيئته تعالى وقدرته، فيحدث له هذا المعنى المعبر عنه بالفرح عندما يُحدثُ عبده التوبة والإنابة إليه، وهو مستلزم لرضاه عن عبده التائب.

وأما تفسير الفرح بلازمه، وهو الرضى، وتفسير الرضى بإرادة الثواب؛ فكل ذلك نفي وتعطيل لفرحه ورضاه سبحانه، أوجبه سوء ظن هؤلاء المعطلة بربهم، حيث توهموا أن هذه المعاني تكون فيه كما هي في المخلوق، تعالى الله عن تشبيههم وتعطيلهم»[(٢)].

إثبات صفة الضحك:

عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال: يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة، يقاتل هذا في سبيل الله فيُقتل، ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد»[(٣)]. قال ابن الجوزي: «والسلف يمتنعون من تأويل مثل هذا ويمرّونه

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب التوبة، ج١١، ص١٠٢.
صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، ص ٦١، ٦٣، ٦٤.

(٢) شرح العقيدة الواسطية، لابن تيمية، للشيخ الهراس، ص ١٦٦.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب الكافر يقتل المسلم، ثم يسلم فيسدد بعد ويقتل، ج٦، ص ٣٩.

كما جاء، وينبغي أن يراعى في مثل هذا الإمرار اعتقاد أنه لا تشبه صفات الله صفات الخلق. ـ وزاد المحقق ـ وهذا هو الصواب الذي جرت عليه الملة وعمل عليه أئمتها من العصر النبوي إلى زمن الأئمة المتبوعين، والخروج عن هذه الطريقة إلى التأويل عدول عن طريقة الصحابة والتابعين»[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: أتى رجل رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، أصابني الجهد. فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئاً، فقال رسول الله ﷺ: «ألا رجل يضيفه الليلة يرحمه الله؟ فقام رجل من الأنصار، فقال: أنا يا رسول الله. فذهب إلى أهله فقال لامرأته: ضيف رسول الله ﷺ لا تدخريه شيئاً. فقالت: والله ما عندي إلا قوت الصبية. قال: فإذا أراد الصبية العشاء فنوميهم، وتعالي فأطفيء السراج، ونطوي بطوننا الليلة، ففعلت. ثم غدا الرجل على رسول الله ﷺ فقال: لقد عجب الله عز وجل أو ضحك من صنيعكما بضيفكما الليلة فأنزل الله عز وجل ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[2][3].

وقد روى البخاري ومسلم، حديث يوم القيامة الطويل، ومجيء الله سبحانه للقضاء بين العباد. عن أبي هريرة رضي الله عنه «أن الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة.. ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد، وبقى رجل مقبل بوجهه على النار هو آخر أهل النار دخولاً الجنة، فيقول أي ربِّ اصرف وجهي عن النار، فإنه قد قشبني[4] ريحها وأحرقني ذكاؤها، فيدعو الله ما شاء أن يدعوه، ثم يقول الله هل عسيت إن أعطيت ذلك أن تسألني غيره؟ فيقول: لا وعزتك لا أسألك

؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإمارة، باب بيان أن الرجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة، ج١٣، ص ٣٦.

(١) فتح الباري، تحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - ج٦، ص ٤٠.

(٢) الحشر ٩.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ويؤثرون على أنفسهم، ج٨، ص ٦٣١.

(٤) قال النووي: قشبني معناه سمني واذاني وأهلكني، وذكاؤها معناه لهبها واشتعالها: شرح النووي، ج٣، ص ٢٣.

غيره ويعطي ربه من عهود ومواثيق ما شاء، فيصرف الله وجهه عن النار، فإذا أقبل على الجنة ورآها، سكت ما شاء أن يسكت..

فيقول أي رب لا أكون أشقى خلقك فلا يزال يدعو حتى يضحك الله منه. فإذ ضحك منه قال له ادخل الجنة، فإذا دخلها قال الله له تمنّه فسأل ربه وتمنى، حتى إن الله ليذكِّره، يقول: كذا وكذا حتى انقطعت به الأماني، قال الله: ذلك لك ومثله معه»[١].

وفي رواية عند مسلم من حديث عبد الله بن مسعود: - إن الله يقول لهذا الرجل - «أيرضيك أن أعطيتك الدنيا ومثلها معها؟ فيقول يا رب: أتستهزئ مني، وأنت رب العالمين؟ وضحك رسول الله ﷺ فقالوا: مما تضحك يا رسول الله؟ قال: من ضحك رب العالمين حين قال: أتستهزئ مني، وأنت رب العالمين؟ فيقول: إني لا استهزئ منك، ولكني على ما شاء الله قادر»[٢].

«وهو سبحانه يضحك متى شاء، وكيف شاء، نؤمن بذلك ونصدقه ولا ندري كيفيته، ولسنا مطالبين بأن ندري »[٣].

إثبات صفة العجب:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل»[٤].

قال ابن الجوزي: «معناه أنهم أُسروا وقيدوا، فلما عرفوا صحة الإسلام

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب وجوه يومئذ ناضرة، ج ١٣، ص٤٢٠،

؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان باب معرفة طريقة الرؤية، ج٣، ص ١٧ - ٢٤.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الإيمان، باب آخر أهل النار خروجاً ج ١، ص ٤٢، ٤٣.

(٣) العقيدة في الله، د. عمر الأشقر، ص ١٩٣.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب الأسارى في السلاسل، ج٦، ص ١٤٥.

دخلوا طوعاً فدخلوا الجنة، فكان الإكراه على الأسر والتقييد هو السبب الأول.. ولما كان هو السبب في دخول الجنة أقام المسبب مقام السبب»[1].

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يعجب ربك من راعي غنم في رأس شظية للجبل، يؤذن بالصلاة ويصلي؛ فيقول الله عز وجل: انظروا إلى عبدي هذا يؤذن ويقيم الصلاة، يخاف مني قد غفرت لعبدي، وأدخلته الجنة»[2].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «عجب ربنا من رجل غزا في سبيل الله فانهزم ـ يعني أصحابه ـ فعلم ما عليه، فرجع حتى أهريق دمه، فيقول الله تعالى لملائكته: انظروا إلى عبدي رجع رغبة فيما عندي، وشفقة مما عندي، حتى أُهريق دمه»[3].

وعن عقبه بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يعجب ربك من شاب ليست له صبوه»[4].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يعجب ربك من عبده إذا ثار من فراشة ووطائه إلى الصلاة»[5].

---

(١) فتح الباري، ج٦، ص ١٤٥.

(٢) سنن أبي داود، كتاب صلاة المسافر، باب الآذان في السفر، ج٢، ص ٩.
وقال محقق السنن: «قال المنذري رجاله ثقات، والشظية هي الصخرة العظيمة الخارجة من الجبل كأنها أنف الجبل»، نفس المصدر.
؛ سنن النسائي كتاب الأذان، باب الآذان لمن يصلي وحده، ج٥، ص ٢٠.
؛ مشكاة المصابيح، تحقيق الشيخ الألباني وقال: إسناده حسن، ج١، ص ٢١٠.

(٣) سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في الرجل يشري نفسه، ج٣، ص ٤٢.
؛ المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وله شاهد بإسناد صحيح عن أبي ذر ج٢، ص ١٢٣.

(٤) مسند الإمام أحمد ج٤، ص ١٥١.
؛ كشف الخفاء ومزيل الإلباس للعجلوني، دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٣٥١هـ، ج١، ص ٢٤٦. وقال: إسناده حسن.

(٥) مسند الإمام أحمد، ج١، ص ٤١٦.
؛ الجامع الأزهر للمناوي، وقال، إسناده حسن، ج٢، ص ٢٣.

قال ابن القيم «والتعجب كما يدل على محبة الله للفعل نحو عجب ربك من شاب ليست له صبوة، ويعجب ربك من رجل ثار من فراشه ووطائه إلى الصلاة ونحو ذلك. فقد يدل على بغض الفعل نحو قوله: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾[1] وقوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾[2]، وقوله: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ﴾[3]. وقد يدل على امتناع الحكم وعدم حسنه ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ﴾[4] وقد يدل على حسن المنع منه وأنه لا يليق به فعله نحو: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾[5][6].

قال الشهرساتني: وهو يتحدث عن منهج الإمام مالك والإمام أحمد وغيرهما من أئمة السلف: قالوا: «إنا توقفنا في تأويل الآيات لأمرين:

أحدهما: المنع الوارد في التنزيل في سورة آل عمران حيث وصف المؤولين بالزيغ فنحن نحذر الزيغ.

ثانيهما: إن التأويل أمر مظنون بالاتفاق والقول بالظن في صفات الباري غير جائز، فربما أولنا الآية على غير مراد الله الباري تعالى فوقعنا في الزيغ»[7].

صفة القدم لله تعالى:

صفة الرجل لله تعالى:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض

---

(١) سورة الرعد ٥.

(٢) سورة البقرة ٢٨.

(٣) سورة آل عمران ١٠١.

(٤) سورة التوبة ٧.

(٥) سورة آل عمران ٨٦.

(٦) بدائع الفوائد لأبن القيم، ج٤، ص ٨ واستشهد بحديث ابن مسعود رضي الله عنه السابق.

(٧) الملل والنحل للشهرستاني، ج١، ص ١٤.

وتقول قط قط بعزتك وكرمك. ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقاً فيسكنهم فضل الجنة»[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: «تحاجت الجنة والنار، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: مالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم، قال الله تبارك وتعالى للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي، ولكل واحد منهما ملؤها، فأما النار فلا تمتلئ، حتى يضع رجله فتقول قط قط فهنالك تمتلئ ويزوى بعضها إلى بعض، ولا يظلم الله عز وجل من خلقه أحداً، وأما الجنة فإن الله عز وجل ينشئ لها خلقاً»[2].

قال أبو سليمان الخطابي: «فيشبه أن يكون من ذكر القدم والرجل وترك الإضافة إنما تركها تهيباً لها وطلباً للسلامة من خطأ التأويل فيها..

ونحن أحرى بأن لا نتقدم فيما تأخر عنه من هو أكثر علماً وأقدم زماناً وسناً. ولكن الزمان الذي نحن فيه قد صار أهله حزبين، منكر لما يروى من نوع هذه الأحاديث رأسا ومكذباً به أصلاً، وفي ذلك تكذيب العلماء الذين رووا هذه الأحاديث، وهم أئمة الدين ونقلة السنن، والواسطة بيننا وبين رسول الله ﷺ. والطائفة الأخرى مسلِّمة للرواية فيها ذاهبة في تحقيق الظاهر منها مذهبا.. فيحق علينا.. تأويلاً يخرج على معاني أصول الدين ومذاهب العلماء، ولا نبطل الرواية أصلا»[3].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب صفة الجنة ونعيمها، باب جهنم أعاذنا الله منها: ج١٧، ص١٨٤.

؛ فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب وتقول هل من مزيد، ج٨، ص ٥٩٤.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب وتقول هل من مزيد، ج٨، ص ٥٩٥.

؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب صفة الجنة ونعيمها، باب جهنم أعاذنا الله منها، ج١٧، ص ١٨٢.

(٣) كتاب الأسماء والصفات للبيهقي، ج٢، ص ٨٦.

قال ابن حجر: «واختلف في المراد بالقدم، فطريق السلف في هذا وغيره مشهورة وهو أن تمر كما جاءت ولا يتعرض لتأويله، بل نعتقد استحالة ما يوهم النقص على الله، وخاض كثير من أهل العلم في تأويل ذلك..

قال محب الدين الخطيب محقق فتح الباري رحمه الله: وهذا هو الصواب الذي كان عليه سلف الأمة من الصحابة إلى الأئمة المتبوعين، وباب التأويل هو الذي دخل منه جميع أصحاب مذاهب الضلال إلى ضلالاتهم، والغيب قد استأثر الله بعلمه، وكما قال الإمام مالك في الاستواء: الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة»[1].

كلتا يديه يمين:

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور على يمين الرحمن عز وجل، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وما ولوا»[2].

أما صفة يديه سبحانه فإنهما ثابتتان بالكتاب والسنة؛ وإن أولها المتكلمون بالقدرة فكيف تكون قدرتان في قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[3]!.

إثبات صفة أصابع الرحمن:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: «جاء حبر إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد أو يا أبا القاسم: إن الله تعالى يمسك السموات يوم القيامة على إصبع والأرض على إصبع والجبال والشجر على إصبع والماء والثرى على إصبع وسائر الخلق على إصبع، ثم يهزهن، فيقول: أنا الملك أنا الملك، فضحك رسول الله ﷺ تعجباً مما قال الحبر وتصديقاً له ثم قرأ ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا

---

(١) فتح الباري، ج٨، ص ٥٩٦.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإمارة، باب فضل الأمير العادل، ج١٢، ص ٢١١.

(٣) سورة المائدة ٦٤.

قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾[(1)]»[(2)].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفها حيث يشاء، ثم قال رسول الله ﷺ اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك»[(3)].

وعن النّواس بن سمعان رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الميزان بيد الرحمن يرفع أقواماً ويضع آخرين، وقلب ابن آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه، وكان رسول الله ﷺ يقول: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»[(4)].

قال ابن خزيمة رحمه الله: «جل ربنا عن أن تكون أصابعه كأصابع خلقه وعن أن يشبه شيء من صفات ذاته صفات خلقه، وقد أجل الله قدر نبيه ﷺ عن أن يوصف الخالق الباري بحضرته بما ليس من صفاته، فيسمعه فيضحك عنده ويجعل بدل وجوب التكبير والغضب على المتكلم به ضحكاً تبدو نواجذه تصديقاً وتعجباً لقائله، لا يصف النبي ﷺ بهذه الصفة مؤمن مصدق برسالته»[(5)].

كفّ الرحمن:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما تصدق أحد بصدقة من

---

(1) سورة الزمر آية ٦٧.

(2) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، ج١٧، ص ١٢٩.
؛ فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى لما خلقت بيدي ج ١٣، ص ٣٩٣.

(3) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب القدر، باب تصريف الله القلوب كما يشاء ج ١٦، ص ٢٠٤.

(4) المستدرك على الصحيحين للحكام النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت تحقيق مصطفى عطا وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ج٤، ص ٣٥٧.
؛ مجمع الزوائد للهيثمي، ورجاله ثقات ورواه الطبراني، عن نعيم بن همام الغطفاني، ج٢، ص ٢١١.

(5) كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل لابن خزيمة، ص ٧٦.

طيب ـ ولا يقبل الله إلا الطيب ـ إلا أخذها الرحمن بيمينه، وإن كانت تمرة فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل، كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله»[1].

وعن أبي هريرةﷺ، قال: قال رسول اللهﷺ: «يمين الله ملأى لا يغيضها نفقه سحاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض، فإنه لم ينقص مما في يمينه، قال: وعرشه على الماء وبيده الأخرى القبض، يرفع ويخفض»[2].

وعن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول اللهﷺ: «إن الله عز وجل خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرضين، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، فمنهم الأحمر والأبيض والأسود، وبين ذلك السهل والحزن والخبيث والطيب». وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح[3].

قال ابن حجر: «قال ابن عبد البر أهل السنة مجمعون على الإقرار بهذه الصفات الواردة في الكتاب والسنة، ولم يكيفوا شيئاً منها؛ وأما الجهمية والمعتزلة والخوارج فقالوا: من أقرّ بها فهو مشبه، فسماهم من أقرّ بها معطلة..

وذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل وإجراء الظواهر على مواردها.. والذي نرتضيه رأياً وندين الله به عقيدة، اتباع سلف الأمة للدليل القاطع على أن إجماع الأمة حجة، فلو كان تأويل هذه الظواهر حتماً لأوشك أن

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب لا يقبل الله صدقة من غلول ولا يقبل إلا من كسب طيب، ج٣، ص ٢٧٨.

؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الزكاة، باب كل نوع من المعروف صدقة، ج٧، ص ٩٨.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء، ج١٣، ص ٤٠٣.

؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الزكاة، باب كل نوع من المعروف صدقة، ج٧، ص ٩٨.

(٣) سنن الترمذي، كتاب التفسير، باب تفسير سورة البقرة، ج٥، ص ٢٠٤.

يكون اهتمامهم به فوق اهتمامهم بفروع الشريعة، وإذا انصرم عصر الصحابة والتابعين على الإضراب عن التأويل كان ذلك هو الوجه المتبع.. وقد تقدم النقل عن أهل العصر الثالث وهم فقهاء الأمصار كالثوري والأوزاعي ومالك والليث ومن عاصرهم، وكذا من أخذ عنهم من الأئمة، فكيف لا يوثق بما اتفق عليه أهل القرون الثلاثة، وهم خير القرون بشهادة صاحب الشريعة»[١].

إثبات صفة النزول:

عن أبي هريرةﷺ، أن رسول اللهﷺ قال: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له»[٢].

قال الإمام ابن خزيمة: «باب ذكر أخبار ثابتة السند صحيحة القوام، رواها علماء الحجاز والعراق عن النبيﷺ في نزول الرب جل وعلا إلى السماء الدنيا كل ليلة. نشهد شهادة مقر بلسانه مصدق بقلبه مستيقن بما في هذه الأخبار من ذكر نزول الرب من غير أن يصف الكيفية لأن نبينا المصطفى لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا إلى سماء الدنيا، وأعلمنا أنه ينزل ربنا، والله جل وعلا لم يترك ولا نبيه عليه السلام بيان ما للمسلمين إليه حاجة من أمر دينهم فنحن قائلون مصدقون بما في هذه الأخبار من ذكر النزول، غير متكلفين بصفته أو بصفة الكيفية، إذ النبيﷺ لم يصف لنا كيفية النزول»[٣]. «فلما صح خبر النزول عن الرسولﷺ أقرّ به أهل السنة وقبلوا الخبر وأثبتوا النزول على ما قاله رسول اللهﷺ ولم يعتقدوا تشبيهاً بنزول خلقه، وعلموا وتحققوا واعتقدوا أن صفات الله سبحانه لا تشبه صفات

---

(١) فتح الباري، ج١٣، ص ٤٠٩.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب يريدون أن يبدلوا كلام الله، ج١٣، ص ٤٦٤.

؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب صلاة المسافرين، باب صلاة الليل مثنى مثنى والوتر ركعة من آخر الليل، ج٦، ص ٣٦.

(٣) كتاب التوحيد لابن خزيمة، ص ١٢٥.

الخلق كما أن ذاته لا تشبه ذوات الخلق تعالى الله عما يقول المشبهة والمعطلة علوا كبيراً»[1].

قال شيخ الإسلام: «فالرب سبحانه إذا وصفه رسوله بأنه ينزل إلى سماء الدنيا كل ليلة، وأنه يدنو عشية عرفة إلى الحجاج، وأنه كلم موسى بالوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة، وأنه استوى إلى السماء وهي دخان، فقال لها وللأرض: إئتيا طوعاً أو كرهاً؛ لم يلزم من ذلك أن تكون هذه الأفعال من جنس ما نشاهده من نزول هذه الأعيان المشهودة حتى يقال: ذلك يستلزم تفريغ مكان وشغل آخر»[2]

«واتفق سلف الأمة وأئمتها وأهل العلم بالسنة والحديث على تصديق ذلك وتلقيه بالقبول، ومن قال ما قاله الرسول ﷺ فقوله حق وصدق...

فإن وصفه سبحانه وتعالى في هذا الحديث بالنزول هو كوصفه بسائر الصفات: كوصفه بالاستواء.. وأما النزول الذي لا يكون من جنس نزول أجسام العباد، فهذا لا يمتنع أن يكون في وقت واحد لخلق كثير، ويكون قدره لبعض الناس أكثر.. فيقرب إلى هذا الذي دعاه دون هذا الذي لم يدعه.. وهو قادر على ما يشاء.. قادر على أن ينزل سبحانه وتعالى وهو فوق عرشه.. وهو الذي فيه موافقة الشرع والعقل»[3].

إثبات صفة الكلام والصوت والنداء:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: يا آدم! فيقول: لبيك وسعديك فيقول: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار، قال يا رب! وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون،

---

(١) عقائد السلف وأصحاب الحديث للصابوني، مجموعة الرسائل المنيرية، دار الطباعة المنيرية، بيروت ١٣٩٠هـ، ج١، ص ١١٧.

(٢) دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية. مختارات - تحقيق محمد الجليند - مؤسسة علوم القرآن، دمشق ١٤٢٢هـ، ج٦، ص ٤٢٤.

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية، ج٥، ص ٣٢٢، ٣٢٣، ٤٧٨، ٤٨٢.

فحينئذ تضع الحامل حملها، ويشيب الولد ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾[1].

فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم، قالوا: يا رسول الله! أينا ذلك الرجل؟ فقال رسول الله ﷺ: «من يأجوج ومأجوج تسعمائه وتسعة وتسعون، ومنكم واحد»[2].

وعن عدي بن حاتم قال: «قال رسول الله ﷺ: ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ولا حجاب يحجبه»[3].

وهذا رد على لسان رسول الله ﷺ الصادق المصدوق، لمنكري صفة كلام ونداء الله المسموع ويثبتون كلاماً مخلوقاً أو كلاماً نفسياً وأشهر أولئك طائفتي المعتزلة والأشاعرة. فالأولى قالت بالكلام المخلوق وأنكروا تكلم الله بالقرآن وزعموا أنه مخلوق. وعدوا ذلك توحيداً.

وأما الأشاعرة فأثبتوا كلاماً نفسياً، ومثلهم الكلابية والماتريدية، وعند التحقيق في قولهم في القرآن يتضح تقارب مذهبهم مع المعتزلة في هذا فالقرآن: عبارة أو حكاية عن كلام الله، أما الله فلم يتكلم بشيء وهذا حقيقة الكلام النفسي عندهم، وعدّوا قولهم هذا تنزيهاً!.

إثبات صفة علو الله:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ـ وقد قسّم رسول الله ﷺ بين بعض أصحابه ما جاء من الغنائم فقال رجل من أصحابه: كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء ـ قال:

---

(1) سورة الحج آية ٢.

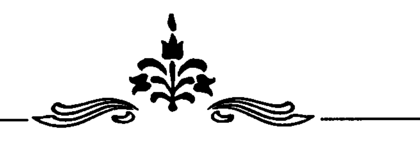
(2) فتح الباري، شرح صحيح البخاري، باب قصة يأجوج ومأجوج، ج٦، ص ٣٨٢.
؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب قوله: يقول الله يا آدم أخرج بعث النار، ج٣، ص ٩٧.

(3) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب وجوه يومئذ ناضرة، ج١٣، ص ٤٢٣.
؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة، ج٧، ص ١٠٦.

فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء صباحاً ومساء..»[1]. وقد ألّف ابن القيم كتاب اجتماع الجيوش الإسلامية لإثبات علو الله سبحانه، وكذلك الذهبي في كتاب العلو للعلي الغفار وغيرهما من علماء الأمة الذين جمعوا الأدلة والبينات على علو الله سبحانه وأنه مستوٍ على عرشه بائن من خلقه فوق سمواته. وقد تقدم عرض ونقد أقوال المخالفين في هذا في مباحث الباب الثاني.

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم ومن يخاف على إيمانه، ج٧، ص ١٦٢.
؛ فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب بعث علي وخالد إلى اليمن، ج٨، ص ٦٧.



الفصل الثالث

المسائل التي ثبتت عند أهل السنة والجماعة في باب القدر بخبر الآحاد وأنكر حجيتها المخالفون والحكم عليها

وفيه:

- تمهيد
- ذكر المسائل بأدلتها.

******



تمهيد

إن الذين مجّدوا الاستدلال بالعقل والنظر، وأعرضوا عن دلائل الكتاب والخبر الصادق، قد زلت بهم خطاهم عن طريق الهدى، فخالفوا أصحاب الوحي والأثر، وأعرضوا عن أبواب صنفت في إثبات القدر، وذلك لقولهم بأصولهم الخمسة ـ وهم المعتزلة ـ ومنها: العدل، وقصدهم نفي القدر. وأما الأحاديث فهي أخبار آحاد لا يستدل بها في العقيدة عندهم. وتابعهم متكلمون أُخر فمستقل ومستكثر، وهناك من أعرض وطعن في رواية الصحابة الكرام رضي الله عنهم؛ كالشيعة الرافضة ومن سار على نهجهم، والخوارج ومن اقتدى بهم.

وفي هذا الفصل تم إيراد أحاديث الآحاد الصحيحة في القدر كما أوردها أصحاب الصحيحين والسنن ومشكاة المصابيح..، ولم يسبق ذكرها من قبل مع بيان صحتها:

مسألة: الأعمال بالخواتيم:

عن سهل بن سعد رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن العبد ليعمل عمل أهل النار وإنه من أهل الجنة، ويعمل عمل أهل الجنة وإنه من أهل النار، وإنما الأعمال بالخواتيم»[1].

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب القدر، باب العمل بالخواتيم، ج١١، ص ٤٩٩.
؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، ج٢، ص ١٢٤.

مسألة: إن الله خلق للجنة أهلاً، وخلق للنار أهلاً وهم في أصلاب آبائهم:

عن عائشة رضي الله عنها، قالت: «دعي رسول الله ﷺ إلى جنازة صبي من الأنصار، فقلت يا رسول الله: طوبى لهذا العصفور من عصافير الجنة، لم يعمل السوء ولم يدركه، فقال: أو غير ذلك يا عائشة! إن الله خلق للجنة أهلاً، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم؛ وخلق للنار أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم»[1].

مسألة: إن الله لا ينام يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار:

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال: إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور، ولو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»[2].

مسألة: يد الله ملأى لا تغيضها نفقة سحاء الليل والنهار:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يد الله ملأى لا تغيضها[3] نفقة، سحاء[4] الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماء والأرض، فإنه لم يغض ما في يده، وكان عرشه على الماء، وبيده الميزان يخفض ويرفع»[5].

مسألة: النهي عن القول بالقدر:

عن مسلم بن يسار رضي الله عنه، قال: سئل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾[6] قال عمر رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يُسأل عنها فقال: «إن الله خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه، فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره،

---

(١) نفس المصدر، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة ج ١٦، ص ٢١٢.

(٢) نفس المصدر باب في قوله عليه الصلاة والسلام إن الله لا ينام، ج١٦، ص ١٦١.

(٣) لا تغيضها: أي لا تنقصها. مرقاة الصعود ١٣٨/١.

(٤) سحاء: أي دائم العطاء، مرقاة الصعود ١٣٨/١.

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب التفسير، تفسير سورة هود، ج٨، ص ٣٥٢.

(٦) سورة الأعراف ١٧٢.

فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للنار، وبعمل أهل النار يعملون فقال رجل: ففيم العمل يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: إن الله إذا خلق العبد للجنة، استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله به الجنة، وإذا خلق العبد للنار؛ استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار»[1]وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن.

مسألة: إن الله كتب كتاباً لأهل الجنة وأهل النار:

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: خرج رسول الله ﷺ وفي يديه كتابان، فقال: «أتدرون ما هذان الكتابان؟ قلنا: لا يا رسول الله، إلا أن تخبرنا، فقال للذي في يده اليمنى: هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة، وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً. ثم قال للذي في شماله: هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل النار، وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم، فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً، فقال أصحابه، ففيم العمل يا رسول الله إن كان أمر قد فرغ منه؟ فقال: سددوا وقاربوا، فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وإن عمل أي عمل، وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار وإن عمل أي عمل ثم قال رسول الله ﷺ بيديه فنبذهما ثم قال فرغ ربكم من العباد، ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾[2]. [3] وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب صحيح.

---

(١) موطأ الإمام مالك، كتاب الجامع، باب النهي عن القول بالقدر ص ٦٤٨.
؛ سنن أبي داود كتاب السنة باب في القدر، ج٥، ص ٧٩.
؛ سنن الترمذي، كتاب التفسير، باب ومن سورة الأعراف، ج٥، ص ٢٦٦.
؛ المستدرك للحاكم وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، ج٢، ص ٥٩٤.
؛ مشكاة المصابيح، وقال الألباني ورجال إسناده ثقات، رجال الشيخين وله شواهد كثيرة، ج١،ص٣٥.

(٢) سورة الشورى ٧

(٣) سنن الترمذي، كتاب القدر، باب ما جاء أن الله كتب كتاباً لأهل الجنة وأهل النار، ج٤، ص ٤٥٠.
؛ مسند الإمام أحمد، ج٢، ص ١٦٦.

مسألة: الأخذ بالأسباب من قدر الله:

عن أبي خزيمة عن أبيه، قال: «قلت يا رسول الله أرأيت رقى نسترقيها ودواءً نتداوى به، وتقاة نتقيها، هل ترد من قدر الله شيئاً؟ قال: هي من قدر الله»[1]. وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

مسألة: التشديد في عدم الخوض في القدر:

عن أبي هريرةﷺ، قال: خرج علينا رسول الله ﷺ، ونحن نتنازع في القدر، فغضب حتى أحمر وجهه، حتى كأنما فقيء في وجنتيه حب الرمان، فقال: «أبهذا أمرتم؟ أم بهذا أرسلت إليكم، إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر، عزمت عليكم ألا تتنازعوا فيه». وروى ابن ماجة نحوه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده[2].

مسألة: إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض:

عن أبي موسىﷺ، قال: قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك، والسهل والحزن، والخبيث والطيب»[3]. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

---

(١) سنن الترمذي، كتاب الطب، باب ما جاء في الرقية والأدوية. ج٤، ص ٣٩٩.
؛ سنن ابن ماجة، كتاب الطب، باب ما أنزل الله داء إلا وأنزل له شفاء، ج٢، ص ٣٤٠.
؛ مسند الإمام أحمد، ج٣، ص ٤٢١.

(٢) سنن الترمذي كتاب القدر، باب ما جاء في التشديد في الخوض في القدر، ج٤، ص ٤٤٣ .
؛ سنن ابن ماجة، المقدمة، باب في القدر، ج١، ص ٤٤ ٤.
؛ مشكاة المصابيح، وقال الألباني: قال الترمذي: حديث غريب، قلت: لكن يشهد له الذي بعده والذي رواه ابن ماجة وسنده حسن. ج١، ص ٣٦ .

(٣) سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب من سورة البقرة، ج٥، ص ٢٠٤.
؛ سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في القدر ج ٥، ص ٦٧.

مسألة: إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله، يقلّبها كيف يشاء:

عن أنس رضي الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك. فقلت يا رسول الله، آمنا بك وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟ قال: نعم، إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله، يقلبها كيف يشاء»(١). قال أبو عيسى، هذا حديث حسن صحيح.

مسألة: الإيمان بالله هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله بعثه بالحق والإيمان باليوم الآخر والقدر خيره وشره:

عن علي رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يؤمن بأربع: يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله بعثني بالحق، ويؤمن بالموت، والبعث بعد الموت، ويؤمن بالقدر»(٢).

مسألة عقوبة المكذبين بالقدر؛ خسف ومسخ:

عن ابن عمر رضي الله عنهما: قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يكون في أمتي خسف ومسخ، وذلك في المكذبين بالقدر»(٣) قال أبو عيسى: حديث حسن صحيح غريب.

---

(١) سنن الترمذي، كتاب القدر، باب ما جاء في أن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن، ج٤، ٤٤٨،

سنن ابن ماجة، المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية، عن النّواس بن سمعان، ج١، ص ٨٨.

(٢) سنن الترمذي، كتاب القدر، باب ما جاء في الإيمان بالقدر خيره وشره، ج٤، ص ٤٥٢.

؛ المستدرك للحاكم وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، ج١، ص ٨٧.

(٣) سنن الترمذي، كتاب القدر، ج٤، ص ٤٥٦.

؛ سنن أبي داود، كتاب السنة، باب لزوم السنة، ج٥، ص ٢٠ .

مسألة الستة الذين لعنهم الله ورسوله ﷺ، ومنهم المكذب بالقدر:

عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «ستة لعنتهم ولعنهم الله، وكل نبي يجاب: الزائد في كتاب الله، والمكذب بقدر الله، والمتسلط بالجبروت ليعز من أذل الله ويذل من أعز الله، والمستحل لحرم الله، والمستحل من عترتي ما حرم الله، والتارك لسنتي»[1].

مسألة: النفس تموت حيث ما كُتب لها:

عن أبي عزة يسار بن عبد، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قضى الله لعبد أن يموت بأرض جعل له إليها حاجة، أو قال بها حاجة»[2]. قال أبو عيسى هذا حديث صحيح.

مسألة: مَنْ وقع في نفسه شيء من القدَر، فسأل لعل الله أن يذهبه من قلبه:

عن ابن الديلمي، قال: أتيت أبي بن كعب، فقلت له: «قد وقع في نفسي شيء من القدر، فحدثني لعل الله أن يذهبه من قلبي، فقال: لو أن الله عز وجل عذب أهل سماواته وأهل أرضه؛ عذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم، ولو أنفقت مثل أحد ذهباً في سبيل الله ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن لصيبك، ولو مت على غير هذا لدخلت النار.

ثم قال: أتيت عبد الله بن مسعود، فقال مثل ذلك، قال: ثم أتيت حذافة بن اليمان فقال مثل ذلك. ثم أتيت زيد بن ثابت فحدثني عن النبي ﷺ مثل ذلك»[3].

---

(١) سنن الترمذي، كتاب القدر، ج ٤، ص ٤٥٧.
قال أبو عيسى: هكذا رواه.. عن عائشة وعن علي بن الحسين مرسلاً وهذا أصح.
؛ المستدرك للحاكم وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، ج١، ص٩١.

(٢) مسند الإمام أحمد، ج٥، ص ٢٢٧.
؛ سنن الترمذي، كتاب القدر، باب ما جاء أن النفس تموت حيث ما كُتب لها ج٤، ص ٤٥٢.

(٣) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في القدر، ج٥، ص ٧٥.
؛ سنن ابن ماجة، المقدمة، باب في القدر، ج١، ص ٤٠.

مسألة: نسي آدم فأكل من الشجرة فنسيت ذريته، وأخطأ فأخطأت ذريته:

عن أبي هريرةرضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة، وجعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصاً من نور، ثم عرضهم على آدم، فقال: أي رب! من هؤلاء؟ قال: ذريتك. فرأى رجلاً منهم فأعجبه وبيص ما بين عينيه، قال: أي رب! من هذا؟ قال: داود، فقال رب! كم جعلت عمره؟ قال ستين سنة. قال: رب زده من عمري أربعين سنة قال رسول الله ﷺ: فلما انقضى عمر آدم إلا أربعين جاءه ملك الموت فقال آدم: أولم يبق من عمري أربعين سنة؟ قال: أولم تعطها ابنك داود؟ فجحد آدم، فجحدت ذريته، ونسي آدم فأكل من الشجرة فنسيت ذريته وخطئ آدم فخطئت ذريته»[1].

مسألة: أخذ الله العهد على آدم وذريته بنعمان ـ يعني عرفة ـ :

عن ابن عباسرضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان ـ يعني عرفة ـ فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها، فنثرهم بين يديه كالذر، ثم كلمهم قبلاً فقال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾[2][3].

؛ مشكاة المصابيح، وقال الألباني: سنده صحيح، ج١، ص ٤١ .

(١) سنن الترمذي، كتاب التفسير، سورة الأعراف، ج٥، ص ٢٦٧.

؛ المستدرك للحاكم وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، ج٢، ص ٣٥٥.

(٢) سورة الأعراف آية ١٧٢، ١٧٣.

(٣) مسند الإمام أحمد، ج٦، ص ٤٤٢.

؛ المستدرك للحاكم وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، ج١، ص ٨٠.

؛ مجمع الزوائد للهيثمي وقال: رواه الطبراني والبزار ورجاله ثقات، ج٧، ص ١٨٥.

مسألة: لا يرد القدر إلا الدعاء:

عن سليمان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر»[1] وقال: هذا حديث حسن غريب، وله شاهد عن ثوبان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يرد القدر إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر، وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه»[2].

مسألة: من سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله:

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله، ومن شقاوة ابن آدم تركه استخارة الله، ومن شقاوة ابن آدم سخطه بما قضى الله له»[3].

مسألة: الغلام الذي قتله الخضر طبع كافراً:

عن أبي بن كعب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «الغلام الذي قتله الخضر طبع كافراً، ولو عاش لأرهق أبويه طغياناً وكفراً»[4].

مسألة: من مات على الكفر فهو في النار ولا تلحقه الشفاعة:

عن أنس رضي الله عنه، أن رجلاً قال: يا رسول الله، أين أبي؟ قال: «أبوك في

---

(١) سنن الترمذي، باب ما جاء، لا يرد القدر إلا الدعاء، ج٤، ص ٤٤٨ .

(٢) المستدرك للحاكم وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، ج١، ص ٦٧٠.

؛ سنن ابن ماجة، المقدمة، باب في القدر، ج١، ص ٤٧.

(٣) سنن الترمذي، كتاب القدر، باب ما جاء في الرضا بالقضاء، ج٤، ص ٤٥٥.

؛ المستدرك للحاكم وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، ج١، ص ٦٩٩.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب القدر، باب كل مولود يولد على الفطر، ج١٦، ص ٢١١.

؛ سنن الترمذي، كتاب التفسير، سورة الكهف، ج٥، ص ٣١٢.

؛ سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في القدر، ج٥، ص ٨١.

النار، فلما قفَّى، قال: إن أبي وأباك في النار»[1]. [*]..

مسألة: إن أصابك شيء فلا تقل لو.. ولكن قل قدر الله وما شاء فعل:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، أحرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان»[2].

مسألة: الإيمان بالأقدار كلها خيرها وشرها حلوها ومرها من الإسلام:

عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ فقال: «يا عدي بن حاتم! أسلم تسلم قلت: وما الإسلام؟ فقال: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، وتؤمن بالأقدار كلها خيرها وشرها، حلوها ومرها»[3].

مسألة: الآجال والأرزاق لا تزيد ولا تنقص عما سبق به القدر:

عن أم حبيبة زوج النبي ﷺ قالت: «اللهم متعنى بزوجي رسول الله ﷺ وبأبي أبي سفيان، وبأخي معاوية، فقال النبي ﷺ: «قد سألت الله لآجال مضروبة وأيام معدودة وأرزاق مقسومة لن يعجل شيئاً قبل حله أو يؤخر شيئاً عن حله ولو كنت

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الإيمان، باب من مات على الكفر لا تلحقه الشفاعة، ج٣، ص ٧٩.
؛ سنن ابن ماجة، المقدمة، باب في القدر، ج١، ص ٤١.

(*) وسيأتي الكلام عن أهل الفترة وعسى أن يكون أبوي الرسول ﷺ منهم، ولعل هذا الحديث متقدم على حديث أهل الفترة. انظر البحث ص ٩٢٢.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب القدر، باب الإيمان بالقدر والإذعان له، ج١٦، ص٢١٥.
؛ سنن ابن ماجة، المقدمة، باب في القدر، ج١، ص ٤١.

(٣) سنن ابن ماجة، المقدمة، باب في القدر، ج١، ص ٤٦.
؛ المستدرك للحاكم، كتاب الفتن والملاحم، وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، ج٤، ص ٥٦٤.

سألت الله أن يعيذك من عذاب في النار أو عذاب في القبر، كان خيراً وأفضل..»[1].

مسألة: المعصوم من عصمه الله:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «ما استخلف خليفة إلا له بطانتان، بطانة تأمره بالخير وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه، والمعصوم من عصمه الله»[2].

قال ابن حجر: «المعصوم من عصمه الله: أي من عصمه الله بأن حماه من الوقوع في الهلاك أو ما يجر إليه؛ يقال عصمه الله من المكروه، ووقاه وحفظه، واعتصمت بالله لجأت إليه»[3].

مسألة: الاستعاذة بالله من سوء القضاء:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «نعوذ بالله من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء»[4].

مسألة: وكان أمر الله قدراً مقدورا:

عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما، قال: «كنت عند النبي ﷺ إذ جاءه رسول إحدى بناته، أن ابنها يجود بنفسه، فبعث إليها: لله ما أخذ ولله ما أعطى، كل بأجل، فلتصبر ولتحتسب»[5].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب القدر، باب الإيمان بالقدر والإذعان له، ج١٦، ص ٢١٥.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب القدر، باب المعصوم من عصمه الله، ج١١، ص ٥١٠.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ١١، ص ٥٠١.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب القدر، باب نعوذ بالله من درك الشقاء وسوء القضاء، ج١١، ص ٥١٣.

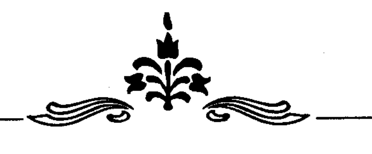
(٥) نفس المصدر، كتاب القدر، باب وكان أمر الله قدراً مقدوراً، ج١١، ص ٤٩٤.

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، قال: «لقد خطبنا النبي ﷺ خطبة ما ترك فيها شيئاً إلى قيام الساعة إلا ذكره، علمه من علمه وجهله من جهله، إن كنت لأرى الشيء قد نسيته فأعرفه كما يعرف الرجل الرجل إذا غاب عنه فرآه فعرفه»[1].

---

(١) نفس المصدر كتاب القدر، باب وكان أمر الله قدراً مقدوراً، ج١١، ص ٤٩٤.





الفصل الرابع

المسائل التي ثبتت عند أهل السنة والجماعة في باب النبوات بخبر الآحاد وأنكر حجيتها المخالفون والحكم عليها

وفيه:

- تمهيد
- ذكر المسائل بأدلتها.

* * * * * *



تمهيد

اختار الله سبحانه أمة محمدﷺ لتكون خير الأمم، وكان هذافي علم الله سبحانه الذي علم ما كان وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف سيكون، فكان مقتضى هذا الاختيار، علم راسخ وأصل متين لقيام خير الأديان الذي دعى إليه خاتم وخير الرسل، وسيد الخلق أجمعينﷺ تسليماً كثيراً.

فكان حفظ كتاب الله تعالى وسنة رسولهﷺ، وهما مصدري التلقي عن الله عز وجل، أمراً لا ينفك ولا ينفصم عن هذه الرسالة الخاتمة،

وإن هذا الفصل سيكون مدار البحث فيه هو إيراد المسائل الدالة على النبوة من السنة التي أنكر حجيتها المخالفون.

أنبياء لبني إسرائيل.. ولا نبي بعد محمدﷺ:

عن أبي هريرةرضي الله عنه، عن النبيﷺ قال: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي، وسيكون خلفاء فيكثرون. قالوا: فما تأمرنا؟ قال: فوا بيعة الأول فالأول، أعطوهم حقهم فإن الله سائلهم عما استرعاهم»[(١)]. قال ابن حجر: «قوله: فوا. فعل أمر بالوفاء، والمعنى أنه إذا بويع لخليفة بعد خليفة فبيعة الأول صحيحة يجب الوفاء بها، وبيعه الثاني باطلة»[(٢)].

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ج٦، ص ٤٩٥، ٤٩٧.

(٢) نفس المصدر، ج٦، ص ٤٩٥، ٤٩٧.

الأنبياء أخوة لعلّات:

عن أبي هريرةﷺ، قال: قال رسول اللهﷺ: «أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلّات أمهاتهم شتى ودينهم واحد»[1].

صبر الأنبياء على الابتلاء:

عن أنس بن مالكﷺ، مرفوعاً، قال: «إن نبي الله أيوبﷺ لبث به بلاؤه ثمان عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد..»[2].

والله سبحانه يخبر أنبياءه بما غاب عنهم من أخبار الغيب والإبتلاء بواسطة الوحي: عن أنسﷺ، أن النبيﷺ قال: «لو لا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر»[3].

عصم الله الأنبياء فتنام أعينهم ولا تنام قلوبهم:

عن أنس بن مالكﷺ، يحدث عن ليلة أسري بالنبيﷺ من مسجد الكعبة، قال: «جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه - وهو نائم في المسجد الحرام - فقال أولهم: أيهم هو؟ فقال أوسطهم: هو خيرهم. وقال آخرهم: خذوا خيرهم فكانت تلك. فلم يرهم حتى جاءوا ليلة أخرى. فيما يرى قلبه، والنبيﷺ نائمة عيناه ولا

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ﴾ ج٦، ص ٤٧٨.

؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه الصلاة والسلام. ج ١٥، ص١١٩.

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة وقال الشيخ الألباني حديث صحيح، ج١، ص ٥٤. وقد صححه الضياء المقدسي فأخرجه في المختارة، ج٢، ص ٢٢٠، ٢٢١. ورواه ابن حبان في صحيحه ٢٠٩١.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب إثبات عذاب القبر والتعوذ منه، ج١٧، ص ٢٠٣.

ينام قلبه، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم، فتولاه جبريل ثم عرج به إلى السماء»[١].

تخيير الأنبياء عند الموت:

عن عائشة أم المؤمنينرضي الله عنها، قالت: «كنت أسمع أنه لا يموت نبي حتى يخير بين الدنيا والآخرة؛ فسمعت النبيﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه وأخذته بحة يقول: «مع الذين أنعم الله عليهم» فظننت أنه خير»[٢].

الأنبياء كالشهداء أحياء كما وصفهم الله سبحانه، حياة برزخية كما أرادها الله لهم:

عن أبي هريرةرضي الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ: «لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها فكربت كربة ما كربت مثلها قط؛ قال: فرفعه الله لي أنظر إليه ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به وقد رأيتنى في جماعة من الأنبياء، فإذا موسى قائم يصلي فإذا هو رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة، وإذا عيسى ابن مريمعليه السلام قائم يصلي أقرب الناس به شبهاً، عروة بن مسعود الثقفي، وإذا إبراهيمعليه السلام قائم يصلي أشبه الناس به صاحبكم يعني نفسه، فحانت الصلاة فأممتهم فلما فرغت من الصلاة قال قائل يا محمد هذا مالك صاحب النار فسلم عليه فالتفت إليه فبدأني بالسلام»[٣].

قال القاضي عياض: «أكثر الروايات في وصفهم تدل على أنهﷺ رأى ذلك ليلة أسري به.. فإن قيل كيف يحجون ويلبون ويصلون وهم أموات وهم في الدار الآخرة، وليست دار عمل فاعلم أن للمشايخ وفيما ظهر لنا عن هذا أجوبة:

أحدها: إنهم كالشهداء بل هم أفضل منهم والشهداء أحياء عند ربهم فلا يبعد أن يحجوا ويصلوا وأن يتقربوا إلى الله تعالى.

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب كان النبيﷺ تنام عينه ولا ينام قلبه، ج٦، ص ٥٧٩.

(٢) نفس المصدر، كتاب المغازي، باب مرض النبيﷺ ووفاته، ج٨، ص ١٣٦.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب ذكر المسيحعليه السلام، ج٢، ص ٢٣٨.

الثاني: إن عمل الآخرة ذكر ودعاء، قال الله تعالى: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾[(١)][(٢)].

وقد أمرنا الله سبحانه بالإيمان بالغيب ومنه حياة البرزخ والدار الآخرة، وأن الحياة فيها غير الحياة في هذه الدنيا، وقد وردت الآيات والأحاديث الصحيحة بشأن حياة الشهداء، ولا شك أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أفضل منهم في حياتي البرزخ والآخرة.

إن الله عز وجل حرّم على الأرض، أن تأكل أجساد الأنبياء:

عن أوس بن أوس الثقفي رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ «إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا عليّ من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة عليّ، قالوا: وكيف صلاتنا عليك وقد أرمت؟ فقال: إن الله حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»[(٣)].

قال ابن حجر: «.. وقد استشكل ذلك من جهة أخرى، وهو أنه يستلزم استغراق الزمان كله في ذلك لاتصال الصلاة والسلام عليه في أقطار الأرض ممن لا يحصى كثرة، وأجيب بأن أمور الآخرة لا تدرك بالعقل، وأحوال البرزخ أشبه بأحوال الآخرة»[(٤)].

أمور لا تنافي العصمة: حينما ألقى موسى عليه الصلاة والسلام الألواح من ربه من فرط غضبه:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس الخبر كالمعاينة، إن الله

---

(١) سورة يونس آية ١٠

(٢) شرح النووي لصحيح مسلم، ج٢، ص ٢٢٨، ٢٢٩.

(٣) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب في الاستغفار ج٢، ص ١٨٤.
؛ سنن النسائي، كتاب الجمعة، باب الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة، ج٣، ص ٩١.
سنن ابن ماجة، باب الصلاة، فضل الجمعة، ج١، ص ٣٣٦.
؛ المستدرك للحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، ج١، ص ٤١٣ .

(٤) فتح الباري، ج٦، ص ٤٨٨.

أخبر موسى بما صنع قومه في العجل فلم يلق الألواح فلما عاين ما صنعوا ألقى الألواح فانكسرت»[1].

ما من نبي إلا وقد رعى الغنم:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كنا مع رسول الله ﷺ نجني الكباث، وإن رسول الله ﷺ قال: «عليكم بالأسود منه فإنه أطيبه. قالوا: أكنت ترعى الغنم؟ قال: وهل من نبي إلا وقد رعاها»[2]. وقال ابن حجر: الكباث هو ثمر الأراك.

نبينا محمد ﷺ دعوة أبيه إبراهيم وبشارة أخيه عيسى عليهم الصلاة والسلام:

عن عرباض بن سارية رضي الله عنه صاحب رسول الله ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إني عبد الله وخاتم النبيين وأبي منجدل[3] في طينته، وسأخبركم عن ذلك؛ أنا دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى ورؤيا أمي آمنة التي رأت قصور الشام ثم تلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾[4]»[5].

نبينا محمد ﷺ هداه الله إلى الفطرة، فهدى الله أمته:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ليلة أسري بي رأيت موسى وإذا هو رجلٌ ضَرْب، رَجِلٌ كأنه من رجال شنوءة، ورأيت عيسى فإذا هو رجل

---

(١) مسند الإمام أحمد، ج١، ص ٢٧١.
؛ المستدرك للحاكم وقال حديث صحيح ووافقه الذهبي، ج٢، ص ٣٥١.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري،كتاب أحاديث الأنبياء، باب يعكفون على أصنام لهم، ج٦، ص ٤٣٨.

(٣) منجدل: ساقط والملقى بالجدالة وهي الأرض ومنه: أنا خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته. لسان العرب، ج١١، ص ١٠٤.

(٤) سورة الأحزاب، آية ٤٥، ٤٦.

(٥) المستدرك للحاكم، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، ج٢، ص ٤٥٣.
؛ شرح السنة للبغوي، كتاب الفضائل، باب فضل سيد الأولين والآخرين محمد ﷺ ج١٣، ص٢٠٧. وهذا دليل على سابق علم الله وتقديره لكل شيء.

ربعة أحمر كأنما خرج من ديماس وأنا أشبه ولدِ إبراهيم به. ثم أُتيت بإناءين في أحدهما لبن وفي الآخر خمر فقال: اشرب أيهما شئت، فأخذت اللبن فشربته، فقيل: أخذت الفطرة، أما إنك لو أخذت الخمر غوت أمتك»[1].

قال النووي: «الضَرْب هو الرجل خفيف اللحم ورَجِلٍ، هو رجل الرأس أي رجل الشعر.. وربعة وهو الرجل بين الرجلين في القامة ليس بالطويل البائن ولا بالقصير.. خرج من ديماس: يعني في نضارته وكثرة ماء وجهه كأنه خرج من كنٍ لم ير شمساً»[2].

خلق الله آدم أجوفاً.. خلقاً لا يتمالك:

عن أنس ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «لما صوّر الله آدم في الجنة تركه ما شاء أن يتركه، فجعل إبليس يطيف به ينظر ما هو، فلما رآه أجوفاً عرف أنه خُلق خلقاً لا يتمالك»[3].

غسل الميت واللحد له في القبر سنة آدم عليه السلام:

عن أبي بن كعب ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «لما توفي آدم غسلته الملائكة بالماء وتراً وألحدوا له وقالوا هذه سنة آدم في ولده»[4].

عاش نوح عليه السلام ألف سنة وخمسون عاماً:

عن ابن عباس رضي الله عنهما: قال: قال رسول الله ﷺ «بعث الله نوحاً لأربعين سنة

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: وهل أتاك حديث موسى، ج٦، ص ٤٢٨.
؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ، ج٢، ص ٢٣٢.

(٢) شرح النووي، ج٢، ص ٢٢٦، ٢٣٢ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب البر والصلة، باب خُلق الإنسان خلقاً لا يتمالك، ج١٦، ص ١٦٤.

(٤) المستدرك للحاكم، وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، ج٢، ص ٥٩٥.

ولبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم، وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس وفشوا»[1].

وعن سمرة بن جندب أن النبي ﷺ قال: «ولد نوح ثلاثة، سام وحام ويافث أبو الروم»[2].

إبراهيم عليه الصلاة والسلام، عاش حنيفياً موحداً، وسنّ الختان للموحدين من بعده:

عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ لما رأى الصّور في البيت لم يدخل حتى أمر بها فمحيت، ورأى إبراهيم وإسماعيل بأيديهما الأزلام، فقال: «قاتلهم الله والله ما استقسما بالأزام قط».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «اختتن إبراهيم ﷺ بعد عشرين ومائة سنة بالقدوم، ومات وهو ابن مائتي سنة»[3].

يوسف عليه الصلاة والسلام الكريم ابن الكريم:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله»[4].

محمد ﷺ يدعو لأخيه موسى ﷺ بالرحمة وتمنى لو كان صبر لقص الله علينا من خبره مع الخضر عليه السلام:

عن أبي بن كعب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «رحمة الله علينا وعلى موسى ـ فبدأ بنفسه ـ لو كان صبر لقص علينا من خبره ولكن ﴿قَالَ إِن سَأَلۡتُكَ عَن

---

(١) نفس المصدر، وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، ج٢، ص ٥٩٥.

(٢) نفس المصدر، وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، ج٢، ص ٥٩٥.

(٣) نفس المصدر، وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، ج٢، ص ٥٩٩، ٦٠٠ وفيه تخريج حديثي ابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهم.

(٤) نفس المصدر، وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، ج٢، ص ٦٢٣.

شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾﴾[١]، [٢].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله اصطفى موسى بالكلام وإبراهيم بالخلة»[٣].

دعوة ذي النون لم يدع بها مسلم في كربة إلا استجاب الله له:

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: «دعوة ذي النون التي دعا بها في بطن الحوت ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٤] لم يدع بها مسلم في كربة إلا استجاب الله له»[٥].

عيسى بن مريم عليه السلام هو روح الله وكلمته وعبد الله ورسوله:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أن وفد نجران أتوا النبي ﷺ فقالوا: ما تقول في عيسى ابن مريم؟ فقال: «هو روح الله وكلمته وعبد الله ورسوله فقالوا له: هل لك أن نلاعنك أنه ليس كذلك؟ قال: وذاك أحب إليكم؟ «قالوا: نعم. قال: فإذا شئتم فجاء النبي ﷺ وجمع ولده والحسن والحسين فقال رئيسهم: لا تلاعنوا هذا الرجل فوالله لئن لاعنتموه ليخسفن أحد الفريقين، فجاءوا فقالوا: يا أبا القاسم إنما أراد أن يلاعنك سفهاؤنا وإنا نحب أن تعفينا قال: قد عافيتكم ثم قال: إن العذاب قد أظل نجران»[٦].

---

(١) سورة الكهف آية ٧٦.

(٢) المستدرك للحاكم وقال صحيح الإسناد وسكت عنه الذهبي، ج٢، ص ٦٢٧.
؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الفضائل، باب فضل زكريا والخضر عليهما السلام، ج١٦، ص ١٤١. وقد رواه ابن عباس رضي الله عنهما مطولاً.

(٣) المستدرك للحاكم وقال صحيح ووافقه الذهبي، ج٢، ص ٦٢٩.

(٤) سورة الأنبياء ٨٧.

(٥) مسند الإمام أحمد، ج١، ص ١٧٠.
؛ سنن الترمذي، كتاب الدعوات، ج٥، ص ٥٢٩.
؛ المستدرك للحاكم وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، ج٢، ص ٦٣٧.

(٦) المستدرك للحاكم وقال: صحيح ووواوفقه الذهبي، ج٢، ص ٦٤٩.

أفضل نساء العالمين:

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل نساء العالمين خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون»[1]. وهذا ردٌ على من ادعى نبوة مريم انظر البحث ص ٣٨٢.

اختلاف الأنبياء في الاجتهاد واتفاقهم في الوحي من الله:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «كانت أمرأتان معهما ابناهما، جاء الذئب فذهب بابن إحداهما، فقالت صاحبتها: إنما ذهب بابنك، وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك، فتحاكمتا إلى داود فقضى به للكبرى، فخرجتا على سليمان بن داود فأخبرتاه، فقال: ائتوني بالسكين أشقه بينكما، فقالت الصغرى: لا تفعل يرحكمك الله هو ابنها، فقضى به للصغري.»[2]

فضل النبي ﷺ وطيب معدنه:

عن العباس رضي الله عنه، أنه جاء إلى النبي ﷺ، فكأنه سمع شيئاً: فقام النبي ﷺ على المنبر، فقال: «من أنا؟ فقالوا: أنت رسول الله. فقال: أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، إن الله خلق الخلق فجعلني في خيرهم، ثم جعلهم فرقتين، فجعلني في خير فرقه، ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة، ثم جعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً، فأنا خيرهم نفساً وخيرهم بيتاً»[3]. وقال أبو عيسى: حديث حسن.

---

(١) نفس المصدر وقال: صحيح الإسناد وقال الذهبي صحيح، ج٢، ص ٦٥٠.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: ووهبنا لداود سليمان ج٦، ص ٤٥٨.

؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الأقضية باب بيان اختلاف المجتهدين، ج١٢، ص ١٧.

(٣) سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب في فضل النبي ﷺ ج٥، ص ٥٨٤.

؛ مشكاة المصابيح وقال الألباني حديث صحيح وحسنه الترمذي، ج٣، ص ١٦٠٤.

سابق علم الله تعالى بنبوة نبينا محمد ﷺ:

عن ميسرة الفخر، قال: قلت لرسول الله ﷺ: «متى كنت نبياً؟ قال: وآدم بين الروح والجسد»[1]. وهذا في تقدير الله سبحانه وتعالى.

مبعث النبي ﷺ وزمن بعثته، ووفاته ﷺ:

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «أُنزل على رسول الله ﷺ وهو ابن أربعين، فأقام بمكة ثلاث عشرة وبالمدينة عشراً، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين» قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح[2].

مولد النبي ﷺ:

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «ولد النبي ﷺ عام الفيل»[3].

محمد ﷺ ومكارم الأخلاق:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «بعثت لأتمم صالح الأخلاق»[4].

محمد ﷺ كان خلقه القرآن:

عن سعد بن هشام أنه دخل مع حكيم بن أفلح على عائشة رضي الله عنها فسألها فقال: «يا أم المؤمنين أنبئيني عن خلق رسول الله ﷺ: قالت: أليس تقرأ القرآن؟ قال: بلى. قالت: فإن خلق نبي الله ﷺ القرآن..»[5].

---

(١) المستدرك للحاكم وقال: حديث صحيح ووافقه الذهبي، ج٢، ص ٦٦٥.

(٢) سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب في مبعث النبي ﷺ، وابن كم كان حين بعث ج٥، ص ٥٩١.

(٣) المستدرك للحاكم وقال: حديث صحيح ووافقه الذهبي، ج٢، ص ٦٥٨ .

(٤) موطأ الإمام مالك، كتاب الجامع، باب ما جاء في حسن الخلق، ص ٦٥١.
؛ المستدرك للحاكم، وقال: صحيح ووافقه الذهبي، ج٢، ص ٦٧٠.

(٥) المستدرك للحاكم، وقال صحيح ووافقه الذهبي، ج٢، ص ٦٧٠.

محمد رسول الله ﷺ أجود الناس بالخير من الريح المرسلة:

عن عائشة رضي الله عنها، قالت: «ما لعن رسول الله ﷺ مسلماً من لعنة تذكر، ولا ضرب بيده شيئاً قط، إلا أن يضرب بها في سبيل الله، ولا سئل عن شيء قط فمنعه إلا أن يسأل مأثماً كان أبعد الناس منه، ولا انتقم لنفسه من شيء قط يؤتى إليه إلا أن تنتهك حرمات الله فيكون لله ينتقم، ولا خيّر بين أمرين قط إلا اختار أيسرهما، وكان إذا أحدث العهد بجبريل يدارسه كان أجود الناس بالخير من الريح المرسلة»[1].

محمد رسول الله ﷺ وتواضعه ومراقبته لله تعالى:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يكثر الذكر ويقل اللغو ويطيل الصلاة ويقصر الخطبة ولا يستنكف أن يمشي مع العبد والأرملة حتى يفرغ لهم من حاجاتهم»[2].

من آيات إثبات نبوة محمد ﷺ وما خصه الله عز وجل به:

عن سمرة بن جندب رضي الله عنه، قال: «كنا مع رسول الله ﷺ نتداول في قصعة من غدوة حتى الليل، يقوم عشرة ويقعد عشرة. قلنا: فمما كانت تمدّ؟ قال: من أي

؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب صلاة المسافرين باب صلاة النبي ﷺ ودعائه بالليل، ج٦، ص ٥٤. وقد رواه عن عائشة رضي الله عنها. مختصراً .

(١) المستدرك للحاكم، وقال صحيح ووافقه الذهبي، ج٢، ص ٦٧٠.

؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الفضائل، باب كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير من الريح المرسله، ج١٥، ص ٦٨

؛ فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، ج١، ص ٣٠.

وقد روياه عن ابن عباس رضي الله عنهما مختصراً .

(٢) المستدرك للحاكم وقال صحيح ووافقه الذهبي، ج٢، ص ٦٧١.

؛ سنن النسائي، كتاب الجمعة، باب ما يستحب من تقصير الخطبة، ج٣، ص ١٠٨.

؛ سنن الدارمي، المقدمة، باب في تواضع رسول الله ﷺ ورواه عن عبد الله بن أبي أوفى.

شيء تعجب ما كنت تمدّ إلا من ههنا وأشار بيده إلى السماء»[1] قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

سلام الشجر والحجر على رسول الله ﷺ:

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: «كنت مع النبي ﷺ بمكة، فخرجنا في بعض نواحيها، فما استقبله جبل ولا شجر إلا وهو يقول السلام عليكم يا رسول الله»[2]. قال أبو عيسى: هذا حديث غريب.

الفتح الإسلامي لمصر، ووصية النبي ﷺ بأهل مصر:

عن أبي ذر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنكم ستفتحون مصر، وهي أرض يسمى فيها القيراط، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها؛ فإن لهم ذمة ورحما، أو قال ذمة وصهرا..»[3]

قال الإمام النووي، «قال العلماء: القيراط جزء من أجزاء الدينار والدرهم.. وأما أهل الذمة فهي الحرمة والحق، وأما الرحم فلكون هاجر أم إسماعيل منهم، وأما الصهر فلكون مارية أم إبراهيم منهم، وفيه معجزة ظاهرة لرسول الله ﷺ منها إخباره بأن الأمة تكون لهم قوة وشوكة بعده ﷺ بحيث يقهرون العجم والجبابرة ومنها أنهم يفتحون مصر»[4].

---

(١) سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب في إثبات نبوة النبي ﷺ ج٥، ص ٥٩٣.
؛ المستدرك للحاكم وصححه ووافقه الذهبي، ج٢، ص ٦٧٥.

(٢) سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب في إثبات نبوة النبي ﷺ ج٥، ص٥٩٣.
؛ سنن الدارمي، المقدمة، باب ما أكرم الله به نبيه من إثبات إتيان الشجر،ج١، ص ١٢،
؛ المستدرك للحاكم، وقال: صحيح ووافقه الذهبي، ج٢، ص ٦٧٧.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم باب وصية النبي ﷺ بأهل مصر، ج١٦، ص ٩٧.

(٤) شرح النووي، ج١٦، ص ٩٧.

دعاؤه ﷺ لعلي رضي الله عنه بالشفاء فعافاه الله:

عن علي رضي الله عنه، قال: «مرضت فأتى علي النبي ﷺ وأنا أقول: اللهم إن كان أجلي قد حضر فأرحني، وإن كان متأخراً فارفعني، وإن كان البلاء فصبرني، فقال: ما قلت؟ فأعدت. فقال رسول الله ﷺ اللهم اشفه اللهم عافه ثم قال: قم. فقمت فما عاد لي ذلك الوجع بعده»[1].

إن الناظر في دعوته ﷺ لن يرتاب في أنه لم يقصد مغنماً، وإنما كانت تقوم على إفراد الله بالعبادة؛ وبهذا أُرسل الرسل عليهم الصلاة والسلام:

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: خرج رسول الله ﷺ يوماً، فقال: «إني رأيت في المنام كأن جبريل عند رأسي وميكائيل عند رجلي يقول أحدهما لصاحبه أضرب له مثلاً فقال: أسمع سمعت إذنك، واعقل عقل قلبك، إنما مثلك ومثل أمتك كمثل ملك اتخذ داراً ثم بنى فيها بيتاً ثم جعل فيها مأدبة ثم بعث رسولاً يدعو الناس إلى طعامهم فمنهم من أجاب ومنهم من ترك، فالله هو الملك، والدار الإسلام والبيت الجنة، وأنت يا محمد الرسول من أجابك دخل الإسلام ومن دخل الإسلام دخل الجنة، ومن دخل الجنة أكل منها»[2].

إن الله تعالى حرّم على ورثة الأنبياء إرثهم:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «لا يقتسم ورثتي ديناراً، ما تركت بعد نفقة نسائي، ومئونة عاملي، فهو صدقة»[3].

---

(١) المستدرك للحاكم وقال: حديث صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، ج٢، ص ٦٧٧.

(٢) المستدرك للحاكم وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، ج٢، ص ٣٦٩.
؛ فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الاعتصام، باب الإقتداء بسنة الرسول ﷺ، ج١٣، ص٢٤٩.
عن جابر أيضاً بلفظ مقارب.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب فرض الخمس، باب نفقة نساء النبي ﷺ بعد وفاته، ج٦، ص ٢٤٩،
؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الجهاد، باب حكم الفيء، ج١٢، ص ٨١.

وعن عمرو بن الحارث رضي الله عنه قال: «ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ولا أمة، إلا بغلته البيضاء التي كان يركبها وسلاحه، وأرضاً جعلها لابن السبيل صدقة»[(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنا معشر الأنبياء لا نورث. ما تركت بعد مؤنة عاملي ونفقة نسائي صدقة»[(٢)].

وذلك كي لا يترك مجالاً للطعن في دعوته ﷺ ودعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. قال ابن القيم: «وقد سئل إعرابي: بم عرفت أن محمداً رسول الله؟ فقال: ما أمر بشيء فقال العقل: ليته ينهى عنه، ولا نهى عن شيء، فقال العقل: ليته أمر به.. والمقصود أن الداخلين في الإسلام المستدلين على أنه من عند الله لحسنة وكماله وأنه دين الله الذي لا يجوز أن يكون من عند غيره، هم خواص الخلق»[(٣)].

ومن علامات نبوته ﷺ، النظر في أحوال أصحابه وقول أبي بكر الصديق رضي الله عنه: «لئن كان قال ذلك فقد صدق»:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لما أسري بالنبي ﷺ إلى المسجد الأقصى أصبح يتحدث الناس بذلك، فارتد ناس ممن كان آمنوا به وصدقوه، وسعى رجال من المشركين إلى أبي بكر رضي الله عنه، فقالوا: هل لك إلى صاحبك يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس؟ قال: أو قال ذلك؟ قالوا: نعم. قال: لئن كان قال ذلك لقد صدق. قالوا: أو تصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟ قال: نعم، إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة. فلذلك سمي أبو بكر الصديق»[(٤)].

وفي الباب عن عائشة رضي الله عنها ومالك بن أوس رضي الله عنه والاستدلال به جاء مناسباً لدعوة الرسول ﷺ وصدقه وأنه إنما يرجو بعمله وجه الله تعالى والدار الآخرة.

(١) نفس المصدر، كتاب المغازي باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ج٨، ص ١٤٨.

(٢) مسند الإمام أحمد، ج٢، ص ٤٦٣ .

(٣) مفتاح دار السعادة لابن القيم، ج٢، ص ١٣.

(٤) المستدرك للحاكم وقال، حديث صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، ج٣، ص ٦٥.

سعد بن الربيع رضي الله عنه يقرئ الرسول ﷺ السلام وقد طعن اثنتي عشرة طعنة ويخبر قومه أن لا عذر لهم عند الله في الدفاع عن الرسول ﷺ:

قال الإمام مالك: لما كان يوم أحد. قال رسول الله ﷺ: «من يأتيني بخبر سعد بن الربيع الأنصاري، فقال رجل: أنا يا رسول الله. فذهب الرجل يطوف بين القتلى، فقال سعد بن الربيع: ما شأنك؟ فقال له الرجل: بعثني إليك رسول الله ﷺ لآتيه بخبرك، قال فاذهب إليه فأقرئه مني السلام، وأخبره أني قد طعنت اثنتي عشرة طعنة، وأني قد أنفذت مقاتلي، وأخبر قومك أنه لا عذر لهم عند الله، إن قتل رسول الله ﷺ وواحد منهم حي»[1].

أصحاب رسول الله ﷺ لا يريدون بإيمانهم بدعوته إلا الله والدار الآخرة فرسالته صلى الله عليه وسلم لا يتطرق إليها غرض من أغراض الدنيا ومنافعها للإيمان به وبدعوته:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: قال رجل للنبي ﷺ يوم أحد: «أرأيت إن قتلت فأين أنا؟ قال: في الجنة. فألقى تمرات في يده، ثم قاتل حتى قتل»[2].

وعن أنس رضي الله عنه: قال: قال رسول الله ﷺ: «قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض قال: عمير بن الحمام الأنصاري؛ يا رسول الله جنة عرضها السموات والأرض. قال: نعم، قال: بخ بخ. فقال رسول الله ﷺ ما يحملك على قولك بخ بخ. قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاءة أن أكون من أهلها. قال: فإنك من

---

(١) الموطأ للإمام مالك، كتاب الجهاد، باب الترغيب في الجهاد، ص ٣١٠؛ البداية والنهاية لابن كثير ج٤، ص ٤٠.
؛ سير أعلام النبلاء للذهبي، ج١، ص ٣١٨.
؛ دلائل النبوة للبيهقي، ج ٣، ص ٢٨٥.
؛ المستدرك للحاكم وصححه ووافقه الذهبي في مناقب سعد رضي الله عنه ج٣، ص ٧٠٣.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة أحد، ج٧، ص ٣٥٤.
؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد، ج١٣، ص ٤٣.

أهلها. فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال: لئن حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، قال: فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل»[1].

قال عبد الله بن سلام رضي الله عنه فيما رواه الإمام أحمد بسنده عنه: «فلما رأيته عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب»[2].

(١) نفس المصدر، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد، ج١٣، ص ٤٥.
(٢) مسند الإمام أحمد، ج٥، ص ٤٥١.
؛ المستدرك للحاكم وصححه ووافقه الذهبي ج٣، ص ١٤.



الفصل الخامس

المسائل التي ثبتت عند أهل السنة والجماعة في باب الإيمان باليوم الأخر بخبر الآحاد وأنكر حجيتها المخالفون والحكم عليها

وفيه:

- تمهيد
- ذكر المسائل بأدلتها.

******



تمهيد

إن الإيمان باليوم الآخر والبعث وعذاب القبر ونعيمه والنفخ في الصور والحشر والشفاعة والصراط والجنة والنار وغيرها مما جاء في الكتاب والسنة الصحيحة، ركن من أركان الإيمان.

ومن الإيمان باليوم الآخر، الإيمان بكل ما أخبر به النبيﷺ مما يكون بعد الموت.

«والمعاد غيب، ولكنه غيب صادق، ولا يكون كذلك إلا إذا صحت نسبة الخبر إلى الله أو إلى رسولهﷺ وعدم إتباع نهج المؤولين المحرفين للنصوص، أولئك الذين أقاموا من عقولهم حكماً يقاضون إليه النصوص، فقلبوا الميزان، فأصبح الحاكم عندهم محكوماً فضلّوا وأضلّوا، ووصل الحال ببعضهم إلى تكذيب كثير مما يجري في الآخرة مما صحت به الأخبار، وعمدتهم في ذلك مقاييس عقلية، لو دققوا النظر فيها لتبين لهم فسادها، ولو تعمقوا في علوم الآخرة لبان لهم أن الآخرة غير الدنيا وأن مقاييس وموازيين الآخرة مخالفة لما عليه الحال في الدنيا»[1].

«فأهل المروق والإلحاد من الفلاسفة والمعتزلة، ينكرون هذه الأمور، من سؤال القبر، بدعوى إنها لم تثبت بالعقل.. وهم يردون الأحاديث الواردة في هذه الأمور بدعوى إنها أحاديث آحاد لا تقبل في باب الاعتقاد، وأما الآيات فيؤولونها بما يصرفها عن معانيها.. وأما أهل السنة والجماعة فيؤمنون بذلك كله... والضابط في ذلك أنها أمور ممكنة أخبر بها الصادق صلوات الله عليه

(١) العقيدة في ضوء الكتاب والسنة، د. عمر الأشقر، ص ٨.

وسلامه وآله، وكل ممكن أخبر به الصادق يجب الإيمان بوقوعه كما أخبر»(١).

وفي هذا الفصل سيتم عرض الأحاديث الصحيحة الدالة على مسائل العقيدة في اليوم الآخر وينكر حجيتها المخالفون.

نعيم القبر وعذابه:

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار. فانتهينا إلى القبر ولما يلحد بعد، قال فقعدنا حول النبي ﷺ، فجعل ينظر إلى السماء وينظر إلى الأرض، وجعل يرفع بصره ويخفضه ثلاثاً ثم قال: «اللهم إنني أعوذ بك من عذاب القبر. ثم قال: إن الرجل المسلم إذا كان في قبل من الآخرة وانقطاع من الدنيا، جاء ملك الموت فقعد عند رأسه، وتنزل ملائكة من السماء كأن وجوههم الشمس، معهم أكفان من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، فيقعدون منه مد البصر قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء، فلا يتركونها في يده طرفة عين فيصعدون بها إلى السماء، فلا يمرون بها على جند من ملائكة إلا قالوا ما هذه الروح الطيبة؟ فيقولون: فلان ابن فلان. بأحسن أسمائه، فإذا انتهى إلى السماء فتحت له أبواب السماء، ثم يشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها، حتى ينتهي إلى السماء السابعة، ثم يقال: اكتبوا كتابه في عليين، ثم يقال ارجعوا إلى الأرض، فإني وعدتهم أني منها خلقتهم وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى، فترد روحه إلى جسده فتأتيه الملائكة فيقولون: من ربك؟ قال: فيقول الله، فيقولون ما دينك؟ فيقول: الإسلام. فيقولون: ما هذا الرجل الذي خرج فيكم؟ قال: فيقول رسول الله، قال فيقولون وما يدريك؟ قال: فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت، قال: فينادي منادٍ من السماء أن صدق، فافرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وأروه منزله من الجنة، قال ويُمدّ له في قبره، ويأتيه روح الجنة وريحها. قال فيفعل ذلك به، ويمثل له رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي

---

(١) العقيدة الواسطية للشيخ محمد الهراس ص ٢٠٣.

يسرك هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول من أنت؟ فوجهك وجه يبشر بالخير قال: فيقول أنا عملك الصالح. قال: فهو يقول: رب أقم الساعة أرجع إلى أهلي ومالي ثم قرأ ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾[1].

وأما الفاجر: فإذا كان في قبل من الآخرة وانقطاع من الدنيا أتاه ملك الموت، فقعد عند رأسه، فيقول ملك الموت: أخرجي أيتها النفس الخبيثة إلى سخط من الله وغضب. قال: فتفرق في جسده، فينقطع معها العروق والعصب، كما يستخرج الصوف المبلول بالسفود ذي الشعب. قال فيقومون إليه، فلا يدعونها في يده طرفة عين، فيصعدون بها إلى السماء، فلا يمرون على جند من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الخبيثة؟ قال فيقولون فلان، بأقبح أسمائه، قال فإذا انتهى به إلى السماء غلقت دونه أبواب السموات. قال ويقال اكتبوا كتابه في سجين، قال: ثم يقال أعيدوا عبدي إلى الأرض فإني وعدتهم أني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى. قال. فيرمي بروحه حتى تقع في جسده قال: ثم قرأ ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[2] قال: فتأتيه الملائكة فيقولون: من ربك؟ قال: فيقول لا أدري، فينادى منادٍ من السماء: أن قد كذب فأفرشوه من النار وألبسوه من النار، وأروه منزله من النار. قال: فيضيق عليه في قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، قال: ويأتيه ريحها وحرّها، قال فيفعل به ذلك، ويمثل له رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح فيقول: أبشر بالذي يسؤك، هذا يومك الذي كنت توعد، قال: فيقول: من أنت؟ فوجهك وجه يبشر بالشر. قال: فيقول: أنا عملك الخبيث، قال: فهو يقول: رب لا تقم الساعة»[3].

---

(١) سورة إبراهيم ٢٧.

(٢) سورة الحج ٣١.

(٣) المستدرك للحاكم بأسانيد له عن البراء وقال: هذه الأسانيد التي ذكرتها صحيحة على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي. ج١ ص ٩٣-٩٨.

؛وقال صاحب الترغيب والترهيب: الحافظ المنذري: رواه أبو داود وأحمد بإسناد رواته

الدعاء للميت إذا وضع في قبره والتسمية وأن ذلك سنة رسول الله ﷺ:

عن أبن عمر رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ، كان إذا وضع الميت في القبر قال: «بسم الله وعلى سنة رسول الله ﷺ»[1].

إنما الصبر عند الصدمة الأولى، وسيد الخلق لا بوابين عنده:

عن أنس رضي الله عنه قال: مرّ النبي ﷺ بامرأة تبكي عند قبر، فقال: «اتقِ الله واصبري قالت: إليك عني، فإنك لم تصب بمصيبتي، ولم تعرفه. فقيل لها: إنه النبي ﷺ. فأتت باب النبي ﷺ فلم تجد بوابين، فقالت: لم أعرفك. فقال: إنما الصبر عند الصدمة الأولى»[2] قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح.

الثناء على الميت:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: مروا على رسول الله ﷺ بجنازة، فأثنوا عليها خيراً، فقال: «وجبت» ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شراً، فقال «وجبت» ثم قال:

محتج بهم في الصحيح فهو حسن مشهور بالمنهال بن عمر عن زاذان عن البراء. ج ٤ ص١٩٧,١٩٦.

؛ الشريعة، لأبي بكر الآجرّي، ص ٣٧٠.

؛ مسند الإمام أحمد جـ ٤ ص ٢٨٧، ٢٨٨.

؛ سنن أبي داود، كتاب الجنائز، باب الجلوس على القبر مختصراً ج ٣ ص ٥٤٦.

؛ سنن أبن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في الجلوس في المقابر مختصراً، ج١ ص٤٦٩.

؛ سنن النسائي، كتاب الجنائز، باب الوقوف للجنائز ج ٤ ص ٧٨ مختصراً.

(١) مسند الإمام أحمد ج٢، ص ٥٩ وإسناده صحيح، مشكاة المصابيح ج١،ص ٥٣٥.
؛ سنن الترمذي، كتاب الجنائز، باب ما يقال إذا أدخل الميت القبر ج ٣، ص ٣٥٥
؛ سنن أبي داود، كتاب الجنائز باب في الدعاء للميت ج٣، ص ٥٤٦.
؛ سنن ابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في إدخال الميت القبر ج١، ص ٤٧٠.

(٢) سنن الترمذي، كتاب الجائز، باب ما جاء في الصبر في الصدمة الأولى ج٣، ص ٣٠٥.
؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الجنائز، باب الصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى ج٦،ص ٢٢٧.
؛ فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب زيارة القبور ج ٣، ص ١٤٨

«إن بعضكم على بعض شهداء»[1].

عظم ثواب من صلى على الجنازة وفرغ من دفنها:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: «من اتبع جنازة مسلم إيماناً واحتسابا، وكان معه حتى يصلي عليها ويفرغ من دفنها، فإنه يرجع بقيراطين، كل قيراط مثل أحد، ومن صلى عليها ثم رجع قبل أن تدفن، فإنه يرجع بقيراط»[2].

إن الله سبحانه يحسب لعبده الأجر فيما كان يعمل إذا مرض أو سافر:

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ «إذا مرض العبد أو سافر كتب له بمثل ما كان يعمل مقيماً صحيحاً»[3].

عظم ثواب زيارة المريض:

عن ثوبان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم لم يزل في خرفة الجنة حتى يرجع»[4].

الحب والبغض في الله؛ الولاء والبراء وعم رسول الله ﷺ مات كافراً:

عن على بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: قلت للنبي ﷺ: إن عمك الشيخ الضال

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب الثناء على الميت ج٣،ص ٢٢٨.
؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الجنائز، باب من أثنى على الميت خيراً أو شراً ج٣، ص ١٩.
؛سنن أبي داود، كتاب الجنائز، باب في الثناء على الميت ج٣ ص ٥٥٦.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب من انتظر حتى تدفن ج٣،ص ١٩٦.
؛ صحيح مسلم بشرح النووى، كتاب الجنائز، باب فضل الصلاة على الجنازة واتباعها ج٣ ص ١٣.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب يكتب للمسافر والمريض مثل ما كان يعمل ج٦ ص ١٣٦.

(٤) صحيح مسلم كتاب البر والصلة، باب فضل عيادة المريض ج١٦ ص ١٢٥.
وقال الإمام النووي: خرفة الجنة أي جناها أي يؤول به ذلك إلى الجنة.

قد مات، قال: «اذهب فوار أباك، ثم لا تحدثن شيئاً حتى تأتيني فذهبت فواريته، وجئته، فأمرني فاغتسلت ودعا لي»(١).

أربع من أمور الجاهلية، والتحذير من النيّاحة:

عن أبي مالك الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ: «أربع في أمتي من أمور الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة» وقال: «النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب»(٢).

لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيدخل النار:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار إلا تحلة القسم»(٣).

عجب للمؤمن أمره كله خير في شكره وصبره:

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عجب للمؤمن إن أصابه خير حمد الله وشكر، وإن أصابته مصيبة حمد الله وصبر، فالمؤمن يؤجر

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الجنائز، باب الرجل يموت له قرابة مشرك ج٣ ص ٥٤٧.
؛ سنن النسائي، كتاب الجنائز، باب مواراة المشرك ج٤ ص ٧٩.
؛ الأحاديث المختارة لأبي عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي، تحقيق عبد الملك ابن دهيش مكتبة النهضة الحديثة مكة سنة ١٤١٠ هـ وإسناده صحيح ج٢ ص ٣٦٤.
؛ مسند الإمام أحمد ج١ ص ١٣١.
؛ فتح الباري وقال الإمام بن حجر: هذا الحديث أصح. ووقفت على جزء جمعه بعض أهل الرفض أكثر فيه من الأحاديث الواهية الدالة على إسلام أبي طالب ولا يثبت من ذلك شئ. ج٧ ص ١٩٥.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى، كتاب الجنائز، باب التشديد في النياحة ج٦ ص ٢٣٥.

(٣) نفس المصدر كتاب البر والصلة، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه ج ١٦، ص ١٨٠.
؛ فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب قوله تعالى: «وأقسموا بالله جهد إيمانهم»، ج١١، ٥٤١.

في كل أمره، حتى في اللقمة يرفعها إلى في أمراته»[1].

تلقين الميت لا إله إلا الله:

عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرةﷺ، قالا: قال رسول الله ﷺ: «لقنوا موتاكم لا إله إلا الله»[2]

لا يتمنى المريض الموت:

عن أبي هريرةﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يتمنى أحدكم الموت، أما محسناً فلعله أن يزداد خيراً، وإما مسيئاً فلعله أن يستعتب»[3].

زيارة القبور تزهد في الدنيا وتذكر الآخرة:

عن أبي هريرةﷺ، قال: زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله، فقال: «استأذنت ربي في أن أستغفر لها، فلم يؤذن لي، وأستأذ نته في أن أزور قبرها فأذن لي: فزوروا القبور فإنها تذكر الموت»[4].

كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب:

عن أبي سعيد الخدريﷺ: أن رسول الله ﷺ: قال «يأكل التراب كل شئ من الإنسان إلا عجب ذنبه: قيل وما هو يا رسول الله؟ قال: مثل حبة خردل منه ينشأون»[5].

---

(١) مسند الإمام أحمد جـ١ ص ١٧٣، ١٧٧، ١٨٢، بسند صحيح، مشكاة المصابيح جـ١ ص ٥٤٣.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى، كتاب الجنائز، باب تلقين الموتى لا إله إلا الله جـ٦ ص ٢١٩.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري. كتاب المرضى، باب تمنى المريض الموت جـ١٠ ص ١٢٧.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووى، كتاب الجنائز، باب استئذان النبي ﷺ ربه عز وجل جـ٧ ص ٤٦.

(٥) المستدرك للحاكم وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي ج ٤ ص ٦٥٢.

من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه:

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، فقالت عائشة إنا لنكره الموت، قال: ليس ذلك؟ ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته فليس شيء أحب إليه مما أمامه فأحب لقاء الله، وأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا حضره الموت بشر بعذاب الله وعقوبته، فليس شيء أكره إليه مما أمامه، فكره لقاء الله وكره الله لقاءه»[1].

من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة:

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»[2].

من عاد مريضا فسأل الله أن يشفيه إلا عافاه الله من ذلك المرض ما لم يحضر أجله:

عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «من عاد مريضاً لم يحضر أجله فقال عنده سبع مرات: أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك إلا عافاه الله من ذلك المرض»[3].

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ج ١١ ص ٣٥٧

؛ صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الذكر والدعاء والاستغفار، باب من أحب لقاء الله، ج١٧، ص ٩.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الجنائز، باب التلقين ج ١ ص ٤٨٦.

؛ المستدرك للحاكم وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي ج ١ ص ٦٧٨

(٣) المستدرك للحاكم وقال: صحيح ووافقه الذهبي ج ٤ ص ٤٩٣.

؛ سنن الترمذي كتاب الطب وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب. ج ٤ ص ٤١٠

؛ مسند الإمام أحمد ج ١ ص ٢٤٣.

لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل:

عن أبي برزة الأسلمي، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيما فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه»(١) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

بعثته ﷺ من أشراط الساعة:

عن سهل بن سعد رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين. ويشير بإصبعيه فيمدهما»(٢).

مقدار أجل أمة محمد ﷺ بين الأمم:

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن الرسول ﷺ قال: «إنما أجلكم في أجل من خلا من الأمم، ما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس..»(٣)

لا خير فيمن تدركهم الساعة:

عن الزبير بن عدي قال: دخلنا على أنس بن مالك، قال: فشكونا إليه ما نلقى من الحجاج، فقال: «ما من عام إلا الذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم، سمعت هذا من نبيكم ﷺ».

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح(٤).

وعن بن مسعود رضي الله عنه، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «من شرار الناس من

---

(١) سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب في القيامة ج ٤ ص ٦١٢.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب قوله صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين ج ١١ ص ٣٧٤.

؛ صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الفتن، باب قرب الساعة ج ١٨ ص ٨٨.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بنى إسرائيل ج ٦ ص٤٩٥.

(٤) سنن الترمذي كتاب الفتن، ج ٤ ص ٤٩٢.

تدركهم الساعة وهم أحياء»[1].

كذابين بين يدي الساعة:

عن جابر بن سمرة، قال: سمعت رسول اله ﷺ يقول: «إن بين يدي الساعة كذابين فاحذروهم»[2].

رفع العلم وكثرة الجهل من أشراط الساعة:

عن أنس رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم، ويكثر الجهل، ويكثر الزنا، ويكثر شرب الخمر، ويقل الرجال، وتكثر النساء، حتى يكون لخمسين امرأة القيّم واحد»[3].

هلاك العرب:

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: «لقد علمت ورب الكعبة متى تهلك العرب إذا ولي أمرهم من لم يصحب الرسول ﷺ ولم يعالج أمر الجاهلية»[4].

لا تقوم الساعة حتى تكون عشر آيات:

عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: سمعت رسول ﷺ يقول: لا تقوم الساعة حتى تكون عشر آيات: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف في جزيرة العرب، والدجال، والدخان، ونزول عيسى ابن مريم، فيأجوج ومأجوج، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب ظهور الفتن ج ١٣ ص ١٤.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإمارة باب الناس تبعاً لقريش، ج١٢، ص ٢٠٣.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب العلم باب رفع العلم وظهور الجهل ج ١ ص ١٧٨

؛ صحيح مسلم بشرح النووى كتاب العلم باب رفع العلم وظهور الجهل ج ١٨ ص ٢٢١.

(٤) المستدرك للحاكم وقال صحيح ووافقه الذهبي ج ٤ ص ٤٧٥.

المحشر تحشر الذر والنمل»[1].

بشارة من محمد ﷺ بظهور الإسلام ما بلغ الليل والنهار:

عن تميم الداري رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليبلغن هذا الأمر مبلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا دخله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل يعز بعز الله في الإسلام ويذل به في الكفر»[2].

لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الأنس:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الأنس»[3]

المهدي يعيش خمساً أو سبعاً أو تسعاً:

عن أبي سعيد الخدري قال: خشينا أن يكون بعد نبينا حدث فسألنا نبي الله ﷺ فقال: «إن في أمتي المهدي يخرج يعيش خمساً أو سبعاً أو تسعاً - زيد الشاك - قال: قلنا وما ذاك؟ قال: سنين، قال فيجئ إليه رجل فيقول يا مهدي: أعطني أعطني قال: فيحثي له في ثوبه ما استطاع أن يحمله».

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن[4].

وعنه رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «يخرج في آخر أمتي المهدي يسقيه الله الغيث وتخرج الأرض نباتها، ويعطى المال صحاحاً وتكثر الماشية، وتعظم الأمة، يعيش سبعاً أو ثمانياً يعني حججاً»[5].

---

(١) المستدرك للحاكم وقال صحيح ووافقه الذهبي ج ٤ ص ٤٧٥.
(٢) نفس المصدر،،،،،،،،،، ج ٤ ص ٤٧٧.
؛ مسند الإمام أحمد ج ٤ ص ١٠٣.
؛ نفس المصدر ج ٦ ص ٤ عن المقداد بن الأسود
(٣) سنن الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في كلام السباع ج ٥ ص ٤٧٦.
؛ مشكاة المصابيح قال الألباني: وإسناده صحيح ج ٣ ص ١٥٠٣.
(٤) سنن الترمذي، كتاب الفتن باب ما جاء في المهدي ج ٤ ص ٥٠٦ .
(٥) المستدرك للحاكم وصححه ووافقه الذهبي ج ٤ ص ٦٠١.

نبي الله عيسى ﷺ يمكث في الأرض أربعين سنة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ليس بيني وبينه نبي - يعني عيسى - وأنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه: رجل مربوع إلى الحمرة والبياض، بين ممصرتين، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، فيقاتل الناس على الإسلام، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير ويضع الجزية، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك المسيح الدجال ' فيمكث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون»[1].

قال ابن حجر: «قال العلماء، والحكمة في نزول عيسى دون غيره من الأنبياء الردّ على اليهود في زعمهم أنهم قتلوه، فيبين الله تعالى كذبهم وأنه الذي يقتلهم، أو نزوله لدنو أجله ليدفن في الأرض، إذ ليس لمخلوق من التراب أن يكون في غيرها. وقيل إنه دعا الله لما رأى صفة محمد وأمته أن يجعله منهم فاستجاب الله وأبقاه حتى ينزل في آخر الزمان. مجدداً لأمر الإسلام فيوافق خروج الدجال فيقتله، والأول أوجه.. ورواه أحمد وأبو داود بإسناد صحيح عن أبي هريرة مرفوعاً»[2].

الجسّاسة:

عن فاطمة بنت قيس في حديث تميم الداري - الطويل - قالت: قال: رسول الله ﷺ عن تميم الداري قال:.. فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة أهلب[3] كثير الشعر، لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر قالوا: ويلك من أنت؟ قالت: أنا الجساسة[4] أذهب إلى ذلك القصر فأتيته، فإذا رجل يجر شعره، مسلسل في الأغلال. ينزو[5] فيما بين السماء والأرض فقلت: من أنت قال: أنا الدجال»[6]

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الملاحم باب خروج الدجال ج ٤ ص ٤٩٩.
(٢) فتح الباري لابن حجر ج ٦ ص ٤٩٣.
(٣) أهلب: ما غلظ من الشعر وكثر، مرقاة الصعود ج ٥ ص ٢٠٥
(٤) الجساسة: سميت بذلك لتجسسها الأخبار للدجال ،،،،،،،، ٢٠٦
(٥) ينزو: أي يثب وثوباً إلى السماء ،،،،،،،، ٢١٠.
(٦) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الفتن باب قصة الجساسة، ج١٨، ص ٨٧.
؛ سنن أبى داود، كتاب الملاحم، باب في خبر الجساسة ج ٤، ص ٤٩٩.

رؤية النبي ﷺ لأخيه عيسى عليه الصلاة والسلام مناماً وكذا الدجال:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «رأيتني الليلة عند الكعبة، فرايت رجلاً أدم كأحسن ما أنت راءٍ من أدم الرجال، له لمة[١] كأحسن ما أنت راءٍ من اللمم قد رجّلها[٢]، فهي تقطر ماء، متكئاً على عواتق[٣] رجلين يطوف بالبيت، فسألت: من هذا؟ فقالوا: هذا المسيح ابن مريم. قال: ثم إذا أنا برجل جعد قطط أعور العين اليمين، كأن عينه عنبة طافية، كأشبه من رأيت من الناس بابن قطن، واضعاً يديه على منكبي رجلين يطوف بالبيت فسألت من هذا؟ فقالوا هذا المسيح الدجال»[٤].

قال القاضي عياض رحمه الله: «إن كانت هذه رؤيا عين فعيسى عليه السلام حي لم يمت يعني فلا امتناع في طوافه حقيقة، وان كان مناماً كما نبه عليه ابن عمر رضي الله عنهما في روايته فهو محتمل.. وعلى هذا يحمل ما ذكر من طواف الدجال بالبيت وأن ذلك رؤيا إذ قد ورد في الصحيح أنه لا يدخل مكة والمدينة..

وأما المسيح فهو صفة لعيسى ﷺ وصفة للدجال واختلف العلماء في سبب التسمية على أقوال.. ولكن عيسى ﷺ مسيح هدى والدجال مسيح ضلاله»[٥].

الأنبياء يحذّرون من الدجال:

عن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنه لم يكن نبي بعد نوح إلا وقد أنذر أمته الدجال وإني أنذركم.

---

(١) لمّه: ما جاوز شحمة الأذن من الشعر ج ٥ ص ٢٠٨

(٢) رجّلها: أي سرحها ومشطها ،،،،،،

(٣) عواتق: جمع عاتق وهو موضع الرداء على الكتف ج ٥ ص ٢٠٨.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى واذكر في الكتاب مريم ج ٦ ص ٤٧٧.

(٥) شرح النووي ج ٢ ص ٢٣٤.

فوصفه لنا رسول الله ﷺ[1] وقال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب.

الأرض التي يخرج منها الدجال:

عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ، قال: «الدجال يخرج من أرض بالمشرق يقال لها خراسان، يتبعه أقوام كأن وجوههم المجان[2] المطرقة»[3]. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن.

الدجال لا يدخل المدينة وهلاكه بالشام:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، قال: «يأتي المسيح الدجال من قبل المشرق همته[4] المدينة، حتى ينزل دبر أحد، ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام وهناك يهلك»[5].

وعن أبي بكرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال، لها يومئذ سبعة أبواب على كل باب ملكان»[6].

مدة مكث الدجال في الأرض:

عن النّواس بن سمعان رضي الله عنه قال: «..قلنا يا رسول ﷺ ما لبثه في الأرض؟ قال: اربعون يوماً: يومٌ كسنة، ويومٌ كشهر ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم. قلنا: يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: لا أقدروا له»[7].

---

(١) سنن الترمذي كتاب الفتن، باب ما جاء في الدجال ج ٤ ص ٥٨٥.

(٢) جمع مجنّ وهو الترس. مرقاة الصعود، ج٥، ص ٢١١.

(٣) سنن الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء من أين يخرج الدجال ج ٤ ص ٥٠٩.

(٤) أي قصده ونيته. مرقاه الصعود ج ٥ ص ٢٠٤

(٥) صحيح مسلم بشرح النووى، كتاب الحج، باب صيانة المدينة من دخول الطاعون والدجال، ج٩، ص١٥٣.

(٦) فتح الباري شرح صحيح البخارى كتاب فضائل المدينة، باب لا يدخل الدجال المدينة ج ٤ ص ٩٥.

(٧) سنن الترمذي كتاب الفتن، باب ما جاء في فتنة الدجال ج ٤ ص ٥١٠؛ وصحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الفتنة وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال، ج١٨، ص ٦٣.

عيسى عليه السلام: يروي للأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم نهاية الدجال ويأجوج ومأجوج قبل قيام الساعة:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال لما كان ليلة أسري برسول الله ﷺ لقي إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، فتذاكروا الساعة.. إلى أن قال: «فردوا الحديث إلى عيسى - فذكر قتل الدجال، ثم قال: ثم يرجع الناس إلى بلادهم، فيستقبلهم يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون لا يمرون بماء إلا شربوه، ولا بشيء إلا أفسدوه، فيجأرون إليّ فأدعوا الله فيميتهم، فتجوى الأرض من ريحهم، فيجأرون إليّ فأدعوا الله، فيرسل السماء بالماء، فيحملهم، فيقذف بأجسامهم في البحر»(1).

نزول عيسى عليه السلام من علامات الساعة الكبرى:

تقدم حديث حذيفة رضي الله عنه في ذكر علامات الساعة الكبرى عن رسول الله ﷺ فقال: «إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات. . . .فذكر - ونزول عيسى ابن مريم»(2).

نبي الله عيسى يأتم بإمام أمة محمد ﷺ حين نزوله من السماء:

وذلك الإمام هو المهدي كما دلت عليه الأدلة فيما سبق.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم، وإمامكم منكم؟»(3).

---

(1) المستدرك للحاكم وصححه ووافقه الذهبي ج ٤ ص ٥٣٤.
؛ مسند الإمام أحمد تحقيق أحمد شاكر دار المعارف بمصر ١٣٦٥هـ وقال: إسناده صحيح ح ٤ ص ١٨٩.

(2) صحيح مسلم كتاب الفتن، باب الآيات التي تكون قبل الساعة، ج ١٨ ص ٢٧، ٢٨.

(3) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب نزول عيسى بن مريم عليه السلام ج ٦ ص ٤٩١.
؛ صحيح مسلم بشرح النووى، كتاب الايمان، باب نزول عيسى بن مريم حاكماً ج٢ ص١٩٣؛ وانظر البحث ص ٦٢٨.

محمد ﷺ يبشر أمته بالمهدي:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «أبشركم بالمهدي يبعث على اختلاف من الناس وزلازل، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، ويرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض، يقسم المال صحاحاً فقال له رجل: ما صحاحا؟ قال: بالسوية بين الناس.

قال: ويملأ الله قلوب أمة محمد ﷺ غنى، ويسعهم عدله، حتى يأمر منادياً، فينادي، فيقول: من له في مال حاجة؟ فما يقوم من الناس إلا رجل، فيقول أئت السدّان ـ يعني الخازن ـ فقل له إن المهدي يأمرك أن تعطيني مالاً. فيقول له: أحث، حتى إذا حجره وأبرزه، ندم. فيقول: كنت أجشع أمة محمد نفساً، أو عجز عني ما وسعهم؟! قال: فيرده فلا يقبل منه، فيقال له إنا لا نأخذ شيئاً أعطيناه، فيكون كذلك سبع سنين أو ثمان سنين أو تسع سنين، ثم لا خير في العيش بعده. أو قال: ثم لا خير في الحياة بعده»(١).

النبي ﷺ يصف يأجوج ومأجوج:

عن ابن رملة عن خالته، قالت، خطب رسول الله ﷺ وهو عاصب أصبعه من لدغة عقرب، فقال: «إنكم تقولون: لا عدو، وإنكم لا تزالون تقاتلون عدواً حتى يأتي يأجوج ومأجوج: عراض الوجوه صغار العيون، شهب الشعاف، من كل حدب ينسلون كأن وجوههم المجان المطرقة»(٢).

---

(١) مسند الإمام أحمد ج ٣ ص ٣٧؛ سنن الترمذي كتاب الفتن، ج٤، ص ٥٠٦.
؛ مجمع الزوائد للهيثمي ج ٧ ص ٣١٣، ٣١٤.
وقال: رواه الترمذي وغيره باختصار كثير ورواه أحمد بأسانيد، ورجالها ثقات.
؛ وانظر عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر، عبد المحسن العباد مطابع الرشيد مدينة الرسول ﷺ ١٤٠٢هـ ص ١٧٧؛ وانظر البحث ص ٦٢١.

(٢) مسند الإمام أحمد ج ٥ ص ٢٧١.
؛ مجمع الزوائد للهيثمي وقال: رواه الطبراني وأحمد ورجالهما رجال الصحيح، ج٨، ص ٦.

الدُخان يأخذ المؤمن كالزكمة، ويأخذ الكافر فينتفخ:

عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن ربكم أنذركم ثلاثاً: الدخان يأخذ المؤمن كالزكمة، ويأخذ الكافر فينتفخ حتى يخرج من كل مسمع منه والثانية الدابة والثالثة الدجال»(١).

قال ابن كثير: «وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس حبر الأمة، وترجمان القرآن، وهكذا قول من وافقه من الصحابة والتابعين أجمعين، مع الأحاديث المرفوعة من الصحاح والحسان وغيرها.. مما فيه مقنع ودلالة ظاهرة على أن الدُخان من الآيات المنتظرة مع أنه ظاهر القرآن؛ قال الله تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾﴾(٢) أي بين واضح يراه كل أحد، على أن ما فسَّر به ابن مسعود رضي الله عنه إنما هو خيال رأوه في أعينهم. من شدة الجوع والجهد»(٣).

وقال ابن حجر: «ويؤيد كونه آية الدُخان لم تمض، ما أخرجه مسلم من حديث حذيفة في ذكر أشراط الساعة الكبرى: وذكَر الدخان..

وللطبري من حديث أبي مالك الأشعري يرفعه.. ومن حديث ابن عمر نحوه، وإسناد هما ضعيفان، لكن تضافر هذه الأحاديث يدل على أن لذلك أصلا»(٤).

يهجر الحج قبيل قيام الساعة:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «ليحجنّ البيت وليعتمرنّ

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري، مطبعة الحلبي مصر ط٣ سنة ١٣٨١ج ٤ ص ١١٤. ؛ تفسير ابن كثير تحقيق محمد إبراهيم البنا وآخرون، دار الشعب القاهرة ج ٧ ص ٢٣٥ ؛ فتح الباري ج ٨ ص ٥٧٣.

(٢) سورة الدخان آية ١٠.

(٣) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ١٢٤.

(٤) فتح الباري ج ٨ ص ٥٧٣.

بعد خروج يأجوج ومأجوج»[1] وعن سعيد بن سمعان قال: سمعت أبا هريرةﷺ يقول: إن رسول الله ﷺ قال: «يبُايع رجل بين الركن والمقام[2] ولن يستحل هذا البيت إلا أهله، فإذا استحلوه فلا تسأل عن هلكة العرب ثم تجيء الحبشة فتخربه خراباً لا يعمر بعده أبداً وهم الذين يستخرجون كنزه»[3].

وعن أبي سعيدﷺ، عن النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى لا يحج البيت»[4].

قال الإمام ابن كثيرﷺ: «ولا منافاة في المعنى بين الروايتين ـ الأولى والثالثة ـ لأن الكعبة يحجها الناس ويعتمرون بها بعد خروج يأجوج ومأجوج وهلاكهم وطمأنينة الناس وكثرة أرزاقهم في زمن المسيحﷺ، ثم يبعث الله ريحاً طيبة فيقبض بها روح كل مؤمن، ويتوفى نبي الله عيسىﷺ ويصلي عليه المؤمنون، ويدفن بالحجرة النبوية مع رسول الله ﷺ، ثم يكون خراب الكعبة على يدي ذو السويقتين بعد هذا»[5].

عودة البشرية إلى الجاهلية وعبادة الأوثان، ويرسل الله ريحاً باردة تقبض أرواح المؤمنين:

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الحج، باب قول الله تعالى «جعل الله الكعبة البيت الحرام» ج ٣، ص ٤٥٤.
؛ المستدرك للحاكم وصححه ووافقه الذهبي ج ٤ ص ٥.
؛ مسند الإمام أحمد ج ٣ ص ٢٧.

(٢) هو المهدي. وانظر مبحث المهدي فيما سبق ص ٦٠٠من البحث.

(٣) مسند الإمام أحمد ج ٢ ص ٢٩١، ٣١٢، ٣٢٨، ٣٥١.
؛ المستدرك للحاكم وصححه وقال الذهبي ما خرجا لابن سمعان شيئاً، ج٢، ص ٤٩٩.
ولكن قال ابن حجر: سعيد بن سمعان الأنصاري ثقة من الثالثة تقريب التهذيب ج ١ ص ٢٩٨.
؛ سلسلة الأحاديث الصحيحة، قال الألباني: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات ج ٢ ص ١٢٢.

(٤) أخرجه البخاري معلقاً عن قتادة وشعبه، كتاب الحج باب قوله تعالى: جعل الله الكعبة البيت الحرام ج ٣ ص ٤٥٤؛ المستدرك للحاكم وصححه ووافقه الذهبي ج٤، ص ٥٠٠.

(٥) النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير ج ١ ص ١٥٨.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين لا أدري أربعين يوماً أو أربعين شهراً أو أربعين عاماً فيبعث الله عيسى بن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه، ثم يمكث في الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله ريحاً باردة من قبل الشام، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان، إلا قبضته حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه.

قال: سمعتها من رسول الله ﷺ قال: فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع، لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً، فيتمثل لهم الشيطان فيقول: ألا تستجيبون؟ فيقولون: فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان وهم في ذلك دارّ رزقهم حسن عيشهم، ثم ينفخ في الصور...»[1].

دابة الأرض تخطم أنف الكافر وتجلو وجه المؤمن:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «تخرج الدابة ومعها عصا موسى عليه السلام، وخاتم سليمان عليه السلام، فتخطم الكافر[2] الخاتم وتجلو وجه[3] المؤمن

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الفتن، باب خروج الدجال ج ١٨، ص ٧٦، وقد جاءت الروايات الصحيحة ببيان مدة زمن بقاء المسيح وهو أربعين سنة أما قوله: ثم يمكث سبع سنين ليس بين الناس عداوة، فقد قُيد بعدم وجود العداوة بين الناس وذلك لصلاحهم في زمن المسيح وهذا بعد زمن قتل المسيح الدجال.
وقوله: «ثم» فإنها تأتي على الترتيب وهذا يعني مرور زمن قبل هذا فدل ذلك على أن المسيح يمكث أربعين سنة والله أعلم، وبهذا يمكن الجمع بين الروايات؛ قال النووي في شرحه لحديث النّواس مقيداً حديث عبد الله بن عمرو في مدة مكث الدجال، وقال العلماء: هذا الحديث على ظاهره وهذه الأيام الثلاثة طويلة على هذا القدر المذكور في الحديث ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم وسائر أيامه كأيامكم، صحيح مسلم ج١٨، ص ٦٥ وانظر البحث ص ٦٠٩.

(٢) فتخطم الكافر: أي تسمه من خطمت البعير إذا كويته خطماً من الأنف إلى أحد خديه ومعناه أن تؤثر في أنفه سمة يعرف بها، لسان العرب، ج ١٢، ص ١٨٨.

(٣) تجلو وجه المؤمن: تصقله وتبيضه. ترتيب القاموس المحيط للفيروزبادي، رتبه طاهر الزاوي، دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٣٩٩هـ، ج ١، ص ٥٢٣.

بالعصا، حتى إن أهل الخوان[1] ليجتمعون على خوانهم، فيقول هذا يا مؤمن! ويقول هذا يا كافر»[2].

قال ابن كثيررحمه الله في تفسيره قوله تعالى: ﴿۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾[3].

هذه الدابة تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس وتركهم أوامر الله وتبديلهم الدين الحق، فيخرج الله لهم دابة من الأرض قيل من مكة وقيل من غيرها.. وتكلمهم أي تخاطبهم مخاطبة فتقول لهم إن الناس كانوا بآياتنا لا يؤمنون...

ثم أورد هذا الحديث في تفسيره بطرق متعددة[4]. وقال في النهاية: «وعن ابن عباسرضي الله عنهما قال: تكْلمهم تجرحهم، يعني: يكتب على جبين الكافر كافر، وعلى جبين المؤمن مؤمن، فعنه تخاطبهم وتجرحهم، وهذا القول ينتظم من مذهبين وهو قوي حسن جامع، والله تعالى أعلم»[5].

يحشر الناس إلى الشام في آخر الزمان:

عن ابن عمررضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «ستخرج نار من حضرموت أو

---

(١) الخوان ما يوضع عليه الطعام عند الأكل. نهاية غريب الحديث والأثر لابن الأثير الجزري، تحقيق طاهر الزاوي ومحمد الطناحي، دار الفكر بيروت الطبعة الثانية سنة ١٣٩٩ ج ٢، ص ٨٩-٩٠.

(٢) مسند الإمام أحمد تحقيق أحمد شاكر وقال: إسناده صحيح وعلى بن زيد هو على بن جدعان وقد سبق أننا وثقناه، وهو مختلف فيه، والراجح عندنا توثيقه وقد صحح له الترمذي ج ٥، ص ٧٩.

؛ سنن الترمذي كتاب التفسير، سورة النمل وقال حديث حسن ج ٥ ص ٧٩، ص ٣٤١.

؛ المستدرك للحاكم ج ٤، ص ٥٣٢.

(٣) سورة النمل آية ٨٢.

(٤) تفسير ابن كثير ج ٣، ص ٣٢٢، ٣٢٣.

(٥) النهاية في الفتن والملاحم لا بن كثير. ج ١ ص ١٦١.

من نحو حضرموت قبل يوم القيامة، تحشر الناس، قالوا: يا رسول الله فما تأمرنا؟ قال عليكم بالشام»[1].

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب.

قال الحافظ بن كثير، بعد ذكره للآحاديث الواردة في خروج النار مبيناً أن هذا الحشر في الدنيا: «فهذه السياقات تدل على أن هذا الحشر هو حشر الموجودين في آخر الدنيا من أقطار الأرض إلى محلة المحشر وهو أرض الشام.. وهذا كله مما يدل على أن هذا في آخر الزمان حيث الأكل والشرب والركوب على الظهر المشترى وغيره، وحيث تهلك المتخلفين منهم النار، ولو كان هذا بعد نفخة البعث لم يبق موت، ولا ظهر يشترى، ولا أكل، ولا شرب، ولا لبس في العرصات»[2].

وأمّا حشر الآخرة، فإنه قد جاء في الأحاديث أن الناس مؤمنهم وكافرهم يحشرون حفاة عراة.[3]

ويحشرون رجالاً وركباناً ويجرّون على وجوههم:

عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنكم محشورون رجالاً وركباناً، وتجرون على وجوهكم».

قال أبو عيسى حديث حسن صحيح.

وزاد أحمد: «ثم قال ها هنا تحشرون وها هنا تحشرون ثلاثاً ركباناً ومشاة وعلى وجوهكم.. فأشار بيده إلى الشام فقال إلى ها هنا تحشرون»[4].

---

(١) سنن الترمذي كتاب الفتن ج ٤ ص ٤٩٨.

(٢) الفتن والملاحم لابن كثير تحقيق خليل شيحا ومحمد حلبي، ج١، ص٢٢٤,.

(٣) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب، أحاديث الأنبياء باب قوله تعالى وأتخذ الله إبراهيم خليلا، ج ٦ ص ٣٨٦.
؛ صحيح مسلم بشرح النووى، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة ج ١٧ ص ١٩٤.

(٤) سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب ما جاء في شأن الحشر، ج ٥، ص ٦١٦.
؛ مسند الإمام أحمد ج ٤ ص ٤٤٦.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ستكون هجرة بعد هجرة ينحاز الناس إلى مهاجر إبراهيم، ولا يبقى في الأرض إلا شرار أهلها، تلفظهم أرضوهم، تنذرهم نفس الله، تحشرهم النار مع القرود والخنازير، تبيت معهم إذا باتوا وتقيل معهم إذا قالوا، و تأكل من تخلف»[1].

قال ابن حجر: «والدليل ثابت فقد ورد في عدة أحاديث وقوع الحشر في الدنيا إلى جهة الشام، وحديث معاوية بن حيدة جدّ بهز بن حكيم رفعه إنكم محشورون..» أخرجه الترمذي والنسائي وسنده قوي.

وحديث«ستكون هجرة بعد هجرة...أخرجه أحمد وسنده قوي»[2].

وقال ابن كثير في التفسير: عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «من شك أن أرض المحشر ها هنا يعني الشام فليقرأ هذه الآية ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن دِيَـٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾[3] قال لهم رسول الله ﷺ: اخرجوا، قالوا: إلى أين؟ قال: إلى أرض المحشر»[4].

وقال ابن حجر: «ليس المراد بالنار في هذه الأحاديث نار الآخرة ولو أريد المعنى الذي زعمه المعترض لقيل بقيتهم إلى النار»[5].

ألا إن الإيمان حين تقع الفتن بالشام:

عن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: قال رسول اله ﷺ: «بينما أنا نائم رأيت عمود

---

(١) مسند الامام أحمد ج ١١ ص ١٩. وقال أحمد شاكر وإسناده صحيح.
؛ سنن أبي داواد مع شرحه عون المعبود، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر، الناشر المكتبة السلفية، الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٩هـ ج ٧ ص ١٥٨.
؛ سنن أبي داود، شرح الخطابي، ج٣، ص ١٠.
؛ وانظر أشراط الساعة، يوسف الوابل ٤٢٣.
(٢) فتح الباري ج ١١ ص ٣٨٠.
(٣) سورة الحشر ٢.
(٤) تفسير ابن كثير، ج ٤، ص ٢٩١.
(٥) فتح الباري ج ١١ ص ٣٨٠.

الكتاب احتمل من تحت رأسي، فظننت أنه مذهوب به، فأتبعه بصري، فعُمد به إلى الشام، ألا وإن الإيمان حين تقع الفتن بالشام»(١).

فضل من بايع تحت الشجرة:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة»(٢) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

مناقب عثمان رضي الله عنه:

قال الإمام البخاري رحمه الله: «وقال النبي ﷺ من يحفر بئر رؤمة فله الجنة، فحفرها عثمان وقال: من جهز جيش العسرة فله الجنة، فجهزه عثمان»(٣).

أول ثلاثة يدخلون الجنة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «عرض علي أول ثلاثة يدخلون الجنة: شهيد، وعفيف متعفف، وعبد أحسن عبادة الله ونصح مواليه»(٤).

---

(١) مسند الإمام أحمد ج ٥ ص ١٩٨، ١٩٩.
؛ فتح الباري ج ١٢ ص ٤٠٢، ٤٠٣، وقال الحافظ ابن حجر: وسنده صحيح.

(٢) سنن الترمذي كتاب المناقب، باب فضل من بايع تحت الشجرة ج ٥ ص ٦٩٥

(٣) رواه البخاري تعليقاً، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عثمان ج ٧ ص ٥٢.
؛ ورواه مسنداً، عن أبي عبد الرحمن السلمي عن عثمان رضي الله عنه قال: أنشدكم الله، ولا أنشد إلا أصحاب النبي ﷺ: ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: من حفر رومة فله الجنة فحفرتها؟ ألستم تعلمون أنه قال: من جهز جيش العسرة فله الجنة فجهزته؟ قال فصدقوه بما قال.
كتاب الوصايا باب إذا وقف أرضاً أو بئراً أو اشترط لنفسه مثل ولاء المسلمين ج ٥ ص ٤٠٦.

(٤) سنن الترمذي، كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في ثواب الشهيد ج ٤ ص ١٧٦ وقال حديث حسن.
؛ المستدرك للحاكم وصححه ووافقه الذهبي ج ١ ص ٥٤٤.

منزلة كافل اليتم في الجنة:

عن أبي هريرةﷺ قال: قال رسول اللهﷺ: «كافل اليتيم له أو لغيره، أنا وهو كهاتين في الجنة»[1]. وأشار مالك بالسبابة والوسطى.

ترائي أهل الجنة في الغرف:

عن أبي هريرةﷺ، عن النبيﷺ قال: «إن أهل الجنة ليتراءون في الغرف كما تتراءون الكوكب الشرقي أو الكوكب الغربي الغارب في الأفق الطالع في تفاضل الدرجات، فقالوا: يا رسول الله أولئك النبيون، قال: بل، والذي نفسي بيده وأقوام آمنوا بالله ورسوله وصدّقوا المرسلين»[2].

قال أبو عيسى: هذا حديث صحيح.

لن يدخل الجنة أحد بعمله بل برحمة الله تعالى:

عن أبي هريرةﷺ قال: قال رسول اللهﷺ: «لن يُدخل أحداً منكم عملُه الجنة، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه بفضل ورحمة»[3].

قال الإمام النووي: «وفي ظاهر هذه الأحاديث دلالة لأهل الحق أنه لا يستحق أحد الثواب والجنة بطاعته، وأما قوله تعالى: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾[4] وقوله تعالى: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الزهد، باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم ج ١٨ ص ١١٢؛ الموطأ للإمام مالك ص ٦٧٦.

(٢) سنن الترمذي، كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في ترائي أهل الجنة في الغرف ج ٤ ص ٦٩٠.

(٣) صحيح مسلم كتاب المنافقين، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله ج ١٧ ص ١٦٠؛ فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ١١، ص ٢٩٤؛ مسند الإمام أحمد ج ٢ ص ٢٥٦، ٤٧٣.

(٤) سورة الأعراف ٤٣.

تَعۡمَلُونَ ﴿٧٢﴾ [(١)] ونحوها من الآيات الدالة على أن الأعمال يدخل بها الجنة، فلا يعارض هذه الأحاديث بل معنى الآيات أن دخول الجنة بسبب الأعمال ثم التوفيق للأعمال والهداية للإخلاص فيها وقبولها برحمة الله تعالى وفضله، فيصح أنه لم يدخل الجنة بمجرد العمل وهو مراد الأحاديث، ويصح أنه دخل بالأعمال أي بسببها وهي من الرحمة»[(٢)].

لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم:

عن أبي هريرةرضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في منخري رجل مسلم، ولا يجتمع شح وإيمان في قلب رجل مسلم»[(٣)].

الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة:

عن عبد الله بن عمررضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ في الحسن والحسين: «إنهما سيدا شباب أهل الجنة و أنهما ريحانتاه»[(٤)] رضي الله عنهما.

فاطمة سيدة نساء أهل الجنة:

عن حذيفةرضي الله عنه.. قال: قال رسول الله ﷺ: «إن هذا ملك لم ينزل من الأرض قط قبل هذه الليلة، استأذن ربه أن يسلم علي ويبشرني بأن فاطمة سيدة

---

(١) سورة الزخرف ٧٢.
(٢) شرح النووى، ج ١٧ ص ١٦٠، ١٦١؛ وانظر البحث ص ٧٢٩.
(٣) مسند الإمام أحمد ج ٢ ص ٢٥٦.
؛ المستدرك للحاكم وصححه ووافقه الذهبي، ج٢، ص ١٢.
(٤) سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب الحسن والحسين: وقال حديث حسن صحيح ج ٥ ص ٦٥٦.
؛ سنن ابن ماجه كتاب فضائل علي، ج١، ص ٥٦.
؛ مسند الإمام أحمد عن حذيفة ج ٥ ص ٣٩١، ٣٩٢.
المستدرك للحاكم وصححه ووافقه الذهبي ج ١٣ ص ١٦٦.

نساء أهل الجنة، وأن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»(١)

أرواح الشهداء في أجواف طير خضر تسرح في الجنة:

عن مسروق رحمه الله قال سألنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾(٢) قال: إنا قد سألنا عن ذلك ـ رسول الله ﷺ ـ فقال: «أرواحهم في أجواف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطّلاعه، فقال: هل تشتهون شيئاً؟ قالوا أي شئ نشتهي ونحن نسرح في الجنة حيث شئنا، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا، قالوا يا رب! نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى. فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا»(٣).

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما في الأرض من شيء، إلا الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات، لما يرى من الكرامة»(٤).

الإيمان بأن لله ملائكة يبلغون النبي ﷺ من أمته:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله ملائكة

---

(١) سنن الترمذي كتاب المناقب باب مناقب الحسن والحسين ج ٥، ص ٦٦١.
وقال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب.
؛ رواه البخاري تعليقاً: كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ ج ٧، ص ٧٧.
وقال رحمه الله: وقال النبي ﷺ: «فاطمة سيدة نساء أهل الجنة».
؛ مسند الإمام أحمد ج ٥ ص ٣٩١.

(٢) سورة آل عمران ١٦٩.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإمارة، باب أرواح الشهداء في الجنة، ج١٣، ص ٣٠.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب تمني المجاهد ج ٦ ص ٣٢.
؛ صحيح مسلم بشرح النووى، كتاب الإمارة، باب فضل الشهادة، ج١٣، ص٢٤.

سياحين في الأرض يبلغوني من أمتي السلام»[1].

وعن أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ جاء ذات يوم والبشرى ترى في وجهه فقلنا: يا رسول الله إنا لنرى البشرى في وجهك؟ فقال: «إنه أتاني الملك فقال: يا محمد إن ربك يقول أما ترضى ما أحد من أمتك صلى عليك إلا صليت عليه عشر صلوات. ولا سلم عليك أحد من أمتك إلا رددت عليه عشر مرات؟ فقال: بلى»[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «ما من أحد يسلّم إلا ردّ الله علي روحي، حتى أردَّ عليه السلام»[3].

المهاجرون أول الداخلين الجنة:

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال لي رسول الله ﷺ: «أتعلم أول زمرة تدخل الجنة من أمتي؟ قلت: الله ورسوله أعلم. فقال: المهاجرون يأتون يوم القيامة إلى باب الجنة ويستفتحون فيقول لهم الخزنة أوقد حوسبتم؟ فيقولون: بأي شي نحاسب وإنما كانت أسيافنا على عواتقنا في سبيل الله حتى متنا على ذلك، قال: فيفتح لهم فيبقون فيها أربعين عاماً قبل أن يدخلها الناس»[4].

فضل الحجر الأسود وأنه من الجنة:

عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «نزل الحجر الأسود من الجنة، أشد بياضاً من الثلج، فسودته خطايا بني آدم»[5].

---

(١) المستدرك للحاكم وصححه ووافقه الذهبي ج ٢ ص ٤٥٦.
سنن النسائي كتاب الشهيد، باب السلام على النبي ﷺ، ج٣، ص ٤٣.
سنن الدارمي، كتاب الرقاق، باب فضل الصلاة على النبي ﷺ، ج٢، ص ٣١٧.
؛ مشكاة المصابيح تحقيق الشيخ الألباني، وقال: إسناده صحيح ج ١ ص٢٩٠.

(٢) المستدرك للحاكم وصححه ووافقه الذهبي ج ٢ ص ٤٦٥.

(٣) سنن أبي داود كتاب المناسك، باب زيارة القبور، ج٢، ص ٥٣٤.
؛ مشكاة المصابيح وقال الشيخ إسناده حسن،ج ١، ص ٢٩١.

(٤) المستدرك للحاكم وصححه ووافقه الذهبي ج ٢ ص ٨٠.

(٥) سنن الترمذي كتاب الحج، باب ما جاء في فضل الحجر الأسود ج ٣ ص ٢١٧.

قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح.

وعنه رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ في الحجر: «والله ليبعثنه يوم القيامة له عينان يبصر بهما ولسان ينطق به يشهد على من استلمه بحق»[١].

وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة، طمس الله نورهما، ولو لم يطمس نورهما لأضاءا ما بين المشرق والمغرب»[٢].

وعن ابن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لولا ما مسه من أنجاس الجاهلية، ما مسه ذو عاهة إلا شفي، وما على الأرض شيء من الجنة غيره»[٣].

صاحب الصور ينظر نحو العرش مخافة أن يؤمر:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن طرف صاحب الصور

؛ مشكاة المصابيح تحقيق الشيخ الألباني وقال: وهو كما قال الترمذي، ج ٢ ص ٧٩٢.

؛ مسند الإمام أحمد ج ١ ص ٣٠٧، ٣٢٩، ٣٧٣.

؛ شعب الإيمان للبيهقي ج ٦ ص ١٨ عن كعب الخير بنحوه.

(١) سنن الترمذي كتاب الحج، باب ما جاء في الحجر الأسود ج ٣ ص ٢٨٥.

؛ سنن الدارمي، كتاب المناسك، باب استلام الحجر الأسود ج١، ص ٤٢.

؛ سنن ابن ماجه كتاب المناسك باب الفضل في استلام الحجر الأسود ج٢، ص ٢٢١.

؛ مشكاة المصابيح تحقيق الشيخ الألباني وقال: اسناده صحيح ج ٢ ص ٧٩٣.

(٢) سنن الترمذي، كتاب الحج، باب ما جاء في فضل الحجر الأسود والركن والمقام ج ٣ص ٢١٧. وقال حديث غريب.

؛ مشكاة المصابيح تحقيق الشيخ الألباني وقال: ورواه غيره عن طريق يتقوى الحديث بها ج ٢ ص٧٩٣؛ السلسلة ج٦، ص ٢٣٢ وقال رواه البيهقي بإسناد جيد.

؛ شعب الإيمان للبيهقي، باب في المناسك، فضيلة الحجر الأسود والمقام، ج٣، ص ٤٤٩.

(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة وقال الشيخ: وهذا إسناد رجاله كلهم ثقات من رجال البخاري، غير يوسف بن يعقوب وهو ثقة حافظ.. ثم أن مما يزيد الحديث قوة على قوة أن له طريقاً أخرى عن ابن عمرو نفسه ذكرته تحت الحديث السابق ج ٦، ص ٢٣٢.

منذ وكل به مستعد ينظر نحو العرش، مخافة أن يؤمر قبل أن يرتد إليه طرفه، كأن عينيه كوكبان دريان»[١].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن، وحنى جبهته وأصغى سمعه ينظر أن يؤمر أن ينفخ في الصور، قال المسلمون فكيف نقول يا رسول الله؟ قال: قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل، توكلنا على الله ربنا»[٢] قال أبو عيسى: حديث حسن.

وقد ردّ ابن حجر على من اعتقد أن النفخ في الصور يتجاوز نفخة الصعق والقيام فقال: «بل هما نفختان فقط، ووقع التغاير في كل واحدة منهما باعتبار من يستمعها فالأولى يموت بها كل من كان حيا، ويُغشى على من لم يمت ممن استثنى الله، والثانية يعيش بها من مات ويفيق بها من غُشي عليه»[٣].

يبعث كل عبد على ما مات عليه:

عن عبد الله رضي الله عنهما، قال إن رجلاً كان مع النبي ﷺ فوقصته ناقته وهو محرم فمات، فقال رسول الله ﷺ: «اغسلوه بماء وسدر وكفنوه في ثوبيه، ولا تمسوه بطيب، ولا تخمروا رأسه، فإنه يبعث يوم القيامة ملبياً»[٤]، وفي رواية وقع من راحلته.

كسوة العباد في يوم الميعاد:

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم الخليل»[٥].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «فأكسى حلة من حلل الجنة

---

(١) المستدرك للحاكم وصححه ووافقه الذهبي ج ٤ ص ٦٠٣.
؛ سلسلة الأحاديث الصحيحة ج ٣، ص ٦٦.

(٢) سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة ج ٤ ص ٦٢٠، سلسلة الأحاديث الصحيحة ج٣، ص ٦٦.

(٣) فتح الباري ج ٦ ص ٤٤٦.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب الجنائز، باب كيف يكفن المحرم ج ٣، ص ١٣٧.
؛ صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الحج، باب ما يفعل المحرم ج ٨، ص ١٢٦.

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب الرقاق باب الحشر ج ١١، ص ٢٧٧.

ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك غيري»[1]

قال ابن حجر: «وأخرج البيهقي من طريق ابن عباس نحو حديث الباب وزاد وأول من يكسى من الجنة إبراهيم، يكسى حلة من الجنة، ويؤتى بكرسي فيطرح عن يمين العرش ثم يؤتى بي فأكسى حلة من الجنة لا يقوم لها البشر لكن حلة نبينا ﷺ أعلى وأكمل فتجبر نفاستها ما فات من الأولية»[2].

أرض المحشر يوم الدين:

عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي - قال سهل - ليس فيها معلم لأحد»[3].

قال الخطابي: «العفر بياض ليس بالناصع، وكقرصة النقي أي الدقيق النقي من الغش والنخال وقوله ليس فيها معلم لأحد: يريد أنها مستوية، وفيه تعريض بأرض الدنيا وأنها ذهبت وانقطعت العلاقة منها»[4].

الناس على الصراط المستقيم يوم تبدل الأرض غير الأرض:

عن عائشة رضي الله عنها، قالت: «سألت رسول الله ﷺ عن قوله عز وجل: «﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾[5] فأين يكون الناس يا رسول الله؟ فقال على الصراط»[6].

---

(١) سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب في فضل النبي ﷺ ج ٥، ص ٥٨٥ وقال أبو عيسى: حديث حسن غريب.

(٢) فتح الباري ج ١١، ص ٣٨٤.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب الرقاق، باب يقبض الله الأرض يوم القيامة ج ١١ ص ٣٧٢.

؛ صحيح مسلم بشرح النووي كتاب صفة المنافقين، باب البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة ج ١٧ ص ١٣٤.

(٤) فتح الباري ج ١١ ص ٣٧٥.

(٥) سورة إبراهيم ٤٨.

(٦) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب صفات المنافقين باب البعث والنشور ج ١٧ ص ١٣٤.

لقاء العبد ربه يوم القيامة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يلقى العبد ربه فيقول الله، ألـم أكـرمـك وأسـودك وأزوجـك، وأسـخـر لـك الـخـيـل والأبـل وأذرك تـرأس وتربع[١] فيقول بلى رب فيقول أ فظننت أنك ملاقي؟ فيقول لا، فيقال إني أنساك كما نسيتني، ثم يلقى الثاني فيقول له مثل ذلك، ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك فيقول آمنت بك، وبكتابك وبرسولك، وصليت وصمت وتصدقت، ويثني بخير ما استطاع فيقول: ألا نبعث شاهدنا عليك، فيفكر في نفسه من الذي يشهد عليه؟ فيختم على فيه، ويقال لفخذه انطقي، فتنطق فخذه وفمه وعظامه بعمله ما كان، وذلك ليعذر من نفسه، وذلك المنافق، وذلك الذي يسخط الله عليه»[٢].

وعن أنس رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال: «وهل تدرون مـمَّ أضحك؟ قال: قلنا الله ورسوله أعلم. فقال: من مخاطبة العبد ربه، يقول يا رب، ألم تجرني من الظلم؟ قال: يقول بلى، قال فيقول فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهداً مني. قال: فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً وبالكرام الكاتبين شهوداً قال فيختم على فيه، فيقال: لأركانه: انطقي قال: فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام.

قال: فيقول بعداً لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل»[٣].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُدنى المؤمن يوم القيامة من ربه عز وجل حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه، فيقول: هل تعرف؟ فيقول أي رب أعرف، قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا وإني أغفرها لك اليوم فيعطى صحيفة حسناته، وأما الكفار والمنافقون فينادي بهم على رؤوس الخلائق هؤلاء كذبوا على الله»[٤].

---

(١) قال النووي: ترأس وتربع ومعناه رئيس القوم وكبيرهم فتكون رئيسا مطاعاً شرح النووي ج ١٨ ص ١٠٤.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الزهد ج ١٨ ص ١٠٤.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الزهد ج١٨ ص ١٠٤.

(٤) نفس المصدر كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب سعة رحمة اله تعالى على المؤمنين ج ١٧ ص ٨٦.

أهوال يوم القيامة:

عن أبي هريرةرضي الله عنه قال: قالﷺ: «يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعاً و يلجم العرق حتى يبلغ آذانهم»[1].

إن يوماً كان مقداره خمسين ألف سنة يخفف على المؤمن كصلاة مكتوبة:

عن أبي سعيد الخدريرضي الله عنه، قال: قيل لرسول اللهﷺ، يوماً كان مقداره خمسين ألف سنة ما أطول هذا اليوم! فقال رسول اللهﷺ: «والذي نفسي بيده أنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا»[2].

وعن أبي هريرةرضي الله عنه، عن الرسولﷺ قال: «يوم القيامة على المؤمنين كقدر ما بين الظهر والعصر»[3].

من نوقش الحساب عذب:

عن عائشةرضي الله عنها قالت: قال رسول اللهﷺ: «من حوسب يوم القيامة عذب. فقلت: أليس قد قال الله عز وجل: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾[4] فقال ليس ذاك الحساب إنما ذاك العرض. من نوقش الحساب يوم القيامة عذب»[5].

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب الرقاق، باب قوله تعالى ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ج ١١، ص ٢٩٣.
؛ صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الجنة باب في صفة يوم القيامة ج ١٧، ص ١٩٦.

(٢) مسند الإمام أحمد ج ٣ ص ٥٧.
؛ صحيح بن حبان ج ١٦ ص ٣٢٩.
؛ مجمع الزوائد للهيثمي وقال: إسناده حسن ج ١٠ ص ٣٣٧
؛ الترغيب والترهيب ج ٤ ص ٢١١
ويشهد لهذ الحديث ما رواه أبو هريرة في المستدرك الآتي:

(٣) المستدرك للحاكم وصححه ووافقه الذهبي ج ١ ص١٥٨.

(٤) سورة الانشقاق آية ٨.

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب العلم، باب من سمع شيئاً فراجع حتى يعرفه ج ١ ص ١٩٦.

أول ما يقضى بين الناس في الدماء:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء»(١).

وأول ما يحاسب عنه العبد صلاته:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فإن صلحت فقد أفلح ونجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر، فإن انتقص من فريضته شيء: قال الرب عز وجل: أنظروا هل لعبدي من تطوع؟ فيكمل بها ما انتقص من الفريضة ثم يكون سائر عمله على ذلك»(٢)وقال أبو عيسى: حديث أبي هريرة حديث حسن غريب من هذا الوجه .

إن المكثرين هم المقلون يوم القيامة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا نمشي مع رسول الله ﷺ: «فقال: يا أبا هريرة فقلت: لبيك يا رسول الله فقال: إن المكثرين هم المقلون يوم القيامة إلا من قال بماله هكذا وهكذا فحثا بين يديه وعن يمينه وعن شماله»(٣).

وعن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «الأكثرون هم الأسفلون يوم القيامة

؛ صحيح مسلم بشرح النووى كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب إثبات الحساب ج ١٧ ص ٢٠٨.

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب الديات باب قوله تعالى ومن يقتل مؤمنا ج ١٢ ص ١٨٧.

؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب القسامة باب المجازاة بالدماء، ج١١، ص ١٦٦.

(٢) سنن الترمذي كتاب الصلاة باب ما جاء في أول ما يحاسب العبد يوم القيامة الصلاة ج ٢، ص ٢٧٠

؛ المستدرك للحاكم وصححه ووافقه الذهبي ج ١ ص ٣٩٤.

(٣) سنن الترمذي كتاب الزكاة، باب ما جاء عن رسول الله ﷺ في منع الزكاة من التشديد ج ٣ ص ٣.

؛ المستدرك للحاكم وصححه ووافقه الذهبي ج١ ص ٦٩٨ واللفظ له.

إلا من قال بالمال هكذا وهكذا وكسبه من طيب»[1].

رب سلِّم سلِّم:

عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «شعار المؤمن يوم القيامة على الصراط المستقيم: رب سلِّم سلِّم»[2].

الحوض والميزان والصراط، مواطن تسأل فيها الشفاعة من الرسول ﷺ:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة، فقال: «أنا فاعل، قال: قلت يا رسول الله فأين أطلبك؟ قال: اطلبني أول ما تطلبني على الصراط المستقيم. قال: قلت فإن لم ألقك على الصراط؟ قال: فاطلبني عند الميزان. قلت فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: فاطلبني عند الحوض، فإني لا أخطي هذه الثلاثة مواطن»[3]. قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب. ولعل في الحديث انقلاباً فإن الحوض والميزان قبل الصراط.

نسمة المؤمن طير تعلق في شجر الجنة:

عن كعب بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إنما نسمة المؤمن طير

---

(١) مسند الإمام أحمد ج ٢ ص ٤٢٨، ٥٢٥، ٥٣٥؛ سنن الترمذي ج٣، ص ٣ وقال حسن صحيح.
؛ صحيح بن حبان ص ٨٠٧.
سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني وقال: إسناده صحيح ج ٤، ص ٣٦٦.
الترغيب والترهيب للمنذري وقال رواته ثقات ج ٤، ص ١٠٨.
؛ سنن ابن ماجه كتاب الزهد باب في المكثرين ج ٢، ص ٥٣٢.

(٢) سنن الترمذي كتاب صفة القيامة، باب ما جاء في شأن الصراط ج ٤، ص ٦٢١ وقال حديث غريب.
؛ المستدرك للحاكم وصححه ووافقه الذهبي ج٢، ص ٤٠٥.

(٣) سنن الترمذي كتاب صفة القيامة باب ما جاء في شأن الصراط المستقيم ج ٤، ص ٦٢١.
مشكاة المصابيح تحقيق الشيخ الألباني وقال وإسناده جيد ج ٣، ص ١٥٧٧.

تعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله في جسده يوم يبعثه»[1].

وعن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال: قالت أم مبشر بنت البراء بن معرور لكعب بن مالك وهو شاكٍ اقرأ على ابني السلام تعني مبشراً فقال: يغفر الله لك يا أم مبشر أو لم تسمعي ما قال رسول الله ﷺ: «إنما نسمة المسلم طير تعلق في شجر الجنة حتى يرجعها الله عز وجل إلى جسده يوم القيامة. قالت: صدقت»[2].

مقاعد الجنة والنار تعرض على الأموات:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل أحد الجنة إلا أُري مقعده من النار لو أساء ليزداد شكراً ولا يدخل النار أحد إلا أري مقعده من الجنة لو أحسن، ليكون عليه حسرة»[3]

ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من خاف أدلج[4] ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة»[5].

أول زمرة تدخل الجنة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أول زمرة تدخل الجنة

---

(١) موطأ الإمام مالك كتاب الجنائز باب جامع الجنائز ص١٥٩.
؛ سنن النسائي كتاب الجنائز باب أرواح المؤمنين ج٤، ص ١٠٨.
؛ مشكاة المصابيح تحقيق الشيخ الألباني وقال: سنده صحيح ج ١، ص ٥١٦.

(٢) مسند الإمام أحمد ج ٣، ص ٤٥٥.
؛ مشكاة المصابيح تحقيق الشيخ الألباني وقال وسنده صحيح ج ١، ص ٥١٥.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب صفة أهل الجنة والنار ج ١١ ص ٤١٨

(٤) أدلج: أي سار أول الليل. مرقاة ج ٥ ص ١١٣.

(٥) سنن الترمذي كتاب صفة القيامة، ج٤، ص ٦٣٣؛ المستدرك للحاكم وصححه ووافقه الذهبي ج٤، ص ٣٤٣.

وجوههم على ضوء القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أحسن كوكب دري أضاءت في السماء...»[1]

نعيم أهل الجنة:

عن أبي هريرةﷺ قال: قال رسول اللهﷺ: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مئة عام لا يقطعها، ولقاب[2] قوس أحدكم في الجنة خير مما طلعت عليه الشمس أو تغرب»[3]. قال أبو عيسى حديث حسن.

سنّ أهل الجنة:

عن معاذ بن جبلﷺ عن النبيﷺ قال: «يدخل أهل الجنة جرداً[4] مرداً[5] مكحلين أبناء ثلاثين أو ثلاث وثلاثين سنة»[6].

وزاد «لا يفنى شبابهم ولا تبلى ثيابهم»[7] وقال أبو عيسى: حديث حسن غريب.

---

(١) سنن الترمذي، كتاب صفة الجنة ج ٤ ص ٦٨٧ وقال حديث صحيح.
؛ المستدرك للحاكم وصححه ووافقه الذهبي ج ٣ ص ٢٥٣.

(٢) ولقاب: بمعنى القدر وهو علامة يعرف بها المسافة بين الشيئين مرقاة ٥/ ٢٨٥.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة ج٦ ص٣١٩.
صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الجنة، باب أن في الجنة شجرة ج، ١٧، ص ١٦٧.
؛ سنن الترمذي كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في صفة شجر الجنة، ج٥، ٦٧١.

(٤) جرد: جمع أجرد وهو الذي لا شعر على جسده مرقاة الصعود ٥/ ٢٩٥.

(٥) مرد: جمع أمرد وهو الغلام لا شعر على ذقنه. مرقاة ٥/ ٢٩٥

(٦) سنن الترمذي، كتاب صفة الجنة باب ما جاء في سنّ أهل الجنة ج ٤، ص ٦٨٢ وقال حديث حسن غريب.

(٧) نفس المصدر من حديث أبي هريرة ج٤، ص ٦٧٩.
؛ سنن الدارمي كتاب الرقاق باب في أهل الجنة ونعيمها ج٢، ص ٣٣٥.
؛ مشكاة المصابيح بتحقيق الشيخ الألباني وقال: هو كما قال الترمذي حسن بما قبله ج ٣، ص ١٥٦٨.

دماء الشهداء لونها الزعفران وريحها المسك[١]:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسي بيده، لا يُكْلم أحد في سبيل الله، والله أعلم بمن يُكْلم في سبيله، إلا جاء يوم القيامة اللون لون الدم والريح ريح المسك»[٢].

عينان لا تمسهما النار:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «عينان لا تمسهما النار، عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله»[٣].

فضل المرابط في سبيل الله:

عن عثمان رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل»[٤].

---

(١) قال ﷺ: «لا يكلم أحد في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة اللون لون الدم والريح ريح المسك».
رواه الترمذي كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء فيمن يكلم في سبيل الله ج ٤ ص ١٨٤.
وقال أبو عيسى: حديث حسن صحيح وفي رواية له «لونها الزعفران وريحها المسك».
؛ سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب فيمن سأل الله تعالى الشهادة ج ٣، ص ٤٦.
؛ سنن النسائي، كتاب الجهاد، باب من قاتل في سبيل الله ج ٦، ص ٢٥.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب الجهاد، باب من يخرج في سبيل الله ج ٦، ص ٢٠.

(٣) سنن الترمذي، كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الحرس في سبيل الله ج ٤، ص ١٧٥.
وقال أبو عيسى حسن غريب.
مشكاة المصابيح تحقيق الألباني وقال: حديث صحيح لشواهده ج٢، ص ١١٢٥.

(٤) سنن الترمذي كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل المرابط ج ٤ ص ١٩٠.
وقال أبو عيسى: حديث حسن صحيح.
؛ سنن النسائي، كتاب الجهاد، باب فضل المرابط ج ٦ ص ٤٠.
؛ المستدرك للحاكم وصححه ووفقه الذهبي ج ٢ ص ١٥٦.

فضل المؤذنين:

عن معاوية بن أبي سفيان قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة»[1].

وعن أبي سعيد الخدري أنه قال لعبد الله بن صعصعة: «إني أراك تحب الغنم والبادية فإذا كنت في غنمك أو باديتك فأذنت في الصلاة، فأرفع بالنداء فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة»[2].

قال الله عز وجل: وعزتي وجلالي لا أجمع لعبدي أمنين ولا خوفين:

عن شداد بن أوس أن رسول الله ﷺ قال: «قال الله عز وجل: وعزتي وجلالي لا أجمع لعبدي أمنين ولا خوفين، إن هو أمنني في الدنيا أخفته يوم أجمع فيه عبادي، وإن هو خافني في الدنيا أمنته يوم أجمع فيه عبادي»[3].

سبعة يظلهم الله في ظله:

قال أبي هريرةرضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق فأخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه»[4].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الصلاة، باب فضل الأذان ج ٤ ص ٨٩.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله ﷺ الماهر بالقرآن ج ١٣ ص ٥١٨.

(٣) الزوائد للهيثمي ج ١٠ ص ٣٠٨.
؛ سلسة الأحاديث الصحيحة للشيخ الألباني وقال: هذا حديث صحيح ج ٢ ص ٣٦٧.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الأذان باب من جلس في المسجد ج ٢، ص ١٤٣.
؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، ج٧، ص ١٢٠.

من أنظر معسراً أظله الله في ظله[1]:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «كان رجل يدائن الناس فكان يقول لفتاه: إذا أتيت معسراً تجاوز عنه، لعل الله أن يتجاوز عنا قال: فلقي الله فتجاوز عنه»[2].

وعن أبي قتادة، قال: قال رسول الله ﷺ: «من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة، فلينفس عن معسر أو يضع عنه»[3].

لكل غادر لواء يوم القيامة:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل غادر لواء يوم القيامة يعرف به»[4].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل غادر لواء يوم القيامة يرفع له بقدر غدره ألا ولا غادر أعظم غدر من أمير عامة»[5].

قال الإمام النووي: «اللواء الراية العظيمة لا يمسكها إلا صاحب جيش الحرب ويكون الناس تبعاً له، فمعنى لكل غادر لواء: أي علامة يشتهر بها في الناس والغادر هو الذي يواعد على أمر ولا يفي به وفي هذه الأحاديث بيان غلظ تحريم الغدر لا سيما من صاحب الولاية العامة، لأن غدره يتعدى ضرره إلى خلق كثيرين، ومتى خانهم أو ترك الشفقة عليهم أو الرفق بهم فقد غدر بعهده،

---

(١) انظر صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الزهد، باب حديث جابر الطويل ج ١٨، ص ١٣٥.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب البيوع، باب من أنظر معسراً ج ٤، ص ٣٠٨.
صحيح مسلم بشرح النووى، كتاب المساقاة، باب فضل انظار المعسر ج ١٠، ص ٢٦٦.

(٣) نفس المصدر، كتاب المساقاة ج ١٠، ص ٢٢٦.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب الجزية، باب إثم الغادر ج ٦، ص ٢٨٣.

(٥) نفس المصدر السابق ج ١٢، ص ٤٤.

والاحتمال الثاني: أن يكون المراد نهي الرعية عن الغدر بالإمام فلا يشقوا عليه العصا، ولا يتعرضوا لما يخاف حصول فتنة بسببه»[1] .

شر الناس يوم القيامة ذو الوجهين:

عن أبي هريرةرضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تجدون شر الناس يوم القيامة ذا الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه»[2].

«والمراد هنا من يأتي كل طائفة ويظهر أنه منهم ومخالف للآخرين مبغض لهم فإن أتى كل طائفة بالإصلاح ونحوه فمحمود»[3].

أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق:

عن أبي الدرداءرضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وأن الله ليبغض الفاحش البذيء»[4].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أتدرون ما أكثر ما يدخل الناس الجنة، تقوى الله وحسن الخلق، أتدرون ما أكثر ما يدخل الناس النار؟ الأجوفان الفم والفرج»[5].

---

(١) شرح النووي ج ١٢، ص ٤٣، ٤٤.
(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما قيل في ذي الوجهين ج ١، ص ٤٧٤.
؛ صحيح مسلم بشرح النووى، كتاب البر والأدب والصلة، باب ذم ذي الوجهين ج ١٦، ص ١٥٦.
(٣) شرح النووي ج ١٦، ص ١٥٦.
(٤) سنن الترمذي كتاب البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق ج ٤ ص ٣٦٢.
وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.
(٥) سنن ابن ماجه كتاب الزهد باب ذكر الذنوب ج ٢ ص ٥٦١.
؛ سنن الترمذي كتاب البر والصلة باب ما جاء في حسن الخلق، ج٤، ص ٣٦٣. وقال أبو عيسى: هذا حديث صحيح غريب.

من شاب شيبة في الإسلام كانت له نوراً يوم القيامة:

عن عمرو بن عبسة، أن النبي ﷺ قال: «من بنى مسجداً ليذكر الله فيه بنى الله له بيتاً في الجنة، ومن أعتق نفساً مسلمة كانت فديته من جهنم، ومن شاب شيبة في الإسلام كانت له نوراً يوم القيامة»(١).

الشيب نور المؤمن:

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «الشيب نور المؤمن لا يشيب رجل شيبة في الإسلام إلا كانت له بكل شيبة حسنة ورفع بها درجة»(٢).

أمة محمد ﷺ يدعون يوم القيامة غراً محجلين:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أمتي يوم القيامة يدعون غراً محجلين من آثار الوضوء»(٣).

وأمته أخوانه ﷺ وهو فرطهم على الحوض:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة فقال: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، وددت أنا قد رأينا إخواننا.

قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: أنتم أصحابي وإخواننا الذين لم يأتوا بعد. فقالوا: كيف تعرف من لم يأت من أمتك يا رسول الله؟ فقال: أرأيتم

---

(١) مسند الإمام أحمد ج٤، ص ١١٣.
؛ تفسير بن كثير وقال: وهذه الأسانيد جيدة قوية ولله الحمد ج ٤ ص ٤٤٩.
؛ سنن الترمذي، كتاب فضائل الجهاد باب ما جاء في فضل من شاب شيبة في الإسلام.
وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب ج ٤ ص ١٧٢.

(٢) شعب الإيمان للبيهقي ج ٥ ص ٢٠٩.
؛ سلسة الأحاديث الصحيحة للشيخ الألباني ج ٣ ص ٢٤٧.
وقال إسناده حسن وله شاهد من حديث أبي هريرة أخرجه بن حبان في صحيحة برقم ١٤٧٩ بسند صحيح.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الوضوء باب فضل الوضوء ج ١، ص ٢٣٥.

لو أن رجلاً له خيل غر محجلة، بين ظهري خيل دهم بهم، ألا يعرف خيلة؟ قالوا بلى يا رسول الله، قال: فإنهم يأتون غراً محجلين من الوضوء، وأنا فرطهم على الحوض»[1].

قال النووى: قوله: «وأنا فرطهم على الحوض: معناه أتقدمهم على الحوض، يقال فرط القوم إذا تقدمهم ليرتاد لهم الماء ويهيء لهم الدلاء والرشاء، وفي الحديث بشارة لهذه الأمة زادها الله تعالى شرفاً فهنيئاً لمن كان رسول الله ﷺ فرطه»[2].

مضاعفة الحسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة:

عن أبي سعيد رضي الله عنه، عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل: قال: «إن الله كتب الحسنات والسيئات، ثم بين ذلك، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو همّ بها فعملها، كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، فإن هو هم بها، فعملها كتبها الله سيئة واحدة»[3].

تبديل السيئات حسنات:

عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولاً الجنة، وآخر أهل النار خروجا منها. رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه، فيقال: عملت يوم كذا وكذا، وعملت يوم كذا وكذا، كذا وكذا.

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى، كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء ج ٣، ص١٣٧ وقال النووي: خيل دهم بهم: أما الدهم فجمع أدهم وهو الأسود، والبهم الذي لا يخالط لونه لون سواه.

(٢) نفس المصدر، ج٣، ص ١٣٩.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الرقاق باب من هم بحسنة أو سيئة ج ١١، ص ٣٢٣.

فيقول نعم: لا يستطيع أن ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض فيقال له: فإن لك مكان كل سيئة حسنة.

فيقول رب عملت أشياء لا أراها ها هنا.

فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه»[1].

قصاص المظالم بين الخلق:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجلحاء[2] من الشاة القرناء»[3].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «إذا خلص المؤمنون من النار، حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار، فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا نقوا، وهذبوا أذن لهم بدخول الجنة، فوالله الذي نفسي بيده لأحدهم بمسكنه في الجنة أدل بمنزله كان في الدنيا»[4].

أنهار الجنة وطيورها:

عن أنس رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ: «ما الكوثر؟ قال: ذاك نهر اعطانيه الله يعني في الجنة أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، فيها طير أعناقها كأعناق الجزور، قال عمر: إن هذه لناعمة. قال رسول الله ﷺ أكلتُها أحسن منها»[5] قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب.

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان باب آخر أهل النار خروجاً ج ٣ ص ٣٩.

(٢) الجلحاء التي لا قرون لها، مرقاة الصعود ص ٤ ج ٧٦١.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب البر، باب تحريم الظلم ج ١٦ ص ١٣٦.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب المظالم، باب قصاص المظالم ج ٥ ص ٩٦.

(٥) سنن الترمذي، كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في طير الجنة ج ٤ ص ٦٨٠.
؛ المستدرك للحاكم وصححه ووافقه الذهبي ج ٣ ص ٥٨٥
؛ مسند الإمام أحمد ج ٣ ص ٢٢١، ٢٣٦.

أماني أهل الجنة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يتحدث ـ وعنده رجل من أهل البادية ـ : «أن رجلاً من أهل الجنة استأذن ربه في الزرع، فقال له: ألست فيما شئت؟ قال بلى، ولكن أحب أن أزرع، فبذر، فبادر الطرف نباته واستواؤه، واستحصاده، فكان أمثال الجبال فيقول الله تعالى: دونك يا ابن آدم، فإنه لا يشبعك شيء فقال الأعرابي: والله لا تجده إلا قرشياً أو أنصارياً، فإنهم أصحاب زرع، وأما نحن فلسنا بأصحاب زرع، فضحك رسول الله ﷺ»[1].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «المؤمن إذا اشتهى الولد في الجنة، كان حمله ووضعه وسنه في ساعة واحدة كما يشتهي»[2].

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب.

دعوة رسول الله ﷺ أمته للعمل والجهاد من أجل الجنة:

عن أسامة بن زيد رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ ذات يوم لأصحابه: «ألا مشمراً للجنة فإن الجنة لا خطر لها هي ورب الكعبة نور يتلألأ وريحانة تهتز وقصر مشيد، ونهر مطرد، وفاكهة كثيرة نضيجة، وزوجة حسناء جميلة وحلل كثيرة في مقام أبدا، في حبرة ونضرة، في دور عالية سليمة بهية، قالوا نحن المشمرون لها يا رسول الله. قال: قولوا: إن شاء الله ثم ذكر الجهاد وحض عليه»[3].

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الحرث ج ٥ ص ٢٧.

(٢) سنن الترمذي، كتاب صفة الجنة، باب ما جاء ما لأدنى أهل الجنة من الكرامة ج ٤ ص ٦٩٥.

؛ سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب صفة أهل الجنة ج ٢ ص ٥٩٣.

؛ سنن الدارمي، كتاب الرقاق، باب ولد أهل الجنة ج ٢ ص ٣٣٧.

مشكاة المصابيح وقال الشيخ: قلت وإسناده صحيح ج ٣ ص ١٥٧١

(٣) سنن ابن ماجه، أبواب الزهد، باب صفة الجنة ج ٢، ص ٥٩٠.

؛ تفسير ابن كثير ج ٣، ص ٥٧٦.

؛ صحيح بن حبان ج ١٦، ص ٣٨٦.

وبهذا يتبين في هذا الباب مسائل وردت أدلتها بأخبار آحاد صحيحة تدل على الترغيب فيما عند الله من النعيم والترهيب من الإعراض عن سنة سيد المرسلين ﷺ.

فيكون المخالفون قد اعرضوا عنها لأن أدلتها ظنّية فأنّى لهم العلم بها وقد اسقطوا أدلتها. وقد ثبتت بأحاديث صحيحة ثابتة عمل وعلم بها أهل السنة والجماعة وهذا معتقدهم وهو الأخذ بالحديث الصحيح في مسائل العقيدة.

الأحاديث المختارة لأبي عبد الله محمد المقدسي تحقيق عبد الملك بن دهيش.
مكتبة النهضة الحديثة مكة سنة ١٤١٠هـ وقال صاحب المختارة: وإسناده حسن ج ٤، ص ١٣٢، ١٣٣.





الباب الرابع

الآثار الناجمة عن ترك الصحيح من أحاديث الآحاد
وفيه تمهيد وخمسة فصول:

تمهيد:

الفصل الأول: عدم تعظيم السنة وتجريدها من دلالتها.

الفصل الثاني: رد بعض المسائل العقدية الثابتة في خبر الآحاد.

الفصل الثالث: تعطيل بعض الأحكام الشرعية.

الفصل الرابع: العدول عن تفسير القرآن بالحديث إلى تفسيره بالرأي.

الفصل الخامس: ضعف الدوافع والبواعث على الأعمال الصالحة نتيجة لضعف اليقين بثوابها الثابت بخبر الآحاد.

* * * * * *



تمهيد

اشتمل كتاب الله العزيز سنة نبيه ﷺ دالاً على وجوب العمل بها، وأن السنة مبينة مفصلة له؛ ذلك أن القران الكريم جاء بتحقيق السعادة للناس في حياتهم الدنيا والأخرى وجماع السعادة في ثلاثة أشياء:

أ ـ الضروريات: وهي حفظ الدين والنفس والمال والعقل والعرض.

ب ـ الحاجيات: وهي كل ما يؤدي للتوسعة ورفع الضيق والحرج كإباحة الفطر في السفر أو المرض.

جـ ـ التحسينيات: وهي ما يتعلق بمكارم الأخلاق ومحاسن العادات، وهذه الأمور الثلاثة ومكملاتها قد جاء بها القران الكريم أصولاً يندرج تحتها كل ما في القرآن الكريم من أحكام وقد جاءت بها السنة تفريعاً عن الكتاب وتفصيلاً لما ورد فيه. فجميع نصوص السنة ترجع إلى هذه الأصول الثلاثة(١).

ومصادر التشريع الإسلامي معروفة لدى المسلمين موثوقة محفوظة، ولا يشك أحدٌ أن السنة المطهرة وهي ثانية هذه المصادر، أوسعها فروعاً وأحفلها نظماً وأرحبها صدراً، إذ كان كتاب الله الكريم متضمناً للقواعد العامة في التشريع والأحكام الكلية في الغالب مما جعله خالداً خلود الحق، بيد أن السنة الكريمة عنيت بشرح هذه القواعد، وتثبيت تلك النظم، وتفريع الجزئيات على الكليات، مما يعرفه كل من درس السنة دراسة وافية،ومن ثم لم يكن لعلماء الإسلام مندوحة من الاعتماد على السنة، واللجوء إليها والعناية بها والاسترشاد بأحكامها

(١) الموافقات للشاطبي، انظر، ج٢، ص ٢٧ - ٣٢.

المنصوصة على أحكام الحوادث الطارئة[1]. والأخذ بالسنة الثابتة الصحيحة في كل مجالات الحياة يحقق الاستجابة لله وللرسول لقوله تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[2] وإذا كان الأخذ بها ضرورة دينية، فالتدين بها في كل ما وردت فيه تدين بالقرآن، والتدين بهما من ضروريات الحياة الإيمانية، وتتأكد ضرورة الاستمساك بهما والانقياد لها في كل عصر، وعلى كل حال، والدفاع عنها وحمايتها ممن لا يعرفون قدرها ومكانتها في الإسلام[3].

«فإذا كان أعقل الخلق على الإطلاق إنما حصل على الهدى بالوحي، فكيف يحصل لسفهاء العقول والأحلام الاهتداء إلى حقائق الإيمان بمجرد عقولهم دون نصوص الوحي.. فلو كان كلام الله ورسوله لا يفيد اليقين والعلم، والعقل معارض له فأي حجة تكون قد قامت على المكلفين بالكتاب والرسول؟ وهل هذا إلا مناقض لإقامة حجة الله بكتابه من كل وجه!»[4].

قال شيخ الإسلام: «قد تدبرت عامة ما يذكر المتفلسفة والمتكلمة، والدلائل العقلية، فوجدت دلائل الكتاب والسنة تأتي بخلاصته الصافية عن الكدر، وتأتي بأشياء لم يهتدوا لها، وتحذف ما وقع منهم من الشبهات والأباطيل مع كثرتها واضطرابها»[5].

و«لما أظلمت القلوب وعميت البصائر بالإعراض عما جاء به الرسول ﷺ، وازدادت الظلمة باكتفائها بآراء الرجال، والتبس عليها الحق بالباطل، تجوزت أحاديثه الصحيحة التي رواها أعدل الأمة وأصدقها أن تكون كذباً وجوزت على الأحاديث الباطلة المكذوبة المختلقة التي توافق أهوائها أن تكون صدقاً فاحتجت بها»[6] وهم الشيعة والصوفية وأضرابهم.

---

(١) السنة والتشريع د. مصطفى السباعي، انظر المقدمة.

(٢) سورة الأنفال ٢٤.

(٣) خبر الواحد في التشريع الإسلامي، للقاضي برهون، ج ١، ص ٨، ٩.

(٤) مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم ص ٧٦.

(٥) مجموع فتاوى ابن تيمية، ج٩، ص ٢٣٢.

(٦) مختصر الصواعق المرسلة، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ، ص ٤٧٩.

«وقد تدبرت مقالة أهل الكلام فوجدتهم يقولون على الله ما لا يعلمون، ويفتون الناس بما يأتون ويتهمون غيرهم في النقل ولا يتهمون آراءهم في التأويل ومعاني الكتاب والحديث.

ولو ردوا المشكل منهما إلى أهل العلم بهما، وضح لهم المنهج، واتسع لهم المخرج، ولكن يمنع ذلك طلب الرياسة، وحب الاجتماع..»[(١)]

«وقد ابتليت السنة بعامة وآحادها بخاصة منذ القدم بمن أنكروها أو عارضوها بآرائهم وأهوائهم، منهم من قصد ردها أصلاً بالطعن في رواتها، ومنهم من أنكر حجيتها في العقائد فضيق مجال العمل بها ومنهم من عارضها بشروط مستحدثه جعلت عوائق تمنع الأخذ بها.

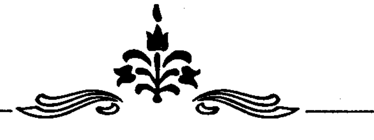
فأخبار الآحاد إذا صحت بالسند الصحيح المبلغ إليه ﷺ فإنها حجة بنفسها، تفيد العلم والعمل، كما هو مذهب المحدثين والمنصفين..

وقد انعقد إجماع الصحابة والتابعين بعدهم على الاحتجاج بها في أمور الدين كلها قبل استحداث ما اشترط من شروط، والرد على المنكرين والمستهزئين، ومبعّضي الاحتجاج بها في بعض أمور الدين دون بعضها الآخر، بل إن هذا ضرورة دينية في كل عصر[(٢)]. ولهذا يتبين خطورة إهمال الصحيح من أحاديث الآحاد وعدم الأخذ بها والاحتجاج بها في مسائل العقيدة لما يترتب على ذلك من آثار تظهر مفصلة في الفصول الآتية:

---

(١) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة، ص ١٣، ١٤.

(٢) خبر الواحد في التشريع الإسلامي للقاضي برهون، ج١، ص ٩.



الفصل الأول

عدم تعظيم السنة وتجريدها من دلالتها

* * * * * *

إن كتاب الله هو الأصل الأول من أصول التشريع الإسلامي، وهو الوحي المتلو المنزل على محمد بن عبد الله عليه الصلاة السلام، المتعبد بتلاوته، المعجز بألفاظه ومعانيه، أنزله الله لهداية الخلق، فهو هدى للمتقين، ودستور المسلمين، وحجة قائمة إلى يوم الدين، على الناس أجمعين.

أما السنة النبوية المشرفة فهي وحي مثله، بذلك نطق الكتاب العزيز، وهي أصل ثان من أصول التشريع الإسلامي، فالكتاب مقدم وهي تالية له، وهما معاً وحي من الله، فهو وحي متلو وهي ـ أي السنة ـ وحي غير متلو.

فهي معه في مرتبة واحدة من حيث الاعتبار والاحتجاج بهما على الأحكام الشرعية، غير أن السنة وإن كانت في مرتبته من حيث مصدرية الوحي والاعتبار والاحتجاج، فهي تفارقه في أمور: أهمها أنها منزلة بالمعنى، ولفظها من النبي ﷺ ويجوز روايتها بالمعنى للعالم بمعانيها وألفاظها، الخبير بمقاصدها عند من يرى ذلك من العلماء، وأنها ليست بمعجزة بألفاظها، ولا متعبد بتلاوتها[1].

وقد ظهر وتبين أن معظم الأحاديث الدالة على مسائل العقيدة هي أحاديث آحاد صحيحة. وأن الطعن فيها وتركها هو الجهل المتعمد والإعراض عن مقاصدها.فكيف تتضح معالم هذه العقيدة إن هي أُعرض عن مصادرها الأصلية فالعقيدة الصحيحة هي التي جاء بها القرآن، ونطق بها سيد المرسلين، وأخذ بها الصحابة الكرام، وتلقاها عنهم التابعون، وأتباعهم حتى وصلت إلينا صافية نقية وكأنها نزلت اليوم، وهي عقيدة سلف الأمة.

وخلاصتها: الإيمان بما جاء عن الله عز وجل في الكتاب العظيم من صفات الله تعالى، ثم الإيمان بما جاء في سنة رسول الله ﷺ الصحيحة التي تلقاها علماء الأمة وجماهيرها بالقبول مثل: نزول الرب عزّ وجل، وفرحه بتوبة العبد، وضحك الله عز وجل إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر، ووضعه رجله في جهنم فتقول قط قط، وحديث الجارية، وغيرها من الأحاديث التي يخبر فيها رسول الله ﷺ عن ربه، وكذلك يؤمن أهل السنة والجماعة بأحاديث أشراط الساعة الكبرى والصغرى، وأحاديث منكر ونكير وأحاديث عذاب القبر ونعيمه، وأحاديث الشفاعة، و أحاديث نعيم الجنة وعذاب النار، وأحاديث إثبات القضاء والقدر، وغيرها من شعب الإيمان التي جاء ذكرها في الأحاديث الصحاح. ومن المعلوم أن معظم هذه الأخبار من أحاديث الصفات والغيبيات لم تثبت إلا بأخبار الآحاد وإن السلف لم يتردد في قبولها.

---

(١) انظر الحديث والمحدثون، د. محمد محمد زهو، مطبعة مصر، ص ١٥.

وعندما ردت هذه الأحاديث الصحيحة بحجة أنها آحاد وأنها ظنّية؛ فرغت السنة من محتواها الذي أراده الله ورسوله ﷺ، وتنكب أصحاب هذا الرأي الهوى ومبتدع الكلام، فكان انحرافهم عن هذه العقيدة نتيجة بعدهم عن مصادرها الأصلية من الكتاب والسنة، وتنكبهم عن طريقة السلف الصالح في فهم أصول الدين.

فكثرت الفرق، وتباينت عقائدها مثل الخوارج الذين أعلنوا تكفير كل مرتكب للكبيرة، وكفروا علياً رضي الله عنه وأصحابه رضوان الله عليهم، والشيعة الذين كفروا معظم أصحاب رسول الله ﷺ ثمّ أعرضوا عن حديثه الذي نقله أصحابه رضوان الله عليهم.

فكانت محنة على الإسلام وأهله، والجهمية من أتباع جهم بن صفوان الذين نفوا جميع صفات الله تعالى وأسمائه، وجعلوه الوجود المطلق فأعرضوا عن شرع الله، والمرجئة الذين ادعوا أنه لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وأن العمل ليس من الإيمان، ومنهم السالمية الذين قالوا: إن الإيمان هو المعرفة! والقدرية الذين نفوا القدر وهم مجوس هذه الأمة.

والجبرية، الذين غلوا في إثبات القدر وقالوا: إن العبد مجبور محض.

والمعتزلة، الذين ألّهوا العقل وجعلوه حاكماً على النقل، وأثار أفكارهم لا تزال باقية إلى اليوم في الأمة، ومنهج تفكيرهم جارٍ في كثير من الكتّاب المعاصرين. فنفوا صفات الله وأصّلوا لأنفسهم أصولاً خمسة عدّوها أركاناً للدين!. والأشاعرة الذين أثبتوا لله سبع صفات ونفوا عنه البعض الآخر وردّوا أحاديث الآحاد بحجة الظنّ فيها فأولوا الصفات اللائقة بجلال الله سبحانه.

وكل هؤلاء ابتعدوا عن الحق بقدر بعدهم عن السنة الصحيحة التي كان عليها النبي ﷺ وخيار هذه الأمة من الصحابة والتابعين[1] وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

---

(١) التمسك بالسنة في العقائد والأحكام، محمد الأعظمي، انظر ص ٦٢، ٧٠.

إن أولئك لم يبتعدوا عن الحق وكفى؛ بل إنهم أصّلوا لأنفسهم أصولاً وسنوا لهم طرق ومناهج شتى وهذا نتيجة تجريد السنة من دلالتها الواضحة وحجتها القائمة، وهذا خروج عن الصراط المستقيم، ورميٌ في عماية، وبيان ذلك من وجوه:

أحدها: إن العقول غير مستقلة بإدراك مصالحها، استجلاباً لها، أو مفاسدها استدفاعاً لها، لأنها إما دنيوية أو أخروية...

فلولا أن منّ الله على الخلق ببعثة الأنبياء، لم تستقم لهم حياة، ولا جرت أحوالهم على كمال مصالحهم، وهذا معلوم بالنظر في أحوال الأولين والآخرين.

وأما المصالح الأخروية فأبعد عن مجاري العقول من جهة وضع أسبابها وهي العبادات فإن العقل لا يشعر بها على الجملة، فضلاً عن العلم بها مع التفصيل.

ومن جهة تصور الدار الآخرة وكونها آتية، فلا بدّ أنها دار جزاء على الأعمال، ولا يغترنّ ذو الحجى بأحوال الفلاسفة المدعين إدراك الأحوال الأخروية بمجرد العقل قبل النظر في الشرع.

والثاني: إن الشريعة جاءت كاملة لا تحتمل الزيادة ولا النقصان.

والثالث: إن المبتدع معاند للشرع ومشاق له، لأن الشارع قد عين لمطالب العبد طرقاً، وقصر الخلق عليها بالأمر والنهي والوعد والوعيد، وأخبر أن الخير فيها، وأن الشر في تعدّيها.

والرابع: إن المبتدع قد نزّل نفسه منزلة المضاهي للشارع!.

والخامس: إنه متبع للهوى، لأن العقل إذا لم يكن متبعاً للشرع، لم يبق له إلا الهوى والشبهة، وهذا الضلال المبين.

وقد جاء النقل بذم الابتداع في الدين والخروج عن منهج آخر المرسلين ﷺ من وجوه:

أحدها: ما جاء في القرآن الكريم مما يدل على ذم من ابتدع في دين الله

جملة فمن ذلك قوله تعالى ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾(١) ويبين مقاصد الشارع ما ورد في السنة فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: «خط لنا رسول الله ﷺ خطاً طويلاً، وخطاً عن يمينه وعن يساره، فقال: هذا سبيل الله، ثمّ خط خطوطاً عن يمينه ويساره، وقال: هذه سبل وعلى كلّ سبيل منها شيطان يدعو إليه ثمّ تلا هذه الآية..»(٢).

الثاني: ما جاء في الأحاديث المنقولة عن رسول الله ﷺ، وهي كثيرة تكاد تفوق الحصر..

الثالث: ما جاء عن السلف الصالح من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم في ذمّ البدع وأهلها(٣) وكل خارج عن السنة ممّن يدعي الدخول فيها والكون من أهلها لابدّ له من تكلف في الاستدلال بأدلتها على خصومات مسائلهم، وإلا كذّب اطّراحها دعواهم..

وإذا تقرر هذا، فلا بد من التنبيه على تلك المآخذ، لكي تُحذر وتتقى قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ﴾(٤) وذلك أن هذه الآية شملت قسمين هما أصل المشي على طريق الصواب أو على طريق الخطأ:

أحدهما: الراسخون في العلم، وهم الثابتوا الأقدام على الشريعة.. ومقتضى الآية المدح فهم إذاً أهل للهداية والإستنباط.. فإن تأولوه، فبالرد إلى المحكم الذي هو أم الكتاب، وإن لم يتأولوه فيقابلونه بالتسليم، وهؤلاء هم أولو الألباب.

والقسم الثاني: من ليس براسخ في العلم، وهو الزائغ فحصل له من الآية صفتان:

---

(١) سورة الأنعام ١٥٣.

(٢) المستدرك للحاكم وصححه ووافقه الذهبي، ج٢، ص ٢٦١، ٣٤٩.

(٣) الاعتصام للشاطبي، انظر، ج١، ص ٦١ - ١٠٥.

(٤) سورة آل عمران ٧.

الأولى: بالنص وهو الزيغ وهو الميل عن الصراط المستقيم، وهو ذم لهم.

الثانية: بالمعنى، وهو عدم الرسوخ في العلم، وكلّ منفيٍّ عنه الرسوخ فإلى الجهل، ثم إتباعه للمتشابه لو كان لجهة الاسترشاد به لم يحصل به مقصود على الحال، فما ظنُّك به إذا اتبع ابتغاء الفتنة.

وقد أفادت الآية أن طريق الحق واحدة، وأن للباطل طرقاً متعددة، وتعددها لم ينحصر بعدد مخصوص، بل ولا زمن مخصوص، فإن وجوه المخالفات لا تنحصر أيضاً فمنها:

اعتمادهم على الأحاديث الواهية الضعيفة والمكذوب فيها على رسول الله ﷺ والتي لا يقبلها أهل صناعة الحديث في البناء عليها.

ويمكن تصنيف أصحاب هذا الاتجاه، وهم الشيعة الذين يعتمدون أحاديث مكذوبة ويسندونها ظلماً إلى ائمتهم الأثني عشر، وهي متصادمة مع الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ كيف وقد كفروا أصحاب رسول الله ﷺ الناقلين سنته إلى الأمة إلا بضعة منهم.

وكذلك من يعرف بالصوفية أصحاب الجهل بالنقل، مقدسيّ الرسوم والأشخاص وأصحاب الكشف والتجلي والذوق والوجد وأعياد المولد وسهرات الإسراء والمعراج.

ومنها: ردهم للأحاديث التي جرت غير موافقة لأغراضهم و مذاهبهم، ويدعون أنها مخالفة للمعقول، وغير جارية على مقتضى الدليل المزعوم عندهم، فيجب ردها: كالمنكرين لعذاب القبر، والصراط، والميزان، ورؤية الله عز وجلّ في الآخرة، وكذلك أحاديث رسول الله ﷺ التي يخبر بها أمته وحياً من الله ولا يعلمها بشرٌ غيره ولا مجال فيها للاجتهاد والرأي كحديث الذباب المشهور وغيره، وما أشبه ذلك من الأحاديث الصحيحة المنقولة نقل العدول، وربما قدحوا في الرواة من الصحابة والتابعين ﷺ، ومن اتفق الأئمة من المحدثين على عدالتهم وإمامتهم، كلّ ذلك ليردوا به على من خالفهم في المذهب.

وربما ردّوا فتاويهم وقبحوها في أسماع العامة، لينفّروا الأمة من اتباع السنة وأهلها.

ويُصنّف هنا أصحاب علم الكلام المذموم كالمعتزلة و الجهمية والكلابية والماتريدية والأشاعرة والسالمية والمرجئة، وهؤلاء منهم من ردّ الأحاديث وطعنوا في صحتها وأنها أخبار آحاد لا تقبل في العقيدة، ومنهم من قال إنها ظنّية فلا يقبل في العقيدة إلا اليقين كالأشاعرة والماتريدية والكلابية، ثم قاموا بتأويل مدلولات النص الصحيح.

أما الطاعنون في صحة الحديث كالمعتزلة والجهمية والمرجئة فلا يقبلون إلا المتواتر، وإذا تعارض مع اليقينيات العقلية عندهم فلا يعتد به وإن كان متواتراً.

وأما الخوارج، فإنهم قد طعنوا في الصحابة فلا يعتدون بالحديث معتقدين الأخذ بالقرآن مع فهم خاطىء مرتجل متهور، وانصراف تام عن السنة.

ومنها: تخرصهم بالكلام في القرآن والسنة العربيين مع الإعراض عن علم العربية الذي يفهم به عن رسول الله ﷺ.

بل وإلى تفسير القرآن بالرأي والعقل بعيداً عن السنة الصحيحة وعدم تقييد ذلك بالنحو والصرف في القرآن، فكان أصحاب التفسير بالرأي وأصحاب التفسير العلمي للقرآن[١]هو ما آل إليه حال من اعتمد الرأي في تفسير القرآن وعلومه.

قال الإمام الشاطبي رحمه الله: «إن السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن يليهم كانوا أعرف بالقرآن وبعلومه وما أودع فيه، ولم يبلغنا أنه تكلم احد منهم في شيء من هذا المدعى سوى ما تقدم، وما ثبت فيه من أحكام التكاليف، وأحكام الآخرة، وما يلي ذلك، ولو كان لهم في ذلك خوض ونظر لبلغنا منه ما يدلنا على أصل المسألة، وذلك دليل على أن القرآن لم يقصد فيه تقرير لشيء مما زعموا..»[٢].

---

(١) وكما قال العلماء في تفسير مفاتيح الغيب للرازي: فيه كل شيء إلا التفسير؛ فكذلك التفسير العلمي مثل الجواهر في تفسير القرآن لطنطاوي جوهري، قال عنه الذهبي «فيه كل شيء إلا التفسير» انظر التفسير والمفسرون للذهبي ج٢، ص ٥١٧؛ وسيأتي الكلام عن التفسير بالرأي المذموم ص ٩٤٠ وما بعدها وفيه يظهر مخالفة مسائل العقيدة الصحيحة.

(٢) الموافقات للشاطبي، ج٢، ص ٧٩ - ٨٠.

أما الإعجاز العلمي للقرآن فلا يعد من التفسير وإنما قصد به الدعاة إظهار عظمة الإسلام ومجادلة أهل الكتاب والإلحاد ودعوتهم إلى الإسلام.

وهناك قوم استندوا في أخذ الأعمال من المنامات، وأقبلوا وأعرضوا بسببها، وهم أضعف تلك الفرق والطوائف احتجاجا، ويتفق مثل هذا كثيراً، المترسمين برسم التصوف.

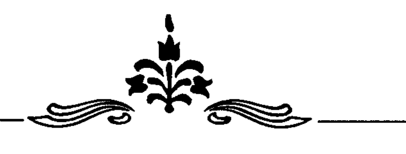
ثم بناء طائفة منهم الظواهر الشرعية على تأويلات ـ لا تعقل يدّعون فيها أنها المقصود والمراد، لا ما يفهمه العربي منها ـ مسندة عندهم إلى أصل لا يعقل، وذلك أنهم قوم أرادوا إبطال الشريعة جملة وتفصيلاً، وإلقاء ذلك بين الناس لينحل الدين، فلم يمكنهم ذلك صراحاً، فقالوا: كل ما ورد في الشرع من الظواهر في التكاليف والحشر والنشر والأمور الإلهية، فهي أمثلة ورموز إلى بواطن.

ولهم في هذا الإفك كثير من الأمور الإلهية وأمور التكليف وأمور الآخرة، وكله حوم على إبطال الشريعة جملة وتفصيلاً، إذ هم ثنوية ودهرية وإباحية، منكرون للنبوة والشرائع والحشر والنشر والجنة والنار، والملائكة، بل هم منكرون للربوبية، وهم المُسمَّون بالباطنية[1].

إنّ هؤلاء وغيرهم من الفرق المبتدعة قديماً وحديثاً والقادم منهم ما كان لهم أن يزلوا عن الطريق السوي لو أنهم اعتمدوا كتاب الله الكريم وسنة رسوله ﷺ، وفهم سلف الأمة، وإن من قال بترك أحاديث الآحاد عليه وزر ما أقدم عليه القوم، وهذه المخالفات في الشريعة نتيجة أسباب من أعظمها عدم تعظيم السنة وتجريدها من دلالتها.

---

(١) الاعتصام للشاطبي، انظر، ج ١، ص ٢٨١ - ٣٢١.



الفصل الثاني

رد بعض المسائل العقدية الثابتة بخبر الآحاد

وفيه:

- تمهيد
- المسائل التي يردّها المتكلمون في العقيدة بأدلتها.
- مسائل الإيمان.
- موقف الشيعة من القرآن.
- مسائل القدر.
- مسائل النبوات.
- مسائل اليوم الآخر.
- المدرسة العقلية الحديثة.

* * * * * *



تمهيد

انتهى البحث في الباب الأول إلى أن خبر الآحاد الصحيح حجة في العقائد والأحكام، وأن هذا مذهب أصحاب الرسول ﷺ والتابعين فهو مذهب أهل السنة والجماعة.

وتبين بطلان حجة من ردها بالظنّ وبقولهم إنها ظنّية لا تفيد اليقين واستدلوا بآيات من القرآن الكريم تنهى عن الظنّ، هذا الظنّ الذي نعاه الله على المشركين، لأن الله أنكر على المشركين الأخذ بالظنّ إنكاراً مطلقاً.

بل إن «من هؤلاء من رفض الاحتجاج في العقيدة بالقرآن الكريم والحديث الشريف المتواتر ما لم تكن دلالة كل منهما قطعية لا مجال فيها لأي احتمال، أما الأحاديث الآحاد فهي مرفوضة عندهم رفضاً كلياً، فلا يجيزون الاحتجاج بها لا في العقيدة ولا في الأحكام، ومن هؤلاء المعتزلة والخوارج.. كما نُقلت أقوال الجهابذة منهم الذين أصروا على أن يخوضوا لجة البحر، فإذا هم يكتشفون في غروب العمر أنهم قد ضيعوا عمرهم في قيل و قال، ولم يحصلوا في مسيرتهم على ما نشدوه طويلاً ولم يصلوا إلى اليقين الذي زعموا إن نصوص الوحي لا توصل إليه، و إذا بأعلامهم يذمّون مسراهم، وينكصون عما كانوا عليه، ويوصون أتباعهم بالاستفادة من تجربتهم»[1].

ثم تبين في الباب الثالث من هذا البحث أحاديث الآحاد التي تثبت بها مسائل العقيدة وأنكر حجيتها المخالفون، وفي بيان منهج تلك الفرق المخالفة المبتدعة من تلك الأحاديث يتضح ما يلي:

---

(١) أصل الاعتقاد، د. عمر الأشقر، ص ٨، ٩.

أولاً: لقد عُرف عن الخوارج المتقدمون اطّراحهم للسنة عموماً وأخذهم بالقرآن فوقعوا في أصحاب رسول الله ﷺ الذين هم رواة السنة ونقلتها[1].

ثانياً: أما المعتزلة فإنهم لا يأخذون بحديث الآحاد، بل حتى المتواتر قرآناً وسنة إن لم تكن دلالته قطعية وهكذا المتكلمون ويلحق بهؤلاء الزيدية والشيعة وأصحاب التنوير العقلانيون المعاصرون فإنهم اعتزاليو المذهب والفكر.

ثالثاً: الأشاعرة ومن اتبعهم، وهم يعتقدون قول من سبقهم في حديث الآحاد، وكذلك المتواتر ظني الدلالة.

غير إنهم في مسائل العقيدة، قالوا: إن أخبار الغيبيات مثل المعاد وأحوال القبر والصراط والجنة والنار تؤخذ بالسمع، فأجازوا العمل بأخبار الآحاد فيما بعد الموت واعتقاد ما دلت عليه، وهذا تناقض من القوم، وتحكم فيما جرت العادة بعدم قبوله وهو التفريق بين المتماثلين، ذلك أن أخبار المعاد، وأخبار الصفات والقدر والإيمان لا يستدل عليها إلا بالوحي كتاباً و سنة صحيحة، لأنها من علم الغيب، فإن أرادوا التوفيق، لأنهم يدّعون أنهم أهل السنة، ثم قامت الحجة عليهم بتوافق أقوالهم في المقال والاعتقاد مع خصومهم المعتزلة، فقالوا بهذا التقسيم: إن مسائل العقيدة منها ما يعلم بالعقل ومنها ما يعلم بالنص. وهذا هو التفريق بين المتماثلين ولا شك أنه توفيق غير موفق.

قال شيخ الإسلام: «ولهذا لا يوجد لنفاة بعض الصفات دون بعض، الذين

---

(١) والأباضية فرقة من الخوارج يدّعون أن لديهم مسنداً للربيع «وقد أجمع أهل العلم - أهل السنة والجماعة - قديماً وحديثاً على أن أصح الكتب بعد كتاب الله هما صحيح البخاري وصحيح مسلم لكن طائفة الأباضية تشذ عن هذا وترى أن مسند الربيع ابن حبيب من أئمتهم الأوائل وأصح كتاب بعد كتاب الله. مع أن هذا المسند لم تتلقاه الأمة بالقبول ولا تتوافر فيه شروط الصحة مليء بالمراسيل والمجاهيل منقطع الإسناد عن الربيع نفسه حيث كتب في القرن الخامس. ومن عقيدتهم عدم الاحتجاج بخبر الآحاد في العقيدة؛ فكيف حال عقيدتهم ومسندهم مروي عن واحد!؟؟. الخوارج مناهجهم وأصولهم، د ناصر العقل، دار القاسم، الرياض ط٢ سنة ١٤١٧هـ ص ٧٢؛ وانظر الفتاوى لابن تيمية ج ١٣، ص ٤٨،٤٩.

يوجبون فيما نفوه إما التفويض، وإما التأويل المخالف لمقتضى اللفظ قانون مستقيم، فإذا قيل لهم: لم تأولتم هذا وأقررتم هذا والسؤال فيهما واحد؟ لم يكن لهم جواب صحيح»[1].

ويقاس على هذا أمور ومسائل العقيدة التي أثبتوا بعضها بالعقل كالإيمان والقدر والنبوات وتلك التي ذكروا أنها تؤخذ بالسمع كالمعاد.

والأمة الإسلامية في الغالب تتبع لهذا الفكر الأشعري مالكية وشافعية، أما الأحناف فإنهم ماتريدية. وجميعهم يعتمدون علم الكلام في عقيدتهم القائم على المقدمات والرأي بعيداً عن الأخذ بالأدلة من الكتاب والسنة وفهم سلف الأمة.

المسائل التي ردّها المتكلمون في العقيدة:

اتفق المتكلون في الجملة على ردّ بعض مسائل العقيدة ومخالفة أهل السنة، وقد عُرضت غالب تلك المسائل في الباب الثاني من هذا البحث ورُدّ عليهم على ضوء منهج أهل السنة والجماعة، وعلى هذا فسيتم ذكرها إجمالاً[2]:

مسألة: أول واجب على المكلف: قالوا بالنظر والشك والحدوث وأعرضوا عن دلائل الكتاب والسنة في معرفة أول الواجبات وهو الشهادتان.

مسألة: تقديم العقل على النقل: وما ثبت بالتواتر وخالفه العقل فإما أن يفوض أو يؤول، وما ثبت بأخبار الآحاد فإنه لا يقبل في العقيدة، فأصبح مصدر التلقي عندهم العقل وليس النص من الكتاب والسنة الصحيحة، وقد ألّف شيخ الإسلام كتاباً في مجلدات للرد على أهل هذه المقالات، وأثبت أن النقل لا يتعارض مع العقل، فإن النقل الصحيح إذا وافق عقلاً صريحاً تواءما وامتثلا لأمر الله تعالى وما جاء عن الرسول ﷺ، وقد سمّاه «درء تعارض العقل والنقل».

مسألة التوحيد: وهو الهدف الذي أرسلت من أجله الرسل ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي

---

(١) الرسالة التدمرية لابن تيمية، ص ٤٥.

(٢) الرسالة التدمرية، انظر ص ١٧٩ -١٨٣؛ الإنصاف للباقلاني ص١٣؛ الإرشاد للجويني ص ٣، ١٠.

كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[1].

والتوحيد عند أهل السنة والجماعة هو توحيد الألوهية المتضمن توحيد الربوبية والأسماء والصفات، وأن توحيد الألوهية يتعلق بإفراد الله عز وجل بالعبادة والخضوع و الإنابة إليه وحده جلّ وعلا، والابتعاد عن الإشراك مع الله آلهة أخرى.

أما الجهمية فقد أدرجوا نفي الصفات في مسمى التوحيد، فصار من قال أن لله علماً أو قدرة أو أنه يُرى في الآخرة، أو أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، يقولون إنه مشبه ليس بموحد وزاد عليهم غلاة الجهمية فنفوا أسماءه الحسنى.

وعلى نهج هؤلاء الجهمية صار خلفهم المعتزلة فقالوا: «إن الدين قائم عندهم على أصول خمسة: أولها التوحيد وهو نفي صفات الله تعالى لإن إثباتها يعني تعدد القدماء، وهذا هو الشرك فيلزم الخلاص منه أن تنفي الصفات وإثبات الأسماء التي وردت بالقرآن أما السنة أخبار الآحاد فلا يؤخذ بها في مسائل العقيدة.

أما المتكلمون الأشاعرة والماتريدية والكلابية فيقولون: هو واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته لا شبيه له، وواحد في أفعاله لا شريك له، وأشهرها الثالث وهو توحيد الأفعال وهو أن خالق العالم واحد، وأن هذا هو معنى قولنا: لا إله إلا الله حتى يجعلون معنى الإلهية القدرة على الاختراع.

أما الصوفية: فإن غاية ما عندهم من التوحيد هو شهود هذا التوحيد وهو الفناء في توحيد الربوبية»[2].

مسائل الإيمان:

والإيمان عند أهل السنة والجماعة: قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل

---

(١) سورة النحل ٣٦.

(٢) نفس المصدر، انظر ص ١٨٤ - ١٨٧.

بالأركان يزيد وينقص فأعلاه شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناه إماطة الأذى عن الطريق، وصاحب الكبيرة تحت المشيئة مؤمن بإيمانه فاسق بمعصيته معه مطلق إيمان وليس الإيمان المطلق بعكس مقالة فرق المتكلمين.

أما الخوارج: فإن كل الأعمال إيمان فإذا ارتكب كبيرة خلد في النار، وزال إيمانه فهو كافر. فكل عمل شرط في صحة الإيمان فإذا زال الشرط زال المشروط.

والمعتزلة: يوافقون الخوارج في قولهم بالخلود في النار، وفي الدنيا قالوا أنه لا مؤمن ولا كافر فهو في منزلة بين المنزلتين.

أما الأشاعرة والماتريدية فقالوا: إن الإيمان قول واعتقاد ومنهم من قال إنه التصديق فقط وهذا هو الإرجاء، إلا أنهم قالوا إن الأعمال تزيد في الدرجات.

أما الجهمية فقالوا بالإرجاء وهو أنه لا يضر مع الإيمان معصية كما أنه لا ينفع مع الكفر طاعة[1].

مسائل أسماء الله وصفاته جلّ وعلا:

وأهل السنة والجماعة يثبتون ما نزل في كتاب الله تعالى من الأسماء والصفات وما أخبر به المصطفى ﷺ في سنته الصحيحة.

ويعتقدون ما أخبر عنه المصطفى ﷺ في الصحيح من الأسماء التي استأثر بها في علم الغيب عنده أو أخبر بها أحداً من خلقه.

أما الجهمية فينفون أسماء الله وصفاته وعدوا ذلك ديناً!. ولحق بهم المعتزلة فنفوا صفات الله وعدوا ذلك توحيداً! وأما المتكلمون: فأثبتوا سبعاً أو أكثر بالنسبة للماتريدية وأوّلوا النصوص التي تتعارض مع مقدمات الدليل عندهم وقالوا إن ذلك يتضمن التركيب والحركة والحدوث، وقصدوا بذلك تنزيها!.

فنفوا النزول والاستواء والمجيء والضحك والغضب والرضا والوجه لله تعالى..

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية، انظر ج٧، ص ١٩٤ وما بعدها.

مسائل علو الله واستوائه على عرشه:

وأهل السنة والجماعة يعتقدون أن الله فوق سمواته وأنه بائن من خلقه مستوٍ على عرشه، وقد جاءت الأدلة من القرآن والسنة مؤيدة لما ذهب إليه السلف.

أما الجهمية فأنكروا علوا الله على خلقه واستواءه على عرشه.

وفسر المعتزلة الاستواء بالاستيلاء.

وكذا المتكلمون عامة قالوا بمثل هذا.

وقد ألف الإمام الذهبي كتابه العلو للعلي الغفار للردّ عليهم وحشد الأدلة المتضافرة من الكتاب والسنة وأقوال الأئمة من أهل السنة، وألّف ابن القيم كتابه القيّم اجتماع الجيوش الإسلامية في الرد على الجهمية والمعطلة لإثبات علو الله سبحانه.

وفي هذين المؤلفين دلالة وحجة قائمة لمن أراد الحق واتباع أهله، وهذا يعني أن تلك الأدلة الصحيحة قد رُدت وأهمل العمل بها، وطائفة من هؤلاء جنحت إلى تأويل الصحيح.

مسائل القرآن، كلام الله تعالى:

والقرآن العظيم كلام الله العزيز الحكيم، ليس شيء منه كلاماً لغيره لا جبريل ولا محمد ولا غيرهما، منزّل من الله، وأنه يتكلم بما شاء متى يشاء، وأنه يُسمع كلامه لخلقه، وأن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، حروف وأصوات، فالكلام كلام البارئ والصوت صوت القارئ، صفة من صفات الله العظمى. وقد ألف ابن تيمية مجلداً وافياً عن كلام الله تعالى[1].

أما المتكلمون والمخالفون لمنهج أهل السنة والجماعة فكانوا فرقاً و أحزاباً في مفهومهم للقرآن كلام الله تعالى:

فالأولى: وهم الفلاسفة ومن تبعهم كابن سيناء وابن عربي وابن سبعين

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية، انظر، ج١٢، ص ١١٧، وما بعدها.

صاحبي الإتحاد والحلول، فقالوا: إن كلام الله ليس له وجود خارج نفس العبد بل هو ما يفيض على النفوس من المعاني، فالكلام الذي سمعه موسى لم يكن موجوداً إلا في نفسه.

الثانية: الجهمية من المعتزلة وغيرهم الذين يقولون كلام الله مخلوق يخلقه في بعض الأجسام، فمن ذلك الجسم ابتدأ لا من الله، فلا يقوم بالله كلام.

وهؤلاء هم الذين دعوا الخلفاء إلى مقالتهم حتى امْتُحِن الناس في القرآن بالمحنة المشهورة في إمارة المأمون وغيره فتصدى لهم الإمام أحمد رحمه الله و﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾(١).

الثالثة: الكلابية والأشعرية والماتريدية، فقالوا إن كلام الله معنى قائم بذات الله، هو الأمر بكل مأمور أمر الله به، والخبر عن كل مخبر اخبر الله عنه، إن عبر عنه بالعربية كان قرآناً..!.

وإن عبر عنه بالعبرية كان توراة..!

وإن عبر عنه بالسريانية كان إنجيلاً..!.

قال الأشعري: هو معنى واحد في الأزل، أمر ونهي و خبر وهو الكلام النفسي عندهم وما في المصحف عبارة عن كلام الله.

وقال الماتريدي: وما في المصحف حكاية عن كلام الله.

الرابعة: طائفة السالمية ومن تبعهم، قالوا: إن كلام الله حروف وأصوات قديمة أزلية، وهؤلاء يوافقون الأشاعرة والكلابية في أن تكليم الله لعباده ليس إلا مجرد خلق إدراك للمتكلم، ليس هو أمر منفصل عن المستمع.

الخامسة: الكرامية والهشامية ومن وافقهم، قالوا: إن كلام الله حادث قائم بذات الله بعد أن لم يكن متكلماً بكلام، ووجود كلام الله في الأزل ممتنع عندهم.

---

(١) سورة إبراهيم ٢٧.

وأما أهل الحق، أهل السنة والجماعة فقد عظموا ربهم وامتثلوا كلام مولاهم وسنة نبيهم ﷺ، فقالوا: إن الله تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء، وأنه يتكلم بصوت كما جاءت به الآثار، والقرآن وغيره من الكتب الإلهية كلام الله تكلم الله به بمشيئته وقدرته، ليس ببائن عنه مخلوقاً، ولا يقولون إنه صار متكلماً بعد إن لم يكن متكلماً، ولا أن كلام الله تعالى من حيث هو، هو حادث، بل مازال متكلماً إذا شاء.

ويقولون بما جاءت به النصوص النبوية الصحيحة، ودلت عليه العقول الزكية الصريحة، فلا ينفون عن الله تعالى صفات الكمال سبحانه وتعالى.(١)

موقف الشيعة من القرآن:

وقد زاد ضلال هؤلاء الشيعة عن تلك الفرق بقولهم الإفك في كتاب الله فقالوا: إنه ناقص؛ فقد ألف كبير علماء النجف تقي النوري الطبرسي كتابه المسمى «فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب»، جمع فيه مئات من النصوص عن علماء الشيعة قديماً وحديثاً أنهم يعتقدون بوجود النقص والتحريف في القرآن الكريم.

ومما ادعوه أن سورة من القرآن تسمى سورة «الولاية» قد أُسقطت من المصحف العثماني.

أما الكليني فقد جاء في كتابه الكافي بمئات الآيات التي زعم أن الله أنزلها، وقد عُلم من مصادرهم أن الكافي بمثابة الصحيحين عند أهل السنة، فهو مرجعهم في أحاديثهم المكذوبة على الله ورسوله، ومن كذبهم قوله عن أبي عبد الله في قول الله عز وجل: ومن يطع الله ورسوله في ولاية علي وولاية الأئمة من بعده فقد فاز فوزاً عظيماً. هكذا أنزلت!(٢).

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية، انظر ج١٢، ص ١٩٣ وما بعدها.

(٢) الكافي للكليني، ج١، ص ٣٤٢. وانظر الشيعة وأهل البيت، إحسان إلهي ظهير، ص ١٧١ وغيرها.

وعن جعفر الصادق قال: وإن عندنا مصحف فاطمة عليها السلام وما مصحف فاطمة؟! قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد»[1].

وأما السنة فليست بأحسن حالاً، فلقد ردوا الروايات الصحيحة عن الصحابة رضي الله عنهم، وأتوا بأحاديث موضوعة عن آل البيت مثل روايات الكليني وإيراده آيات ولاية آل البيت كذباً وبهتاناً، وبهذا غيروا معالم التنزيل وقالوا على الله كذباً وجوراً.

ثم قالوا بالعصمة للأئمة، وقالوا بالإمامة وأنها ركن الدين الأعظم والتقية والولاية، والبداء على الله، ورجعة المهدي المزعوم عندهم[2].

فدينهم دين قائم على التقية والكذب على الله ورسوله، ثم أنهم جحدوا علم الله وأحاطته بكل شيء، فقالوا: بالبداء على الله، تنزه الله عن قولهم وإفكهم[3].

بل إنهم غلوا في أئمتهم بتفضيلهم على سائر الأنبياء كما ملئت بذلك كتبهم القديمة والحديثة كالكافي وما كتبه الخميني في العصر الحديث.

وبغضهم للصحابة مشهور معلوم، وهم الذين شهد الله لهم بالفوز والنجاة، وأنه قد رضي عنهم ووصفهم الله بأنهم أشداء على الكفار رحماء بينهم. وما هذه التخبطات إلا معاول هدم في دين الله، ويأبى الله إلا أن يتم دينه.

مسائل القدر:

تقاسم الضلال في هذا الباب فرقتي الجبرية والقدرية.

أما الجبرية فقالوا: الكون كله بقضائه وقدره فغلوا في إثبات القدر وزعموا أن إيمان أي واحد منهم مثل إيمان جبريل.

---

(١) نفس المصدر، ج١، ص ١٨٦.

(٢) الخطوط العريضة لمحب الدين الخطيب، انظر، ص ٩ - ١٠.

(٣) وانظر، فرق معاصرة، د غالب عواجي، المكتبة العصرية، ١٤٢٢هـ، ج١، ص ٤٢٠ وما بعدها.

وقالوا إن العبد لا قدرة له البتة على الفعل، وإنما هو مجبور على فعله وحركته في الفعل بمثابة حركة النبات والجماد، ومن هنا فإنه لا يضر مع الإيمان ذنب، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وهذا تعدٍ على الله سبحانه وتعالى الذي خلق الإنسان مميزاً عاقلاً ثم هداه النجدين طريق الخير وطريق الشر. وجبر العبد على فعله لا يتفق مع مضمون قوله تعالى ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[1].

أما القدرية: وهم نفاة القدر الذين يزعمون أنهم يخلقون أفعالهم فإن من زعم خالقاً غير الله فقد أشرك، فكيف بمن يزعم أن كل أحد يخلق فعله، ولهذا كانت القدرية مجوس هذه الأمة.

ولهذا أصّل المعتزلة فقالوا: بالعدل قاصدين بذلك أن العباد خالقين أفعالهم بقدرتهم حتى يحاسبهم الله عليها، وليس من العدل أن يخلقها أو حتى يقدرها ثم يحاسبهم على مالا حيلة لهم فيه. وهذا مخالف للنصوص الصحيحة والعقول الصريحة.

ومنهم الذين يقولون إن الأمر أُنف أي فيما يستقبل فلم يقدّر ولم يعلم الله شيئاً من الأزل وهذا تعارض مع كتاب الله تعالى ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾[2].

وقد توسط بين الجبرية والقدرية الذين قالوا بالكسب وهو أن العبد فاعل لفعله مجازاً وليس حقيقة وهاتان الفرقتان هم الأشاعرة والماتريدية وقد قالوا بنفي الحكمة والتعليل. وهذا معارض للشرع[3].

إن هذه الفرق ومن تبعهم قد أسسوا لأنفسهم أقوالاً في القدر ردت النصوص الصحيحة فلا يعمل بها؛ ذلك أنهم أعرضوا عن خبر الآحاد وقالوا بعدم الأخذ به في أمر العقيدة، فعُطلت الأحاديث وأحدثوا في الدين ما ليس منه.

أما أهل السنة والجماعة، فيؤمنون بالقدر خيره وشره، وأنه من الله تعالى،

---

(١) سورة البقرة ٢٨٦.

(٢) سورة القمر آية ٤٩.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية، انظر، ص ٢٧٢، وما بعدها.

ليس في العالم شيء يخرج عن تقديره، والإيمان بالقدر على درجتين كل درجة تتضمن شيئين:

الأولى: العلم والكتابة: بأن الله علم ما الخلق عاملون ثم كتب في اللوح كل شيء، والثانية المشيئة المطلقة لله وأن الله خالق كل شيء[1].

مسائل النبوات:

حصر المتكلمون دلائل النبوة في المعجزات:

ولا ريب أن المعجزات دليل صحيح، لكن الدليل غير محصور في المعجزات، فإن النبوة إنما يدعيها أصدق الصادقين أو أكذب الكاذبين، ولا يلتبس هذا بهذا إلا على أجهل الجاهلين، بل قرائن أحوالهما تعرب عنهما.

قال حسان رضي الله عنه:

لو لم يكن فيه آيات مبينة كانت بديهته تأتيك بالخبر[2].

وصدق الأنبياء وهم كذلك حقاً، دليل من دلائل نبوتهم فقد أخبروا أممهم بما سيكون من انتصارهم وخذلان عدوهم، وما جاءوا به من شرائع تبين أنهم على حق، وما جاءوا به من المصلحة والرحمة والهدى والخير.

فهذا هرقل ملك الروم يعلم أن محمداً ﷺ رسولاً وأنه على حق.

وإخباره ﷺ بما فضله ربه سبحانه وحباه من الأوصاف والمراتب العلا وأنه خليل الرحمن وحبيب الله، وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين فلا نبي بعده.

وإنه ﷺ هو المبعوث إلى عامة الجن وكافة الورى، بالحق والهدى، وأن الأنبياء صلوات الله عليهم معصومون فيما يخبرون به عن الله سبحانه في تبليغ رسالته باتفاق الأمة ولهذا وجب الإيمان بكل ما أوتوه بخلاف غير الأنبياء فإنهم ليسوا معصومون كما عصم الأنبياء.

---

(١) انظر قطف الثمر في بيان عقيد أهل الأثر للعلامة محمد صديق خان القنوجي، ص ٨٤، ٨٥.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، انظر ص ١٥٠ وما بعدها.

وقد تخبط النصارى في قولهم في عيسى عليه الصلاة والسلام: إنه ابن الله، ثم اعتقدوا أن اليهود قتلوه ثم صلبوه فعبدوا الصليب؟!.

وقد شابههم فرقة الشيعة وقالوا: بعصمة أئمتهم وأن لديهم مرتبة لا يبلغها ملك مقرب، ولا نبي مرسل، وقالوا: إنهم اثني عشر معصوماً أما آخرهم فغائب منتظر! فقدّسوا أئمتهم ونذروا لهم وقربوا قرباناً وعطلوا الجمعة والجماعة والجهاد وأقاموا عيد عاشوراء!.

إن الذين أعرضوا عن قبول خبر الآحاد في العقيدة قد ردّوا هذه المسائل في العقيدة وغيرها في باب النبوات، وأحدث بعضعهم في النبوات أقوالاً مخالفة للحق كهؤلاء.

مسائل اليوم الآخر:

الذين قالوا بمعاد الأبدان دون الأرواح، وهؤلاء هم الجهمية والمعتزلة؛ ذلك أنهم قالوا إن الأرواح أعراض والأعراض لا تعود بعد عدمها، والصحيح الذي دلت عليه الأدلة أن للروح خمس تعلقات بالبدن وأن أتمها وأكملها يوم بعث الأجسام، وأنها تتلذذ بالجنة وتتألم وتتعذب إن كانت من أهل النار[(١)].

وأنكرت المعتزلة والفلاسفة سؤال القبر ونعيمه وعذابه والصراط والميزان بدعوى أنها لم تثبت بالعقل[(٢)].

وأنكرت القدرية والمعتزلة والخوارج والرافضة حوض محمد ﷺ[(٣)].

أما الشفاعة فقد اعتقد الصوفية والباطنية والشيعة أنها تسأل من أوليائهم أحياء أو أموات[(٤)].

---

(١) الروح لابن القيم، ص ٤٠ - ٨٠.

؛ انظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية، ج٤، ص ٩٧ - ١٠٠.

(٢) شرح العقيدة الواسطية، ص ٢٠١.

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم، ج٤، ص ٥٥.

(٤) أصول الدين للبغدادي، ص ٢٣٨.

والمعتزلة والخوارج أنكروا شفاعة محمد ﷺ في أهل الكبائر[1].

قال الباقلاني: «واعلم أن المعتزلة افترقت فرقتين، فقوم منهم أنكروا الشفاعة أصلاً ورأساً وردّوا الأخبار الصحيحة الواردة فيها، وما دل عليه القرآن من ذلك، وقوم منهم قالوا: إن صاحب الكبيرة الذي مات من غير توبة فلا شفاعة له عندهم، وكلا القولين باطل[2].

وقد أنكرت الجهمية والمعتزلة أن تكون الجنة والنار مخلوقتان، وزعم قوم من الجهمية أن الجنة والنار تفنيان[3].

وقالت المعتزلة والخوارج بخلود أهل الكبائر في النار بشرط عدم التوبة عند المعتزلة[4].

وهذه المسائل وغيرها قد دُعّمت بالأدلة وأُجيب عن مغالطات أهلها في مظانّها، فكانت الإشارة في هذا الفصل لبيان نتائج إعراض أولئك عن خبر الآحاد الصحيح وعدم الاحتجاج به في العقيدة.

المدرسة العقلية الحديثة وموقفها من خبر الآحاد:

انبرى في هذا العصر عقلانيون يمجدون أولئك المتنورين أصحاب المذهب العقلاني، الذين يشككون في السنة النبوية، وأن المعتزلة هم أصحاب الفكر النيّر والحجة الغائبة؛ إنها دعوى تردد كل يوم من قبل دعاة المدنية والحضارة ومواكبة الغرب، وتهدر بسببها أصح الأحاديث وأقواها دلالة، إنهم ولا شك معتزلة هذا العصر.

قال الشيخ محمد عبده: «وأما ما ورد في حديث مريم وعيسى من أن الشيطان لم يمسهما، وحديث إسلام شيطان النبي ﷺ، وحديث إزالة حظ الشيطان

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم، ج٤، ص ١٥٣.

(٢) الإنصاف للباقلاني، ص ١٤٩.

(٣) أصول الدين للبغدادي، ص ٢٣٨.

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم، ج٤، ص ١٥٣.

من قلبه فهو من الأخبار الظنّية لأنه من رواية الآحاد، ولما كان موضوعها عالم الغيب، والإيمان بالغيب من قسم العقائد وهي لا يؤخذ فيها بالظن لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾[1] كنا غير مكلفين الإيمان بمضمون تلك الأحاديث في عقائدنا»[2].

وقال الشيخ محمد رشيد رضا: «الشريعة عندنا تشمل العقائد والعبرة فيها بالدلالة القطعية، وجميع العقائد التي تتوقف عليها صحة الإسلام ثابتة بنصوص القرآن وإجماع المسلمين، وإثبات الألوهية والنبوة منها بالبراهين العقلية، ولا يوجد شيء منها يتوقف على أحاديث الآحاد التي يمكن الارتياب في بعضها.

وكذلك أصول العبادات كلها قطعية ثابتة بالقرآن والسنة العملية المتواترة التي لا تتوقف على أحاديث الآحاد.

وما ثبت من أحكام العبادات بأحاديث الآحاد ولم يجمع عليه أئمة المسلمين فلا تتوقف عليه صحة الإسلام وإن كان صحيحاً في نفسه»[3].

وقال الشيخ شلتوت: «نجد نصوص العلماء من متكلمين وأصوليين مجتمعة على أن خبر الآحاد لا يفيد اليقين، فلا تثبت به عقيدة، ونجد المحققين من العلماء يصفون ذلك بأنه ضروري لا يصح أن ينازع أحد في شيء منه»[4].

وقال محمد عمارة: «إذا وجدت حديثاً منسوباً إلى رواة عدل لا ألجم عقلي وأمنعه من النظر بحجة أن السند هو كل شيء، لأنه لابد أن يكون لعقلي مجال في المتن، ولا بد أن أحاكم هذا الذي هو ظني الثبوت إلى ما هو قطعي الثبوت وهو كتاب الله وحقائق العلم»[5] وقد شكك أصحاب هذه المدرسة العقلية الحديثة

---

(١) سورة النجم ٢٨.

(٢) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار المنار، ط الثالثة، ١٣٨٧هـ، مصر، ج٣، ص ٢٩٢.

(٣) مجلة المنار، مجلد ١٥، ص ٢٧ - ٢٨.

(٤) مجلة الرسالة، عدد ٥١٤، ١٣٦٢هـ، ص ٤٤٣.

(٥) جريدة المسلمون عدد ٢٧٦، ١٤١٠هـ ص ١١؛ وانظر موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية، الأمين الصادق، ج٢، ص ١٩٦، وما بعدها.

لأن عقولهم لم تسلم للنص ثم حملوا الأحاديث على أنها ظنّية، وأنها أحاديث آحاد، والحق أنها أحاديث صحيحة وأغلبها في الصحيحين تلقتها الأمة بالقبول في الأصول والفروع.

أما اصحاب التيار العقلي الصرف فإنهم علمانيون ينتسبون إلى الإسلام ويكيدون للإسلام وأهله فإنهم عملاء دعاة إلى الإلحاد والتبعية وهم أصحاب الفكر الليبرالي، فهم ضد الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

أما الأحاديث التي تنكرها المدرسة العقلية الحديثة فتتمثل في:

حديث نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم عليه السلام حكماً مقسطاً، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير، ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد»[1].

قال ابن كثير رحمه الله: «فأخبر تعالى أنه قد رفعه ـ أي عيسى عليه السلام ـ بعدما توفاه بالنوم على الصحيح المقطوع به وخلصه ممن كان أراد أذيته من اليهود الذين وشوا به إلى بعض الملوك الكفرة في ذلك الزمان»[2].

قال الشيخ أحمد شاكر: «وقد لعب المجددون أو المجردون في عصرنا الذي نحيا فيه، بهذه الأحاديث الدالة صراحة وحقاً على نزول عيسى ابن مريم عليه السلام في آخر الزمان، قبل انقضاء الحياة الدنيا بالتأويل المنطوي على الإنكار تارة وبالإنكار الصريح أخرى! ذلك أنهم في حقيقة امرهم لا يؤمنون بالغيب، أو لا يكادون يؤمنون، وهي أحاديث متواترة المعنى في مجموعها، يعلم مضمون ما

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب نزول عيسى بن مريم عليه السلام ج٤، ص ٤١٤.

؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم ج٢، ص١٨٩،.

(٢) البداية والنهاية، ج٢، ص ٩١.

فيها من الدين بالضرورة فلا يجديهم الإنكار ولا التأويل»[1].

وقال عبد الله الغماري في رده على الشيخ شلتوت: «وبعد فإني أرى أن كل من يماري في هذا الأمر بعد هذا البيان فإنه مبتدع ضال.. وليست المسالة مسألة خلاف يعذر فيها المخالف، بل هي مسألة إجماع أجمعت عليه الأمة وتواترت به النصوص، كما أنها من جنس الأخبار التي لا مجال فيها للرأي والاجتهاد»[2].

حديث موسى عليه السلام وملك الموت:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: «أُرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام، فلما جاءه صكه ففقأ عينه فرجع إلى ربه، فقال أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت. قال: فردّ الله إليه عينه، وقال ارجع إليه، فقل له: يضع يده على متن ثور فله بما غطت يده بكل شعرة سنة. قال: ربّ ثم مه؟ قال: ثم الموت. قال: فالآن. فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية حجر فقال رسول الله ﷺ: فلو كنت ثم، لأريتكم قبره إلى جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر»[3].

قال الإمام النووي: «وقد أنكر بعض الملاحدة هذا الحديث وأنكر تصوره، قالوا كيف يجوز على موسى فقوء عين ملك الموت؟! قال: وأجاب العلماء عن هذا بأجوبة أحدها: أنه لا يمتنع أن يكون موسى عليه السلام قد أذن له الله تعالى في هذه اللطمة ويكون هذا امتحاناً للملطوم، والله سبحانه وتعالى يفعل في خلقه ما يشاء ويمتحنهم بما أراد.

والثاني: أن موسى عليه السلام لم يعلم أنه ملك الموت من عند الله وظن أنه رجل قصده يريد نفسه فدافعه عنها فأدت المدافعة إلى فقوء عينه لا أنه قصدها بالفقوء وتؤيده رواية صكه وهذا هو جواب الإمام أبي بكر بن خزيمة وغيره من

---

(١) مسند الإمام أحمد تحقيق أحمد شاكر ج١٢، ص ٢٥٧.

(٢) مشكلات الأحاديث، تأليف جماعة من نوابغ العلماء، تصحيح زكريا يوسف، مكتبة المتنبي، مطبعة الإمام، القاهرة، ص ١١٢.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب وفاة موسى ج٦، ص ٤٤٠.
؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الفضائل، باب فضائل موسى ج ١٥، ص ١٢٨.

المتقدمين، وليس في الحديث تصريح بأنه تعمد فقء عينه»[1].

حديث سحر النبي ﷺ:

عن عائشةؓ، قالت: «سُحر رسول الله ﷺ حتى أنه ليخيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله حتى إذا كان ذات يوم وهو عندي دعا الله ودعاه ثم قال: «أُشعرت يا عائشة أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه؟ قلت: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: جاءني رجلان فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي ثم قال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل، قال:مطبوب.. قال: ومن طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم اليهودي من بني زريق؟. قال: في ماذا قال: في بئر ذي أروان. قالت: فذهب النبي ﷺ في أناس من أصحابه إلى البئر فنظر إليها وعليها نخل ثم رجع إلى عائشة، قلت: يا رسول الله أفأخرجته؟، قال: لا أما أنا فقد عافاني الله وشفاني وخشيت أن أُثّور على الناس منه شراً وأمر بها فدفنت»[2].

أثر السحر على رسول الله ﷺ:

يرى جمهور المفسرين: «إن سبب نزول المعوذتين هو ماكان من سحر لبيد بن الأعصم لرسول الله ﷺ، وقد روى المحدثون قصة السحر في الصحاح والسنن والمسانيد وغيرها من الكتب التي تتعرض لذكر أحوال النبي ﷺ، ولقد ذهب إلى نفي السحر وأثره المعتزلة ومن سار على نهجهم ونفي هؤلاء أن النبي ﷺ سحر من باب أولى..

وهذه المسألة مما استفاض الكلام فيها.. لكن فيما يخص هذا الحديث، إنه يفيد العلم عند جماهير العلماء من المسلمين لما احتف به من القرائن المؤدية إلى الجزم بأنه صدق، لأنه مما روي في الصحيحين وقد أجمعت الأمة على صحة أحاديثهما والأمة لا تجتمع على ضلالة»[3].

---

(١) شرح النووي، ج١٥، ص ١٢٩.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الطب، باب السحر، ج ١٠، ٢٣٥.
؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب السلام، باب السحر، ج ١٤، ص ١٧٤.

(٣) السحر بين الحقيقة والخيال، د. أحمد الحمد، مكتبة التراث بمكة، ١٤٠٨هـ، ص ١٢٢ وما بعدها.

«ومذهب أهل السنة والجماعة وجمهور علماء الأمة على إثبات السحر وأن له حقيقة كحقيقة غيره من الأشياء الثابتة خلافاً لمن أنكر ذلك ونفى حقيقته، وقد أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث بسبب آخر وهو أنه يحط من منصب النبوة ويشكك فيها، وان تجويزه يمنع الثقة بالشرع، وهذا الذي ادعاه هؤلاء المبتدعة باطل لأن الدلائل القطعية قد قامت على صدقه وصحته، وعصمة النبي ﷺ فيما يتعلق بالتبليغ والمعجزة شاهدة بذلك، وتجويز ما قام الدليل بخلافه باطل»[(١)].

٤ ـ حديث شق صدر النبي ﷺ وإخراج حظ الشيطان منه:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: «إن رسول الله ﷺ أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه، فاستخرج منه علقة، فقال: هذا حظ الشيطان منك. ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه ثم أعاده إلى مكانه. وجاء الغلمان يسعون إلى أمه (يعني ظئره) فقالوا إن محمداً قد قتل. فاستقبلوه وهو منتقع اللون. وقال أنس: وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره»[(٢)] قال النووي: ظئره: أي مرضعته.

حديث المعراج:

عن أبي ذر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «فرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل عليه السلام ففرج صدري ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً فأفرغها في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء.. والحديث بتمامه تقدم ذكره في معجزاته ﷺ»[(٣)]. قال القاضي عياض رحمه الله: «وفي

(١) شرح النووي، ج ١٤، ص ١٧٤- ١٧٥.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ وفرض الصلوات،ج٢، ص ٢١٦.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ وفرض الصلوات، ج٢، ص٢١٧.

؛ فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء والمعراج، ج١، ص ٤٥٨.

علو منزلة نبينا ﷺ وارتفاعه فوق منازل سائر الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وبلوغه حيث بلغ من ملكوت السموات دليل على علو درجته وإبانة فضله»[1].

حديث وقوع الذباب في الإناء:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه كله ثم ليطرحه، فإن في إحدى جناحيه داء وفي الأخرى شفاء»[2].

قال الشيخ الخطابي في معالم السنن: «وقد تكلم على هذا الحديث بعض من لا خلاق له وقال: كيف يكون هذا وكيف يجتمع الداء والشفاء في جناحي الذبابة وكيف تعلم ذلك من نفسها حتى تقدم جناح الداء وتؤخر جناح الشفاء..؟.

قلت: وهذا سؤال جاهل أو متجاهل، وإن الذي يجد في نفسه ونفوس عامة الحيوان قد جُمع فيها بين الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، وهي أشياء متضادة إذا تلاقت تفاسدت، ثم يرى أن الله سبحانه قد ألّف بينها وقهرها على الاجتماع وجعل منها قوى الحيوان التي بها بقاؤها وصلاحها لجدير أن لا ينكر اجتماع الداء والشفاء في جزأين من حيوان واحد، وإن الذي ألهم النحلة أن تتخذ البيت العجيب الصنعة وأن تُعسّل فيه، وألّهم الذرّة أن تكتسب قوتها وتدّخره لأوان حاجتها إليه، هو الذي خلق الذبابة وجعل لها الهداية إلى أن تقدم جناحاً وتؤخر جناحاً لما أراد من الابتلاء الذي هو مدرجة التعبد والامتحان الذي هو مضمار التكليف. وفي كل شيء عبرة وحكمة وما يذكّر إلا أولوا الألباب»[3].

---

(١) شرح النووي، ج٢، ص ٢٢١.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الطب، باب إذا وقع الذباب في الإناء، ج١٠، ص ٢٥٠.

؛ سنن أبي داود، كتاب الأطعمة، باب في الذباب يقع في الطعام ج٤، ص ١٨٢ وقال الشارح: ورواه النسائي وابن ماجة والدارمي والبيهقي.

؛ مسند الإمام أحمد، ج٢، ص ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٤٦.

(٣) سنن أبي داود ومعالم السنن للخطابي، ج٤، ص ١٨٣.

وقال الشيخ أبو شهبه رحمه الله: «ومن ثم نرى أن الحديث رواه سبعة من أئمة الحديث، وسند كل منها صحيح فلا جرم أن أقول: إن حديث الذباب صحيح غاية الصحة، من ناحية السند، وأما من ناحية المتن فقد أثبت الطب الحديث بما لا يدع مجالاً للشك أن الحديث صحيح في معناه.

ولو أن الذين أجروا التجارب على الذباب حتى توصلوا إلى أن في الذباب مادة قاتلة للجراثيم التي تسبب الأمراض كانوا أطباء مسلمين لربما قال قائل: إنهم متحيزون للحديث، ولكنهم جميعاً أطباء لا يمتون إلى الإسلام الحنيف بصلة، ولكن البحث وإثراء البحوث الطبية هو الذي هداهم إلى هذا، وكل ما فعله الأطباء المسلمون هو ترجمة ما أجراه الأطباء الأجانب من تجارب.

نتيجة البحث:

وبذلك يحقق العلماء بأبحاثهم تفسير الحديث النبوي الذي يؤكد ضرورة غمس الذبابة كلها في السائل أو الغذاء إذا وقعت عليه لإفساد أثر الجراثيم المرضية التي تنقلها بأرجلها، وكذلك يؤكد الحقيقة التي اشار إليها الحديث وهي أن في أحد جناحيها داء وفي الآخر شفاء، وهو المواد المضادة التي تفرزها الفطريات الموجودة على بطنها والتي تخرج وتنطلق بوجود سائل حول الخلايا المستطيلة للفطريات»[(1)].

قال الإمام ابن قتيبة: «هذا حديث صحيح وأنه روي بألفاظ، وإن من حمل أمر الدين على ما شاهد، فجعل البهيمة لا تقول، والطائر لا يسبح والذباب لا يعلم موضع السم وموضع الشفاء، واعترض على ماجاء في الحديث مما لا يفهمه.. فإنه منسلخ من الإسلام معطل مخالف لما جاء به الرسول ﷺ ولما درج عليه خيار صحابته والتابعون. ومن كذب ببعض ما جاء به الرسول ﷺ كان كمن كذب به كله، وما علمت أحداً ينكر هذا إلا قوماً من الدهرية، وقد اتبعهم على ذلك قوم من أهل الكلام والجهمية»[(2)].

---

(١) دفاع عن السنة للإمام محمد أبي شهبة، ص ٣٣٥، ٣٥٠.

(٢) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة الدينوري، ص ٢٢٩.

الكمأة من المنّ، والعجوة من الجنة وكلاهما شفاء للعين ومن السم.

عن أبي هريرةﷺ قال،قال رسول اللهﷺ: «الكمأة من المنّ وماؤها شفاء للعين، والعجوة من الجنة وهي شفاء من السم»(١).

قال أبو هريرة: «فأخذت ثلاثة أكمؤ أو خمساً أو سبعاً فعصرتهن، وجعلت ماءهن في قارورة، وكحلت به جارية لي فبرأت»(٢).

كلب الصيد وكلب الماشية:

عن ابن عمرﷺ قال: قال رسول اللهﷺ: «من اقتنى كلباً إلا كلب صيد أو ماشية انتقص كل يوم من أجره قيراطان»(٣).

الميت يعذب ببكاء أهله:

عن ابن عمرﷺ قال، قال رسول اللهﷺ: «إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه»(٤) قال النووي: والجمهور على أنه من وصّى بأن يُبكى ويناح عليه بعد موته

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الطب، باب المنّ شفاء للعين، ج١٠، ص ١٦٣.

؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الأشربة، باب فضل الكمأة ومداواة العين بها ج ١٤، ص٣.

(٢) سنن الترمذي، كتاب الطب، باب ما جاء في الكمأة والعجوة وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن، ج٤، ص ٤٠١.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الذبائح والصيد، باب من اقتنى كلباً ليس بكلب صيد أو ماشية، ج٩، ص ٦٠٨.

؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب المساقاة، باب الأمر بقتل الكلاب ج ١٠، ص ٢٣٧.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الجنائز باب قول النبيﷺ يعذب الميت ببكاء أهله، ج٣، ص ١٥١.

؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الجنائز باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه، ج٦، ص٢٢٨.

فنفذت وصيته فهذا يعذب ببكاء أهله عليه. وأجمعوا على أنه البكاء بصوت ونياحة لا مجرد دمع العين.

عدم بقاء النفس بعد مائة سنة:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال، قال رسول الله ﷺ: «لا يبقى على ظهر الأرض بعد مائة سنة نفس منفوسه»[1].

محاجة الجنة والنار:

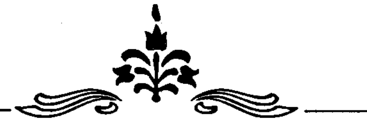
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تحاجت الجنة والنار فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: مالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس و سقطهم؟ قال الله تعالى للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار: أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي، ولكل واحدة منكما ملؤها فالنار لا تمتلىء حتى يضع الله رجله فتقول: قط قط. فهنالك تمتلىء، ويزوى بعضها على بعض»[2]. وهذه الأحاديث أمثلة على ما رُدَّ من السنة الصحيحة بناء على أهواء العقلانيين وتخرصاتهم وظنونهم الجائرة في فهم السنة وتلقيها عن المصطفى ﷺ بالردّ، وإن ردت من قبل الذين ينكرون حجية خبر الآحاد في العقيدة من قبل فإن المعاصرين ينكرون المعنى وما دل عليه ويجادلون فيه. بل يعدونه حشواً وظاهراً من القول.

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب العلم باب السمر في العلم، ج١، ص ٢١١.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب التفسير، تفسير سورة ق باب وتقول هل من مزيد، ج٨، ص ٥٩٥.

؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الجنة، باب النار يدخلها الجبارون، ج١٧، ص ١٨١.



الفصل الثالث

تعطيل بعض المسائل الشرعية

وفيه:

- تمهيد
- ذكر المسائل الشرعية المعطلة بأدلتها.

******

تمهيد

كان السلف يعتمدون الأدلة السمعية، ويرجعون إليها دائماً، ويحكمونها في الخلاف، ولا يلتفتون إلى موافقتها للعقول أو مخالفتها.

وحين ظهر علم الكلام حذّروا منه وأنكروه لما فيه من الإعراض عن الأدلة السمعية، ولما يسببه من الحيرة والشك وكثرة التقلب؛ بل إننا لا نجد لهم أقوالاً في حكم التعبد والعمل والاعتقاد بخبر الواحد، ذلك أنهم لا يفرقون بين المتواتر والآحاد من الأخبار، بل إن حجة الخبر لديهم هي السبب الوحيد في قبوله، ومتحتم إتباعه، والإنكار بشدة على من خالفه.

ثم أنهم لم يتدخلوا بعقولهم في أحكام الشريعة؛ بل إن الدليل السمعي هو المقدم عندهم على ما يتوهمه العقل، وما ذاك إلا لسلامة فطرهم عن الزيغ والشك والشبه، وفي ذلك دليل صحيح على أن السمع الصحيح لا يخالف العقل الصريح أبداً[1].

قال شيخ الإسلام: «وبالجملة فما عرفت حديثاً صحيحاً إلا ويمكن تخريجه على الأصول الثابتة، وقد تدبرت ما أمكنني من أدلة الشرع فما رأيت قياساً صحيحاً يخالف حديثاً صحيحاً، كما أن المعقول الصريح لا يخالف المنقول الصحيح»[2].

أما المعتزلة وجماعة من أهل الكلام فقالوا: إن العقل يمنع التعبد بخبر

---

(١) انظر خبر الآحاد في الحديث النبوي، د. عبد الله الجبرين، ص ١٣٧ وما بعدها.

(٢) مجمع فتاوى ابن تيمية، ج٢٠، ص ٥٦٧.

الآحاد، ذلك أن التعبد به يؤدي إلى تحليل الحرام، وتحريم الحلال، لإمكان كونه كذباً من الباطن، ففي العمل به مفسدة تخالف مقتضى القواعد الشرعية، فلا بد أن يقيم الله على كل حكم برهانا قطعياً، أما أن يحيلهم على دليل ظني يجوز العقل خطأه فلا، لما يترتب عليه من قلب الحقائق واستباحة المحظورات مما هو خلاف حكمة الشارع.

وقالوا: يلزم منه التزام الضدين كما لو روي خبر في تحريم هذه العين وآخر في تحليلها، واستويا في استيفاء شروط القبول، فالعمل بهما معاً محال، والعمل بأحدهما ترجيح بلا مرجح.

ومنها: لو جاز التعبد بخبر الواحد لجاز قبول خبر من ادعى النبوة بلا معجزة.

ومنها: قولهم: إنه قد اتفق على عدم قبول الآحاد في الأصول، فدل على امتناعها في الفروع، فلا فرق بينهما.

ومنها: لو جاز التعبد به لجاز نقل القرآن المتعبد بتلاوته بقراءة الآحاد وهو خلاف الإجماع.

وللإجابة عليهم..يمكن القول:

إن فتوى النبيﷺ وقضاؤه مقطوع بصحته، فألحق بذلك حكم سائر المجتهدين بالحق، ثم إن أفعال الله تعالى معللة بمصالح العباد، والله تعالى كتب على نفسه الرحمة، من غير أن يوجب عليه أحد شيئاً، وإنما لتمام حكمته وإحسانه بالعباد كانت أفعاله وأوامره ونواهيه في غاية المناسبة، وكان مما ينافي حكمته تكليف الخلق بما لا فائدة منه، أو بما هو ضرر محض.

وأما قولهم بالتعارض: فيقال لهم: إن كل دليلين تثبت صحتهما فوجود المعارضة بينهما نسبية، وأن الأئمة تمكنوا من الجمع بين ما أوهم التعارض، وتخريج كل دليل على وجه صحيح، أو جعلوه من باب التوسعة وتجويز الأمرين معاً، أو جعلوا المتأخر ناسخاً للمتقدم.

وأما قولهم: إنه اتفق على عدم قبول الآحاد في الأصول فكذا الفروع فيقال لهم: هذا الاتفاق متوهم والسلف لا يفرقون في قبولها بين ما يتعلق بالأصول أو الفروع.

وأما قولهم: لو جاز التعبد به لجاز نقل القرآن بقراءة الآحاد، فيقال لهم: إن القرآن معجزة الرسول ﷺ فلزم أن يكون مما يقطع بنقله، ثم إن الصحيح أن القراءة إذا صح سندها إلى النبي ﷺ ووافقت رسم المصحف قبلت(١).

ويمكن إيراد تلك المسائل التي خالف فيها المبتدعة لاعتقادهم أن أحاديث أدلتها وأحكامها آحاد فلا يؤخذ بها في العقيدة، فكان اعتقادهم ناقصاً.

مسألة الإرجاء:

وذلك حين ظن المبتدعة أن الكفر خصلة واحدة وهو التكذيب، بناء على تخرصهم وظنّهم أن الإيمان شيء واحد، وقد جاء القرآن والسنة بتعدد شعب الإيمان، فكلما ذكر الله تعالى أن الصلاة إيمان وأن الولاء والبراء إيمان..، فكذلك جاءت السنة ببيان تلك الأعمال التي من الإيمان بل إن الحديث الصحيح قد دل على أن الإيمان بضع وستون شعبة أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق.

وأحاديث صحيحة دلت على أن الإيمان يزيد وينقص وليس كما ذكره المتكلمون، وأن الإيمان قول وعمل، وأن للإيمان حلاوة ولا تكون إلا مع العمل، وأن محبة الرسول ﷺ أكثر من الأهل من الإيمان، وأن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم كما يحب لنفسه، وأن إكرام الجار والضيف من الإيمان، وأن الإيمان ينقص بالمعاصي، وأن حب الأنصار من الإيمان، وأن الحياء من الإيمان، وأن الأعمال بالنيات، وأن دعاؤكم إيمانكم، جميع هذا وغيره قد ذكر في الصحيحين وغيرهما.

قال الإمام البخاري في صحيحه: «باب أمور الإيمان وقوله تعالى: ﴿۞ لَيۡسَ

(١) انظر خبر الآحاد في الحديث النبوي، للشيخ الجبرين، ص ١٣٩.

ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾[1].

ثم أورد حديث شعب الإيمان بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «الإيمان بضع وستون شعبة، والحياء شعبة من شعب الإيمان»[2] إن تعطيل الأحاديث الواردة في شعب الإيمان والأعمال التي عدها الشرع من الإيمان، يكون مخالف لما جاء به الشارع وتعطيل للشرع وهذا هو الإرجاء مع اختلاف أصحاب بدعة الإرجاء في درجاته.

مسألة: سبّ الله ورسوله ﷺ:

وهذا أمر لا يبحث في علم الكلام لأن الإيمان أمر واحد وهو التصديق ولا عبرة بخلاف ذلك عندهم، ولا شكّ «إن سبّ الله أو سبّ رسوله ﷺ كفر ظاهراً وباطناً، سواء كان السابّ يعتقد أن ذلك محرم، أو كان مستحلاً له، أو كان ذاهلاً عن اعتقاده، هذا مذهب الفقهاء وسائر أهل السنة القائلين بأن الإيمان قول وعمل واعتقاد.

وقد قال الإمام ابن راهويه، ابو يعقوب اسحق بن إبراهيم الحنظلي، وهو أحد الأئمة يعدل بالشافعي وأحمد: «قد أجمع المسلمون أن من سبّ الله أو سبّ رسوله ﷺ أو دفع شيئاً مما أنزل الله أو قتل نبياً من أنبياء الله أنه كافر بذلك، وإن كان مقراً بما أنزل الله»[3].

«والحكم في سائر الأنبياء، كالحكم في سبّ نبينا، فمن سبّ نبياً مسمى

---

(١) سورة البقرة آية ١٧٧.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الإيمان ن باب أمور الإيمان، ج١، ص ٥١. ؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب عدد شعب الإيمان، ج٢، ص ٣.

(٣) الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق عصام فارس ومحمد إبراهيم المكتب الإسلامي، ١٤١٤هـ، ص ٥١١.

باسمه من الأنبياء المعروفين المذكورين في القرآن..أو يسبّ نوع الأنبياء على الإطلاق فالحكم في هذا كما تقدم، لأن الإيمان بهم واجب عموماً، وواجب الإيمان خصوصاً بمن قصه الله علينا في كتابه، وسبّهم كفر وردة إن كان مسلم، و محاربة إن كان من ذمي»[1].

مسألة الشرك بالله:

وأما الشرك بالله فإن المتكلمين وكذلك الخوارج لا يعيرونه انتباهاً نتيجة قواعدهم وأصولهم التي بنوا عليها عقيدتهم في توحيد الله.

فمذهب الخوارج يهتم بالكبيرة فمن ارتكب كبيرة كفر، وخُلّد في النار، والمعتزلة أصّلوا لهم أصولاً خمسة، فمرتكب الكبيرة في منزله بين منزلتين في الدنيا وفي الآخرة إن لم يتب خلّد في النار.

أما الأشاعرة ومن تبعهم من أهل الإرجاء فالإيمان عندهم هو التصديق أو التصديق والاعتقاد، والغالبية منهم قالوا لا يضر مع الإيمان معصية، والآخرون قالوا إن الأعمال زيادة في الدرجات، وعلى هذا متبوعيهم يعظمون الأولياء ويتوسلون بهم ويدعونهم مع الله، ويعظمون المشاهد، ويحتشدون عند المقابر، وذلك نتيجة إعراضهم عن التوحيد الصحيح الذي أمر الله به رسله عليهم الصلاة والسلام.

قال شيخ الإسلام: «إن حقيقة التوحيد أن نعبد الله وحده، فلا يدعى إلا هو ولا يخشى إلا هو، ولا يُتقى إلا هو، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يكون الدين إلا له، لا لأحد من الخلق، وأن لا نتخذ الملائكة والنبيين أرباباً، فكيف بالأئمة والشيوخ والعلماء والملوك وغيرهم!»[2].

«أما التوحيد الذي ذكره الله في كتابه، وأنزل به كتبه، وبعث به رسله، واتفق عليه المسلمون من كل ملة، فهو كما قال الأئمة شهادة أن لا إله إلا الله،

---

(١) نفس المصدر، ص ٥٦٧.

(٢) منهاج السنة، ج٣، ص ٤٩٠.

وهو عبادة الله وحده لا شريك له، كما بين ذلك بقوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾[1].

فأخبر أن الإله إله واحد، ولا يجوز أن يتخذ إله غيره، فلا يعبد إلا إياه»[2].

«وأصل الشرك أن تعدل بالله تعالى مخلوقاته في بعض ما يستحقه وحده، فإنه لم يعدل أحد بالله شيئاً من المخلوقات في جميع الأمور، فمن عبد غيره أو توكل عليه فهو مشرك به»[3].

وقال ابن القيم:

«والشرك فاحذره فشرك ظاهر ذا القسم ليس يقبل الغفران
وهو اتخاذ الند للرحمن أيّا كان من حجر ومن إنسان
يدعوه أو يرجوه ثم يخافه ويحبه كمحبة الرحمن

والشرك الأكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة منه، وهو أن يتخذ من دون الله نداً يحبه كما يحب الله، وهو الشرك الذي تضمن تسوية آلهه المشركين برب العالمين.. مع إقرارهم بأن الله وحده خالق كل شيء وربه ومليكه، وأن آلهتهم لا تخلق ولا ترزق، ولا تحي ولا تميت وإنما كانت هذه التسوية في المحبة والتعظيم والعبادة، كما هو حال أكثر مشركي العالم»[4]. «ومن أنواعه ـ أي الشرك الأكبر ـ طلب الحوائج من الموتى، والاستغاثة بهم، والتوجه إليهم، وهذا أصل شرك العالم، فإن الميت قد انقطع عمله، وهو لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً، فضلاً عن من استغاث به، وسأله قضاء حاجته، أو سأله أن يشفع له إلى الله وهذا من جهله بالشافع والمشفوع له عنده»[5].

---

(١) سورة البقرة آية ١٦٣.

(٢) التسعينية لابن تيمية ص ٢٨٠.

(٣) مدارج السالكين لابن القيم، ج١، ص ٣٣٩.

(٤) مدارج السالكين لابن القيم، ج١، ص ٣٣٩.

(٥) مدارج السالكين ج ١، ص ٣٤٦.

«ولهذا كان من اتباع هؤلاء من يسجد للشمس والقمر، والكواكب ويدعوها كما يدعو الله تعالى ويصوم لها، وينسك لها، ويتقرب إليها، ثم يقول إن هذا ليس بشرك، وإنما الشرك إذا اعتقدت أنها هي المدبرة لي، فإذا جعلتها سبباً وواسطة لم أكن مشركاً. ومن المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام أن هذا شرك»[1].

بل «إن من يأتي إلى قبر نبي أو صالح أو من يعتقد فيه أنه قبر نبي او رجل صالح وليس كذلك، ويسأله حاجته مثل أن يسأله أن يزيل مرضه، أو مرض غيره، أو يقضي دينه، أو ينتقم له من عدوه، أو يعافي نفسه وأهله، وغير ذلك، مما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل، فهذا شرك صحيح، يجب أن يستتاب صاحبه..، وإن قال أنا أسأله لكونه أقرب إلى الله مني ليشفع لي في هذه الأمور، لأني أتوسل إلى الله به كما يتوسل إلى السلطان بخواصه وأعوانه، فهذا من أعمال المشركين والنصارى فإنهم يزعمون أنهم يتخذون أحبارهم ورهبانهم شفعاء، يستشفعون بهم في مطالبهم، وكذلك أخبر الله عن المشركين أنهم قالوا: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾[2][3].

و«سؤال الميت والغائب نبياً كان أو غيره من المحرمات المنكرة باتفاق المسلمين، لم يأمر الله به ولا رسوله، ولا فعله أحد من أئمة المسلمين، وهذا مما يعلم بالاضطرار من دين المسلمين أن أحداً منهم كان يقول إذا نزلت به تبعة، أو عرضت له حاجة لميت يا سيدي فلان، أنا في حسبك أو اقض حاجتي.. ولا أحد من الصحابة رضي الله عنهم استغاث بالنبي ﷺ بعد موته، ولا بغيره من الأنبياء، ولا عند قبورهم، ولا إذا بعدوا عنها»[4].

---

(١) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية، ج١، ص ٢٢٧، ٢٨.

(٢) سورة الزمر آية ٣

(٣) فتاوى ابن تيمية، ج ٢٧، ص ٧٢.

(٤) الرد على البكري لابن تيمية، الدار العلمية دلهي، سنة ١٤٠٥هـ، الطبعة الثانية، ص ٢٣١.

مسألة الحكم بغير بما أنزل الله:

إن الإعراض عن تشريع الله وحكمه مما ابتليت به الأمة الإسلامية، فكان ذلك أبرز مظاهر الانحراف، كيف وقد بين الله في كتابه أن الحكم له سبحانه وأن الخلق والأمر بيده، فقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾[2].

قال ابن تيمية: «ذمّ الله عز وجل المدّعين الإيمان بالكتب كلها، وهم يتركون التحاكم إلى الكتاب والسنة، ويتحاكمون إلى بعض الطواغيت المعظمة من دون الله كما يصيب ذلك كثير ممن يدعي الإسلام وينتحله في تحاكمهم إلى مقالات الفلاسفة والصابئة أو غيرهم، وإذا قيل لهم تعالوا إلى كتاب الله وسنة رسوله أعرضوا عن ذلك إعراضاً، و إذا أصابتهم مصيبة في عقولهم ودينهم ودنياهم بالشبهات والشهوات، أو في نفوسهم وأموالهم عقوبة على نفاقهم، قالوا: إنما أردنا أن نحسن بتحقيق العلم بالذوق، ونوفق بين الدلائل الشرعية والقواطع العقلية التي هي في الحقيقة ظنون وشبهات»[3].

وقال ابن القيم: «وتحقيقاً لتوحيد العبادة القائم على نفي الإلهية عما سوى الله تعالى وإثباتها لله تعالى وحده، فإنه يجب الكفر بالطاغوت.. وقد سمّى الله تعالى الحكم بغير شرعه طاغوتا.. والطاغوت عام، فكل ما عبد من دون الله ورضي بالعبادة من معبود، أو متبوع أو مطاع في غير طاعة الله ورسوله فهو طاغوت»[4] «فإن الرب، والإله هو الذي له الحكم القدري، والحكم الشرعي، والحكم الجزائي، وهو الذي يؤله ويعبد وحده لا شريك له، ويطاع طاعة مطلقة

---

(١) سورة النساء آية ١٠٥.

(٢) سورة النساء آية ٥٩، ٦٠.

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ج١٢، ص٣٣٩، ٣٤٠.

(٤) أعلام الموقعين لابن القيم ج١، ص ٤٩.

فلا يعصى بحيث تكون الطاعات كلها تبعاً لطاعته»[1].

وقال صاحب أضواء البيان رحمه الله: «الإشراك بالله في حكمه، والإشراك به في عبادته كلها بمعنى واحد، لا فرق بينهما البته، فالذي يتبع نظاماً غير نظام الله، وتشريعاً غير تشريع الله، كالذي يعبد الصنم ويسجد للوثن، ولا فرق بينهما ألبته بوجه من الوجوه، فهما واحد وكلاهما مشرك بالله»[2].

وإذا تقرر أن الحكم بغير ما أنزل الله مضاهياً للشرك بالله، وأنه اعتداء على ولاية الله وحكمه وتدبيره لخلقه ومخلوقاته، فإن هناك صوراً لهذا الحكم ومنها:

أ ـ من شرّع غير ما أنزل الله تعالى:

إن الله سبحانه قد قرر أنه الحاكم وأنه يجب إفراده بالخلق والأمر والحكم حيث قال تعالى ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[3] وإذا كان هو الخالق الرازق المحي المميت، فهو سبحانه المتفرد بالتشريع والتحليل والتحريم، فالدين ما شرعه الله، وليس لأحد أن يشرع شيئاً ما جاء عن الله، ولا عن رسوله ﷺ.

«إن طواغيت البشر قديماً وحديثاً قد نازعوا الله في حق الأمر والنهي والتشريع بغير سلطان من الله تعالى، فادّعاه الأحبار والرهبان لأنفسهم فأحلوا به الحرام وحرموا به الحلال. واستطالوا به على عباد الله، وصاروا بذلك أرباباً من دون الله، ثم نازعهم الملوك في هذا الحق فاقتسموا السلطة مع هؤلاء الأحبار والرهبان، ثم جاء العلمانيون فنزعوا الحق من هؤلاء وهؤلاء، ونقلوه إلى هيئة

---

(١) القول السديد في مقاصد التوحيد، عبد الرحمن السعدي، مكتبة المعارف الرياض، ص ١٠٢.

(٢) أضواء البيان للشيخ الشنقيطي ج ٧، ص ١٦٢؛ وانظر الحاكمية في تفسير أضواء البيان، عبد الرحمن السديس دار طيبة الرياض ١٤١٢ ص ٥٢ - ٥٣؛ وانظر نواقض الإيمان القولية والعملية، عبد العزيز العبد اللطيف، دار الوطن الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ ص ٢٩٤ - ٣١٠.

(٣) سورة الأعراف آية ٥٤.

تمثل الأمة والشعب، أطلق عليها اسم البرلمان. أو مجلس النواب، وغالب الأنظمة التي تحكم بلاد المسلمين ـ من خلال استقراء دساتيرها ـ إنما هو انسلاخ من عقيدة إفراد الله تعالى وحده بالتشريع، حيث جعلت التشريع والسيادة للأمة أو للشعب، وربما جعلت الحاكم مشاركاً في سلطة التشريع، وقد يستقل بالتشريع في بعض الأحوال، وكل ذلك تمرد على حقيقة الإسلام التي توجب الانقياد والقبول لدين الله تعالى»[١].

«وهذه المحنة التي نواجهها اليوم، والتي لا يصلح لدفعها ترقيع جزئي بإلغاء بعض المواد، والنص على أخرى، وإنما يصلحه أن نبدأ بتقرير السيادة المطلقة و الحاكمية العليا للشريعة الإسلامية، والنص على أن كل ما يتعارض معها من القوانين أو اللوائح فهو باطل»[٢].

ب ـ من أنكر أو جحد الحكم بما أنزل الله أو ما جاء به رسوله ﷺ.

وكلاهما اعتراض على شرع الله تعالى وتكذيب لنصوص الوحيين، قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[٣]. قال ابن تيمية: «والإنسان متى حلل الحرام المجمع عليه، أو حرم الحلال المجمع عليه أو بدل الشرع المجمع عليه كان كافراً مرتداً بالاتفاق»[٤]، وقال الشنقيطي: «من لم يحكم بما أنزل الله معارضة للرسل، و إبطالاً لأحكام الله، فظلمه وفسقه وكفره كلها مخرج عن الملة»[٥].

جـ ـ من فضّل حكم الطاغوت على حكم الله تعالى مطلقاً أو مقيداً.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: «من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ

---

(١) نظرية السيادة وأثرها على شرعية الأنظمة الوضعية، صلاح الصاوي، دار طيبة، الرياض ١٤١٢هـ، ص ١٩، ٢٠.

(٢) تحكيم الشريعة ودعاوى العلمانية، صلاح الصاوي، دار طيبة الرياض ١٤١٢، ص ٨١.

(٣) سورة المائدة ٤٤.

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية ج٣، ص ٢٦٧.

(٥) أضواء البيان للشنقيطي، ج٢، ص ١٠٤.

أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذي يفضل حكم الطواغيت على حكمه فهو كافر»[1] وعدّها ضمن نواقض الإسلام.

وقال محمد الألوسي رحمه الله: «لا شك في كفر من يستحسن القانون ويفضله على الشرع، ويقول هو أوفق بالحكمة وأصلح للأمة، ويتميز غيظاً، ويتقصف غضباً إذا قيل له في أمر: أمر الشارع فيه كذا، كما شاهدنا ذلك في بعض من خذلهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم..

فلا ينبغي التوقف في تكفير من يستحسن ما هو بين المخالفة للشرع منها ـ أي القوانين ـ ويقدمه على الأحكام الشرعية منتقصاً لها»[2].

ويقول أحمد شاكر رحمه الله: «والقرآن مملوء بأحكام وقواعد جليلة، في المسائل المدنية والتجارية، وأحكام الحرب والسلم وأحكام القتال والغنائم والأسرى، وبنصوص صريحة في الحدود والقصاص، فمن زعم أنه دين عباده فقط، فقد أنكر كل هذا، وأعظم على الله الفرية، وظنّ أنه لشخص كائنا من كان، أو لهيئة كائنة من كانت، أن تنسخ ما أوجب الله من طاعته والعمل بأحكامه، وما قال هذا مسلم ولا يقوله، ومن قاله فقد خرج عن الإسلام جملة، ورفضه كله، وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم»[3].

د ـ من ساوى بين حكم الله تعالى وحكم الطاغوت:

إن دعوى المساواة بين الحكم الإلهي والحكم الوضعي «تَنَقُّصٌ للرب جل جلاله، وغلو وطغيان في أحكام البشر، وشرك بالله تعالى، بل إن من طلب أن يطاع مع الله، فهذا يريد من الناس أن يتخذوا من دون الله أنداداً يحبونهم كحب

---

(١) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، جمع عبد العزيز الرومي وآخرون، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ج١، ص ٣٨٧.

(٢) روح المعاني لمحمود الألوسي، ج٢٨، ص ٢٠، ٢١.

(٣) الكتاب والسنة يجب أن يكونا مصدري القوانين في مصر، أحمد شاكر، دار الكتب السلفية، القاهرة، ص ٩٨؛ وانظر عمدة التفسير لابن كثير، تعليق أحمد شاكر، ج٢، ص ١٧١، ١٧٢.

الله، والله سبحانه أمر أن لا يعبد إلا إياه، وأن لا يكون الدين إلا له»[1]. «ومعلوم أنهم ما سووهم به سبحانه في الخلق والرزق والإماتة والإحياء والملك والقدرة، وإنما سووهم به في الحب والتأله والخضوع لهم والتذلل، وهذا غاية الجهل والظلم، فكيف يسوى من خلق من تراب برب الأرباب؟ وكيف يسوى العبيد بمالك الرقاب؟ وكيف يسوى الفقير بالذات المحتاج بالذات، بالغني القادر بالذات»[2].

هـ - أن يجوِّز الحكم بما يخالف حكم الله ورسوله:

أو يعتقد أن الحكم بما أنزل الله تعالى، غير واجب، وأنه مخير فيه، فهذا كفر مناقض للإيمان، لتجويزه ما علم بالنصوص الصريحة القطعية تحريمه، حيث لم يعتقد وجوب إفراد الله تعالى بالحكم»[3].

و - ومن لم يحكم بما أنزل الله تعالى إباءً وامتناعاً فهو كافر خارج من الملة، وإن لم يجحد ويكذب حكم الله تعالى:

«فهذه المحاكم الآن في كثير من أقطار الإسلام، مفتوحة الأبواب، والناس إليها أسراباً أثر أسراب، يحكم حكامها بينهم بما يخالف حكم السنة والكتاب، من أحكام ذلك القانون، وتلزمهم به، وتقرهم عليه، وتحتمه عليهم، فأي كفر فوق هذا الكفر، وأي مناقضة لشهادة أن محمداً رسول الله بعد هذه المناقضة؟ وما يحكم به كثير من رؤساء العشائر والقبائل من البوادي ونحوهم من حكات آبائهم و أجدادهم وعاداتهم التي يسمونها «سلومهم» يتوارثون ذلك فيهم، ويحكمون به، ويحملون على التحاكم إليه عند النزاع بقاءً على أحكامهم الجاهلية وإعراضاً ورغبة عن حكم الله ورسوله»[4].

إن ما تقدم يبين حكم من حكم بغير ما أنزل الله وإن تعددت الصور، أما

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية، ج١٤، ص ٣٢٩.

(٢) مفتاح دار السعادة لابن القيم، دار الإفتاء، الرياض، ج ٢، ص ٢٠.

(٣) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، جمع محمد بن قاسم، مطبعة الحكومة، مكة، سنة ١٣٩٩هـ، ج١٢، ص ٢٨٠، ٢٨٨.

(٤) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم، رسالة تحكيم القوانين، ج١٢، ص ٢٨٩، ٢٩٠.

من حكم بغير ما أنزل الله عصياناً وهوى مع اعترافه على أنه آثم مع وجوب الحكم بما أنزل الله، فهو مرتكب كفراً أصغر لا يخرج عن الملة.

قال ابن تيمية: «أما من كان ملتزماً لحكم الله ورسوله باطناً وظاهراً، ولكن عصى واتبع هواه، فهذا بمنزلة أمثاله من العصاة»[١].

ويقول ابن القيم: «إن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله في هذه الواقعة، وعدل عنه عصياناً، مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة فهذا كفر أصغر»[٢].

ويقول الشنقيطي: «من لم يحكم بما أنزل الله معتقداً أنه مرتكب حراماً، فاعل قبيحاً فكفره وظلمه وفسقه غير مخرج عن الملة»[٣].

وعلى مثل هذا يحمل قول ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[٤] حيث قال: «ليس بالكفر الذي يذهبون إليه.. بل هو كفر لا ينقل عن الملة»[٥].

أما الرضى بحكم الطاغوت فإنه مخالف لأصل الإيمان بالله تعالى، وقد سمى الله تعالى الحكم بغير شرعه طاغوتاً، قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾[٦].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟﴾[٧].

ثم إن الاحتكام إلى منهج الله في كتابه ليس نافلة ولا تطوعاً، ولا موضع اختيار، إنما هو الإيمان.. أو.. فلا إيمان.. والأمر إذن جد.. إنه أمر العقيدة من

---

(١) منهاج السنة، لابن تيمية، ج٥، ص ١٣١.

(٢) مدارج السالكين، ج١، ص ٣٣٦.

(٣) أضواء البيان ج٢، ص ١٠٤.

(٤) سورة المائدة، آية ٤٤.

(٥) المستدرك للحاكم وصححه ووافقه الذهبي ج٢، ص ٣٤٢.

(٦) سورة البقرة آية ٢٥٦.

(٧) سورة النساء آية ٦٠.

أساسها ثم هو أمر سعادة هذه البشرية ـ وهي من صنع الله وخلقه ـ لا تفتح مغاليق فطرتها إلا بمفاتيح من صنع الله، ولا تعالج أمراضها وعللها إلا بالدواء الذي اختاره الله.. ولكن هذه البشرية لا تريد أن ترد القفل إلى صانعه، ولا أن تذهب بالمريض إلى مبدعه.. ومن هنا جاءت الشقوة للبشرية الضالة، البشرية الحائرة المسكينة، البشرية التي لن تجد الرشد والهدى والراحة والسعادة إلا حين ترد الفطرة البشرية إلى خالقها.

ولقد كانت تنحية الإسلام عن قيادة البشرية حدثاً هائلاً في تاريخها ونكبة قاصمة في حياتها، لم تعرف لها البشرية نظيراً في كل ما ألم بها من نكبات.

وحين تسلم الإسلام القيادة بعدما فسدت الأرض، وأسنت الحياة وتعفنت القيادات، وذاقت البشرية الويلات.. تسلم الإسلام القيادة بهذا القرآن، وبالتصور الجديد الذي جاء به القرآن والسنة والشريعة المستمدة من الوحي، فكان ذلك مولداً جديداً للإنسان، ثم وقعت تلك النكبة القاصمة، ونحي الإسلام عن القيادة ثانيةً، لتتولاها الجاهلية مرة أخرى في صورة التفكير المادي الذي تتعاجب به البشرية اليوم،.. إلا ما شاء الله[1].

مسألة: إن تقدير إيمان تام في القلب بلا ظاهر من قول وعمل كتقدير موجب تام بلا موجبه، وعلة تامة بلا معلولها وهذا ممتنع:

وبهذا وغيره يتبين قول جهم والصالحي ومن اتبعهما في «الإيمان» كالأشعري في أشهر قوليه، وأكثر أصحابه، وطائفة من متأخري أصحاب أبي حنيفة كالماتريدي ونحوه، حيث جعلوه مجرد تصديق في القلب يتساوى فيه العباد، وأنه إما أن يعدم وإما أن يوجد لا يتبعض، وأنه يمكن وجود الإيمان تاماً في القلب مع وجود التكلم بالكفر والسب لله ورسوله طوعاً من غير إكراه، وأن ما علم من الأقوال الظاهرة أن صاحبه كافر، فلأن ذلك مستلزم عدم ذلك

---

(١) انظر في ظلال القرآن، سيد قطب ج١، ص ١٥ - ١٦. وقد أُستشهد صاحب الظلال في سبيل الله تعالى لقاء كلمة حق عند سلطان جائر سنة ١٣٨٦هـ.

التصديق الذي في القلب، وأن الأعمال الصالحة الظاهرة ليست لازمة للإيمان الباطن الذي في القلب، بل يوجد إيمان القلب تاماً بدونها، فإن هذا القول فيه خطأ من وجوه:

أحدها: أنهم أخرجوا مافي القلوب من حب الله وخشيته ونحو ذلك أن يكون من نفس الإيمان.

وثانيها: أنهم جعلوا ما علم أن صاحبه كافر مثل إبليس وفرعون واليهود وأبي طالب وغيرهم أنه إنما كان كافراً لأن ذلك مستلزم لعدم تصديقه في الباطن وهذا مكابرة للعقل والحس، وكذلك جعلوا من يبغض الرسول ويحسده كراهة دينه مستلزماً لعدم العلم بأنه صادق.

وثالثها: أنهم جعلوا ما يوجد من التكلم بالكفر من سب الرسول والتثليث وغير ذلك يكون مجامعاً لحقيقة الإيمان الذي في القلب، ويكون صاحب ذلك مؤمن عندا لله حقيقة، سعيداً في الدار الآخرة، وهذا يعلم فساده بالاضطرار من دين الإسلام.

ورابعها: أن العبد يكون مؤمناً، تام الإيمان، إيمانه مثل إيمان الأنبياء والصديقين، ولو لم يعمل خيراً لا صلاة ولا صلة ولا صدق حديث، ولم يدع كبيرة إلا ركبها.

وخامسها: أنه يلزمهم أن من سجد للصليب والأوثان طوعاً، وقتل النفس بغير حق، وقتل كل من رآه يصلي، وسفك دم كل من يراه يحج البيت، وفعل ما فعلته القرامطة بالمسلمين، يكون مع ذلك مؤمناً ولياً لله.

وهذه الأمور كلها إذا تدبرها المؤمن بعقله تبين له أن مذهب السلف هو المذهب الحق، الذي لا عدول عنه، وأن من خالفهم لزمه فساد معلوم بصريح المعقول، وصحيح المنقول كسائر ما يلزم الأقوال المخالفة لأقوال السلف والأئمة»[١].

ويلحق بهذه المخالفات الذهاب إلى الكهنة والسحرة وتصديقهم، وردّ الأحاديث الصحيحة في الحكم عليهم.

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية، ج٧، ص ٥٨٢ -٥٨٥.

مسألة: حكم أهل الفترة ومن لم يكلف في الدنيا من الصبيان والمجانين، وأطفال المشركين:

إن هذا الإسلام الذي جاء خاتماً للأديان شاملاً لأمور الدنيا والآخرة، مجيباً على أسئلة المحتارين، قد أجاب عن استفسار من سأل عن أحوال هؤلاء، وهذا من علم الغيب الذي لا يدرك إلا بالوحي، فقد «روي بأحاديث حسان عن النبي ﷺ أن من لم يكلف في الدنيا من الصبية والمجانين، ومن مات في الفترة التي لم يبعث فيها رسل، يمتحنون يوم القيامة، فمن أطاع دخل الجنة، ومن عصى دخل النار. وهذا التفصيل هو الصواب، فإن الله قال في القرآن ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾[1]. فأقسم سبحانه أنه لا بد أن يملأ جهنم من إبليس وأتباعه، وأتباعه هم العصاة، ولا معصية إلا بعد تكليف، فلو دخلها الصبي والمجنون لدخلها من هو من غير أتباعه.

وأيضاً قال سبحانه: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[2] إلى غير ذلك من النصوص الدالة على أن الله لا يعذب إلا من جاءه نذير وأتاه رسول، والطفل والمجنون ليسا كذلك، كالبهائم، قال تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ إلى قوله، ﴿إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾[3] فأخبر سبحانه أنه استخرج ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم لئلا يقولوا: أتهلكنا بما فعل المبطلون. فعلم أنه لا يعاقبهم بذنب غيرهم»[4].

فتكون أدلة المنقول والمعقول متوافقة في «أنهم يمتحنون في عرصات القيامة، ويرسل إليهم هناك رسولاً وإلى كل من لم تبلغه الدعوة، فمن أطاع الرسول دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار، وعلى هذا فيكون بعضهم في الجنة وبعضهم في النار، وبهذا يأتلف شمل الأدلة كلها. وتتوافق الأحاديث ويكون معلوم الله الذي

---

(١) سورة ص آية ٨٥.

(٢) سورة الإسراء آية ١٥.

(٣) سورة الأعراف آية ١٧٢، ١٧٣.

(٤) مختصر فتاوى ابن تيمية جمع بدر الدين محمد بن علي الحنبلي، وصححه عبد الحميد سليم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ، ص ٦٤٣، ٦٤٤.

أحال عليه النبي ﷺ حيث يقول «الله أعلم بما كانوا عاملين»[1] يظهر حينئذ ويقع الثواب والعقاب عليه حال كونه معلوماً علماً خارجياً لا علماً مجرداً، ويكون النبي ﷺ قد رد جوابهم إلى علم الله فيهم.. وقد جاءت بذلك آثار كثيرة يؤيد بعضها بعضاً، فمنها ما رواه الإمام أحمد في مسنده والبزار أيضاً بإسناد صحيح»[2].

فقد روى الإمام أحمد بسنده عن الأسود بن سريع أن النبي ﷺ قال: «أربعة يوم القيامة يحتجون رجل أصم لا يسمع شيئاً، ورجل أحمق، ورجل هرم، ورجل مات في الفترة، فأما الأصم فيقول: رب لقد جاء الإسلام وما اسمع شيئاً وأما الأحمق فيقول: رب لقد جاء الإسلام والصبيان يحذفوني بالبعر، وأما الهرم فيقول: رب لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئاً، وأما الذي مات في الفترة فيقول رب: ما أتاني لك رسول، فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه، فيرسل إليهم ان ادخلوا النار. قال: فوالذي نفس محمد بيده لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاماً»[3].

وأما الذين قالوا إن الآخرة ليست بدار تكليف، فينكرون هذه الأحاديث، فقد أجاب عليهم الشيخ ابن القيم فقال: «فإن قيل: قد أنكر ابن عبد البر هذه الأحاديث وقال: أهل العلم ينكرون أحاديث هذا الباب، لأن الآخرة

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب القدر، باب حكم موتى أطفال الكفار والمسلمين ج١٦، ص ٢١٠. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سئل عن أولاد المشركين فقال: «الله أعلم بما كانوا عاملين»؛ فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين ج٣، ص ٢٤٥.

(٢) طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم، حققه محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ. القاهرة ص ٣٩٦ - ٣٩٧.

(٣) مسند الإمام أحمد، ج٤، ص ٢٤.
؛ مجمع الزوائد للهيثمي، وقال: رجاله في طريق الأسود بن سريع وأبي هريرة رجال الصحيح وكذلك رجال البزار، ج٧، ص٢١٥، ٢١٦.
الأحاديث المختارة للضياء المقدسي. وقال: إسناده حسن، ج٤، ص ٢٥٥.
؛ الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد للبيهقي، وقال: إسناده صحيح، ص ١١١.
؛ صحيح ابن حبان، ج١٦، ص ٣٥٧.
؛ زوائد مسند البزار ص ٢٣٢.
؛ سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ الألباني ج٣، ص ٤١٩، ج٥ ص ٦٠٣.

ليست دار عمل ولا ابتلاء، وكيف يكلفون دخول النار وليس ذلك في وسع المخلوقين، ، والله لا يكلف نفساً إلا وسعها؟ فالجواب من وجوه:

أحدها: إن أهل العلم لم يتفقوا على إنكارها، وإن أنكر بعضهم فقد صحح غيره.

الثاني: إن أبا الحسن الأشعري حكى هذا المذهب عن أهل السنة والحديث.

الثالث: إن إسناد حديث الأسود أجود من كثير من الأحاديث التي يحتج بها في الأحكام.

الرابع: إنه قد نص جماعة من الأئمة على وقوع الامتحان في الدار الآخرة وقالوا لا ينقطع التكليف إلا بدخول دار القرار، ذكره البيهقي عن غير واحد من السلف.

الخامس: إنه قد ثبت أنه سبحانه وتعالى يأمرهم يوم القيامة بالسجود، ويحول بين المنافقين وبينه، وهذا تكليف بما ليس في الوسع قطعاً، وكذلك عبور الصراط الذي هو أدق من الشعرة وأحدُّ من السيف.

السادس: إن هذا استبعاد مجرد لا ترد بمثله الأحاديث، ومن سلك طريق الحكمة والتعليل فإن هذا التكليف موافقاً للحكمة، بل الأدلة الصحيحة تدل على أنه مقتضى الحكمة.

السابع: إن في أصح هذه الأحاديث، وهو حديث الأسود بن سريع أنهم يعطون ربهم المواثيق ليطيعنه فيما يأمرهم به، فيأمرهم أن يدخلوا نار الامتحان فيتركون الدخول معصية لأمره، لا لعجزهم عنه، فكيف يقال أنه ليس في الوسع؟.

وهذا معلوم بالضرورة من الدين من وقوع التكليف بمسألة الملكين في البرزخ، وأما في عرصة القيامة، فقال تعالى ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾﴾[1] فهذا صريح في أن الله يدعو الخلائق إلى السجود يوم القيامة، وأن الكفار يحال بينهم وبين السجود إذ ذاك.

---

(١) سورة القلم آية ٤٢

والمقصود أن التكليف لا ينقطع إلا بعد دخول الجنة أو النار وقد تقدم أن حديث الأسود بن سريع صحيح، وفيه التكليف في عرصة القيامة، فهو مطابق لما ذكرنا من النصوص الصحيحة الصريحة، فعلم أن الذي تدل عليه الأدلة الصحيحة وتأتلف به النصوص، ومقتضى الحكمة هذا القول»[1].

وقال أبو الحسن الأشعري في عقيدة أصحاب الحديث وأهل السنة:

«وأن الأطفال أمرهم إلى الله إن شاء عذبهم وإن شاء فعل بهم ما أراد، وأن الله عالم والعباد عاملون»[2].

وقال البيهقي في الإرشاد: «ومن قال بالتوقف في أمر أولاد المسلمين جعل امتحانهم وامتحان أولاد المشركين في الآخرة، محتجاً بما رواه الأسود بن سريع أن النبي ﷺ قال «أربعة... الحديث» ثم قال: وهذا إسناد صحيح[3].

وحديث الأسود بن سريع وغيره في هذا، أحاديث آحاد صحاح، وهي لازمة للإجابة على سؤال جدّ مهم، وعلى استفسار احتوى الكثير من الحيرة،فتأتي الإجابة موافقة للنقل والعقل، وتنحلّ إشكالات عويصة لن تجد لها حلاً في غير عقيدة أهل السنة والجماعة، عقيدة الطائفة الناجية، والفرقة المنصورة بإذن الله تعالى.

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم، ص ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١.

(٢) مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ص ٢٩٦.

(٣) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، للإمام البيهقي، تحقيق، محمد كمال الحوت، عالم الكتب، بيروت، سنة ١٤٠٣هـ، ص ١١١.



الفصل الرابع

العدول عن تفسير القرآن بالحديث إلى تفسيره بالرأي وتأثيره على مسائل العقيدة

وفيه:

- تمهيد
- التفسير بالمأثور.
- التفسير بالرأي.
- التفسير بالرأي المذموم.

* * * * * *

تمهيد

قال الله سبحانه: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾[1].
يمجد الله تعالى نفسه ويباركها، ويثني على كتابه الفرقان بين الحق والباطل، وأنه منزل على خير خلقه ومصطفاه من عباده،لهداية العالمين وبشارتهم وإنذارهم ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾[2].

«إن الاستدلال بتلك الآيات والدلائل والاستشهاد بتلك الأمارات والمخايل، والتنبه لتلك العبارات العبقرية، وما في تضاعيفها من رموز أسرار القضاء والقدر وكنوز آثار التعاجيب والعبر، مما لا تطيقه عقول البشر إلا بتوفيق خلاق القوى والقدر، فإن مدار المراد ليس إلا كلام رب العباد، إذ هو المظهر لتفاصيل الشعائر الدينية، والمفسر لمشكلات الآيات التكوينية..

ولقد تصدى لتفسير غوامض مشكلاته أساطين أئمة التفسير في كل عصر من الأعصار، وتولى تيسير عويصات معضلاته سلاطين التقرير والتحرير في كل قطر من الأقطار..

أما المتقدمون المحققون فاقتصروا على تمهيد المعاني وتشييد المباني وتبيين الحرام وترتيب الأحكام حسبما بلغهم من سيد الأنام عليه شرائف التحية والسلام.

وأما المتأخرون فراموا مع ذلك إظهار مزاياه الرائقة، وإبداء خباياه الفائقة ليعاين الناس دلائل إعجازه، ويشاهدوا شواهد فضله وامتيازه عن سائر الكتب

---

(١) سورة الفرقان آية ١.

(٢) سورة النور ٣٥.

الكريمة الربانية، والزبر العظيمة السبحانية، فدونوا أسفاراً بارعة جامعة لفنون المحاسن الرائعة»(١).

والتفسير كما عرّفه الزركشي هو: «علم يُفهم به كتاب الله عز وجل المنزل على نبيه ﷺ وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه»(٢).

وعرّفه السيوطي بأنه «علم نزول الآيات وشؤونها، وأقاصيصها والأسباب النازلة فيها ثم ترتيب مكيها ومدنيها، ومحكمها ومتشابهها وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها وحلالها وحرامها، ووعدها ووعيدها وأمرها ونهيها، وعبرها وأمثالها»(٣).

وأُطلق التأويل على التفسير، وقد ورد في كتاب الله في معاني مختلفة،منها التفسير وحقيقة ما يؤول إليه الكلام.

والتأويل: «هو الرجوع، آل الشيء يؤول أولاً ومآلاً رجع، وأول الشيء رجّعه، وأوّل الكلام وتأوّله دبّره وقدره، وتأوّله فسره»(٤).

والتأويل عند السلف له معنيان:

«أحدهما: تفسير الكلام وبيان معناه، فيكون التأويل والتفسير على هذا مترادفين.

ثانيهما: هو نفس المراد بالكلام، فإذا قيل طلعت الشمس، فتأويل هذا هو نفس طلوعها.

والتأويل عند المتأخرين الخلف من المتفقهة والمتكلمة والمتصوفة: هو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به.

---

(١) تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود، محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي بيروت، ج١، ص ٤.

(٢) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق محمد إبراهيم ١٣٧٦ هـ، دار إحياء الكتب العربية، الحلبي، ج١، ص ١٣.

(٣) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، المطبعة الأزهرية - الطبعة الثالثة، الحلبي ١٣٧٠هـ، ج٢، ص ١٧٤.

(٤) لسان العرب، ج١٣، ص ٣٣، ٣٤.

وهذا هو التأويل الذي يتنازعون فيه في مسائل الصفات، فمنهم من ذم التأويل ومنعه، ومنهم من مدحه وأوجبه.

فتأويل هؤلاء المتأخرين عند الأئمة تحريف باطل، وكذلك نص أحمد في كتاب الرد على الزنادقة والجهمية، أنهم يتمسكون بمتشابه القرآن، وبين معناه وتفسيره بما يخالف تأويل الجهمية، وجرى في ذلك على سنن الأئمة من قبله، فهذا اتفاق من الأئمة على أنهم يعلمون معنى المتشابه، وأنه لا يسكت عن بيانه وتفسيره بل يبين ويفسر، فاتفاق الأئمة من غير تحريف له عن مواضعه، أو إلحاد في أسماء الله وآياته»[1] وحيث إن تفسير القرآن الكريم ضروري لكل من انتسب إلى الإسلام بحق، أو باطل متمثل في فرق البدع كالشيعة والباطنية والعقليين، فكان لزاماً بيان مذهب أهل الحق في التفسير الصحيح، وهو التفسير بالمأثور المعتمد بالرواية والدراية، وهذا منهج أهل الحق، وحينئذ يتبين الفرق بينهما وبعدها تتميز الأشياء، وعلى هذا انقسم التفسير إلى تفسير بالمأثور وتفسير بالرأي:

التفسير بالمأثور:

قال ابن كثير رحمه الله: «فالواجب على العلماء الكشف عن معاني كلام الله وتفسير ذلك وطلبه من مكانه وتعلم ذلك وتعليمه.. فإن قال قائل فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب: إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن فما أجمل في مكان فإنه قد بسط في موضع آخر، فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن موضحة له.. ولهذا قال رسول الله ﷺ: «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه»[2] يعني السنة، والسنة أيضا تنزل عليه بالوحي كما ينزل القرآن إلا أنها لا

---

(١) مجموع الرسائل الكبرى، ج٢، ص ١٧، ١٨، ٢٢.

(٢) مسند الإمام أحمد ج٤، ص ١٣٠، ١٣٢.

؛ سنن ابن ماجه، باب تعظيم حديث الرسول ﷺ، ج١، ص ٩.

؛ سنن الترمذي، كتاب العلم، باب ما نُهي عنه أن يقال عنده حديث الرسول ﷺ. وقال: حديث حسن، ج٥، ص ٣٨.

تتلى كما يتلى القرآن، وحينئذ إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا إلى أقوال الصحابة رضوان الله عليهم، فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرآن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح، لا سيما علماءهم وكبراءهم كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين الأئمة المهتدين المهديين، وعبد الله بن مسعود ﷺ، ومنهم الحبر البحر عبد الله بن عباس ابن عم الرسول ﷺ وترجمان القرآن ببركة دعاء الرسول ﷺ حيث قال: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»[1]. وسيد القراء أحد كتاب الوحي أبيّ بن كعب ﷺ قال رسول الله ﷺ: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن، فقرأ عليه..»[2].

فإذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين كمجاهد بن جبر.. إذا أجمعوا على شيء فلا يرتاب في كونه حجة، فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم على بعض حجة، ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن أو السنة أو عموم لغة العرب أو أقوال الصحابة في ذلك، فأما تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام»[3].

مصادر التفسير بالمأثور:

وهي المصادر التي يعتمد عليها التفسير بالمأثور:

أولها: القرآن: وهو أصح طرق التفسير، قال ابن تيمية: «أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر

---

(١) مسند الإمام أحمد ج١، ص ٢٦٦، وصححه الألباني في شرح الطحاوية ص ٢١٤.

(٢) سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب من فضائل أبي بن كعب ﷺ، ج٥، ص ٧١١ وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن.

؛ المستدرك للحاكم وصححه ووافقه الذهبي ج٢، ص ٢٤٢.

(٣) تفسير ابن كثير، ج١، ص ٦، ٧ المقدمة.

وما اختصر في مكان فإنه قد بسط في موضع آخر»[1]، ومثاله قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾[2] فسرت بقوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾[3].

ثانيها: السنة النبوية: وهي المصدر الثاني من التشريع والتفسير، قال ابن تيمية: «فإن أعياك ذلك - يعني تفسير القرآن بالقرآن - فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، قال الشافعي رحمه الله «كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن»[4].

والسنة مبينة لما في القرآن، كمواقيت الصلاة، وعدد ركعاتها ومقادير الزكاة ومناسك الحج ومواعيد الصيام، وتقييد الأحكام في قطع اليد وأن المراد اليمين وأنه إلى مفصل الكف، وبيان متعلق اللفظ كبيان المغضوب عليهم باليهود والضالين بالنصارى، وبيان أحكام زائدة على القرآن كتحريم نكاح المرأة على عمتها أو خالتها، وبيان التأكيد بموافقة ما جاء في القرآن، فالسنة النبوية أهم مصادر التفسير بالمأثور مع القرآن[5].

ثالثها: تفسير الصحابة رضي الله عنهم: كان الصحابة رضي الله عنهم عرباً خلّصاً يفهمون القرآن، ويدركون معانيه ومراميه بمقتضى سليقتهم العربية فهماً لا تعكره حجة ولا يشوهه شيء من قبل الابتداع وتحكم العقيدة الزائفة، وإذا خفي عليهم معنى أو دقّ عليهم مرمى رجعوا إلى الرسول ﷺ فبين لهم ذلك[6].

«وحينئذ إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعت في ذلك إلى

---

(١) مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية، تحقيق د. عدنان زرزور، دار القرآن الكريم، الكويت سنة ١٣٩١هـ، ص ٩٣.

(٢) سورة البقرة آية ٣٧

(٣) سورة الأعراف آية ٢٣

(٤) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، ص ٩٦.

(٥) انظر، بحوث في أصول التفسير ومناهجه، د. فهد عبد الرحمن الرومي، مكتبة التوبة، الطبعة الثالثة، سنة ١٤١٦هـ، الرياض ٧٣ - ٧٨.

(٦) التفسير والمفسرون للذهبي، ج١، ص ٦، ٣٤.

أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، ولاسيما علماؤهم وكبراؤهم»[1].

رابعها: تفسير التابعين رحمهم الله: تلقى التابعون تفسيرهم من الصحابة رضي الله عنهم الذين تلقوه عن الرسول ﷺ «وإذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عن الصحابة فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين كمجاهد بن جبر، فإنه آية في التفسير.. وغيرهم من التابعين وتابعيهم ومن بعدهم»[2] غير أنه أثناء تدوين التفسير للقرآن الكريم «بما يروى عن الصحابة والتابعين فقد تسرب إليه الخلل، وتطرق إليه الضعف، لولا أن قيض الله لهذا التراث العظيم من أزاح عنه هذه الشكوك، فسلمت منه ونستطيع أن نرجع الضعف في رواية التفسير بالمأثور إلى ثلاثة أمور:

أولها: كثرة الوضع في التفسير.

ثانيها: دخول الإسرائيليات فيه.

ثالثها: حذف الأسانيد.

أما تفسير القرآن بالقرآن، أو بما ثبت من السنة الصحيحة، فذلك مما لا خلاف في قبوله، لأنه لا يتطرق إليه الضعف، ولا يجد الشك إليه سبيلاً»[3] وقال ابن كثير: «هذه الأحاديث الإسرائيليات تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد فإنها على ثلاثة أقسام:

أحدها: ما علمنا صحته وبأيدينا ما يشهد له بالصدق فذلك صحيح.

الثاني: ما علمنا كذبه وعندنا ما يخالفه.

الثالث: ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل فلا نؤمن

---

(١) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، ص ٩٥.

(٢) نفس المصدر، ص ١٠٢، ١٠٤.

(٣) التفسير والمفسرون للذهبي، ج١، ص ١٥٦، ١٥٧.

به ولا نكذبه ويجوز حكايته لما تقدم»[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «هذه الأحاديث الإسرئيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد، فإنها على ثلاثة أقسام:

أحدها: ما علمنا بصحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق، فذاك صحيح.

والثاني: ما علمنا كذبه وعندنا ما يخالفه.

الثالث: ما هو مسكوت عنه.. وغالب ذلك أن لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني»[2].

وقال الشيخ أحمد شاكر: «إن إباحة التحدث عنهم فيما ليس عندنا دليل على صدقه ولا كذبه شيء، وذكر ذلك في تفسير القرآن وجعله قولاً أو رواية في معنى الآيات.. شيء آخر، لأن في إثبات ذلك بجوار كلام الله ما يوهم أن هذا الذي لا نعرف صدقه ولا كذبه مبين لقول الله تعالى، ومفصل لما أجمل فيه، وحاشا لله ولكتابه من ذلك»[3].

«وفي القرآن غنية عن كل ما عداه من الأخبار المتقدمة، لأنها لا تكاد تخلوا من تبديل وزيادة ونقصان، وقد وضع فيها أشياء كثيرة، وليس لهم من حفظ المتقنين الذين ينفون عنها تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، كما لهذه الأمة من الأئمة والعلماء، والسادة والأتقياء، من جهابذة النقاد، والحفاظ الجياد، الذين دونوا الحديث، وحرروه، وبينوا صحيحه من حسنه و ضعيفه، من منكره وموضوعه، ومتروكه ومكذوبه، وعرفوا الوضّاعين والكذابين، والمجهولين وغير ذلك من أصناف الرجال»[4].

---

(١) تفسير ابن كثير، ج١، ص ٧.
(٢) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص ١٠٠.
(٣) عمدة التفسير للشيخ أحمد شاكر طبع دار المعارف مصر ١٣٧٦ هـ، ص ١٥.
(٤) تفسير ابن كثير، ج٣، ص ٨٩.

المؤلفات في التفسير بالمأثور:

وتلك مؤلفات عديدة من أشهرها:

١ - **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** : لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ت٣١٠هـ، قال عنه ابن خزيمة: «ما أعلم على أديم الأرض أعلم من محمد بن جرير»[1] وقال شيخ الإسلام: «وأما التفاسير التي في أيدي الناس فأصحها تفسيرمحمد بن جرير الطبري، فإنه يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابتة، وليس فيه بدعة، ولا ينقل عن المتهمين»[2].

«ويتميز باعتماده على التفسير بالمأثور عن رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين، والتزامه بالإسناد في الرواية، وعنايته بتوجيه الأقوال والترجيح، وذكره لوجوه الإعراب، ودقته في استنباط الأحكام الشرعية من الآيات، وكان هذا التفسير مفقوداً إلى وقت قريب فطبع في ٣٠ جزء، وقام الشيخان محمود وأحمد شاكر بتحقيق جزء كبير منه»[3].

٢ - **تفسير معالم التنزيل للبغوي**: وهو الحسين بن مسعود الفقيه المحدث ت سنة ٥١٠هـ، وقال عنه ابن تيمية: «تفسيره مختصر.. لكنه صان تفسيره عن الأحاديث الموضوعة والآراء المبتدعة[4] ويتميز بتفسيره القران بالقرآن والسنة ثم بأقوال الصحابة والتابعين والأئمة وإيراد أسباب النزول، وذكر الأحكام الفقهية في الآيات القرآنية»[5].

(١) طبقات المفسرين، محمد بن علي الداودي، تحقيق على محمد محمد، مكتبة وهبة، مصر، ج٢، ص ١١١.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية، ج١٣، ص ٣٨٥.

(٣) مذاهب التفسير الإسلامي، جولد تسيهر، ترجمة عبد الحليم النجار، دار اقرأ، بيروت الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٣هـ، ص ١٠٩؛ انظر التفسير والمفسرون للذهبي، ج١، ص ٢٠٧.

(٤) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص ٧٦.

(٥) التفسير والمفسرون للذهبي، ج١، ص ٢٣٦، ٢٣٧.

٣ ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي ت سنة ٥٤١هـ، قال عنه ابن تيمية: «وتفسير ابن عطية وأمثاله أتبع للسنة والجماعة وأسلم من البدعة من تفسير الزمخشري.. وكثيراً ما ينقل من تفسير ابن جرير وهو من أجل التفاسير المأثورة وأعظمها قدراً ثم يحكيه عن المحققين ويعنى بهم طائفة من أهل الكلام الذين هم أقرب إلى السنة من المعتزلة»[١].

و«ابن عطية يذكر الآية ثم يفسرها بعبارة عذبة سهلة ويورد من التفسير بالمأثور، وينقل عن ابن جرير، ويستشهد بالشعر العربي، ويحتكم إلى اللغة العربية ويهتم بالصناعة النحوية»[٢].

٤ ـ تفسير القرآن العظيم: لأبي الفداء إسماعيل بن عمرو بن كثير ت ٧٧٤هـ:

يعد تفسير ابن كثير من أشهر مادوّن في التفسير بالمأثور بعد الطبري، ويذكر الآية ثم يفسرها بعبارة سهلة، موجزة، ويجمع الايات المناسبة لها، ثم يورد الآيات المرفوعة التي لها صلة بالآية ويبين ما يحتج به وما لا يحتج به، ثم يردف هذا بأقوال الصحابة والتابعين وعلماء السلف، ويرجح بين الأقوال، ويضعف بعض الروايات، ويصحح أخر، ويعدل بعض الرواة، ويجرح آخرين، و ينبه إلى ما في التفسير بالمأثور من منكرات الإسرائيليات إجمالاً أحياناً وبالتفصيل حيناً آخر»[٣].

٥ ـ الدر المنثور للسيوطي: لجلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي ت٩١١هـ:

ألف كتابه ترجمان القرآن وهو التفسير المسند عن رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم تم في مجلدات قال: «ثم رأيت قصور أكثر الهمم عن تحصيله

(١) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، ص ٩٠.

(٢) التفسير والمفسرون للذهبي، ج١، ص ٢٤٠.

(٣) نفس المرجع، ج١، ص ٢٤٥.

ورغبتهم في الاقتصار على متون الأحاديث دون إسناد فلخصت منه هذا المختصر وأسميته بالدر المنثور في التفسير بالمأثور»[١]«قام فيه بسرد الروايات عن السلف دون تعقيب بتعديل أو تجريح أو تضعيف أو تصحيح، ولم يتحر الصحة فيما جمع، وخلط الصحيح بالضعيف»[٢].

التفسير بالرأي:

والمراد بالرأي: الاجتهاد، وعليه فالتفسير بالرأي عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد، وقد يبذل المفسر جهده وتتوافر فيه شروط المفسر فيحمد تفسيره، وقد يكون صاحب هوى فيذم تفسيره[٣].

وهنا يتبين أن التفسير بالرأي ينقسم إلى قسمين:

أولاً: التفسير بالرأي المحمود:

«وهو التفسير المستمد من القرآن والسنة، وكان صاحبه عالماً باللغة العربية عالماً بقواعد الشريعة وأصولها، ولعل هذا النوع هو الذي دعا به الرسولﷺ لابن عباس بقوله: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل» وفيه وقع اختلاف الصحابة في معنى الآية فأخذ كل منهم برأيه على مقتضى نظره في المقتضى»[٤] وقد أجازه العلماء رحمهم الله واستدلوا بحديث ابن عباس، قال ابن تيمية «فأما من تكلم ـ يعني بالتفسير ـ بما يعلم من ذلك لغة وشرعاً فلا حرج عليه»[٥] ومثاله من مؤلفات التفسير:

١ ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب السليم لأبي السعود ت ٩٨٢هـ.

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور لجلال الدين السيوطي، مؤسسة الرسالة،بيروت، ج١، ص ٢.

(٢) التفسير والمفسرون للذهبي، ج١، ص ٢٥٤؛ وانظر بحوث في أصول التفسير ومناهجه د. فهد الرومي، ص ١٤٢ - ١٥٢.

(٣) التفسير والمفسرون للذهبي، ج١، ص ٢٥٥.

(٤) البرهان في علوم القرآن للزركشي، ج٢، ص ١٦١ وانظر البحث ص ٨٤٩.

(٥) مقدمة في أصول التفسير، ص ١١٤.

٢ ـ الجواهر الحسان في تفسير القرآن عبدالرحمن الثعالبي ت ٨٧٦هـ.

٣ ـ تفسير الجلالين لجلال الدين السيوطي وجلال الدين المحلي ت ٩١١هـ، ٨٦٤هـ.

٤ ـ محاسن التأويل جمال الدين القاسمي ت ١٣٣٢هـ.

٥ ـ تفسير فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير محمد ابن عبد الله الشوكاني ت ١٢٥٠هـ.

وذكر الشيخ: الدكتور محمد حسين الذهبي في كتابه «التفسير والمفسرون» أن فتح القدير للشيخ الشوكاني رحمهما الله هو من تفسير الزيدية الشيعة، ومن المعلوم إن هذا القول مخالف لحال هذا الكتاب لأمور هي:

أ ـ إن الإمام الشوكاني تفقه على مذهب الزيدية ثم خلع ربقة التقليد بعد معرفة الحق، وألف رسالة سمّاها «القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد»(١).

ب ـ قال الشيخ الذهبي: وعقيدة الشوكاني عقيدة السلف. من حمل صفات الله الواردة في القرآن والسنة على ظاهرها من غير تأويل ولا تحريف. وألف رسالة في ذلك سمّاها «التحف بمذهب السلف».

ج ـ إن تفسير «فتح القدير» جمع بين الرواية والدراية فقد حرص «على إيراد ما أثبت عن رسول الله ﷺ من التفسير، أو الصحابة أو التابعين، أو الأئمة المعتمدين ـ ثم قال ـ وقد أذكر ما في إسناده من ضعف»(٢) وهذا منهج أهل السنة في التفسير.

د ـ قال الشيخ الذهبي: وقد رجعت إلى هذا التفسير فوجدته يذكر الآيات ثم يفسرها ثم يذكر الروايات التفسيرية الواردة عن السلف.

وعلى الجملة.. فالكتاب لا يعطينا الصورة الواضحة للتفسير عند الإمامية الزيدية.

---

(١) التفسير والمفسرون للذهبي ج١، ص ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٨، ٢٩٩.

(٢) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة، بيروت، توزيع مكتبة الباز، مكة المكرمة - المقدمة ج١.

هـ - إن كتاب فتح القدير في التفسير للإمام الشوكاني يُدرّس ضمن مناهج المعاهد والجامعات، عند أهل السنة، لما تضمنه من سلامة المنهج في العقيدة. ويُعفى للذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ تصنيفه لفتح القدير أنه من كتب الزيدية؛ ذلك أن الشوكاني ولد وعاش زيدياً في أول الطلب لكنه خلغ زيديته وعاد إلى منهج الحق. فغفر الله للشيخين فكلاهما طالبا حق.

٦ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان: لعبد الرحمن بن ناصر السعدي ١٣٠٧ هـ.

٧ - في ظلال القرآن لسيد قطب ت شهيداً ١٣٨٦هـ.

٨ - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد أمين الشنقيطي ت ١٣٩٣هـ، رحمهم الله جميعاً[١].

قال ابن تيمية: «ولهذا روي عن هؤلاء وغيرهم أقوال في التفسير، ولا منافاة، لأنهم تكلموا بما علموه وسكتوا عما جهلوه، وهذا هو الواجب على كل أحد»[٢].

وقال النووي: «وأما تفسيره للعلماء فجائز حسن، والإجماع منعقد عليه»[٣] وهكذا أجاز العلماء تفسير القرآن بالرأي المحمود والمنضبط بالضوابط التي ذكرها العلماء.

ثانياً: التفسير بالرأي المذموم:

ظل أصحاب الصبغة العقلية الدينية في التفسير على تمسكهم «بقانون اللغة ولم يتخطوا حدود الشريعة، بل ظلوا متحفظين بصبغتهم العقلية والدينية، فلم يتجاوزوا دائرة الرأي المحمود إلى دائرة الرأي المذموم الذي لا يتفق مع قواعد

---

(١) انظر التفسير والمفسرون للذهبي ج ١، ص ٣٥٢ - ٣٣٣.
؛ وانظر بحوث في أصول التفسير للرومي، ص ١٥٦ - ١٥٦.

(٢) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، ص ١١٤، ١١٥.

(٣) التبيان في آداب حملة القرآن، النووي، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، دار البيان، دمشق ١٤٠٥هـ، ص ١٣٢.

الشرع، فظل الأمر على ذلك إلى أن قامت الفرق المختلفة، وظهرت المذاهب الدينية المتنوعة، ووجد من العلماء من يحاول نصرة مذهبه والدفاع عن عقيدته بكل وسيلة وحيلة، وكان القرآن هو هدفهم الذي يقصدون إليه جميعاً، كل يبحث في القرآن يجد فيه ما يقوي رأيه ويؤيد مذهبه»[1].

وهذا هو التفسير بمجرد الرأي والهوى «فهو تفسير لا يستند إلى نصوص الشريعة من القرآن والسنة، وأكثر الذين فسروا القرآن بمجرد الرأي هم أهل البدع والمذاهب الباطلة، فقد اعتقدوا معتقدات باطلة ليس لها سند ولا دليل، ثم أرادوا أن يستدلوا لها من القرآن والسنة فلم تطاوعهم النصوص على ما ذهبوا إليه ففسروها بآرائهم وحملوها ما لا تحتمل»[2]وهذا هو الرأي المذموم المحرم كما قال ابن تيمية: «إن مثل هؤلاء اعتقدوا رأياً ثم حملوا ألفاظ القرآن عليه وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولا من الأئمة المفسرين ولا في رأيهم ولا في تفسيرهم»[3] «فأما تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام»[4]وقد استدل علماء أهل السنة والجماعة على تحريم التفسير بمجرد الرأي بالكتاب والسنة وأقوال الصحابة وسلف علماء الأمة: فقد ورد في كتاب الله قوله: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾[5] التفسير بمجرد الرأي قول على الله بغير علم.

وقال تعالى: ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[6] قوله: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[7]، فأضاف البيان إلى رسول الله ﷺ وإعراضهم عن هذا المنهج هو سرّ تخبطهم، بل إن السنة هي الضابط لتوجيه تفسير القرآن.

---

(١) انظر التفسير والمفسرون للذهبي ج ١، ص ٣٦٣.
(٢) بحوث في أصول التفسير، د. الرومي، ص ٨٠.
(٣) مجموع فتاوى، ابن تيمية ج١٣، ص ٣٥٨.
(٤) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، ص ١٠٥.
(٥) سورة الإسراء. آية ٣٦.
(٦) سورة البقرة ١٦٩.
(٧) سورة النحل ٤٤.

وقد جاءت السنة بالتحذير من القول في كتاب الله بغير علم، وإنما بمجرد الرأي، فعن ابن عباسﷺ عن النبيﷺ أنه قال: «من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار»[1] قال أبو عيسى حديث حسن صحيح. وعن جندب بن عبد لله قال: قال رسول اللهﷺ: «من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ»[2] قال أبو عيسى: هكذا روي عن بعض أهل العلم من أصحاب النبيﷺ وغيرهم أنهم شددوا في هذا في أن يفسر القرآن بغير علم. وأما الذي روي عن مجاهد وقتادة وغيرهما من أهل العلم أنهم فسروا القرآن، فليس الظن بهم أنهم قالوا في القرآن أو فسروه بغير علم، أو من قبيل أنفسهم.

وأما الصحابةﷺ فقد كان حرصهم على كتاب الله شديداً، قال ابن تيمية: «روي عن بعض أهل العلم من أصحاب النبيﷺ أنهم شددوا في أن يفسر القرآن بغير علم»[3].

فقال أبو بكر الصديقﷺ: «أي أرض تقلني وأي سماء تظلني إذا قلت في كتاب الله ما لم أعلم»[4]. وقرأ عمر بن الخطابﷺ على المنبر ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١﴾ فقال هذه الفاكهة قد عرفناها فما الأب؟ ثم رجع إلى نفسه فقال إن هذا لهو التكلف يا عمر»[5]. وقد أكد هذا علماء الأمة رحمهم الله من أهل السنة والجماعة السلف، فقال مسروقﷺ: «اتقوا التفسير فإنما هو الرواية عن الله..

وروي عن عبد الله بن مسلم بن يسار عن أبيه قال «إذا حدثت عن الله فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده..».

---

(١) مسند الإمام أحمد ج١، ص ٢٣٣،
؛ سنن الترمذي كتاب تفسير القرآن، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه ج٥، ص ١٩٩.

(٢) سنن الترمذي تفسير القرآن، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه ج٥، ص ٢٠٠.
؛ سنن أبي داود كتاب العلم باب الكلام في كتاب الله بغير علم ج٤، ص ٦٣.

(٣) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، ص ١٠٧.

(٤) نفس المصدر ص ١٠٨.

(٥) تفسير ابن كثير، ج٤، ص٥٠١، وقال هو بإسناد صحيح.

وقال إبراهيم بن يزيد النخعي «كان أصحابنا يتقون التفسير ويهابونه»[1].

قال ابن جرير الطبري رحمه الله: «وهذه الأخبار شاهدة لنا على صحة ما قلنا: من أن ما كان من تأويل آي القرآن الذي لا يدرك علمه بنص بيان رسول ﷺ أو بنصبه الدلالة عليه فغير جائز لأحد القيل فيه برأيه، بل القائل في ذلك برأيه ـ وإن أصاب الحق ـ فمخطئ فيما كان من فعله بقيله فيه برأيه»[2].

وقال النووي رحمه الله: «ويحرم تفسيره بغير علم والكلام في معانيه لمن ليس من أهلها، والأحاديث في ذلك كثيرة، والإجماع منعقد عليه»[3]وقال ابن تيمية: «فهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها من أئمة السلف محمولة على تحرجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم به»[4] و«إذا علم هذا فينبغي الحذر كل الحذر من الجرأة على القرآن وتفسيره بمجرد الرأي وكم يحز في النفس حين نرى كثيراً من الناس يجرأون على تفسير كلام الله ولا يحسبون لذلك حساباً فلا تتلكأ ألسنتهم ولا ترجف قلوبهم وكأنهم قد أحاطوا بالقرآن علماً، وأصبح من مداركهم، وكم رجل منهم فسر آية لو عرضت على أبي بكر رضي الله عنه خير هذا الأمة بعد نبيها ﷺ، وأكثر الناس ملازمة للرسول ﷺ وعلماً بالقرآن، لو عرضت عليه لقال: «أي أرض تقلني، وأي سماء تظلني إذا قلت في القرآن برأيي أو بما لا أعلم، وإن أحدهم ليفسر الآية ولو سمعه عمر رضي الله عنه لقرعة بدرته والله المستعان»[5].

المؤلفات في التفسير بالرأي المذموم:

تعددت اتجاهات المفسرين للقرآن في العصور المتأخرة، وذلك لتباين

---

(١) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص ١١٣.
؛ وانظر بحوث في أصول التفسير، د. الرومي، ص ٨٠ - ٨٤.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري. تحقيق محمود وأحمد شاكر، دار المعارف بمصر، ج١، ص ٧٨، ٧٩.

(٣) التبيان في آداب حملة القرآن للنووي، ص ١٣٢، ١٣٣.

(٤) مقدمة في أصول التفسير، لابن تيمية، ص ١١٤.

(٥) خصائص القرآن الكريم. د. فهد الرومي، دار طيبة، الرياض، الطبعة السادسة، سنة ١٤٢١هـ، ص ١٥٥، ١٥٦؛ وانظر مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص ١٠٨.

فرقهم و اختلاف مشاربهم، وبذلك أدلى كلّ بدلوه ومدّ أو قصّر رشاءه، فمستقل ومستكثر.

أولاً: أصحاب التأويل من المثبتين للصفات السبع والقول بالإرجاء.

وهم أصحاب مدرسة الكلام الذين يثبتون سبعاً من الصفات لله سبحانه وتعالى ويؤولون ما ورد في القرآن الكريم، ولا يعتمدون الحديث في التفسير، فهم ينهجون في تفسيرهم للقرآن منهجاً كلامياً لغوياً سمي التفسير بالرأي المذموم منها:

١ ـ مفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي ت ٦٠٦هـ، ويعد تفسيره أوسع التفاسير في علم الكلام، وسلك في تفسيره مسلك الحكماء والفلاسفة وعلماء الكلام، واستطرد في العلوم الرياضية والطبيعية والفلكية والمسائل الطبية، وملأ تفسيره بهذه العلوم حتى قيل عنه: فيه كل شيء إلا التفسير[١].

وقال عنه ابن حجر: «كان يقرر مذهب خصمه تقريراً لو أراد خصمه تقريره لم يقدر على الزيادة على ذلك، حتى قال عنه بعض العلماء: يورد الشبه نقداً ويحلها نسيئة»[٢].

وقد عاد عن منهجه الكلامي في آخر عمره وأثبت ما كان يعيشه من حيرة كغيره من الذين عادوا عن تلك المناهج فرزقهم الله ثباتاً وإيماناً سنياً.

قال شارح الطحاوية: «كل من عدل عن الكتاب والسنة إلى علم الكلام المذموم، أو أراد أن يجمع بينه وبين الكتاب والسنة، وعند التعارض يتأول النص ويرده إلى الرأي، فيؤول إلى الحيرة والضلال والشك، كما قال ابن رشد الحفيد وهو من أعلم الناس بمذاهب الفلاسفة ومقالاتهم، في كتابه تهافت التهافت: ومن الذي قال في الإلهيات شيئاً يعتد به؟ وكذلك أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي، قال في كتابه الذي صنفه «أقسام اللذات»:

---

(١) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، ج٢، ص ٢٩٠.

(٢) لسان الميزان لأحمد بن حجر، طبع في الهند، سنة ١٣٣١هـ، ج٤، ص ٤٢٧، ٤٢٨. ؛ انظر التفسير والمفسرون للذهبي، ج١، ص ٢٩٤، ٢٩٥.

نهاية إقدام العقول عقال وغاية سعي العالمين ضلال.

لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلاً، ولا تروي غليلاً، و رأيت أقرب الطرق طريقة القرآن..ثم قال: ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي»[1].

٢ ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر البيضاوي ت ٦٨٥هـ وقد اختصر البيضاوي تفسيره من الكشاف للزمخشري، ولكنه ترك ما فيه من اعتزالاته، وإن كان أحيانا يذهب إلى ما يذهب إليه صاحب الكشاف فينكر مسّ الشيطان للإنس الذي أثبته الله في كتابه فيقول عندما فسر قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾[2] وجدناه يقول: «إلا قياماً كقيام المصروع وهو وارد على ما يزعمون أن الشيطان يخبط الإنسان فيصرع،وهذا أيضاً من زعمهم أن الجني يمسّ الرجل فيختلط عقله»[3].

كما أننا نجد البيضاوي قد وقع فيما وقع فيه صاحب الكشاف، من ذكره في نهاية كل سورة حديثاً في فضلها وما لقارئها من الثواب والأجر عند الله، وقد عرفنا قيمة هذه الأحاديث، وقلنا إنها أحاديث موضوعة باتفاق أهل الحديث»[4].

٣ ـ لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن أبو الحسن علي بن محمد ت ٧٤١هـ.

٤ ـ مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبي البركات عبد الله بن أحمد النسفي ت ٧٠١هـ.

٥ ـ الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ت ٦٧١هـ، والقرطبي كغيره من مفسري مدرسة علم الكلام الصفاتية يؤول صفات

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية تعليق الشيخ الألباني، ص ٢٠٨.
(٢) سورة البقرة ٢٧٥.
(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي، دار الكتب العربية، ١٣٣٠هـ، ط١، ص ٢٦٧.
(٤) التفسير والمفسرون للذهبي، ج١، ص ٢٩٧.

الله وإن كان يذكر كلام العلماء ولكنه يذهب إلى القول بالتأويل مثل قوله في صفة الرحمة لله قوله: فالرحمن والرحيم اسمان مشتقان من الرحمة ترجع إلى إرادة فيض الخير عموماً أو خصوصاً، وصفتي الغضب والرضا هما إرادة العقوبة و إرادة الثواب، وصفة العين بأنها عبارة عن الإدراك والإحاطة»[١].

٦ ـ صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني، وهو كغيره من المفسرين بالرأي يحتجون بأقوال الزمخشري المعتزلي المنكر لصفات الله تعالى.

فيقول الصابوني عند تفسيره قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾[٢] حقاً لقد سمع الله قول المرأة التي تراجعك وتحاورك في شأن زوجها، قال الزمخشري «ومعنى سماعه لقولها إجابة دعائها، لا مجرد علمه تعالى بذلك، وهو كقول المصلي: سمع الله لمن حمده»[٣] وهو كغيره من المفسرين بالرأي يؤول صفات الله تعالى الثابتة له بالكتاب والسنة الصحيحة فيقول في تفسير قوله تعالى ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾[٤] أي ويبقى ذات الله الواحد الأحد، ذو العظمة والكبرياء والإنعام والإكرام»[٥] ويقول: «لقد تضمنت السورة وجوهاً كثيرة من البيان والبديع نوجزها فيما يلي..

المجاز المرسل ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ أي ذاته المقدسة وهو من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل»[٦].

---

(١) المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات، محمد عبد الرحمن المغراوي، القسم الرابع - الرد على المفسرين الخلفيين، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، ١٤١١هـ، ص ٧، ٩، ٣٩؛ وانظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، دار إحياء التراث العربي بيروت، ١٣٨٥هـ، ج١، ص ١٥٠، ج٧، ص ٢٢٧، ج٩، ص٣٠.

(٢) سورة المجادلة آية ١.

(٣) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، سنة ١٤٠١هـ، ج١٨، ص ٧.

(٤) سورة الرحمن آي ٢٧.

(٥) صفوة التفاسير للصابوني، ج١٧، ص ٥١.

(٦) صفوة التفاسير للصابوني، ج١٧، ص ٥٨.

ثانياً: أصحاب مدرسة الاعتزال:

وهؤلاء ينفون صفات الله تعالى، لأن إثباتها كما يزعمون يقتضي تعدد القدماء، وسموا ذلك توحيداً وأصلاً من أصولهم الخمسة لفهم القرآن وأركان الدين، وابتعدوا عن منهج السنة في فهم كتاب رب العالمين «فأنكروا القدر وقالوا باستحالة رؤية الله يوم القيامة وأن الصفات ليست شيئاً غير الذات. وأن القرآن مخلوق لله تعالى، وأن الله لا يغفر لمرتكب الكبيرة ما لم يتب وأنه في منزلة بين المنزلتين ومخلد في النار لأنه لا يجوز أن يعفو الله عنه إذا مات ولم يتب، فأقام المعتزلة تفسيرهم على ضوء عقيدتهم الإعتزالية، فحكموا العقل في فهم كتاب الله، ثم إن هذا السلطان العقلي المطلق قد جرّ المعتزلة إلى إنكار ما صح من الأحاديث التي تناقض أسسهم وقواعدهم المذهبية، فكان له الأثر الأكبر في تفسير المعتزلة للقرآن»[1].

قال أبو الحسن الأشعري رحمه الله ذاماً ما ذهب إليه هؤلاء في تفسيرهم للقرآن بعقولهم «أما بعد: فإن أهل الزيغ والتضليل تأولوا القرآن على آرائهم، وفسّروه على أهوائهم تفسيراً لم ينزل الله به سلطاناً، ولا أوضح به برهانا، ولا رووه عن رسول رب العالمين، ولا عن أهل بيته الطيبين، ولا عن السلف المتقدمين، من الصحابة والتابعين، افتراءاً على الله، قد ضلّوا وما كانوا مهتدين»[2].

وقال ابن تيمية رحمه الله: «وما من تفسير من تفاسيرهم الباطلة إلا وبطلانه يظهر من وجوه كثيرة، وذلك من جهتين:

تارة من العلم بفساد قولهم، وتارة من العلم بفساد ما فسروا به القرآن إما دليلاً على قولهم، أو جواباً على المعارض لهم.

ومن هؤلاء من يكون حسن العبارة فصيحاً ويدسّ البدع في كلامه وأكثر

---

(١) التفسير والمفسرون للذهبي، ج١، ص ٢٧٢، ٢٧٣.

(٢) تبيين كذب المفتري فيما نسب لأبي الحسن الأشعري لأبن عساكر، دار الفكر، الطبعة الثانية، دمشق ١٣٩٩هـ، ص ١٣٨.

الناس لا يعلمون، كصاحب الكشاف ونحوه، حتى إنه يروج على خلق كثير ممن لا يعتقد الباطل من تفاسيرهم الباطلة ما شاء الله.

وقد رأيت من العلماء المفسرين وغيرهم من يذكر في كتابه وكلامه من تفسيرهم ما يوافق أصولهم التي يُعلم أو يُعتقد فسادها، ولا يهتدي لذلك[1].

وقال ابن القيم رحمه الله: «إنه زبالة الأذهان، ونخالة الأفكار، وعفار الآراء ووساوس الصدور، فملؤوا به الأوراق سواداً، والقلوب شكوكاً، والعالم فساداً وكل من له مسكة من عقل يعلم أن فساد العالم إنما نشأ من تقديم الرأي على الوحي، والهوى على العقل»[2].

وقد التزم المعتزلة جميعاً بمنهجهم في تفسير القرآن الكريم على خلاف بينهم، ولكن لا نجد معتزلياً تعرض للتفسير إلا وظهر منهج المعتزلة وأسسهم في تفسيره، ولا يحيد عنها إلى غيره أبداً..

ومنهجهم عقلي بحت لا يعتمد على القرآن نفسه في إثبات مبادئه، وإنما يعتمدون على العقل في إثبات وجود الله، وصدق الرسول ﷺ، ومبادئ الإسلام، فاعتمادهم على الأدلة المنطقية أكثر من اعتمادهم على النصوص القرآنية في الحجاج وإثبات المبادئ..

والكشاف هو تفسير المعتزلة الأول، وعليه اعتمادهم وصاحبه من متأخري المعتزلة.. وأثر الاعتزال واضح في كل ما يكتب وكل ما يفسر، فإن النظرة العقلية البحتة لتفسيره النص ديدنه، ومنهج الاعتزال سبيله، فيعلل ويؤول ما وسعه، ولا يعجزه التأويل لأنه من أرباب البيان[3].

«وأحياناً يحاول المعتزلة تحويل النص القرآني من أجل عقيدتهم إلى مالا

(١) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، مطبعة الترقي، دمشق ١٣٥٩ هـ، ص ٢٢.

(٢) أعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم، مطبعة الكردي، دمشق، ١٣٢٥هـ، ج١، ص ٨.

(٣) أثر التطور الفكري في التفسير في العصر العباسي، د. مساعد مسلم، مؤسسة الرسالة، بيروت سنة ١٤٠٥هـ، ص ٣٣٢، ٣٣٦.

يتفق وما تواتر من القراءات عن رسول الله ﷺ، فيقرؤون: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾ بنصب لفظ الجلالة»[1].

أهم كتب التفسير عند المعتزلة:

الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري. من أهم كتب التفسير الاعتزالي، لصاحبه محمود بن عمر الخوارزمي المعتزلي ت ٥٣٨ هـ.

«اعتنى فيه ببيان وجوه الإعجاز القرآني وإظهار جمال النظم وبلاغته وتميز بذلك، والزمخشري لا يستشهد بالأحاديث إلا قليلاً، ويورد أحياناً الأحاديث الموضوعة، خاصة في فضائل السور.

وملأ تفسيره بعقائد المعتزلة والاستدلال لها وتأويل الآيات وفقهها، ويدسّ ذلك دسّاً لا يدركه إلا حاذق»[2].

حمل على أهل السنة وبالغ في السخرية والاستهزاء بهم واحتقارهم ورماهم بالأوصاف المقذعة، وسماهم مجبرة، وحشوية، ومشبهة، وقدرية، ويحرص كل الحرص على أن يحول الآيات القرآنية التي وردت في حق الكفار إلى ناحية مخالفيه في العقيدة من أهل السنة[3].

قال الزمخشري عن تفسيره:

إن التفاسير في الدنيا بلا عدد ... وليس فيها لعمري مثل كشافي

إن كنت تبغي الهدى فالزم قراءته ... فالجهل كالداء والكشاف كالشافي[4].

---

(١) الكشاف للزمخشري، مطبعة محمد مصطفى سنة ١٣٠٨ هـ، ج١، ص ٣٩٧.
؛ وانظر التفسير والمفسرون للذهبي، ج١، ص٣٧٧.

(٢) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، ج٢، ص ١٩٠.

(٣) التفسير والمفسرون للذهبي، ج١، ص ٤٦٥.

(٤) كشف الظنون، ملا كاتب جلبي، دار الطباعة المصرية، سنة ١٣٧٤ هـ، ج٢، ص ١٤٧٦.

وقد رُدّ عليه فقيل:

ولكنه فيه مجال لنا قد | وزلات سوء، قد أخذت المخانقا
فيثبت موضوع الأحاديث جاهلا | ويعزو إلى المعصوم ما ليس لائقا
ويشتم أعلام الأئمة ضلة | ولاسيما أن أولجوه المضايقا
ويخطئ في فهم القرآن لأنه | يجوّز إعراباً أبى أن يطابقا[1]

قال عنه ابن خلدون: «كتاب الكشاف للزمخشري وهو من أهل الإعتزال في العقائد، فيأتي بالحجاج على مذاهبهم الفاسدة، حيث تعرض له في القرآن من طرق البلاغة فصار بذلك للمحققين من أهل السنة انحراف عنه، وتحذير للجمهور من مكامنه»[2].

قال السبكي: «وهو رجل مبتدع مجاهر ببدعته، يضع من قدر النبوة كثيراً، ويسيء أدبه على أهل السنة والجماعة، فأعرضت عن إقراء كتابه حياء من النبي ﷺ»[3].

وقال ابن القيم بعد ما ذكر تفسيره لقوله تعالى ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾[4].

قال: «فهذا منه شنشنة نعرفها من قدري نافٍ للمشيئة العامة، مبعد للنجعة في جعل كلام الله معتزلياً قدرياً»[5].

ثالثاً: مدارس الشيعة و الصوفية و الخوارج و الباطنية و الفلاسفة:

إن كل من انتسب إلى الإسلام لا يخلو من تعظيم للقرآن وتفسيره بطريق

(١) البحر المحيط لأبي حيان التوحيدي، مطبعة السعادة ١٣٢٨هـ، ج٧، ص ٨٥.
؛ وانظر: لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، محمد الصباغ، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٣هـ، ص ١٦٨.

(٢) مقدمة ابن خلدون، ص ٤١٩.

(٣) النماذج الخيرية، منير الدّمشقي، المطبعة المنيرية سنة ١٣٤٩هـ، ص ٣١٠.

(٤) سورة الأعراف ١٧٦.

(٥) أعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم ج١، ص ٢٠٣.

ما، وذلك حسب المعتقد الذي ينتسب إليه، ولا شك أن فهم كتاب الله لا يكون إلا كما تبين سابقاً، بالقرآن نفسه والسنة الصحيحة وأقوال الصحابة والتابعين، فمن ضل عن هذا كثر خطؤه، وزاد انحرافه.

وإن الشيعة لهم السبق في هذا المضمار، مثلما كانوا وكراً لتفريخ فرق الباطل عبر التاريخ الإسلامي، كالنصيرية والإسماعيلية الباطنية والبهائية وغيرها...

فقالوا في تفسيرهم: «إن لكل آية من كلام الله ظهراً وبطناً وتفسيراً وتأويلاً، بل لكل واحدة منها سبعة بطون وسبعون بطناً دلت عليها أحاديث متكاثرة..

وأن الله عز وجل جعل جملة بطن القرآن في دعوة الإمامة والولاية، كما جعل جلّ ظهره في دعوة التوحيد والنبوة والرسالة»[1].

وهؤلاء الشيعة يسخّرون تفسير القرآن لإثبات ما ذهبوا إليه في العقيدة كعصمة الأئمة في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[2].

فقالوا: إن لفظة إنما محققة لما أثبت بعدها، نافية لما لم يثبت..

وفي ثبوته ثبوت عصمة الأئمة بالآية من جميع القبائح.

وقد علمنا أن من عدا من ذكرنا ـ وهم النبي ﷺ وفاطمة والحسن والحسين ـ من أهل البيت غير مقطوع على عصمته، فثبت أن الآية مختصة بهم لبطلان تعلقها بغيرهم[3]. فهؤلاء الشيعة كعادتهم يقولون كالمنافقين بالإفك في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فقاتلهم الله!.

وفي الرجعة استدلوا بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾[4].

---

(١) مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار، عبد اللطيف الكازراني، طبع العجم، ١٣٠٣هـ، ص ٢، ٣.

(٢) سورة الأحزاب ٣٣.

(٣) مجمع البيان لعلوم القرآن، للطبرسي، طبع طهران، ١٣١٤هـ، ج١، ص ٥٠.

(٤) سورة البقرة ٥٦.

فقال الطبرسي: «وأستدل أصحابنا بهذه الآية على جواز الرجعة»[1].

أما المهدي فاستدلوا بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾[2].

فقال الطبرسي: «.. وجماعة من الصحابة فسروا الغيب بما غاب عن العباد علمه. ويدخل فيه ما رواه اصحابنا من زمان غيبة المهدي ووقت خروجه»[3].

ويذهب الشيعة في تفسيرهم مذهب المعتزلة فيما ذهبوا إليه من إنكار رؤية الله في الجنة للمؤمنين وفسروا النظر بالانتظار «فكأنه سبحانه أراد أنهم ينظرون إلى الثواب المعدّ لهم في الحال من أنواع النعيم، وينتظرون أمثالها حالاً بعد حال»[4].

أما السحر فقد أنكره الشيعة كأصحابهم المعتزلة «فأما ما روي من الأخبار أن النبي ﷺ سُحر فكان يرى أنه يفعل ما لم يفعله فأخبار مفتعلة لا يلتفت إليها»[5] وينكرون الشفاعة في الكبائر، ويكثرون من رواية الأحاديث الموضوعة[6].

وكل هذا ما لم ينزل به الله سلطاناً، ولا أوضح به برهاناً، ولا رووه عن رسول رب العالمين، ولا عن أهل بيته الطيبين الطاهرين، ولا عن السلف المتقدمين، من الصحابة والتابعين، فكان افتراء على الله وما كانوا مهتدين.

والشيعة يطعنون في أصحاب رسول الله ﷺ بل ويكفرونهم!! مما أدى إلى قولهم بتحريف القرآن وأنه ناقص، وإلى ردّهم الصحيح من سنة رسول الله ﷺ واعتمادهم على ما نسبوه للأئمة بسندهم، ويقولون إن العباد خالقون لأفعالهم، كالمعتزلة[7] يقول الخراساني أحد مفسريهم في إثبات تحريف القرآن: «اعلم أنه قد

---

(١) مجمع البيان لعلوم القرآن للطبرسي، ج١، ص ٥٠.

(٢) سورة البقرة ٣.

(٣) المصدر السابق، ج١، ص ١٧.

(٤) نفس المصدر، ج٢، ص ٣٥٥.

(٥) نفس المصدر، ج١، ص ٥٧

(٦) وانظر التفسير والمفسرون للذهبي، ج٢، ص ١٣٥، ١٣٧.

(٧) انظرتفسير القرآن، عبد الله العلوي، طبع طهران ١٣٥٢هـ، ص ٨، ٩، ٤١٧، ٥٤٦.

استفاضت الأخبار عن الأئمة الأطهار بوقوع الزيادة والنقيصة والتحريف والتغيير في القرآن بحيث لا يكاد يقع شك في صدور بعضها منهم ـ أي الصحابة ـ!.. فإن قيل إنه لم يبق لنا حينئذ اعتماد عليه، والحال أنا مأمورون بالاعتماد عليه، واتباع أحكامه.

فنقول: إن الزيادة والنقيصة والتغيير في القرآن لم تكن مخلة بمقصود الباقي منه، بل نقول: كان المقصود الأهم من الكتاب الدلالة على العترة والتوسل بهم.. وبعد التوسل بأهل البيت إن أمروا باتباعه كان حجة قطعية لنا ولو كان مغيراً تغييراً مخلاً بمقصوده...!»[1].

والصوفية لم يكونوا بأحسن حالاً من أصحابهم الشيعة، بل إن مذهب الصوفية نجده حاضناً لكل فرق البدع، ذلك لابتعادهم عن سنة المصطفى ﷺ وقد أخضعوا تفسير القرآن إلى ما ذهبوا إليه في أقسام التصوف فكان؛

١ ـ التفسير الصوفي النظري «وهو تفسير يخرج بالقرآن عن هدفه الذي يرمي إليه إلى ما يهدف إليه الصوفي، وقد يكون بين الهدفين تنافر وتضاد. وابن عربي هو شيخ هذه الطريقة في التفسير متأثر بنظرية وحدة الوجود التي بنى عليها تصوفه، فيشرح الآيات على وفق هذه النظرية»[2]. وفي تفسيره لقوله تعالى ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا﴾[3]. أي شيئاً غيرك؛ فإن غير الحق هو الباطل، بل جعلته أسماءك ومظاهر صفاتك وسبحانك ننزهك أن يوجد غيرك. أي يقارن شيء فردانيتك. أو يثني وحدانيتك!»[4] وعلى هذا فكل الوجود هو الله؟! تعالى الله عن قولهم!.

---

(١) بيان السعادة في مقامات العبادة، سلطان محمد الخراساني، طبع طهران، ١٣١٤هـ، ج١، ص ١٢.

(٢) التفسير والمفسرون للذهبي، ج٢، ص ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٦.

(٣) سورة آل عمران ١٩١.

(٤) تفسير ابن عربي بتأويلات القاشاني، عبد الرزاق القاشاني، المطبعة الأميرية بمصر، ١٢٨٣هـ، ج١، ص٥٠.

٢ ـ التفسير الصوفي الفيضي الإشاري:

وهو تأويل آيات القرآن الكريم على خلاف ما يظهر منها بمقتضي إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك وترتكز على رياضة روحية يأخذ بها الصوفي نفسه حتى يصل إلى درجة تنكشف له فيها الإشارات القدسية والمعارف السبحانية»[١].

قال الألوسي في مقدمة تفسيره: «فالإنصاف كل الإنصاف التسليم للسادة الصوفية الذين هم مركز الدائرة المحمدية ما هم عليه، واتهام ذهنك السقيم فيما لم يصل. ثم نقل عن ابن عربي في تفسيره للفاتحة قوله: فإذا وقع الجدار، وانهدم الصور وامتزجت الأنهار والتقى البحران، وعدم البرزخ، صار العذاب نعيماً، وجهنم جنة ولا عذاب ولا عقاب، إلا نعيم وأمان، بمشاهدة العيان!. يقول الألوسي بعد نقله هذا الكلام الغريب!: وهذا وأمثاله محمول على معنى صحيح يعرفه أهل الذوق ولا ينافي ما وردت به القواطع.. وإياك أن تقول بظاهره مع ما أنت عليه، وكلما وجدت مثل هذا لأحد من أهل الله تعالى، فسلمه له بالمعنى الذي أرادوه»[٢]!.

إن هؤلاء هم أصحاب الشطحات فلا دليل من النقل ولا رادع من العقل، قال ابن خلدون: «وليس البرهان والدليل بنافع في هذا الطريق رداً وقبولاً، إذ هي من قبيل الوجدانيات»[٣]«ومثل هذه الأقوال أشبه ما تكون بالإكراه لنا على قبول وجدانيات القوم وشطحاتهم مهما أوغلت في البعد والغرابة، وفي تفاسيرهم الغريبة للقرآن مزلة قدم.. ليتهم احتفظوا بها عند أنفسهم.. وأراحوا أنفسهم من كلام الناس فيهم وقذف البعض لهم بالكفر والإلحاد في آيات الله»[٤].

أما الخوارج: فقد كان جمودهم عند ظواهر الآيات القرآنية، أنهم لم يلتفتوا

---

(١) التفسير والمفسرون للذهبي، ج٢، ص ٣٥٢.

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمد الألوسي، المطبعة المنيرية، ج١، ص ٨، ١٤٢.

(٣) مقدمة ابن خلدون ص ٥٢٥.

(٤) التفسير والمفسرون للذهبي، ج٢، ص ٣٧٦.

إلى ما جاء من الأحاديث النبوية ناسخاً أو مخصصاً أو منشيئاً لأحكام «وقد تملك هذا المبدأ قلوب وعقول الخوارج، حتى وضعوا لأنفسهم حديثاً: إنكم ستختلفون من بعدي، فما جاءكم عني فاعرضوه على كتاب الله وما خالفه فليس عني. قال عبدالرحمن بن مهدي: «الزنادقة وضعوا حديث ما أتاكم عني فاعرضوه على كتاب الله»[1] وقد أنكروا حكم الرجم، فالمحصنة حدّها الجلد[2] وأنكروا الشفاعة لأهل الكبائر عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا﴾[3] قال مفسرهم: «فالآية نص.. في أن لا شفاعة لأهل الكبائر، أي أنت بريء منهم على كل وجه»[4] ويقول: «إني استقرأت مذهبنا معشر الأباضية ومذهب الشافعية والمالكية والحنفية والحنابلة، فلم أر مستقيماً في علم التوحيد والصفات سوى مذهبنا»[5].

أما الباطنية الإسماعيلية:

وهم طائفة انحدرت من فرقة الشيعة اتخذوا من تأويل القرآن باباً للوصول إلى أغراضهم، والعمل على هدم الشرائع عموماً وشريعة الإسلام على الخصوص فأعملوا معاولهم لهدم ركن الإسلام المكين ويأبى الله، فقالوا إن «للقرآن ظاهراً وباطناً، والمراد منه باطنه دون ظاهره المعلوم من اللغة، ونسبة الباطن إلى الظاهر كنسبة اللب إلى القشر والمتمسك بظاهرة معذب، بالشقشقة في الكتاب، وباطنه مؤد إلى ترك العمل بظاهرة..

ومن هدمهم للشريعة قولهم: والصلاة عبارة عن الناطق الذي هو الرسول والزكاة عبارة عن تزكية النفس بمعرفة ما هي عليه من الدين، والكعبة النبي

---

(١) القول الفصل، مصطفى صبري، مطبعة عيسى الحلبي، ١٣٦١ هـ، ص ٦٤، ٦٥.

(٢) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة م. كردستان، سنة ١٣٢٦هـ، ص ٢٤١، ٢٤٢.

(٣) سورة الأنعام ١٥٩

(٤) هميان الزاد إلى دار المعاد، محمد يوسف اطفيش، طبع زنجبار، سنة ١٣١٤هـ، ج ٢، ص ٢٩٩،

(٥) نفس المصدر، ج ٨، ص ٢١٣.

؛ وانظر التفسير والمفسرون ج٢، ص ٣٢٦.

والطواف بالبيت سبعاً موالاة الأئمة السبعة ـ لأن سلسلة الأئمة عندهم سبعة بخلاف الإمامية الإثني عشرية ـ والجنة راحة الأبدان من التكاليف والنار مشقتها بمزاولة التكاليف»[1].

كما أنهم يرفضون المعجزات، ولا يعترفون بالرسل وينكرون الوحي وأنكروا الظاهر وأخذوا بالباطن.. وأبليس وآدم عبارة عن أبي بكر وعلي، إذ أُمر أبو بكر بالسجود فأبى.. ويأجوج هم أهل الظاهر..»[2].

ثم جاء أفراخهم البابية والبهائية في العصر الحديث فساروا على ما سار عليه أوائلهم الباطنية، حيث يفسرون يوم الجزاء ويوم القيامة بمجيء ميرزا حسين الملقب ببهاء الدين، الذي قال في كتابه وطبقاً للتفاسير البهائية، يكون مجيء المظهر الأعظم بهاء الله: هو يوم الجزاء الأعظم للدورة الدنيوية التي نعيش فيها الآن»[3] وفي هذا الكتاب يقول: «قال أبو جعفر الطوسي: قلت لأبي عبد الله ـ أحد أئمتهم السبعة ـ أنتم الصراط في كتاب الله وأنتم الزكاة، وأنتم الحج؟ قال: يا فلان.. نحن الصراط في كتاب الله عز وجل ونحن الزكاة ونحن الصيام، ونحن الحج، ونحن الشهر الحرام، ونحن البلد الحرام، ونحن كعبة الله، ونحن قبلة الله، ونحن وجه الله»[4]!.

وقد ادعى هذا البهاء أنه رسول الله! وأثبت هذا القول في كتابه حيث يقول: «لعمر الله إن بهاء ما نطق عن الهوى، قد أنطقه الذي أنطق الأشياء بذكره وثنائه، لا إله إلا هو الفرد الواحد المقتدر المختار.. ولعمري ما أظهرت نفسي بل الله أظهرني»[5] بل أراد أن ينزّل القرآن عن مستواه وإعجازه حتى يكون في درجة البيان والكتاب عندهم، فقال: «ولا يعرف ولا يمتاز كلام الله عن كلام

---

(١) شرح المواقف: السيد الشريف الجرجاني، دار السعادة، مصر سنة ١٣٢٧هـ، ج٨، ص ٣٨٨.

(٢) فضائح الباطنية، الغزالي، طبع ليدن، سنة ١٣٣٦، ص ١٣.

(٣) وسائل الإصلاح، محمد الخضر حسين، مطبعة القدس، ١٣٥٨هـ، ج٣، ص ١٠٣.

(٤) كتاب بهاء الله، ميرزا حسين بهاء الله، دار السعادة، سنة ١٣٤٠هـ، ص ٨٣.

(٥) نفس المصدر، ص ٧، ٩.

البشر بفصاحته وبلاغته.. كما يدعيه القوم»[1]، وهذه الفرق وغيرها من التي أعرضت عن السنة الصحيحة وجادلت في كتاب الله بغير علم.

أما الفلاسفة فأخضعوا النصوص الشرعية بما يتفق مع الآراء الفلسفية وشرحوا تلك النصوص بآرائهم الفلسفية، واعتقدوا أن القرآن ما هو إلا رموز للحقائق البعيدة عن أذهان الناس وأن «النبي ﷺ يخبر خواص أمته بما جاء به واعتقده بالتصريح في السرّ والعلن، غير مرموز ولا مكتوم، ثم يشير إليها، ويرمز عنها عند العوام بالألفاظ المشتركة والمعاني المحتملة للتأويل بما يعقلها الجمهور، وتقبلها نفوسهم»[2]. وغير خاف أن هذا هو عين مذهب الباطنية القائل بأن ظواهر القرآن غير مراد، فإن «الإمامية الإثني عشرية والباطنية الإسماعيلية، ومتطرفي الصوفية ورجال الفلسفة الإسلامية، كلهم يسيرون على نمط واحد هدام لمقاصد القرآن ومراميه، ذلك هو ما يعبرون عنه بالرمز، أو الإشارة أو الباطن، رأوا فيها عوناً كبيراً على ترويج بدعهم ونشر ضلالهم بين المسلمين»[3]. فهؤلاء «أهل التجهيل والتضليل الذين حقيقة قولهم: أن الأنبياء وأتباع الأنبياء جاهلون ضالون، لا يعرفون ما أراد الله بما وصف نفسه من الآيات وأقوال الأنبياء، ويقولون يجوز أن يكون للنص تأويل لا يعلمه إلا الله، لا يعلمه جبرائيل ولا محمد ولا غيره من الأنبياء، فضلاً عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان»[4].

وهم يفسرون الملائكة بأنهم كواكب الأفلاك فيقولون «إن كواكب الفلك هم ملائكة الله وملوك سماواته، خلقهم الله لعمارة عالمه، وتدبير خلائقه»[5]. وبهذا وأمثاله يتم تغيير معالم الدين الصحيح، أما «الأصول التي اتفقت عليها الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم، فلم يؤمن بها حقيقة الإيمان إلا أتباع الرسل. أما أعداؤهم ومن سلك سبيلهم من الفلاسفة وأهل البدع فهم متفانون في جحدها

---

(١) الحجج البهية، أبو الفضائل الإيراني، دار السعادة ١٣٤٥هـ، ص ٣٧.

(٢) رسائل أخوان الصفا، مطبعة تحفة الأخبار، سنة ١٣٠٦هـ، ج٤، ص ١٨٥.

(٣) انظر التفسير والمفسرون للذهبي، ج٢، ص ٤٣١.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية، ص ٥٢٧

(٥) رسائل أخوان الصفا، ج١، ص ٩٨

وإنكارها، وأعظم الناس لها إنكاراً الفلاسفة المسمون عند البعض بالحكماء، فإن من علم حقيقة قولهم علم أنهم لم يؤمنوا بالله ولا رسوله ولا كتبه ولا ملائكته ولا باليوم الآخر، فإن مذهبهم أن الله موجود لا ماهية له ولا حقيقة.. وينفون عنه سمعه وبصره وسائر صفاته، فلا يكلم ولا يتكلم، والقرآن فيض فاض من العقل الفعال عندهم على قلب بشر زاكي النفس، والوحي أمور ذهنية فليس في الخارج ذات منفصلة، وأما اليوم الآخر فهم أشد الناس تكذيباً له وإنكاراً في الأعيان، ولا يقوم الناس من قبورهم إلى جنة ونار؟ كل هذا عندهم أمثال مضروبة»[(١)].

أصحاب المدرسة العقلية في العصر الحديث وأثرها في التفسير:

وهم الذين استرشدوا بالعقل وحده حكماً منفرداً في كل أمور الدين، فأعرضوا عن السنة في بيان كتاب الله المبين «وهم الذين أعطوا لعقولهم حرية واسعة، فتأولوا بعض الحقائق الشرعية التي جاء بها القرآن الكريم، وعدلوا بها عن الحقيقة إلى المجاز والتمثيل، وليس هناك ما يدعو لذلك إلا مجرد الاستبعاد والاستغراب، استبعاد لقدرة البشر القاصرة، واستغراب لا يكون إلا ممن جهل قدرة الله وصلاحيتها لكل ممكن.

كما أنها بسبب هذه الحرية العقلية الواسعة جارت المعتزلة في بعض تعاليمها وعقائدها، وحملت بعض ألفاظ القرآن من المعاني ما لم يكن معهوداً عند العرب في زمن نزول القرآن، وطعنت في الأحاديث تارة بالضعف، وتارة بالوضع مع أنها أحاديث صحيحة رواها البخاري ومسلم وهما أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى بإجماع أهل العلم»[(٢)].

ولقد انبهر أصحاب هذه المدرسة بالحضارة الغربية فأرادوا اللحاق وجسر الفجوة بين التفكير الغربي المادي وبين عقيدة المسلمين في الوحي والبعث

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٩٧، ٢٩٨.

(٢) التفسير والمفسرون، ج٢، ص ٥٤٩.

وأمارات الساعة والقضاء والقدر والمعجزات وأصل الإنسان والملائكة والجن، فقالوا في الوحي: «وقد عرّفوه شرعاً إنه إعلام الله لنبي من أنبيائه بحكم شرعي ونحوه، أما نحن فنعرفه على شرطنا بأنه عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله بواسطة أو بغير واسطة.. والنفوس البشرية يكون لها من نقاء الجوهر بأصل الفطرة ما تستعد به من محض الفيض الإلهي لأن تتصل بالأفق الأعلى، وتنتهي من الإنسانية إلى الذروة العليا وتشهد من أمر الله شهود العيان ما لم يصل غيرها إلى تعقله، وتتلقى عن العليم الحكيم ثم تصدر عن ذلك العلم إلى تعليم الناس ودعوتهم»[1] إن هذا القول لا يبعد كثيراً عن أقوال الفلاسفة وأصحاب الفيض العقلاني، ولكن «الوحي في الشرع هو أن يُعلم الله من اصطفاه من عباده كل ما أراد إطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم، ولكن بطريقة غير معتادة للبشر، ويكون على أنواع شتى: منه ما يكون مكالمة بين العبد وربه، كما كلم الله موسى، ومنه ما يكون إلهاما يقذفه الله في قلب مصطفاه، ومنه ما يكون مناماً صادقاً، ومنه ما يكون بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام، وهو أشهرها، ووحي القرآن كله من هذا القبيل، وهو الوحي الجلي، فيهبط على أساليب شتى فتارة يظهر في صورته الملكية، وتارة في صورة إنسان يراه الناس، وتارة خفية يظهر أثره على صاحب الرسالة، ويكون وقعه على الرسول كوقع الجرس إذا صلصل في أذن سامعه»[2] هذا هو القول الصحيح عند علماء السنة.

البعث وأمارات الساعة:

حاول رجال المدرسة العقلية أن يكون البعث قائماً على الأصول العلمية التي يزعمها هؤلاء، فأولوا الآيات، وقالوا: «نطق القرآن الكريم بأن الأرض تفنى بتفرق مادتها ثم يعيدها الله كما بدأها، قال تعالى ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾

---

(١) رسالة التوحيد، محمد عبده، تصحيح محمد رشيد رضا، دار المنار، مصر، سنة ١٣٦٥هـ ص١٠٨، ١١٠.

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد الزرقاني، عيسى الحلبي، دار إحياء الكتب، ج١، ص ٥٦، ٥٧.

﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾[1] فهذه الرجة هي التي أسماها في سورة أخرى بالقارعة والصاخة والمعقول أن كوكباً يقرعها باصطدامه بها فتتفتت جبالها وتكون كالهباء المتفرق في الجو وهو ما يسمونه بالسديم»[2].

وأنت ترى إقحام التفسير العلمي في القرآن الكريم، وأحسب أن هذا لا يصح فهذه أمور غيبية ليس لنا أن نذكر فيها إلا ما ورد الشرع به، و«هذا ما يجب على كل مسلم أن يعتقده ويدين به، حتى يسلم له دينه، ولا يرتاب في اعتقاده، فإذا نحن ذهبنا مذهب من يحمل القرآن كل شيء، وجعلناه مصدراً لجوامع الطب، وضابط الفلك، ونظريات الهندسة، وقوانين الكيمياء، لكنا بذلك أوقعنا الشك في عقائد المسلمين، نحو القرآن، وذلك أن قواعد العلوم وما تقوم عليه من نظريات، لا قرار لها ولا بقاء، وحسبهم أن لا يكون في القرآن نص صريح يصادم حقيقة علمية ثابتة، وحسب القرآن أنه يمكن التوفيق بينه وبين ما جدّ وما يجّد من نظريات وقوانين علمية ثابتة تقوم على أساس من الحق»[3] «ثم هناك الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، حيث يعرض القرآن في كثير من آياته مسائل هي من صميم العلم التي تكشفت في هذا العصر.. ذلك الكتاب الذي لا يقف إعجازه عند عصر معين، ولا يختص بثقافة بالذات»[4] فيكون إعجاز القرآن باباً مستقلاً ثابتاً حتى تقوم الساعة وهذا يمكّن الدعاة في كل عصر بطرْق وسيلة جديدة مواكبة لما استجد من العلوم والحقائق التي سبق القرآن ببيانها قبل أربعة عشر قرنا من الزمان فتكون حجة على طالبي الحق من أهل الإنصاف.

وبمثل ذلك قالوا في أمارات الساعة «وجملة القول في حديث الجساسة أن ما فيه من العلل والاختلاف والإشكال من عدة وجوه يدل على أنه مصنوع، وكذا يقال في سائر أحاديث الدجال واحتمال كونها من الاسرائيليات أو أن الدجال

---

(١) سورة الواقعة آية ٤، ٥، ٦.

(٢) تفسير المنار، محمد رشيد، ج٨، ص ٤٧١، ٤٧٢.

(٣) التفسير والمفسرون للذهبي، ج٢، ص ٤٩٢، ٤٩٤.

(٤) الإسلام في مواجهة أعدائه، توفيق وهبة، ص ٧٤.

رمز للخرافات والدجل والقبائح التي تزول بتقرير الشريعة على وجهها والأخذ بأسرارها وحكمها»[1].

وقالوا في أحاديث طلوع الشمس من مغربها: «ولهذا فإن أبا هريرة رضي الله عنه لم يصرح في هذه الأحاديث بالسماع من النبي ﷺ فتكون مرسلة رواها عن كعب الأحبار، ولكن مجموع الروايات تثبت هذه الآية بالجملة فننظمها في سلك المتشابهات ونحمل التعارض على ما أشرنا إليه من الأسباب كالرواية عن كعب الأحبار من روايته للإسرائليات»[2]. «والنفخ في الصور في لسان الشرع قد يكون تمثيلاً وتصويراً لبعث الأموات وانبعاثهم من أرماسهم بسرعة، تحكي سرعة المجتمعين وقد هتف بهم من بوق عظيم»[3]!. فلا حقيقة عندهم لأوامر الشرع.

فهم يحملون هذه النصوص القرآنية الصريحة على بعض أحوال يوم القيامة على أنها تمثيل وتصوير لا حقيقة له، وذلك شأنهم مع القصص القرآني أيضاً، وأما في القدر فمنهم من قال بالجبر ومنهم من قال بالاختيار وهم مع هذا أصحاب حيرة واضطراب فقد مال كل منهم إلى رأي يخالف الآخر ثم قال بعضهم: «إنا نستطيع أن نذكر في هذا الموضوع كلاماً ننفي به صفة الجهل ولكننا نعلم أنه ما من حل لهذه المسألة إلا وهو قابل للنقد والرد»[4] لأنهم حكّموا العقل فيما يجب الأخذ فيه بالنقل.

والحق ما قال أهل السنة: «لقد دل القرآن وسائر كتب الله المنزلة على عموم قدرة الله تعالى ومشيئته لجميع ما في الكون من الأعيان و الأفعال، وأن العباد فاعلون لأفعالهم حقيقة وأنهم يستوجبون عليها المدح والذم»[5].

---

(١) تفسير المنار، ج٩، ص ٤٥٧، ٤٥٨.

(٢) نفس المرجع، ج٨، ص ٢١١.

(٣) تفسير جزء تبارك، عبد القادر المغربي، المطبعة الأميرية، مصر، ١٣٦٦هـ، ص ٣٦. ؛ وانظر منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، د. فهد الرومي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة. بيروت، ص ٤٨٦ -٥٢٩.

(٤) المصحف المفسر، محمد فريد وجدي، كتاب الشعب، ص ١٣٨.

(٥) شرح العقيدة الطحاوية ص، ٤٣٧.

أما المعجزات:

فقد كان لأصحاب المدرسة العقلية قبولاً ورفضاً فأثبتوا معجزة القرآن، وأنكروا سائر معجزات النبي ﷺ فقالوا: «وأما آيته - أي محمد ﷺ - التي احتج بها على كونه من عند الله تعالى وهي القرآن وأمية محمد ﷺ، فهي آية علمية تدرك بالعقل والحس والوجدان، وأما تلك العجائب الكونية، فهي مثار شبهات وتأويلات كثيرة، في روايتها وفي صحتها وفي دلالتها»[(١)] «ولم تكن معجزة النبي ﷺ القاهرة إلا في القرآن وهي معجزة عقلية»[(٢)].

واستدلوا بحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن الرسول ﷺ أنه قال: «ما من نبي من الأنبياء إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة»[(٣)].

والنبي ﷺ لم يرد نفي معجزات الأنبياء السابقين ولا ما أعطاه الله من معجزات أخر، وإنما أراد ﷺ أن معجزته لا تنقرض بانقراض زمنه ولا بموته، إنما هي خالدة بينما معجزاتهم عليهم السلام منتهية بوقتها، ولهذا يرجو أن يكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة وهذا ثابت نقلاً وشهوداً، وقد وجدت النصوص المعارضة لما ذهبوا إليه فقالوا: «وقد يعارضه - يعني الحديث السابق - آية انشقاق القمر مع ما ورد في أحاديث الصحيحين، ولكن في الأحاديث الواردة في انشقاقه عللاً في متنها وسندها، وإشكالات علمية وعقلية وتاريخية.. وأن ما تدل عليه الآيات المؤيدة بحديث الصحيحين الصريح حصر معجزة نبوته ﷺ في القرآن»[(٤)].

وقد فسروا انشقاق القمر «بظهور الحجة»[(٥)].

---

(١) تفسير المنار، محمد رشيد، ج١١، ص ١٥٥.

(٢) حياة محمد، محمد حسين هيكل، دار المعارف بمصر، سنة ١٣٩٤هـ، ط١٢، ص١٣.

(٣) سبق تخريجه ص ٢٢٠.

(٤) تفسير المنار، محمد رشيد، ج١١، ص ٣٣٣.

(٥) الوحي المحمدي، محمد رشيد، مطبعة المنار، مصر، ١٣٥٤هـ، ص ٦٩، ٧٠.

فكان ردّ الشيخ مصطفى صبري من تركيا الإسلامية حين قال: «ثم ليعلم الذين يتنازلون عن معجزات نبينا الكونية ويقصرون معجزته على القرآن إرضاء لمفكري المستشرقين وتفضيلاً لموافقتهم.. إن القرآن مهما حبب إليهم وأعجبوا به فلا يبلغ تقديرهم وإعجابهم مبلغ اعتباره معجزة تثبت بها نبوة محمدﷺ.. أما أنه كلام الله أنزل على خاتم أنبيائه ليكون له معجزة النبوة و الرسالة، فأمر خارق لسنة الكون، لن يقبله منكروا المعجزات والخوارق.

وما دام أناس من المسلمين وفيهم مؤلف ـ حياة محمد ـ ينكرون معجزاته الكونية لا لعدم استنادها إلى الروايات الصحيحة بل لكونها مخالفة لسنة الكون والعلم، فكيف ينتظر من المستشرقين أن ينظروا إلى القرآن على أنه معجزة خارقة، أعني أنه كلام الله لا كلام سيدنا محمدﷺ كما يدّعون؟ فالواجب أن يداوى أساس الداء وتقاوم حملات المنكرين»[1].

أصل الإنسان:

أخبر الله سبحانه في محكم كتابه العزيز بكيفية خلق أصل الإنسان، وتبين ذلك في صحيح السنة، واستفتح الله رابع سورة في القرآن الكريم «سورة النساء» بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾[2] وقد خلق الله آدم من تراب ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾[3].

ولكن أصحاب مدرسة العقل في تفسير القرآن بعضهم من توقف والبعض الآخر تأول فقالوا: «وجمهرة العلماء على أن المراد بالنفس الواحدة هنا آدم، وهم لم يأخذوا هذا من نص الآية بل أخذوه تسليما وهو أن آدم أبو البشر.. وقال بعضهم: أبهم الله تعالى أمر النفس التي خلق الناس منها، فلندعها على

(١) موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، مصطفى صبري، المكتبة الإسلامية لصاحبها الحاج رياض الشيخ، سنة ١٣٦٩ هـ، ج٤، ص ١١١.

(٢) سورة النساء ١.

(٣) سورة المؤمنون آية ١٢، ١٣

إبهامها فإذا ثبت ما يقوله الباحثون من أن لكل صنف من أصناف البشر أباً كان ذلك غير مخالف لكتابنا»[١].

وقالوا: «إن ظاهر الآية يأبى أن يكون المراد بالنفس الواحدة آدم سواء كان هو الأب لجميع البشر أم لا.. وليس في القرآن نص أصولي قاطع على أن جميع البشر من ذرية آدم.. وأن ثبوت ما يقوله الباحثون. من أن البشر عدة أصول ومن كون آدم ليس أباً لهم كلهم في جميع الأرض قديماً وحديثاً كل هذا لا ينافي القرآن ولا يناقضه ويمكن لمن ثبت عنده أن يكون مسلماً مؤمناً بالقرآن»[٢]. نعم إنهم فتحوا دهليزاً للطعن في الشرائع.

قال البغدادي ناقلاً وصية أحد أئمة الباطنية: «وإني أوصيكم بتشكيك الناس في القرآن والتوراة والزبور والإنجيل، وبدعوتهم إلى إبطال الشرائع وإلى إبطال المعاد والنشور من القبور، وإبطال الملائكة في السماء، وإبطال الجن في الأرض، وأوصيك بأن تدعوهم إلى القول بأنه قد كان قبل آدم بشر كثير فإن ذلك عون لك على القول بقدم العالم»[٣].

وما أصدق محمد الصادق عرجون في وصف مذهبهم، حيث قال: «إن هذا الطريق في تفسير آيات القرآن الحكيم بتسليط التأويل على كل ما يتعاصى فهمه على بعض العقول وإحالة أو استبعاد ظاهر المعنى إلى ضرب من التمثيل، هو الذي يخشى أن ينفذ منه ـ المتقرمطون ـ إلى تحريف كلام الله عن مواضعه ابتغاء فتنة الجماهير من عامة المؤمنين.. إن هذا القرآن العظيم أنزله الله تعالى بلسان عربي مبين هدى للناس ورحمة، ولم ينزله بالإشارات والرموز والإيحاءات»[٤].

---

(١) تفسير المراغي، ج٤، ص ١٧٥.
(٢) تفسير المنار، ج٤، ص ٣٢٦.
(٣) الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي، ص ٢٨٠.
(٤) نحو منهج لتفسير القرآن محمد الصادق عرجون، الدار السعودية للنشر، جدة، ١٣٩٢هـ، ص ٣٩، ٤٠.؛ وانظر منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير د. الرومي ص ٥٤٥ - ٦١٤.

بل إن المستشرقين قد وجدوا ضالتهم في الإساءة للإسلام، فكان ثناؤهم وإطراؤهم للمدرسة العقلية القديمة، فقال المستشرق جولد تسيهر: «هذه المدرسة تتطلب من الجميع النظر والتفكير النظري في معرفة الله، وتحكم على التقليد الذي لا أثر للتفكير فيه، والتزموا طريق المعتزلة، واستمروا على التوسع في استعمال طريقة التأويل، وبغير هذا كان لا يمكن الفرار من التجسيم، لأن إرادة توحيد الآراء الحنبلية والآراء الأشعرية كان طلب المستحيل. أما المعتزلة فقد أتموا إتماماً كافياً العمل الضروري في هذا الناحية - أي التأويل الموافق لمذهبهم الاعتزالي في القرآن.

أما الحديث فقد كان اهتمامهم من أجله أقل؛ إذ كان لديهم هنا الوسيلة السهلة الميسورة، وهي أن يعلنوا ببساطة عدم صحة الأحاديث التي توجد فيها تعابير شائكة، وبذلك لا يشغلون أنفسهم بعد هذا بشيء من التفسير والتأويل العقلي»[1].

قال الشهيد سيد قطب رحمه الله في ردّه على المدرسة العقلية الحديثة ورفضه توجهها، «إننا ندرك ونقدّر دوافع المدرسة العقلية إلى تضييق نطاق الخوارق والغيبيات في تفسير القرآن الكريم وأحداث التاريخ والتي تحاول أن ترد إلى الدين اعتباره على أساس أن كل ما جاء به موافق للعقل.

ولكن مواجهة ذلك من جهة أخرى تركت آثارها في تلك المدرسة من المبالغة في الاحتياط والميل إلى جعل مألوف السنن الكونية هو القاعدة الكلية لسنة الله. فشاع في تفسيرهم الرغبة الواضحة في رد الكثير من الخوارق وإلى تأويل بعضها بحيث يلائم ما يسمونه المعقول، وإلى الحذر من تقبل الغيبيات. فإننا نلاحظ عنصر المبالغة فيه، وإغفال الجانب الآخر للتصور القرآني الكامل. وهو طلاقة مشيئة الله وقدرته وراء السنن التي اختارها، التي لا تجعل العقل البشري هو الحاكم الأخير، ولا تجعل معقول هذا العقل هو مرد كل أمر بحيث

---

(١) العقيدة والشريعة، جولدتسيهر، دار الكتب الحديثة بمصر، ترجمة محمد يوسف موسى وآخرون، انظر ص ١٢٤، ١٢٥.

يتحتم تأويل ما لا يوافقه كما يتكرر هذا القول في تفسير أعلام هذه المدرسة، إن هناك قواعد مأمونة في مواجهة النصوص القرآنية، لعل هنا مكان تقريرها وهو أنه لا يجوز لنا أن نواجه النصوص القرآنية بمقررات عقلية سابقة.. بل ينبغي أن نواجه هذه النصوص لنتلقى منها مقرراتنا الإيمانية، ومنها نكّون قواعد منطلقنا وتصوراتنا جميعا؛ ذلك أن العقل الذي يراد أن يحاكم إليه مقررات القرآن عن الأحداث الكونية والتاريخية والإنسانية والغيبية هو إفراز واقعنا البشري المحدود والقرآن صادر عن الله فهو الذي يحكمنا ومقرراته هي التي نستقي منها مقرراتنا العقلية ذاتها»[1].

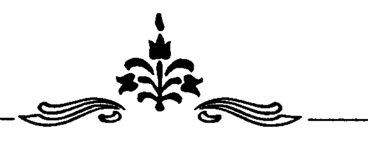
بل إن خطراً آخراً غير التأويل هو مصانعة المستشرقين ومن وراءهم فهم «يزيدون على المعتزلة بالدعوة للتقريب بين المسلمين والكفار ـ يهوداً أو نصارى ـ بتغيير المفهوم الإسلامي وإلغاء الحاجز بين الفكر الحق والفكر الضال المنحرف، وإذا ما ألغي جانب العقيدة في ميزان التفاضل فإن الكفة سترجح حتماً بنا وسيصبح الكفار هم الأفضل والأقوى، ومن ثم تكون لهم السيطرة وتكون لهم الدولة وحينئذ تكون خسارتنا للدين والدنيا...»[2]. وقد بين الله حالهم حين تكون لهم الغلبة فقال تعالى: ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾﴾[3].

---

(١) في ظلال القرآن، الشيخ سيد قطب، ج٦، ص ٣٩٧٨، ٣٩٧٩.

(٢) منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير د. الرومي، ص ٨١١.

(٣) سورة الممتحنة آية ٢.



الفصل الخامس

ضعف الدوافع والبواعث على الأعمال الصالحة نتيجة لضعف اليقين بثوابها الثابت بخبر الآحاد

وفيه:

- تمهيد
- نماذج في بيان ثواب العمل الصالح بأدلته

******



تمهيد

إن العمل الصالح الذي تزكوا به النفوس، وتطهر به القلوب،وتصفوا به الفطر، وتعمر به الحياة، وتعلو به الهمة أثر من آثار الإيمان، بل هو الإيمان، وأعظم ما يبدو فيه الإيمان الاستمساك بالوحي، لأنه المنبع الصافي الذي لم يختلط بشائبة الهوى، أو آفة الظنون.

والاستمساك بالوحي هو السر في اقتران العمل الصالح بالإيمان: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ﴾[1].

و﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾[2].

وتتمثل هذه الحياة في ولاية الله للمؤمن، وهدايته له، ونصره له، ونصره على أعدائه، وحفظه مما يبيت له، و أخذه بيده كلما عثر، أو زلت به القدم، فضلاً عما يفيضه، عليه من متاع مادي يكون عوناً له لقطع مرحلة الحياة في يسر[3].

وقد أمر الله أنبيائه تبليغ دعوته للناس بالإيمان المقتضي العمل به للنجاة من النار والفوز بالجنة، فعن الحارث الأشعري عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله سبحانه وتعالى، أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بها، ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها..

---

(١) سورة يونس آية ٩.

(٢) سورة النحل آية ٩٧

(٣) انظر العقائد الإسلامية، السيد سابق، ص ٨٢، ٨٨.

فقال: إن الله تبارك وتعالى أمرني بخمس كلمات أن أعملهن وآمركم أن تعملوا بهن، أولهن أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، وأن مثل من أشرك بالله كمثل رجل اشترى عبداً من خالص ماله بذهب أو ورق، فقال له: هذه داري، وهذا عملي فاعمل وأدّ لي. فكان يعمل ويؤدي إلى غير سيده، فأيكم يرضى أن يكون عبده كذلك؟!.

وإن الله أمركم بالصلاة، فإذا صليتم فلا تلتفتوا، فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت.

وأمركم بالصيام. فإن مثل ذلك، كمثل رجل في عصابة، معه صرة فيها مسك فكلهم يعجب أو يعجبه ريحه، وإن ريح الصائم أطيب عند الله من ريح المسك.

وأمركم بالصدقة، فإن مثلَ ذلك مثلُ رجل أسره العدو فأوثقوا يديه إلى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه، فقال أفتدي منكم بالقليل والكثير ففدى نفسه منهم.

وأمركم أن تذكروا الله تعالى فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في أثره سراعاً، حتى إذا أتى على حصن حصين، فأحرز نفسه منهم، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكره تعالى..

قال النبي ﷺ: وأنا آمركم بخمس الله أمرني بهن: السمع والطاعة، والجهاد، والهجرة، والجماعة، فإنه من فارق الجماعة قيد شبر، فقد خلع ربقة[1] الإسلام من عنقه، إلا أن يرجع، ومن ادعى دعوى الجاهلية فإنه من جثاء[2] جهنم، فقال رجل: يا رسول الله! وإن صلى وصام؟!

قال: وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم، فادعوا بدعوى الله الذي سماكم

(١) الربقة في الأصل: عروة في حبل تجعل في عنق الدابة أو بها لتمسكها، فاستعارتها للإسلام يعني ما يشد به المسلم نفسه من عرى الإسلام أي حدوده وأحكامه وأوامره ونواهيه. ومعنى مفارقة الجماعة ترك السنة واتباع البدعة. لسان العرب ج١، ص ١١٣.

(٢) جمع جثوة وهو الشيء المجموع، وفي الحديث: فلان من جثي جهنم، أي من جماعات أهل جهنم. لسان العرب، ج١٤، ص ١٣.

المسلمين المؤمنين عباد الله»[1]. قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح.

هذه الأعمال وهذا ثوابها من عند الله، وفيها نجاة العبد من النار إن أخلص لوجه الله، وفيها استقبال الصلاة من العبد، وأن الله ينظر إلى عبده بوجهه الكريم وإن صيامه معطر بالمسك، وهذا منتهى القبول والرضى من الله، وأن صدقته تقيه مصارع السوء وتطفىء غضب الله، وأن السمع والطاعة والجهاد والهجرة والجماعة شريعة محمد ﷺ وبها تقوم أحوال الأمة، ويعز الإسلام ويأمن جانب المسلم في أهله وماله وعرضه ودينه وعقله ونفسه وهي الضروريات الخمس التي حفظها الإسلام لأهله.

وبهذا فإن المسلم المطيع لله ورسوله ﷺ قد حاز ثواب الدنيا والآخرة، بما قدم في هذه الدنيا ملتزماً بشرع الله مخلصاً متبعاً «واعلم إن الشرط العام في قبول جميع أنواع الطاعات والفوز بأجرها وثوابها هو الإخلاص وكل عمل لا يصدر عن إخلاص فهو إلى الهلاك أقرب»[2].

قال الباحث: والإخلاص متضمن للإتباع فهو شرط ثان في قبول العمل.

وفي الصحيحين عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه و بينه ترجمان، فينظر أيمن منه، فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم منه، فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه،

فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة»[3].

---

(١) سنن الترمذي، كتاب الأمثال، باب ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة، ج٥، ص ١٤٨.
؛ مسند الإمام أحمد ج ٤، ص ٢٠٢.
؛ المستدرك للحاكم وقال: الحديث على شرط الأئمة صحيح محفوظ، ووافقه الذهبي ج١، ص ٣٦٢.

(٢) المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح، للحافظ عبد المؤمن بن خلف الدمياطي، دراسة وتحقيق عبد الملك بن دهيش، مطبعة النهضة الحديثة مكة المكرمة الطبعة الرابعة ١٤٨٠هـ ص ٧١٦.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب من نوقش الحساب عذب، ج١١، ص ٤٠٠.
؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، ج٧، ص ١٠١.

وعن أبي ذرﷺ قال: سألت رسول اللهﷺ: «ماذا ينجي العبد من النار؟ قال: الإيمان بالله.

قلت يا نبي الله! مع الإيمان عمل؟

قال: أن ترضخ[1] مما خوّلك الله، أو ترضخ مما رزقك الله.

قلت يا نبي الله فإن كان فقيراً لا يجد ما يرضخ؟

قال: يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. قلت: إن كان لا يستطيع أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؟.

قال: فليعن الأخرق. قلت: يا رسول الله أرأيت إن كان لا يحسن أن يصنع؟ قال: فليعن مظلوماً؟، قلت: يا رسول الله أرأيت إن كان ضعيفاً لا يستطيع أن يعين مظلوما؟

قال: ما تريد أن تترك في صاحبك من خير؟ ليمسك أذاه عن الناس.

قلت يا رسول الله! أرأيت إن فعل هذا: يدخل الجنة؟

قال: ما من مؤمن يصيب خصلة من هذه الخصال إلا أخذت بيده حتى أدخلته الجنة»[2].

ولا شك أن هذه الفضائل من الله في قبول الأعمال والثواب بالجنة ورؤية

---

(١) الرضخ: كسر النوى والدقّ وكذلك العطاء القليل اليسير ومنه الحديث: أمرت له برضخ. لسان العرب، ج٣، ص ١٩.

(٢) شعب الإيمان للبيهقي، ج٣، ص ٢٠٤.

؛ المعجم الكبير للطبراني، مكتبة العلوم والحكم، الموصل الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ، تحقيق حمدى السلفي، ج٢، ص ١٥٦.

؛ مجمع الزوائد للهيثمي، ج٣، ص ١٣٥، وقال: رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات وله طرق أخرى.

؛ ورواه البخاري في صحيحه مختصراً بلفظ مختلف: كتاب الرقاق باب أي الرقاب أفضل انظر ج٥، ص١٤٨.

الله لعباده المؤمنين في الجنة أخبار غيب لا يعلمها إلا الله أخبر بها رسول الله ﷺ وحياً من الله، فأما أهل السنة والجماعة فقد تلقوها بالقبول والرضى والاطمئنان في صحتها وحقيقتها.

وأما الفرق والطوائف الأخرى التي أصّلت أصولاً كلامية أو رافضية أو اعتزالية أو فلسفية فقد تقدم في ثنايا البحث موقفهم من السنة فمنهم الشاك والظّان الراد لها، والمبتدع لمكذوب الحديث فيها كالشيعة..

وإن موقف تلك الفرق من الإيمان قد ألقى بظلاله فردّوا أحاديث ثواب الأعمال.

فالمرجئة الذين قالوا إن الإيمان هو التصديق والاعتقاد، أو التصديق فقط، أخرجوا الأعمال من دائرة الإيمان أولاً، وأحاديث الآحاد لا تقبل عندهم في أمور العقيدة وقالوا هذه أخبار غيب لا تقبل إلا بالقطعي الدلالة والثبوت ثانياً.

وأما المعتزلة فعقيدتهم أن الإيمان يزول بارتكاب الكبيرة لان كل عمل شرط في صحة الإيمان، فهو في منزلة بين المنزلتين فلا مؤمن ولا كافر ويخلد في النار إن مات ولم يتب فلا قيمة لسائر الأعمال وثوابها عندهم إذا ارتكب كبيرة من الكبائر!.

وأما الخوارج فكالمعتزلة وصاحب الكبيرة عندهم كافر في الدنيا والآخرة.

فبذنب واحد يخرج من الملّة، وهدى الله أهل السنة والجماعة فقالوا: الإيمان قول وعمل واعتقاد يزيد وينقص ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ فأصل الإيمان باق ما ظل صاحبه يشهد بالوحدانية ولنبيه ﷺ بالرسالة.

وقد أُلّفت كتب ورسائل في بيان ثواب العمل الصالح والاستدلال على ذلك من الكتاب والسنة.. فكان منها ما ألفه الحافظ أبو محمد شرف الدين عبد المؤمن الدمياطي ت ٧٠٥هـ رحمه الله في القرن السابع الهجري، وقال في مقدمته: «وقد بوبته تبويباً، وهذبته تهذيباً، عزوت أحاديثه إلى أصولها، مبيناً صحيحها من عليلها، واعلم إنني ذكرت في هذا الكتاب كل عمل نص النبي ﷺ على ثوابه.. وسميته «المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح» ولما منّ الله بتمامه، وجاد

باختتامه، عنّ لي أن أقدم ترجمة أبوابه، تسهيلاً على طلابه»[1]. ثم ذكر أبواب العلم، أبواب الطهارة، أبواب الصلاة، أبواب صلاة التطوع، الجمعة، الجنائز، الصدقات، الصوم، الحج، الجهاد، قراءة القرآن، الذكر، البر والصلة، الأدب والزهد، وجمع فيها أحاديث الثواب فكانت قرابة ١٦٦٤ حديثاً، يُكتفى بإيراد حديثين من كل باب وهي أخبار آحاد صحيحة المتن والإسناد واعتقدتها الأمة في دينها.

ثواب العلم والعلماء وفضلهم:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة»[2].

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من يتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من يتبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً». قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[4].

---

(١) المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح عبد المؤمن الدمياطي، تحقيق عبد الملك بن دهيش، المقدمة.

(٢) سنن الترمذي، كتاب العلم، باب فضل طلب العلم، ج٥، ص ٢٨وقال حديث حسن.
؛ المستدرك للحاكم وصححه ووافقه الذهبي ج١، ص ١٦٥.

(٣) سنن الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء فيمن دعا إلى هدى فأتبع أو إلى ضلالة: قال أبو عيسى حديث حسن صحيح، ج٥، ص٤٣.
؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ج ١٦، ص ٢٢٧.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الوصية باب وصول ثواب الصدقات إلى الميت، ج١١، ص ٨٤.

ثواب الوضوء والسواك:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله قال: «إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء أو مع أخر قطر الماء، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، حتى يخرج نقياً من الذنوب»(١).

وعنه رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة»(٢).

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «السواك مطهرة للفهم مرضاة للرب»(٣).

ثواب المؤذن والصلاة:

عن عبد الرحمن بن صعصعة رضي الله عنه قال: إن أبا سعيد الخدري رضي الله عنه قال له: إني أراك تحب الغنم والبادية، فإذا كنت في غنمك وباديتك، فأذنت للصلاة فارفع صوتك بالنداء، فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جنّ ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة، قال أبو سعيد: سمعته من رسول الله ﷺ»(٤).

وعن سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «من قال حين يسمع المؤذن: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمد عبده

---

(١) نفس المصدر، كتاب الطهارة، باب خروج الخطايا مع الوضوء، ج٣، ص١٣٢.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الطهارة باب السواك ج٣، ص ١٤٢.

؛ فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب سواك الرطب واليابس للصائم، ج٤، ص ١٥٨ معلقاً.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الصيام، باب سواك الصائم، ج٤، ص ١٥٨، رواه البخاري معلقاً.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب الآذان، باب رفع الصوت بالنداء، ج٢، ص ٨٧.

ورسوله، رضيت بالله رباً وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ رسولاً. غفر الله له ذنبه»[1].

وعن عثمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم تؤت كبيرة، وكذلك الدهر كله»[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ قال: إذ قال الإمام «غير المغضوب عليهم ولا الضالين» فقولوا آمين فإنه من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه»[3].

ثواب صلاة التطوع:

عن أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنهما قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد مسلم يصلي لله تعالى في كل يوم ثنتي عشرة ركعة تطوعاً غير فريضة إلا بنى الله له بيتاً في الجنة، أوبُني له بيتاً في الجنة»[4].

وعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيراً من خير الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه، وذلك كل ليلة»[5].

ثواب صلاة الجمعة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «الصلوات الخمس والجمعة إلى

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه، ج٣، ٨٦.

(٢) نفس المصدر، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء والصلاة عقبه، ج٣، ص ١١٢.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب الآذان باب جهر المأموم بالتأمين، ج٢، ص ٢٦٦.

؛ صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الصلاة، باب التسميع والتحميد والتأمين، ج٤، ١٢٨.

(٤) نفس المصدر، كتاب الصلاة، باب فضل السنن الراتبة، ج٦، ص ٦.

(٥) نفس المصدر، كتاب الصلاة، باب صلاة الليل مثنى مثني، ج٦، ص٣٤.

الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر»[1].

وعن سلمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من الطهر ويدهن من دهنه ويمسّ من طيب بيته ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين ثم يصلي ما كتب له، ثم ينصت إذا تكلم الإمام إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى»[2].

ثواب من شهد ميتاً حتى يصلى عليه أو يدفن:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من شهد الجنازة حتى يُصلّى عليها فله قيراط[3] ومن شهدها حتى تدفن فله قيراطان قيل وما القيراطان؟ قال: مثل الجبلين العظيمين»[4].

ثواب من مات بالطاعون والمبطون والغريق وصاحب الهدم:

وعنه رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما تعدون الشهداء فيكم؟ قالوا: يا رسول الله من قتل في سبيل الله فهو شهيد. قال: إن شهداء أمتي إذاً لقليل. قالوا: فمن يا رسول الله؟ قال الشهداء خمسة المطعون والمبطون والغريق وصاحب الهدم والشهيد في سبيل الله»[5].

ثواب من مات له ثلاثة أولاد لم يبلغوا:

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الطهارة باب فضل الوضوء والصلاة عقبه، ج٣، ص ١١٧.
(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب الدهن يوم الجمعة، ج٢، ص ٣٧٠.
(٣) القيراط: من الوزن جزء من الدينار، وأما القيراط الذي في الحديث في تشييع الجنازة فإنه مثل جبل أحد. لسان العرب، ج٧، ص ٣٧٥.
(٤) نفس المصدر، كتاب الجائز، باب من انتظر حتى تدفن، ج٣، ص ١٩٦.
؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الجنائز، باب فضل الصلاة على الجنازة وإتباعها، ج٧، ص١٣.
(٥) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الأمارة باب بيان الشهداء، ج١٣، ص ٦٢.
؛ فتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب الجهاد، باب الشهداء سبع سوى القتل، ج٦، ص ٤٣، مختصراً.

الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم» قال أبو عبد الله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾[1]، [2].

ثواب أداء الزكاة:

عن أبي هريرةرضي الله عنه: أن أعرابياً أتى النبيﷺ، فقال: «يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة؟ قال: تعبد الله لا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤتي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان، قال: والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا. فلما ولّى قال النبيﷺ: من سرّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا»[3].

وعنهرضي الله عنه قال: سمعت رسول اللهﷺ يقول: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله؛ الإمام العادل. وشاب نشأ في عبادة الله عز وجل، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه، ورجل دعته أمراة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله عز وجل، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه»[4].

---

(١) سورة مريم ٧١. قال الخطابي: معناه لا يدخل النار ليعاقب بها ولكنه يدخلها مجتازاً ولا يكون ذلك الجواز إلا قدر ما يحلل به الرجل يمينه. وقال ابن حجر: ووجهه أن المار عليها فوق الصراط في معنى من دخلها، لكن تختلف أحوال المارة باختلاف أعمالهم فأعلاهم درجة من يمر كلمع البرق. والدليل قوله تعالى في آخر الآية ثم ننجي الذين آمنوا فتح الباري ج٣، ص ١٢٣، ١٢٤.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب فضل من مات له ولد فاحتسب، ج٣، ص ١١٨.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الزكاة باب وجوب الزكاة، ج٣، ص ٢٦١.
؛ صحيح مسلم بشرة النووي، كتاب الإيمان، باب الإيمان الذي يدخل الجنة، ج١، ص ١٧٢.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الزكاة باب فضل إخفاء الصدقة، ج٧، ص ١٢٠.

ثواب الصوم:

عن أبي هريرةﷺ قال: قال رسول اللهﷺ: «إذا كان أول يوم في رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب وينادي منادٍ يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة»[1].

وعن أبي قتادةﷺ قال: سئل رسول اللهﷺ عن صيام يوم عرفة قال: «يكفر السنة الماضية والباقية، وزاد الترمذي: أنه قال: صيام يوم عرفة إني احتسب على الله أن يكفر السنة التي بعده والسنة التي قبله»[2].

ثواب الحج:

عن أبي هريرةﷺ قال: سمعت رسول اللهﷺ يقول: «من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه»[3].

وعنهﷺ قال: قال رسول اللهﷺ: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»[4].

---

(١) نفس المصدر كتاب الصيام، فضل رمضان، ج٧، ص ١٨٧
؛ فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتبا الصيام، باب هل يقال رمضان أو شهر رمضان، ج٤، ص ١١٢.
؛ سنن الترمذي كتاب الصوم، باب ما جاء في فضل شهر رمضان، ج٣، ص ٥٧ واللفظ له.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الصيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيمام من كل شهر ويوم عرفة وعاشوراء، ج٨، ص ٥٠.
؛ سنن الترمذي كتاب الصيام باب ما جاء في فضل صوم عرفة، ج٣، ص ١١٥. وقال أبو عيسى حديث أبي قتادة حديث حسن وقد استحب أهل العلم صيام يوم عرفة إلا بعرفة.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور، ج٣، ص ٣٨٢.
؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الحج باب فضل الحج والعمرة، ج٩، ص ١١٩.
وقال النووي: «.. الرفث كلمة جامعة لكل ما يريده الرجل من المرأة وأما الفسوق فهو المعصية» ج٩، ص ١١٩.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب العمرة باب وجوب العمرة وفضلها، ج٣، ص ٥٩٧.
؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الحج، باب فضل الحج والعمرة، ج٩، ص ١١٧.

ثواب الغدوة في سبيل الله تعالى والروحة:

عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها»[1].

والروحة هي المرة الواحدة من المجيء والغدوة المرة الواحدة من الذهاب[2].

وعن عروة بن الجعد رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «الخيل معقود في نواصيها الخير الأجر والمغنم إلى يوم القيامة»[3].

ثواب من تعلم القرآن أو علمه:

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه»[4].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده»[5].

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب الجهاد، باب فضل رباط يوم في سبيل الله، ج٦، ص ٨٥.
؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الجهاد، باب فضل الغدوة والروحة في سبيل الله، ج١٣، ص ١٦.

(٢) المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح، الدمياطي تحقيق، بن دهيش، ص ٣٢٩.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة، ج٦، ص ٥٤.
؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الجهاد، باب فضيلة الخيل وأن الخير بنواصيها، ج١٣، ص ١٧.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن، ج٦، ص ٩٠.

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن والذكر، ج١٧، ص ٢٢.

ثواب ذكر الله سبحانه:

عن أبي هريرةﷺ قال: «كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة فمر على جبل يقال له: جُمدان، فقال: سيروا هذا جمدان سبق المفرِّدون قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: الذاكرون الله كثيراً والذاكرات»[1].

وعن أبي هريرةﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك»[2].

ثواب صلة الرحم والبر:

عن عائشةﷺ عن النبي ﷺ قال: «الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله»[3].

وعن سهل بن سعدﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى وفرّجَ بينهما»[4].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، ج١٧، ص ١٨.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب بدء الخلق باب صفة إبليس وجنوده، ج٦، ص ٣٣٨.

؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الدعاء بالله آتنا في الدنيا حسنة، ج١٧، ص ١٦.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، ج١٦، ص ١١٣.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الطلاق، باب اللعان، ج٩، ص ٤٣٩.

؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الزهد باب فضل الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم، ج١٨، ص١١٣.

ثواب من قضى حوائج إخوانه المسلمين:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر على مسلم في الدنيا ستر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»(١).

ثواب من عاد مريضاً:

عن ثوبان رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم لم يزل في خرفة الجنة حتى يرجع قيل يا رسول الله وما خرفة الجنة قال: جناها»(٢).

ثواب حسن الخلق:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن من أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله»(٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ للأشج(٤): «إن فيك خصلتين يحبهما الله تعالى الحلم والأناة»(٥).

---

(١) نفس المصدر كتاب البر والصلة، باب بشارة من ستر على مسلم في الدنيا ستر الله عليه في الآخرة، ج١٦، ص ١٤٣.
سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الستر على المسلم، ج٤، ص ٣٢٦.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل عيادة المريض، ج١٦، ص ١٢٥.

(٣) سنن الترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في استكمال الإيمان وزيادته ونقصانه، ج٥، ص ٩. قال أبو عيسى: هذا حديث صحيح.
؛ مسند الإمام أحمد، ج٦، ص ٤٧، ٩٩.

(٤) الأشج هو المنذر بن عائذ من بني عبد القيس، كان سيدهم وابن سادتهم مقدم وفدهم إلى النبي ﷺ. شرح النووي ج١، ص ١٨٩.

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب مبايعة وفد عبد القيس للنبي ﷺ، ج١، ص ١٨٩.

ثواب صالح الأعمال:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى أواهم المبيت إلى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم، قال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً فنأى بي طلب شجر يوماً فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت أن أغبق قبلهما أهلاً أو مالاً فلبثت والقدح على يدي انتظر استيقاظهما حتى برق الفجر فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شياً لا يستطيعون الخروج. قال النبي ﷺ: قال الآخر: اللهم كانت لي ابنة عم كانت أحب الناس إليّ فأردتها على نفسها وامتنعت مني حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت حتى إذا قدرت عليها، قالت: لا أحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه فتحرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها، وهي أحب الناس إليّ وتركت الذهب الذي أعطيتها. اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها، قال النبي ﷺ: وقال الثالث: اللهم استأجرت أجراء وأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب، فثمّرت أجره حتى كثرت منه الأموال فجاءني بعد حين فقال: يا عبد الله أدّ إلي أجري، فقلت: كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق، فقال: يا عبد الله لا تستهزئ بي، فقلت: إني لا استهزئ بك فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئاً، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة فخرجوا، يمشون»[1].

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الإجارة، باب من استأجر أجيراً فترك أجره،ج٤، ص ٤٤٩.

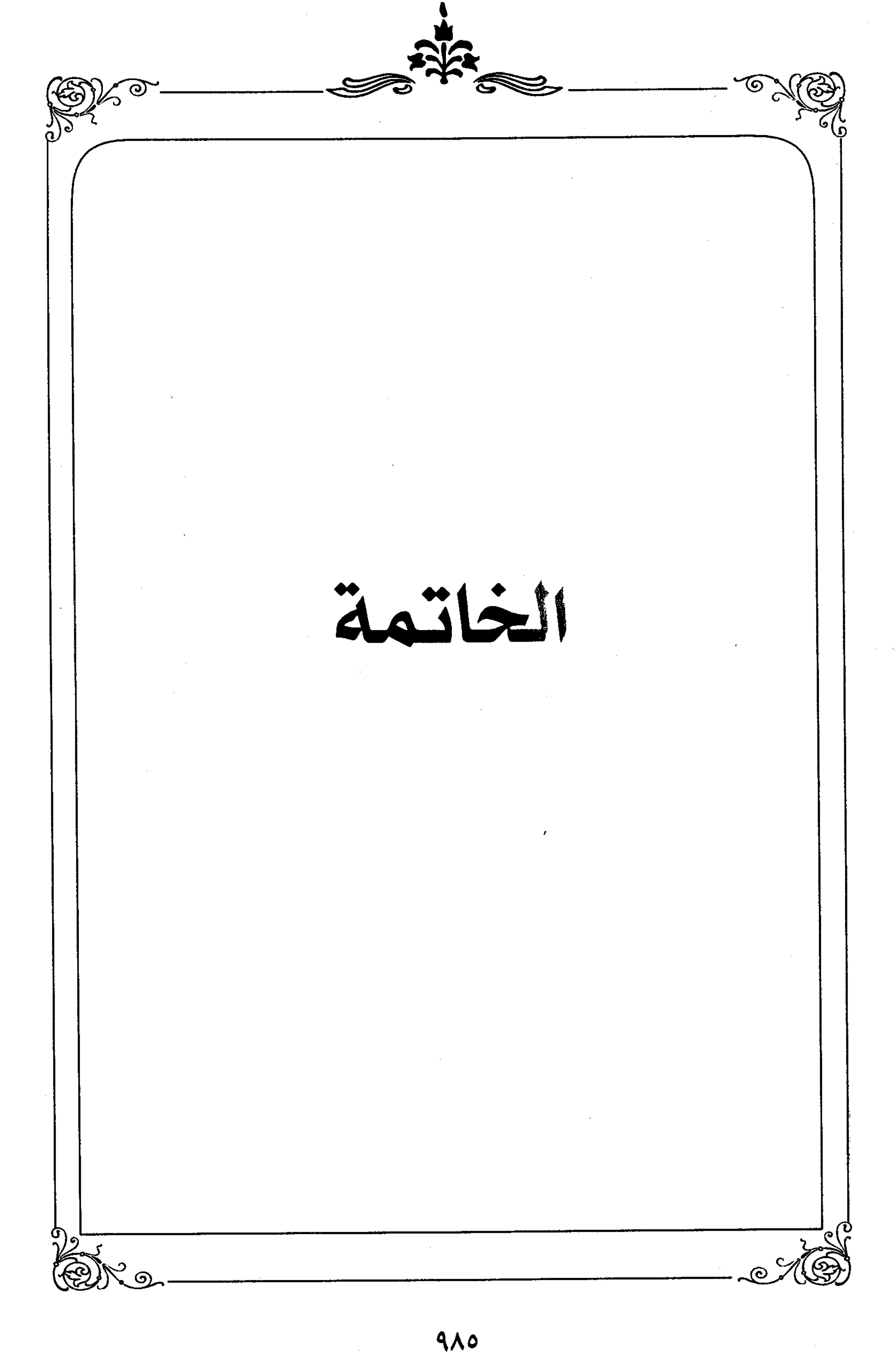
؛ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الذكر والدعاء، باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال، ج١٧، ص ٥٥.

إن هذا الثواب لا ندركه إلا بأخبار الآحاد الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتلك أخبار غيب أعلمه الله تعالى بوحيه إليه ﷺ، فتلقتها أمته بالقبول طمعاً في الثواب في دار الآخرة، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة وإيمانهم بما جاء عن الله تعالى وعن رسول الله ﷺ فهما مصدرا التلقي عندهم بضابط مفهوم السلف رحمهم الله تعالى.

وقد ضلت تلك الفرق المخالفة لقولهم بعدم الاحتجاج بأخبار الآحاد في العقيدة فتخبطوا في إثبات هذا الثواب من الله وزاغت أبصارهم عن الحق فمنهم من قال بالإرجاء وهم الأشاعرة والماتريدية وأصحابهم ومنهم من قال بتكفير مرتكب الكبيرة كالخوارج والمنزلة بين المنزلتين في الدنيا وتكفيره إن مات على ذلك وهم المعتزلة أما أصحاب الذوق والكشف وهم الصوفية وطبقة الخاصة وخاصة الخاصة فإنهم أصحاب الفناء في توحيد الربوبية جفاة السنة الصحيحة وقد تبعتهم فرق أخرى وهو ضلال أدركه من عاد منهم في آخر العمر والتجربة.

والحمد لله الذي هدى أهل السنة والجماعة للحق

وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله سبحانه وتعالى.



الخاتمة



الخاتمة

وفي أثناء دراسة هذا الموضوع فإن البحث ينتهي إلى النتائج الآتية:

أولاً: إن المتواتر الذي يدندن حوله المتكلمون عزيز الوجود وخاصة في مسائل العقيدة مع قولهم إن يكون قطعي الدلالة.

ثانياً: إن تسليط القول بظنّية النصوص من الكتاب والسنة إنما ذلك من تخرصات وأوهام المتكلمين، ذلك أن الظن الذي نهى الله عنه منصب على أمر الجاهلية وظنهم السيئ بخالقهم فيشركون معه غيره، أو خطاب جاء لتربية الأمة في عدم الظنّ بالآخرين..

ثالثاً: إن الاعتصام بحبل الله المتين وسنة سيد المرسلين ﷺ من أعظم العوامل في انتصار الأمة واكتساب العزة والخيرية التي وعد الله بها عباده المؤمنين.

رابعاً: إن الإسهام في الرد على أصحاب فرق الابتداع متعين على آحاد طلبة العلم في كل عصر ومصر.

خامساً: إن هناك من يدعي التوفيق بين العقل والنقل بالإعراض عن الصحيح الثابت ويجنح إلى التأويل في آيات الله وأحكامه أو التفويض مدعياً أن الرسالة جاءت بما لا يفهم ولا يدرك!؟ والذي عليه أهل الحق أن النقل الصحيح لا يتعارض مع العقل الصريح فالحمد لله على ذلك.

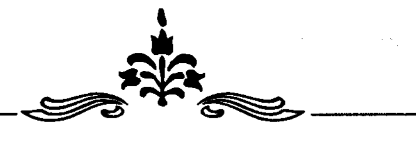
سادساً: إن مذهب الإرجاء قد أصاب الأمة بالهوان والبعد عن نصرة الحق، نتج عنه مشاهد ومزارات أقيمت وقبور أولياء وصالحين شيدت وعظّمت، فأصبحت الأمة في غالبها فرقاً وأصحاب أهواء وطرق إلا ما شاء الله، فكان ذلك ناتج الابتعاد عن منهج أهل السنة والجماعة.

سابعاً: إن قول المبتدعة إن خبر الآحاد لا تقوم به الحجة ولا تستبين به المحجة قول لم يعرف وجادة لم تطرق في زمن السلف والقرون المفضلة، بل ولا عند أهل السنة والجماعة وإلى الأبد بإذن الله.

ثامناً: إن الاعتصام بالصحيح من خبر الآحاد يمنع من الضلال والشبهات وإنه يتضمن التسليم بما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم المبلغ عن الله الذي أمره بالبيان والتبليغ والتذكير وإقامة الحجة والبرهان، بل إنه التصديق برسالة محمد صلى الله عليه وسلم والعكس ثم إن التسليم بجميع هذا فيه تحقيق شهادة أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم وبهذا تقوم الحجة وتتضح المحجة.

تاسعاً: ونظراً لأهمية نتائج عدم الاحتجاج بخبر الآحاد فقد أُفرد بابٌ من أبواب البحث لعرض تلك النتائج وتأثير ذلك على المسائل الشرعية المتعلقة بحياة الأمة ودينها.

اللهم اجعل خير أعمالنا خواتيمها وخير أيامنا يوم نلقاك فاللهم ثبت قلوبنا على دينك، وﷺ على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين وعلى من اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.



الفهارس

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث والآثار.
- فهرس الأعلام.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

* * * * * *

فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقم الآية	السورة	رقم الصفحة
قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾	٨٠، ٨١	البقرة	٦٨٧
قال تعالى: ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ﴾	٥٨	البقرة	٧٠٠
قال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾﴾	٢١٠	البقرة	٢٨٤
قال تعالى: ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾	٦١	البقرة	٥٦٥
قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾	١٩٥	البقرة	٢٨٦
قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ﴾	٣٠	البقرة	٢٠٣
قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾	١٥٩	البقرة	٥٦١
قال تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾	٦١	البقرة	٢٨٦
قال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾	٥	البقرة	٢٠٦
قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾	٢٥٥	البقرة	٦٧٢
قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾	٤٨	البقرة	٦٧٩
قال تعالى: ﴿۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾	٢٥٣	البقرة	٣١٩، ٣٤٩، ٣٨٦

الآية	رقم الآية	السورة	رقم الصفحة
قال تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ (١٣٦) فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾	١٣٦، ١٣٧	البقرة	٣٢٠، ٣٥٠، ٤٠٨
قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾	٢٢٢	البقرة	٤٠٨
قال تعالى: ﴿قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾	٩٧	البقرة	٤٥٨
قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ (٢٨٥)﴾	٢٨٥	البقرة	٣٥٠
قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ (٨٩) بِئۡسَمَا ٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ أَن يَكۡفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغۡيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٖۚ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾	٨٩، ٩٠	البقرة	٥٤٧، ٥٥٦
قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ (١٢٨) رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾	١٢٨، ١٢٩	البقرة	٥٤٨
قال تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾	١٣٢	البقرة	٣٥٤
قال تعالى: ﴿قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ (٩٧)﴾	٩٧	البقرة	٣٦٣
قال تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ﴾	١٢٥	البقرة	٣٦٤
قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ (٣٧)﴾	٣٧	البقرة	٣٦٦
قال تعالى: وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ (٢٥٠) فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾	٢٥٠، ٢٥١	البقرة	٣١٥

الآية	رقم الآية	السورة	رقم الصفحة
قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾	١١٠	آل عمران	١٨٥
قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ﴾	٥٥	آل عمرن	٦١٥
قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٧١)﴾	٧١	آل عمران	٥٦١
قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۗ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٩)﴾	١٩	آل عمران	٥٠٦، ٥٦٤
قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾	١٦٦	آل عمران	٣٠٧
قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ ۚ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۖ قَالُوا أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ (٨١)﴾	٨١	آل عمران	٥٤٥
قال تعالى: ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾	٤٢	آل عمران	٣٨٣
قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٨٥)﴾	٨٥	آل عمران	٣٩٢
قال تعالى: ﴿۞ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾	٣٣	آل عمران	٣٥١
قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ (١٦٦)﴾	١٦٦	آل عمران	٣٢٠
قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾	٩٧	آل عمران	٣٤٠، ٤٩٥
قال تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ (٦١)﴾	٦١	آل عمران	١١٥
قال تعالى: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾	١٩١	آل عمران	٩٥٣

الآية	رقم الآية	السورة	رقم الصفحة
قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾	١٧٤	النساء	٤٣٩
قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾	١٥٠، ١٥١	النساء	٣٥٠
قال تعالى: ﴿۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾	١٦٣، ١٦٤	النساء	٦٧، ٣٤٧، ٣٥٢، ٣٦٦، ٣٧٤، ٣٨٦
قال تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾	١٦٤	النساء	٢٦٠، ٣٤٧
قال تعالى: وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾	١٥٩	النساء	٥٦٣
قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾	١٥٧، ١٥٨	النساء	٦١٥
قال تعالى: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾	١٥٦ ـ ١٥٨	النساء	٣٥٨
قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾	١٦٣ ـ ١٦٤	النساء	٣٤٧
قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾	٥٨	النساء	٢٩٩
قال تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾﴾	٧٩	النساء	٣٠٥

الآية	رقم الآية	السورة	رقم الصفحة
قال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾	١٢١	الأنعام	٣٧٤
قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ (٨) وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾	٨، ٩	الأنعام	٣٧٩
قال تعالى: ﴿الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (١٣٠)﴾	١٣٠	الأنعام	٣٨٠
قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٨٣) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٤) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ (٨٥) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾	٨٣ ـ ٨٦	الأنعام	٣٥١
قال تعالى: ﴿قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾	١٢٤	الأنعام	٣٠٠، ٣٥٥
قال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾	١٢٥	الأنعام	٣١٠
قال تعالى: ﴿مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾	٣٩	الأنعام	٣١١
قال تعالى: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾	١٤٨	الأنعام	١٤٨، ٣١٩
قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾	١٥٣	الأنعام	٢٠٩، ٨٧٧
قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (١٥٩)﴾	١٥٩	الأنعام	٩١٥
قال تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٠٣)﴾	١٠٣	الأنعام	٥٠٨

الآية	رقم الآية	السورة	رقم الصفحة
قال تعالى: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾	١٥٨	الأنعام	٥٩١
قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾	٩٣	الأنعام	٦٤٧
قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾	١٧٢، ١٧٣	الأعراف	٩٢٢
قال تعالى: ﴿وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾	٤٣	الأعراف	٦٨٥
قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾	٥٤	الأعراف	٢٧٧، ٩١٥
قال تعالى: ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِى﴾	١٤٣	الأعراف	١٦٧، ٢٥١
قال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾	٥٦	الأعراف	٢٨٦
قال تعالى: ﴿قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾﴾	٢٤	الأعراف	٥٧٣
قال تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾	٢٣	الأعراف	٤٣٧
إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾	٢٧	الأعراف	٥٢٨
قال تعالى: ﴿۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾﴾	٦٥	الأعراف	٣٥١
قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾	١٧٩	الأعراف	٣٠٤
قال تعالى: ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾	١٥٦	الأعراف	٥٤٩
قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾	١٨٠	الأعراف	٢٣١

الآية	رقم الآية	السورة	رقم الصفحة
قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾	٧٩	الإسراء	٦٧٢
قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ٩٠ أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا ٩١ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ٩٢ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا﴾	٩٠ - ٩٣	الإسراء	٤٤٩
قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ٨٨﴾	٨٨	الإسراء	٢٦٢، ٤٤٩، ٤٥٥
قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ﴾	١٠١	الإسراء	٤٥٣
قال تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾	١	الإسراء	٤٧٥، ٤٩٥
قال تعالى: ﴿وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ﴾	٩٧	الإسراء	٣١٥
قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ١١٠﴾	١١٠	الإسراء	٢٣١
قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ﴾	٦٠	الإسراء	٤٨٧
قال تعالى: ﴿أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ٩﴾	٩	الكهف	٥٦٢
قال تعالى: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلۡقَرۡنَيۡنِۖ قُلۡ سَأَتۡلُواْ عَلَيۡكُم مِّنۡهُ ذِكۡرًا ٨٣﴾	٨٣	الكهف	٥٦٢
قال تعالى: ﴿وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا﴾	٨٢	الكهف	٥٤٢
قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا ٩٣ قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا﴾	٩٣، ٩٤	الكهف	٦٣١
قال تعالى: ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾	٤٩	الكهف	٦٨٢

الآية	رقم الآية	السورة	رقم الصفحة
قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾	١٠٩	الكهف	٢٢٦
قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا﴾	١١٠	الكهف	٣٧٥
قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾	١٠٩	الكهف	٤٥٦
قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾﴾	٧٦	الكهف	٧٨٧
قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾	٣٩	مريم	٧١١
قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾	٧١، ٧٢	مريم	٦٦٧
قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾	١٧	مريم	٣٨٢
قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾	٥	طه	٩٢، ٢٦٠، ٢٧٤، ٢٨٠
قال تعالى: ﴿يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾	١١٠	طه	٩٢
قال تعالى: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾﴾	٤١	طه	٢٩٢
قال تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾	٣٩	طه	٢٩٧، ٢٩٩
قال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾	١٢٣	طه	٤٠٨
قال تعالى: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾	٥٢	طه	٣٠٩
قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾	١١٠	طه	٢٨١
قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾	٨	طه	٢٣١
قال تعالى: ﴿فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾	١٢	طه	٢٦٥
قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾	١١٤	طه	٢٠١
قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ﴾	٢٥	الأنبياء	١٩٤
قال تعالى: وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾	١٠٥	الأنبياء	٥٤٩

الآية	رقم الآية	السورة	رقم الصفحة
قال تعالى: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾	٨٥	الأنبياء	٣٥١
قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾﴾	٣٤	الأنبياء	٥٤٤
قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾	٩٦، ٩٧	الأنبياء	٦٣١
قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾	٤٧	الأنبياء	٦٩٢
قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾	٢٨	الأنبياء	٦٧٢
قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾﴾	٧	الأنبياء	٣٧٥
قال تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾	٨٧	الأنبياء	٧٩٣
قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾	٦٨، ٦٩	الأنبياء	٤٥٣
قال تعالى: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾	٨٥	الأنبياء	٣٧١
قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾	٢٢	الأنبياء	٢٢٣
قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾	٢	الحج	٦٣١
قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾	٤٦	الحج	٧٦٩
قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾	٧٠	الحج	٣١٠
قال تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾	٣١	الحج	٨٢٣

الآية	رقم الآية	السورة	رقم الصفحة
قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾	٢١٤	الشعراء	٥٣٢
قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾	١٩٢ - ١٩٥	الشعراء	٣٦٣، ٤٥٨
قال تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً﴾	٨٢	النمل	٨١٣
قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾﴾	٢٠	القصص	١٢٧
قال تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾	٨٨	القصص	٢٨٩
قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾	٦٨	القصص	٤٢٠
قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾	٧	القصص	٣٦٦، ٣٨٢
قال تعالى: ﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ﴾	٣٢	القصص	٤٣٩، ٤٤١
قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	٣٠	القصص	٤٦٣
قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ﴾	٥٢، ٥٣	القصص	٥٤٧
قال تعالى: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾	٢٥	القصص	١٢٧
قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾	٢٢	العنكبوت	٤٤٠
قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ﴾	٤٥	العنكبوت	٥١٥
قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾﴾	٥٥	الروم	٥٩٠
قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾	٣٠	الروم	٢٠٩، ٧١١

الآية	رقم الآية	السورة	رقم الصفحة
قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾	٢٥	لقمان	٢١٤
قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ۖ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾	١٧، ١٨، ١٩، ٢٠	السجدة	٢٩٥، ٣٢٤، ٣٢٦، ٥٨٢
قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾	٦٤، ٦٥	الأحزاب	٦٨٣
قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾	٤٥، ٤٦	الأحزاب	٨٠٧
قال تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾	٤٤	الأحزاب	٧٦٩
قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا ۚ وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾	٦٩	الأحزاب	٣٧٦
قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾﴾	٧	الأحزاب	٣٤٩
قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾	٤٠	الأحزاب	٣٥١، ٣٨٩، ٤٠٦
قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾	٧، ٨	الأحزاب	٣٨٧
قال تعالى: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾	٣٧	الأحزاب	٤٠٨
قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾﴾	٤٥	الأحزاب	٥٥٧
قال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾	٣٨	الأحزاب	٣٠٧

الآية	رقم الآية	السورة	رقم الصفحة
قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾	٣٦	الأحزاب	١٩٦
قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾	٣٣	الأحزاب	٩٥١
قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾	٢١	الأحزاب	٥٠٤
قال تعالى: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾﴾	٥٠	سبأ	١٩٣
قال تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾	٢٣	سبأ	٦٧٩
قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾	٢٨	سبأ	٣٨٨، ٤٤٢
قال تعالى: ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ﴾	١٢	سبأ	٤٩٠
قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ﴾	٣٨	سبأ	٤٤٢
قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾	٣٩	سبأ	٥١٨
قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾	١٠	فاطر	٩٢، ٢٨٠
قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾	٤٤	فاطر	٢٦٠
قال تعالى: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ﴾	٢٩	يس	٥٩٠
قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾	٨٠	يس	٥٨٠
قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ ۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾﴾	٥٢	يس	٦٦٧
قال تعالى: ﴿فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾	٢٣	الصافات	٦٦٦
قال تعالى: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾﴾	٩٥	الصافات	٣١٣
قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾	٩٦	الصافات	٣١٧
قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾	١٧١، ١٧٢، ١٧٣	الصافات	١٤٢

الآية	رقم الآية	السورة	رقم الصفحة
قال تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾﴾	٥٦	الدخان	٦٨٥
قال تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ۖ هَـٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾	١٠، ١١	الدخان	٦٠٨
قال تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾﴾	١٠	الدخان	٨١٢
قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾	٢٤	الجاثية	٥٧١
قال تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾﴾	٩	الأحقاف	٨٠
قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾	٢٩،٣٠	الأحقاف	٣٨٠
قال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾	١٩	محمد	١٠٤
قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾﴾	١٨	محمد	٥٨٩
قال تعالى: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾﴾	٥	محمد	٦٦٦
قال تعالى: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾	٢٣	الفتح	٥٦
قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾	٢٩	الفتح	٥٥٠
قال تعالى: ﴿۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَـٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾	١٨	الفتح	٢٨٦
قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾	٩	الحجرات	٦١
قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٦﴾﴾	٦	الحجرات	٦٢، ١٥٥

الآية	رقم الآية	السورة	رقم الصفحة
قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾	١٢	الحجرات	١١٠
قال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾	٣١، ٣٢	ق	٦٨٠
قال تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾	٣٥	ق	٢٥٦، ٧٦٩
قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾	٥٦، ٥٧، ٥٨	الذاريات	٢٠٣، ٤٧٣
قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾	٥٦	الذاريات	٥١٢
قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾﴾	٤٨	الطور	٢٩٧، ٢٩٩
قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾	٣، ٤	النجم	٥٩، ٨٠
قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾	٢٨	النجم	٩١٢
قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾﴾	١٩	النجم	١٠٧
قال تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾	٢٨	النجم	١٠٧
قال تعالى: وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾	١٣	النجم	٥٠٨
قال تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾	١٠	النجم	٣٧١
قال تعالى: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾﴾	٢٣	النجم	١٨٧
قال تعالى: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾	٢٨	النجم	١١٢
قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾	١٣ - ١٨	النجم	٤٧٧
قال تعالى: ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾﴾	٧	النجم	٤٩٤
قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾	١٣	النجم	٥٢١
قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾	٤٩	القمر	٨١١

الآية	رقم الآية	السورة	رقم الصفحة
قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢)﴾	٢١، ٢٢	الفجر	٢٨٤
قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (٩) وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ (١٠)﴾	٨ ـ ١٠	البلد	٥٧٤
قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ (٦) فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ (٧) وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ (٨) وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ (٩) فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ (١٠)﴾	٥ ـ ١٠	الليل	٣١١
قال تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ (٥)﴾	٥	الضحى	٥٦٧
قال تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ (١) وَطُورِ سِينِينَ (٢) وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ (٣)﴾	١ ـ ٣	التين	٥٤٨
قال تعالى: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا (٥)﴾	٥	الزلزلة	٣٦٦
قال تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ (٢)﴾	١، ٢	المسد	٥٣٣
قال تعالى ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ (١) ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ (٢)﴾	١، ٢	الإخلاص	٢٤٦

فهرس الآحاديث والآثار

فهرس الأعلام

فهرس المصادر والمراجع

٢ القرآن الكريم

٣ الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١٤٠٧هـ

٤ إثبات صفات العلو لابن قدامة المقدسي، تحقيق د. أحمد عطيه موسوعة علوم القران بيروت ١٤٠٩

٥ أثر التطور الفكري في التفسير في العصر العباسي د. مساعد مسلم مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٥هـ

٦ إجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية لابن القيم تحقيق فواز زمرلي، دار الكتاب العربي ١٤٠٨هـ

٧ أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها [التبشير ـ الاستشراق ـ الاستعمار] د. عبدالرحمن الميداني، دار القلم، دمشق ١٤٠٥هـ

٨ الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم الظاهري، تحقيق محمود عثمان، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٩هـ

٩ الأحكام للآمدي، مؤسسة الحلبي، القاهرة، دار الاتحاد للطباعة ١٣٨٧هـ

١٠ أخبار الآحاد في الحديث النبوي، د. عبد الله الجبرين، دار عالم الفوائد مكة

١١ الأدلة والشواهد على وجوب الأخذ بخبر الواحد في الأحكام والعقائد، سليم الهلالي، شركة المطابع النموذجية، ١٤٠٧هـ

١٢ إرشاد الفحول للإمام الشوكاني، تحقيق محمد البدري، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ط١٤، ١٤١٤هـ

١٣ الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك، د. صالح بن فوزان الفوزان، البحوث العلمية، الرياض ١٤١٠هـ

١٤ أركان الإيمان، وهبي سليمان غاوجي الألباني، مؤسسة الرسالة ط٣، بيروت، ١٤٠٤هـ

١٥ أساس التقديس لفخر الدين الرازي، مطبعة كردستان العلمية ١٣٢٨هـ

١٦ الاستدلال بالظني في العقيدة، فتحي سليم، دار البيارق، بيروت ط٢، ١٤١٤هـ

١٧ الاستقامة لابن تيمية ـ تحقيق د. محمد رشاد سالم، مكتبة السنة القاهرة ط٢، ١٤٠٩هـ

١٨ الإسلام عقيدة وشريعة، محمود شلتوت، دار الشروق، القاهرة ط١٧، ١٤١٧هـ

١٩ الإسلام في مواجهة أعدائه، توفيق علي وهبة، دار اللواء، الرياض ١٤٠٣هـ

٢٠ أسماء الله الحسنى، عبد الله الغصن، دار الوطن ـ الرياض ١٤١٧هـ

٢١ الأسماء والصفات للبيهقي، تحقيق عماد الدين حيدر، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٥هـ

٢٢ أشراط الساعة، يوسف الوابل دار ابن الجوزي الخبرط١٤ ١٤٢١هـ

٢٣ الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، تحقيق علي البجاوي، دار الجيل، بيروت ١٤١٢هـ

٢٤ أصل اعتقاد أهل السنة والجماعة للألكائي، تحقيق د. أحمد سعد حمدان، طيبة للنشر، الرياض١٤٠٩هـ

٢٥ أصل الاعتقاد د. عمر الأشقر، دار النفائس، الكويت ١٤١٠هـ

٢٦ أصل الشيعة وأصولها، محمد كاشف الغطا، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت

٢٧ أصول الدين، عبدالقاهر البغدادي، مدرسة الإلهيات بإسطنبول ١٣٤٦هـ

٢٨ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقران، للشيخ محمد الشنقيطي، عالم الكتب، بيروت

٢٩ الاعتصام للشاطبي، تحقيق سليم الهلالي، دار ابن عفان، الخبر، ١٤١٢هـ

٣٠ الإعتقاد للإمام البيهقي، تحقيق أحمد عصام، دار الأوقاف الجديدة، بيروت

٣١ الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد للبيهقي صححه كمال الحوت، عالم الكتب، ١٤٠٣هـ

٣٢ إعجاز القرآن للباقلاني، تقديم سيد صقر، دار المعارف بمصر

٣٣ الأعلام ـ خير الدين الزركلي، دار العلم بيروت ط٦، ١٤٠٤هـ .

٣٤ أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة المنصورة، الشيخ حافظ الحكمي، تحقيق أحمد مدخلي، دارالرشد، الرياض ١٤١٨هـ

٣٥ أعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم، دار الجيل بيروت .

٣٦ إغاثة اللهفان في الصد من مكائد الشيطان لابن القيم، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الفكر

٣٧ الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٣هـ

٣٨ إمام وأمير ودعوة، أحمد عبدالعزيز الحصين، دار الطرفين، الطائف، ١٤١٤هـ

٣٩ الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية، يحيى العمراني تحقيق سعود الخلف أضواء السلف ١٤١٨هـ

٤٠ الإنصاف للقاضي الباقلاني، تحقيق محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث ١٣٦٩هـ

٤١ أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي، دار الكتب العربية ١٣٣٠هـ

٤٢ الإيمان أركانه وحقيقته د. محمد نعيم ياسين المطابع التعاونية عمان ط٢ ١٤٠٠هـ

٤٣ الباعث الحثيث: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير الجزري تحقيق طاهر الزاوي ومحمد الطناحي، دار إحياء التراث بيروت

٤٤ البحر المحيط لأبي حيان التوحيدي ـ مطبعة السعادة ١٣٢٨هـ

٤٥ بحوث في أصول التفسير،د. فهد الرومي، مكتبة التوبة الرياض ط٣، ١٤١٦هـ

٤٦ بدائع الفوائد لابن القيم، مكتبة القاهرة ط٢، ١٣٩٢هـ

٤٧ البداية والنهاية لابن كثير حققه د. أحمد ملحم وآخرون، دار الريان، القاهرة، ١٤٠٨هـ

٤٨ البرهان في علوم القرآن للزركشي، تحقيق محمد إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت ط٢ ـ ١٣٩١هـ

٤٩ بغية المرتاد في الرد على لمتفلسفة والقرامطة والباطنية «السبعية» لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية

٥٠ بيان السعادة في مقامات العبادة، سلطان محمد الخراساني، طبع طهران ١٣١٤هـ

٥١ البيهقي وموقفه من الإلهيات د. أحمد بن عطية الغامدي، مكتبة العلوم والحكمة، المدينة النبوية ط٣، ١٤١٢هـ

٥٢ تاريخ الإسلام ـ السيرة النبوية للذهبي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ

٥٣ تاريخ الإسلام ـ عهد الخلفاء الراشدين ـ للحافظ الذهبي، تحقيق د. عمر عبدالسلام، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٧هـ

٥٤ تاريخ المذاهب الإسلامية، محمد أبو زهرة ـ دار نهر النيل للطباعة

٥٥ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت

٥٦ تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ـ مكتبة الكليات الأزهرية

٥٧ التبيان في آداب حملة القرآن للنووي، تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط، دار البيان،دمشق ١٤٠٥هـ

٥٨ تبيين كذب المفتري فيما نسب للإمام أبي الحسن الأشعري، لابن عساكر، دار الفكر ط٢، دمشق،١٣٩٩هـ

٥٩ التخويف من النار لابن الجوزي، المكتبة العلمية، بيروت

٦٠ تدريب الراوي في شرح تقريب النووي لجلال الدين السيوطي حققه عبدالوهاب عبداللطيف، مكتبة الرياض الحديثة

٦١ التذكرة في أحوال الدنيا والآخرة للقرطبي، المكتبة السلفية، المدينة المنورة

٦٢ تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل، للشيخ محمد الغزالي، دار الشروق، بيروت، ١٤١١هـ

٦٣ الترغيب والترهيب للحافظ زكي الدين المنذري تحقيق مصطفى محمد عمارة، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط٣، ١٣٨٨هـ

٦٤ التعديل والتجريح، سليمان الباجي، دار اللواء للنشر، الرياض، تحقيق أبو لبابة حسين ١٤٠٦هـ

٦٥ التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني، مكتبة لبنان، بيروت ١٣٩٨هـ

٦٦ تفسير ابن عربي بتأويلات القاشاني، عبدالرزاق القاشاني، المطبعة الأميرية مصر ١٢٨٣هـ

٦٧ تفسير ابن كثير، تحقيق محمد إبراهيم البنا وآخرون، دار الشعب القاهرة

٦٨ تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود، محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت

٦٩ تفسير القرآن، عبد الله العلوي ـ طبع طهران ١٣٥٢هـ

٧٠ تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء ابن كثير، دار القلم ـ بيروت

٧١ تفسير القرآن الكريم وبيان أسباب النزول للسيوطي، مؤسسة الإيمان، بيروت

٧٢ تفسير المنار، رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت

٧٣ تفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار المنار ط٣، ١٣٨٧هـ مصر

٧٤ التفسير والمفسرون د. محمد حسين الذهبي، دار الكتب الحديثة، مصر ط٢، ١٣٩٦هـ

٧٥ تلبيس إبليس، لابن الجوزي، تحقيق علي حسن عبدالحميد، دار ابن الجوزي ١٤١٠هـ

٧٦ تلبيس الجهمية لابن تيمية، صححه محمد عبد الرحمن بن قاسم ـ مؤسسة قرطبة

٧٧ التلخيص الحبير لابن حجر العسقلاني تحقيق عبد الله هاشم، طبعة مصر

٧٨ التمهيد للباقلاني، دار الفكر العربي، حققه محمود الخضيري ومحمد أبو ريدة

٧٩ التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، محد الملطي، تحقيق محمد الكوثري، مكتبة المثنى، بغداد ١٣٨٨هـ

٨٠ التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية، عبدالعزيز الرشيد، مكتبة الرياض الحديثة ط٢، ١٤٠٠هـ

٨١ تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الموضوعة لابن عراق، تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف، مكتبة القاهرة، مصر

٨٢ التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل، عبدالرحمن المعلمي، حققه محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف ط٢،الرياض ١٤٠٦هـ

٨٣ تهذيب التهذيب لأحمد بن حجر العسقلاني، دار الفكر ١٤٠٤هـ

٨٤ التوحيد لأبي منصور الماتريدي تحقيق د. فتح الله خليف، دار الشروق بيروت

٨٥ التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، الشيخ عبد الرحمن السعدي، مكتبة المعارف الرياض ١٤٠٦هـ

٨٦ تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، سليمان بن محمد بن عبدالوهاب، المكتب الإسلامي

٨٧ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن السعدي مطبوعات الجامعة الإسلامية المدينة النبوية

٨٨ تيسير مصطلح الحديث د. محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض ط٨، ١٤٠٧هـ

٨٩ الثبات والشمول في الشريعة الإسلامية، د. عابد السفياني، مكتبة المنارة، مكة ١٤٠٨هـ

٩٠ جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ لابن الأثير الجزري، دار الفكر ط٢، بيروت ١٤٠٣هـ

٩١ جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري، مطبعة الحلبي ط٣مصر ١٣٨١هـ

٩٢ الجامع الصحيح لسنن الترمذي، تحقيق أحمد شاكر، مصطفى الحلبي، مصر ط٢، ١٣٩٥هـ

٩٣ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي دار الكتاب العربي القاهرة ط٢ ١٣٨٧هـ

٩٤ جريدة المسلمون، عدد ٢٧٦، ١٤١٠هـ

٩٥ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية مطابع المجد التجارية

٩٦ حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم تحقيق السيد الجميلي، دار الكتاب، بيروت ط٤

٩٧ حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم حققه علي الشربجي وقاسم النوري، مؤسسة الرسالة ط٣ ١٤١٨هـ

٩٨ حجية أحاديث الآحاد في الأحكام والعقائد. الأمين الحاج محمد أحمد، دار المطبوعات الحديثة ١٤١٠هـ

٩٩ الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام، محمد ناصر الدين الألباني، مطبعة الدار السلفية، الكويت ١٤٠٠هـ

١٠٠ الحديث والمحدثون د. محمد زهو، مطبعة مصر

١٠١ حقيقة البابية والبهائيةد. محسن عبدالحميد، المكتب الإسلامي، بيروت ط٢ ١٣٩٥هـ

١٠٢ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصبهاني، دار الكتب العلمية، بيروت

١٠٣ حياة محمد،محمد حسين هيكل دار المعارف بمصر ط ١٢ ١٣٩٤هـ

١٠٤ خبر الواحد في التشريع الإسلامي وحجيته، القاضي برهون، أضواء السلف ط٢،١٤١٩هـ

١٠٥ خبر الواحد وحجيته، د. أحمد الشنقيطي، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة ١٤١٣هـ

١٠٦ خصائص القرآن الكريم د. فهد الرومي، دار طيبة، الرياض ط٦، ١٤١١هـ

١٠٧ الخطوط العريضة لمحب الدين الخطيب، تقديم محمد نصيف، جدة،١٣٨٠هـ

١٠٨ خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل للإمام البخاري،مؤسسة الرسالة ط٣، ١٤١١هـ

١٠٩ الخميني والوجه الآخر في ضوء الكتاب والسنة د. زيد العيص، دار اليقين ١٤١٣هـ

١١٠ الخوارج مناهجهم وأصولهم، د. ناصر العقل، دار القاسم الرياض، ط٢ ١٤١٧هـ

١١١ درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠١هـ

١١٢ دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين د. أحمد جلي، مركز الملك فيصل للبحوث ١٤٠٦هـ

١١٣ دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين، د. محمد بن محمد أبو شهبة ود. عبدالغني عبدالخالق، دار الجيل، بيروت ١٤١١هـ

١١٤ دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية، تحقيق محمد الجليند، مؤسسة علوم القرآن، دمشق ط٢، ١٤٠٤هـ

١١٥ دلائل النبوة لأبي القاسم الأصبهاني، تحقيق مساعد الحميد، دار العاصمة، الرياض

١١٦ ذيل الملل والنحل للشهرستاني، تأليف محمد سيد الكيلاني، دار المعرفة بيروت ١٤٠٢هـ

١١٧ الرد على البكري لابن تيمية، الدار العلمية دلهي ط٢، ١٤٠٥هـ

١١٨ الرد على المنطقيين لابن تيميه دار ترجمان السنة لاهور ط٤ ١٤٠٢هـ

١١٩ الرد على من كذب بالأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي، عبدالمحسن العباد، دار الرشيد للطباعة، المدينة المنورة

١٢٠ رسائل أخوان الصفا، مطبعة تحفة الاخبار ١٣٠٦هـ

١٢١ رسائل الاصلاح محمد الخضر حسين،مطبعة القدس ١٣٥٨هـ

١٢٢ رسالة الاحتجاج بالقدر لابن تيمية، المكتب الإسلامي

١٢٣ الرسالة التدمرية لابن تيمية تحقيق محمد السعوي، ١٤١٥هـ

١٢٤ رسالة التوحيد، محمد عبده، تصحيح محمد رشيد رضا، دار المنار مصر ١٣٦٥هـ

١٢٥ رسالة وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة، محمد ناصر الدين الألباني، دار العلم بنها، مصر

١٢٦ الرسالة، محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق أحمد شاكر، المكتبة العلمية، بيروت

١٢٧ الرسل والرسالات، د. عمر الأشقر، دار النفائس، الأردن ط١٠، ١٤٢١هـ

١٢٨ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمد الألوسي، المطبعة المنيرية

١٢٩ الروح لإبن القيم تحقيق جمال الدمشقي، دار الإسراء للنشر عمان ١٤٢٢هـ

١٣٠ الروح لابن القيم، دار القلم، بيروت ط٢، ١٤٠٣هـ

١٣١ الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم لمحمد إبراهيم ابن الوزير، تحقيق محمد المصري، دار الكتب العلمية ١٤١٩هـ

١٣٢ زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم، تحقيق شعيب وعبدالقادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت ط١٥، ١٤٠٧هـ

١٣٣ سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، محمد بن يوسف الصالحي الشامي، تحقيق ودراسة د / مصطفى عبد الواحد المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية القاهرة ١٣٩٢هـ

١٣٤ سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ محمد ناصر الألباني، مكتبة المعارف للنشر ١٤١٥هـ، الرياض

١٣٥ السنة النبوية ومطاعن المبتدعة فيها للدكتور مكي الشامي، دار عمار للنشر، عمان، ١٤٢٠هـ

١٣٦ السنة في مواجهة الأباطيل، محمد طاهر الحكيم، رابطة العالم الإسلامي، مكة عدد١٢، ١٤٠٢هـ

١٣٧ السنة لابن أبي عاصم، المكتب الإسلامي بيروت ١٤٠٠هـ

١٣٨ السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي د. مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي ط٤، ١٤٠٥هـ

١٣٩ سنن أبي داود مع شرحه عون المعبود، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر ط٣، ١٣٩٩هـ

١٤٠ سنن أبي داود، دار الحديث، بيروت ١٣٩٤هـ

١٤١ سنن الدارمي، دار الكتب العلمية، بيروت

١٤٢ سنن النسائي، دار الجيل، بيروت ١٤٠٧هـ

١٤٣ سير أعلام النبلاء للذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٦هـ بيروت

١٤٤ السيرة النبوية لابن هشام، دارالجيل، بيروت، تحقيق طه عبدالرؤوف ١٤١١هـ

١٤٥ الشافي في شرح مسند الشافعي، مجد الدين بن المبارك بن الأثير، دار الكتب المصرية «مخطوط» ٧٣٥

١٤٦ شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار مكتبة وهبه ١٣٨٤هـ مصر

١٤٧ شرح السنة للإمام الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، ومحمد الشاويش، المكتب الإسلامي ١٣٩٠هـ

١٤٨ شرح العقيدة الأصفهانية لابن تيمية، تقديم حسين مخلوف، دار الكتب الإسلامية، القاهرة ١٣٨٥هـ

١٤٩ شرح العقيدة الطحاوية، عبد الغني الغنيمي تحقيق محمد الحافظ، دار الفكر دمشق

١٥٠ شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، حققها مجموعة من العلماء وخرج أحاديثها محمد ناصرالدين الألباني، المكتب الإسلامي ط٨، ١٤٠٨هـ

١٥١ شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز، تحقيق شعيب الأرناؤوط، دار البيان، دمشق، ١٤٠١هـ

١٥٢ شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية، شرح الشيخ محمد الصالح العثيمين، دار ابن الجوزي، الخبر١٤١٥

١٥٣ شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية، شرح الشيخ محمد خليل الهراس، خرج أحاديثه علوي السقاف، دار الهجرة، مكة ١٤١١هـ

١٥٤ شرح الفقه الأكبر للإمام أبي حنيفة وشرحه علي القاري حققه علي دندل،دار الكتب العلمية، بيروت١٣٩٩هـ

١٥٥ شرح القصيدة النونية لابن القيم، أحمد بن إبراهيم العيسى، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي ط٣، ١٤٠٦هـ

١٥٦ شرح المقاصد لسعد الدين التفتازاني، تحقيق د. عبد الرحمن عميره، عالم الكتب بيروت ١٤٠٩هـ

١٥٧ شرح المواقف، السيد الشريف الجرجاني، دار السعادة، مصر ١٣٢٧هـ

١٥٨ شرح سنن ابن ماجة القزويني، لأبي الحسن السندي، دار الجيل، بيروت

١٥٩ شرح كتاب التوحيد، عبد الله الغنيمان، مكتبة الدار بالمدينة النبوية ١٤٠٥هـ

١٦٠ شرح مسند الإمام أحمد لأحمد شاكر وأتمة د.الحسيني هاشم، دار المعارف مصر ١٣٧٥هـ

١٦١ شرح نخبة الفكر لابن حجر، تحقيق محمد الصباغ، مناهل العرفان، بيروت، ط٢، ١٤١٠هـ

١٦٢ الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة، عبد الله إبن بطة العكبري، تحقيق رضا نعسان مكتبة الفيصلية مكة ١٤٠٤هـ

١٦٣ الشريعة للإمام أبي بكر محمد بن الحسين الآجرّي تحقيق محمد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٣هـ

١٦٤ شعب الإيمان للبيهقي، تحقيق محمد بسيوني، دار الكتب، بيروت ١٤٢١هـ

١٦٥ شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن القيم، دار الكتب العلمية،بيروت

١٦٦ الشيعة والسنة، إحسان إلهي ظهير، دار ترجمان السنة، لاهور، باكستان،١٤٠٤هـ

١٦٧ الشيعة والقرآن، إحسان إلهي ظهير، دار ترجمان السنة، لاهور، باكستان، ط٧، ١٤١٥هـ

١٦٨ الشيعة وأهل البيت، إحسان إلهي ظهير، دار ترجمان السنة لاهور ط١٠، ١٤١٥هـ

١٦٩ الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ تحقيق عصام فارس ومحمد إبراهيم، المكتب الإسلامي بيروت ١٤١٤هـ

١٧٠ الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ لابن تيميه، تحقيق محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت

١٧١ صحيح الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم، تحقيق سليم الهلالي، دار ابن الجوزي ط٢ ١٤١٠هـ

١٧٢ صحيح مسلم بشرح النووي، مكتبة الرياض الحديثة.

١٧٣ الصفات الإلهية في الكتاب والسنة، محمد الجامي ط٣، جدة،١٤١١هـ

١٧٤ الصفدية لابن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم، ١٤٠٦هـ

١٧٥ صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت،١٤٠١هـ

١٧٦ الصلاة وحكم تاركها لابن القيم، تحقيق تيسير زعيتر، المكتب الإسلامي بيروت ١٤٠٠هـ

١٧٧ الصواعق المرسلة لابن القيم تحقيق د. علي الدخيل الله، دار العاصمة للنشر، الرياض ط٢، ١٤١٢هـ

١٧٨ ضحى الإسلام، أحمد أمين، النهضة المصرية،ط٧، ١٣٨٢هـ

١٧٩ ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة د. عبد الله القرني، مؤسسة الرسالة ١٤١٣هـ

١٨٠ الطرق الحكمية لابن القيم، تحقيق محمد جميل غازي، دار المدني

١٨١ طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم، حققه محب الدين الخطيب، المكتبة الاسلفية ط٣، القاهرة،١٤٠٧هـ

١٨٢ عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم، تعليق سليم الهلالي، دار ابن الجوزي، الخبر، ط٢، ١٤٢١هـ

١٨٣ العقائد الإسلامية، الشيخ السيد سابق ـ بدون دار النشر ـ

١٨٤ عائد السلف جمع علي النشار وعمارالطالبي، منشأة المعارف، مصر

١٨٥ عقائد السلف وأصحاب الحديث للصابوني، مجموعة الرسائل المنيرية دار الطباعة المنيرية، بيروت ١٣٩٠هـ

١٨٦ عقيدة الإمام ابن قتيبة، د. علي العلياني، مكتبة الصديق الطائف ١٤٢١هـ

١٨٧ العقيدة الطحاوية لابن أبي العز، دار الصميعي للنشر، الرياض، ١٤١٩هـ

١٨٨ عقيدة الفرقة الناجية،إعداد عبد الله حجاج، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ

١٨٩ عقيدة المؤمن أبو بكر الجزائري دار الكتب السلفية القاهرة

١٩٠ عقيدة المسلم، محمد الغزالي، دار الريان للتراث، القاهرة ١٤٠٣هـ

١٩١ العقيدة في الله د. عمر الأشقر، دار النفائس عمان ط١٢، ١٤١٩هـ

١٩٢ العقيدة والشريعة لجولد تسيهر، عربه محمد يوسف وآخرون، دار الكتب المصرية ١٣٦٦هـ

١٩٣ العلم الشامخ في تفضيل الحق على الآباء والمشايخ للعلامة صالح المقبلي، دار البيان، دمشق ١٤٠١هـ

١٩٤ علوم الحديث ومصطلحه، د.صبحي الصالح، دار العلم، بيروت ط١٤، ١٣٨٢هـ

١٩٥ عمدة التفسير للشيخ أحمد شاكر، طبع دار المعارف، مصر ١٣٧٦هـ

١٩٦ غاية المرام في علم الكلام، سيف الدين الآمدي، تحقيق حسن عبداللطيف، مطابع الأهرام،القاهرة ١٣٩١هـ

١٩٧ فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم، رسالة تحكيم القوانين جمع محمدالقاسم، مطبعة الحكومة، مكة ١٣٩٩هـ

١٩٨ الفتاوى الكبرى لابن تيمية، دار المعرفة، بيروت،١٤٠٩هـ

١٩٩ فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار الفكر ـ مصر

٢٠٠ الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد الشيباني، للشيخ أحمد عبد الرحمن البنا، دار الحديث القاهرة

٢٠١ فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة، بيروت

٢٠٢ الفرق بين الفرق للبغدادي، تحقيق محمد عبدالحميد، دار المعرفة ـ بيروت

٢٠٣ فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام د. غالب عواجي، المكتبة العصرية جدة،ط٤، ١٤٢٢هـ

٢٠٤ الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية، تحقيق عبدالرحمن اليحيى، دار طويق للنشر، ١٤١٤هـ

٢٠٥ فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب، حسين محمد النوري الطبرسي

٢٠٦ الفصل في الملل والنحل لابن حزم الظاهري، مكتبة السلام العالمية

٢٠٧ فضائح الباطنية للغزالي، طبع ليدن ١٣٣٦هـ

٢٠٨ فضل الإعتزال وطبقات المعتزلة للقاضي عبد الجبار، الدار التونسية للنشر

٢٠٩ في ظلال القرآن الأستاذ الشيخ سيد قطب، دار الشروق ط٩ ١٤٠٠هـ

٢١٠ القضاء والقدر د. عبدالرحمن المحمود، دار الوطن ط٢، ١٤١٨هـ

٢١١ القضاء والقدر د. عمر الأشقر، دار النفائس، الكويت ط٣، ١٤١١هـ

٢١٢ القضاء والقدر لابن تيميه ضبط د. أحمد السائح، د.السيد الجميلي، دار الكتاب العربي ط٣ ١٤٢٢هـ

٢١٣ قطف الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة للإمام السيوطي، تحقيق خليل الميس، المكتب الإسلامي،١٤٠٥هـ

٢١٤ قطف الثمر في عقيدة أهل الأثر، محمد صديق القنوجي تحقيق د. القريوتي

٢١٥ القول السديد في مقاصد التوحيد، عبدالرحمن السعدي، مكتبة المعارف، الرياض

٢١٦ القيامة الصغرى د. عمر الأشقر، المكتبة الوطنية، عمان ط١٠، ١٤٢١هـ

٢١٧ الكافي في الأصول، محمد بن يعقوب الكليني، طبع طهران ١٣٨١هـ

٢١٨ كتاب الإيمان لشيخ الإسلام تحقيق الشيخ حسين الغزال، دار إحياء العلوم، بيروت ط٤ ١٤٠٩هـ

٢١٩ كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل لابن خزيمة تحقيق محمد خليل الهراس، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ

٢٢٠ كتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجل وصفاته، محمد ابن إسحاق بن منده، تحقيق د.علي فقيهي مطابع الجامعة الإسلامية ١٤٠٩هـ

٢٢١ الكشاف للزمخشري مطبعة محمد مصطفى ١٣٠٨ هـ وبهامشه الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال

٢٢٢ كشف الأسرار للخميني ط فارس

٢٢٣ كشف الظنون: ملّا كاتب جلبي ـ دار الطباعة المصرية ١٣٧٤هـ

٢٢٤ الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي، مراجعة عبدالحليم محمد، مطبعة السعادة

٢٢٥ كنز العمال، علاء الدين الهندي، مؤسسة الرسالة، بيروت

٢٢٦ لسان العرب لأبي الفضل ابن منظور، دار صادر، بيروت

٢٢٧ لسان الميزان لابن حجر، مؤسسة الأعلمي ط٢، ١٣٩٠هـ

٢٢٨ لمحات في علوم القرآن الكريم واتجاهات التفسير، محمد الصباغ، المكتب الإسلامي، بيروت ١٣٩٣هـ

٢٢٩ لوامع الأنوار البهية للأسفراييني ـ المكتب الإسلامي بيروت

٢٣٠ مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، جمع عبدالعزيز الرومي وآخرون، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض

٢٣١ المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح، عبد المؤمن بن خلف الدمياطي دراسة وتحقيق عبد الملك بن دهيش مطبعة النهضة الحديثة مكة ط ٤ ١٤٠٨هـ

٢٣٢ مجلة البحوث الإسلامية، الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء، دار أولي النهي، عدد ٩، ١٤٠٤هـ

٢٣٣ مجلة الرسالة عدد ٥١٤، ١٣٦٢هـ

٢٣٤ مجلة المنار مجلد ١٩

٢٣٥ مجمع البيان لعلوم القرآن للطبرسي طبع طهران ١٣١٤هـ

٢٣٦ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد نور الدين على بن أبي بكر الهيثمي، دار الكتاب العربي بيروت ط٢، ١٣٨٧هـ

٢٣٧ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع عبدالرحمن بن قاسم، مكتبة ابن تيمية، القاهرة

٢٣٨ مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية، دار إحياء التراث العربي، بيروت

٢٣٩ محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للفخر الرازي، تقديم طه عبدالرؤوف، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة

٢٤٠ المحيط بالتكليف للقاضي عبد الجبار، جمع الحسن بن أحمد، تحقيق عمر عزمي، الدار المصرية للترجمة والتأليف القاهرة

٢٤١ مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم، دار الندوة الجديدة، بيروت، ١٤٠٥هـ

٢٤٢ مختصر العلو للعلي الغفار للشيخ الذهبي، تحقيق الألباني، المكتب الإسلامي ط٢ ١٤٠٨هـ

٢٤٣ مختصر لوامع الأنوار البهية للشيخ محمد بن علي بن سلوم، تعليق الشيخ عبدالرحمن السعدي ١٣٨٦هـ

٢٤٤ مدارج السالكين لابن القيم، مراجعة لجنة من العلماء، دار الحديث، القاهرة

٢٤٥ مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، عثمان ضميرية، مكتبة السوادي بجدة ط٣، ١٤٢٠هـ

٢٤٦ مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار، عبداللطيف الكازراني، طبع العجم ١٣٠٣هـ

٢٤٧ مرقاة المصابيح شرح مشكاة المصابيح ملّا علي القاري، دار إحياء التراث العربي بيروت.

٢٤٨ المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله محمد الحكم النيسابوري تحقيق مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، بيروت

٢٤٩ المستدرك على الصحيحين للحاكم، دار المعرفة، بيروت

٢٥٠ المستشرقون والسنة، د. سعد المرصفي، مؤسسة الريان، بيروت، ١٤١٥هـ

٢٥١ مسند الإمام أحمد بن حنبل، المكتب الإسلامي ط٥، بيروت، ١٤٠٥هـ

٢٥٢ المسوّدة في الفقه لابن تيمية تحقيق محمد عبدالحميد، دار الكتاب العربي، بيروت

٢٥٣ مشكاة المصابيح لأبي عبد الله التبريزي، تحقيق محمد وهيثم تميم، دار الأرقم، بيروت

٢٥٤ مشكاة المصابيح للتبريزي، تحقيق الألباني، المكتب الإسلامي

٢٥٥ مصادر الاستدلال على مسائل الاعتقاد، عثمان علي حسن، دار الوطن للنشر الرياض ١٤١٣هـ

٢٥٦ المطالب العالية من العلم الإلهي للرازي، دار الكتاب العربي، تحقيق أحمد السقا ١٤٠٧هـ

٢٥٧ معارج القبول بشرح سلم الوصول للشيخ حافظ الحكمي وعلق عليه عمر محمود أبو عمر، دار ابن القيم للنشر، الدمام ١٤١٠هـ

٢٥٨ معجم ألفاظ العقيدة، عامر فالح، مكتبة العبيكان

٢٥٩ المعجم الكبير للطبراني، مكتبة العلوم والحكم، الموصل ط٢ ١٤٠٤هـ

٢٦٠ المغني في الضعفاء، شمس الدين محمد الذهبي، تحقيق نور الدين عتر

٢٦١ المغني لابن قدامه، مكتبة الرياض الحديثة

٢٦٢ مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة للإمام السيوطي، تحقيق عبدالرحمن فاخوري، دار السلام ١٣٩٩هـ

٢٦٣ مفتاح دار السعادة لابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت

٢٦٤ المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، تحقيق محمد الكيلاني، مطبعة الحلبي

٢٦٥ مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري، صححه هلموت ريتر فيسبادن _ ألمانيا ط٣ ١٤٠٠هـ

٢٦٦ مقدمة ابن خلدون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٨هـ

٢٦٧ مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، مطبعة الترقي، دمشق ١٣٥٩هـ

٢٦٨ مقدمة في نقد مدارس الكلام على مناهج الأدلة لابن رشد، د. محمود قاسم مكتبة الأنجلو المصرية ط٣ ١٣٨٩هـ

٢٦٩ المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للغزالي، الجبائي للطباعة والنشر. قبرص

٢٧٠ الملل والنحل للشهرستاني، تحقيق محمد الكيلاني، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٤هـ

٢٧١ المنار المنيف في الصحيح والضعيف لابن القيم، تحقيق عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلاميةط٢، ١٤٠٣هـ

٢٧٢ مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي، تحقيق د. عبد الله التركي، صححه علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، مصر ١٣٩٩هـ

٢٧٣ مناهل العرفان في علوم القران، محمد الزرقاني، عيسى الحلبي دار إحياء الكتب

٢٧٤ المنتقى النفيس من تلبيس إبليس لابن الجوزي، تعليق علي حسن عبدالحميد،دار ابن الجوزي، الخبر،١٤١٠هـ

٢٧٥ المنتقى من منهاج الاعتدال للامام الذهبي، تحقيق محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية مصر

٢٧٦ منهاج السنة النبوية لابن تيمية تحقيق محمد رشاد سالم، ١٤٠٦هـ

٢٧٧ المنهاج إلى أصول الدين عقيدة الفرقةالناجية د. عثمان الصوينع، مطابع الفرزدق الرياض١٤١٤هـ

٢٧٨ المنهاج في شعب الإيمان للحليمي، دار الفكر، بيروت

٢٧٩ منهج الإمام الشوكاني في العقيدة د. عبد الله نومسوك مكتبة دار القلم والكتاب ١٤١٤هـ

٢٨٠ منهج التلقي والاستدلال بين أهل السنة والمبتدعة، صالح الصويان، دار السليم، الرياض ١٤١٩هـ

٢٨١ منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل والنقل، جابر إدريس، أضواء السلف ١٤١٩هـ

٢٨٢ منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير د.الرومي مؤسسة الرسالة ط٤ ١٤١٤هـ

٢٨٣ منهج إمام الحرمين في دراسة العقيدة عرض ونقد، د. أحمد عبد اللطيف، مركز الملك فيصل للبحوث، الرياض ١٤١٤هـ

٢٨٤ موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان للهيثمي، تحقيق محمد حمزة، دار الكتب العلمية، بيروت

٢٨٥ الموافقات في أصول الشريعة، لأبي إسحاق الشاطبي، شرح عبد الله دراز وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت

٢٨٦ المواقف في علم الكلام، عبدالرحمن الإيجي، مكتبة المتنبي، القاهرة

٢٨٧ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب ط٢، الرياض ١٤٠٩هـ

٢٨٨ الموطأ للإمام مالك، دار النفائس، بيروت ط٦، ١٤٠٢هـ

٢٨٩ موقف ابن تيميه من الأشاعره د. عبد الرحمن المحمود، مكتبة الرشد، الرياض ١٤١٥هـ

٢٩٠ موقف البشر تحت سلطان القدر، مصطفى صبري، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٥٢هـ

٢٩١ موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية، الأمين الصادق الأمين، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٨هـ

٢٩٢ موقف المعتزلة من السنة النبوية، أبو لبابة حسين، دار اللواء، ط٢، الرياض ١٤٠٧هـ

٢٩٣ ميزان الاعتدال للإمام الذهبي، تحقيق عيسى الحلبي ١٣٨٩هـ

٢٩٤ النبوات لابن تيمية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ

٢٩٥ نبوة محمد ﷺ من الشك إلى اليقين د. فاضل السامرائي، مكتبة القدس، بغداد

٢٩٦ النبوة والأنبياء، محمد علي الصابوني، دار النصر، حلب، ط٢، ١٣٩٥هـ

٢٩٧ نظرية السيادة وأثرها على شرعية الأنظمة الوضعية، صلاح الصاوي، دار طيبة، الرياض

٢٩٨ نهاية الإقدام في علم الكلام، عبدالكريم الشهرستاني، صححه الفردجيوم، مكتبة المتنبي القاهرة

٢٩٩ النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير تحقيق خليل شيحا ومحمد حلبي، دار المعرفة، بيروت ط٣، ١٤٢٢هـ

٣٠٠ هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، لابن القيم، تحقيق مصطفى الشلبي، مكتبة السوادي، جدة، ط٣، ١٤١٨هـ

٣٠١ واقعنا المعاصر، الأستاذ الشيخ محمد قطب، مؤسسة المدينة ط٢

٣٠٢ وحي الله حقائقه وخصائصه في الكتاب والسنة نقض مزاعم المستشرقين د. حسن ضياء الدين عتر، دار المكتبي، دمشق، ١٤١٩هـ

٣٠٣ وسطية السنة في القدر د. عواد المعتق، مجلة البحوث الإسلامية عدد ٢٤، ١٤١٢هـ

٣٠٤ وقفات مع كتاب السنة النبوية بين أهل الفقه والحديث، سلمان بن فهد العودة،١٤٠٩هـ

٣٠٥ اليوم الآخر د. عمر الأشقر دار النفائس عمان ط ١٠ ١٤٢١ هـ

فهرس الموضوعات

الفصل الثاني
استدلالهم بأحاديث الآحاد في باب الأسماء والصفات وموقف المخالفين منها والرد عليهم

الفصل الثالث
استدلالهم بأحاديث الآحاد في باب القدر وموقف المخالفين منها والرد عليهم

الفصل الرابع

استدلال السلف بأحاديث الآحاد

في باب النبوات وموقف المخالفين منها والرد عليهم

الفصل الخامس

استدلال السلف بأحاديث الآحاد في باب الإيمان باليوم الآخر وموقف المخالفين منها والرد عليهم

الفصل الثالث

المسائل التي ثبتت عند أهل السنة والجماعة

في باب القدر بخبر الآحاد وأنكر حجيتها المخالفون والحكم عليها

الفصل الرابع

المسائل التي ثبتت عند أهل السنة والجماعة في باب النبوات بخبر الآحاد وأنكر حجيتها المخالفون والحكم عليها

الفصل الخامس

المسائل التي ثبتت عند أهل السنة والجماعة

في باب الإيمان باليوم الأخر بخبر الآحاد وأنكر حجيتها المخالفون والحكم عليها

الفصل الثالث

تعطيل بعض المسائل الشرعية

الفصل الرابع

العدول عن تفسير القرآن بالحديث إلى تفسيره بالرأي وتأثيره على مسائل العقيدة

الفصل الخامس

ضعف الدوافع والبواعث على الأعمال الصالحة نتيجة لضعف اليقين بثوابها الثابت بخبر الآحاد

الفهارس







6 281140 000462